الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية

العلامة عبد الغني النابلسي

الحنفي

المكتبة النورية الرضوية [illegible]

لائلپور - پاکستان

انکار احد من اولیاء اللہ کفر وحکم المنکر کحکم المرتد ص ۲۴۱

الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى

الناشر

السيد هدايت رسول
القادري الرضوي

المكتبة النورية الرضوية الجامع البغدادي ○ لاہور۔ پاکستان

كلمة التقديم

من

محمد عبدالحکیم شرف القادری

كلمة التقديم

حامدا و مصليا و مسلما : اما بعد

فهذا كتاب رفيع القدر عظيم الفائدة «الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية» للامام العلامة العارف بالله عبدالغنى النابلسى قدس سره القدسى فى الكلام و الفقه و التصوف و لما كان هذا الكتاب نادر الوجود و كان اهل العلم مع السعى البليغ قاصرين عن تحصيله اهتم ارباب المكتبة النورية الواقعة ببلدة لائل فور ، باكستان بطبعه و لاشك ان هذا الخطب الجسيم كان مقدرا لهم فجزاهم الله تعالى عنا و عن سائر اهل الاسلام خيرالجزاء.

نريدان نقدم لقارئى هذا الكتاب المستطاب ترجمة المصنف و الشارح قدس سرهما

ترجمة المصنف العلام قدس سره

هوالامام الكبير و الفاضل الشهير المولى محمد بن پيرعلى المعروف ببركلى رحمه الله تعالى ، اشتغل بطلب العلم على المولى محى الدين اخى زاده فبرع فى العلوم الاسلامية وفاق على اقرانه و معاصريه ، صار اولا ملازمامن المولى عبدالرحمن احد قضاة العسكر فى زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح و اتصل بخدمة الشيخ عبدالله القرمانى ثم امره شيخه ان يشتغل بتعليم العلوم فاستفاد منه خلق كثير ثم حصل بينه و بين عطاء معلم السلطان سليم محبة اكيدة فبنى العطاء مدرسة بقصبة برکى و عين له فى كل يوم ستين در هما.

له مؤلفات نافعة مقبولة ، و تعليقات فى الحديث و التجويد و الفقه ، نذكر نبذا منها.

١- شرح مختصر الكافية للبيضاوى
٢- متن فى علم الفرائض
٣- جلاءالقلوب : ذكرفيه تحقيق التوبة ورد المظالم
٤- الدر اليتيم: فى تحقيق التجويد

٥- انقاذ الهالكين
٩- تنبيه النائمين
١٠- معدل الصلوة فى مسائل تعديل الاركان
١١- الطريقة المحمدية و السيرة الاحمدية

جمع فى الطريقة المحمدية المسائل الاعتقادية و الفقهية و مسائل التصوف[١]

وهى منقسمة على ثلاثة ابواب

الاول فيه ثلاثة فصول الاول فى الاعتصام بالكتاب و السنة ، الثانى فى البدع ، الثالث فى الاقتصاد فى العمل

الثانى فيه ايضا ثلاثة فصول الاول فى تصحيح الاعتقاد و الثانى فى العلوم المقصودة لغيرها و هو ثلاثة انواع الثالث فى التقوى

الثالث فى امور ظنت من التقوى وليست منها و فيه ايضا ثلاثة فصول الاول فى الدقة فى امر الطهارة الثانى فى التورع من طعام اهل الوظائف الثالث فى امور متبدعة

اتمه فى ليلة الاربعاء السابع عشر من شعبان سنة ٩٨٠ ثمانين و تسعمائة و قد اختصره المولى محمد التيروى المعروف بعيشى زاده المتوفى ١٠١٦ھ[٢]

اكب العلماء العظام بشرح الطريقة المحمدية ذكر فى كشف الظنون و ذيله اربعة عشر شرحاً ، فبعضها مختصر موجز و بعضها مطول مبسوط منها الحديقة الندية فى مجلدين التى اهتم بطبعها و نشرها المكتبة النورية فالحمدلله على ذالك

توفى الامام العلامة محمد بن پير على ، آفندى ، الرومى البركلى قدس سره فى جمادى الاولى سنة ٩٨١ھ/١٥٧٣ء رضى الله تعالى عنه و ارضاه

١- عبدالحى اللكنوى ، مولانا : طرب الاماثل بتراجم الافاضل (مطبوعة نور محمد ، كراتشى) ، ص ٣٠٢
٢- مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفه ، كشف الظنون (مطبوعة مكتبة المثنى ، بغداد) ج ٢ ، ص ١١١١

تعريف بالشارح العلامہ قدس سرہ العزیز

الحبرالماہر و البحر الزاخر ، قطب الاقطاب العارف باللہ ، سیدی الشیخ الامام عبدالغنی بن اسماعیل بن عبدالغنی بن اسمعیل بن احمد بن ابراہیم ، النابلسی[۱] الدمشقی الحنفی[۲] تولد بدمشق خامس ذی الحجہ (۱۰۵۰ھ/ ۱۶۴۱ء) و کان من سلالہ اھم العلم و الفضل ، و کان اجدادہ علی مذہب الامام الشافعی رضی اللہ تعالیٰ عنہ لکن الشیخ و اباہ اختارا مذہب الامام الاعظم ابی حنیفہ رضی اللہ تعالیٰ عنہ[۳]

تو فی والدہ رحمہ اللہ تعالیٰ حین ھو ابن اثنتی عشرۃ سنہ ، فقرأ العلوم المتداولہ من الصرف و النحو و المعانی و البیان و الفقہ و التفسیر و الحدیث و غیر ھا من مشاہیر العصر کالشیخ محمود الکردی و الشیخ عبدالباقی الحنبلی و الشیخ محمد المحاسنی و النجم الغزی و الشیخ ابراھیم الفتال و غیر ھم و اجاز لہ من مصر الشیخ علی الشبرا ملسی و اخذ طریق القادریہ عن السید الشیخ عبدالرزاق الحموی الگیلانی و اخذ طریق النقشبندیہ عن الشیخ سعید البلخی (رضی اللہ تعالیٰ عنہم)

ظہر منہ فی عنفوان الشباب احوال عجیبہ ، و استقام فی دارہ بقرب الجامع الاموی سبع سنین لم یخرج منها حتی تکلم الحسادفیہ انہ یترک الصلوات الخمس و انہ یہجو الناس بشعرہ مع انہ رضی اللہ تعالیٰ عنہ بری من ذالک ، طالع کتب الشیخ الاکبر محی الدین ابن العربی و ابن سبعین و العفیف التلمسانی و غیر ھم من مشائخ السادۃ الصوفیہ رضی اللہ تعالیٰ عنہم و استفاد منہم خزائن العرفان ، قیل انہ انشأ بدیعیہ فی مدح النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم فانکر بعض المتعصبین ان تکون منہ ، فشرحها شرحا لطیفا فی مجلد فی شہر واحد ، شرع فی مدارسہ العلوم و التصنیف و ہو ابن عشرین سنہ ، فاکب علیہ خلق کثیر و استفادوامن فیوضہ الظاہرۃ و برکاتہ الباطنہ و استمدوا من دعواتہ الصالحہ و استفاضوا من نفوسہ القدسیہ[٤] و من اجل تلامذتہ الشیخ مصطفی البکری[٥]

۱- نابلس : مدینہ فی فلسطین الوسطی ، (منجد)
۲- عبدالحی اللکنوی ، مولانا : طرب الاماثل بتراجم الافاضل (مطبوعہ نور محمد ، کراتشی) ، ص ۲۸٤
۳- دائرۃ المعارف (اردو) (مطبوعہ جامعہ البنجاب) ج ۱۲ ، ص ۹۱۲
٤- بطرس البستانی : دائرۃ المعارف (العربیہ) (مطبوعہ دارالمعرفہ ، بیروت) ج ۱۱ ، ص ٦۱۰ .
٥- دائرۃ المعارف (اردو) (مطبوعہ جامعہ البنجاب) ج ۱۲ ، ص ۹۱۲

قال فی الحدیقہ الندیہ "کنت مرۃ فی درسی العام بجامع بنی امیہ فی دمشق الشام و الناس حولی یتکامون فی امرالدنیا و یضحکون ، فرفعت صوتی بنصیحہ علی وجہ العموم و ذکرت لهم امثال قولہ علیہ الصلواۃ والسلام «سیکون فی آخرالزمان ناس یکون حدیثهم فی مساجدهم» حتی قلت لهم فی جملہ کلامی انظروا یا عباد اللہ فی کنائس الیهود والنصاری فانهم رفعوها عن کلام الدنیا مع انها مأوی الشیاطین ، فکیف انتم یا امہ الاسلام لا ترفعون مساجد کم عن کلام الدنیا مع انکم تقرؤن قولہ تعالی فی بیوت اذن اللہ ان ترفع الآیہ فاعرضوا عنی و لم یجیبوا الی الامتثال و خرجوا الی الاذیہ من جهالهم حتی ترکت الدرس و انا الآن ادرس فی بیتی بقرب الجامع المذکور ولا ادخل الیہ الا فی مثل الجمع والاعیاد[۱]

ارتحل الشیخ اولا الی دارالخلافہ (استانبول) سنہ ۱۰۷۵ھ/۱۶٦٤ء فاستقام بها قلیلا و ذهب سنہ ۱۱۰۰ھ/۱٦۸۸ء الی زیارۃ البقاع و جبل لبنان و سنہ ۱۱۰۱ھ/۱٦۸۹ء ذهب الی زیارۃ الخلیل و بیت المقدس و سنہ ۱۱۰۵ھ/۱٦۹۳ء ذهب الی مصر و الحجاز و هی رحلتہ الکبری و سنہ ۱۱۱۲ھ/۱۷۰۰ء ذهب الی طرابلس الشام نحو اربعین یوما و انتقل من دمشق من داراسلافہ الی صالحیتها ۱۱۱۹ھ/۱۷۰۷ھ و اقام بها الی آخرحیاتہ [۲]

و من اللطائف ما ذکر الشیخ قدس سرہ فی الحدیقہ الندیہ «قد ابتلیت بعض الشافعیہ من المتفقهہ القاصرین یذکروننی بسوء فی غیبتی و یقولون لا غیبہ لفاسق و یطعنون فی عرضی بما انا بریٔ منہ فقلت فی ذالک هذین البیتین

سمعت بقوم عللوا حل غیبتی بفهم رکیك فی الحدیث من الطبع
فقلت ولاعتب فقد حل عندهم بهم اکل انسان بواسطہ الضبع

فان اکل لحم الضبع یجوز عندالشافعیہ ، و الضبع یأکل لحم الانسان فاذا اکلتہ الشافعیہ فقد اکلوا لحم الانسان و ذالك حلال عندهم ، فلاعتب علیهم اذا حللوا غیبتی»[۳]

و کان الشیخ العلامہ عبدالغنی النابلسی قدس سرہ من اجلہ العارفین و اکمل المتبحرین فی العلوم الاسلامیہ ، فقد حصل لہ القبول العام فی جمیع الانام ، و استشهد بکلامہ اکابر المحققین و اثنی علیہ جم غفیر من المدققین

۱- عبدالحی اللکنوی ، مولانا : طرب الاماثل بتراجم الافاضل ، ص ۲۸۵
۲- بطرس البستانی : دائرۃ المعارف (عربی) ج ۱۱ ، ص ٦٤١
۳- عبدالحی اللکنوی ، مولانا : طرب الاماثل بتراجم الافاضل ، ص ۲۸٥ - ۲۸٤

قال المرادی فی «سلك الدرر فی اعیان القرن الثانی عشر»

هو اعظم من ترجمته علما و ولایة و زهداً و شهرة و درایة و هو استاذ الاساتذة و جهبذ الجهابذة ، الولی العارف ینبوع العوارف و المعارف ، قطب الاقطاب ، العارف بربه الفائز بقربه و حبه ، ذوالكرامات الظاہرة ، و المكاشفات الباہرة [۱]

و قال فیه ایضا

و له كرامات لا تحصیل ، و كان لا یحب ان تظهر علیه ولا ان تحكیٰ عنه ، هذا مع اقبال الناس علیه و محبتهم له و اعتقادهم فیه (الی ان قال) و بالجملة فهو الاستاذالاعظم والملاذ الاعصم و العارف الكامل ، و العالم الكبیر العامل ، القطب الربانی و الغوث الصمدانی و قد حاز تاریخی ہذا كمال الفخر حیث احتوی علی مثل ہذا الامام الذی انجبه الدہر و جاء به العصر [۲]

قال الشیخ عبدالقادر الرافعی الفاروقی مفتی الدیار المصریة

فی روح البیان عند قوله تعالیٰ انما یعمر مساجد الله من آ بالله و الیوم الاخر و اقام الصلوٰة و آتی الزكوٰة و لم یخش الا الله فعسیٰ أو'لئك ان یكونوا من المهتدین من سورة التوبة مانصه

قال الشیخ عبدالغنی النابلسی فی كشف النور عن اصحاب القبور ما خلاصته ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمی سنة فبناء القباب علی قبور العلماء و الاولیاء و الصلحاء و وضع الستور و العمائم و الثیاب علی قبورهم امر جائز اذا كان القصد بذالك التعظیم فی اعین العامة حتی لا یحتقروا صاحب ہذا القبر و كذا ایقاد القنادیل و الشمع عند قبور الاولیاء و الصلحاء من باب التعظیم و الاجلال ایضا للاولیاء فالمقصد فیها مقصد حسن و نذرالزیت و الشمع للاولیاء یو قد عند قبورهم تعظیمالهم و محبة فیهم جائز ایضا لا ینبغی النهی عنه [۳]

قال العلامة السید محمد امین الشهیر بابن عابدین الشامی قدس سره بعد نقل ملخص ہذه العبارة

۱- بطرس البستانی : دائرة العارف (عربی) ج ۱۱ ، ص ۶۱۰

۲- یوسف بن اسماعیل النبهانی ، الامام العلامة : جامع كرامات الاولیاء (مطبوعه مصر) ج ۱ ، ص ۲۰۰ - ۱۹۹

۳- عبدالقادر الرافعی ، مولانا الشیخ : التحریر المختار لردالمحتار (الطبعة لاوالیٰ ، بمصر) ج ۱ ، ص ۱۲۳

من كشف النور عن اصحاب القبور للشيخ عبدالغنى النابلسى نفعنا الله به ، آمين [١]

قال الشيخ السيد احمد الطحطاوى فى حاشيته على مراقى الفلاح مستندا بكلامه.

قال العارف بالله سيدى عبدالغنى النابلسى [٢]

قال مجدد المائة الحاضرة الامام احمد رضا البريلوى قدس سره مستشهدا بكلامه فى مسئلة الذكر بالجهر خلف الجنازة ما ترجمته بالعربية

قال الامام العلامة ، العارف بالله ، ناصح الامة ، سيدى عبدالغنى النابلسى قدس سره القدسى فى كتابه المستطاب الحديقة الندية فى شرح الطريقة المحمدية [٣]

قال الامام العلامة يوسف بن اسماعيل النبهانى قدس سره

الشيخ عبدالغنى بن اسماعيل النابلسى ، الدمشقى ، الحنفى ، اشهر الاولياء العارفين من عصره الى الآن ، اخذ عن كثير من ائمة العلماء و الاولياء و اخذ عنه كثير منهم ، و قد ذكرت كثيرا من كراماتهم فى هذا الكتاب و لو لم يكن من كراماته رضى الله عنه الاتبحره فى جميع العلوم و تاليفاته التى لا تعد ولا تحصى فى جميع الفنون لكان ذالك كافيا وافيا ، فكيف و له مع ذلك ، المناقب المشهورة و الكرامات المأثورة فى حياته وبعد مماته [٤]

تاليفه كثيرة ، مفيدة ، حسنة ، مؤيدة لمذهب اهل السنة و الجماعة ، تبلغ مأتين و خمسين ، و تنقسم الى انحاء من التفسير و الحديث و الكلام و الفقه و التجويد و التصوف و الشعر و الرحلة اما كتب التصوف فقد شرح فيها تصانيف الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى و سيدى عبدالكريم الجيلى و سيدى الشيخ ابن الفارض رضى الله تعالى عنهم ، و لذا كان الغالب عليه عقيدة وحدة الوجود التى اختار ها كثير من كبار المشائخ الصوفية

١- ابن عابدين الشامى ، العلامة : العقود الدرية فى تنقيح الفتاوى الحامدية (المطبعة الميمنية بمصر) ج ٢ ، ص ٣٥٧

٢- احمد الطحطاوى ، الشيخ العلامة : الحاشية الطحطاوية على مراقى الفلاح (الطبعة الثالثة ، بمصر) ص ٤٨

٣- احمد رضا البريلوى ، الامام : العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية ج ٤ ، ص ٦

٤- يوسف بن اسماعيل النبهانى ، الامام العلامة : جامع كرامات الاولياء ج ٢ ص ١٩٤

المحققین ، و ما جرئ فیها علی اقتداء الشراح السابقین بل تکلم علی نهج المجتهدین

وله دیوان الدواوین فی اربع مجلدات ، اولها فی التصوف مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٠٢ھ لم یطبع سواها ، و المجلد الثانی فی مدح النبی صلی الله تعالیٰ علیه وسلم و الثالث فی قصائد مدحیة و مکتوبات و الرابع فی الغزل

لم یهتم فی رحلاته ببیان تفاصیل المواضع و المنازل فحسب بل ادرج فیها الاحوال الروحانیة الواردة علیه و اقتدی به فی هذا الطریق مصطفیٰ البکری الدمشقی و اسعد اللقیمی المصری و غیر هما من السیاحین المعروفین [١]

والان نذکر فهرس تصانیفه الجلیلة ، الذی بلغ الینا

١- التحریر الحاوی بشرح تفسیر البیضاوی فی ثلاث مجلدات و شرع فی الرابع من اول سورة البقرة الی قوله تعالیٰ من کان عدواً لله

٢- بو اطن القرآن و مو اطن العرفان : منظوم علیٰ قافیة التاء المثناة ، وصل فیه الی سورة براءة ، فبلغ خمسة آلاف بیت

٣- کنزالحق المبین فی احادیث سید المرسلین

٤- الحدیقة الندیة فی شرح الطریقة المحمدیة : کتاب عظیم الشان ، جلیل البرهان ، یقدمه لکم المکتبة النوریة الرضویة بلائلفور

٥- ذخائرالمواریث فی الدلالة علی مواضع الاحادیث

٦- جواہر النصوص فی حل کلمات الفصوص للشیخ محی الدین ابن العربی قدس سره

٧- کشف السرالغامض شرح دیوان ابن الفارض

٨- زهرالحدیقة فی ترجمة رجال الطریقة

٩- خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشیخ أرسلان

١٠- تحریک الاقلید فی فتح باب التوحید

١١- لمعان البرق النجدی شرح تجلیات محمود آفندی الرومی المدفون باسکدار

١٢- المعارف الغیبیة شرح العینیة الجلیلیة

١٣- اطلاق القیود شرح مرآة الوجود

١٤- الظل الممدود فی معنی وحدة الوجود

١- دائرة المعارف (اردو) مطبوعة جامعة البنجاب ج ١٢ ، ص ٩١٢-٣

١٥- رائحة الجنة شرح اضاءة الدجنة
١٦- فتح المعين المبدى شرح منظومة سعدى آفندى
١٧- دفع الاختلاف من كلام القاضى و الكشاف
١٨- ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود
١٩- كتاب الوجود الحق و الخطاب الصدق
٢٠- نهاية السول فى حلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
٢١- مفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية
٢٢- بقية الله خير بعد الفناء فى السير
٢٣- المجالس الشامية فى مواعظ اهل البلاد الرومية
٢٤- توفيق الرتبة فى تحقيق الخطبة
٢٥- طلوع الصباح على خطبة المصباح
٢٦- الجواب التام عن حقيقة الكلام
٢٧- تحقيق الانتصار فى اتفاق الاشعرى و الماتريدى على الاختيار
٢٨- كتاب الجواب عن الاسئلة المائة و الاحدى و الستين
٢٩- برهان الثبوت فى تربة هاروت و ماروت
٣٠- لمعان الانوار فى المقطوع لهم بالجنة و المقطوع لهم بالنار
٣١- تحقيق الذوق و الرشف فى معنى المخالفة بين اهل الكشف
٣٢- روض الانام فى بيان الاجازة فى المنام
٣٣- صفوة الاصفياء فى بيان الفضيلة بين الانبياء
٣٤- الكوكب السارى فى حقيقة الجزء الاختيارى
٣٥- انوار السلوك فى اسرار الملوك
٣٦- رفع الريب عن حضرة الغيب
٣٧- تحريك سلسلة الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد
٣٨- زبدة الفائدة فى الجواب عن الابيات الواردة
٣٩- النظر المشرق فى معنى قول الشيخ عمر بن الفارض عرفت ام لم تعرف
٤٠- السر المختبى فى ضريح ابن العربى رضى الله تعالىٰ عنه
٤١- المقام الاسمىٰ فى امتزاج الاسماء
٤٢- قطرة السماء و نظرة العلماء
٤٣- الفتوحات المدنية فى الحضرات المحمدية
٤٤- الفتح المكى و المنح الملكى
٤٥- الجواب المعتمد عن سوالات أهل صفد
٤٦- لمعة النور المضيئة شرح الابيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية

٤٧- الحامل فى الملك و المحمول فى الفلك فى اخلاق النبوة و الرسالة و الخلافة و الملك
٤٨- النفحات المنتشرة فى الجواب عن الاسئلة العشرة
٤٩- القول الابين فى شرح عقيدة ابى مدين
٥٠- كشف النور عن اصحاب القبور رسالة صغيرة الحجم كثيرة النفع فيها ذكر كرامات الاولياء بعد الوصال ، الحقناها فى آخر الحديقة الندية
٥١- بذل الاحسان فى تحقيق معنى الانسان
٥٢- القول العاصم فى قراءة حفص عن عاصم نظما على قافية القاف و شرح هذا النظم
٥٣- صرف العنان الى قراءة حفص ابن سليمان
٥٤- الجواب المنثور و المنظوم عن سؤال المفهوم
٥٥- كتاب علم الملاحة فى علم الفلاحة
٥٦- تعطير الانام فى تعبير المنام
٥٧- القول السديد فى جواز خلف الوعيد و الرد على الرجل العنيد
٥٨- ردالتعنيف على المعنف و اثبات جهل هذا المصنف
٥٩- هدية الفقير و تصية الوزير
٦٠- القلائد الفرائد فى موائد الفوائد فى فقه الحنفية على ترتيب ابواب الفقه
٦١- كتاب ربع الافادات فى ربع العبادات
٦٢- كتاب المطالب الوفية شرح الفرائد السنية منظومة الشيخ احمد الصفدى
٦٣- ديوان الالهيات الذى سماه ديوان الحقائق و ميدان الرقائق
٦٤- ديوان المدائح النبوية المسمى بنفحة القبول فى مدحة الرسول ، و هو مرتب على الحروف
٦٥- ديوان المدائح المطلقة و المراسلات والالغاز و غير ذالك
٦٦- ديوان الغزليات المسى خمرة بابل و غناء البلابل
٦٧- غيث القبول همى فى معنى «جعلا له شركاء فيما آتاهما»
٦٨- رفع الكساء عن عبارة البيضاوى فى سورة النساء
٦٩- جمع الأشكال و منع الاشكال عن عبارة تفسير البغوى
٧٠- الجواب عن عبارة فى الاربعين النووية فى قوله رويناه
٧١- رفع الستور عن متعلق الجار و المجرور فى عبارة خسرو
٧٢- الشمس على جناح طائر فى مقام الواقف السائر

١١١- رسالة في احترام الخبز
١١٢- اتحاف من بادر الى حكم النوشادر
١١٣- الكشف و التبيان عما يتعلق بالنسيان
١١٤- النعم السوابغ في احرام المدني من رابغ
١١٥- سرعة الانتباه لمسالة الاشتباه في فقه الحنفية
١١٦- رسالة في جواب سوال من بيت المقدس
١١٧- تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد
١١٨- جواب سوال ورد من مكة المشرفة عن الاقتداء من جوف الكعبة
١١٩- خلاصة التحقيق في حكم التقليد و التلفيق
١٢٠- ابانة النص في مسالة القص اى قص اللحية
١٢١- الاجوبة البتة عن الاسئلة الستة
١٢٢- رفع العناد عن حكم التفويض و الاسناد في نظم الوقف
١٢٣- تشحيذ الاذهان في تطهير الادهان
١٢٤- تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة و الهدية
١٢٥- نقود الصور شرح عقود الدرر فيما يفتى به علو قول زفر
١٢٦- الكشف عن الاغلاط التسعة في بيت الساعة من القاموس
١٢٧- رسالة في حكم التسعير من الحكام
١٢٨- تقريب الكلام على الافهام في معنى وحدة الوجود
١٢٩- النسيم الربيعي في التجاذب البديعي
١٣٠- تنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو
١٣١- الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة
١٣٢- نتيجة العلوم و نصيحة علماء الرسوم في شرح مقامات السرهندي المعلوم
١٣٣- رسالة في معنى البيتين «رأت قمرالسماء فاذكرتني الى آخره»
١٣٤- تكميل النعوت في لزوم البيوت
١٣٥- سوال ورد من بيت المقدس و معه جواب منه
١٣٦- الجواب الشريف للحضرة الشريفة ان مذهب ابى يوسف و محمد هو مذهب ابى حنيفة
١٣٧- تنبيه الافهام على عمدة الاحكام
١٣٨- شرح منظومة القاضي محي الدين الحموي
١٣٩- انوار الشموس في خطب الدروس
١٤٠- مجموع خطب التفسير ، وصل فيه الى ستمائة خطبة و اثنين و ثلاثين

١٤١- الاجوبة المنظومة عن الاسئلة المعلومة من جهة المقدس
١٤٢- التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية
١٤٣- التعبير فى التعبير نظما من بحرالرجز
١٤٤- تحصيل الاجر فى حكم اذان الفجر
١٤٥- قلائد المرجان فى عقائد الايمان
١٤٦- الانوار الالهية شرح المقدمة السنوسية
١٤٧- غاية الوجازة فى تكرار الصلوة على الجنازة
١٤٨- شرح اوراد الشيخ عبدالقادر الجيلانى
١٤٩- كفاية الغلام فى اركان الاسلام
١٥٠- منظومة ، مائة و خمسون بيتا
١٥١- رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام
١٥٢- الفتح الربانى و الفيض الرحمانى
١٥٣- بذل الصلات فى بيان الصلوة على مذهب الحنفية
١٥٤- نورالافئدة شرح المرشدة
١٥٥- اسباغ المنة فى انهار الجنة
١٥٦- نهاية المراد شرح هدية ابن العماد فى فقه الحنفية
١٥٧- ازالة الخفا عن حلية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
١٥٨- نزهة الواجد فى الصلاة على الجنازة فى المساجد
١٥٩- سرف الاعنة الى عقائد اهل السنة
١٦٠- سلوى النديم و تذكرة القديم
١٦١- النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة
١٦٢- الجوهر الكلى شرح عمدة المصلى
١٦٣- حلية القارى فى صفات البارى
١٦٤- الكوكب الوقاد فى حسن الاعتقاد
١٦٥- كوكب الصبح فى ازالة ليل القبح
١٦٦- العقود اللؤ لؤية فى طريق المولوية
١٦٧- الصراط السوى شرح دیباجة المثنوى
١٦٨- بداية المريد و نهاية السعيد
١٦٩- نسمات الاسحار فى مدح النبى المختار و هى البديعية
١٧٠- شرحها نفحات الازهار على نسمات الاسحار
١٧١- القول المعتبر فى بيان النظر
١٧٢- رسالة فى العقائد
١٧٣- حلاوة الآلا فى التعبيرا جمالا
١٧٤- المقاصد الممحصة فى بيان كى الحمصة

۲۱- الصلح بين الاخوان فى حكم اباحة الد خان[۱]

و له رضى الله تعالىٰ عنه غير ذالك من التصانيف و التحريرات و المنظومات

توفى الامام العلامة سيدى عبدالغنى النابلسى قدس سره القدسى سنة ۱۱٤۳ھ/۱۷۳۰-۱ء فى دمشق و دفن فى الصالحية[۲]، اغلقت اسواق البلد يوم وصاله ، و اجتمع ناس كثير فى الصالحية ، بنىٰ حفيده الشيخ مصطفى النابلسى الى جانب مزاره مسجدا جامعا حسنا و الان يتبرك به ويزار لاسيما فى ضبيحة السبت و قد صنف ابن سبطه العالم كمال الدين محمد الغزى العامرى فى ترجمته كتابا مستقلا ، سماه ، «الوردالقدسى و الوارد الانسى فى ترجمة العارف عبدالغنى النابلسى» رضى الله تعالىٰ عنه وارضاه[۳]

۲۷ رمضان المبارك ۱۳۹٦ھ   محمد عبدالحكيم شرف القادرى

خادم الطلبة بالجامعة النظامية الرضوية

لاهور ، پاکستان

۱- يوسف بن اسماعيل النبهانى ، الامام العلامة : جامع كرامات الاولياء ، ج ۲ ، ص ۲۰۰ - ۱۹٥

۲- ايضاً ص ۲۰۰

۳- بطرس البستانى : دائرة المعارف دالعربية ، ج ۱۱ ، ص ٦۱٤

فهرست الجلد الاول من الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية

صحيفة

(تمت فهرست المجلد الاول)

الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية

الجزء الاول

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغنى النابلسى الحنفى رحمه الله تعالى

الناشر

السيد هدايت رسول

القادرى الرضوى

المكتبة النورية الرضوية الجامع البغدادى ○ لائلپور - باكستان

شرح الطريقة المحمدية
لسيدي عبد الغني
النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابرار * حتى شرح طرف قلوبهم في الحدائق اليانعة من تلك المعارف والاسرار * واذاقهم حلاوات مناجاته في خلوات عباداته وكشف عن وجوههم استار الاغيار * فتسابقوا في ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالتفريد فلم يدرك لهم غبار * وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين في قيود الاغترار * ومحجة واضحة الى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبي المختار * الذي اهتدى بانوار شرائعه وارتوى بانواء ذرائعه ذو الغواية المحتار * صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود الموصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى في دار القرار * وعلى آله السادة الاطهار * الطالعين في سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقمار * وعلى اصحابه الائمة الكاملين في جميع الاطوار * اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثار * خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصار * وعلى التابعين لهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار * (اما بعد) فيقول الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الغني بن اسماعيل ابن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي اخذ الله تعالى بيده * وامده بمدده * ورحم اجداده واسلافه * وسقاهم من الرحيق المختوم في الجنان سلافه * لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ما جل منه وما دق كانت الشريعة

الحدائق البساتين اليانعة كثيرة الثمر

المكبلين المقيدين
محجة اي طريقا
انواء امطار
الغواية اي الجهل
الايثار اعطاء المساكين

اسلافه اي اشرافه

ماظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله * والطريقة ما بين للسالكين من اخلاقه واحواله *
والحقيقة ما انكشف للواصلين من مكاشفاته في معاملاته وخطر على باله * وللشريعة
فقهاء وكتب لهم مؤلفة في ذلك * وللطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك *
وللحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة الى ما هنالك * وان من اجل المصنفات في علم الطريقة
التي هي البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (كتاب الطريقة المحمدية والسيرة
الاحمدية) التي صنفها الشيخ الامام * والمولى الهمام * العالم العامل * والفاضل
الكامل * محمد افندي الرومي البركلي تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه * واسكنه فسيح
جنانه * كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو في طلب العلوم
والمعارف حتى برع فيها واشتغل على المولى محيي الدين اخي زاده وصار ملازما
من المولى عبدالرحمن احد قضاة العسكر في زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه
الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبد الله قرماني البيرامي ثم امره
شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل
بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة
بركل وجعله مدرسا فيها وعين له في كل يوم ستين درهما * له من المصنفات هذا
الكتاب الذي سماه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية وشرح مختصر الكافية
للبيضاوي في النحو وله متن لطيف في علم الفرائض وله في الحديث والقراآت والفقه
تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ينصر الشريعة ولا يهاب
كبيرا ولا صغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفي في جمادى الاولى سنة *
احدى وثمانين وتسعمائة * رحمه الله تعالى وكتابه هذا يا له من كتاب لطيف * وتأليف
شريف * مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات * وجمع بين الفوائد العمليات
والفرائد الاعتقاديات * واتقن تحريره * واوضح تقريره * ونصح فيه الامة * وازال به
عن القلوب الغمة * وقد دعاني الى شرحه بعض الاصحاب * جعلني الله تعالى واياه
من المؤيدين بالعناية والصواب * ولما لم اكن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته *
ويوضح ما اشكل عند القاصرين من اشاراته * فشرعت في شرح له مختصر المباني *
مستجمع المعاني * يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال * ويصرف عن التطفل
على موائد فوائده اهل التعصب من الجهال * وقد سميته (الحديقة الندية شرح الطريقة
المحمدية) ومن الله تعالى استمد الهداية والتوفيق * واسأله ان يوقفني مواضع الزلل
ويؤيدني بالتحقيق * وان ينفع بكتابي هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام * ويوفقهم
لعمله والعمل به ويمنحني واياهم حسن الختام * وحسبنا الله ونعم الوكيل * والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)
الاسم كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا

لابد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمىٰ بفتح الميم والمسمى بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها اوتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمّي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق اواحس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى اوغيره وهي مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى* سبح اسم ربك الاعلى* والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى*واذكر اسم ربك بكرة واصيلا* وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى *واذكر ربك*اى سبح ربك والا شراب جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل عـلى معنى كونه هو المسمى اضافته اليـه فانه يلزم منـه اضافة الشيء الى نفسـه واجيب بان الاسم هو بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى *بغلام اسمه يحيى *ثم قال يايحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى ياايها الغلام الذى اسمه يحيى ولوكان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسـل ذاق حلاوته كذا قاله القسطـلانى فى مواهبه وذكرنا فى كتابنـا المطالب الوافية اختلاف العلماء فى الاسم والمسمى والتسمية على اثنين واربعين قولا وحررنا هذه المسئلة هناك اكمل تحرير باوضح تقرير وفى حاشية تفسير البيضـاوى لشيخى زاده ذهب جمهور اهل اللغـة فى اسم الله الى انه عربى مشتق صار علمـا بالغلبة لان اسماء الله تعالى كلهـا صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بهـا اليـه فان قدماء الفلاسفة انكروا ان يكون لله تعـالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء عـلى ان المراد من وضع ذلك الاسم ان يذكر عند احد لتعريف ذلك المسمى به وقد ثبت ان احدا من خلقه لايعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار اليه بذكر اسم واذا لم يصح ان يشار اليه بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت ان هذا النوع من الاسم مفقود وان جميع اسمائه صفـات مشتقة وهى ماتدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وانما قلنا ان ذاته المخصوصة ليس معقولا لاحد لانا اذا رجعنا الى عقولنا لانجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى الاحد امور اربعة اما العلم بكونه موجودا واما العلم بدوام وجوده واما العلم بصفات الجلال وهى الاعتبارات السلبية واما العلم بصفات الاكرام وهى الاعتبارات الاضافية وقد ثبت بالدليل ان ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الاربعة فانه ثبت ان حقيقته غير وجوده واذا كان كذلك

كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والاضافية واذ قد تحقق انه ليس فى عقولنا من معرفته تعالى الاهذه الامور الاربعة وانها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت ان حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وانه لاسبيل الى ادراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه وهو المعرفة العرضية وهى كما اذا رأينا بناء علمنا بطريق الابصار بانه لابد له من بان فالمعلوم بالذات هو البناء واما الباني فهو معلوم بالعرض فى هذه الصورة وعلم الباني لكونه بانيا له لايستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته وانها من اى نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما اذا عرفنا اللون المعين ببصرنا وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فانه لاحقيقة للحرارة والبرودة الاهذه الكيفية الملموسة ولاحقيقة للبياض والسواد الاهذه الكيفية المرئية وكذا الحال اذا رأينا المحدثات وعلمنا احتياجها الى محدث وخالق فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية وهى التى فى وسع البشر فى الدنيا واجاب بعضهم انه لايمتنع فى قدرة الله تعالى ان يشرف بعض المقربين من عباده بان يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة ومن العلماء من تورع فى لفظ الجلالة عن طلب مأخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله مشتق لايعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربى علم غير مشتق كما ذهب اليه الخليل والزجاج وقال بعضهم انه سريانى معرب ثم ذكر اشتقاقه واطال الكلام فى ذلك (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم بان جعل الفعل المتعدى لازما بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة فنقل الى فعل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وانما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لاثر القرآن العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم (كل امر ذى بال) يعنى حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفى المباح كلام (لايبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم) اى اقطع بمعنى مقطوع البركة (الحمد لله) وهو لغة الثناء الجميل ولوادعاء الاختيارى ولوما لا على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد اوغيره فورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا اختياريا كان اوغيره على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر اوغيره وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله وتمامه فى كتاب الاحكام للشيخ الوالد رحمه تعالى واعقب التسمية بالتحميد اقتداء باسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام (كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع) رواه ابوداود وغيره من حديث ابى هريرة ولاتعارض بين حديثى البدأة بالتسمية والتحميد

لارادة الحمد العرفي وهو اعم من فعل اللسان فانه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معا
في وقت واحد بالتسمية باللسان و بالحمدله بالقلب كما حررته في كتابتي على اوائل تفسير
البيضاوي فيكون ذكره باللسان ايضا اخبارا عما في القلب و تأكيدا له (الذي جعلنا)
معاشر امة محمد صلى الله عليه وسلم امة الاجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع
من ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهم امة الدعوة ايضا على تقدير انهم
لو كانوا مؤمنين (امة وسطا) بالتحريك اي خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل
ولهذا اعقبه في الآية بقوله تعالى * لتكونوا شهداء على الناس * لان منصب الشهادة
مفتقر لوصف العدالة وبهذا يقوى دليل ابي حنيفة رضي الله عنه في جعله كل مسلم
عدلا وقال الشافعية هذا باعتبار الكل المجموع لا باعتبار الافراد ولصحة هذا الاعتبار
قال تعالى * واشهدوا ذوي عدل منكم * ولما كانت الاطراف مما يتسارع اليها الخلل
والاعوار والاوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل لانه عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها باقرب من بعض ذكره ابن اقبرس في فتح الصفا شرح الشفا وقال
البيضاوي الوسط في الاصل اسم للمكان الذي تستوي فيه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه
الواحد والجمع والذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها (خيرامة) الاول
اقتباس من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا * وهذا اقتباس ايضا من قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت
للناس * فان الاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على انه منه كما ذكره
علماء البديع فلا يضر الحذف والتغيير قال الكازروني في حاشية البيضاوي ولا يجب
في الاقتباس الا الاتيان ببعض الفاظ القرآن او الحديث واما ايراده من غير زيادة
ولا نقصان فلا يجب انتهى فتأمل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ او في علم الله
او فيما بين الامم المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ
كقوله تعالى * وكان الله غفورا رحيما * قال ابن اقبرس خيرامة اي افضل امة لان دينه
صلى الله تعالى عليه وسلم خير الاديان لقوله تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وهو
شهادة الله والملائكة واولى العلم وكفى بالله شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى
على عباده بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وقال السلمي في حقائقه قال يحيى بن معاذ
هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق في
تأمرون بالمعروف وهو موافقة الكتاب والسنة وفي مواهب القسطلاني قال مجاهد
كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اي تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان المسلمين منهم اكثر الامم

بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه السلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن بعدها والى هذا ذهب بعض العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره افضل من كل من يأتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن يأتى بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الايمان واهل الكبائر الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات وفى مسند ابى دواد الطيالسى عن محمد بن ابى حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتى فضله من يشاء واسناد حديث ابى دواد الطيالسى الى عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن ابى عبيدة يارسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلائل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ما ذهب اليه ابو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب اليه الجمهور بان الصحابة افضل من وجه الصحبة التى لا يعادلها عمل ويمكن ان يكون غيرهم افضل منهم من وجوه اخرى وبهذا يندفع التعارض بين الاحاديث والله اعلم (والصلاة) هى من الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وابقاؤها الى يوم القيمة وفى الآخرة تشفيعه فى امته ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة على احد الوجوه ومن المؤمنين دعاء له ببعثه المقام المحمود واولى ما يراد بها ههنا ما امرنا به صلى الله

عليه وسلم بقوله سلوا لي الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ذكره الوالد رحمه الله تعالى في احكامه وفي مواهب القسطلاني قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضي عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى *صلوا عليه وسلموا تسليما * حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شئ وحكى القاضي عياض عن ابي بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره وقال الحليمي المقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافأة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة

عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى * هو الذى يصلى عليكم وملائكته * وبقوله تعالى * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وبقوله تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم * وبحديث عبدالله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لايجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قدصار شعار الانبياء اذا ذكروا فلايلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم اوعلى صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لايقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ماورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال آخرون لايجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قدصار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة فلايقتدى بهم فى ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم اوكراهة التنزيه اوخلاف الاولى اقوال ثلاثة حكاها النووى فى الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقدنهينا عن شعارهم والله اعلم (والسلام) اى الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان اوهومصدر بمعنى سلمه الله اى جعله سالما ولايفرد به غير الانبياء فلايقال على عليه السلام والاحياء والاموات فيه سواء غيران الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى * ان الله وملائكته يصلون على النبى ياايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * وحذرا من كراهة افراد احدهما عن الآخر ولو خطا وقد صرحوا بانه يكره ترك الصلاة والسلام والاقتصار على احدهما وقيل المراد بالكراهة خلاف الاولى وليست على بابها فان الاتيان بهما فيه اجر وتركهما اواحدهما مخل بذلك الاجر وترك للاولى ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه ويستحب الترضى للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار وهل يجوز عكسه فقال بعضهم لايجوز بل الترضى مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه الله فقط وقال النووى هذا غير صحيح بل الصحيح الذى عليه الجمهور استحبابه ودلائله اكثر من ان تحصى واما اذا ذكر من اختلف فى نبوته كذى القرنين ولقمان فقال بعض العلماء كلاما يفهم منه ان يقال صلى الله عليه وسلم قال النووى والذى اراه ان هذا لابأس به وان الارجح ان تقول رضى الله عنه لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين واما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالا فقال النسفى فى مسائل شتى آخر الكنز ولايصلى على غير الانبياء والملائكة الابطريق التبع وفى اذكار النووى اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والانبياء استقلالا (على افضل من) اى شخص (اوتى) اى آتاه

الله تعالى (النبوة) بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اى ان الله
تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به
ومنبئا بما اطلعه الله تعالى عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهى ما ارتفع
من الارض اى ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشى كان نافع
يقرأ النبئ بالهمز فى جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبى صلى الله عليه وسلم
وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا نبئ الله يعنى بالهمز فقال له لست نبئ الله ولكن
نبى الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهرى والصاغانى
انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض
اذا خرجت منها الى اخرى والنبوة شرعا ايحاء الله تعالى لانسان حر ذكر بحكم
تكليفى سواء امره بتبليغه ام لا فهى اعم من الرسالة اذ لا بد فى الرسالة من الامر بالتبليغ
مع ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا المطالب الوفية
وعدة النبيين على ما ورد فى الحديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم
ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ونوح اول رسول الى الكفار وآدم اول رسول الى بنيه
ولم يكونوا كفارا ورسالته اليهم بتبليغ الايمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث
وادريس اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب
ولبسها وكانوا يلبسون الجلود من فتح الصفا لابن اقبرس (والحكم) جمع حكمة
وهى تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى الحكمة العلم اللدنى
وقيل الحكمة اشارة لا علة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل
الحكمة تجريد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام
والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله تعالى بعث
الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتنبيه قلوبهم وانزل الحكمة لسكون
ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله
وقيل الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل الحكمة
الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اوتى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل
الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره
من باب التدلى اى افضل شخص اوتى النبوة وشخص اوتى الحكم وهو الولى يعنى
افضل الانبياء والاولياء ويدخل فى الاولياء الملائكة قال تعالى * تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله * قال المفسرون يعنى موسى عليه السلام كلمه
بلا واسطة وليس نصا فى اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا
ولا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم وقوله * ورفع بعضهم
درجات * يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات

فى

فى المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتى بالمعجزات مالم يؤته نبى قبله قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضى عياض فى التفضيل المراد به هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر اوتكون امته ازكى واكثر اويكون فى ذاته افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام اوخلة اورؤية اوماشاء الله من الطافه وتحفة ولايته فلامرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وروى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن بنى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث ابى هريرة مرفوعا عن البخارى انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقى فى فضائل الصحابة انه ظهر على بن ابى طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه وانما قاله اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ماهو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأ له ذلك فى قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت هذه السحائب فى سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا * فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولاينافى احدهما الآخر وجمهور اهل السنة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم وعوام بنى آدم افضل من عوام الملائكة والمراد بعوام بنى آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن ابى شريف ونص البيهقى عليه فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة كذا فى المواهب

القسطلانية (وعلى آله) آل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه ولا يقال الا للاشراف من العقلاء وهم اما من حيث النسب قال النبي صلى الله عليه وسلم اولاد على وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب اومن حيث الدين كما روى عنه عليه السلام حين سئل من آلك قال آلى كل مؤمن اومؤمن تقى على اختلاف الروايتين وروى انه لما نزل قوله تعالى * قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما واختلف فى المراد باهل البيت فى قوله تعالى * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * فروى ابن ابى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه اوقال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الى آخره وقال اللهم هؤلاء بيتى واهل بيتى احق زاد فى رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلى قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجى وفى الترمذى وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبونى بحب الله واحبوا اهل بيتى بحبى وفى المناقب لا احد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى احد من اهل بيتى معروفا فعجز عن مكافاته فى الدنيا فانا المكافى له فى القيمة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ورآه من ذكر اوانثى وهم على واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة وجعفر واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابى طالب ولد اسمه احمد وعقيل بن ابى طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور عشرة الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضى الله عنه شعرا (تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما برره) ويقال ان لكل منهم ذرية وكان له من الاناث ام حبيبة وامية وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابى لهب والعباس بن ابى لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته صناعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند ابن الحارث هذا واميمة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت وفى الباقيات خلاف وقد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول آله عليه السلام وهم ما تقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا

عنها خمس الخمس والثانى اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه فى رحم وقيل من اتصل به بنسب اوسبب والثالث ذووالقربى وهم على وفاطمة وابناهما والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقية فقيل هم عشيرته وقيل ذريته والعشيرة هم الاهل الادنون والذرية نسله و اولادبنت الرجل ذريته

(واصحابه) جمع صاحب على رأى والتحقيق ان فاعلا لايجمع على افعال فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وانهار اوجمع صحب بالسكون اسم جمع كتمر واتمار والمستعمل فى وضع المفرد صحابى بالفتح منسوب الى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وقدجاء بمعنى اصحاب ذكره الجوهرى ويقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة واصحاب والصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ومات على الاسلام وان تخللت ردة طالت الصحبة اولا فاللقاء اعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالسه وباسناده الى ضمير غير النبى صلى الله عليه وسلم يخرج عنه من كشف له صلى الله عليه وسلم عنه ليلة الاسراء ولم يلق هو النبى صلى الله عليه وسلم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة وبموته على الاسلام يخرج المرتد الذى لم يرجع عن ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعدردته مؤمنا كعبدالله بن ابى سرح واختلف فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب حيث اجتماعه عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم عند وفاته عليه السلام مائة الف وار بعة عشر الفا كلهم من اهل الدراية كذاذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لاينبغى التردد فى ذكره من الصحابة واما الملائكة فيتوقف عدهم فى ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه فى قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا وكذا من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولوفى هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم ورآه كذلك على طريق الكرامة وكذا من رآه فى المنام وان كان قدرآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية (المقتدين) نعت للآل والاصحاب (به) صلى الله عليه وسلم اى المتابعين له ظاهرا و باطنا على كل حال

(فى القصد) بلام العهد اى النية الصالحة التى له صلى الله عليه وسلم فى نصرة الدين والحماية عنه ونصح الامة ومحبة الخير وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وسريان حالته فيهم وحلول نظره عليهم من اخلاصهم فى صحبته وبذل نفوسهم واموالهم فى محبته والخروج عن اهلهم

واوطانهم فى مرضاته والاقتصاد فى العمل اى التوسط فيه بين الافراط والتفريط كما ورد فى الحديث ان الله لا يمل حتى تملوا وهو عادته صلى الله عليه وسلم كما قال ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى رد بذلك على قوم من الصحابة ارادوا ان يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ما ارادوا واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى اقتصاده فى عمله (والشيم) جمع شيمة وهى الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والجمع اخلاق وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة اومكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وكانت الصحابة رضى الله عنهم يقتدون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى افعاله واقواله واحواله على كل حال الافيما اختص به عنهم لتكمل اخلاقهم كما كملت اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام السنوسى فى شرح مقدمته وقد علم من دين الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولا نظر فى جميع اقواله وافعاله الاماقام فيه دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ونزعوا خواتمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ركبتيهما فى قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند ما رأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته فى قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية اكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقد ثبت ان ابن عمر رضى الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم الا اذا اهل هلال ذى الحجة وانما يحرم فى يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند فى ذلك كله الى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ادار راحلته رضى الله عنه فى موضع وعلل ذلك بانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضى الله عنه للحجر الاسود لقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلك ما قبلتك وقد ثبت عن بعض السلف واظنه احمد بن حنبل رضى الله عنه انه كان لا يأكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال يمنعنى من اكله انه لم يثبت عندى كيف اكله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فاتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع افعاله الا ما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا مما علم من دين السلف

ضرورة (مادامت) اى مدة دوام (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية ايضا والسماء كل ماعلاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهرى (والارض) بالافراد لانها واحدة فى قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى * الحمد لله الذى خلق السموات والارض * الى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وافراد الارض وقال اللاقانى رحمه الله تعالى فى شرح جوهرته الاصح ان الارضين سبع كما ان السموات سبع لقوله عليه السلام طوقه من سبع ارضين وقال البيضاوى جمع السموات دون الارض وهن مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد مادامت سموات الدنيا وارضها وسموات الآخرة وارضها على ماقالوا فى قوله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض * يعنى سموات الآخرة وارضها وفى تفسير الواحدى قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل مااستقرت عليه قدماك فهو ارض والاكثرون على ان المراد منه التأبيد قال ابن قتيبة وابن الانبارى للعرب فى معنى الابد الفاظ يقول لاافعل ذلك مااختلف الليل والنهار ومادامت السماء والارض ومااختلفت الجرة والدرة وماأطت الابل فى اشباه كثيرة لهذا ظنا منهم ان هذه الاشياء لاتتغير فخاطبهم الله تعالى بمايستعملون فى الفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الاول ان السماء ماعلا من السقف وقد ورد فى الحديث سقف الجنة عرش الرحمن وفى مقابلة ذلك الارض لما سفل كما ورد ان ارضها الزعفران فيكون فى الكلام اقتباس من الآية وهو ابلغ لافادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا (وماتعاقبت) اى مدة تعاقب اى تتابع (الاضواء) جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوءا وضوأ واضاءت مثله واضاءته يتعدى ولايتعدى ذكره الجوهرى والضوء والضياء هو النور اواخص منه اوالضياء مابالذات والنور مابالعرض كما قال تعالى * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (والظلم) جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هى الليل بقرينة التعاقب اواعم من ذلك (وبعد) اصلها امابعد فالواو قائمة مقام اما ويؤيده انه لم يقع فى مثل هذا الموضع وامابعد بالواو ولعل وجهه ان اما قدتورد لتدل على ان مابعدها غير مرتبط بماقبلها حتى انه سمى فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لايفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ما على انفصال مابعدها عماقبلها فى الجملة فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال ذكره البيرجندى فى شرح الوقاية وبعد من الظروف التى قطعت عن الاضافة ونوى فيها معنى المضاف اليه فبنى على الضم يعنى بعد ماتقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبى وآله واصحابه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه وكتبه وفى غرائب مالك للدار قطنى بسند ضعيف

لما جاء ملك الموت الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب فى جملة كلامه اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء فان صح فهو اول من ابتدأ بها وقيل اول من ابتدأ بهـا داؤد عليه السلام وانها فصل الخطاب الذى اوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيـل كعب ابن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان قاله والدى رحمه الله تعالى فى احكامه (فان) الفـاء على توهم اما فان الشئ اذا اشتهر فى موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحومازيد كاتبا ولاشاعر بالجر على توهم الباء اوعلى تقديرها بطريق تعويض الواو عنهـا بعد الحذف عـلى انه لايمنع من اجتماع الواو مع اما كما وقع فى عبارة المفتاح اواخرفن البيان ذكره الخيالى وما تقدم عن البيرجندى محمول عـلى الكثيرالغالب (العقل) وهوالعلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها اوالعلم بخير الخيرين وشر الشرين اومطلق لامور لقوة بهـا يكون التميز بين القبيح والحسن ولمعـان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصـالح ولهيئة محمودة للانسـان فى حركاته وكلماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينموا الى ان يكمل عندالبلوغ كذا فى القاموس وفى عمدة القارى شرح البخارى للعينى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هوقوة يميز بها بين حقائق المعلومات واختلفوا فى محله فقال المتكلمون هو فى القلب وقال بعض العلماء هو فى الرأس انتهى فعلى القول بانه هو العلم يكون بمعنى القوة العقلية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الامور المعلومات معنى قال النسفى فى بحر الكلام العلم افضل من العقل و فى التمهيد فى معرفة التوحيد الاصح ان العلوم متنوعة علم بالله وبالدين و بالشرائع فهذا افضل من العقل لان العبد بمجموع انعـدام العقل ولاينجو مع انعدام الدين ولان كل عاقل مخـاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والاكتساب والنحو والطب فالعقل افضل انتهى فمراد بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها اونفس البراهين من اطـلاق المصدر على اسم المفعول اى التى من شأنهـا ان يعلمها العالم لانفس القوة العالمية التى هى العقل قال القسطلانى فى مواهبه فالعقل لسـان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثـابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقال بعضهم لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقـل وجوهر العقل البصر (والنقل) وهو النصوص الواردة فى الشريعة قطعيـة كانت اوظنية (متوافقـان) اى كل واحد منهمـا يوافق الآخر يعنى ان القوة العـالمية فى الانسـان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلادلالة من الغير ولااطلاع منه لهـا مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا لانسـبته الى متكلم صـادق كما سمى الاول عقلا لربطه الامر على

دفع التعارض بين كلام الخيالى والبرجندى ١٢

حسب قوته و قدم العقل لكونه اصلا لثبوت النقل (و الكتاب) اى كتاب الله تعالى وهو القرآن العظيم (والسنة) اى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند امر عاينه من قول او فعل صدر من احد اصحابه ومن السنة طريقة الصحابة رضي الله عنهم لقوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي و الحديث والخبر يختصان بقوله عليه السلام فقط وكذلك الاثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الاربعة بمعنى واحد وقدم الكتاب لشرفه واخر السنة لان حجيتها ثابتة به قال تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (متطابقان) اى كل واحد منهما يطابق الآخر ولا حجة اقوى من هذه الاصول الثلاثة الاول دليل العقل والثاني دليل النقل وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه (ان الدنيا) قال الجوهري سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى و الكبر والصغرى والصغر انتهى يعني لدنوها اى قربها من الانسان بالنسبة الى الآخرة اولدنوها من القلب بسبب مشتهياتها وفى حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما ما على الارض مع الهواء والجو والثاني كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووي رحمه الله تعالى وهو الاظهر كما قاله العيني في شرح البخاري فيدخل فى ذلك النقدان و ما يشترى بهما مما لا ضرورة فيه وما فيه ضرورة غيران ما فيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى * و لا تنس نصيبك من الدنيا * قال الواحدي فى تفسيره قال قتادة لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال و المعنى على هذا لا تترك ان تطلب فيها حظك من الرزق الحلال وقال الحسن امر ان يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ماسوى ذلك لآخرته وعنه ايضا فى هذا المعنى قدم الفضل وامسك ما يبلغك وعلى هذا المراد بالنصيب قدر ما يكفيه (فانية) من الفناء وهو الاضمحلال والزوال قال ابو محمد الخازن فى قوله تعالى *كل من عليها فان * اى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق و ما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة و صرف الزمان اليسير الى الطاعة انتهى فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية انها عرض غير باق وما ليس بباق فهو فان وقال القسطلاني فى تفسير قوله تعالى *كل شئ هالك الا وجهه* اى الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم وفى شرح وصية ابي حنيفة رحمه الله تعالى معنى كل شئ هالك الا وجهه ان كل شئ مما سوى الله تعالى معدوم فى ذاته بالنظر الى ذاته تعالى من حيث انه ممكن مع قطع النظر عن موجده لان كل ما سواه ممكن و الممكن بالنظر الى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر الى ذاته موجودا وذكر الشيخ عبد الرؤف المناوي فى شرح الجامع الصغير فى قوله عليه السلام قال موسى يارب كيف شكرك آدم الحديث قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف

انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه لان الغير هو الذى يتصور ان يكون له بنفسه قوام وهذا محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا يتصور ان يكون القيوم الا واحدا فليس فى الوجود غير الحى القيوم الواحد فالكل منه مصدره واليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس اى فنى عن نفسه وعن غير الله فلا يرى الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالى رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التى تذكرها العارفون من اهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذى عند اهل الزندقة والالحاد وقد انكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك فى رسالة سميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية اى معدومة بالنظر الى وجود الحق تعالى الباقى لا بالنظر الى ما يظهر منها للحس والعقل اومعدومة بالنظر اليها فى ذاتها وان كانت موجودة من طرف ايجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ماذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان وقال عليه السلام اشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد *الا كل شئ ما خلا الله باطل* قال المناوى فى شرح هذا الحديث وفى رواية اصدق كلمة قالها شاعر وفى رواية اخرى اصدق بيت قالته الشعراء وباطل اى فان اوغير ثابت اوخارج عن حد الانتفاع اوآيل الى البطلان اوكان باطلا لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات البارى لان بقاءها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة للانفكاك وهذا قريب من قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وانما كان ذلك اصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به وروى السلفى فى مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال انشد لبيد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الا كل شئ ما خلا الله باطل فقال له صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم الآخرة لا يزول انتهى ومن استقصى ما ورد فى الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتبقى ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ماذكرهنا وصحة ما سيأتى من ان الدار الآخرة لهى الحيوان وان الظفر بها لا يحصل الا بمتابعة خاتم النبيين وان الشيطان للانسان عدو مبين (سريعة الزوال) من حيث اعيانها (والخراب) من حيث بنيانها وهذا يقتضى ارادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الاول الذى فسرنا به كونها

فانية قال الخازن فى تفسير قوله تعالى* انما هذه الحياة الدنيا متاع * اى متعة ينتفع بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هى دار القرار اى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولامنفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة و الباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الى آخره وتأويل الآية ان الحياة فى الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه ممتع به سلب ذلك عنه بموته او بحادثة تهلكه كما ان الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين به الارض و تظهر بهجتها وظن الناس انهم مستمتعون بذلك اهلكها الله ورد ها الى الفناء حتى كأن لم تكن (عزها) اى الدنيا يعنى العز الذى لاهل الدنيا بالدنيا من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك (ذل) عاجل ولكن اهله لايشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال ابو عبدالرحمن السلمى فى قوله تعالى* ياايها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى *قال بعضهم السكر على انواع منها سكر الخمر وهو اسرعها افاقة وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر المال وسكر الاهل والولد وسكر المعاصى وسكر الطاعات وكل هذا وما يشبهه يمنع صاحبه عن اتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة وشرط اقامة الصلاة هو القيام اليها بالعقول عن كل ماسواها (ونعمها) اى الدنيا جمع نعمة وهى ما يتمتع به الانسان وغيره فيها لامايحصل للانسان فيها من المعرفة والطاعات التى هى من اجل النعم لان التمتع بهذه انما يكون فى الآخرة لا فى الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ومسكون وغير ذلك (نقم) جمع نقمة يعنى محنا وبلايا ولقد احسن من قال من اهل الكمال ان الدنيا ليس فيها لذة مطلقا ومايظهر فيها بصور اللذائذ فانما ذلك زوال الآلام لا لذائذ فى الحقيقة فان لذة الاكل زوال الم الجوع ولهذا لاتوجد الابعد الجوع وكذلك لذة الشرب زوال الم العطش ولذة الجماع زوال الم الشبق الذى هو احتراق المنى فجميع ما فى الدنيا قسمان الآلام وزوال الآلام ويسمى زوال الآلام لذائذ عند اهل الدنيا بخلاف الآخرة فان اهل الجنة لاالم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الالم فلذائذهم حقيقية فلذة اكلهم لاعن جوع ولذة شربهم لاعن عطش كما قال تعالى* ان لك ان لاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولاتضحى* وهكذا جميع لذائذهم ولايمكن فى الدنيا ذوق لذة من ذلك بل لايمكن ادراك معناها ذكر الشيخ الشعراوى فى العهود المحمدية قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الدنيا كلها ابنة ابليس وكل من احبها زوجها له ويصير

ابليس يتردد اليه لاجل بنته بل سمعته يقول ان الشيطان يتردد الى من خطب ابنته
ولم يدخل بها على عادة الاصهار فان اردت يااخى الحفظ من ذلك فلا تصاهره
ولا تخطب بنته وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس
قال والله مايستوى فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب
الدرهم افرغ من صاحب الدرهمين جاء رجل الى سيدنا ابي مدين فقال له يا سيدنا
ان الشيطان يؤذيني فعسى ان تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى الى ابليس بك قبلك
قال وماقال لك قال قال لي لتعلم ياشيخ ان الدنيا خلقها لى ربي وجعلها حائطي وشركي
وملكنيها فجاء فلان فتعدى علي فيها واخذلي منها فعدوت وراءه اطلب حقي منه
ووالله ماقصدت منهم انسانا ولا طلبت احدا ولا برحت من مكاني احفظ على بستاني
ومالي فمن اخذلي منه شيئا تبعته اطلب حقي وقد عرفت ان فلانا يشكوني اليك
فسبقته وقد اخبرتك بالقصة وانا لا اتركه منه حقي واسلبه فيما اقدر عليه من دينه اورد
الى متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى * ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان * فالى عليهم حجة ولاحق فانهم تركوا مالي وهذا تعدى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل مااعتدى عليكم فمن الظالم فقال الرجل انا فقال له الشيخ رد اليه دنياه يرد
اليك آخرتك (وشرابها) اى الدنيا يعنى جميع مشروباتها المحسوسة التي هي
عند النفوس عذب زلال ومشروباتها المعقولة ايضا التي هي مستحسنات النفوس
من الطبائع والاحوال (سراب) بالسين المهملة قال الفراء السراب مالصق بالارض
والال الذي يكون ضحا كالماء بين السماء والارض قال ابن السكيت السراب الذي
يجرى على وجه الارض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار وهو الذي يلصق بالارض
وقال ابو الهيثم سمي السراب سرابا لانه يسرب سربا اى يجرى جريا يقال سرب الماء
يسرب سروبا كذا في تفسير الواحدي شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات احوال
اهلها بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك لسرعة
زوالها وكونها على التقضي والاضمحلال لفنائها في حقيقة الامر كما قدمنا قال
ابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى * والذين كفروا اعمالهم كسراب * الآية قال ابن
عطاء يحسبه الظمآن ماء هو قلب ليس فيه شيء من انوار الله فقير بما فيه رجوعه
الى الاسباب شرك يظهر اذ ذلك ان الرجوع الى الحق هو الايمان قال تعالى ووجد الله
عنده فوفاه حسابه اى وجد الطريق اليه وقال ابن عطاء في قوله تعالى حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا قال ماوجد الخلق الا الخلق وابى الحق تعالى ان يكون للخلق اليه سبيل
اوطريق اذ لا يعرفه سواه ولا يشهده غيره قال جعفر اضلتهم ظلم صحبة الاغيار
فكانت على قلوبهم مثل السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق ولو وجدوا
السبيل الى الله لاضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى * نور على نور * قال بعضهم

القلب الذي تعلق بشئ غير الله هو فقير بما فيه لان الفقر هو صحبة الاشكال والغناء الرجوع عن الخلق الى الله عزوجل وقال ابن عطاء كل ما كان دون الله فهو فقر وكل قلب فيه محبة شئ سوى الله فصاحبه فقير انتهى فالمنهمك في الدنيا واحوالها وهو المشتغل بالاغيار والاسباب المعاشية والمعادية دون الله تعالى انهما كه في امر محال اي باطل واشتغاله في فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بما لديه في كل حال ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس في ترجمة شيخه ابي محمد عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن كان يصدع بالامر لا تأخذه في الله لومة لائم يرد كلام السلاطين في وجوههم اقبح رد له صولة يرمي من شاء بالحق ولا يبالي عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لافعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشرع تعاله مجالس معهم بضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم الا بالقرآن ولا يرى غيره ولم يكتب كتابا سمعته يقول بمدينة قرطبة في جماعة مساكين اصحاب المصنفات والتأليف ما طول حسابهم غدا في كتاب الله مقنع وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على صاحبه ولم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فاخذه الاعوان ودخلوا به على الوزير فاقعد بين يديه فقال له يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما نذ وجهت فقال له قد امكن الله منك ما تعيش بعدها ابدا فقال له الشيخ لا تقرب اجلا ولا تدفع مقدورا كل ذلك لا يكون انا والله اشهد جنازتك فقال الوزير اوزعته اسجنوه حتى اشاور السلطان في قتله فسجن تلك الليلة فانصرف هو وهو يقول عجبا لم يزل المؤمن في السجن وانما هذا بيت من بعض بيوت السجن فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان واخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فامر به فحضر بين يديه فرأى رجلا دميم الخلقة لا يؤبه له وما احد من اهل الدنيا يريد له خيرا وهذا كله لقوله الحق واظهار معايبهم وما هم عليه من الفساد والجور فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه انحفظ توحيدك فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له الى ان دخل معه في المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول في ملكي هذا فضحك فقال له لم تضحك فقال منك تسمي الهذيان الذي انت فيه ملكا وتسمي نفسك ملكا انت كمن قال الله فيه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا انما كان الملك الذي يصلي اليوم بناره او يجزى بها واما انت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها ثم اغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفي المجلس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق يا عبد الله تحضر مجلسنا قال لا فان مجلسك مغصوب ودارك التي تسكنها اخذتموها بغير حق ولولا اني مجبور ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين امثالك وما مضى زمن قليل الا والوزير قدمات وخرج ابو محمد وحضر جنازته وقال بررت قسمي انتهى فهذا من وقائع اهل الحق مع اهل الدنيا المغرورين بما لا حقيقة له من العرض الفاني كما قال تعالى * وما الحياة الدنيا الا متاع

الغرور* قال البيضاوى اى لذاتها وزخارفها شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فامامن طلب بهـا الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر اوجمع غار انتهى وقال تعالى * وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا * قال العزبن عبدالسلام فى تفسيره وما اوتيتم من شئ اعطيتم من رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحياة الدنيا تمتعون به ليس من زاد الآخرة ولا مما ينفعكم فى معادكم (وان الدار الاخرة) معطوف على ان الدنيا ولم يقل الدار الدنيا ولا الآخرة بدون لفظة الدار لان الدنيـا ليست بدار لعدم القرار فيها والدار هى الآخرة لانها للقرار والخلود وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا (لهى الحيوان) مؤكدة بان وبلام القسم لجحود الكفار لها اى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيهـا (اعدت) اى هيئت وفيه اشارة الى ان الجنة مخلوقة الآن وكذلك النار وجميع مافى الآخرة غيرانه خارج عن هذا العالم وهو الحق (للمتقين) اى المحترزين عن مخالفة ربهم فيما امرهم به ونهـاهم عنـه ظاهرا وباطنا قال المناوى فى شرح الجامع الصغير التقوى عـلى مراتب وقاية النفس عن الكفر وهو للعامة وعن المعاصى وهو للخاصة وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى والآخرة مهيئة لاهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها (من اهل الايمان) بيان للمتقين اذ لا تقوى بدون الايمان وهو التصديق ظاهرا وباطنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه عزوجل من الاعتقاديات والعمليات عـلى مقتضى ما يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السـلام وهو الايمان بالغيب الذى هو فرض على كل مكلف وهو غير متفـاوت بحسب مراتب النـاس الثلاثة العامة والخاصة وخاصة الخاصة واما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الانسان وليس هو الذى كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل الى حقيقة الاتقان كما اشـار اليه الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنـه فى اوائل كتاب العبادلة (عزتها) اى الدار الآخرة يقال عزفلان يعز عزا وعزة وعزازة صار عزيزا اى قوى بعد ذلة قاله الجوهرى (باقية) غير فانية كعزة الدنيا التى هى حقيقة المذلة كامر (ابدية) لا انقضاء لها (ونعمها) جمع نعمة وهى مافى الآخرة مما ينعم الله تعالى به على عباده المؤمنين من انواع النعيم المقيم (صافية) اى خالصة من شوائب الاكدار (سرمدية) لانهاية لها قال الله تعالى * بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى * قال الخازن يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ الآية فقـال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنـا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنـا طعامهـا وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقال الواحدى الآخرة اى الدار الآخرة يعنى الجنة

خير افضل وابقى وادوم من الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب آخرته اضر بدنياه ومن طلب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وتفسير السلمى قال ابو العباس الدينورى من خس طبعه وحقرت همته آثر الدنيا بخستها وحقارتها ومن علت همته وعظم قدره آثر الاخرة ومن شرف حاله وصحت حقائقه آثر الله على الدارين ومافيها (وشرابهــا) اى الآخرة والمراد الجنة وهو اسم للخمرة ولهذا انثها حيث قال (خالية عن اثم) اى تحريم اذهى الخمرة الحلال والاثم ايضا من اسماء الخمرة التى فى الدنيا والمعنى على هذا خمرة الآخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا كما قال تعالى * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * قال الخازن اى لا يصدع عنها رؤسهم من شربها ولا ينزفون اى لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقال فى قوله تعالى لا فيها غول اى لا تضار عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى جفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقئ والعربدة وغير ذلك اى من الاحوال المكرهة ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة وقال فى قوله تعالى * وسقاهم ربهم شرابا طهورا * يعنى طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وحسد وغش وقال الواحدى وهو طهور ليس بنجس كما كانت فى الدنيا مذكورة بالنجاسة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا (و) خالية تلك الخمرة ايضا عن (لاغية) اى لغو قال الخازن * فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية * اى ليس فيها لغو ولا باطل وقال الواحدى فى قوله تعالى * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * اى لا لغو فيها فيسمع ولا يقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم وهذا معنى قول ابن عباس لا يتكلمون بالاثم كما يتكلم اهل الدنيا انتهى فلعل المراد من خلو خمرة الآخرة عن اللغو انها لا تشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل وانما تشرب على التغنى باللطائف الالهية والكلام الحق (فيهــا) اى فى الدار الآخرة والمراد الجنة (حور) جمع حوراء وهى النقية البياض من النساء وقال الواحدى الحور هن البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وفى تفسير الخازن والحور من النساء النقيات البياض التى يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن (مقصورات) اى مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء

هل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقيل قصر طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام فيقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بهما اذا اقام بها وتظلل فيها وهي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف يضاف الى القصور في الجنة وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا وقال الواحدي روى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الآخرون وفي آخر الاحياء للغزالي قال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء في الجنة واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا (ناعمات) من النعومة وهي لين الملمس (مطهرات) اى نظيفات نقيات من الطهارة وهي النظافة (عن الاقذار) جمع قذر بالذال المعجمة محركة قال الجوهري القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ بالكسر وتقذرته واستقذرته اذا كرهته (وعن (الآلام) جمع الم وهو المرض والوجع اى لا تألم لهن ولا توجع بشئ اصلا ولا يدركهن مرض ولا يعلوهن اصفرار ولا تذهب بهجة حسنهن ولا جمالهن على الابد بل دائما يزددن بمرور الاحقاب صحة وعافية وحسنا وجمالا وبهجة وسرورا قال البيضاوي في قوله تعالى * ازواج مطهرة * مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقال الواحدي مطهرة لا يتغوطن ولا يبلن ولا يمتخطن ولا يحضن فهن مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولاد ومطهرات من كل الاقذار وقيل مطهرة من مساوي الاخلاق لما فيهن من حسن التبعل ودل على هذا قوله عربا اترابا وقال الخازن في قوله تعالى * فجعلناهن ابكارا عربا اترابا * قيل هن

الحور العين انشأ هن الله تعالى لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى
وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس وفى
رواية عنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان
الكلام اترابا يعنى امثالا فى الخلق وقال العز بن عبد السلام عربا عواشق ازواجهن
وقيل يتحاب بعضهن بعضا لا كضرائر الدنيا وقيل غنجات وقيل حسنات الكلام
من قوله عليه السلام يعرب عنها لسانها وفى الخبر كلامهن عربى (كأنهن) اى تلك
الحور التى فى الجنة (الياقوت) وهو اربعة انواع احمر واصفر واسمانجونى وابيض
فالاحمر ينقسم الى اربعة الوردى والخمرى وهو احمر مشرب والاحمر بلون العصفر
الشديد الحمرة والبهرمان نقى الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو اجوده قالوا وربما بلغ
مثقاله مائة دينار اذا كان جيدا جدا والاصفر منه الرقيق قليل الصفرة والخلوقى اصبغ
صفرة منه والجلنارى اصبغ من الخلوقى وهو اجوده والاسمانجونى منه الازرق واللازوردى
والنيلى والكحلى وهو اصبغ من النيلى ويسمى الزيتى والابيض منه المائى وهو الشديد
البياض والذكر وهو اثقل من المائى وهذا ارخص اليواقيت وادونها ذكره والدى
رحمه الله تعالى فى كتاب الزكاة من احكامه والمراد هنا الياقوت الاحمر او الابيض
(والمرجان) وهو صغار اللؤلؤ قاله الجوهرى واللؤلؤ قيل مطر الربيع يقع فى الصدف
فيصير لؤلؤا وقيل الصدف حيوان يخلق منه اللؤلؤ قال الخازن فى تفسير قوله تعالى
*كأنهن الياقوت والمرجان *اراد صفاء اللون من الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار
اللؤلؤ واشد بياضا وفيه تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن
الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو ادخلت
فيه سلكا اى خيطا ثم استصفيته اى طلبت معرفة صفته لرأيت السلك من ظاهره
لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ
ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك
ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى
بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كأنهن الياقوت
والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من
ورائه اخرجه الترمذى وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح
وقال الواحدى كأنهن الياقوت والمرجان اراد لهن صفاء الياقوت فى بياض
المرجان وقال العز بن عبد السلام كأنهن الياقوت صفاء والمرجان بريقا اذ هو
ابيض من اللؤلؤ لصفائهن وحسنهن فيرى مخ سوقهن من وراء اجسامهن
كما يرى السلك فى الياقوت والمرجان (لم يطمثهن) قال الواحدى الطمث الافتضاض
وهو النكاح بالتدمية يقال طمث يطمث وطمث قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن

ولم يجامعهن قال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة (انس قبلهم ولاجان) اى قبل ازواجهن من اهل الجنة ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يطمثهن احد غيره كذا فى تفسير الخازن وانما قدم قوله كأنهن الياقوت والمرجان على قوله لم يطمثهن معان الآية بالعكس لقصد الاقتباس وشرطه ارادة ان لايكون من القرآن كما مر لطول السجعة الثانية على الاولى فانه لايحسن اطالة الاولى على الثانية كما ذكره علماء البديع (وجوه) لهم يعنى لاهل الجنة جمع وجه بمعنى العضو المخصوص اوهو مجموع الذات كما قالوا فى وجه الله اى ذاته (يومئذ) اى فى يوم القيمة (ناضرة) قال العز بن عبد السلام حسنة مستبشرة مسرورة مشرقة متهللة وقال الخازن ناضرة من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور و بهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها) اى رب تلك الوجوه (ناظرة) تلك الوجوه قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج نضرت بنعيم الجنة والنظر الى ربها عزوجل وعن النبى صلى الله عليه و سلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه الفى سنة لايرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر فى سرره وازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر فى وجه الله كل يوم مرتين رواه الحاكم فى صحيحه وفى تفسير البيضاوى الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وفى حقائق السلمى قال النصر ابادى من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة وهو اتم بركة واسهل نفعا وقال عبد العزيز الخلق فى لقاء الله على ضروب منهم من يطمع فيه غفلة ومنهم من يطمع فيه جراءة ومنهم من لايطمع فيه هيبة وهو افضلهم واشرفهم وارجاهم ان يؤهل لذلك انتهى فان قلت اذا كانت الوجوه بمعنى الذوات كما سبق فيكف رؤيتها للرب سبحانه قلت و كذلك يقال اذا كانت الوجوه على ظاهرها و يوضح هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى طبقاته فى ترجمة شيخه الشيخ على الخواص انه كان يقول نشأة اهل الجنة مخالفة للنشأة الدنيوية التى نحن عليها الآن صورة ومعنى كما اشار اليه حديث ان فى الجنة مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وايضاح ذلك ان حجاب البشرية ما دام موجودا فى الشخص فلا يعلم احوال الجنة لان الجنة نشأة شهود واطلاق

لاحجاب وتقييد ولذلك كان علم احوال الجنة خاصابا لعارفين واعلم ان الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة فى النكاح والادراك حقائق متغايرة حكما ومحلامع اتحاد هافى الباطن لان الادراك ليس الاللنفس وهى حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة وانماتنوعت الآثار فى هذه الحقائق بتنوع محالها واعلم ان هذه الصفات المتغايرة هنا حكما ومحلا يقع الاتحاد بينها فى الآخرة حكما ومحلا فيسمع بمابه يبصر بماله يتكلم بمابه ينطق بمابه يذوق بمابه يشم وكذلك الحكم فى الضد من غير تضاد فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك وينكح كذلك ويشم كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر النزر من احوال الجنة لايصح وجوده فى العقل لانه محال فى عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مماهو اعظم من ذلك ولم اراحدا تكلم على ماذكرته غير سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى تائيته فراجعها انتهى وذكر الشيخ محيي الدين بن العربى قدس الله سره ان اهل الجنة ينكحون جميع نسائهم وجواريهم فى آن واحد نكاحا حسيا بايلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولاتأخر قال وهذا هوالنعيم الدائم والاقتدار الالهى والعقل يعجز عن ادراك هذه الحقيقة من حيث فكره وانمايدركه بقوة الهية فى قلب من شاء من عباده والله على كل شئ قدير * ومما يؤيد ان مراده بالوجوه الذوات قوله (عنده) اى عند ربها (مرضية) تلك الوجوه اى مرضى عنها (مطمئنة) وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغنى به عن غيره اوالى الحق بحيث لاريبها شك اوالآمنة التى لايستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوى وقال العز بن عبدالسلام المطمئنة المؤمنة بان الله ربها المسلمة لامره وقيل المجيبة الموفية بوعده اوالى ذكره وقال الواحدى المطمئنة الراضية بقضاء الله الذى قدرالله فعلمت ان مااصابها لم يكن ليخطئها وان ماأخطأها لم يكن ليصيبها وقال الخازن اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بماقال الله الموقنة وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله (وعنه) اى عن ربها (راضية) بما اوتيت وقيل عن الله بما اعدالله لها وتقديم الخبر فى الموضعين مفيد انها ليست مرضية عند غيره وهو اعوجاج الخلق على اهل الاخلاص فى الدنيا وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه (شاكرة) له على ماانعم عليها وذكر القشيرى فى رسالته ان الشكر ينقسم الى شكر باللسان وهواعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهواتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهواعتكافه على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لارؤية

النعمة وهذه) الامور المذكورة الاخروية (هي النعمة) التامة والمنة العامة
لا هذه الدنيا الفانية المضمحلة المتنة القذرة (واللذة العظمى) الابدية وكل لذة
سواها في الدنيا فانها واهية (والفوز) اى الظفر بغاية المنى (والفلاح) اى الخير
... والسعادة الكبرى) التى لاشقاوة بعدها ابدا (وان الظفر) معطوف على
ان نشاء الآخرة (بها) متعلق بالظفر اى بهذه الامور الاخروية المذكورة (لايحصل)
لاحد ابدا (الا بمتابعة) وهى عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير (خاتم) بكسر التاء
اسم فاعل وبفتح التاء الطابع ذكره ابن ملك فى شرح المجمع (النبيين) جميع نبى
من النبوة وقد سبق تعريفها وقرئ خاتم بالكسر والفتح فمن قرأ وخاتم بالكسر فمعناه
ختم النبيين ومن قرأ وخاتم بالفتح فمعناه آخر النبيين لانبى بعده صلى الله عليه وسلم قاله
الزجاج فى كتابه معانى القرآن وقال البيضاوى خاتم النبيين آخرهم الذى ختمهم او ختموا به
على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام
فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان
على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (سيدنا) معشر الموجودين الآن (وسيد) بصيغة
اسم الفاعل فيهما من السيادة يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة
فهو سيدهم اذا علا عليهم وارتفعت رتبته (الاولين) من الانبياء وغيرهم (والآخرين)
الى يوم الدين وقدمنا بيان فضيلته صلى الله عليه وسلم على جميع العالمين واذا كان
الانبياء الماضون عليهم السلام مأمورين بمتابعته صلى الله عليه وسلم على تقدير
ان يدركوا زمانه فكيف بامته عليه السلام الذين هم ليسوا بانبياء قال فى المواهب اللدنية
وقد اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه
قال تعالى *واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه* الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم
عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس
وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم
وعن على بن ابى طالب وابن عباس مابعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق
لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وماقاله قتادة والحسن
وطاوس لايضادد ماقاله على وابن عباس رضى الله عنهم ولاينفيه بل يستلزمه
ويقتضيه وقيل معناه ان الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه
اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله
الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لايكون مكلفا فتعين ان يكون
الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم

الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الآية ان الانبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك * وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى * ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين * وقال في الملائكة * ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم * مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبياء عليهم السلام ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الاحياء وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلا يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي في هذه الآية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس في زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ له المواثيق على الانبياء عليهم السلام ليعلموا انه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كأنها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتي واحد من هذه الامة نعم انه واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي كريم على حاله لا ينقص منه شئ وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه

وسلم فى زمانه اوفى زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم فى الاصول لانها لاتختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اماعلى سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ اولانسخ ولاتخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ماجاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كاناخفيين عنااحدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كانظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كانظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين مابعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وماقبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لابالنسبة اليه ولااليهم لوتأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قديكون بحسب المحل القابل وقديكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعلق انماهو بحسب المحل القابل وهوالمبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذ كمايوكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذاوجدت كفوًا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقديحصل توقف التصرف على وجود الكفو لايوجد الابعد مدة وذلك لايقدح فى صحة الوكالة واهلية الوكيل (فى العقائد) متعلق بمتابعة وهى جمع عقيدة اسم لمايعقد عليه القلب من المعانى الدينية اى يربط يعنى يقطع ويجزم من غيرشك ولاترددلان الشك والتردد كفر وكذلك الظن وهو الطرف الراجح قال تعالى *ان الظن لايغنى من الحق شيئا* واماقوله * الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم* فقال البيضاوى اى يتوقعون لقاءالله وقيل ماعنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعوديعلمون وكأن الظن لماشابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع انتهى فيبقى على هذا للظن اطلاقان اطلاق بمعنى رجحان احد الطرفين وهو فى الايمان كفرو اطلاق بمعنى التوقع واليقين وهومحض الايمان وقدم المتابعة فى العقائد لانها الاصل لكل متابعة ولتوقف كل عمل عليها ولانها تكون بالقلب والقلب سبب المؤاخذة بالاعمال كماقال تعالى * ولكن يؤاخذكم بماكسبت قلوبكم *ولانهامطهرة لموضع نظرالرب سبحانه كماذكرالنووى رحمه الله تعالى فى رياض الصالحين حديثا طويلا عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه ان الله لاينظر الى اجسادكم ولاالى صوركم وفى رواية ولاالى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وفى رواية ان الله لاينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم

(وفى الاقوال) جمع قول وهو قول الحق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفضح احدا من امته فكان يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى * ولا تجسسوا * عن ابن عمر رضى الله عنهما قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله انتهى والحاصل ان امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمعروف ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائما ولم يرد عنه عليه السلام انه كان يقول لفاسق معين لاتفعل الفسق بل ولا يظن فى احد من المسلمين الاخيرا وكيف يتصور ان يصدر منه ذلك وقد قال ولاتتبعوا عوراتهم كما فى الحديث وهل كان يتتبع العورة وينهى عن تتبعها ولا يسترها وفى تفسير الخازن فى المحل المذكور عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لايستر عبد عبدا فى الدنيا الاستره الله يوم القيمة انتهى فهذه كيفية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم فى اقواله وسيأتى انشاء الله تعالى لهذا البحث زيادة ايضاح فى هذا الكتاب (وفى الاخلاق) جمع خلق وتقدم تفسيره واخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كلها عظيمة قال الله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم * قال البيضاوى اذ تحتمل من قومك مالا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون وفى تفسير الخازن ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التجنب عن الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفه الله تعالى بقوله * وانك لعلى خلق عظيم * وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لادين احب الى الله ولاارضى عنده منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من نواهى الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل

سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وقال العز بن عبد السلام وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم اخلاق الانبياء عليهم السلام لانها قصت عليه وقيل له فبهدا هم اقتده وفى المواهب اللدنية قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والامانة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية مالك فى الموطأ انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن وقال صاحب عوارف المعارف ولايبعدان قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها فكما ان معانى القرآن لاتتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لاتتناهى اذفى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ومايفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه مالايعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم تعرض لماليس من مقدور الانسان ولامن ممكنات عاداته وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل قال وهب بن منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا رواه ابونعيم فى الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مماهو فى عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين (وفى الافعال) جمع فعل وقد فعل صلى الله عليه وسلم الافعال الجميلة

الحسنة المرضية من بداية امره الى نهايته فكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة اهله ويقطع اللحم معهن لايثبت بصره فى وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولوانها جرعة لبن اوفخذ ارنب ويكافى عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولايتورع عن مطعم حلال وان وجد شواء اكله وان وجد خبز قمح اوشعير اكله وان وجد حلواء اوعسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اورطبا اكله لا يأكل متكئا ولم يشبع من خبز قمح ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لافقرا ولا بخلا اشد الناس تواضعا واسكنهم فى غير كبر لايهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن اوالايسر يردف خلفه عبده اوغيره يركب ماامكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلارداء ولاعمامة ولاقلنسوة يمزح ولايقول الاحقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلاينكره ويسابق اهله وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لايرتفع عليهم فى مأكل ولاملبس يخرج الى بساتين اصحابه لايحقر مسكينا لفقره ولايهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا وكان اذا لقى احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشبكه ثم شد قبضته وكان لايجلس احد اليه وهو يصلى الا خفف صلاته وجلس اليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه كان حيث ماانتهى به المجلس جلس وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولايتنازع عنده فى الحديث وكان لايأكل الحار ويقول انه غير ذى بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل ممايليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال ماهذا ياابا عبد الله فقال بابى انت وامى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونصفيهما فى النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال عليه السلام ان هذا طعام طيب وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام اوشراب تحدث معهم وان تكلموا فى امر الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولايزجرهم الاعن حرام الى غير ذلك من افعاله صلى الله عليه وسلم واحواله الشريفة العظيمة وتمامها مبسوط فى احياء علوم الدين للغزالى رحمه الله تعالى وفى كتاب المسامرات للشيخ محيى الدين

العربى رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لا يذكر عنده الاراذل يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى بشره عن احد ولا خلقه يتفقد اصحابه ويسئل الناس عما فى ايد الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه اه وفى الجامع الصغير للسيوطى كان صلى الله عليه وسلم اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان يحمل ماء زمزم وكن يحدث حديثا بحيث لو عده العاد لاحصاه وكان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى الى اكثر من ذلك مما هو مفصل فى كتب الشمائل النبوية والاخلاق المحمدية (وان الشيطان) معطوف على ان الظفر بها والشيطان امامن شاط يشوط شوطا فى الارض وهو سرعة السير لسرعته فى السريان فى باطن الآدمى لتلبيس الامور وعجلته فى الاضلال اومن شاط اذا احترق لغلبة النارية عليه اومن شاط اذا هلك لهلاكه بكفره وعناده فوزنه على هذا فعلان اومن شطن اذا بعد لبعده عن رحمة الله فوزنه فيعال وهو اسم لابليس واولاده كالانسان اسم لآدم واولاده قال ابو محمد الخازن فى تفسير قوله تعالى *فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم *المراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة فى قلوب بنى آدم باقدار الله اياهم على ذلك وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة *فسجدوا الا ابليس *قال اكثر اهل اللغة والتفسير سمى ابليس بهذا الاسم لانه ابلس من رحمة الله اى ايس منه والمبلس المكتئب الحزين الآيس وفى القرآن فاذاهم مبلسون وقيل لا يجوز ان يكون مشتقا من ابلس لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما نون اكليل وبابه وترك تنوينه فى القرآن يدل على انه اعجمى معرب والاعجمى لا يعرف له اشتقاق وقال ابن عباس كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه طرده ولعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس (للانسان) وهو الواحد من بنى آدم ذكرا كان او انثى (عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فاخرجهما من الجنة وقال لاحتنكن ذريته وفى تفسير الخازن يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة وعن ابى قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره ماهو هذا من عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن آدم ولا فى حالة نومه قال الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغير المؤمن محسود ولعيه شيطانه لشدة عداوته فهو يكيده ويحزنه من كل وجه ويلبس عليه فاذا رأى رؤيا صادقة خلطها ليفسد عليه بشراه

اوانذاره اومعــاينته ونفسه عون للشيطان اللعين فيلبس عليه بما اهتم به فى يقظته اهواءعلم ان الشيطــان وان كان لك عدوا مبينــا فانه لايظهر منك الا ماهو فيك من السوء ولاتأثيرله فيمايصدر منك اصلا كما لا تأثيرلك انت ايضــا فى ذلك وانماينسب الفعل اليك وينسب سبب ذلك الفعل وهوالوسوسة الى الشيطا ن العدو والله خالق كل شئ وهو بكل شئ عليم ولله الحجة البالغة ولوشاء لهداكم اجمعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الاسيوطى فى جامعه الصغير بعثت داعيا ومبلغا وليس الى من الهدى شئ وخلق ابليس مزينا وليس له من الضلالة شئ وقال شارحه المناوى فارسل انمــاهم مستجلبون لما من جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير وينذرون من جبل على شر والشيطان انمــا ينشر جبائله لامر جبلات الخلق كما تقرر فكلا الفريقين لايستأنفون امرالم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذا حال كل امام وعالم فى زمنه ودجال وضلال فى اوانه فانما يميز كل منهما الخبيث من الطيب انتهى فتأمل هذا فى جميع ماسيأتى من امور الشيطان واحذر ان تعتقد ان له لعنه الله تعــالى من امر الله شيئا فانه تعــالى قال لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ فكيف يكون لعدوه اللعين من الامر شئ انما الامر كله لله ولكن هى كلمات والفاظ تفصح عن معانى حضرات الله تعالى فى اسمه المضل واسمه الهادى وانه يضل من يشاء بمن يشاء اى بملابسته لابالاستعانة به ويهدى من يشاء بمن يشاء كذلك (يصد) ى الشيطــان بمعنى يمنع يقال صده عن الامر يصده صدا منعه وصرفه عنه قاله الجوهرى (عنه) اى عن الظفر بالدار الآخرة وما فيهــا على حسب ماسبق اوعن الانسان والمفعول محذوف اى الخير يعنى يمنع ويصرف عن الانســان كل خير وصلا ح (صدا) مصدر مؤكد للفعل المذكور (باقصى) اى بغاية (جهد) بضم الجيم وفتحها اى طــاقة وقدرة كما قرئ * والذين لايجدون الاجهدهم * وجهدهم اى طــاقتهم (متين) من المتانة وهى القوة ومتن الارض ماصلب منها (انما) كلمة حصر (يدعو) يعنى الشيطان بمعنى يقهر ويغلب (حزبه) اى اشياعه واوليــاءه وكل من اطاعه لاغير وهوماذكرنا من ان كل داع الى طــاعة اومعصية يميزالله به بين الخبيث والطيب فقط (ليكونوا) اى من دعاهم (من اصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيــان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا قاله البيضاوى وقال السلمى فى قوله تعالى *ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا* قال الواسطى فاتخذوه عدوا بمانصركم عليه واحذروا ان يمانيكم فانه انمايدعوا حزبه وحزبه هم الراكنون الى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها وقالت رابعة رضى الله عنها ارجى آية فى كتاب الله عندى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قالت كأنه يخاطبنا ويقول انا حبيبكم فاتخذونى حبيبا وقال سهل حزبه اهل البدع والضلا لات والا هواء الفاسدة والسامعو ن ذلك

من قائلها وقال الواسطى حذروسمى حزبه ومتابعيه وامر بطرده بضياء المبادرة فى العهود وحفظ الحدود ورعاية الود بطرد الوساوس كان بضياء النهار تطرد الكلاب من المجالس وانشد شعرا * ومن رعى غنما فى ارض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد * (فخذوا) ياايها المؤمنون (حذركم) منه لئلا يدخل عليكم سوأ ملبسا فى صورة خير ولاتشعرون به بقدرة الله تعالى الممدة له فيما هو بصدده فان الله تعالى اعطاه خلقه الذى هو مقتضى ماخلق له وهو الاضلال كما اعطى كل شئ خلقه من خير اوشر ثم هدى اى بين لكم مقتضى خلق كل شئ لا بقدرته هو التى هى فيه سبب الامداد المذكور (واتخذوه) ى الشيطان (عدوا) لكم فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم (فانه) اى الشيطان (كلب مبر) اى مهلك من البوار وهو الهلاك فله تكالب على ذلك وحرص شديد قال الامام الغزالى رضى الله عنه فى كتاب شرح عجائب القلب من احياء العلوم قال جرير بن عبيد العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى تمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والامضوا وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لايدخله الشيطان فلذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكل من تبع الهوى فهو عبد الهوى لاعبد الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى * افرأيت من اتخذ الهه هواه * اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لاعبد الله وقال عثمان بن العاص يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى وفى الخبران للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولايمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شئ سوى مايوسوس به لانه اذا حضر فى القلب ذكر شئ انعدم عنه ماكان فيه من قبل ولكن كل شئ سوى الله وسوى مايتعلق به يجوز ان يكون ايضا مجال الشيطان فذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولايعالج الشئ الابضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولاقوة الابالله وذلك لايقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلبهم فى اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون * وقال مجاهد فى معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال تعالى * استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله * وقال انس قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابى وجه لايفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتاف الشهوات لتقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس *لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال تقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولايتصور ان ينفك عنه آدمى وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال مامن احد الاوله شيطان آه واعلم ان الشيطان كما يكون من الجن على حسب ماذكرنا من اوصافه الرديئة وعداوته لاهل الملة الاسلامية يكون من الانس ايضا قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى * وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن* يعنى مردة الانس والجن والشيطان كل عات متمرد من الانس والجن قالوا ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان الشيطان من الجن اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه قال يدل على هذا ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذرهل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن قال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى *من الجنة والناس* قال ان الوسواس الخناس قديكون من الجنة وهم الجن وقديكون من الانس وكما ان شيطان الجن قديوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قديوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع

ذلك انخنس وانقبض (فغاية بغيته) اى الشيطان والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها يقال لى فى بنى فلان بغية وبغية اى حاجة وبغى ضالته وكذلك كل شى طلبه بغاء بالضم والمد وبغاية ايضا (سلب) اى اخذ وازالة (الايمان) من الانسان بالله تعالى اوبرسله او بشئ مماورد عنهم من اليقينيات ولو بالتشكيك فيه ليتساوى الانسان معه فى رتبة الكفر التى هوفيهاورتبة الشكوك والترددات فيما هو عين الحق المبين قال ابن اقبرس فى فتح الصفاء شرح الشفاء اختلف العقلاء فى ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا ام لافمنهم من قال انه كان كافرا ابدا واستدل بما نقل صاحب شرح الاناجيل الاربعة من انه وقع المناظرة بين الملائكة و بين ابليس فقال ابليس للملائكة انا اسلم ان الله خالق وخالق الخلق لكن لى على حكمته اسئلة الاول ما الحكمة فى الخلق لاسيما اذا كان عالما ان الكافر لايستوجب عند حكمته الا الالم الثانى ما الفائدة فى التكليف مع تنزهه عن عود الفائدة اليه ومايعود الى المكلفين فهو قادر عـلى تحصيله لهم من غير توسط التكليف الثالث هب انه خلقنى لمعرفته وطاعته فلم كلفنى بالسجود لآدم الرابع ثم لما عصيته فتركت السجود لآدم فلم لعننى واوجب عقابى مع انه لافائدة له ولالغيره فيه ولى فيه اعظم الضرر الخامس هب انه فعل ذلك فلم مكننى من دخول الجنة ووسوسة آدم السادس لما فعل ذلك فلم سلطنى على اولاده ومكننى من غوايتهم واضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة فى ذلك فلم امهلنى ومعلوم ان العالم كان خاليا عن الشر فاوحى الله اليـه من سرادقات الجلال والكبرياء ياابليس انك ماعرفتنى ولوعرفتنى لعلمت انه لااعتراض على فى شئ من افعالى فانى انا الله لااله الا انا لااسئل عما افعل قال بعض المحققين لاجواب عن هذه الشبهات الا الجواب الذى ذكره الله تعـالى واقول ان الله تعـالى انما اقتصر له على هذا الجواب لعلمه تعـالى بما اودعه فيه من صفة الجهـل بحكمته وانه عاجز عن ادراك ذلك اذ لازم ماذكره فى الشبه التعطيل ولاشك ان الله تعـالى لم يخلق شيئا عبثا والحكمة فى افعاله تعالى قد تكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الاشخاص فى الادراك وقد تكون جليـة وعندى ان جواب هذه الشبـه غير بالغ فى الخفاء وليس هذا المقام بقابل للتطويل بذكر الحكمة فى كل سؤال من هذه الاسئلة لان فيه خروجا عن المقصود اه والحـاصل انه لعنه الله كافر بجهله وعناده لما قام عنده من الشبهات التى فتنه الله تعالى بهـا فهو يوسوس فى صدور الناس ليحملهم على ماوقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفر هو قال تعالى *كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العـالمين *قال الواحدى اذ قال للانسان وهو عابد فى بنى اسرائيل واسمه برصيصا ذكر ابن عباس قصتـه فقال كان فى بنى اسرائيل عابد عبدالله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده

وانه أتى بامرأة ذات شرف قدجنت وكان لهـا اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنهـا فلما فعل ذلك ذهب الشيطـان حتى لقى احد اخوتها فاخبره بالذى فعل الراهب وانه دفنها فى مكان كذا وكذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقداتانى آت ذكرلى شيئا يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسـار الملك والناس فاستنزلوه فاقرلهم بالذى فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبته مثل له الشيطان فقال اناالذى زينت لك هذا والقيتك فيه هل انت مطيعى فيما اقول لك اخلصك ممـا انت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فسجد له وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين وقال البيضاوى فى قوله تعالى *واذ زين لهم الشيطان اعمالهم* فى معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم* وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم * مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين انتهى وكم له لعنه الله من حيلة على ابن آدم ليوقعـه فى الكفر كما وقع هو فيه والله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (و) غاية بغيته (الخلود) اى خلود الانسان وهو دوام البقـاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله اخلادا وخلده تخليدا قاله الجوهرى (الدائم) تأكيد له لفظى بموافقه نحو اجل جيرى (فى النيران) اى نيران الكفر والشرك والعياذ بالله تعـالى فان قلت قال ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقـه الاكبر لايجوز ان نقول بان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا فكيف قال المصنف رحمه الله تعـالى غاية بغيته سلب الايمان قلت ليس مراده سلب الايمـان من العبد قهرا عنه وجبرا عليه ولو كان كذلك ماكان العبد كافرا حينئذ لاكراهه على ذلك وزوال اختياره وارادته عنه بل مراده سلب الايمان باختيـار العبد لتركه وارادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفا فيستحق العقاب ولما كان سببا للسلب بوسوسته نسب السلب اليه ولهذا قال للانسان اكفر يعنى وسوس له فى نفسه بان يكفر باختياره وارادته فلما كفر قال انى برئ منك كما مر وقد اجاب ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقه الاكبر عن ذلك بقوله ولكن نقول العبد يدع الايمان يعنى باختياره وارادته لان الشيطان وسوس له بذلك فاطاعه فحينئذ يسلبه منه وفى تفسير الخازن فى قوله تعـالى * وقال الشيطان *يعنى ابليس* لما قضى الامر * يعنى فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبـا قال مقاتل يوضع له منبر فى النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله تعالى بقوله * ان الله

وعدكم وعدالحق *وتقديره فصدق فى وعده* ووعدتكم فاخلفتكم * وقيل يقول لهم انى قلت لكم لابعث ولاجنة ولانار * وماكان لى عليكم من سلطان * يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به *الاان دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا انفسكم *يعنى ما كان منى الاالدعاء والقاء الوسوسة وقدسمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لاتلتفتوا الى ولاتسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتى ومتابعتى من غيرحجة ولادليل *ماانابمصرخكم * يعنى بمغيثكم ولامنقذكم *وماانتم بمصرخى *يعنى بمغيثى ولامنقذى مماانافيه *انى كفرت بمااشركتمونى من قبل* يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد مايعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (ثم) يتنزل مع الانسـان بعد ذلك اذالم يبق له حيلة فى تكفيره والتسبب له بالخلود فى النـار فيرضى ان يكون منه (الفسق) وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان بها كفعل المعـاصى وترك المأمورات (الظاهر) على الانسان يعنى الذى يظهر به الانسـان عن قصد منه واختيار وللشيطان ابواب يدخل منها على الانسان فيحكم منه بها فيحمله على مايغويه وهى كثيرة من اكبرها الدنيا قال فى الاحياء للغزالى قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقدحدث امر فانظروا ماذاهو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ماندرى قال ابليس اناآتيكم بخـبره فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينـه الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ماصحبنـا قوما قط مثـل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صـلاتهم فيمحى ذلك فقـال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال ياعيسى رغبت فى الدنيـا فاخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وذكر ايضا قال ان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قدجعل كل واحد منهم على شئ من امره فذكر ان اسماءهم ثبروالاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاماثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واماالاعور فهوصاحب الزنا يأمربه و يزينه وامامسوط فهو صاحب الكذب واماداسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهوصاحب السوق وبسببه لايزالون ملتطمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقدوردت فى ذلك اخبار كثيرة وقدروى عمر بن عبدالعزيز ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم

طويل دقيق قدادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكرالله خنس
ومثل هذ اقد يشاهد فى اليقظة بعينه وقدرآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم
على جيفة يدعوالناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا (والظلم) لنفسه بمنعه حقها
من الخير وفعله بها مايضرها من الشر ولغيره بمنعه حقه او بفعل مايضره (القاهر)
اى الذى يكون بطريق التعدى والجور لامافيه كف عن سوء اوحمل على خير
فى النفس اوفى الغير (وادناها) اى ادنى بغية الشيطان اى اقل مايكون من حاجته
بالانسان (التثبيط) اى المنع للانسان والتعويق له (فى) فعل (الخيرات)عن المضى
فيها وعن انشا ئها من الاصل وعن الاعتناء بها (والحط)اى التسفل والرضى بالدون
(فى المراتب)العلية (والدرجات) العملية بان يقول للانسان لاتترك النعم واللذات
فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر بلية عظيمة فعند هذا اذاذكر
العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد
ولكن الصبر على النار اشدمنه ولابد من احد هما فاذا ذكر العبد وعدالله ووعيده
وجدد ايمانه و يقينه خنس الشيطان وهرب اذلا يستطيع ان يقول ليس النار
اشد من الصبر عن المعاصى ولايمكنه ان يقول المعصية لاتفضى الى النار فان ايمانه
بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية و ينهمك
فى فعل الطاعات فيخذل الشيطان اللعين و يذهب عنه وربما قال له فى نفسه
ان الله غفور رحيم وان رحمته واسعة فافعل ماشئت من المعاصى فان الله يغفرها
كلها لك كما قال البيضاوى فى قوله تعالى *ياايها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم
الحياة الدنيا* فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها* ولا يغرنكم بالله الغرور*
الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا
التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وفى تفسير الخازن *فلاتغرنكم الحياة الدنيا*
اى لاتخدعنكم بلذاتها ومافيها عن عمل الآخرة وطلب ماعندالله * ولايغرنكم
بالله الغرور* اى لايقل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور
بقوله ان الشيطان لكم عدو انتهى والحاصل ان الشيطان له وساوس يلقيها فى نفوس
اهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر اولا فان لم يمكنه بان وفقهم
الله تعالى للاحتفاظ على ايمانهم يحملهم على فعل المعاصى وارتكاب الآثام من الذنوب
القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدية الى غيرهم فان لم يمكنه ذلك حملهم على التوانى
والتضاعف والتكاسل فى العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات العاليات
وهذا الترتيب دأبه وعادته فى كل احد لايقنع بالادنى الااذا عجز عن الاعلى ولهذا
قال المصنف رحمه الله تعالى (ولايرضى) يعنى الشيطان (به) اى بكل واحد من
التثبيط والحط المذكورين (الاعند اليأس) اى القنوط بالكلية (من غيره) اى غير

كل واحد منهما فان آيس من الكفر رضي بالفسق وان آيس من الفسق رضي بالتثبيط
في الطاعات والحط عن الدرجات العاليات (نعوذ) اى نلتجي ونحتمي ونستجير (بالله)
الذي خلقنا وخلقه (ثم نعوذ) تاكيد لفظي للاول (بالله) كذلك (من شره) اى
الشيطان قال الخازن في تفسير قوله تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ * النزغ
شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه اى يبعثه على مالا ينبغي فاستعذ بالله
اى من شره انه هو السميع اى لاستعاذتك العليم باحوالك قال الغزالي في الاحياء فان
قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لاحول ولا قوة
الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد مداخله وتطهير القلب من الصفات المذمومة وليس
في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله نعم اذا قلعت
من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اختيارات وخطرات ولم يكن له
استقرار ويمنعه من الاختيار ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تمكن من القلب
الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث
نفس لاسلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى * ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا * خصص ذلك بالتقي والمتقين ومثل الشيطان
مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ
فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولم يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة
اذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه
يعني داخله فيستقر الشيطان في سويداء القلب اى في داخله واما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة
عن الذكر فاذا عادت الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى * فاستعذ بالله
وسائر الآيات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان
الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار
فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا
واذا شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا
فقال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه
وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت
علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته
من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك
على كل شئ قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني
قال ومن انت قال اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة

قال والله لامنعنها ممن ارادها فاصنع الآن ماشئت وقال صلى الله عليه وسلم ماسلك عمر فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجه وهذا الان القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء بخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما اندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى *ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب * وقال تعالى* كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير* ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل فان منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمرك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر مايشتبه من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله لاتسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اى انت مطيع له اه فقولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانت فاسد القلب من غير تقوى عندك في ظاهرك وباطنك لايؤثر شيئا عند الشيطان بل ربما استعان الشيطان على غرورك بقولك ذلك لظنك انك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة لسانك وانت مقيم على الغفلات والمعاصي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (والمؤمن) بالله تعالى وبرسله وماجاء عنهم (الطالب) بظاهره وباطنه مع الاخلاص (للحق) اى لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول اليه (والباقية) وهي الدار الآخرة التي اهلها فيها دائمون خالدون في نعيم اوعذاب اليم وكل من طلب الامرين معا فهو من الابرار اصحاب السلوك في طريق المعرفة بالله تعالى ولا وصول لهم اليه تعالى بعد وادنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور وهم عامة المؤمنين واعلى من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر طلبهم على الله تعالى وحده فهم سائرون به اليه فيه ولما كان هذا الكتاب منحصرا في بيان رتبة الابرار وذكر رفعتها بالنسبة الى رتبة عامة المؤمنين لم يذكر فيه رتبة المقربين ولا كلامهم (لاتخفى عليه) اى على ذلك الطالب للامرين معا الحق والدار الآخرة الطلبة (الاولى) التي هي

الحق سبحانه (ولا) الطلبة (الثانية) وهي الباقية اى الآخرة اذكل من طلب شيئا فانه يعرفه وطلب المجهول محال البتة فمن طلب الحق تعالى فلولاانه يعرفه بوجه ماوهو طالب كمال معرفته ما طلبه ولاخطر فى باله حسن الوصول اليه سبحانه وكذلك من طلب الآخرة فلولاانه يعرفها بوجه من الوجوه ماامكنه ان يطلبها ولا كان يخطر على باله حسنها فكل من تيسر له الطلب المذكور فهوعارف لمايطلبه معرفة الهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى وهو الذى يسمى مريدا فى اصطلاح الصوفية واما من كانت ارادته مجرد تشهى المعرفة الالهيـة وتشهى الوصول الى الدار الآخرة من غير سعى فى طريق ذلك الموصل اليه فهو صاحب غرور فى الحياة الدنيا وليس بمريد كما ان من اراد السفر الى بلاد مثلا اذاقصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التى هو فيها فانه ليس بمسافر اصلا بل هو مشتهى السفر ومترج له وانما المسافر من خرج من اوطانه واعرض عن جميع اهله واخوانه وجرد قصده الى مطلوبه واقبل بكليتـه الى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلايخفى عليـه شئ من المسالك ولو فرضنا انه جاهل بالطريق فانه يرى له حيث صدق فى التوجه الف رفيق ولهذا قال الجنيد البغدادى رضى الله عنه المريد الصـادق غنى عن علم العلماء كذا نقله القشيرى فى الرسالة يعنى غنيا بالله عن من سواه من كل عالم فالله تعالى يعلمه بالعلماء من اى نوع كان من انسان اوحيوان اوجماد اونبات وعلامة ذلك وجود العلم عنده وكل شئ فى الوجود له عقل وعلم كما بينته مفصلا * فى كتاب لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى (وانماالاشتباه) وهودخول الشئ فى شبهه يقال اشتبه الامر اذالم يتميز من اشباهه واشكل اذادخل فى اشكاله (والالتباس) مثل الاشتباه فان الشئ اذالبس هيئة الآخر اشتبه به فيقال التبس به حيث لم يتميز عنه (ونفوذ) اى مضى يقـال نفذ السهم فى الغرض اذامضى فيه بالذال المعجمة واما بالدال المهملة فهوالتمام والفراغ يقال نفد المال اذاتم وفرغ (وسواس) اسم مصدر كالوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والوسوسة الهمس والصوت الخفى وقال العز بن عبدالسلام فى تفسيره الوسواس الشيطان واصل الوسوسة الحركة وقيل الصوت الخفى والوسواس الصوت الجلى وحديث النفس وقال الخازن فى قوله تعالى *الذى يوسوس فى صدور النـاس* يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذاذكر الانسان ربه قاله البيضاوى وقال العز بن عبدالسلام الخناس المختفى عن الاعين و قيل هوالذى يخنس مرة ويوسوس اخرى وقيل المتأخر عندذكر الله وقيل وهو جاثم على قلب ابن آدم فاذاذكر الله خنس واذاغفل وسوس وقال الخازن الخناس الرجاع وقال قتاده الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب و قيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه و يحدثه

فاذا ذكرالله خنس واذالم يذكرالله رجع ووضع رأسه على القلب (فى الجاهلين) متعلق بنفوذاى تأثير ذلك فى اهل الجهل وهوخلاف العلم فيشمل الشك والوهم والظن فى الاعتقاديات وان الحق بالعلم فى العمليات والمرادبهم الذين جهلوا ما اوجب الله تعالى عليهم علمه والعمل به من الاحكام الشرعية (المتنسكين) اى المتعبدين من النسك وهى غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة قاله البيضاوى والمرادانهم عابدون لله تعالى مع الجهل به تعالى وبعبادته وفى الخلق اناس كذلك ولكنهم غير معلومين باعيانهم لوجوب الحمل على الكمال وستر عورات المسلمين وحرمة الظن السوء والتجسس عنهم كما ورد فى صريح الآيات والاحاديث وليس مراد المصنف رحمه الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخيرفيه وانما كلامه عام ليعم النفع به فكذلك يجب ان يكون كلام كل مدرس وواعظ فى كل زمان حتى لايتدنس بالآثام فى باطنه وظاهره فيجع فى غيره كلامه (و) فى (العالمين) بكسر اللام جمع عالم وهو موصوف بالعلم (الغافلين) عن ماهم مأمورون بذكره واستحضاره ومن اسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون فى الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين ايضا باعيانهم ولكن بيانهم على طريق العموم كالاولين قال الله تعالى *والله يعلم المفسد من المصلح (فيما) اى كائنا بمعنى الاشتباه والالتباس فى الامور التى هى (عداهما) اى غير الحق والباقية المذكورين بمعنى الله تعالى والآخرة (من) جميع انواع (الشرور) جمع شر ضد الخير من امور الدنيا ومافيها وكون الله تعالى والآخرة لااشتباه ولاالتباس فيهما ولاعلى الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين لان الله تعالى غيب مطلق والآخرة غيب مقيد والغيب يجب الايمان به قبل الاطلاع عليه ولايقبل الايمان به بعد الاطلاع عليه لانه ليس بايمان اختيارى بل هو شهود ضرورى حينئذ لايتصور فيه التكليف ولهذا لايصح ايمان الكافر اذا شاهد امر الآخرة كما قال تعالى *يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل* والايمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه ايمان اهل السماء والارض سواء وانما التفاوت فيما عداذلك من الآيات التى فى الآفاق وفى الانفس يراها الجاهل ظلمات فيحرفها عن مواضعها ويبدلها بعد ماسمعها وتغلب حالته على العالم الغافل فيقتدى به فى ذلك فلهذا سماها شرورا لانها منشأ الشر لكل منهما فان قلت الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون لايعرفون الله تعالى ولاالآخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون فكيف يكون الله تعالى والآخرة غير مشتبهين ولاملتبسين عليهما قلت لايتصور الاشتباه والالتباس فى الامر المعجوز عن ادراكه للكل الذى اشترك الكل فى الايمان به من غير تحكم عليه بما ليس وارداعنه من الاوصاف والقصور فى القاصرين انما هو من جهة ما عدا الله تعالى والآخرة

فانها الشرور التى متى اشتغل بها احدانسته ذكر الله تعالى واحضرت عنده كل سوء ونقص وحمله على نسبة ذلك الى الله تعالى والى الآخرة وهما مبرآن من ذلك فالاشتباه والالتباس المنسوبان فى الظاهر عند الجاهل والغافل الى الله تعالى والى الآخرة واقعان فى نفس الامر على ماعدا الله تعالى والآخرة من الامور الدنيوية لانه من لم يعرف نفسه لايعرف ربه ومن لم يعرف احوال نفسه لايعرف الآخرة فالفطرة الانسانية مجبولة على معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة وانما الاشتباه والالتباس فيما عداهما فاذا انقطعت اسباب ماعداهما ظهرت الفطرة الاصلية ظهورا اضطراريا لااختياريا كسبيا فلاينفع ذلك قال تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق * قال البيضاوى * دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف اه قلت ولاجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل ان تتراجع فطرهم ويزول العارض لهم عن معرفة حقيقة الامر بالاغلاظ عليهم والتخويف لهم فيرون الحق حقا والباطل باطلا ويضمحل عنهم الكفر والجهل وفى تفسير الواحدى دعوا الله مخلصين له الدين قال ابن عباس رضى الله عنهما تركوا الشرك واخلصوا لله فى الربوبية وقالوا لئن انجيتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يعملون فيها بالفساد والمعاصى والجراءة على الله تعالى وقال ابو محمد الخازن يعنى انهم اخلصوا فى الدعا لله عزوجل ولم يدعوا احدا سواه من آلهتهم وقيل فى معنى الاخلاص العلم الحقيقى لااخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لاينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا فى شدة وضر وبلاء اخلصوا لله عزوجل الدعاء (فدلاهما) اى الشيطان المتقدم ذكره وضمير التثنية راجع الى الجاهلين المتنسكين والعلماء الغافلين (بغرور) بما غرهما به من التنسك مع الجهل والعلم مع الغفلة اومتلبسين بغرور وفى تفسير الواحدى التدلية ارسال الدلو فى البئر قيل اصله تدلية العطشان فى البئر ليروى من الماء ولايجد الماء فيكون مدلى بغرور ثم وضعت التدلية فى موضع الاطماع فيما لايجدى نفعا فيقال دلاه اذا اطمعه فى غير مطمع وقال الخازن فدلاهما بغرور اى فخدعهما يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لايكون الامن اعلى الى اسفل (فيفرطون) بكسر الراء مخففة من افرط فى الامر اذاجاوز فيه الحد قاله الفارابى فى ديوان الادب وهو وصف راجع الى الجاهلين المتنسكين يعنى انهم من جهلهم

بالاحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون عنها القدر الذى عينه الشارع ظنا منهم ان ذلك حسن فى الشرع فيكثرون من العبادات الصورية بل من البدع والمخالفات ولايشعرون (او يفرطون) بكسر الراء مشددة من فرط فى الامر بالتشديد اذا ضيعه وتهاون فيه وهو وصف للعالمين الغافلين يعنى انهم من كثرة استيلاء الغفلة على قلوبهم بانهما كهم فى شهوات نفوسهم وغرورهم فى الدنيا مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم طريق النجاح ضيعوا حقوق الله تعالى عليهم واستها نوابها وضيعوا حقوق العباد ايضا المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا اعتمادا على علمهم الذى هو حجة عليهم قال تعالى * فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * قال البيضاوى اى غافلون غير مبالين بها وقال العز بن عبد السلام ساهون لاهون اوغافلون لا يبالون صلوا ام لم يصلوا وقيل يصلونها رياء ويتركونها خلاء وقيل يلتفتون فيها تهاونا وقيل لايذكرون الله ولايقرون فيها ويتركونها وفى الحديث يؤخرونها عن وقتها بلاعذر وقيل الذى لايدرى عن ثلاث انصرف اى سلم اوعن رابع وقال الخازن لما قال الله تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظ عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لايتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهى فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى لايعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ولايرجو الثواب على فعلها ولا يخاف العقاب على تركها وقال ابوعبدالرحمن السلمى عن صلاتهم ساهون قال بعضهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لايعلمون ان الصلاة مواصلة بين العبيد وبين ربهم فاذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة سمعت عبدالله ابن على البغدادى يقول سمعت احمد بن فاتك يقول سمعت ابا العباس بن عطاء يقول ليس فى القرآن وعيد صعب الاو بعده وعد لطيف غير هذه الآية فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ذكر الويل لمن صلاها بلاحضور من قلبه فكيف بمن تركها رأسا سئل ما الصلاة قال اتصال العبد بالله عزوجل من حيث لايعلم الا الله تعالى اه وهذا شان الجاهلين والغافلين فى جميع عباداتهم وطاعاتهم فى الصلاة وغيرها يتجاوزون الحدود اويقصرون فى اقامة الحدود (وهم) اى الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون (يحسبون) اى يظنون (انهم يحسنون) فيما يعملون قال الواحدى فى قوله تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا * بالقوم الذين هم اخسر الخلق فيما عملوا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا بطل عملهم واجتهادهم فى الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا يظنون انهم بفعلهم محسنون انتهى والاحسان راجع

الى اتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها كذا فى المفهم لما اشكل من تلخيص مسلم للقرطبى (فاردت) الفاء للتفريع اى يتفرع على ماتقدم انى اردت اى قصدت (ان اصنف) اى اجعل صنوفا اى انواعا واقساما فهو اخص من التأليف الذى هو ايقاع الالفة بين المسائل ولو من نوع واحد وفى المواهب اللدنية للقسطلانى ومن خصائص هذه الامة انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولاتزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتى امر الله رواه الشيخان ولنا كلام على هذا الحديث بشرحه فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد (الطريقة) اى السنة والدين وقال الفارابى فى ديوان الادب يقال مازال على طريقة واحدة اى حالة واحدة (المحمدية) المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولنا (واحببت) معطوف على اردت (ان ابين) اى اكشف واوضح (السيرة) اسم من سار يسير وهى الطريقة خيرا كان او شرا ومنه سيرة العمرين اى طريقتهما قال العينى فى شرح الكنز (الاحمدية) المنسوبة الى احمد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر القسطلانى فى مواهبه مايزيد على اربعمائة اسم للنبى صلى الله عليه وسلم وقال رأيت فى كتاب احكام القرآن للقاضى ابى بكر بن العربى قال بعض الصوفية لله تعالى الف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم اه ومعنى عبارة المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب ان مراده ان يذكر فى كتابه هذا طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالحين والائمة المجتهدين الخالية من البدعة فى الاعتقاد والعمل والغرض من ذلك (حتى يعرض عليها) اى على هذه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية (عمله) بالباطن والظاهر فيعم الاعتقادات والافعال والاقوال والاحوال (كل انسان سالك) فى طريق الله تعالى الموصل الى رضوانه والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى الا للعمل بما فيه لا ليتمتع الفقيه بحفظ الفاظه ودراية معانيه ويزين بعباراته المجالس وقلبه مملوء من الوساوس فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج الصالحين (فيتميز) بعرض العمل عليها (المصيب) اى الذى وافق الصواب فى عمله (من المخطئ) اى الذى اخطأ فى العمل وهذا فى الدنيا لان الصواب والخطأ يظهر ان اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الاسباب الموجبة لازالة الخطأ شرعا (ويتميز) ايضا (الناجى) وهو المصيب (من الهالك) وهو المخطئ وهذا فى حكم الآخرة لان النجاة والهلاك يظهران فى يوم القيامة وعلامتهما فى الدنيا بان يصيب الطريقة المحمدية او يخطئها والطريقة المحمدية هى ما اشتملت عليه كتب الشريعة والدين علما وعملا واعتقادا (ورتبته) اى هذا المصنف الذى

هوالطريقةالمحمدية (على ثلاثة ابواب) وبيانها على التفصيل * الباب الاول *
فى الاعتصام بالكتاب والسنة ومايتبع ذلك وهوثلاثة فصول الفصل الاول نوعان
النوع الاول فى الاعتصام بالكتاب النوع الثانى فى الاعتصام بالسنة الفصل الثانى
فى البدع الفصل الثالث فى الاقتصاد فى العمل الباب الثانى فى الامور المهمة فى الشريعة
وهوثلاثة فصول الفصل الاول فى تصحيح الاعتقاد الفصل الثانى فى العلوم المقصودة
لغيرها وهوثلاثة انواع النوع الاول فى المأموربه وهوصنفان الصنف الاول فى فروض
العين الصنف الثانى فى فروض الكفاية النوع الثانى فى المنهى عنه النوع الثالث
فى المندوب اليه الفصل الثالث فى التقوى وهوثلاثة انواع النوع الاول فى فضيلتها
النوع الثانى فى تفسيرها النوع الثالث فى مجاريها وهوتسعة اصناف الصنف الاول
فى منكرات القلب وهوعلى قسمين القسم الاول فى تفسير الخلق القسم الثانى فى الاخلاق
الذميمة والكفر ثلاثة انواع جهلى وجحودى وحكمى والرياء سبعة مباحث المبحث
الاول فى تعريفه وتسميه المبحث الثانى فى ذم الرياء المبحث الثالث فيما له الرياء المبحث
الرابع فى الرياء الخفى وعلاماته المبحث الخامس فى احكام الرياء المبحث السادس فى امور
مترددة بين الرياء والاخلاص المبحث السابع فى علاج الرياء ثم الكبر خمسة مباحث المبحث
الاول فى تفسيره وضده وحكم ذلك المبحث الثانى فى اقسام الكبر المبحث الثالث
فى اسباب الكبر المبحث الرابع فى علامات الكبر المبحث الخامس فى اسباب الضعة
والتواضع ثم الحسد اربعة مباحث المبحث الاول فى تفسيره وضده المبحث الثانى
فى غوائل الحسد المبحث الثالث فى العلاج العلمى والعملى المبحث الرابع فى العلاج القلبى
ثم الحقد فيه ثلاث مقالات المقالة الاولى فى تفسيره وحكمه المقالة الثانية فى غوائله
المقالة الثالثة فى سبب الحقد ثم الغضب وفيه خمس مقامات المقام الاول فى تفسيره
واقسامه المقام الثانى فى العلاج العلمى المقام الثالث فى العلاج العملى المقام الرابع
فى العلاج القلبى المقام الخامس فى الحلم ثم الحلم ثلاث مقاصد المقصد الاول فى فوائده
المقصد الثانى فى فوائد ثمرته المقصد الثالث فى طريق تحصيل الحلم ثم البخل مبحثان المبحث
الاول فى غوائله وسببه وآفته المبحث الثانى فى سبب حب المال وعلاجه ثم حب الدنيا
فيه مقالتان المقالة الاولى فى ذمه وغوائله المقالة الثانية فى ثمراته وذمها وضده
ومدحه وفيه مقامان المقام الاول فى ثمراته المقام الثانى فى ضد حب الدنيا ثم الاسراف
خمسة مباحث المبحث الاول فى ذمه وغوائله المبحث الثانى فى السر والسبب الاصلى
فى مذموميته المبحث الثالث فى اصناف الاسراف المبحث الرابع فى ان الاسراف هل
يقع فى الصدقة المبحث الخامس فى علاج الاسراف الصنف الثانى من الاصناف التسعة
فى آفات اللسان وهو قسمان القسم الاول فى وجوب حفظه وعظم جرمه القسم الثانى
فى آفاته وفيه ستة مباحث المبحث الاول فى الكلام الذى الاصل فيه الحظر المبحث الثانى

فيما الاصل فيه الاذن من العادات التى لايتعلق بها نظام المعاش المبحث الثالث فيما
الاصل فيه الاذن من العادات التى يتعلق بها النظام المبحث الرابع فيما الاصل فيه
الاذن من العبادات المتعدية المبحث الخامس فيما الاصل فيه الاذن من العبادات القاصرة
المبحث السادس فى آفات اللسان من حيث السكوت الصنف الثالث فى آفات الاذن
الصنف الرابع فى آفات العين الصنف الخامس فى آفات اليد الصنف السادس فى آفات
البطن الصنف السابع فى آفات الفرج الصنف الثامن فى آفات الرجل الصنف التاسع
فى آفات البدن الغير المختصة بعضو معين *الباب الثالث فى امور يظن انها من التقوى
والورع وهو ثلاثة فصول الفصل الاول فى دقة امر الطهارة وهو اربعة انواع النوع
الاول فى كون الدقة فى ذلك بدعة و هو صنفان الصنف الاول فيما ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم وخير القرون النصف الثانى فيما ورد عن ائمتنا الحنفية النوع
الثانى فى ذم الوسوسة وآفاتها النوع الثالث فى علاج الوسوسة النوع الرابع فى اختلاف
الفقهاء فى امر الطهارة والنجاسة الفصل الثانى فى التورع والتوقى من طعام اهل الوظائف
الفصل الثالث فى امور مبتدعة باطلة اكب الناس عليها على ظن انها قربة وهذا
آخر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب والفصول والانواع والاصناف ذكرناها
على ماهى عليه ليقف الانسان من اول وهلة على ماتضمنه من بيان الطريقة المحمدية
على وجه الاجمال ولم يذكره المصنف رحمه الله تعالى فى خطبته قبل الشروع فى المقصود
لطول الكلام عليه وليتشوق الطالب اليه فتتوفر الدواعى الى مطالعته كله وحاصله
ان بيان الطريقة المحمدية منحصر فى هذه الابواب الثلاثة وما فى ضمنها من انحصار الكلى
فى جزئياته لان كل مسئلة من ذلك تسمى طريقة محمدية مالم يكن هذا اللفظ اسما للكتاب
فيصير من انحصار الكل فى اجزائه وذلك لان الكلام عليها اما ان يكون من حيث
ذاتها وماهيتها اومن حيث مايعرض لها فان كان الاول فهو الباب الثانى وما تضمنه
وان كان الثانى فاما من حيث ماهى عليه من الاوصاف فى نفسها مما يدعو اليها
وهو الباب الاول واما من حيث مايشتبه بها وليس منها وهو الباب الثالث (متوكلا)
حال من ضمير الفاعل فى قوله ورتبته اى معتمدا (على رب) اى مالك (الارباب) اى المالكين
كلهم من خلقه وفى رسالة القشيرى قال سهل بن عبدالله اول مقام فى التوكل ان يكون
العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لايكون له حركة
ولاتدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله و من حكم ابن عطاء الله الاسكندرى
رضى الله عنه من علامة النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات فلهذا قال المصنف
رحمه الله تعالى ذلك فى ابتداء سلوكه هذه المسالك ﴿ الباب الاول ﴾ من الابواب الثلاثة
وهو ما يدخل منه قال والدى رحمه الله تعالى فى احكامه اعلم ان الفصل صنف تحت الصنف
المسمى بالباب كما ان الباب صنف تحت الصنف المسمى بالكتاب والكل تحت الصنف المسمى
بالعلم المدون والصنف من العلم بمعنى الادراك جنس و ماتحته من اليقين والظن

نوع والمدون بكون ظنيا كالفقه وقطعيا كالكلام والحساب والهندسة فواضع العلم لما لاحظ
الغاية المطلقة له فوجدها تترتب على العلم باحوال شتى اواشياء خاصة وضعه ليبحث
عن احواله من تلك الجهة فقد قيد ذلك العلم بعارض كلى فصار صنفا وقيل للواضع
صنف هذا العلم اى جعله صنفا فالواضع للعلم اولى باسم المصنف من المؤلفين وان صح
ايضا فيهم (فى الاعتصام) اى الامتناع والاحتفاظ من العصمة وهى المنع كما فى قوله
تعالى *لاعاصم اليوم* اى لامانع والله يعصمك من الناس اى يمنعك (بالكتاب) هو القرآن
العظيم (والسنة) اى سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم بيانها (والاحتراز)
اى التوقى (عن العادات) جمع عادة وهى مايعود من افعال الانسان مرة بعد اخرى
(السيئة) اى القبيحة المنكرة فى الشرع (والبدع) جمع بدعة معطوف على العادات السيئة
على طريقة البيان لها لان العادة تثبت بمرة على رأى بعضهم اوهى اعم من العادات
لاشتراط التكرار فى العادة دون البدعة فيكون من عطف العام على الخاص لقصد
التعميم (المحدثة) صفة كاشفة اذكل بدعة محدثة نظير قوله تعالى *يحكم بها النبيون
الذين اسلموا (والاقتصاد) مصدر كقولك اقتصد فى النفقة اذالم يسرف ولم يقتر قاله
الفارابى فى ديوان الادب (فى الاعمال) المرضية فى الشرع (والتوسط) وهو معنى
الاقتصاد مصدر توسط يتوسط (والاجتناب) اى التباعد (عن الطرفين) المذمومين
شرعا وعقلا قال الجوهرى الطرف بالتحريك الناحية من النواحى والطائفة من
الشئ وفلان كريم الطرفين يراد به نسب ابيه ونسب امه فالطرف الاول (الافراط)
اى الاكثار والزيادة يقال افرط فى الشئ اذا اشتط فيه وبالغ (و) الطرف الثانى
(التفريط) وهو التقصير يقال فرط فى الشئ اى قصر فيه فيكون هذا الباب مشتملا
على ثلاثة امور فلهذا قال (وهو) اى هذا الباب (ثلاثة فصول) لكل امر من تلك
الامور الثلاثة فصل يبينه (الفصل الاول) من الفصول الثلاثة (نوعان) تثنية نوع
وهو القسم من الشئ (النوع الاول) من هذين النوعين (فى) بيان (الاعتصام)
اى الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهى الخمسة التى يجب
على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قررته مفصلا فى كتاب المطالب الوفية (بالكتاب)
اى كتاب الله تعالى (الكريم) لان مضمونه الكرم على العباد اولانه من عند الله
(والقرآن) بيان للكتاب (العظيم) من العظمة وهى كبر الشان والمراد بالاعتصام
بالكتاب الايمان به والدخول فى ربقة احكامه عن رضا وتسليم حتى تصير تلك
الاشياء الخمسة محفوظة له محترمة محصنة بالحصن الشرعى محمية من كل متعرض
لها (و) الدليل على ذلك (الآيات) الواردة فيه وهى جمع آية قال السيوطى
فى الاتقان حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذومبدأ ومقطع مندرج
فى صورة واصلها العلامة ومنه ان آية ملكه لانها علامة للفضل والصدق اوالجماعة

لانها جماعة كلمة وهى الواحدة من المعدودات فى السور سميت به لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام وانقطاعه عما بعدها قال الواحدى وبعض اصحابنا يجوز على هذا القول تسمية اقل من الآية لولا ان التوقيف ورد بما هى عليه الآن وقال ابو عمرو الدانى لااعلم كلمة هى وحدها آية الا قوله مدها متان قال غيره بل فيه غيرها مثل والفجر والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها وقال بعضهم الصحيح ان الآية انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور وقال الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى اول القرآن وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وعما بعدها فى غيرهما اى غير الاول والآخر مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة انتهى وجملة الآيات التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنتى عشرة آية من سور متفرقة مرتبة *الآية الاولى اول سورة البقرة ولايخفى حسن بدايته بها تبركا واقتداء بكتاب الله تعالى فى اول كتابه وهى قوله تعالى (الم) كثر اختلاف المفسرين فى الحروف المقطعة فى القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وانها مما استأثر الله تعالى بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال الشعبى ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الآخرون قال ابن عباس معنى الم انا الله اعلم وان كل حرف منها له تفسير قال والدليل ان العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وانشد * قلت لها قفى فقالت قاف *فنطق بقاف فقط يريد قالت اقف وقيل ان الم وسائر حروف التهجى فى القرآن اسماء للسور ذكره الواحدى وقال ابو محمد الخازن قيل ان حروف الهجا فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وهى سر الله تعالى فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله تعالى فى القرآن اوائل السور وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وقال آخرون من اهل العلم هى معروفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله مقطعة لوعلم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الاترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقال ابن عباس هى اقسام قيل اقسم الله بهذه الاحرف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على

بعضهـا وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمدلله وتريدانك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبة فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه ازل هذه الاحرف ومعناهـا ان القرآن ليس الامن هذه الاحرف وهم قادرون عليها فكان يجب ان يأتوا بمثله فلما عجزهم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم ازل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه (ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف اوفسر بالسورة اوالقرآن فانه المتكلم به وتقضى اووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعد اوتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته اوخبره الذى هو هو قاله البيضاوى وقال الواحدى ذلك يجوز ان يكون بمعنى هذا عند كثير من اهل التفسير ومثاله فى الكلام انك تقول قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك او يقول بلغنا هذا الخبر وقيل انما قال تعالى ذلك الكتاب فاشار الى غائب لانه اراد هذه الكلمات يا محمد ذلك الكتاب الذى وعدتك ان اوحيه اليك لان الله تعالى لما ازل على نبيه صلى الله عليه وسلم انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كان واثقا بوعد الله اياه فلما ازل عليه الم ذلك الكتاب دله على الوعد المتقدم اوالكتاب مصدر كتب ويسمى المكتوب كتابا كما يسمى المخلوق خلقا واصل الكتب فى اللغة الضم والجمع والكتابة جمع حرف الى حرف (لاريب فيه) معنـاه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغـا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه قاله البيضـاوى وقال الخـازن اى لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيـل هو خبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه قال الواحدى فان قيـل كيف قال لاريب فيـه وقد ارتابت فيه المرتابون قيـل معنـاه انه حق فى نفسه وصدق وان ارتابت فيه المبطلون كما قال الشاعر * ليس فى الحق يا امامة ريب * انما الريب ما يقول الكذوب * فنفى الريب عن الحق وان كان القاصر فى العلم يرتاب (هدى للمتقين) اى يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى لعلى هدى اوفى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب ذكره البيضاوى وقال الواحدى معنى الاتقاء فى اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقـاه بترسه اى جعل الترس حاجزا بينه وبينه فالمتقى هو الذى يحجز بطاعته عن العقوبة ويجعل اجتنابه عما نهى وفعله

ما امر حاجزا بينه و بين العقوبة التى توعد بها العصاة والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما وقال الخازن فان قيل كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال البيضاوى وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجاز اوتفخيما لشانه *الآية الثانية فى سورة آل عمران وهى قوله تعالى (واعتصموا) اى تمسكوا (بحبل الله) اى بدينه الاسلام اوبكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز قاله البيضاوى وقال الواحدى حبل الله الجماعة وقال قتادة والسدى والضحاك هو القرآن وقيل الاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة واتباع القرآن لان المؤمن اذا اتبع القرآن امن العذاب وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وبامره وسمى عهد الله حبلا لانه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها (جميعا) اى مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) اى ولا تتفرقوا عن دين الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تذكروا مايوجب التفرق ويزيل الالفة ذكره البيضاوى وقال الواحدى اى تناصروا على دين الله ولا تتفرقوا وقال الخازن وقيل معناه ولا تحدثوا مايكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه والله اعلم *الآية الثالثة فى سورة المائدة وهى قوله تعالى (قدجاءكم من الله نور) اى ضياء من الضلالة يعنى الاسلام وقيل النور محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى بين الاشياء قاله الواحدى وقال الخازن انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال وفيه بيان ما يختلفون فيه (يهدى به الله) اى بالكتاب المبين كما قاله الواحدى وقال البيضاوى وحد الضمير لان المراد بهما واحدا ولانهما فى الحكم كواحد انتهى يعنى ان المراد بالنور والكتاب المبين شئ واحد وهو القرآن العظيم فالعطف للبيان اذ الكتاب نور من الله وعلى

التغاير الذي هو الاصل في العطف هما في حكم شئ واحد لاشتراكهما في الابانة والكشف عن الامور (من اتبع رضوانه) اي اتبع مارضيه الله تعالى مما مدحه واثنى عليه و هو دين الاسلام (سبل) اي طرق (السلام) قال ابن عباس يريد دين الاسلام دين الله والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقال جاز ان يكون اراد طرق السلام اي طرق السلامة التي من سلكها سلم في دينه ويجوز ان يكون اراد سبل السلام كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم و يراد بها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف اي سبل دار السلام ذكره الواحدي وقال البيضاوي اي طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعني من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) يعني بتوفيقه وهدايته وارادته (و يهديهم الى صراط مستقيم) الى طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤداليه لامحالة ذكره البيضاوي وقال الواحدي هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه الى الجنة يعني الاسلام * الآية الرابعة في سورة الانعام وهي قوله تعالى (وهذا كتاب) يعني القرآن (انزلناه مبارك) اي كثير النفع والخير والبركة ولايتطرق اليه نسخ قاله الخازن (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ذكره البيضاوي وقال الواحدي اتبعوا احلاله واتقوا حرامه لتكونوا راجين للرحمة وقال الخازن فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى * الاية الخامسة في سورة يونس وهي قوله تعالى (يا ايها الناس) قال ابن عباس يريد قريشا وقيل هم على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري (قدجاءتكم موعظة من ربكم) يعني القرآن والوعظ زجر مقرون بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن وقال البيضاوي اي قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد (وشفاء لما في الصدور) يعني ان القرآن دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك ان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الله تعالى الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه قاله الخازن (وهدى) الى الحق واليقين (ورحمة للمؤمنين) حيث انزلت عليهم

فيجوابها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمقاعد درجات الجنان والتنكير في الموعظة للتعظيم وقال الخازن ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم انتهى *الآية السادسة في سورة النحل وهي قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) قال البيضاوي بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وقال الزجاج تبيان اسم في معنى البيان ومثل التبيان التلقاء ولو قرئ تبيانا على وزن تفعال لكان وجها لان التبيان في معنى التبين ولا تجوز القراءة به لانه لم يقرأ به احد من القراء وقال الخازن تبيانا لكل شيء يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين والله اعلم (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به وصدق وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى) من الله سبحانه وتعالى (للمسلمين) خاصة *الآية السابعة في سورة الاسراء وهي قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) اي للحال التي هي اقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى شهادة ان لا اله الا الله والايمان برسله والعمل بطاعته وهذه صفة الحال التي هي اقوم قاله الزجاج وقال الواحدي اي يرشد الى الكلمة التي هي اعدل الكلمات واصوبها وهي كلمة التوحيد وقال الخازن اي الى الطريقة التي هي اصوب* الآية الثامنة في سورة الاسراء ايضا وهي قوله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) فمن لبيان الجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء قال قتادة اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا معنى كونه شفاء انه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء وعلى هذا معناه ان يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ذكره الواحدي وقيل ان من للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء قاله البيضاوي وقال الخازن شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة فلا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني وهو الاخلاق

﴿ المذمومة ﴾

المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب ومايدريك انهـا رقية (ورحمة للمؤمنين) قال ابن عباس يريد ثوابا لاانقطاع له يعنى فى تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ذكره الواحدى (ولا يزيد الظالمين الاخسارا) قال الخازن لان الظالم لاينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يجددلهم تكذيب بها فيزداد خسارهم وقال الواحدى ولا يزيد القرآن الظالمين المشركين الاخسارا لانهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه والقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين وقال قتادة عن اويس القرنى قال لم يجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة اونقصان قضاء من الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا * الآية التاسعة فى سورة العنكبوت وهو قوله تعالى (اولم يكفهم) هذا جواب لقولهم قبله لولا انزل عليه آيات من ربه كما قال الخازن وقال الزجاج كان قوم من المشركين كتبوا اشياء عن اليهود فأتوا بهـا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام كفى بها حماقة قوم اوضلالة قوم ان رغبوا عما اتى به نبيهم الى مااتى به غير نبيهم الى غير قومهم يعنى كان هذا سبب نزول الآية (انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) يعنى تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى ايديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوى وقال الخازن معنـاه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبيـاء عليهم السلام لان معجزة القرآن تدوم على ممر الزمان والدهور ثابتة لاتضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) اى الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمـان دون التعنت قاله البيضاوى * الاية العاشرة فى سورة (ص) وهى قوله تعالى (كتاب انزلناه اليك) اى هذا كتاب يعنى القرآن انزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) ليتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى اوامره ونواهيه ذكره الخـازن وقال البيضاوى ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظـاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلمـاء امتك (وليذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذووالعقول السليمة اويستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيـان لما لايعلم الامن الشرع وارشاد الى مالايستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثانى قاله البيضاوى * الآية الحادية عشر فى سورة الزمر وهى قوله تعـالى

(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وقال العز بن عبد السلام روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله لوحدثتنا فانزل الله تعالى الآية احسن الحديث يعنى اكمله برهانا واجمعه بيانا واعدله حكما وافصحه نظما (كتابا متشابها) بدل من احسن اوحال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اى يشبه بعضه بعضا فى التصديق اوفى الاعجاز والعدل او يشبه الكتب المتقدمة فى الامر والنهى والترغيب والترهيب (مثانى) جمع مثنى اومثنى قال البيضاوى فى سورة الحجر المثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه اوقصصه ومواعظه او يثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى وقال الواحدى المثانى جمع مثناة وهو كل شئ يثنى اى يجعل اثنين واكثر وقال العز بن عبد السلام مثانى ثنى فيه القصص وقيل ذكر الجنة والنار اويثنى فى التلاوة فلا يمل اويشتمل على المزدوجات كالامر والنهى والوعد والوعيد والرحمة والعذاب (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اى قلوب الذين يخشون ربهم ذكره الخازن وقال البيضاوى تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حرف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) من الرجاء وقيل لاعظامه عند تلاوته وقيل بوعده ووعيده وقال البيضاوى بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلب لتقدم الخشية التى هى من عوارضه وقال ابو محمد الخازن اى لذكر الله قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وجليت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت

كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبدالله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عزوجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء اكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) اى الكتاب الذى هو احسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته وهو الذى شرح الله صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) يخرجه من الضلال *الآية الثانية عشر فى سورة فصلت وهى قوله تعالى (وانه) اى الذكر يعنى القرآن لان الآية قبله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه (لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير اومنيع لايتأتى ابطاله وتحريفه ذكره البيضاوى وقال العز بن عبد السلام عزيز اى عند الله والمؤمنين وقيل لايوجد له مثل اويمتنع من ان يأتيه الباطل اوعلى الناس ان يأتوا بمثله وقال الخازن قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه اويزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لايأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولايجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لايتطرق اليه ولايجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لايأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولافيما تأخر (تنزيل من حكيم) اى مانع عن تبديل معانيه باحكام مبانيه (حميد) مستحق للتحميد بالهام معانيه قاله العز بن عبد السلام وقال البيضاوى من حكيم حاكم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه وقال الخازن من حكيم فى جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم انتهى الكلام على هذه الآيات فقد دلت بمنطوقها

ومفهومها على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف (و) لدليل على ذلك ايضا (الاخبار) النبوية الواردة فى ذلك جمع خبر وهو الحديث وتقدم بيان الفرق بينهما وبين السنة والاثر واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى رمز فى تخريج هذه الاحاديث والاخبار التى فى هذا الكتاب رموز اكابر من الاسيوطى رحمه الله تعالى ذلك فى جامعه الصغير اختصارا فى الكلام واستدعاء لقوابل الهمم والافهام وجملة ذلك مما اشتمل عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزا وبيانها ان الخاء المعجمة للبخارى وتكتب هكذا (خ) والميم لمسلم وتكتب هكذا (م) والدال المهملة لابى داود وتكتب هكذا (د) والتاء المثناة الفوقية للترمذى وتكتب هكذا (ت) والسين المهملة للنسائى وتكتب هكذا (س) والطاء المهملة لموطأ مالك وتكتب هكذا (ط) والغين المعجمة للبغوى صاحب المصابيح وتكتب هكذا (غ) والزاى للبزار وتكتب هكذا (ز) وهذه الرموز المفردات وهى ثمانية حروف والمركبات الطاء المهملة والباء الموحدة للطبرانى وتكتب هكذا (طب) والطاء المهملة والكاف للطبرانى فى معجمه الكبير وتكتب هكذا (طك) وطاآن مهملتان للطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط وتكتب هكذا (طط) والطاء والصاد المهملتان للطبرانى ايضا فى معجمه الصغير وتكتب هكذا (طص) والطاء المهملة والكاف والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الكبير والاوسط وتكتب هكذا (طكص) والطاآن المهملتان والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط والصغير وتكتب هكذا (ططص) والطاء المهملة والكاف والطاء المهملة ايضا والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الكبير والاوسط والصغير وتكتب هكذا (طكطص) والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان وتكتب هكذا (حب) والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا (حك) والحاء المهملة والدال المهملة لاحمد بن حنبل وتكتب هذا (حد) والدال المهملة والراء للدارمى وتكتب هكذا (در) والميم والجيم لابن ماجه وتكتب هكذا (مج) والخاء المعجمة والزاى لابن خزيمة وتكتب هكذا (خز) والصاد المهملة والفاء للاصفهانى وتكتب هكذا (صف) والصاد المهملة والباء الموحدة للاصبهانى وتكب هكذا (صب) والقاف والطاء المهملة والنون للدارقطنى وتكتب هكذا (قطن) والهاء والقاف للبيهقى وتكتب هكذا (هق) والباء الموحدة والراء لابن عبد البر وتكتب هكذا (بر) والدال المهملة والياء المثناة التحتية واللام والميم لابى منصور الديلمى وتكتب هكذا (ديلم) والقاف والشين المعجمة للقشيرى وتكتب هكذا (قش) والدال المهملة والنون والياء المثناة التحتية والالف لابن ابى الدنيا وتكتب هكذا (دنيا) والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء صورة المقصور لابى يعلى وتكتب هكذا (يعلى) والنون والعين المهملة والميم لابى نعيم وتكتب هكذا (نعم) والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السنى وتكتب هكذا (سنى) والشين المعجمة والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لابى الشيخ وتكتب هكذا (شيخ) والعين المهملة

والسين المهملة والكاف والراء لابن عساكر وتكتب هكذا (عسكر) والعين المهملة والدال المهملة لابن عدى وتكتب هكذا(عد) والباء الموحدة والراء والكاف لابن مبارك وتكتب هكذا (برك) والراء والزاى والالف والقاف لعبدالرزاق وتكتب هكذا (رزاق) والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوى وتكتب هكذا(طح) وهذه رموز المخرجين لاحاديث هذا الكتاب واخباره كلها اوردناها ليسهل الامر فى الابتداء على مطالع هذا الكتاب وهنا سبعة احاديث الحديث الاول (طك) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير باسناده (عن ابى شريح رضى الله عنه انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليس تشهدون ان لااله الا الله وانى رسول الله) هذا الاستفهام لتقرير الكلام وتنبيه ولذا دخلت فى جوابه بلى الموضوعة لاثبات الكلام المنفى وابطال نفيه كقوله تعالى *الست بربكم قالوا بلى* اى بلى انت ربنا فاجروا النفى مع التقرير مجرى النفى المجرد فلذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قالوا نعم لكفروا ووجهه ان نعم لتصديق الخبر بنفى اواثبات ولهذا كان جوابهم هنا انهم (قالوا بلى) اى بلى انه لااله الا الله وانك رسول الله وفائدة هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ليستنطقهم ماهو موجود فيهم من الايمان بالله ورسوله والاسلام لما جاء به من الحق حتى يبنى عليه قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وان كان محققا من قبل وثابتا فى قلوبهم كانك اذا اردت ان تحدث ابنك مثلا بحديث هو نصح له فقلت له الست ابنى فقال لك بلى انا ابنك فاذا حدثته بعد ذلك بالحديث كان فى غاية التأكيد عنده وكمال النصح له باعترافه بابوتك وكذلك هنا (قال) صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن) يعنى الكلام القديم المنزل بجبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم المحفوظ فى القلوب بالحروف والكلمات المتخيلة المقروء بالالسنة بالحروف والكلمات اللفظية الهوائية المكتوب فى المصاحف والالواح بالحروف والكلمات الرسمية المدادية فمادة الحروف الاولى الخيال ومادة الحروف الثانية الهواء ومادة الحروف الثالثة الحبر والمداد كما ان موضع الاولى القلب وموضع الثانية الفم وموضع الثالثة القرطاس وهذه الانواع الثلاثة من الحروف فى مواضعها الثلاث صور يتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه عن الحروف والاصوات والمواضع والكلمات فهى كسوته ولباسه فى ظهوره لنا لا على معنى انه حال فيها اومتحد بها اومتصل بها اومنفصل عنها لان كلام الله تعالى صفة وصفات الله تعالى كلها قديمة والقديم لاوجود للحادث معه بوجود آخر من نفس الحادث اومن قديم آخر اذلا قديم الا واحد عقلا وشرعا بل للحادث وجود بالقديم الواحد ووجود الحادث اذا كان بالقديم كان الوجود للقديم والحادث منسوب اليه الوجود فقط فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه والموجود لايحل فى المعدوم اذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال

ان كلام الله تعالى مقول بالاشتراك الوضعي على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات الحادثة فانه قول يؤول بصاحبه الى اعتقاد الشرك في صفات الله تعالى وان الله تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه واشارة النبي هنا في هذا الحديث الى القرآن تفيد انه واحد لاتعدد له اصلا وهو الصفة القديمة وهو المكتوب في المصاحف المقروء بالالسنة المحفوظ في القلوب من غير حلول في شئ من ذلك ومن لم يفهم هذا على حسب ماذكرنا لصعوبته عليه يجب عليه الايمان به بالغيب كما يؤمن بالله وبباقي صفاته سبحانه وتعالى ولايجوز لاحد ان يقول بحدوث مافي المصاحف والقلوب والالسنة * غاية الامر ان القرآن العظيم له طرفان الطرف الواحد ممايلي الحق سبحانه وتعالى لانه كلامه وكلامه صفته والطرف الثاني ممايلي الخلق وهو ظهوره بتلك الانواع الثلاثة من الحروف والكلمات في تلك المواضع الثلاثة من كل انسان فتتعدد صوره وتكثر بسبب ذلك مع وحدته في نفسه كما يتعدد الوجه الواحد اذا ظهر في المرايا الكثيرة بطريق انطباع آثاره فيها لاحلوله فيها بنفسه وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرايا بالصغر والكبر والطول والعرض ونحو ذلك فلا يجوز ان يقال لزيد وجهان احدهما في جسمه الظاهر والآخر في وسط المرآة بل يلزم على هذا ان يقال ان له وجوها كثيرة مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (طرفه) اى القرآن يعني احد وجهيه (بيدالله) سبحانه وتعالى بحيث لايعلم به الاهو وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقدسه (وطرفه) اى وجهه الآخر (بايديكم) وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم حروفا وكلمات مخيلة اولفظية اورقمية (فتمسكوا به) اى بالقرآن المذكور من حيث ظهوره لكم في صوره المذكورة وايمانكم به من حيث ماغاب عنكم من اطلاقه عن كل صورة وتنزهه عن ذلك وتقدسه في ذات الله تعالى (فانكم) ان فعلتم ذلك (لن تضلوا) اى لن تحيروا في اعتقاد ولاقول ولاعمل في الدنيا (ولن تهلكوا) في الآخرة بمخالفة في شئ من ذلك (بعده) اى بعد القرآن المذكور او بعد تمسككم به (ابدا) لان الله تعالى لم يفرط فيه من شئ وفي ذكر اليد من الجانبين مشاكلة نظير قوله تعالى *فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه *ولم يقل فجازوه واورد هذا الحديث الاسيوطي في كتابه الاتقان برواية اخرى عن ابي شريح ايضا وزاد فيه قال واخرج ابن ابي شيبة من حديث ابي شريح الخزاعي ان هذا القرآن سبب طرفه بيدالله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا والسبب الحبل وذكر السبب في هذه الرواية ممايؤيد ماذكرناه من وحدة القرآن وعدم تعدده لان الحبل الواحد اذا كان له طرفان احدهما بيد واحد والآخر بايدي جماعة لايلزم ان يكون لاجل ذلك حبلين *الحديث الثاني (حب) يعني روى عن ابن حبان باسناده (عن جابر رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن) يوم القيمة عندالله تعالى (شافع) في المؤمنين المذنبين الذين ماتوا قبل التوبة (مشفع) بصيغة اسم المفعول اى مقبول الشفاعة عندالله تعالى وهذا يقتضي المغايرة بينه وبين الله تعالى مع انه صفته وصفات الله تعالى لاتغايره كل المغايرة على ماقررناه في موضعه فهو باعتبار طرفه الذى بايدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في اشكالهـا من غير ان تستقل دونه بوجود فيلزم ان يحل فيها كما قدمناه يصح فيه ان يظهر في اى صورة شاءالله تعـالى من غير ان يتغير عن اطلاقه وتنزهه وتقدسه كما ورد عن احمد بن حنبل رضي الله عنه انه لمـا مرض فشارف الاحتضار وابوه جالس عند رأسه يقرؤله سورة يس ثم لقنه الشهـادة فكان كلما قال له لااله الاالله يقول لا فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة ورىء من مرضه فاخبره بذلك فقال تصور لى الشيطان وكان يقول لى افلت منى يااحمد فقلت له لاورأيت شابا حسن الصورة يدفع عنى الشيطان فسألته من انت فقال اناسورة يس وذكر الغزالى في كتابه الدرة الفاخرة ان القرآن يأتى يوم القيمة في صفة رجل ويشفع فيشفع والاسلام مثله فيخصم ويخاصم وقد ذكرنا حكاية الاسلام عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في كتاب الاحيا وبعد مخاصمته يتعلق به ماشاءالله فيأوى به الى الجنة وكذا تأتى الدنيا في صورة عجوز شمطاء اقبح مايكون فيقال للناس اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيـا التى كنتم لها تحبون وعليها تحاسدون وفيها تباغضون وكذا تأتى الجمعة كأنهـا عروس تزف احسن ما يكون فتحدق بهـا المؤمنون وتحيط بها كثبان المسك والكافور عليها نور يتعجب منه كل اهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة فانظر رحمك الله وجود القرآن والاسلام والجمعة اشخاصا وذلك في الدنيا لايعقله عين بل هو متحيز الى العالم الملكوتى وعارف حقيقته لايقول بخلق القرآن كما قالت الجهمية الى آخر عبارته وو ردت احاديث في شفاعة القرآن يوم القيمة فمن ذلك ماذكره النووى رحمه الله تعالى في رياض الصالحين عن ابى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمـة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالقرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وال عمران تحاجان عن صاحبهما رواه مسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك رواه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن وفى رواية ابى داود تشفع (وماحل) اى القرآن يعنى خصما مجادلا وقيل معناه ساع من قولهم محل بفلان اذاسعى به الى السلطان قال في القاموس محل به مثلثة الحـاء محـلا ومحالا قاده بسعاية الى السلطان وما حله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين ايهما

اشد (مصدق) بصيغة اسم المفعول والمعنى ان القرآن خصم يخاصم عن قارئه العامل به يوم القيامة فيصدقه الحق تعالى فى مخاصمته عنه ومجادلته اوساع بقارئه الغير العامل به الى ربه فيقبل الله تعالى سعايته فيه اوبقارئه العامل به الى الحق تعالى لير فع درجاته فى مقامات القرب لديه ولا يرد الحق تعالى سعايته بل يصدقه فى كل ماسعى به (من جعله امامه) اى قدامه يعنى تابعه واقتدى بما فيه من الاحكام والمواعظ واعتبر بقصصه واخباره وتحقق بنصائحه وامثاله (قاده) اى اوصله (الى الجنة ومن جعله خلف) اى وراء (ظهره) وفى رواية أنس مرفوعا خلفه بأن ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه واهمله واشتغل بما تقتضيه طبيعته ويستحسنه عقله من الاعتقاد والقول والعمل كما قال تعالى *نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون* فقيل اراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لايكون الابعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن امانبذهم التوراة فكانوا يقرؤنها ولايعملون بها وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن وقال الواحدى قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعنى علماء اليهود الذين لو اطلعوا على كتمان امر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله كتاب الله وراء ظهورهم يجوز ان يكون المراد بكتاب الله القرآن و يجوز ان يكون المراد به التوراة لان الذين كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم نبذوا التوراة والنبذ الطرح ويقال لكل من استخف بشئ ولم يعمل به نبذه وراء ظهره وقيل هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقيل ادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقوله كأنهم لايعلمون اعلم الله تعالى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم مايفعلون حتى كأنهم لايعلمون مايستحقونه من العذاب انتهى وهذه عبرة عظيمة فى المؤمنين بالقرآن اذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ولم يتحققوا بقصصه واخباره وادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون احلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فانهم عاملون حينئذ نظير عمل اهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم هذه المقالة المذكورة (ساقه الى النار) اى اوصله اليها واستعمل فى الاول القود لانه تسيير الدابة بجذب عنانها من قدامها ومن جعل القرآن امامه فقد جذبه القرآن الى الجنة من قدامه بعنان الطاعة واستعمل السوق فى الثانى لان السوق زجر الدابة من خلفها ومن جعل القرآن خلف ظهره زجره القرآن ودفعه الى النار وفى الكلام اشارة الى انه لابد من التقليد للمكلف فامان يقلد القرآن ويتبع احكامه فينجو واما ان يقلد طبعه وعقله ويجعل القرآن وراء ظهره فيهلك ويفهم من قوله ساقه الى النار ان الاضلال منسوب الى القرآن ايضا فيمن لم يتبعه كالهداية

كما قال تعالى * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * الحديث الثالث (زحك) يعني روى البزار والحاكم باسنادهما (عن سهل بن معاذ رضى الله عنه عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن) لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى اراد قرأه وتلاه وتعلم تفسيره وتأويله لاجل قوله (وعمل به) يعني بمضمون آياته من الاحكام والاسرار مع الاخلاص والخشوع بان صار عالما بالقرآن عاملا به على وجه السنة لا البدعة (البس) بضم الهمزة اى البس الله تعالى (والداه) اذا ماتا مؤمنين او احدهما اذا مات كذلك (تاجا) وهو الاكليل تقول توجه فتتوج اى البسه التاج فلبسه يقال العمائم تيجان العرب قاله الجوهرى (يوم القيامة) يحتمل فى الجنة ويحتمل قبل دخولها وهما فى المحشر اكرامالهما حيث انتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه بانفسهما او بمالهما او باعانتهما له ولو بالدعاء قال تعالى * يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم * يعني من الشرك والكفر فمن اتى الله بقلب سليم من الشرك والكفر ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد فى هذا الحديث ولهذا شرطنا الايمان فى الوالدين ولو كان فى الحديث ابواه مكان والديه لقلنا بدخول الجد والجدة فى ذلك فانه قد يسمى الجد ابا ولكن لا يسمى والدا كما هو المتبادر (ضوءه) اى ذلك التاج (احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا) من جهة الانارة والاشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع بل بما يظهر عنه فى البيوت من خلف الجدران وفيه كمال البهجة واللطافة (فما ظنكم) يا معشر المؤمنين (بالذى عمل بهذا) يعني بذلك الولد الذى قرأ القرآن وعمل به كما ذكرنا فان له عند الله تعالى جزاء اعظم من ذلك لا يوصف واورد هذا الحديث الاسيوطى فى الاتقان برواية اخرى عن الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة ما من رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيمة بتاج فى الجنة واخرج ابوداود واحمد والحاكم من حديث معاذ بن انس من قرأ القرآن فاكمله وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا وفى قوله فاكمله اشارة الى ان من قرأ بعضه لا ينال هذه الفضيلة لعدم اطلاعه على تمام ما كلف به علما وعملا ويحتمل ان يكون المراد باكماله تصحيح كلماته وتجويده وتقويم معانيه * الحديث الرابع (حك) يعني روى الحاكم باسناده (عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القرآن مأدبة الله) اى ضيافته قال فى القاموس المأدبة والادبة بالضم طعام يصنع لدعوة او عرس ادبه يأدبه دعاه الى طعامه انتهى ووجه كونه مأدبة انه مشتمل على انواع من الاقوات الروحانية والاحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدة للارواح كامداد الطعام للاجسام (فاقبلوا مأدبته) اى ضيافته التى هيأها لكم واستعملوا منها (ما استطعتم) اى مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها (ان هذا القرآن

حبل الله المتين) اى القوى لان له طرفين احدهما بيدالله وهو وجه اطلاقه عن الحروف والاصوات والآخر بايدى العباد وهو وجه تقييده بالحروف والاصوات كما قدمناه و بهذا الاعتبار اطلق عليه حبل فكل من تمسك به جذبه الله تعالى اليه فوصل الى معرفته ورضوانه (والنور المبين) اى الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لما به رضاء الله تعالى ومابه غضبه ولايخفى مابين المتين والمبين من انواع البديع وهو جناس التصحيف (والشفاء النافع) من كل داء فى النفس اوفى الجسد يشفى امراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية ويشفى الامراض البدنية بالتطبب به والرقية القولية والرقية (عصمة) بالكسر اى منع ووقاية وحفظ (لمن تمسك به) فى اعتقاده وقوله وعمله (ونجاة) اى خلاص يقال نجا نجوا ونجاة ونجاية خلص وانجاه الله ونجاه كذا فى القاموس (لمن اتبعه) اى عمل بما فيه من الاوامر والنواهى واتعظ بمواعظه ورغب بترغيبه ورهب بترهيبه وقام بحقوقه عليه قالا وحالا (لايزيغ) اى القرآن قال فى القاموس زاغ مال يزيغ زيغا وزيغانا وزيغوغة والزيغ الشك والجور عن الحق اه والمعنى انه لايميل عن الحق ولا يعدل عنه لانه حق من حق (فيستعتب) استعتبه اعطاه العتبى والعتبى الرضاء كاعتبه واستعتبه طلب اليه العتبى ضده كذا فى القاموس والمناسب هنا المعنى الثانى وهو طلب العتبى لا عطاؤها يعنى ان القرآن العظيم لايجور عن الحق باحد اتبعه ولايميل عنه حتى يطلب الرضاء من احد بازالة ذلك الجور منه والميل عن الحق (ولايعوج) عوج كفرح والاسم عوج كعنب ويقال فى كل منتصب كالحائط والعصا فيه عوج محركة و فى نحو الارض والدين كعنب وقد اعوج اعوجاجا وعوجته فتعوج كذا فى القاموس يعنى ان القرآن العظيم *لايدخل فيه عوج لانه صراط الله المستقيم كما قال تعالى* قرآنا عربيا غير ذى عوج* قال البيضاوى لااختلال فيه بوجه ما وقال الخازن اى منزها عن التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق و يروى ذلك عن مالك بن انس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق اه فكونه ليس بمخلوق ظاهر وكونه ليس بخالق لانه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة بل هو صفته سبحانه فالله تعالى هو الخالق به لانه كلامه القديم وامره العظيم كما قال تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فيقوم) اى يزال عوجه يقال قومته ازلت عوجه وقومته عدلته والقرآن العظيم غنى عن التقويم والتعديل قال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ولاتنقضى) اى لاتفرغ قال فى القاموس تقضى فنى وانصرم كانقضى (عجائبه) جمع عجيب يقال تعجبت منه واستعجبت منه كعجبت منه يعنى مافيه من الامور العجيبة لاتفرغ ولاتفنى ولاتنصرم وتنكشف منه المعانى الشريفة على مر الازمان لقلوب اهل المعرفة والايمان وتجلى لهم خبايا الاسرار وخفايا الانوار شيئا فشيئا من غير

فراغ ولا نقصان قال تعالى * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا * قال الواحدى قال ابن عباس يريد ان كلماته اعظم من ان يكون لها امد وكلام القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز ان يكون لكلامه نهاية ومنتهى كما ليس له غاية وحد فاوصاف ذاته غير محدودة وهذا رد على اليهود حين ادعوا انهم اوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم اى شئ الذى اوتيتم فى علم الله وكلماته التى لا تنفد لو كتبت بماء البحر وقال الخازن المعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة وقال تعالى * ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله * قال البيضاوى والبحر المحيط بشعبه مداد ممدودا بسبعة ابحر ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد (ولا يخلق) اى لا يبلى يقال خلق الثوب كنفر وكرم وسمع خلوقة وخلقا محركة بلى كذا فى القاموس وهذا وصف على طريق الاستعارة بتشبيه الفاظ القرآن بالثوب الذى لا يبلى بل هو مستمر على هيئته الابتدائية لا يطرأ عليها ما يخرجها عن اطلاق اسم الجديد الى العتيق البعيد من قولهم ثوب خلق اى بال وهو من باب علم يعلم كذا فى فتح الصفاء لابن اقبرس (من كثرة الترد د) اى تكرار تلاوته يعنى ان قارئه لا يمل منه ولا يسأم على ممر الزمان كما اشار اليه ابن اقبرس ويحتمل ان يكون معناه انه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل مع كثرة من يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والاعراب والاعجام فان الله تعالى حافظه من ذلك ومقيض له من يرد الخطأ فى تلاوته وفى معناه الى ان يرفعه الله تعالى اليه حتى ورد فى الحديث كما اخرجه السيوطى فى الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأ القارئ فأخطأ اولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما انزل قال الشارح المناوى رحمه الله تعالى وفيه ان القارئ يكتب له ثواب قراءته وان اخطأ اولحن لكن محله اذا لم يتعمد ولم يقصر فى التعلم والافلا يؤجر بل يوزر اهاما اشتراط انه لم يتعمد فظاهر لان المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه فى الغالب ان يتعمد اللحن فيه والتحريف ولكن يقع منه ذلك جهلا لاسيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطأ والخطأ لا يكون عمدا غايته انه قد يكون مقصرا فى التعلم مع مطاوعة لسانه للتصحيح فيأثم واما اذا كان لسانه ثقيلا فى النطق لا يطاوعه ولم يستطع اتقان ذلك فهو معذور مأجور على قراءته وان اخطأ وان لحن كما هو صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة الا صحيحا كما انزل فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطأ واللحن فيه صحيحا (اتلوه) امر من التلاوة وهى القراءة وتستحب فى غير الصلاة من المصحف اومن الحفظ عن ظهر القلب والاول افضل لزيادة فضيلة النظر فى المصحف فانه عبادة اخرى غير التلاوة قال الغزالى فى الاحياء قراءة القرآن فى المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف

وحمله فيزيد الاجر بسببه وقيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر فى المصحف ايضا عبادة وقد خرق اى قطع عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة رضى الله عنهم يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف وقال على رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن (فان الله) تعالى (يأجركم) من الاجر وهو الجزاء على العمل وجمعه اجور وآجار اجره يأجره ويأجره جزاه كذا فى القاموس (على تلاوة) اى قراءة (كل حرف) من حروف القرآن وهى حروف التهجى ويطلق الحرف على الكلمة ايضا قال فى شرح الدرر واما تعليمه يعنى الجنب القرآن حرفا حرفا فلا بأس به اتفاقا قال والدى رحمه الله تعالى يعنى كلمة كلمة كما فسره به الحلبى فى شرح المنية ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما يأتى (عشر حسنات اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم قال الجوهرى هى تحقيق للكلام الذى يتلوه تقول اما ان زيدا عاقل اعنى انه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول اما والله لقد ضرب زيد عمرا (انى لا اقول) كلمة (الم حرف) واحد (ولكن) اقول (الف) منه (حرف) مستقل اى اسم لمسمى ذلك المسمى حرف (ولام حرف) مستقل ايضا (وميم حرف) كذلك وكل حرف بعشر حسنات فقارئ الم له ثلاثون حسنة وان اعتبرنا بسط حروف الف لام ميم فجملة ذلك تسعون حسنة * وجعل هذا الحديث فى كتاب الاحياء للغزالى موقوفا على حديث ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال قال ابن مسعود رضى الله عنه اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن اقول الالف حرف واللام حرف والميم حرف ووصله النووى فى رياض الصالحين حيث قال وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذى وقال حسن صحيح * الحديث الخامس (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن الحارث بن اعور رضى الله عنه انه قال مررت بالمسجد) لعله مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة (فاذا الناس) اى الصحابة الموجودون هناك حينئذ (يخوضون فى الاحاديث) قال فى القاموس خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله وكنا نخوض مع الخائضين اى فى الباطل وتخاوضوا فى الحديث تفاوضوا اه والمراد انهم كانوا يتفاوضون فى احاديث الدنيا (فدخلت على على رضى الله عنه فاخبرته) بما وجدت فى المسجد من ذلك (فقال) على رضى الله عنه (اوقد فعلوها) يعنى هذه الفعلة على وجه الانكار لذلك حيث لم يعهده فى السنة النبوية (قلت نعم) يعنى فعلوها (قال) على رضى الله عنه (اما) بالتخفيف كما سبق (انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا) بالفتح والتخفيف تدل على تحقيق ما بعدها قال فى المغنى ويقول

المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وافادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر ذكره الاسيوطي في الاتقان (انها) يعني هذه الفعلة المذكورة وهي كلام الدنيا في المساجد كأنها معلومة عند علي رضي الله عنه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال او قد فعلوها على طريقة الاستفهام ويحتمل ان يكون الضمير المؤنث للقصة نظير ضمير الشان في المذكر قال السيوطي في الاتقان قال ابن هشام متى امكن الحمل على غير ضمير الشان فلا ينبغي ان يحمل عليه ومن امثلة ضمير الشان والقصة قل هو الله احد فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا فانها لا تعمى الابصار وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بان يذكر اولا مبهما ثم يفسر (ستكون) اي توجد (فتنة) وهي بالكسر الخبرة فتنه يفتنه فتنا وفتونا وافتنه والضلال والاثم والفضيحة والاضلال واختلاف الناس في الآراء كذا في القاموس وهذه المعاني الستة مناسبة هنا (قلت) يعني قال علي رضي الله عنه (فما المخرج منها يا رسول الله) اي ما موضع الخروج بالسلامة من تلك الفتنة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم المخرج منها (كتاب الله) تعالى اي التمسك به وترك الآراء العقلية فان فيه بيان حكم هذه المسئلة كما قال تعالى *في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه * قال ابو محمد الخازن المراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا اي المكروه من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه اه ففي كتاب الله بيان حكم كل شئ حتى المسئلة المذكورة في التكلم في المساجد بكلام اهل الدنيا وفيه المعافاة من كل داء والسلامة من كل فتنة وكل محنة ظاهرا وباطنا (فيه) اي في كتاب الله (نبأ) اي خبر (ما) اي الذين (قبلكم) وقد يستعمل موضعها من فهما سواء في الاطلاق على من يعقل كما بينته في كتاب خمرة الالحان ورنة الالحان (وخبر ما بعدكم) يعني علوم الاولين والآخرين وهي قصص الامم الماضية وحديث هذه الامة الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) في الدنيا من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد وفي الآخرة من ثواب وعقاب وعتاب وسؤال وحساب وخلود في نعيم او في عذاب اليم (هو) يعني كتاب الله (الفصل) اي الحق من القول او القضاء بين الحق والباطل كذا في القاموس وضمير الفصل للحصر اي لا فصل غيره كما قال *هو الحق

مصدقا (ليس) هو (بالهزل) اى لم ينزل باللعب فهو جد ليس بالهزل قاله الواحدى وقال العز بن عبدالسلام بالهزل باللعب اوالعبث اوالباطل اوالكذب وقال ابن اقبرس قوله هوالفصل ليس بالهزل اشارة الى قوله تعالى *انه لقول فصل وماهو بالهزل (من تركه) اى لم يعمل به ولم يقف عند حلاله وحرامه ولم يتعظ بمواعظه فيرغب فى ترغيبه و يرهب من ترهيبه وينتصح بنصائحه (من جبار) بيان لمن تركه اذالتارك له لايكون الاجبارا وهوكل عات والعظيم القوى الطويل و قلب لا تدخله الرحمة والقتال فى غيرحق كذافى القاموس وهذه المعانى الاربعة مناسبة هنا (قصمه الله) تعالى قال فى القاموس قصمه يقصمه كسره وابانه اوكسره وان لم يبن فانقصم وتقضم ورجع من حيث جاءه والمعنى اهلكه الله تعالى ودمره فى كل امر شرع فيه لكونه ترك الاقتداء والاتباع لكتاب الله تعالى وتبع رأيه وعقله (ومن ابتغى) اى طلب يقال بغيته ابغيه طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته كذا فى القاموس (الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما ارشده كما فى القاموس فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى* واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى دللناهم وقوله* وانك لتهدى الى صراط مستقيم* اى تدل و بمعنى الايصال الى الحق كقوله* من يهدى الله فهوالمهتدى وقوله * انك لا تهدى من احببت اى لاتوصل وان دللت والهدى هنا بمعنى الايصال الى الحق (فى غيره) اى فى غير كتاب الله تعالى واما السنة والاجماع والقياس التابع لذلك فهى من الكتاب ايضا بدليل قوله تعالى* وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقوله* ولا تفرقوا وقوله ولاتنازعوا وقوله كونوا قوامين بالقسط وقوله فاعتبروا يااولى الابصار فان الاعتبار هوالقياس كما ان النهى عن التفرق والتنازع يقتضى الحث على الاجماع وذكر الخازن فى تفسير قوله تعالى* ومن يشاقق الرسول الآية قال روى ان الشافعى رحمه الله تعالى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله* ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين مفارقة الجماعة وهو حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة وذكره البيضاوى ايضا فى تفسير الآية المذكورة (اضله الله) تعالى من الضلال وهو ضد الهدى اذ ما بعد كتاب الله تعالى هدى لمهتد وكل ماخالف كتاب الله تعالى فهو باطل (وهو) اى كتاب الله تعالى (حبل الله المتين) الذى دلاه من حضرته الغيبية الذاتية الى حضرته الفعلية فنزل الى افهام المخلوقين بمعانى وحروف وكلمات فقرؤه وعملوا به على حسب توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك (وهو الذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل وهو القرآن لانه حاكم

يستفاد منه جميع الاحكام قاله الخازن وقال البيضاوى الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه وقال الواحدى الحكيم يعنى الحاكم اى المانع من الفساد وكل مايقبح (وهو الصراط المستقيم) اصله سراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقدتشم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث والمستقيم السوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام ذكره البيضاوى (وهو الذى لايزيغ) اى لايميل عن الحق (به) اى بسببه (الاهواء) جمع هوى وهو ارادة النفس يعنى ارادات النفوس واهواءها من جميع الخلق لاتزيغ بسبب اتباعه والاقتداء بمافيه عن الطريق الحق وقال ابن اقبرس الزيغ الخروج عن الشئ والحيد عنه يقال زاغ عن الحق اى خرج عنه ومنه قوله تعالى *ربنا لاتزغ قلوبنا يعنى عن الهداية لقوله بعد اذهديتنا والاهواء الاغراض النفسانية التى تهوى بصاحبها بالميل الى المهلكات قال الله تعالى* ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه اى مال مع غرض نفسه تابعا اياه والفرق بين الهوى المقصور والممدود ظاهر وقدافرد له ابن دريد مصنفا مشهورا والمعنى ان القرآن اذا تمكنت فى القلوب معرفة معانيه واصوله الاعتقادية فلايطرأ عنها شبهة تورث زيغا وذلك بتوفيق الله تعالى (ولاتلتبس به الالسنة) هذا فى غاية الظهور لان الله تعالى ميز هذا اللسان العربى عن سائر الالسن ومكن الاسماع من حال هذا التمييز كل التمكن فامن اللبس فيه مثل عين الشمس قاله ابن اقبرس وفى القاموس لبس عليه الامر يلبسه خلطه * والبسه غطاه وامر ملبس وملتبس مشتبه والتلبيس التخليط والتدليس والالسنة جمع لسان وهو اللغة والمعنى ان هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لاتلتبس معانيه وحكمه واحكامه وكونه حقا من حق وكونه معجزا للبشر على احد مطلقا واهل جميع اللغات التى للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وان لم يكن على لغتهم ولاجاء بلسانهم (ولايشبع منه العلماء) قال ابن اقبرس لانه بحر المعانى فكل ظمآن يطلب ريه منه اه فقدعدل فيه عن معنى الاكل الى معنى الشرب والمراد ان به غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحانى لان المراد به مجرد تبريد غلة العطش والمراد بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به عمن سواه وهم اهل الخشية قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء* قال الشيخ جمال الدين خليفة فى حاشيته على تفسير البيضاوى اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموا انه كما اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيمة ولايبالى ومايقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولاتدل على ان كل عالم فيه

خشية مدفوع بان مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفي الكشاف في سورة النازعات لان الخشية لاتكون الا بالمعرفة قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام * من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل * الادلاج السير اول الليل وفي الحاشية المذكورة عند قوله تعالى * وهم من خشيته مشفقون فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم (ولا يخلق) اى هو ثوب يعني ان القرآن شبه ثوب هو جديد يلبسه المؤمن به فيغشيه بنوره فيخلق المؤمن به ويبلى وينتقل في اطوار خلقته والقرآن جديد لا يخلق بل هو على ماهو عليه لانه كلام الله تعالى القديم والقديم لايتغير والمؤمنون به كلهم حادثون والحادث متغير في كل حال (على كثرة الترداد) بتكرار التلاوة له والايمان به والاحتفاظ على الكمال بلردية انواره والتلفف بادرعة حقائقه واسراره (ولا تنقضي) اى لاتفرغ ولاتتم (عجائبه) جمع عجيبة او عجيب على ارادة النوع ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشئ لكونه امرا مستغربا فان قلت ذلك معنى قائم بالمتعجب والاعراض تزول بزوال محالها فما معنى كونه لاتنقضي عجائبه ولابد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف قلت ان اعتبر ذلك وصفا قائما بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى وان اعتبر وصفا قائما بصورة نظمه من الالفاظ والاصوات والحروف فيكون ذلك على قصد المبالغة في بقائه دائما الى حين انقراض الخلق وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها كذا إشار اليه ابن اقبرس (هو الذي لم تنته الجن) وهم جنس من الخلق سموا بذلك لاجتنانهم اى استتارهم عن الاعين والنسبة اليهم جني بالكسر والجنة بالكسر طائفة منهم قال الخازن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جم منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها حرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونها حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولايمتنع في بعض الاجسام الهوائية اللطيفة ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة شاقة تعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل

ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه (اذ) اى حين (سمعته) اى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخازن اختلفت الرواية هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا و بين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الامن نبى قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى الى آخره واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة و من كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره وروى الواحدى فى تفسيره باسناده الى علقمة ابن قيس قال قلت لعبدالله من كان منكم مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ماكان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اواستطير فانطلقنا نطلبه فى الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يارسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال انه اتانى داعى الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما ان يكون صحبه منا احد فلم يصحبه وقال الخازن فى تفسير قوله تعالى * واذصرفنا اليك نفرا من الجن * قال جماعة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن وهم من اهلى بينواى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى امرت ان اقرأ على الجن فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا فتبعه عبدالله بن مسعود بعدالثالثة قال عبدالله ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا اتى على مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى ان اجلس فيه ولااخرج حتى يعود الى فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى مثال

السور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لى نمت فقلت لا والله يارسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله ومايغنى ذلك عنهم فقال انهم لايجدون عظما الاوجدوا عليه لحمه يوم اكل ولاروثة الاوجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدرت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق واختلفوا فى عدد اولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى انه كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة اصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون وسئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (حتى قالوا) يعنى الجن الذين استمعوا القرآن (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس بليغا والمعنى قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته قاله الواحدى وقال البيضاوى عجبا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب من التوحيد والايمان (فامنابه) بذلك القرآن ذكره الواحدى (فمن قال به) اى بكتاب الله تعالى يعنى تكلم بما تضمنه من الاحكام والحكم والاسرار والقصص والمواعظ اومن اعتمد عليه فى جميع احواله الظاهرة والباطنة (صدق) فى كل مايقول وفى جميع اعماله وافعاله (ومن عمل به) اى بمقتضى مافيه من الامر والنهى (اجر) بالبناء للمفعول اى اثيب يعنى يكتب الله تعالى له الاجر والثواب ولايضيع الله تعالى له عملا ابدا بل يضاعفه له اضعافا كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل برأى نفسه ومقتضى عقله فان عمله مردود عليه يستحق العقاب عليه والعذاب (ومن حكم) على نفسه اوعلى غيره (به) اى بما جاء فى القرآن من احكام النفس والغير فى الظاهر والباطن (عدل) فى حكمه اى وافق العدل

قال فى القاموس العدل ضد الجور وما قام فى النفس من انه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل (ومن دعا اليه) اى ساق قال فى القاموس دعاه ساقه والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله ويطلق على المؤذن اه يعنى من دعى غيره من الخلق الى اتباع القرآن والدخول تحت احكامه والانعاظ بمواعظه والاعتبار بقصصه وامثاله ومعلوم انه قبل ذلك قد دعا نفسه (هدى) بالبناء للمفعول اى هداه الله تعالى يعنى اوصله (الى صراط) اى طريق (مستقيم) استقام اعتدل وقومته عدلته وهو قويم ومستقيم كذا فى القاموس وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى * ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم * قال الواحدى ومن يعتصم بالله اى يستمسك بحبل الله ويمتنع به فقد هدى الى صراط مستقيم يعنى الاسلام وقال الخازن اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة * الحديث السادس (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى حجة الوداع) وهى خطبة عرفة قال القرطبى فى شرح مسلم فلما كانت سنة عشر يعنى من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته المسماة بحجة الوداع (قال) فى اثناء خطبته (ان الشيطان) اى جنسه وهو شيطان كل انسان (قد يئس ان يعبد) بالبنا للمفعول اى يعبده احد منكم (بارضكم) وذلك ببركة الايمان بالله تعالى وعبادة الشيطان هى عبادة الاصنام لانه ورد ان الشيطان كان يكلمهم من داخل الاصنام فيسجدوا له وبعد ظهور الاسلام ايس الشيطان من اهل الاسلام ان يعبدوا الاصنام كما كانوا فى الجاهلية يعبدونها ويؤيده ما فى صحيح مسلم من انه عليه السلام قال فى خطبة الحج الا كل شئ من امور الجاهلية تحت قدمى موضوع فقال القرطبى فى شرحه يعنى به الامور التى احدثوها والشرائع التى كانوا شرعوها فى الحج وغيره وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد (ولكن رضى) اى الشيطان منكم (ان يطاع) اى ان تطيعوه اذا امركم (فيما سوى ذلك) يعنى فى غير عبادة الاصنام التى هى عبادته وذلك (فيما تحتقرون) اى فى الامور التى تحتقرونها (من اعمالكم) ولا تعدونها امرا كبيرا كقوله تعالى فى قصة الافك * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * قال البيضاوى اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فاحذروا ان تطيعوه فى ذلك او احذروا ان تحتقروا شيئا من اعمالكم فان احتقار المعصية يوجب عظمها عند الله تعالى حتى ذهب بعضهم فى الفرق بين الصغيرة والكبيرة الى ان الانسان اذا استصغر الذنب فهو كبيرة واذا استكبره فهو صغيرة كما بينته فى كتاب المطالب الوفية (انى قد تركت) اى ابقيت (فيكم) اى فيما بينكم وعندكم (ما) اى شئ عظيم (ان اعتصمتم) اى تمسكتم به فى جميع اموركم (. فلن تضلوا)

اى لاتقعون فى الضلال مادمتم متمسكين بذلك (ابدا) وهو (كتاب الله) تعالى (وسنة نبيه.) صلى الله عليه وسلم وهما شيئان فى الظاهر وشئ واحد فى حقيقة الامر لان الكل وحى قال الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير الاحاديث القدسية تفارق القرآن بانه اللفظ المنزل للاعجاز بشئ منه والحديث القدسى اخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بالهمام اومنام فاخبر عنه بعبارة نفسه وبقية الاحاديث لم يضفها اليه ولم يروها فالقرآن اشرف الكل فالقدسى لانه نص الهى فى الدرجة الثانية وان كان بغير واسطة ملك غالبا لان المنظور اليه معناه دون لفظه وفى التنزيل اللفظ والمعنى معا ذكره الطيبى اه وقال القسطلانى فى المواهب اللدنية فى الكلام على قوله تعالى * والنجم اذاهوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى * تأمل كيف قال تعالى ماضل صاحبكم ولم يقل ماضل محمد تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولاغى ولاضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقدنبه تعالى على هذا المعنى بقوله عزوجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذالم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفى الامرين نطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لاالغى والضلال ثم قال تعالى ان هو الاوحى يوحى فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اى ما نطقه الاوحى يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كلاهما وحى يوحى قال الله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة * وهما القرآن والسنة وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه * الحديث السابع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن على رضى الله عنه قال) يعنى عليا رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن) اى تلاه اوتعلم تلاوته (واستظهره) اى حفظه عن ظهر قلبه قال فى القاموس استظهر به استعان من ظهر القلب اى حفظا بلاكتاب وقرأه ظاهرا واستظهره واظهرت على القرآن واظهرته قرأته على ظهر لسانى اه وحفظ القرآن كله عن ظهر القلب فرض كفاية قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام معزيا الى المضمرات حفظ قدر مايجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ الفاتحة وسورة واجب واما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية اه وفى لفظ استظهر الواقع فى الحديث من الادب ماليس فى قولهم حفظ ولهذا نقل الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه ابى جعفر العربى رضى الله عنه انه دخل عليه رجل

معدابنه قال الشيخ الاكبروانا الى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قدذهب بصره فقال له الرجل ياسيدنا ابنى هذا من حملة القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال القديم يحمله المحدث القرآن يحمل ابنك ويحملنا و يحفظ ابنك و يحفظنا فهذا كان من حضوره رضى الله عنه (فاحل) الفاء للسببية اذقرائته واستظهاره سبب لذلك (حلاله) اى حلال القرآن يعنى اتخذ الاحكام الحلال التى فيه حلالا ولم يحرم شيئا منها ظاهرا و باطنا (وحرم حرامه) اى اتخذ جميع مافيه من الاحكام الحرام ايضا حراما ولم يحلل شيئا منها والمراد انه اعتقد ذلك وعمل عليه كذلك واما اذا اعتقده ولم يعمل به بان ترك الحلال وفعل الحرام فهو فاسق وان لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حراما فهو كافر كما سيأتى بيانه (ادخله الله تعالى به) اى بسببه يعنى بسبب القرآن الذى قرأه واستظهره (الجنة) مع السابقين الاولين ان مات على ذلك وان شقى قبل موته لم ينفعه ذلك وهو محتمل فلا يترك لاجل احتماله ماهو الا صل المحقق وهو بقاء ماكان على ماكان (وشفعه) بالتشديد اى قبل الله تعالى شفاعته (فى عشرة) اشخاص (من اهل بيته) ذكورا كانوا اواناثا وهم سكان بيته ابناؤه واباؤه وازواجه وكل من اتصل به لا من قبل آبائه كما ذكره الفقهاء فى كتاب الوقف لوقال اوقفت على اهل بيتى يدخل فيه ابوالواقف وولده من الصلب وكل من اتصل به من قبل آبائه الى اقرب اب فى الاسلام ومن قبل اولاده الذكور ولا يدخل قوم الام لان الانسان يعد من قوم الاب لا من قوم الام واختلف فى اولاد البنات كما حررته فى شرحى على عمدة الحكام (كلهم) اى العشرة المذكورين على طريقة التغليب بضمير المذكر (قدوجبت له) اى لكل واحد منهم (النار) اى دخولها والتعذيب بها يعنى استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلاتوبة على وجه التطهير لاالتكفير لان الكافرين لاتنفعهم شفاعة الشافعين (النوع الثانى) من النوعين اللذين اشتمل عليهما الفصل الاول (فى) بيان (الاعتصام) اى التمسك (بالسنة) اى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قوله وفعله وسكوته كما مر والدليل على ذلك (الآيات) القرآنية وهى سبع عشرة آية من سور شتى تذكر على الترتيب * الآية الاولى من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (قل) يامحمد لليهود والنصارى الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اولقريش وهم فى المسجد الحرام وقدنصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبالله وتعظيماله فانزل الله تعالى هذه الآية كذا فى تفسير الخازن (ان كنتم

تحبون الله) فيما تزعمون وتعبدون الاصنام لتقربكم الى الله (فاتبعونى يحببكم الله)
فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم قاله الواحدى وقال الخازن
لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على
كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله منقادين لاوامره
ومطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله وطاعته وقال البيضاوى المحبة ميل النفس
الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على مايقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيق
ليس الا لله وان كل مايراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله و بالله والى الله لم يكن حبه
الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته
وقال القسطلانى فى مواهبه اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هى المنزلة التى
يتنافس فيها المتنافسون واليها تشخص العاملون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح
وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده
ففى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم
يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال
التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلد لم
يكونوا بالغيه الابشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا واصليها
وتبوءهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهى داخليها وقد قدر الله
تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها نعمة
على المحبين سابغة لقد سبق القوم الى السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا
الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون وقد اختلفوا فى المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست
فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هى اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمرتها دون
حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التى
لاتحد وانما يعرفها من قامت به وجدا نالايمكن التعبير عنه وهذه بعض رسوم وحدود
قيلت فى المحبة بحسب آثارها وشواهدها فمنها موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وهذا
موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وهذا من احكام الفناء
فى المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى فى صفات محبوبه وذاته ومنها استقلال الكثير
من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لابى يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها
وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع مايقدر عليه لاستقله واستحيى منه
ولونال من محبوبه ايسر شئ لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك
واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها
معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبدالله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها

ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شئ وهو اسيدنا ابى عبدالله القريشى وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا فى مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتأخذه منه له ومنها ان تمحو عن القلب ماسوى المحبوب وكمال المحبة يقتضى ذلك ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلى ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحبوب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف ومنها سفر القلب فى طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل اليها يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهى التى لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه بادراكه بحاسة او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم فى الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة اومرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة اومضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم من لا يفنى ولا يحول وهو الله سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام فى هذا المقام (ويغفر لكم ذنوبكم) فيحببكم ويغفر لكم جواب الامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة اوالمقابلة قاله البيضاوى (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه * الاية الثانية من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (قل) يا محمد ولما نزلت الآية الا ولى قال عبدالله بن ابى بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله تعالى هذه الآية (اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه اونهى عنه وقال ابن عباس معناه فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن

اقبل منكم قاله الخازن (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر به من هذه الحيثية بنفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوى وقال الخازن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى * الآية الثالثة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قاله الخازن وقال البيضاوى لعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله * الآية الرابعة من سورة ال عمران ايضا وهى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لا يكون الا لله تعالى وقال البيضاوى انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم من انفسهم نسبه وليس حى من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بنى تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب قاله الخازن وقال البيضاوى من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقال الخازن وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله من انفسهم اى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان اقرب الى تصديقه [illegible] وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان [illegible] ابو طالب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد وعنده [illegible] بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم [illegible] ومعدن معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه [illegible]

مجبوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبدالله لايوزن به فتى الارجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى السماوى (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ذكره الخازن وقال البيضاوى ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قاله الخازن وقال البيضاوى يعنى القرآن والسنة ولم يقل التى سنها على لسان نبيه لقصد تعميمها حتى تشمل الفعل والسكوت (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عما لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ذكره الخازن * الآية الخامسة من سورة النساء * وهى قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل يعنى فى الآية قبله وهى قوله تعالى * واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل * تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى * ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * ذكره البيضاوى وقال الواحدى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اتباع الكتاب والسنة واولى الامر منكم قال ابن عباس فى رواية الوالبى هم الفقهاء والعلماء اهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم اوجب الله طاعتهم وقال فى رواية عطاء هم الولاة وقيل هم الامراء والسلاطين لما امرهم باداء الامانة فى الرعية بقوله تعالى * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها * الآية امرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق قال النبى صلى الله عليه وسلم الا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره مايأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة الله رواه مسلم وقال الخازن عن ابن عباس قال نزلت الآية فى عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وفيها عمار بن ياسر فهربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد

تجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واصل الطاعة الانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى اولى الامر منكم الذين اوجب الله تعالى طاعتهم قال ابن عباس وجابرهم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب رضى الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وعن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب اوكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة مااقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر رضى الله عنهما لما روى عن حذيفة قال قال رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة رضى الله عنهم لما روى عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة * وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زل عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق اه ويؤيد هذا ما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسند العشرة قال فى مسند على رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى ابى حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن سعد ابن عبيده عن ابى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا قال وجد عليهم فى شئ قال فقال لهم اليس قد امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعونى قالوا بلى قال فقال اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فاضرمها فيه ثم قال قد عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم بدخولها قال فقال لهم شاب منهم انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار

فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة في المعروف اه وقال شيخي زاده في حاشيته على البيضاوي عند قوله تعالى *وعلم آدم الاسماء كلها* المراد من اولي الامر العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس وقال الشيخ العيني رحمه الله تعالى في شرح الكنز قوله وللشاب العالم ان يتقدم على الشيخ الجاهل في مسائل شتى آخر الكنز لانه افضل منه قال الله تعالى *قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون* ولهذا يقدم في الصلاة وهي احد اركان الاسلام وهي تالية الايمان وقال تعالى *اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم* والمراد باولي الامر العلماء في اصح الاقوال والمطاع شرعا مقدم وكيف لا يقدمون والعلماء ورثة الانبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (في شيء) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعني من ان المراد باولي الامر الامراء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات قاله البيضاوي وقال الخازن تنازعتم يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اي رد واذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم وقال البيضاوي فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا لقياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى كتابه وسنته دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس وقال الواحدي روى عن عمر بن ميمون عن ابيه قال قال مسلمة بن عبد الملك البس قد امرتم بطاعتنا يعني اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال قلت ان الله انتزعه منكم اذا خالفتم الحق قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال فاين الله قلت الكتاب قال فاين الرسول قلت السنة والمعنى فان تنازعتم في شيء انتم وامراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه الى كتاب الله وسنة رسوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون

بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لايكون مؤمنابالله واليوم الآخر قاله الخازن (ذلك) اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وترككم التجادل (خيرواحسن تأويلا) اى احمد عاقبة والعاقبة تسمى تأويلا لانهامآل الامر يقال الى هذامآل الامر ومآله اى عاقبته قاله الواحدى وقال الخازن وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا اه وفى هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين فى الآيات المتشابهات وان تسليمها الى الله احسن واعظم اجراعنده *الآية السادسة* من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (فلا) اى ليس الامر كمازعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لايؤمنون) وهذا قول بعضهم ان الآية نازلة فى قصة اليهودى والمنافق اللذين اختصما وهى متصلة بما قبلها والذى قبلها قوله تعالى * الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك *الآية قال المفسرون وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين فقال اليهودى بينى وبينك ابو القاسم يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وعلم انه لايقبل الرشوة وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه يأخذ الرشوة ويميل فى الحكم فاختلفا ثم اتفقا ان يأتيا كاهنا من جهينة فتحاكما اليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون وقال آخرون هذه مستأنفة نازلة فى قصة اخرى وهى مااخبرنا ان الزبير خاصم رجلا من الانصار الى النبي صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى فقال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير برأى اراد فيه سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب بن ابى بلتعة فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ويتهمونه فى القضاء والله لقد اذنبنا مرة فى حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقتلوا انفسكم ففعلنا فقتل سبعون الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس والله لوامرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت فانزل الله فى شأن حاطب وليه شدقه فلاوربك لايؤمنون الآية قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الآية انزلت الا فى ذلك والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة الى الوادى ذكره الواحدى والخازن (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) اى اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه قاله البيضاوى

يقال شاجره فى الامر اذا نازعه مشاجرة وتشاجروا تشاجرا واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض عند المنازعة (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) اى ضيقا مما حكمت به اومن حكمك اوشكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقياد ابظاهرهم وباطنهم ذكره البيضاوى وقال الواحدى يعنى يرضون بقضائك وقيل لا تضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا لما يأتى من حكمك لا يعارضونه بشئ اى لا يتركون الرضاء بحكمك و يتركون التسخط والمنازعة *الاية السابعة* من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين) نزلت الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغيرلونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك قال يارسول الله مابى مرض ولا وجع غيرانى اذالم اركك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم انى اذاذكرت الآخرة اخاف ان لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى وان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا وقيل ان بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الآية ذكره الخازن وقال الواحدى ان ناسا من الانصار قالوا يارسول الله انت تسكن الجنة فى اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت هذه الآية وقيل جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال ومايبكيك يافلان فقال يارسول الله بالله الذى لا اله الاهو لا نت احب الى من نفسى واهلى ومالى وولدى وانى لا ذكرك وانا فى اهلى فيأخذنى مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتى وانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله يعنى فى الفرائض والرسول يعنى فى السنن فاولئك يعنى المطيعين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اى انه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم فلا يتوهمن من اجل انهم فى اعلى عليين انه لايراهم وقال الخازن من يطع الله فى اداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول اى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة من النبيين يعنى ان المطيعين مع النبيين فى الجنة لا يفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لانهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) جمع صديق فعيل وهوالكثير الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق الذى صدق بكل الدين لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى بكر

فانه هوالذى سمى بالصديق من هذه الامة وهوافضل اتباع الرسل قاله الخازن
وقال الواحدى كل من صدق بكل ماامر الله لايداخله شك وصدق الانبياء فهوصديق
وهو قوله تعالى *والذين امنوابالله ورسله اولئك هم الصديقون* وقيل الصديقون اول
من صدق الانبياء حين عاينو هم (والشهداء) يعنى القتلى فى سبيل الله وقال الخازن
هم الذين اشتشهدوايوم احد (والصالحين) جميع صالح وهوالذى استوت سريرته
وعلانيته فى الخيروقيل المراد بالنبيين هنامحمدصلى الله عليه وسلم و بالصديقين ابو بكر
و بالشهداء عمروعثمان وعلى وبالصالحين سائرالصحابة وقال الواحدى والصالحون هم
سائر المسلمين وقال البيضاوى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان
للذين اوحال منه اومن ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لايتأخروا عنهم وهم الانبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم
والعمل والمجاوزون حدالكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقى النظرفى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليه ثم الشهداء الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء
كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعة الله تعالى واموالهم فى مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة
العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب
بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريباوهم الانبياء عليهم السلام اولافيكونون كمن يرى
الشئ من بعدوهم الصديقون والآخرون امان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم
العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بأمارات واقناعات
تطمئن اليهانفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقانصب
على التميز اوالحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل
واحد منهم رفيقا وقال الواحدى وحسن اولئك رفيقا يعنى الانبياء وهؤلاء رفيقا
اى اصحابا ورفقاء هم جمع رفيق وسمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة فى السفر
رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ووحد الرفيق لان الواحد فى التميز ينوب عن الجماعة
نحو قولك هذا اجمل فتى فى المعنى هوا جمل الفتيان *الآية الثامنة من سورة النساء* ايضا
وهى قوله تعالى (من يطع الرسول فقداطاع الله) يريد ان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه
وسلم طاعة الله وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وذكر
الشافعى فى الرسالة فى باب فرض طاعة الرسول هذه الآية وقال كل فريضة فرضها الله
فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنانعرف كيف
نأتيها ولاكان يمكنااداء شئ من العبادات واذاكان الرسول من الشريعة بهذه
المنزلة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ذكره الواحدى وقال البيضاوى لانه

فى الحقيقه مبلغ والآمر هوالله تعالى وقال الخازن سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه فقد اطاع الله فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله لانه هو آمر به *الاية التاسعة* من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه من الشق فان كلا من المخالفين فى شق غير شق الآخر ذكره البيضاوى نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحارث من الانصار سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وماله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق فجحده طعمة فأنزل الله تعالى قوله *انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما* الى آخر الآية ثم حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له ان دين الاسلام وان ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق قاله الواحدى وقال الخازن اى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ذكره البيضاوى وقال الخازن يعنى ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) اى نجعله واليا لمن تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره قاله البيضاوى وقال الخازن اى نكله فى الآخرة الى ما تولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) اى ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الى النار وقال البيضاوى والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما اوالجمع بينهما والثانى باطل اذ يصح ان يقال من شرب الخمر واكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها اولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم * الآية العاشرة * من سورة الاعراف وهى قوله

تعالى (قال عذابي اصيب به من اشاء) يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي أصيب به من اشاء من خلقي وليس على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شئ) يعني ان رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة في الدين والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له فاذا كان يوم القيمة وجبت للمؤمنين خاصة قاله الخازن وقال الواحدي ورحمتي وسعت كل شئ قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه (فسأكتبها للذين يتقون) اي يتركون الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبي) سماه رسولا بالاضافة الى الله وانبيا بالاضافة الى العباد (الامي) الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته قاله البيضاوي وقال الواحدي قال قتادة وابن عيينة في قوله ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدي الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبيكم كان اميا لا يكتب (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) يجدون نعته ونبوته وامره عن الصلصال قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لنا انعادة بن الصامت عليل اضوابنا لنعوده فوثب صلى الله عليه وسلم وامنا واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يعرض ابناله قال اليه فقال يا يهودي هل تجدونى عندكم مكتوبا في التوراة فاومأ اليه اليهودي برأسه يعلمه انهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوبا فقال ابن اليهودي والله يا رسول الله انهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوبا ولقد طلعت وان في يده لسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما رآك ستره عنك فاني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال فخلينا بين اليهودي وبينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا وقال الخازن المراد بالذين يتبعون الرسول جميع امته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل اوغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا

انتزعها اه

لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر عندالله المخبرعنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لايكتب ولايقرأ ولايحسب قال الزجاج فى معنى الامى هو الذى على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لايكتب ولايقرأ ولايحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لانكتب ولانحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات واعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولانقصان منه ولاتغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى * سنقرئك فلاتنسى * وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم دل على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولااشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى امه كأنه لم يخرج بعد عن من ولدته وقيل سمى اميا لانه منسوب الى ام القرى وهى مكة والذين يجدونه مكتوبا عندهم يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن * ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لااله الاالله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا والصخاب الكثير الصياح ويقال بالسين المهملة ايضا (يأمرهم بالمعروف) قال ابن عباس يريد مكارم الاخلاق وصلة الارحام (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاوثان وقطع الارحام ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخصص احدا منهم بعينه على وجه الاغلاظ والتبكيت فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بل كان يلين الكلام لكل واحد بخصوصه طمعا فى ايمانه وقبوله النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم

بلا تخصيص احد فليكن هكذا طريقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الامة المحمدية ولا يبتدعون كيفية سيئة بتخصيص احد بعينه وان ظهر منكره فان ستره متعين كما كان يستر النبي صلى الله عليه وسلم ماهو ابلغ من المعصية وهو الكفر وسنبينه ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب (ويحل لهم الطيبات) يعنى ماكان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى وغيرها (ويحرم عليهم الخبائث) الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدى وقال البيضاوى يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير اوكالربا والرشوة وقال الخازن يأمرهم بالمعروف يعنى بالايمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعنى الشرك وقيل المعروف ماعرف فى الشريعة والسنة والمنكر مالايعرف فى شريعة ولاسنة ويحل لهم الطيبات يعنى بذلك ماكان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو المستلذات التى تستطيبها النفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس اه وهذا القول بان المراد بالخبائث كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس يقتضى ان تكون اللام فى الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف الاصل المقرر عند علماء الاصول من انه متى امكن حمل اللام على العهد لايعدل عنه الى حملها على غيره الااذا تعذر قال فى متن المنار فى اصول الفقه اذادخلت لام المعرفة فيما لايحتمل التعريف بمعنى العهد اوجبت العموم وقال ابن ملك فى شرحه اى عموم الجنس ثم قال لان اللفظ الذى تدخل عليه اللام دال على الماهية بدون اللام فحمل اللام على الفائدة الجديدة اولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة الجديدة اما تعريف العهد او استغراق الجنس فتعريف العهد اولى من الاستغراق لانه اذاذكر بعض افراد الجنس خارجا اوذهنا فحمل اللام على ذلك البعض اولى من حمله على جميع الافراد لان البعض متيقن واذالم يحتمل العهد فالاستغراق متعين وفى شرح مرقاة الاصول اعلم ان الاصل الراجح عند علماء الاصول هو العهد الخارجى لانه حقيقة التعيين وكمال التمييز ثم الاستغراق لان الحكم على نفس الحقيقة بدون اعتبار الافراد قليل الاستعمال جدا والعهد الذهنى موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الاطلاق حيث لاعهد فى الخارج اه وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوى والواحدى كما ذكرنا على القول بان المراد من الخبائث الخبائث المعهودة كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك فمن اثبت به حراما جديدا لم يصب لعدم عمومه حيث تعين لعهد خارجى (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقلهم واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق

الذى اخذ على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج الاصر ماعقدته من عقد ثقيل قال ابن جبير هو شدة العبادة (والاغلال التى كانت عليهم) قال البيضاوى و يخفف عنهم ماكلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقال الخازن يعنى و يضع الاثقال والشدائد التى كانت عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقرض الثوب النجس بالمقراض وتحريم اخذ الدية وترك العمل فى السبت وان صلاتهم لاتجوز الا فى الكنائس ونتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدائد التى كانت على بنى اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لاتمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذى نهيت عنه وكانت هذه الاثقال فى شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله و يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) يعنى وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير الشئ تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) يعنى على اعدائه (واتبعوا النور الذى انزل معه) وهو القرآن سمى نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن وقال البيضاوى النور الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر من مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها و يجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوه اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية * الآية الحادية عشر عقيب هذه الآية من السورة المذكورة وهى قوله تعالى (قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم قاله البيضاوى وقال الخازن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يامحمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففى الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله ياايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عزوجل بان يقول انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس (الذى له ملك السموات والارض) لما امر الله تعالى رسوله ان يقول ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا اردفه بمايدل على صحة دعواه يعنى ان الذى له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذى ارسلنى اليكم وامرنى بان اقول لكم ذلك (لااله الا هو يحيى و يميت) فان من ملك العالم كان هو لااله الا هو لاغيره وفى يحيى و يميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية

قاله البيضاوى وقال الخازن وصف الله تعالى لنفسه بالالوهية وانه لاشريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه وامانتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) امر تعالى جميع خلقه بالايمان به وبرسوله لان الايمان به هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى فقال (النبى الامى) وتقدم معناهما (الذى يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعنى آياته وهى القرآن وقال مجاهد والسدى اراد بكلماته عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ذكره الخازن وقال البيضاوى كلماته ماانزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس اوالقرآن اوعيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه) يعنى واقتدوا به ايها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال اما المتابعة فى الاقوال بان يمتثل التابع جميع مايأمر به المتبوع على طريقة الامر والنهى والترغيب واما المتابعة فى الافعال بان يقتدى به فى جميع افعاله وآدابه الاماخص به صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصائصه فلامتابعة فيه (لعلكم تهتدون) اى ترشدون وتصيبون الحق والصواب فى متابعتكم اياه قاله الخازن وقال البيضاوى جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين يعنى الايمان والاتباع تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه فى التزام شرعه فهو بعد فى الضلالة * الآية الثانية عشر * من سورة الانبياء وهى قوله تعالى (وماارسلناك) اى يامحمد صلى الله عليه وسلم (الارحمة للعالمين) لان مابعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال ذكره البيضاوى وقال الخازن قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال من الحرام وقيل الارحمة للعالمين اى للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة * الآية الثالثة عشر * من سورة النور وهى قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره

دون المؤمنين من خالف عن الامر اذا صدعنه دونه وحذف المفعول لا ن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له حقيقة اوللرسول فانه المقصود بالذكر قاله البيضاوى وقال الخازن اى يعرضون عن امره و ينصرفون عنه بغير اذنه وقال العزبن عبدالسلام وقيل خلافا عن امره اى عن امرالله وعن زائدة اوعن امر النبى صلى الله عليه وسلم وقيل عدى بعن لان معناه يعرضون (ان تصيبهم فتنه) اى لئلا تصيبهم فتنة اى بلاء فى الدنيا ذكره الخازن وقال العزبن عبدالسلام اى محنة فى المال والنفس والولد اوكفر بان يفتنوا عن دينهم اوعقوبة اوزلازل واهوال وتسليط سلطان جائراوطبع القلوب اواظهار مافيها اوفساد فيها اواسباغ النعم استدراجا وقسوة القلب عن معرفة المعروف وانكا ر المنكر و قيـل الفتنة للعوام والبلاء للخواص (او يصيبهم عذاب اليم) اى وجيع فى الآخرة اوهوالقتل قاله العز بن عبدالسلام * الآية الرابعة عشر من سورة الاحزاب * و هى قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) اى قدوة صالحة اى اقتدوا به اقتداء حسنا وهوان تنصروا دين الله تعـالى وتوازروا رسوله ولاتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذقد كسرت ر باعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فصبر وواسكم مع ذلك بنفســه فا فعلوا انتم كذلك ايضـا واستنوا بسنته قاله الخازن وقال البيضاوى اسوة حسنة خصلة حسنة من حقهـا ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاسات الشدائد اوهو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسهــا هذا القدر من الحديد (لمن كان يرجوالله واليوم الآخر) اى ثواب الله اولقائه ونعيم الآخرة وايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هوكقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها ذكره البيضاوى وقال الخازن يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسـلم لمن كا ن يرجوالله قال ابن عباس رضى الله عنهما يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعنى و يخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) اى فى جميع المواطن على السراء والضراء وقال البيضاوى وقرن بار جاء كثرة الذكر المؤدية لملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك *الآية الخامسة عشر من سورة الاحزاب ايضاوهى قوله تعالى (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ذكره الخـازن وقال البيضاوى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقال العزبن عبد السلام شاهدا لوحدانيتنا وقيل شاهدا لنا فلا يرى الاانا (ومبشرا) برحمتنا اوللمحسنين برضانا وقال الخازن اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار وقال العزبن عبدالسلام ونذيرا بنقمتنـا وللعصاة بعقابنا (وداعيا الى الله) اى الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته قاله البيضـا وى

وقال الزجاج الى توحيد الله ومايقرب منه وقال العز بن عبدالسلام وداعيا الى عبادتنا اودا عيا الخلق الى بابنا والى شهادة ان لااله الاالله اوالى الطاعة (باذنه) اى بأمره او بعلمه او بالقرآن المنزل باذنه وقال البيضاوى بتيسيره اطلق له بمعنى الاذن للتيسير من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لايتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) اى وكتابا بينا المعنى ارسلناك شاهدا وذا سراج منير اى وذا كتاب بين وان شئت كان وسراجا منصوبا على معنى داعيا الى الله وتاليا كتابا بينا قاله الزجاج وقال العز بن عبد السلام وسراجا حجة ظاهرة لحضرتنا اوهاديا لهم الى انوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقيل اى ذا سراج اى آتيناك سراجا بعدوقت منيرا اى تاليا كتاب الله المنير وقال البيضاوى منيرا يستضاء به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وقال الخازن سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج مالا يضئ فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت لان نور الشمس لايمكن ان يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة اه وفيه نظر فان نور القمر مأخوذ من نور الشمس وكذلك انوار النجوم على رأى البعض ولايبعد ان يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فان الله تعالى قال وجعلنا الشمس سراجا فيكون سماه شمسا منيرة ولم يؤنث الوصف باعتبار لفظ السراج فانه مذكر *الآية السادسة عشر* من سورة الاحزاب ايضا وهى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا قاله البيضاوى وقال الخازن اى ظفر بالخير العظيم *الآية السابعة عشر* من سورة الحشر وهى قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى من مال الغنيمة قاله الخازن وقال الواحدى من الفئ فخذوه فهو لكم حلال وقال البيضاوى وما اعطاكم من الفئ اومن الامر فخذوه لانه حلال لكم اوفتمسكوا به لانه واجب الطاعة (ومانهاكم عنه فانتهوا) اى من الغلول وغيره وهذا نازل فى اموال الفئ وهو عام فى كل ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول اوعمل من واجب اومندوب اومستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفئ وغيره وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه انه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لا العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فاوجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته

قال الله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ذكره الخازن (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف قاله البيضـاوى وقال الخازن اى على تركهم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه (و) الدليل على الاعتصام بالسنة ايضا (الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عشرون حديثا * الحديث الاول (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن العرباض) بعين مهملة مكسورة وباء موحدة واصله الطويل (ابن سارية رضى الله عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه) الكريم يعنى بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة فى الامام اذا فرغ من صلاته يستقبل القوم بوجهه مالم يكن خلفه مسبوق فيحرف الى يمين القبلة او يسارها (فوعظنا) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب (موعظة) تنكيرها للتعظيم (بليغـة) من البلاغة قال فى القاموس بلغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد ولم يقصر والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة فى علم المعانى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته (ذرفت فيها العيون) اى سال دمعها من البكاء قال فى القاموس ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها (ووجلت) اى خافت وخشيت (منها القلوب فقال رجل) ممن حضر من الصحابة رضى الله عنهم من كثرة ما رأى من اجتهاد النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم فى تلك الموعظـة واهتمامه بهـا وزيادة التخويف والتهويل فيها والتفريع للمخالف لها (يارسول الله كأن هذه الموعظة موعظة مودع) اى رجل مودع قومه يريد ان يرحل عنهم فيعظهم قبل ارتحاله بما يعلم انهم محتاجون اليه بعده غاية الاحتياج ويوصيهم وينصحهم ويخوفهم ويفزعهم ويحذرهم من المخالفة حرصـا عليهم ان يضلوا بعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع الحديث اخرجه الاسيوطى فى الجـامع الصغير يعنى صل صلاة رجل يعلم انه لايعيش حتى يصلى بعدهـا صلاة اخرى والمراد استفراغ الجهد فى اتقان الصلاة بمراعاة حقوقهـا المشروعة لها كلها من غير زيادة ولانقصان وفى الحديث اشارة الى ان الواعظ ينبغى له فى وقت وعظه ان يستفرغ جهده فى نصح الحـاضرين عنده ولايترك فائدة يعلم انهم محتاجون اليها الى مجلس آخر لعدم القطع بالحياة الى المجلس الآخر وانه يجوز له التخويف والتفريع احيانا على مقتضى الحال من غير ان يتكلف ذلك ولايعتاده كما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم فى وقت دون وقت (فاذا تعهد الينـا) اى توصينا به قال فى القاموس العهد الوصية من عهد اليه اوصاه (قال) صلى الله عليه وسلم (اوصيكم) معاشر المؤمنين (بتقوى الله) تعالى اى الاحتراز منه فى الاعتقـاد والقول والعمل والسكوت فلا يعتقد احدكم ولايقول ولايعمل الا مايعلم ان الله تعالى يرضى به ولايسكت الا عما يعلم انه يرضى به تعالى ايضا ويجتنب ما يسخطه تعالى اعتقادا وقولا وعملا ويكره مطلقا

من غير تعيينه في احد مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتأويل والحمل على المحامل الحسنة وفي لفظ التقوى الوارد في الكتاب والسنة اشارة الى ان المتقي هو المحترز من ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال الله تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* فلا يمنع من التقوى وقوع المؤمن في زلة في بعض الاوقات من غير اصرار عليها ولا اهتمام بفعلها ولا يشترط في المتقي ان يكون دائم العصمة كالانبياء عليهم السلام (والسمع) اى لمن يتكلم عليكم من ولاة الأمور بمعنى الامتثال كقوله تعالى* ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون* اى احسينا بالكلام بحاسة آذاننا وهم لا يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال فلان سمع من فلان اى امتثل كلامه وليس المراد الاحساس بحاسة الاذن فقط والمناسب ان يكون هذا هو المراد بالسمع لولاة الامور فيما امروا به (والطاعة) لهم ايضا فيما نهوا عنه اذا لم يكن فيما امروا به اونهوا عنه معصية الله تعالى كما قدمناه وهذا الامتثال لهم في امرهم ونهيهم على طريقة الوجوب لانهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية جامعة لنفع الآخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وان كانت التقوى اعم فهو من عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام (وان كان) والى امركم الآمر الناهي لكم (عبدا) اى رقيقا استعمله الامام الاعظم عليكم اميرا امارة خاصة اوعامة (حبشيا) اى منسوبا الى الحبشة وهم جيل من السودان. ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة في بلاد الحجاز ايام العرب والى الآن وفي حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة قال الشارح المناوي بزاي مفتوحة حبة عنب سوداء حالا اوصفة لعبد مشبها رأسه بالزبيبة في السواد والحقارة وقباحة الصورة اوفي الصغر يعني وان كان صغير الجثة حتى كأن رأسه زبيبة وقد يضرب المثل بما لا يكاد يوجد تحقيرا لشأن الممثل له واستدل بهذا الحديث على ان الامام اذا امر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل انه يتعين على من عينه لذلك وينتقل من فرض الكفاية الى فرض العين عليه بتعيين الامام قال الزين العراقي حتى قاله بعض شيوخنا في الفلاحين المقررين لزراعة البلدان انه امر شرعي بتقرير الامام ذلك عليهم ثم ان تعدى عليهم والزموا بما لا يلزمهم من ايجار الارض بغير رضاهم لم يجز لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون اجر المثل اه ومراده بالقيام ببعض الحرف والصنائع لانفسهم ولبقية الرعية لا لولي الامر فقط بان امرهم ان يصنعوا له شيئا بلا اجرة اوسخرهم في عمل مطلقا من غير اجرة فانه ظلم محض لا يجب عليهم اطاعته في شئ منه اصلا وانما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه اذا اكرههم فخافوا من شره وربما يجب عليهم ذلك خوفا على انفسهم من شره اذا تحققوا منه وقوع ما هددهم به وهي مسئلة الاكراه التي ذكرها الفقهاء لا مسئلة الطاعة لولي الامر (فانه) اى الشان (من يعش منكم فسيرى)

فى هذه الامة من ولاة الامر وغيرهم (اختلافا كثيرا) وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما يقع فى امته بعده من كثرة الاختلاف اولا فى امر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك فى زمان على ومعاوية رضى الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك وان كانوا كلهم مثابين عليه وان اخطأ بعضهم لعدم دخول حظوظ انفسهم فيه بل انما كان ذلك منهم نصرة للدين ثم كثرة الحروب بعد ذلك والاختلافات بين ملوك الاسلام والامراء فى غالب الازمان الى هذا الاوان واختلفت العلماء ايضا فى امور الدين وافترقت منهم الاقوال والاعمال والاعتقادات وذهبوا فى الاصول والفروع الى مذاهب كثيرة وكل هذا فى اشارة خبره صلى الله عليه وسلم (فعليكم) اى الزموا يقال عليك زيدا اى الزمه وتزاد الباء للتأكيد كما تزاد فى خبر ليس فيقال عليك بزيد كما يقال ليس زيد بقائم (بسنتى) وهى اسم لاقواله عليه السلام وافعاله واعتقاداته واخلاقه وسكوته عند قول الغير اوفعله كما مر واصلها الطريقة فى الدين مرضية كانت اوغير مرضية (وسنة الخلفاء) جمع خليفة قال فى القاموس الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلائف وخلفاء وخلفه خلافة كان خليفته وبقى بعده وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغار قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه اوموته اوعجزه اولتشريف المستخلف وعلى الاخير استخلف الله اولياءه فى الارض اه فالمراد من الخلفاء هنا الصحابة الاربعة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وربما يراد بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حيث قال (الراشدين) رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه كذا فى القاموس وهم العاملون العاملون المخلصون الثابتون على ذلك الى موتهم (المهديين) بصيغة اسم المفعول اى الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا اى دلهم واوصلهم الى مقام قربه والجأهم الى حضرة الانس به سبحانه فأدخلهم مدخل صدق الى مقام شهوده ومعرفته العيانية واخرجهم مخرج صدق من رؤية ماسواه (تمسكوا بها) اى بكل واحدة من سنتى وسنة الخلفاء المذكورين (وعضوا عليها) اى على كل واحدة من السنتين وافرد الضمير فيهما اشارة الى ان سنة الخلفاء بعده هى سنته ايضا لانهم سنوها من شريعته ارشادا وهداية للقاصرين الى طريقته صلى الله عليه وسلم لا من قبل نفوسهم لتمشية اغراضها (بالنواجذ) وهى اقصى الاضراس وهى اربعة اوهى الانياب اوالتى تلى الانياب اوهى الاضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها كذا فى القاموس والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من يمسك شيئا باسنانه واضراسه ويعض عليه فانه لا يسقط من فمه مادام كذلك وشبه المتمسك بالسنة فى آخر الزمان بالماسك على الشئ

بأسنانه واضرس اسه اشارة الى ان ذلك متعب جدا وما نع من الكلام والاكل والشرب والتنفس الا بكلفة ومشقة فان من امسك شيئا باسنانه كان حاله هكذا واذا لم يتكلف له كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة فى آخر الزمان لا يقدر على الكلام الحق الا بمشقة كلية ولا يقدر ايضا على الاكل الحلال والشرب الحلال كذلك لاتلاف الظلمة اموال المسلمين بغصبها وانفاقها حتى التنفس المريح لجسده لا يكاد يقدر عليه ايضا بين المبتدعة اهل الجهل المركب لعداوتهم له وتضييقهم فى اموره الا بجهد جهيد (واياكم ومحدثات الامور) كلاهما منصوب بفعل مضمر اى باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة فى الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان كل) امر (محدث) فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده الى يوم القيمة فهو (بدعة) بالكسر وهى الحدث فى الدين بعد الاكمال او ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال جمعه بدع كعنب كذا فى القاموس واختصت البدعة هنا بالدين اذ البدعة فى غير الدين كبدع العادات غير مرادة هنا كما سيأتى بيانه (وكل بدعة) فى الدين (ضلالة) يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم (وكل ضلالة) يضل بها منشئها والعامل بها (فى النار) اى كائنة فى نار جهنم والمعنى كون صاحبها فى النار ولكن اريد المبالغة بأن نفس البدعة فى النار مع انها لم تظلم هى وانما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى *واذا المؤدة سئلت باى ذنب قتلت* قال البيضاوى واذا المؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن سئلت بأى ذنب قتلت تبكيتا لو أدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى *أأنت قلت للناس اه وهذا الحديث المذكور اخرجه الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى بنوع تغيير يسير فى كتاب المدخل باسناده الى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه* ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون* فسلمنا فقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد حبشى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة *الحديث الثانى (دت) يعنى روى ابوداود والترمذى باسنادهما (عن المقداد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام اداة استفتاح وتنبيه

كامر (انى اوتيت) اى آتانى الله تعالى (الكتاب) وهو القرآن العظيم (ومثـله معه) وهو السنة النبوية فان الله تعالى آتاه اياها ايضـا كما آتاه الكتاب قال الامام البيهقى فى المدخل اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب اخبرنا الربيع ابن سليمان اخبرنا الشافعى رحمه الله تعـالى قال وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلاثة اوجه احدها ما انزل الله فيه نـص كتاب فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل نص الكتاب والثانى ما انزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما اراد بالجملة واوضح كيف فرضها عاما او خاصا وكيف اراد ان يأتى به العبـاد والثالث ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ان يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها اصل فى الكتـاب كما كانت سنته نبيين عدد الصلاة وعملها عن اصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن فى البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى * قال لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم * وقال واحل الله البيع وحرم الربا فما احل وحرم فانما بين فيه عن الله عزوجل كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله جل ثناؤه فاثبتت سنة بفرض الله عزوجل ومنهم من قال القى الله فى روعه كلما سن وسنته الحكمة التى القيت فى روعه عن الله عزوجل وروى البيهقى ايضا فى كتابه المذكور باسناده الى عبـد الله بن رافع قال سمعت ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة الرجلين يختصمان فى مواريث واشياء قد درست فقال انما اقضى بينكما برأيى فيما لم ينزل على فيه وروى ايضـا باسناده عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو على المنبر يا ايها الناس ان الرأى انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله عزوجل كان يريه انما هو منـا الظن والتكلف وذكر البيهقى ايضـا قال وامر الله تعالى اياه صلى الله عليه وسلم وجهان احدهما وحى ينزله فيتلى على الناس والثانى رسالة تأتيه عن الله بان افعل كذا فيفعله قال الشـافعى رضى الله عنه ولعل من حجة من قال هذا القول ان يقول قال الله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم * فيذهب الى ان الكتاب ما يتلى عن الله تعالى والحكمة ماجاءته الرسالة به عن الله فاثبتت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى باسناده عن قتادة فى قول الله تعالى * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة * قال القرآن والسنة وروى باسناده الى عطاء ان صفوان ابن يعلى بن امية اخبره ان يعلى بن امية كان يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ليتنى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب قد اظل عليه ومعه فيه ناس من اصحابه فيهم عمر اذ جاءه رجل عليه جبة متضمخ بطيب وقد احرم بعمرة فقـال يا رسول الله

كيف ترى في رجل احرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحي فاشار عمر بيده الى يعلى رضي الله عنهما ان تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ثم سرى عنه فقال اين الذي سألني عن العمرة آنفا فالتمس الرجل فجئ به فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات واما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك اخرجه البخاري في الصحيح وعن حسان بن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن اه وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه (الا) بالفتح والتخفيف للاستفتاح والتنبيه (يوشك) بالكسر من وشك الامر ككرم سرع واوشك اسرع السير ويوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولا تفتح شينه اولغة ردية كذا في القاموس والمعنى يقرب ان يكون (رجل) وهو مثل قوله عليه السلام رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع اى نادر وجود ذلك في المسلمين (شبعان) من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور المنهمك في شهوة بطنه وفرجه فان الشبع كان في صدر الاسلام معدودا من العيوب المنقصة للكمال الانساني ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ذكره في الشفاء وقال صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اى مختارا لذلك كما بسطه الامام الغزالي في كتاب الاحياء (على اريكته) في القاموس الاريكة كسفينة سرير في حجلة اوكل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش وسرير متخذ مزين في قبة اوبيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه ارائك انتهى والمعنى انه في ترف من العيش ورفاهية فيه يجلس على كرسي وعظه وامارته (يقول) بطريق الوعظ لكم والنصيحة اوالاحتجاج لبعض اغراض نفسه وحظوظها (عليكم) اى الزموا الاقتصار على العمل (بهذا القرآن) الذي بين ايديكم يتلى ويحفظ ويكتب (فما وجدتم فيه) ولا يمكن ان يجدوا الا بحسب قدرتهم والافكل شئ في القرآن كما قال تعالى * مافرطنا في الكتاب من شئ * فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم ان يجهل اكثر مما يعلم (من) حكم (حلال) وهوما نص على تحليله بعينه اوجنسه كالبيع واكل الخبز (فاحلوه) اى احكموا بحله واعملوا على ذلك (وما وجدتم) انتم ايضا كذلك (فيه) اى في هذا القرآن (من) حكم (حرام) وهو مانص على تحريمه بعينه اوجنسه كالربا والرشوة (فحرموه) اى

احكموا بتحريمه ايضا وارتكوا العمل به وهذا القول من قائله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح اذلايمكنهم ان يجدوا فى القرآن كلما حلله الله تعالى لهم وحرمه عليهم وان كان القرآن جامعا لجميع ذلك فلابد من النظر فى السنة النبوية ايضا فان فيها بيان ماخفى فى القرآن وايضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم لما فرغ صلى الله عليه وسلم من حكاية قول الرجل المذكور قال (وان ما) اى الحكم الذى (حرم) اى حكم بتحريمه (رسول الله) يعنى نفسه (كما) اى مثل الحكم الذى (حرم الله) من حيث ان كلا منهما بوحى من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا لامن قبل رأى نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (الا) للتنبيه والاستفتاح (لايحل لكم) معشر المسلمين (الحمار الاهلى) يعنى ان تأكلوا لحمه وكان يؤكل قبل ذلك قال الشيخ النووى رحمه الله فى شرحه على صحيح مسلم قدوقع فى اكثر الروايات ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحومها وفى رواية حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجد القدور تغلى بلحمها فامر باراقتها وقال لاتأكلوا من لحومها شيئا وفى رواية نهينا عن لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله اونهريقها ونغسلها قال اوذاك وفى رواية نادى منادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاان الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس اونجس فاكفئت القدور بما فيها واختلف العلماء فى المسئلة فقال الجماهير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بتحريم لحومها لهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث روايات اشهرها انها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مباحة والصواب التحريم كما قاله الجماهير للاحاديث الصريحة واما الحديث المذكور فى سنن ابى داود عن غالب بن ابجر قال اصابتنا سنة فلم يكن فى مالى شئ اطعم اهلى الاشئ من حمر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اصابتنا السنة ولم يكن فى مالى مااطعم اهلى الاسمان حمر وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية فقال اطعم اهلك من سمين حمرك فانما حرمتها من اجل جوال القرية يعنى بالجوال الذى يأكل الجلة وهو العذرة فهذا الحديث مضطرب مختلف الاسناد شديد الاختلاف ولو صح حمل على الاكل منها فى حال الاضطرار اه كلامه ويمكن له وجه آخر بان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم اطعم اهلك من سمين حمرك اى من اجرتهن اومن ثمنهن فانه لما وصفهن بالسمن للاكل حول النبى صلى الله عليه وسلم هذا الوصف للاجرة على الحمل والركوب والحراسة والدياسة ونحو ذلك بأخذ الاجرة عليها اوبيعهن والاطعام من ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لايأكل من هذه النخلة تقيد حنثه بأكله من ثمرها حتى لو اكل من عينها

لم يحنث وان لم يكن لها تمر ينصرف اليمين الى ثمنها فيحنث اذا اشترى به مأكولا واكله فيبقى قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانما حرمتها من اجل جوال القرية اعتذار لغالب بن ابجر على قوله وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية وبيان لسبب التحريم لا دليل التحريم اذ الدليل حكم الله تعالى بالوحي المنزل عليه (ولا) يحل لكم ايضا (كل ذي ناب من السباع) ان تأكلوا لحمه والناب هو السن خلف الرباعية مؤنث وجمعه انيب وانياب ونيوب واناييب كذا في القاموس وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وفي رواية كل ذي ناب من السباع فاكله حرام والمخلب بكسر الميم وفتح اللام للطير والسباع بمنزلة الظفر من الانسان وفي هذه الاحاديث دلالة لمذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد وداود والجمهور انه يحرم اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وقال مالك يكره ولا يحرم قال اصحابنا فذو الناب ما يتقوى به ويصطاد واحتج مالك بقوله سبحانه وتعالى * قل لا اجد فيما اوحي الي محرما * الآية واحتج اصحابنا بهذه الاحاديث قالوا والآية ليس فيها الا الاخبار بانه لم يجد في ذلك محرما الا المذكورات في الآية ثم اوحي اليه بتحريم كل ذي ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به (ولا) يحل لكم ايضا (لقطة) من لقطه اخذه من الارض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رفعه واللقطة محركة وكحرمة وهمزة ما التقط كذا في القاموس والمراد ما يجده الانسان في الطريق وغيره من الامتعة الساقطة من اصحابها وفي شرح الكنز لمسكين هي مال يوجد في الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لانها تلقط غالبا (معاهد) من العهد وهو الامان والذمة عاهده اذا اخذ عليه عقد الامان والذمة والمراد بالمعاهد الذمي الذي عاهده الامام على اعطاء الجزية والخراج فان له ما لنا وعليه ما علينا ويدخل في ذلك الحربي الذي دخل بالامان الى دار الاسلام فانه آمن على دمه وماله كالذمي فمن وجد لقطة لذمي اولمستأمن وجب ردها اليه بعد اقامة البينة كلقطة المسلم ويجوز ردها من غير وجوب عليه ان ذكر العلامة فقط قال في المنبع شرح المجمع يستحب اخذ اللقطة ورفعها خوفا من ان تصل اليها يد خائن واذا خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لاموال الناس عن الضياع وقال بعض اصحابنا اذا خاف على نفسه الطمع فيها وانه لا يعرفها ولا يردها فالافضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع في المحرم وهي امانة بشرط ان يشهد الملتقط انه يأخذها ليحفظها فيردها على صاحبها وان لم يشهد ضمن ويعرفها مدة يغلب على ظنه ان صاحبها لا يطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها على فقير لا غني ان شاء فان جاء صاحبها فامضاها والا ضمن الملتقط او المسكين ان شاء وان كانت قائمة اخذها منه وايهما ضمن لا يرجع على الآخر ويجوز للفقير ان ينتفع بها لا للغني الا باذن الامام ويجوز التقاط البهائم الضالة ويؤجرها

الحاكم وينفق عليها من الاجرة ان كان لهـا منفعة والاباعها وحفظ ثمنها وان اذن الحاكم للملتقط فى النفقة رجع بهـا ويحبسها لاستيفائهـا والاكان متبرعا واذا ادعاها لم تدفع اليه الابينة ويحل له دفعها بذكر علامة (الاان يستغنى عنها) اى عن اللقطة (صاحبها) بان كانت حقيرة كثمرة ونحوها قال فى مختصر المحيط قال ابوحنيفة وابو يوسف رحمهمـا الله تعـالى ولابأس بان يلتقط مالاقيمة له اصلا مثل النوى وعلف الدواب وقشر الرمان اذانبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه ان يأخذه من الملتقط وان كان ذلك كثيرا لم يجز للملتقط ان يأخذ ، اه وكذلك ان وصل اليـه ان صاحبها اباحها له اولكل من اخذها (ومن نزل) اى ضيفا (بقوم) اى صار ضيفا عندهم فى قرية او بلدة اومحلة وقد تعذرت عليه كفايته من القوت ولم يمكنه الشراء (فعليهم) اى بطريق الوجوب حيث علموا به وهو محتاج الى القوت (ان يقرؤه) اى يضيفوه باعطائه كفايته من ذلك قال الجوهرى قريت الضيف قرى وقراء احسنت اليه اذا كسرت القاف قصرت واذا فتحت مددت وفى القاموس اقرئ طلب ضيافة فقوله ان يقرؤه بفتح اليـاء من قراه لابضمهـا من اقرأه وفى حديث الجامع الصغير سيوطى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما فله ان يأخذ بقدر قراه ولاحرج عليه وقال الشارح المناوى فاصبح الضيف محروما من الضيـافة اى لم يطعمه القوم تلك الليلة فله ان يأخذ من مالهم بقـدر قراه اى ضيـافته اى بقدر مايصرف فى ثمن طعام يشبعه ليلتـه قال الطيبى وقوله فاصبح الضيف مظهر اقيم مقام المضمر اشعارا بان المسلم الذى ضاف قوما يستحق لذاته ان يقرى فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره واخذ بظـاهره الامام احمد بن حنبـل رضى الله عنه فاوجب الضيـافة وان الضيف يشتغل بأخذ مايكفيه بغير رضاء من نزل عليه اوعلى نحو بستـانه اوزرعه وحمله الجمهور على انه كان فى اول الاسلام فانهـا كانت واجبة حين اذ كانت المواساة واجبة فلمـا ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة اوعلى التأكيد كما فى غسل الجمعة واجب فلمـا ارتفع وجود الاستغلال بالأخذ حمل عـلى المضطر لكنه يغرم بدله بعد اوعلى مال اهل الذمة المشروط عليه ضيافة من نزل بهم لادلة اخرى كخبر لايحل مال امرىء مسـلم الاعن طيب نفس واما قول بعض المـالكية المراد ان له ان يأخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فعورض بان الاخذ من العرض والتحدث بالعيب عيب ندب الشـارع الى تركه لاالى فعله وفى حديث الجامع ايضـا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى اى ضيافة ليلته من زرعه وماله وقال الشارح المناوى ويقتصر على مايشد الرمق بشين معجمة اى يقوى بقية الروح اومهملة اى يسد الخلل الحاصل

من الجوع قال الطيبي وافرد الضمير فيها باعتبار المنزل عليه والمضيف وهو واحد ثم هذا في المضطر اوفي اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة (وله) اى يجوزله (ان يعقبهم) اى يجازيهم قال الجوهري اعقبه بطاعته اى جازاه والعقبى جزاء الامر والمعنى ان يجازيهم على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يستأذنهم (بمثل قراه) اى بأخذ مثل ضيافته اى مقدار ذلك يعني قدر حاجته المضطر اليها من المأكل والمشرب وعلف الدابة ونحو ذلك واخرج الامام البيهقي في المدخل هذا الحديث المذكور برواية اخرى اسندها عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اني اوتيت الكتاب ومثله الا اني اوتيت القرآن ومثله الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فان له ان يعقبهم بمثل قراه وروى باسناده ايضا عن الحسن بن جابر انه سمع المقدام بن معدي كرب الكندي صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حرم النبي صلى الله عليه وسلم اشياء يوم خيبر منها الحمار الاهلي وغيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله عز وجل وهذا اسناد صحيح * الحديث الثالث (د ت) يعني رواه ابوداود والترمذي باسنادهما (عن ابي رافع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين) بضم الهمزة اى اجدن يقال الفيت الشئ بالفاء وجدته قاله الجوهري والمعنى لا يجعلني الله تعالى اجدن (احدكم) اى الواحد منكم ايها المؤمنون (متكئا) اى معتمدا مستندا قال في القاموس توكأ عليه تحمل واعتمد (على اريكته) اى سريره وكرسيه (يأتيه) اى يصل اليه (امري) اى شاني (مما) اى من جهة الامر الذي (امرت به) الامة بطريق الخلافة عن الله تعالى في الارض (ونهيت) الامة عنه بالنيابة عن الله تعالى (فيقول) ذلك المتكئ على اريكته (لا ادري) هذا الوارد الي من الامر والنهي (وما) اى الحكم الذي (وجدناه في كتاب الله) تعالى من الامر والنهي (اتبعناه) لا غير وهذا قول من طبع الله على قلبه فاراد ان يفرق بين الله ورسوله ولن يصل الى ذلك ابدا قال البيهقي في المدخل زاد ابوعبدالله في روايته بهذا الاسناد عن الشافعي رضي الله عنه قال وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامهم انه لازم لهم وان لم يجدوا له نص حكم في كتاب الله عز وجل * الحديث الرابع (د) يعني روى ابوداود باسناده (عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني خطيبا (فقال أيحسب

احدكم) حال كونه (متكئا) اى مستندا (على اريكته) اى كرسيه (بقطن) تأكيد لفظي لبحسب بمرادفه (ان الله) تعالى (لم يحرم) على الامة (شيئا الاما) اى الذى (فى هذا القرآن) من المحرمات الظاهرة منه لكل احد والافقد قال تعالى *ما فرطنا فى الكتاب من شئ* اوفى الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال ما احل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وماسكت عنه فهو مما عفا عنه اخرجه سيوطى فى الجامع الصغير فان فى القرآن من الاحكام مالا يظهر بالبداهة لغالب الانام ولهذا لما دق نظر امامنا ابى حنيفة رضى الله عنه فى استنباط المسائل من القرآن مالم يعثر عليه اكثر المجتهدين نسب اليه القاصرون القول بالرأى فان من وجد الحكم فى كتاب الله تعالى لايعدل عنه الى السنة ومن لم يجده فى الكتاب عدل الى السنة (الا) للاستفتاح والتنبيه (وانى قد امرت) بالمعروف الذى وجدته فى كتاب الله تعالى مالم يجده غيرى وهى الحكمة التى قال الله تعالى عنها *وانزل الله عليك الكتاب والحكمة* وهى السنة النبوية كما قدمناه فان امره صلى الله عليه وسلم من امر الله تعالى لانه نبيه ورسوله روى البيهقى فى المدخل باسناده عن ابى جعفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعى اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فما اتاكم عنى يوافق القرآن فهو عنى وما اتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى وقال الشافعى رضى الله عنه وليس يخالف الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبين معنى ما اراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تكون بعدى رواة يروون عنى الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به ومالم يوافق القرآن فلا تأخذوا به (ووعظت) اى ذكرت الترغيب والترهيب و بشرت وانذرت اخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيرى (ونهيت) الامة (عن اشياء) من الاقوال والاعمال والاعتقادات والاحوال التى وصلت الى من كتاب الله تعالى ولم يهتد الى طريقها احد من المجتهدين اصلا لان طريق الوصول اليها الوحى والنبوة لاالاجتهاد وان اقر النبى صلى الله عليه وسلم قول المجتهد المخطئ ووعده بالثواب عليه مرة لضرورة فقدان الوحى والنبوة (انها) اى تلك الاشياء التى نهيت عنها (مثل) المناهى الظاهرة لكم من (القرآن) لانى اخذتها منه بالوحى والنبوة ولا امر ونهى الا ما فى القرآن يدل عليه ما رواه البيهقى فى المدخل باسناده عن ابن طاوس عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه يا ايها الناس لاتمسكوا على بشئ فانى لا احل الا ما احل الله ولا احرم الا ما حرم الله فى كتابه اه وجميع علم النبى صلى الله

عليه وسلم من القرآن لكنه من وجه الوحي والنبوة فلهذا لايمكن ان يصل اليه غيرنبي وفتح الاولياء وان كان فى القرآن ايضا كذلك ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحي والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا بالاخذ من بيان النبي صلى الله عليه وسلم الذى هوالسنة وبيان غيرهم من المؤمنين الذى هوالاجماع والتأمل بالمقايسة فى الكتاب والسنة والاجماع الذى هو القيـاس والكل يجتمعون فى اصل واحد هو مأخذهم وهوالقرآن اخذمنه النبي سنته والولى فتحه والمجتهد علمه (اواكثر) من المتناهى الظاهرة لكم من القرآن لزيادة اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على كتاب الله تعـالى مالم تطلع عليه الاولياء ولا المجتهدون فيكشف منه عن اكثر ماظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من المجتهدين بالسنة اكثر من الكتاب حيث قال الشافعي رضى الله عنه اذاصح الحديث فهومذهبي (وان الله) تعالى (لم يحل) بالضم من احل اى جعل حـلالا لكم (ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب) من اليهود والنصـارى وغيرهم لان ذلك يؤذيهم ولايجوز ايذاء اهل الذمة (الا باذن) منهم فى ذلك (ولا) احل لكم ايضا (ضرب نسائهم) اى اهل الكتاب لان فيه كمال ايذائهم (ولا) احل (اكل ثمارهم اذا اعطوكم) الحق (الذى عليهم) من الجزية والخراج فاذا امتنعوا من ذلك انتقض عهد ذمتهم عندالائمة الثلاثة خلافا لابى حنيفة قال والدى رحمه الله تعـالى عندشرح قول صاحب الدرر لاينقض عهده اذا امتنع عن الجزية لان التزامهـا باق وبالاباء تؤخذمنه جبرا وفى رواية كما فى المجمع ذكرها فى الواقعات فى كتاب الزكاة انه ينتقض وهوقول الثلاثة هذا اذا ابى عن دفعها اما وابى عن قبولها انتقض عهده كذا فى فتح القدير واذا انتقض عهدهم حل فيهم ما حل فى اهل الحرب واصل الحديث ماذكره البيهقى فى المدخل باسناده عن العرباض بن سارية السلمى قال نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبرومعه من معه من اصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردامنكرا فاقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقـال يامحمد الكم ان تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضرب نساءنا فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ياابن عوف اركب فرسك ثم ناد الاان الجنة لاتحل الا المؤمن وان اجتمعوا للصـلاة قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم ثم قام فقال ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله عزوجل الى آخر الحديث المتقدم ذكره ﴿ الحديث الخامس (م) ﴾

يعنى روى مسلم باسناده (عن جابر رضى الله عنه) انه قال (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم اذاخطب) فى الجمع والاعياد وغيرهمـا اوفى غالب امره بحسب الوقائع الدينية والدنيوية (احمرت عيناه) من كمال شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تبليغ احكام الله تعالى (وعلا) اي ارتفع (صوته) لتنفذ دعوته الى الحق فى جوانب مجلسه على التمام (واشتد غضبه) فى اظهار دين الله تعالى وايصاله الى صميم القلوب (كأنه)

عليه الصلاة والسلام فى تلك الحالة (منذر) اى مخوف (جيش) اى عسكر عظيم من غارة تدركهم (يقول) فى انذاره للجيش من تتمة التشبيه (صبحكم) بالتشديد اى ادركم العدو فى وقت الصباح (ومساكم) بالتشديد ايضا اى ادركم فى وقت المساء فتهيؤا للقائه ومقارعته و يحتمل ان يكون معنى ذلك صبحكم الامر الذى انذركم به فى الآخرة ومساكم من شدة قربه منكم (ويقول) فى خطبته ايضا (بعثت) اى بعثنى الله تعالى (انا والساعة) اى القيامة قال المناوى فى شرح الجامع الصغير الساعة الوقت الذى تقوم فيه القيمة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم (كهاتين) اى كاصبعين من شدة القرب (ويفرق بين اصبعيه) يسيرا (السبابة) وهى المسبحة (والوسطى) وهو من تمثيله صلى الله عليه وسلم الغائب بالحاضر اشارة الى دوام شريعته وبقائها الى يوم القيمة وانه لا يتخلل بينه وبين الساعة نبى ولا شريعة (و يقول) فى الخطبة (اما بعد) بانيا على الضم اى بعد دعائى لك واول من قاله داود عليه السلام اوكعب بن لؤى كذا فى القاموس وتقدم هذا فى شرح الخطبة (فان خير الحديث) وهو الخبر يأتى على القليل والكثير و يجمع على احاديث على غير قياس قال الفراء نرى ان واحد الاحاديث احدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث ذكره الجوهرى (كتاب الله) وهو القرآن العظيم (وخير الهدى) جمع هدية وهى السيرة قال الجوهرى وما احسن هدته وهديته ايضا بالفتح اى سيرته والجمع هدى مثل تمرة وتمر و يقال ايضا هدى هدى فلان اى سار سيرته وفى الحديث واهدوا اهدى عمار (هدى محمد عليه السلام) نبينا ورسولنا (وشر الامور) اى الافعال والاقوال والاحوال والاعتقادات (محدثاتها) اى المحدثات منها فى الدين بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم (و كل) امر (محدث) فى الدين لم يكن فى الصدر الاول من فعل اوقول اوحال اواعتقاد (بدعة) اى فعلة على خلاف الملة المحمدية (وكل بدعة ضلالة) اى يضل بها صاحبها عن طريق السنة * الحديث السادس (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة) يعنى امة الاجابة وهم المسلمون المؤمنون به صلى الله عليه وسلم و بجميع ما ورد عنه ويحتمل ان يراد بالامة ما يشمل امة الدعوى ايضا بقرينة قوله (الا من ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة (قيل) اى قال احد ممن حضر تعجبا من حال من ابى ان يدخل الجنة (ومن ابى) يعنى اى انسان امتنع من ذلك وهو مراد الكل (قال) صلى الله عليه وسلم (من اطاعنى) فى كل ما امرت به و نهيت عنه بالظاهر والباطن (دخل الجنة) خالدا فيها ابدا (ومن عصانى) اى لم يطعنى فى امتثال كل ما امرت به ونهيت عنه مع الايمان بذلك ان اريد بالامة امة الاجابة بقرينة ذكر العصيان فانه مشتهر بمعنى الفسق لا الكفر وان اريد امة الدعوى

فمن عصانى لم يطعنى فيما امرت به ونهيت عنه لاايمانا ولاعملا وهو الكافر (فقد ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة *الحديث السابع (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا) اى حلالا متيقن الحل لاشبهة فيه وان جاز اكل ما فيه شبهة روى عن ام عبدالله بنت اوس الانصارية اخت شداد بن اوس انها بعثت الى النبى صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره فرد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال انى لك هذا قالت من شاة لى قال انى لك الشاة قالت اشتريتها من مالى فشرب ثم قال صلى الله عليه وسلم امرت الرسل ان لاتأكل الاطيبا ولاتعمل الا صالحا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وعمل) بقلبه فى اعتقاد وبلسانه فى قول وبجوارحه فى فعل وبنفسه فى حال عملا كائنا (فى سنة) اى اتباع للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا (وامن الناس) من اهل الاسلام ولو فاسقين اومعاهدين من الكفار (بوائقه) جمع بائقة وهى الداهية وباق جاء بالشر والخصومات وباق به حاق وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار وباق فلان تعدى على انسان اوهجم على قوم بغير اذنهم كانباق وباق القوم سرقهم كذا فى القاموس (دخل الجنة) من غير عذاب يسبق (قالوا) اى الحاضرون من الصحابة رضى الله عنهم (يارسول الله ان هذا) يعنى اكل الطيب والعمل فى سنة وامن الناس البوائق (فى امتك) يعنى امة الاجابة المسلمين لك المؤمنين بك وبجميع ماجئت به من عندالله تعالى (اليوم) يعنى فى ذلك الزمان الاول فى صدر الاسلام (كثير) حيث لم تظهر البدع بعد (قال) صلى الله عليه وسلم (وسيكون فى قوم) نكرهم للتقليل اوللتعظيم (بعدى) يعنى الى يوم القيمة فان الله تعالى حاشاه ان ينزع الكمال من هذه الامة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية فى قوله تعالى* كنتم خير امة اخرجت للناس المراد ان الصحابة والتابعين رضى الله عنهم كان فيهم المنافقون والفاسقون ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عموم الظاهر *الحديث الثامن (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتى) اى احتفظ على العمل بها (عند فساد امتى) باتباع الاهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لاتطمئن فى الاعمال والمعاملات الاالى الوساوس الشيطانية والاختراعات العقلية مع علمهم بالسنن النبوية والمقادير والحدود الشرعية وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (فله) عندالله تعالى يوم القيمة (اجر) اى ثواب (مائة شهيد) قاتل فى سبيل الله فقتل لما يلحقه من المشقة فى العمل بالسنة واحيائها لعدم المعاون وكثرة العوائق كالحق الشهيد المقاتل للكفار كذا فى شرح الشرعة* الحديث التاسع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن زيد بن ملحة عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدين) اى دين الاسلام الذى هو ملة محمد صلى الله عليه وسلم (بدا) اى ظهر قال الجوهرى

بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اى ظهروابدبته اظهرته (غريبا) اى مستغربا يستغرب احكامه كل احد لعدم معرفته والائتلاف به (ويرجع) فى آخر الزمان (غريبا) ايضا كما بدا فلا يعرفونه ولا يأتلفون به فينكرونه وقد كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفا مألوفا وهو زمان عزته ونصرته يجدون عليه اعوانا صدورهم مملوءة توحيدا وايمانا ومعرفة وايقانا واخلاصا واحسانا (فطوبى) فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولاتقل طوبيك بالياء قاله الجوهرى (للغرباء) جمع غريب وهو الانسان الغريب فانه الذى يستمسك بالدين الغريب فهو غريب مثله وقد فسرهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (الذين يصلحون) من اصلحه ضدا فسده والصلاح ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح كذا فى القاموس (ما) اى الذى (افسد الناس) اوافسادهم (من بعدى) متعلق بافسد (من سنتى) اى سيرتى وطريقتى اعتقادا اوعملا اوقالا اوحالا واصلاحهم لما فسد من السنة امابامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على وجه العموم من غير تخصيص احد باللسان ولابالقلب مع ستر عورات المسلمين وتغطية ماانكشف من قبائحهم كما هو الطريقة المسنونة فى الامر والنهى لاالمبتدعة التى اخترعها جهلة العلماء من كشف فضائح المسلمين واستباحة اعراضهم على توهم المنكر فضلا عن تحققه او بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتى يقتدى به اهل الدين والتقوى مع الاخلاص والخشوع او بتصنيف الكتب فى بيان ذلك او باقراء الكتب المصنفة فيه او بالاعانة عليه والترغيب فيه وعدم المبالاة بفساد الزمان والاخوان حتى ورد فى حديث آخر تفسير الغرباء اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وهو قوله صلى الله عليه وسلم طوبى للغرباء اناس صالحون فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وقال الشارح المناوى وفى رواية بدله من يبغضهم اكثر ممن يحبهم ومن ثمه قال الثورى اذارأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لونطق بالحق لابغضوه قال الغزالى وقدصار ماارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وماأكب الناس عليه فاكثر مبتدع وقدصارت علوم اولئك غريبة بحيث مقت ذاكرها * الحديث العاشر (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن رافع بن خديج انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انتم) يامعشر المكلفين من الصحابة وغيرهم (اعلم) اى اكثر علما منى (بامر دنياكم) لكثرة اشتغالكم بذلك وليس امر الدنيا بامر عظيم القدر عندالله تعالى حتى يدخل النقص فى جناب النبوة بنفى الاعلمية فيه حيث كانت الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكر الله كما ورد فى الخبر وتقدير المعنى فلا تحتاجون فى احوال الدنيا الى امرى لكم فيها بما ينفعكم من التصرفات ونهيى عمايضركم لاكتفائكم فى ذلك بنظر عقولكم وتجربتكم وقائع الاحوال ولكن (اذا امرتكم بشئ من) امر (دينكم)

امتثالا لطاعة اوانكفافا عن معصية فدخل النهى فى الامر لانه امر بالكف كما ان الامر امر بالفعل (فخذوا) اى تمسكوا واحفظوا (به) وامتثلوا له والتقدير فانى اعلم منكم بامر دينكم كما جاء فى حديث آخر فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية

* الحديث الحادى عشر (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه عمر بن الخطاب (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن) اى يصدق و يعترف بما جئت به من عندالله تعالى امرا ونهيا ظاهرا وباطنا (احدكم) اى الواحد منكم ذكرا كان اوانثى (حتى يكون هواه) اى ميله ورغبته ومحبته (تبعا) اى تابعا (لما جئت به) من عندالله تعالى من الشرايع والاحكام بحيث لا يستحسن رأيه وعقله زيادة فيه اونقصانا منه ولا يستقبح بنظره ما يخالف شيئا من ذلك بل يصير رأيه وعقله ونظره فى اثر ما جاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكم فيه الوارد فى الشرع لا يحكم هو فى الوارد فى الشرع

* الحديث الثانى عشر (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسناد هما (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتين) اى والله ليأتين (على امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به عليه السلام بسبب طول العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غير زيادة ولانقصان وذهاب العدول الا قليلا (كما اتى على بنى اسرائيل) اى امة موسى عليه السلام يعنى من التغير والتبديل لشرايع الدين والزيادة فيها والنقصان منها (حذو) بالذال المعجمة (النعل بالنعل) قال الجوهرى حذوت النعل بالنعل حذوا اذا قدرت كل واحدة على صاحبتها يقال حذو القدرة بالقدرة اه والمعنى موافقة هذه الامة لبنى اسرائيل موافقة كلية فى جميع ماصدر منهم فى دين الله تعالى (حتى ان كان منهم) اى من بنى اسرائيل (من اتى) اى جامع (امه) التى ولدته (علانية) اى جهرا من غير استتار وهواقبح معصية فى الاسلام عقلا وشرعا ومروة وعرفا (لكان فى امتى من يصنع ذلك) ايثارالهوى نفسه على ماجاء به نبيه صلى الله عليه وسلم من عند ربه من الحق وبنو اسرائيل هؤلاء هم اولاد يعقوب جمع ابن قال البيضاوى الابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوة الله وقيل عبد الله وقال الخازن اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب عليه السلام ابن اسحق عليه السلام ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (وان بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة) بالكسر وهى الشريعة والدين كذا فى القاموس (وتفترق امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به صلى الله عليه وسلم لان امة الدعوى مفترقون اكثر من ذلك فى زمانه عليه السلام على ثلاث وسبعين ملة بزيادة ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتحديد كما

فى النار) للتطهير لاللتكفير اذلو كفروا لكانوا امة دعوى لاامة اجابة فساووا ملل امة الدعوى وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت على الثلاث و السبعين واصله ان الخطأ فى الاجتهاد فى الاعتقاد اذا كان فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة هل يوجب الكفرام لا كما ان الخطأ فى الاجتهاد فى العمليات فى غير مجمع علـيه معلوم من الدين بالضرورة مثاب علـيه اتفا قاواما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من قسم الاعتقا ديات كحدوث العالم وحشر الاجساد وثبوت صفات الله تعالى مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كاركان الاسلام الخمسة وحرمة الربا والزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فان الاجتهاد فى شئ من هذا باطل لا يصح اجماعا لان جحوده كفر قال فى شرح مرقاة الاصول فى الخلاف فى الاجتهاد بين اهل السنة والمعتزلة فالمجتهد يخطئ ويصيب عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على ان الحكم عند الله واحد عندنا ومتعدد عندهم فان المجتهدين اذا اجتهدوا فى حادثة واحدة فالحكم عند الله تعالى على رأينا واحد منها وعلى رأيهم ما ادى اليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف فى الشرعيات لاالعقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان المليين اجمعوا على وحدة المصيب فى العقليات الاعند بعض المعتزلة وهو ابو الحسن العنبرى والجاحظ فانهما قالاان كل مجتهد مصيب فى مسائل الكلام وفى شرح المنار لابن ملك وهذا الخلاف فى الشرعيات لا فى العقليات التى من اصول الدين والحق فيها واحد بالاجماع والمخطئ فيها كافر ان خالف ملة الاسلام كاليهودى والنصرانى انتهى وتقديره وان لم يخالف ملة الاسلام بأن كان اجتهاده فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافران اخطأ فى ذلك وهو ما فصلنـاه آنفا فهؤلاء الثلاث والسبعون فرقة ان لم يكفروا بجحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون فى دين الاسلام من حيث الاعتقاد فمن اخطأ منهم فى اجتهاده كان فاسقا مبتدعا ضالا وليس بكافر ولا يثاب على خطاه كما لو اخطأ المجتهد فى العمليات الاعلى مقتضى مذهب ابى الحسن العنبرى والجـاحظ من المعتزلة لتسويتهم فى صحة الاجتهاد وقبول الخطأ فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم كفوا عن اهل لااله الاالله لاتكفروهم بذنب فمن اكفر اهل لا اله الاالله فهو الى الكفر اقرب اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال شارحه المناوى فمخالف الحق من اهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاجساد فانه حينئذ ليس من اهل لااله الاالله فنكفره اه واذا تأملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتـازانى فى شرح عقائد النسفى رحمهما الله تعالى والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن اواستحالة الرؤية اوسب الشيخين ابى بكر وعمر رضى الله

عنهما ولعنهما وامثال ذلك فشكل انتهى كلامه فان المراد باهل القبلة من لم يكفر بانكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فمن اكفر بها اراد باهل القبلة من لم يقل بذلك (الاملة واحدة) استثناها فبقى اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بنى اسرائيل وهذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد ان ماتت معتقدة مقتضى مذهبها ولكن يمكن أن تدخل النار بسبب عصيانها فى العمل هذا ان حملنا افتراق هؤلاء المسلمين الثلاث والسبعين ملة على افتراقهم فى الاعتقاد فقط وان اطلقناه فى الاعتقاد وفى العمل ايضا على معنى افتراقهم فى الشيئين معا بقرينة قوله عليه السلام فى صدر الحديث حتى ان كان منهم من أتى اى جامع امه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك فان هذا متابعة فى العمل فتكون هذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد وفى العمل ان ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث (قالوا) اى من حضر من الصحابة رضى الله عنهم (من هى) اى تلك الملة الواحدة (يارسول الله قال ما) اى الذى او امر وشان معناه ملة (انا) منطو (عليه واصحابى) من هذه الملة الاسلامية والسيرة المرضية المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم اصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من اطلاق احد المتجاورين على الآخر لانها تجاورهم بالاعتقاد لها والعمل بها فصح اطلاقها عليهم وان يرادوا بها كما قالوا من هى فاستفهموا عن اصحابها بمن التى تستعمل فيمن يعقل فقال عليه السلام ما انا عليه مجيبا بما التى تستعمل فيما لا يعقل بمعنى الملة نفسها وفى كتاب المدخل قال البيهقى فقد اخبر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عما ظهر بعده من اختلاف الامة وحذرهم متابعة اهل الاهواء منهم فيما احدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة ودلهم بالاشارة الى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية فمن سلك فى دينه سبيلهم ولزم فى متابعة الكتاب والسنة هديهم فازفوزا عظيما ونال حظا جسيما ولعل قائلا يزعم ان المجتهدين من اهل السنة والجماعة اختلفوا ايضا اختلافا كثيرا وتباينوا تباينا شديدا فهم وان اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا اجماعا ولا قياسا صحيحا عنده وان كل واحد منهم قد ادى ما كلف من الاجتهاد واحرز الاجر الموعود على طلب الصواب واختصاص بعضهم باحراز الآجر الاخر الموعود على اصابة العين التى امر بالاجتهاد فى طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذى لم يصبها غير آثم بالخطأ لانه انما كلف فى الحكم الاجتهاد على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الغيب الا الله فهم مع اختلافهم هذا النوع من الاختلاف من اهل السنة والجماعة وانا لنرجو ان لا يؤخذ على واحد منهم انه قصد ان يخالف كتابا نصا ولا حديثا ثابتا ولا قياسا صحيحا عنده ولكن

قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا انه عمد خلافها وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها في اصلين شبه فيذهب ذاهب الى اصل والاخر الى اصل غيره فيختلفان ثم بسط الكلام في هذا المقام * الحديث الثالث عشر (ت) يعني روى الترمذي باسناده (عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال لي يابني) هذه حكاية قول انس رضي الله عنه وفي هذا النداء لانس ما لا يخفى من الاكرام والتحنن والانس (ان قدرت) اي اقدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه (ان تصبح) يعني في كل صباح طول عمرك (وتمسي) في كل مساء طول عمرك (و) الحال انه (ليس في قلبك) اضمار (غش) بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح او اظهر له خلاف ما اضمر كغششه والغش الغل والحقد وبالضم الغاش كذا في القاموس (لاحد) بالتنكير ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والانسان وغيره (فافعل) كذلك وعود نفسك برياضتها على ذلك ليطهر قلبك من ادناس الوسواس (ثم قال) النبي صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه (يابني وذلك) يعني سلامة القلب من اضمار الغش لاحد ابدا (سنتي) اي سيرتي وطريقتي (ومن احب سنتي) هذه وغيرها ايضا فعمل عليها حتى تخلق بها (فقد احبني) اي كان ذلك دليلا على انه يحبني فان من احب احدا احب جميع افعاله كما قال القسطلاني في مواهبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى او من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شيء اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء اشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليه من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب (ومن احبني كان معي في الجنة) يعني اوصلته محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الى النعيم الابدي والرضوان السرمدي فان المرء مع من احب كما ورد في الحديث وليس المراد انه معه في منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما في منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووي في شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث فيه فضل حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين واهل الخير الاحياء والاموات ومن افضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال امرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا نشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين

ان يعمل عملهم اذلوعمله لكان منهم وقد صرح فى الحديث الذى بعد هذا بذلك فقال رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال اهل العربية لما النفى الماضى المستمر فتدل على نفيه فى الماضى وفى الحال بخلاف لم فانها تدل على الماضى فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم ان تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه * الحديث الرابع عشر (دن) يعنى روى ابوداود والبزار باسناد هما (عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حين آتاه عمر) ابن الخطاب رضى الله عنه (فقال) يعنى عمر رضى الله عنه (انا نسمع احاديث) جمع حديث وهى اخبار الكتب الماضية (من) اناس (يهود) جمع يهودى وهم الزاعمون انهم الآن من امة موسى عليه السلام (تعجبنا) تلك الاحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ (افترى) اى افتنظر (ان نكتب) اى نجمع عندنا (بعضها) لنعتبر به ونتعظ بمعانيه (فقال) صلى الله عليه وسلم (امتهوكون انتم) اى متحيرون قال الجوهرى التهوك التحير وفى الحديث امتهوكون انتم قال ابن عون فقلت للحسن ما متهوكون قال متحيرون والتهوك ايضا مثل التحير وهو الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة (كما تهوكت) اى تحيرت (اليهود والنصارى) جمع نصرانى وهم الزاعمون انهم الآن من امة عيسى عليه السلام (لقد جئتكم) من عند الله تعالى (بها) اى بتلك الاحاديث التى تعجبكم (بيضاء) اى منيرة مشرقة بالفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة راجحة بخلاف تلك الاحاديث التى هى عند اهل الكتاب فانهم تلقوها من انبيائهم باللسان العجمى وتناقلتها فهوم الجاهلية فى ايام الفترة فكثفت لطائفها وجهلت معارفها وطمست انوارها وكدرت انهارها (نقية) اى خالصة من شوب الخفاء والالتباس متطهرة من انواع العيوب والادناس بخلاف احاديث اهل الكتاب فانهم لما نقلوها من العجمية الى العربية دنسوها بقبائح كلماتهم وخلطوها بخبائث وساوسهم (ولو كان موسى) بن عمران عليه السلام (حيا) فى هذا الزمان (ما وسعه) اى ما جازله (الا اتباعى) ولا يسوغ له ان يستقل بشريعته دونى اذهو صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ورسول المرسلين من حضرة رب العالمين وقد اخذ الله تعالى الميثاق على جميع الانبياء والمرسلين ان كل من لقيه صلى الله عليه وسلم منهم وادرك زمانه يكون تابعاله فى شريعته كما قال تعالى * واذ اخذ الله ميثاق النبيين * الآية وقد قدمنا الكلام على هذا المبحث وفى الحديث اشارة الى انه لا يجوز لعالم ولا جاهل ان ينظر فى كتب اهل الكتاب اليوم ولا فى التوراة والانجيل والزبور والصحائف الموجودة الآن بايدى الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره الفقهاء الدخول الى البيعة اوالكنيسة لانها مأوى الشياطين وكذلك كتبهم وصحائفهم الآن التى حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على كلام الشياطين ولهذا جوز بعض الشافعية الاستنجاء بها اذا خلت من ذكر الله تعالى قال الشيخ علوان بن عطية الحموى رحمه الله

﴿ تعالى ﴾

تعالى فى كتابه هداية العامل وماحرف من الكتب اونسخ لاحرمة له ولايجوز الايمان بالمحرف ولاالعمل به بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوراة التى فى ايدى اليهود اليوم وعندى فيه نظر الامايحقق تحريفه بالالفاظ الكفرية ونحوها اه وقرأت فى هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور هداية العامل من خط العلامة المرحوم الشيخ شمس الدين الميدانى قال ماذكره من النظر هو الصواب لان التوراة حق لاشك فيه فاحترامها واجب لانها كلام الله تعالى ونحن الآن شاكون فيها هل بدلت ام لاالاجائزان يقال بدلت كلها لان فيها مايجزم الانسان بانه غيرمبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الائمة هل هو تبديل معنى مع بقاء اللفظ بحاله اوتبديل لفظ بلفظ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على معظم وغير معظم فاذالم يتميز المبدل من غيره فنعظمها رجوعا الى الاصل واحتياطا للمعظم الذى لم يبدل وتحرم اهانتها تغليبا للمعظم الذى انبهم علينا انتهى كلامه ويؤيد هذا ان الائمة الحنفية كرهوا للجنب قرأة التوراة وعللوا بنحو ماذكر قال فى شرح الدرر ويكره له اى الجنب قراءة التوراة والزبور والانجيل اه وقداخبرنى رجل كان يتردد الى انه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحائف التوراة فاستهان بها حتى انه اغفلهم وبصق فيها وخرج ثم انى رأيته بعد ذلك لم يزل ينكب فى دينه وفى دنياه حتى مات اقبح ميتة وقيل انه قتل نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت انه بسبب اهانته لماينسب الى الله تعالى من الكلام وان كان محرفا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثا على الاحترام وتعظيما لما ينسب الى كلام ذى الجلال والاكرام والحاصل انه لايجوز اهانة هذه الكتب المنسوخة ولايجوز القراءة فيها ايضا ولاالمطالعة * الحديث الخامس عشر (حدز) يعنى روى احمد بن حنبل والبزاز باسنادهما (عن مجاهد رضى الله عنه انه قال كنا مع ابن عمر) ابن الخطاب رضى الله عنهما (فى سفر فمر بمكان فحاد) اى اعرض (عنه) اى عن ذلك المكان (فسئل) اى سأله من حضره (لم فعلت ذلك قال) يعنى ابن عمر رضى الله عنهما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) يعنى حاد عن ذلك المكان (ففعلت) انا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع افعاله واعماله واقواله واحواله * الحديث السادس عشر (ز) يعنى روى البزار باسناده (عن ابن عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنهما انه كان يأتى شجرة) فى موضع (بين مكة والمدينة فيقيل تحتها) من القائلة وهى نصف النهار قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل نام فيه فهو قائل كذا فى القاموس والمعنى انه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة نصف النهار (ويخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك) وهو يقتدى به ويتابعه فى مثل فعله الذى رآه يفعله حرصا على متابعة السنة المحمدية قال الامام البيهقى فى المدخل ان اباعبدالله الحافظ اخبره باسناده عن ابى جعفر محمد بن على قال لم يكن

احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا اجدر ان لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من ابن عمر وحدث ايضا باسناده عن مالك عن عبد الله بن عمر انه كان يتبع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك * الحديث السابع عشر (م) يعني روى مسلم باسناده (عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب) اى اعرض (عن سنتي) يقال رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده كارتغب وعنه لم يرده واليه ابتهل وهو الضراعة كذا في القاموس والسنة الطريقة والسيرة تعم الاقوال والافعال والاحوال كما قدمنا (فليس) محسوبا (مني) اى من ملتي وديني لاعراضه عن السنة واتباعه البدعة فان اعرض عنها معتقدا لها فهو مبتدع فاسق وان لم يرها حقا وتهاون بها فهو كافر * الحديث الثامن عشر (حب) يعني روى ابن حبان باسناده (عن عبد الله بن عمر) ابن الخطاب (رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل عمل) من اعمال بني آدم في الخير والشر بظاهره او باطنه (شرة) اى نشاط من شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا في القاموس والمعنى ان ابن آدم كلما عمل عملا من الاعمال بقصده واختياره كان له الى ذلك العمل نشاط وحرص شديد ورغبة زائدة في وقت عمله له ولهذا لا يمكن في الغالب ارجاعه عنه بلوم اوتضييق مالم يرجع هو بنفسه اذا تم نشاطه فيه كما قال الشاعر

لا ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

(ولكل شرة) اى نشاط الى عمل من الاعمال وشدة رغبة فيه من كل احد (فترة) يقال فتر يفتر فتورا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر جسمه فتورا لانت مفاصله وضعف كذا في القاموس والمعنى ان كل من غلب نشاطه الى شئ مطلقا واشتدت رغبته فيه لا بد ان يضعف منه ذلك النشاط وتزول تلك الرغبة لان النفس جاهلة من اصل خلقتها ولها غفلة ورعونة وطيش في طبيعتها لا تتكلف لشئ من ذلك لانها مجبولة عليه فاذا ظهر لها كمال في شئ من الاعمال وغيرها سواء كان خيرا اوشرا اونفعا اوضرا حالا اومآلا اقبلت على ذلك الشئ ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت اليه ابلغ نشاط ولا يمكنها في ذلك الوقت ان ترجع عنه بوجه مطلقا حتى يتراءى لها في ذلك الشئ وجه من وجوه النقص ولا بد ان يظهر لها ذلك في كل ما هي رغبانة فيه وناشطة اليه كائنا ما كان ذلك الشئ فعند ذلك تذهب رغبتها ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها وزيادة رعونتها وحمقها (فمن كانت فترته) اى سكونه من نشاط نفسه وغلبة رغبته في عمل من الاعمال مطلقا (الى سنتي) بان ترك اقباله على كل شئ وانهماكه في كل امر واشتغل بالسنة النبوية

والطريقة المحمدية (فقد اهتدى) اى وصل الى سعادة الدنيا والآخرة (ومن كانت فترته) اى سكون نشاطه وضعف طلبه من عمل من اعماله (الى غير ذلك) اى الى غير السنة بل كان الى البدعة او الى عمل آخر من اعماله وهو معرض عن السلوك فى طريق السنة (فقد هلك) بالضلال فى الدنيا والآخرة وفى الحديث اشارة الى ان مراعات حظوظ النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان محمودا اذا تركه الانسان بعد الاهتمام به والانهماك فيه وعدل الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مراعات ذلك فان له اجر المهاجر من نفسه الى ربه اى من حظ نفسه الى امر ربه كما قال تعالى *واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى* وفيه اشارة ايضا الى ان الله تعالى يقبل العبد المسرف على نفسه اذا ترك ما كان فيه من الخطايا والآثام واقبل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيد بمتابعتها والمحافظة عليها وان كان تركه خطاياه وآثامه سآمة منها وفتورا فيها من عدم قبول طبيعته لها وان المقصود الشرعى ترك ذلك والاقلاع عنه كيف ما كان* الحديث التاسع عشر (طك حب حك) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الكبير وابن حبان والحاكم باسنادهم (عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم) يقال لعنه اى طرده وابعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله تعالى ان يطردهم و يبعدهم عن رحمته فقول الانسان عن غيره لعنه الله دعاء منه بان الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بان الله تعالى يرحمه وما ساغ ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم الا بعد علمه بلعن الله تعالى لهم ولهذا قال (ولعنهم) اى طردهم (الله) تعالى وابعدهم عن رحمته ويجوز للانسان لعن من لعنه الله تعالى كابليس والكافرين والظالمين واما من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم روى الامام النووى فى رياض الصالحين عن ابى زيد ثابت ابن الضحاك الانصارى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيمة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله متفق عليه وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغى لصديق ان يكون لعانا رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن فان كان اهلا والا رجعت الى قائلها رواه ابو داود وهذا كله فى لعن معين لم يرد عن الله لعنه بعينه ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم واما لعن غير المعينين من اصحاب المعاصى فهو جائز قال تعالى * الا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى * فاذن مؤذن بينهم

ان لعنة الله على الظالمين وثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه لعن المصورين وانه قال لعن الله من غير منار الارض اى حدود ها وانه قال لعن الله السارق يسرق البيضة وانه قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وانه قال من احدث فيها حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وانه قال اللهم العن رعلا وزكوان وعصية عصوا الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من العرب وانه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى الصحيح بعضها فى صحيح البخارى ومسلم وبعضها فى احدهما وفى شرح صحيح مسلم للامام النووى رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انما انا بشر فاى المسلمين لعنته اوسببته فاجعله له زكاة واجرا وفى رواية اوجلدته فاجعلها له زكاة ورحمة وفى رواية فاى المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته اوسببته اوجلدته فاجعلها له زكاة وقربة وفى رواية انى اشترطت على ربى فقلت انما انا بشرا رضى كما رضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت عليه من امتى دعوة ليس لها باهل ان يجعلها له طهورا وزكاة وقربة هذه الاحاديث مبينة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على امته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة فى كل ماينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرا تبين المراد بباقى الروايات المطلقة وانه انما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلما والافقد دعى صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك بهم رحمة فان قيل فكيف يدعو على من ليس هو باهل للدعاء عليه اويسبه او يلعنه فالجواب ما اجاب به العلماء ومختصره وجهان احدهما ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى ان ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب فى فصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك ولا كبرت سنك * وفى حديث معاوية لااشبع الله بطنه ونحو ذلك لايقصدون بشئ من ذلك حقيقة الدعاء فخاف صلى الله عليه وسلم ان يصادف شئ من ذلك اجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب اليه ان يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا واجرا وانما كان يقع منه هذا فى النادر والشاذ من الازمان القليلة ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه ولما قوله [illegible]

كما يغضب البشر فقد يقال ان السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ماذكره المازري رحمه الله تعالى قال يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اراد ان دعاءه وسبه وجلده كان مما تخير فيه بين امرين احدهما هذا الذى فعله والثانى زجره بامر آخر فحمله الغضب لله تعالى على احد الامرين المخير فيهما وهو سبه اولعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجا عن حكم الشرع والله اعلم (وكل نبى) من انبياء الله تعالى عليهم السلام (مجاب الدعوة) يعنى بعين مادعى من غير تأخير الى الآخرة والافكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى * ادعونى استجب ولكن اما بعين مادعى اوباعلى منه او بادنى منه فى الحال او بعد الحال اوفى الآخرة على حسب ماتقتضيه الحكمة الالهية بل دعاء الكافر مجاب ايضا كما قال ابليس اجعلنى من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فاستجاب الله له وجعله من المنظرين واما قوله تعالى * ومادعاء الكافرين الافى ضلال * فهو اخبار منه تعالى انهم لايدعون فيما هو هدى لهم والله تعالى مجيب لهم ايضا فيما يدعونه فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فان قلت حيث كان كل نبى مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ان يجعل الله تعالى حساب امته اليه يوم القيمة كما ورد فى حديث الاسيوطى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان يجعل حساب امتى لى لئلا تفتضح عند الامم فأوحى الله عزوجل الى يامحمد بل أنا احاسبهم فان كان منهم زلة سترتها عنك لئلا يفتضحوا عندك حتى ذكر الشارح المناوى قال ابن العربى وفيه ان المصطفى صلى الله عليه وسلم فى اصل الاجابة كسائر المسلمين فى انه يجوز ان يعطى مادعى فيه وان يعرض عما سأل فالجواب ان الله تعالى اذاجعل حساب امته اليه سبحانه فان كان منهم زلة سترها لئلا يفتضحوا عند نبيهم صلى الله عليه وسلم ايضا فهذه اجابة لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم على ابلغ وجه طلبه من الله تعالى لان مراده صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى يجعل حساب امته اليه لئلا يفتضحوا يوم القيمة عند الامم كما علل بذلك سؤاله فاعطاه الله تعالى مراده من سؤاله بابلغ مما سأل ولم يفضحهم عنده ايضا فان حلم الله تعالى اوسع ورحمته اعم ومغفرته اشمل فقد يضيق صدره صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا فلا يحتمل قبائح العصاة اذا عرضت عليه فتشدد فى الحساب عليهم يوم القيمة وان طلب ذلك فى الدنيا من الله تعالى لانه لم يطلع عليهم تفصيلا مثل اطلاع الله تعالى فبقى العموم على اصله فى ان كل نبى مجاب الدعوة كما ذكرنا وكلام ابن العربى معناه جواز الاعراض عما سأل النبى صلى الله عليه وسلم لا وقوع ذلك وجواز الاعراض عن خصوص ماطلب لاعمومه وفى هذا الحديث الاجابة باعلى ماطلب ثم اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله يحتمل ارادة الاخبار عن الله تعالى انه لعنهم كما ذكرنا فالواو للعطف ويحتمل انشاء اللعن عليهم من النبى صلى الله عليه وسلم فالواو للاستئناف وبناسبه الاخبار بعده بان كل نبى مجاب الدعوة فمعناه ان دعوتى بلعنهم مستجابة

ولابد وقوله وكل نبي مجاب الدعوة محتمل ايضا ان تكون الواو للحال من فاعل لعنتهم وان تكون للعطف عليه والمعنى ان كل نبي مجاب الدعوة لعنهم ايضا ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله تعالى *يحكم بها النبيون الذين اسلموا* فان النبيين كلهم اسلموا وليس منهم من لم يسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الستة الذين لعنهم فقال الاول منهم (الزائد) يعني الذي زاد (في كتاب الله) تعالى ماليس منه عامدا متعمدا بان وضع كلمة مثلا زائدة وعلمها لمن لم يقرأ القرآن بعد او كتب كلمة زائدة في المصحف وادخلها في كلام الله تعالى اواخترع كيفية عمدا وقرأ بها آية من كتاب الله تعالى اوزاد حكما من احكام الله تعالى بمجرد قياس عقله وطبعه كمن حرم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه اواباح مالم يبحه الله تعالى في كتابه ولايدخل في ذلك من حرم اواباح بالسنة والاجماع اوالقياس في حق المجتهد فانه حكم بالكتاب ايضا لانها منه كما قدمنا وكذلك من اخترع بعقله ورأيه معنى لآية من كتاب الله تعالى لايليق بالشريعة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وماهو تابع لهواه وهذا لايخلوا اما ان يكون عن علم اولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ماتحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لماقبلها ومابعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقدر خص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قدفسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلماقالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر مافهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقددعى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان اكثر مانقل عنه التفسير كذا قاله ابو محمد الخازن في اول تفسيره (و) الثاني (المكذب بقدر الله) اي الذي يقول لاقدر وانما الامر انف اي لم يطرقه احد من قولهم روضة انف بضمتين قال الجوهري روضة انف بالضم اي لم يرعها احد والكلاء الانف الذي لم يرع وفي حواشي شرح السنوسية للعلامة الشيخ احمد المقري رحمه الله تعالى قال الابي القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء اذا احطت بمقداره وعلم

في عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد قدره سبحانه وتعالى ازلا اى سبق به علمه وتعلقت به ارادته وزعم كثير ان معنى القدر جبرالله تعالى العبد على ما قدره وقضاه. وليس كذلك والقول بالقدر عقيدة اهل الاسلام اجمع الى ان ظهرت هذه الطائفة المسماة بالقدرية آخر زمان الصحابة فقالوا لا قدر وانما الامر انف حتى ان الله تعالى لا يعلم الاشياء قبل وجودها وانما لا يعلمها بعد ان تقع ومعبد الجهني هو اول من قال بالقدر وغيلان الدمشقي واكثر مذهبهم مبني على منزع الفلاسفة الا الالهيات لكن لقبحه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم على اصل الاعتزال من اثبات منزلة بين المنزلين ويسمونه عدلا ونفي الصفات الذي اطبقت طوائفهم عليه واخذوه ايضا من الفلاسفة ويسمونه توحيدا ليدرؤا بذلك عن انفسهم اسم المجوسية التي سماهم بها الشرع في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وزعموا ان القدر المذموم المعنى في الحديث انما هو القدر الاول وليس المعنى في الحقيقة الاهم فانهم شاركوا المجوس في التنوية في اثبات فاعل غير الله تعالى حيث قالوا العبد يخلق افعاله والخير من الله والشر من غيره اه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عنهم ايضا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد في الحديث المذكور كما اخرج الاسيوطي في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر فقال الشارح المناوي اى لا يصدقون بان الله تعالى خلق افعال عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان واخرج الاسيوطي ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه لان من قطع بان الخلق لو اجتمعوا كلهم على ان ينفعوه لم ينفعوه الا بشيء قدره الله له ولو اجتمعوا على ان يضروه لم يضروه الا بشيء قدره عليه وطرح الاسباب فقد استمسك باعظم العرى واستنار قلبه وانشرح صدره وايقن بان العبد لا يعلم مصلحته الا ان اعلمه الله اياها ولا يقدر على تحصيلها حتى يقدره الله عليه ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه ارادة ومشيئة فعاد الامر كله من ابتدئ منه وهو الذي بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله قيل وفي التقدير بطلان اندبير والمرء طالب والقضاء غالب والقضاء يبعد القريب ويقرب البعيد ه وفي مختصر شرح الامام النووي على صحيح مسلم قال اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات القدر وهو انه سبحانه وتعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها في سابق علمه وانها مستأنفة العلم اى يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا تعالى ربنا وتقدس عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لانكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية في هذه

الازمان تعتقدان الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن ذلك قال امام الحرمين فى ارشاده ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر وهذا جهالة وتواقح فانا بحمد الله تعالى نفوض امورنا الى الله تعالى ونضيف جميع الامور الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونها الى انفسهم ومضيف الشئ الى نفسه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره قال امام الحرمين وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الاراده كما قسمت المجوس الخير الى يزدان والشر الى اهرمن وهذا الحديث اخرجه ابوداود واخرجه الحاكم فى المستدرك على شرط الصحيحين وقال الخطابى التشبيه من حيث ان المجوس اضافت الخير الى النور والشر الى الظلمة ثم قال وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد على ما قضاه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من افعال العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والمقدر اسم لماصدر مقدرا عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها (و) الثالث (المتسلط) من التسليط وهو اطلاق القهر والقدرة والسليط الشديد واللسان الطويل والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطة بالضم كذا فى القاموس والمعنى المطلق قهره وقدرته او المطلق لسانه بالسب والشتم (على امتى) امة الاجابة والمعاهدين من امة الدعوى (بالجبروت) اى بالتكبر والباطل والغرور (ليذل) من امتى له اولغيره اومطلق الذلة (من اعز الله) اى جعله الله تعالى عزيزا بعلم اودين وصلاح اومنصب دنيوى اومال حلال اومعرفة صنعة اوفراسة وحذق اوحسن خلق اوخلقة اونحو ذلك (ويعز) من الامة ايضا اى يجعل عزيزا عنده اوعند غيره (من اذل الله) اى جعله الله تعالى ذليلا بسبب الجهل اوفساد الدين اوقلة العمل بالعلم اوسوء الخلق ويدخل فى ذلك اعوان الظلمة الذين لم يقصدوا بخدمة الحكام نصرتهم فى تنفيذ الاحكام الشرعية (و) الرابع (المستحل) اى الذى يستحل بمعنى يستبيح (لحرم الله) بالفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله يعنى الموضع الذى يحترم لاجل الله ورسوله فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله قال فى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح الحرم حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنى عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر وذكر ان الحجر الاسود اخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرما محترما فيعظمه بابلغ ما يقدر عليه من التعظيم واعلم المواقيت الخمسة التى وقتها النبى صلى الله عليه وسلم وعينها للاحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفها الله تعالى ومن قصد مكة سواء كان للزيارة اوغيرها لا يحل له التجاوز من هذه الافنية بغير احرام تعظيما له الا اذا كان القاصد من داخل الميقات فحل له ان يدخل مكة بلا

غير الحج والعمرة وجاء فى الاثر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليهم اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفرله ومن رآه مصليا غفرله ومن رآه نائما مستقبل القبلة غفر له ولا يحل لاحد ان يحمل فيه سلاحا للمحاربة مع المسلمين اما حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار فيجوز كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم للفتح ولا يجنى فيه جناية على النفس ومادونها ولا يوءذى فيه مسلما واذا اراد ان يأكل او يقضى حاجته من البول والتغوط خرج الى الحل ان استطاع الخروج والافالى مقدار مايستطيع عليه لماروى فى حق كل منهما من الاحاديث والآثار حكى ان عمر بن عبدالعزيز وامثاله من الامراء كان يضرب فسطاطين فسطاطا فى الحرم وفسطاطا فى الحل فاذا اراد ان يصلى او يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا اراد ان يتكلم او يأكل اوغير ذلك خرج الى فسطاط الحل كذا فى الخالصة ولا يطيل بمكة الاقامة فيسأم من مجاورة الحرم او يقصر فى تعظيمه ولهذا كان عمر الفاروق رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يااهل اليمن يمنكم ويااهل الشام شامكم ويااهل العراق عراقكم وتكره اطالة المجاورة فيها عند ابى حنيفه رضى الله عنه خلافا لهما ولا نظنن ان كراهة ذلك تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع وفى الاشباه والنظائر فى احكام الحرم لايدخله احد الامحرما وتكره المجاورة فيه ولا يقتل ولا يقطع من فعل خارجه والتجاءبه ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء بقتله ويحرم قطع شجره ورعى حشيشه الاالاذخر ويسن الغسل لدخوله وتضاعف فيه الصلوات وحسناته كسيئاته ويؤاخذ فيه بالهم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه ولا تمتع ولا قران لمكى وتختص الهدايابه ويكره اخراج حجارته وترابه وهومساو لغيره عندنا فى اللقطة والدية على القاتل فيه خطأ ولا حرم للمدينة فلايثبت له هذه الاحكام الاثنان الغسل لدخولها وكراهة المجاورة بها اه وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام قال فى الحقائق لاحرم للمدينة عندنا وعند الشافعى رحمه الله تعالى لها حرم ثم اتفقت اقاويله انه لايباح قتل صيد حرم المدينة ولا قطع اشجاره واختلفت اقاويله فى وجوب الجزاء وفى المصفى والاصل ان اثبات الشرع بالرأى لايجوز فلا يجوز الحاق حرم المدينة بحرم مكة بالرأى حتى لايجوز اخذ صيده واما قوله عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة وانا احرم المدينة فمعناه اجعل لها حرمة وذكر بعد ذلك فى بيان الحرم المكى قال ذهب جماعة من السلف الى ان السيئات تتضاعف بمكة كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس وابن مسعود ومجاهد واحمد بن حنبل وغيرهم لتعظم البلد والعقاب على الهم بالسيئات بها وان لم يفعلها قال تعالى * ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم * ولهذا تعدى فعل الارادة بالباء لتضمن معنى هم وهذا استثنى

من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كل ذلك تعظيما لحرمته ولذلك اهلك الله اصحاب الفيل قبل الوصول الى بيته وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه لو ان رجلا هم ان يقتل فى الحرم اذاقه الله تعالى من العذاب الاليم ثم قرأ الآية وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل الا مكة وقرأ الآية وتورع بعضهم عن قضاء الحاجة بمكة وكان يتأول انها مسجد وهذا التأويل مردود بالاجماع وبفعله عليه السلام واصحابه والسلف نعم روى الطحاوى فى تهذيب الآثار من حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه لطبرانى فى الاوسط من طريق آخر اه ووجدت فى كتاب مشارق الانوار القدسية فى العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء اراد الحج اياك يا اخى ان تجاور فى مكة او المدينة فتعجز عن القيام بآدابهما فيصدق عليك المثل حججت وبعك خرج وزر فرجعت وفوق ظهرك الف خرج اوزارا لان تبعات كل من تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيمة فكأنها خرج وحدها فقال له يا سيدى اسمح لى بالمجاورة فقال لا اسمح لك الا ان كنت تدخل على الشروط فقال له وما الشروط فقال الشيخ منها انك لا تدخر قط فيها قوتا ولا دراهم مدة اقامتك فيها ومنها ان لا تأكل قط طعاما وحدك وانت تعلم ان فيها احدا جائعا فى ليل او نهار ومنها ان تلبس الهدم والخليقات ولا تلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع ومنها ان لا تحن مدة اقامتك الى رجوعك الى بلدك ابدا ولا تشتاق الى دار ولا ولد ولا الى وظيفة ولا الى اخوان فى غير مكة لانك فى حضرة الله الخاصة ولا يؤاخذ منك الا قلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت فى حضرته جسما بلا قلب ومنها ان لا يطرقه مدة اقامته هلع ولا رائحة اتهام للحق تعالى من امر رزقه ولا يخاف ان يضيعه ابدا لان اهل حضرته تعالى لا يجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء ادبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان فى بطن امه الى ان شابت لحيته وهذا من اقبح ما يكون مع ان تلك الارض تعطى ساكنها بالخاصية الهلع والاتهام للحق فى امر الرزق حتى لا يكاد يسلم من ذلك الا اكابر الاولياء ومن هنا كره الاكابر الاقامة بمكة ومنها ان لا يخطر فى نفسه مدة اقامته هناك معصية ابدا ولو بعد الوقوع من مثله فكيف بقريب الوقوع ومن هنا سافر الاكابر من الاولياء بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لاجل ذلك وكان الشعبى رضي الله عنه يقول لان اقيم فى حمام احب الى من ان اقيم بمكة وكان يقول لان اكون مؤذنا بخراسان احب الى من ان اقيم بمكة خوفا ان يخطر فى نفسى ارادة ذنب ولو لم افعله فيذيقنى الله من عذاب اليم لقوله تعالى ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم﴾ وهذا الشاص ... بالحرم المكى

فهو مستثنى من حديث ان الله تجاوز عن امتى ماحدثت به انفسها مالم تعمل وقد قالوا لابن عباس رضي الله عنهما الماسكن الطائف لم لاتقيم بمكة فقال لا اقدر على حفظ خاطرى من ارادة ظلمى للناس اوظلمى لنفسى فكيف لووقعت فى الفعل فان الله تعالى لم يتوعد احدا على مجرد ارادته السوء دون الفعل له الا بمكة فقال الشخص ياسيدى التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور (و) الخامس (المستحل) اى المستبيح بمعنى المنتهك (من عترتى) وهى بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى ومن سيأتى والمعنى من ذريتى ومن اهل بيتى الثابت نسبهم بطريق التواتر او الشهرة اوحكم الحاكم كأن صار واقعة شرعية وثبت بالبينة والافهو مظنون محترم على الظن (ما) اى فعلا اوقولا اوظنا (حرم الله) اى حكم الله تعالى بحرمته كالزانى بهم او القاذف لهم او الشاتم او الذى ظن بهم سوءا او اغتابهم اوظلمهم اونحو ذلك فان اثمه ابلغ من اثم من فعل ذلك مع غيرهم لهذا الحديث حيث آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايذاء ذريته (و) السادس (التارك لسنتى) الفعلية اوالقولية اوالاعتقادية اوالحالية وهى السنن المؤكدات دون الزوائد والمستحبات واخرج البيهقى هذا الحديث ايضا فى المدخل رواية اخرى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من اعز الله و يعز من اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ماحرم الله والتارك لسنتى واخرجه ايضا باسناده الى عبيدالله بن عبد الرحمن بن موهب قال سمعت على بن الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب فذكر الحديث بتمامه *الحديث العشرون (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن انس رضي الله عنه انه قال قال) يعنى النبى (صلى الله عليه وسلم لايؤمن) اى يصدق بالحق الذى جئت به ظاهرا و باطنا ويذعن له و ينقاد اليه (احدكم) ابدا (حتى اكون احب) اى اكثر حبا (اليه) فى الظاهر والباطن (من والديه) اى ابيه وامه الذى تولد هو منهما فهما اصله (و) من (ولده) ايضا الذى تولد منه ذكرا كان اوانثى فهو فرعه (و) من (الناس) اى بقية قرابته والاجانب عنه من اصحابه وغيرهم (اجمعين) تأكيد للكل من والديه وولده والناس فان الوالد والوالدة وان لم يطلقا على الجد والجدة يراد بهما الاب والام فيشملان الاجداد والجدات كما قال تعالى * يابنى آدم * وهو جدهم وقال الشاعر * الناس من جهة التكريم اكفاء * ابوهم آدم والام حواء * مع ان حواء جدتهم وكذلك الولد شامل للابن وابن الابن وان سفل والبنت و بنت البنت وان سفلت قال الامام القرطبى فى شرح مسلم عند الكلام على حديث لايؤمن عبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين هذا الحديث على ايجازه يتضمن ذكر اصناف المحبة

فانها ثلاثة محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء ومحبة رحمة واشفاق كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد ان تكون راجحة على ذلك كله وانما كان ذلك لان الله تبارك وتعالى قد كمله على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جعله عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة وبما فضله به من الأخلاق الحسنة والمناقب الجميلة فهو اكمل من وطئ الثرى وافضل من ركب ومشى واكرم من وافى القيمة واعلاهم منزلة فى دار الكرامة قال القاضى ابو الفضل فلا يصح الايمان الا بتحقيق انافة قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول انه صرف محبة النبى صلى الله عليه وسلم الى اعتقاد تعظيمه واجلاله ولا شك فى كفر من لا يعتقد ذلك غير ان تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لان اعتقاد الاعظمية ليس بالمحبة ولا الاحبية ولا مستلزما لها اذ قد يجد الانسان من نفسه اعظام امر او شخص ولا يجد محبته ولان عمر رضى الله عنه لما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده ووالده والناس اجمعين قال يارسول الله انت احب الى من كل شئ الا نفسى فقال ومن نفسك ياعمر فقال ومن نفسى فقال الآن ياعمر وهذا كله تصريح بان هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل الى المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتأمل هذا الفرق فانه صحيح ومع ذلك فقد خفى على كثير من الناس وعلى هذا فمعنى الحديث والله اعلم ان من لم يجد من نفسه ذلك الميل وارجحيته للنبى صلى الله عليه وسلم لم يكمل ايمانه على انى اقول ان كل من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به ايمانا صحيحا لم يخل عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة للنبى صلى الله عليه وسلم غير انهم فى ذلك متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك الارجحية بالحظ الاوفى كما قد اتفق لعمر رضى الله عنه حين قال ومن نفسى ولهند امرأة ابى سفيان حين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لقد كان وجهك ابغض الوجوه كلها الى فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الى الحديث وكما قال عمرو بن العاص لقد رأيتنى وما احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه وما كنت اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له ولو شئت ان اصفه ما اطقت لانى لم اكن املاء عينى منه ولا شك فى ان حظ اصحابه من هذا اعظم لان معرفتهم لقدره اعظم لان المحبة ثمرة المعرفة فتقوى وتضعف بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات عن ذلك المعنى فى اكثر الاوقات فهذا باخس الاحوال لكنه اذا ذكر بالنبى صلى الله عليه وسلم او بشئ من فضائله اهتاج لذكره واشتاق رؤيته بحيث يؤثر رؤيته بل رؤية قبره ومواضع آثاره على اهله وماله وولده ونفسه والناس اجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانا لا شك فيه غير انه سريع الزوال والذهاب لغلبة الشهوات

وتوالى الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب اصل تلك المحبة حتى لا يوجد منها حبة فنسأل الله الكريم ان يمن علينا بدوامها وكمالها ولا يحجبنا عنها آمين وفى مختصر شرح النووى على مسلم عند الكلام على هذا الحديث قال الخطابى لم يرد به حب الطبع بل اراد به حب الاختيار اذ حب الطبع لا يمكن قلبه فمعناه لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وان كان فيه هلاكك ومعنى الحديث ان من استكمل الايمان علم ان حقه صلى الله عليه وسلم آكد من حق ابيه وابنه والناس اجمعين وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا الى الصراط المستقيم ومن محبته نصرة سنته وتأييد شريعته واجلالها وتعظيمه التعظيم اللائق ولا يصح الا بتحقيق اعلاء قدر النبى صلى الله عليه وسلم على كل والد وولد ومحسن ومفضل وقال ابن اقبرس فى شرح الشفاء محبته صلى الله عليه وسلم هى الواجب الفرض الثابت الصحيح المرضى اذ لا يكون المؤمن مؤمنا دون محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك واجب عقلا وشرعا اما عقلا فان جميع ما كان عليه قولا وفعلا امرا ونهيا مستحسن فى العقول وقد علم ذلك عقلا للكفار كهرقل حيث سأل اباسفيان فى قوله فاذا يأمركم به الحديث فى اول صحيح البخارى هذا من جهة معناه واما صورة فكما ثبت انه احسن خلق الله صورة فكان كاملا صورة ومعنى ولا شك فى كون ذلك من دواعى المحبة واسبابها من جهة الفعل ولا يخالف عاقل فى ذلك فان النفوس مجبولة على حب الصور الحسان والمعانى الجميلة المتصورة فى الاذهان واما شرعا فبالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها * الآية وفيها دلالة وحجة على الزام المحبة ووجوبها وعظم خطرها واما السنة فبالاحاديث الواردة فى ذلك وقال الشيخ القسطلانى فى المواهب اللدنية روى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخارى وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفى رواية النسائى تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد فى رواية عبد العزيز ابن صهيب عن انس والناس وفى صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل فى المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس فى حديث ابى هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص (الفصل الثانى) من الفصول الثلاثة من الباب الاول (فى) بيان اقسام (البدع) وذكر احكامها وهى جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد المخالف والعمل المخالف والقول المخالف والاصل فيه ان الله تعالى لم يخلق المكلفين الا لعبادته كما قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * والعبادة هى الذل للمعبود وذلك بترك الدخول تحت احكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات

واسلام النفس بالكلية لربها نستحسن ما استحسنه لها ربها ونستقبح مااستقبحه منها وقد آمنت برسوله الصادق وكتابه المنزل بالحق فلزمها ان تدخل تحت تصرفات احكام الكتاب والسنة فمتى اخترعت امرا مطلقا فقد خرجت عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضى الاسلام وبرئت من حب الكتاب والسنة فان كان ذلك الامر فى الاعتقاد فان اوجب جحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كانت بدعة مكفرة وان لم يكن فى الاعتقاد بل فى مجرد القول او العمل فهو الفسق ان اوجب فعل محرم اوترك فرض وسيأتى لهذا زيادة بيان ان شاء الله تعالى فى هذا الفصل والدليل على قبح البدع والنهى عنها (الاخبار) الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى ستة احاديث * الحديث الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احدث) اى ابتدأ واخترع (فى امرنا) اى شأننا وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (هذا) اشار اليه من كمال استحضاره وشرف منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كأنه امر محسوس يشار اليه (ما) اى اعتقاد او قول اوفعل او حال او زيادة فيما شرع من ذلك اونقصان منه ومعنى الاحداث فيه ادراجه فى جملة احكامه ورجاء الثواب عليه (ليس منه) اى من امرنا المذكور بان كان ليس من مقصود الشرع ولم يكن فيه داعية الى اقامة مقصود الشرع (فهو) اى ما احدثه مما ذكرنا (رد) اى صرف منه لامرنا وعدم ايمان به وتخطئة له او هو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة اى مردود عليه غير مقبول منه وفيه اشارة الى ان البدع اذا لم تكن فى الدين والعبادة بان كانت فى العادة لم تكن ردا نحو البدع فى المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب الى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال ما لم يترتب عليها ترك طاعة شرعية او فعل امر منهى عنه كما اذا ادى لبس العمامة الكبيرة الى عدم التمكن من السجود فى الصلاة اواقتضى نفى الخشوع فيها وكذلك اذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة اوادى الى رياء وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك (وفى رواية) اخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا) بقلبه او بجوارحه او بلسانه او بكله بان اعتقد او فعل او قال او تخلق بامر (ليس عليه امرنا) اى شاننا يعنى شرعنا المحمدى (فهو رد) علينا اوعليه كما ذكرنا * الحديث الثانى (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن الزهرى رضى الله عنه قال دخلت على انس) بن مالك رضى الله عنه (وهو) الواو للحال اى والحال ان انسا رضى الله عنه (يبكى فقلت ما) يعنى اى شئ (يبكيك) ياانس (قال لااعرف) يعنى الان (شيئا مما) اى من الاشياء العظيمة التى (ادركت) اى ادركتها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدير الكلام فبقى من غير تغيير عما كنت ادركته (الا هذه

الصلاة) اى جنسها فيشمل الفرض والواجب والنفل اشار اليها لاستحضارها فى ذهنه او تعظيم امرها عنده لانها ثانية الايمان (و) الحال ان (هذه الصلاة قد ضيعت) بالضم والتشديد اى ضيعها الناس فلم يأتوا بها على الوجه الاكمل من اتمام شروطها واركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها وآدابها وترك مفسداتها ومكروهاتها ومراعات خشوعها والحضور فيها وجمع القلب عليها من غير التفات فيها الى غيرها كما قال تعالى * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * قال العز بن عبد السلام فى تفسيره خلف اولاد سوء وبالفتح للمدح قيل هم من هذه الامة من بنى المشيد وركب الذلول ولبس المشهور واضاعوا الصلاة اخروا اوتركوا اوحدودها اوشروطها وهواسم الجنس وقرأ الحسن بالجمع وغيا جزاء اوخسرانا اوعذابا اوشرا اوضلالا اوخيبة وقيل واد فى جهنم وقال الخازن اضاعوا الصلاة اى تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهوان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس وقال ابو عبد الرحمن السلمى قال محمد بن حامد اولئك قوم حرموا تعظيم الانبياء والاولياء والصديقين فحجبهم الله تعالى عن معرفته واصابتهم شقاوة تلك الحال فاضاعوا الصلاة التى هى محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها ولم يتحققوا واتبعوا آراءهم واهواءهم فاصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة واثر الشقاوة على العبد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته اه وخلاصة المعنى فى هذا الحديث هو بكاء انس رضى الله عنه على اضاعة الصلاة بالزيادة فيها والنقصان منها بما هو خلاف السنة التى كان يعهدها فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة السنة هو البدعة وفيه الحث على اظهار الاسف والحزن عند انتهاك حرمات الشرع وعدم رضاء المؤمن بذلك وفيه عدم تعيين احد فى انكار المنكر وتعميم الانكار وستر قبائح المسلمين المعينين فان انسا رضى الله عنه ما بكى من ذلك الا بعد رؤيته فى انسان معين اوجماعة معينين ولم يذكرهم ولم يعينهم وانما انكر منكرهم على مقتضى ما يعرفه من كيفية انكار المنكر على وجه السنة لا البدعة المخترعة من جهال العلماء فى هذا الزمان وقدمر غير مرة التنبيه على ذلك * الحديث الثالث (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن غضيف بن الحارث رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من امة) اى جماعة من المسلمين (ابتدعت) واستحدثت (بعد) ذهاب (نبيها) عنها وتباعد عهد سنته حتى يمكنها ذلك (فى دينها) الذى تدين الله تعالى به اى تطيعه فيه وهو شريعتها وملتها احتراز عن الابتداع فى امور الدنيا كالبدع فى العادة وهى التى لا يقصد بها صاحبها اذا فعلها اجرا ولا ثوابا من الله تعالى يوم القيمة وانما مراده مجرد عملها لنفع دنيوى اولدفع ضرر عنه فى الدنيا اولا لنفع ولا لضرر كالاشياء المباحة فى انواع المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحو ذلك

(بدعة) اى فعلة ليست معروفة فى السنة النبوية من اى نوع كانت فى الاعتقاد او العمل
او القول او الاخلاق ولهذا نكرها والنكرة فى الاثبات وان لم تعم عندنا لكنها مطلقة دالة
على فرد غير معين فلا يختص بها نوع دون نوع وعند الشافعى رحمه الله تعالى تعم
كما هو مبسوط فى الاصول وهذا الحكم فى البدعة الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهى
البدعة غير المكفرة اذ المكفرة تزيل الاسلام فضلا عن اضاعة السنة (الا اضاعت)
تلك الامة اى تركت واهملت (مثلها) اى مثل تلك البدعة يعنى من جنسها
اعتقادا او قولا او عملا او تخلقا (من السنة) النبوية الاعتقادية او العملية
او القولية او الاخلاقية والمعنى ان الناس كلما ابتدعوا بدعة فى الدين تركوا
من جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة فى الاعتقاد كاعتقاد المعتزلة انهم
يخلقون افعال انفسهم مثلا على معنى ان لهم تأثيرا فى ذلك بخلق الله تعالى فيهم قدرة على
ذلك فان هذه بدعة فى الدين اعتقادية لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بان الله تعالى
خالق افعال العباد كلها من الخير والشر والنفع والضر منسوبة الى الانسان ولا تأثير
للانسان فيها اصلا كما انه تعالى خلق للانسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تأثير للانسان
فى خلق ذلك له ابدا ومع هذا فيقال يد الانسان ورجل الانسان مع انه ليس بخالق
لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع انه تعالى خالق ذلك فكذلك جميع افعال الانسان
خالقها هو الله تعالى وحده ولا تنسب اليه تعالى ولكنها تنسب الى الانسان كلها
والانسان ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة فى هذه المسئلة سميتها تحريك سلسلة
الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد جعلتها مكتوبا ارسلت بها الى بعض علماء المدينة
المنورة فهذه سنة فى الاعتقاد ضاعت وتركت عند المعتزلة ومن تابعهم لما ابتدعوا
ما ينافيها من بدعتهم المذكورة وكذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى العمل ولو كانت تلك
البدعة فى العادة لا فى الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هى عندهم
معصية يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها ايضا فى العمل
كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يبقى القلب مشتغلا بامور الدنيا
وهم فى الصلاة ولا يمكنهم الخشوع فيها فان هذه بدعة ابتدعها الناس فى العادة
لم تكن فى الزمان الاول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع فى الصلاة والحضور فيها
والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب ايضا كما قال تعالى عن الصدر الاول
﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة﴾ وقال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا
اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع﴾ وقال تعالى ﴿قد افلح
المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ وقال تعالى فى اصحاب البدعة المذكورة
فى الصلاة ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ وقال تعالى ﴿يا ايها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ وقال تعالى ﴿واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا﴾ فهذه بدعة فى العمل

عادية لماظهرت تركت مثلها سنة فى العمل ونسيت ومثل ذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى القول مثل الكلام فى وقت تشييع الجنازة فانه لما فشى فى الناس خصوصا التحدث فى امر الدنيا وكثرة اللغط وان كانت بدعة فى العادة ايضا فقد ذهبت بها سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر فى امر الموت والقبر فى تلك الحالة وكذلك البدعة فى الاخلاق كما اعتادت الناس ان يتبعوا بعضهم بعضا فى كل امر كانوا عليه كما سمعنهم يقولون يا ايها الناس كونوا مع الناس فان هذه البدعة فى العادة لماظهرت ذهبت سنة اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وائمة الهدى رضى الله عنهم فصار الناس يبحثون عن عادات بعضهم بعضا فى الدين والدنيا ليتابعوا ذلك ويعملوا عليه ولا يبحثون عن سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرة الصحابة والصالحين ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع فى العادة وفى العبادة الا البعض من البدع فى العادة لماظهرت تركت ونسيت جميع السنن التى تماثلها وتقابلها وانمحت آثارها بالكلية واندرست حتى صار الجاهل اذا فعلت عنده يقطع بأنها بدع لا سنن كما نقل الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغير عن بعض الحكماء انه قال معروف زماننا منكر زمان مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت انتهى ومامن زمان الا ومابعده شرمنه وفى روح القدس للشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال روينا عن ابى حامد وغيره وعن ابى مغيث فى كتاب المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شابا قد احتفر لنفسه حفرة فى الرمل فسألته فتأوه ثم قال يذم اهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون لها فدافترشوا الرخص ومهدوا الزلل واعتلوا ازلل الماضين الى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عنى * الحديث الرابع (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى بمحض عدله (حجب) اى منع وستر (التوبة) مصدر تاب الى الله توبا وتوبة ومتابا وتابة وتتوبة رجع عن المعصية وهوتائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة اورجع به من التشديد الى التخفيف اورجع عليه بفضله وقبوله وهوتواب على عباده كذا فى القاموس فالتوبة من العبد والتوبة من الرب ايضا فحجب الرب توبته عدم التوفيق لها اومنع الرجوع بالفضل والقبول وحجب الرب توبة العبدعدم تيسير هاله كما أرادها العبد وفى رياض الصالحين قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة وان يبرأ من حق صاحبها فان كانت مالا اونحوه رده اليه وان كان حدقذف اونحوه مكنه منه اوطلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها (عن كل صاحب) اى فاعل سواء كان هوالذى ابتدع

تلك البدعة اوفعلها فقط ولم يبتدعها (بدعة) فى الدين اعتقادية اوفعلية اوقولية اواخلاقية وهوفى بدعة واحدة فما بالك بأكثر من ذلك لانه يرجوالثواب عليها فكيف يتوب منها ولهذا كلما اراد المبتدع ان يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا يتيسر له مااراد لاحتجاب التوبة من تلك البدعة عنه ويحتمل مطلق التوبة من تلك البدعة وغيرها من الذنوب اما التوبة من تلك البدعة فظاهر لان شرط صحة التوبة ترك المعصية والاقلاع عنها فى الحال كما قدمناه فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته واما مطلق التوبة ويؤيدها الحديث الآتى بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم ارتكابها اوكونها مكفرة فلاتتأتى معها التوبة من ذنب غيرها والافان التوبة من ذنب مع الاصرار على ذنب آخر صحيحة قال النووى رحمه الله تعالى فى رياضه ويجب ان يتوب من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته عند اهل الحق من ذلك الذنب و بقى عليه الباقى (حتى يدع) اى يترك ذلك المبتدع (بدعته) و يقلع عنها لتصح توبته منها اومن غيرها من الذنوب ايضا * الحديث الخامس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى) اى كره والاباءة الكراهة (الله) تعالى بحكمه العدل من كثرة قبح البدعة لانها شرع النفوس الامارة بالسوء وحكم الشيطان المستولى على القلب الغافل (ان يقبل عمل صاحب بدعة) فى الدين اى مصر على فعل بدعة من البدع الاعتقادية اوالعملية اوالقولية اوالتخلقية وهذا فى بدعة واحدة غيرمكفرة فكيف ببدع كثيرة غيرمكفرة لاعتقاده انها طاعة مثاب عليها وعمله الذى لايقبله الله تعالى قديكون اعتقادا اوفعلا اوقولا اوتخلقا وقديكون صحيحا من جهة استيفاء شروطه ولكنه غيرمقبول عندالله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكابه لتلك البدعة مادام مصرا على فعلها (حتى يدع) اى يترك (بدعته) لاجل الله تعالى اماخوفا منه تعالى اوطمعا فى ثوابه اوابتغاء وجهه الكريم لاخوف من الناس اولعدم قدرته على ذلك اومحافظة على صلاحه وتقواه ان يزول من اعين الغير فيزول احترامه عندهم و ينقص من اعينهم فان هذا تقوى الناس لاتقوى الله تعالى وهو غيرمانع من الاصرار فى الباطن على المعصية وصاحبه عابد للناس باطنا وان كان يزعم انه عابدلله تعالى فى الظاهر كما قال تعالى * فلا تخشوهم واخشونى * وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول * الحديث السادس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الله) سبحانه وتعالى وان حكم بالصحة بمقتضى شرعه المحمدى اذليس كل عمل صحيح مقبول كما قال تعالى * انما يتقبل الله من المتقين * وغيرالمتقين من المسلمين وان صح عملهم فهو غيرمقبول [illegible]

العمل عنده وان كان قليلا واعطاؤه عليه الجزاء الوافى ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به فى الدنيا باحساس العبد بمقامات الكشف الالهى والقرب الاقدس وفى الآخرة بمقامات الرؤية الربانية فى دار النعيم الابدى (لصاحب البدعة) اى المصر عليها يعنى بدعة فى العبادة غير مكفرة اذ المكفرة تنافى صحة العمل فضلا عن قبوله وهذا فى بدعة واحدة فكيف باكثر من ذلك (صوما) فرضا اونفلا ولم يذكر الصلاة لانها مفهومة بالاولى حيث انها اعظم من الصوم وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتا الايمان فهو كذلك (ولا حجا ولا عمرة) وان فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول (ولا جهادا) فى سبيل الله تعالى (ولا صرفا) اى انصرافا عن المعصية يعنى التوبة (ولا عدلا) اى استقامة فى الامر اوضد الجور قال الجوهرى الصرف التوبة يقال لا يقبل منه صرف ولا عدل قال يونس فالصرف الحيلة ومنه قولهم انه ليتصرف فى الامور وقوله تعالى * فما يستطيعون صرفا ولا نصرا * وقال فى القاموس الصرف فى الحديث التوبة والعدل الفدية اوهو النافلة والعدل الفريضة اوبالعكس اوهو الوزن والعدل الكيل اوهو الاكتساب والعدل الجزاء اوالحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا ان الله تعالى لا يقبل لصاحب البدعة فى الدين عملا من اعمال الطاعات مطلقا وان صحت تلك الاعمال منه لاستيفاء شروطها الشرعية مادام مصرا على فعل تلك البدعة حتى يتوب منها وانما ورد التصريح هنا من الاعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط ثم عمم بالصرف والعدل لان هذه العبادات الاربعة المخصوصات بالذكر لها صعوبات على النفوس اكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتى البطن والفرج والحج والعمرة اتعاب النفس بانفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات الجماع والطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد ابلغ من ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ماعداه بالطريق الاولى فانه حيث بذل نفسه فى هذه الطاعات المشقة عليه ولم تقبل منه لاصراره على بدعته فكيف تقبل منه الاعمال التى مشقته فيها دون ذلك (يخرج) يعنى صاحب البدعة فى الدين حيث يعدها طاعة بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهره عن حكم نبيه ورحمانه (من الاسلام) الظاهر فقط الذى هو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وعدم المحاربة له كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكم الله تعالى عليهم الى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق بقبح ذلك الفعل والايمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصى والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة اطلاق الاسلام على ماذكرنا قوله تعالى * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * قال البيضاوى اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب والاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة وقال الخازن فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف

يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولايكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله ان الايمان وهو التصديق بالقلب لا يفارق صاحب البدعة غير المكفرة ابدا كما قدمناه واما الاسلام فنوعان اسلام بالقلب وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وهو لا يفارق صاحب البدعة المذكورة ايضا فهو مؤمن مسلم والايمان والاسلام واحد عند اهل السنة واسلام بظاهر اللسان والجوارح وهو الذى يفارق صاحب البدعة المذكورة مع وجود الايمان والاسلام فى قلبه (كما يخرج الشعر) قال فى القاموس الشعر وبحرك نبتة الجسم مما ليس بصوف ولاوبر والجمع اشعار وشعور وشعار الواحدة شعرة (من العجين) مثال لكمال تخليص صاحب البدعة فى الدين مما كان فيه قبل ذلك من اظهار التسليم والانقياد باللسان والجوارح ايضا لحكم الله تعالى على طريقة الردع له والزجر فان الشعرة اذا جذبت من العجين لايعلق عليها من العجين شئ فتخرج وليس فيها اثر من ذلك اصلا فان قلت كيف خرج صاحب البدعة فى الدين غير المكفرة من الاسلام الظاهر وله صوم وحج وعمرة و جهاد قلت لما كان مصرا على بدعته فى الدين فاعلا لها لامحالة طالبا الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذى كلفه بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة الى فعله تلك البدعة حيث هو مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان فان قلت جميع المعاصى والمخالفات بدع فالمرتكب لشئ منها مذنب عاص فهل مبتدع حتى لايقبل عمله مدة اصراره على ذنبه ذلك ومعصيته قلت ليس المذنب العاصى بمبتدع ولاالمعاصى والمخالفات بدع فى الدين بل البدع فى الدين معاص ومخالفات وشرط البدعة فى الدين كما قدمناه ان يدين الله تعالى بها ويطيعه فيهما فيقصد بفعلها الثواب والاجر من الله تعالى واما المعاصى والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ولا يطلب الثواب عليها والاجر من الله تعالى والاالكفر باستحلالها بل انما يحمله على فعلها الشهوة والغرض النفسانى فليست بدعا فى الدين ولافاعلها بمبتدع لايقبل عمله بل اذا خلا من فعل البدعة فى الدين قبل عمله ولايمنع من قبول عمله ارتكاب المعصية (وقد سبق) فى نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الاخبار النبوية (حديث العرباض بن سارية) المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وتقدم منا الكلام على ذلك (و) سبق حديث (جابر) ايضا (رضى الله عنهما) اى عن العرباض وجابر المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث

كتاب الله وخير الهدى هدى محمد عليه السلام وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وتقدم منا الكلام ايضا عليه بالتمام ثم لما كان هذان الحديثان يشتملان على قوله صلى الله عليه وسلم كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة نشأ منهما اشكال اورده بقوله (فان قيل) اى قال لك قائل من الناس (كيف التطبيق) اى المطابقة والموافقة وزوال المنافاة والمناقضة (بين قوله عليه الصلاة والسلام) فى هذين الحديثين المذكورين (كل بدعة ضلالة و بين قول الفقهاء) اصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع الى اقسام كما سيبينه قريبا (ان البدعة قد تكون) بدعة (مباحة) لا يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كاستعمال المنخل) بضم الخاء المعجمة و يجوز ان تفتح خاؤه ما ينخل به كذا فى القاموس وكان السلف لا يكثرون نخل الدقيق بل يأكلون الخبز غير منخول وانما كثر النخل بعد ذلك فى الخلف (والمواظبة على اكل لب الحنطة) بعد ازالة قشرها وكدرها بالمنخل وان كان فى السلف اكل لب الحنطة ايضا كما قدمناه عن احياء الغزالى فى خبر عثمان رضى الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه (والشبع منه) اى من اكل لب الحنطة قال فى شرعة الاسلام اول بدعة حدثت فى الاسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا اى مانقى دقيقه من النخالة ولا منخلا وقال فى شرحها وعن سهل بن سعد ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا فى المصابيح (وقد تكون) يعنى البدعة (مستحبة) يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كبناء المنارة) والاصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة والجمع مناور ومناير كذا فى القاموس والمراد هنا المأذنة موضع الاذان وفى القاموس المأذنة بالكسر موضع الاذان او المنارة والصومعة انتهى وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام انه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم مئذنة وروى ابوداود من حديث عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت كان بيتي من اطول بيت حول المسجد وكان بلال يأتي بسحر فيجلس عليه ينظر الى الفجر فاذا رآه اذن ذكره فى البحر شرح الكنز وفى وسائل الاسيوطى ان اول من رقى منارة مصر للاذان شرحبيل بن عامر المرادى وقال ابن سعد بالسند الى ام زيد ابن ثابت كان بيتي اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما اذن الى ان بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شئ فوق ظهره (و) بناء (المدارس) جمع مدرسة موضع الدراسة وهى القراءة قال فى القاموس درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة قرأه كادرسه والمدارس المواضع يقرأ فيها القرآن ومنه مدارس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذى بنى لدراسة العلم مع الطلبة اودراسة القرآن (وتصنيف الكتب) اى فى جميع العلوم اى جعلها صنوفا وابوابا وفصولا لنشر العلم وبيانه (بل قد تكون) اى البدعة

(واجبة) يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليها (كنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) جمع دليل وهو مايستدل به من المقدمات اليقينية او الظنية (رد) اى ابطال (شبه) جمع شبهة وهى مايشبه الدليل فى العقائد وليس بدليل (الملاحدة) جمع ملحد من الالحاد وهو الميل والعدول عن طريقة اهل السنة والجماعة (ونحوهم) كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال (قلنا) فى الجواب عن هذا الاشكال المذكور (للبدعة) بالكسر من حيث هى فعلة حادثة بعد ان لم تكن (معنيان) الاول (معنى لغوى) منسوب الى اللغة وهى لغة العرب (عام) يشمل جميع اقسام البدعة وذلك (هو المحدث) بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثا وحداثة نقيض قدم (مطلقا) اى حدوثا مطلقا عن القيد بشئ ثم بينه فقال (عادة كان) ذلك المحدث (اوعبادة) والمراد بالعادة مالايطلب فاعله عليه ثوابا من الله تعالى يوم القيامة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوى والعبادة بخلاف ذلك وهى مايطلب فاعله عليه من الله تعالى ثوابا يوم القيامة (لانها) اى البدعة (اسم) مشتق (من الابتداع) مصدر ابتدع (بمعنى الاحداث) والاختراع (كالرفعة) بالكسر للشرف والعلو اسم (من الارتفاع والخلفة) اسم (من الاختلاف) قال فى القاموس الخلفة بالكسر اسم من الاختلاف اى التردد جعل الليل والنهار خلفة اى هذا خلف من هذا وهذا يأتى خلف هذا ومعناه من فاته امر بالليل ادركه بالنهار وبالعكس يعنى ومن فاته امر بالنهار ادركه بالليل (وهذه) اى البدعة اللغوية العامة (هى المقسم) اى موضع القسمة الى الاقسام الآتية (فى عبارة الفقهاء) الحنفية وغيرهم (يعنون) اى يقصدون (بها) اى بالبدعة اللغوية العامة المذكورة (ما) اى الامر الذى اوامرا (احدث) بالبناء للمفعول اى احدثه محدث من اهل الاسلام وغيرهم (بعد) ذهاب (الصدر) وهو اعلى مقدم كل شئ واوله كذا فى القاموس (الاول) نعت للصدر وهم السلف المتقدمون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فما حدث منهم فى زمانهم فليس ببدعة والبدعة ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال فى شرعة الاسلام فى بيان السنة التى يجب التمسك بها هى ماكان عليه القرن المشهود لهم وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم فما حدث بعد ذلك من امر على خلاف مناهجهم فهو من البدعة (مطلقا) يعنى سواء كان فى العبادة والدين اوغير ذلك (و) الثانى (معنى شرعى) اى منسوب الى الشرع وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (خاص) بالعبادة والدين (هو الزيادة) على ما ورد (فى الدين) زيادة مستقلة كابداع طاعة مالها اصل فى دين الله تعالى اوغير مستقلة كزيادة فى طاعة شرعية

(اونقصان منه) اى من الدين نقصانا مستقلا كترك طاعة شرعية اعتقد تاركها ذلك الترك طاعة اوغير مستقل كترك بعض طاعة شرعية اعتقد التارك لترك ذلك البعض طاعة (الحادثان) نعت للزيادة والنقصان (بعد) انقراض زمان (الصحابة) وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضي الله عنهم وهم الصدر الاول كما قدمنا (بغير اذن) فى تلك الزيادة او النقصان (من الشارع) اى المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لاقولا) اى بالقول (ولافعلا) اى بالفعل (ولاصريحا) اى بالصريح (ولااشارة) اى بالاشارة والمعنى انه يكتفى فى ورود الاذن باحد هذه الطرق الاربعة لووجد احتراز عما ورد الاذن فيه بالزيادة والنقصان كقوله صلى الله عليه وسلم من قال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك ادناه ومن قال فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك ادناه ذكره فى شرح لسدرر وروى عن ابى الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة من ذهب رواه البيهقى فى السنن الصغير فقد ورد التخيير فى هذه الزيادة والنقصان فليس شئ من ذلك ببدعة (فلاتتناول) البدعة من حيث معناها الشرعى شيئا من انواع (العادات اصلا) جمع عادة وهو كل امر يقصد به حصول غرض دنيوى كالملابس المخترعة فى هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس انواعا متنوعة فلايسمى فى الشرع بدعة لانه ليس فى الدين بل فى الدنيا وشرط البدعة فى الشرع ان تكون فى الدين بان يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى بها (بل تقتصر) اى البدعة فى الشرع اليوم (على بعض الاعتقادات) كاعتقادات الفرق الضالة ومن تابعهم (وبعض صور العبادات) الواردة فى الشرع بان يزاد فى صورتها او ينقص منها مع اعتقاد ان تلك الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الرأى لتخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان الواقعة فى العبادات على حسب اختلاف المذاهب الاربعة اليوم كتثنية الاقامة عند ابى حنيفة رضي الله عنه بالنظر الى مذهب الامام الشافعى رحمه الله تعالى وافرادها عند الشافعى بالنظر الى مذهب ابى حنيفة رضي الله عنه وصلاة الكسوف بركوعين وسجودين وفاتحتين فى كل ركعة عند الشافعى لاعند ابى حنيفة رضي الله عنهما فان هذا وماشابهه ليس ببدعة فى الدين لانه مأخوذ من الادلة الشرعية لامن مجرد الرأى وانما المأخوذ من مجرد الرأى الزيادة على الوضوء الشرعى والغسل الشرعى بكثرة صب الماء اذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة واذا اعتقد انه وسوسة مكروهة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فهو معصية وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير فى افتتاح الصلاة . تكرار النطق فى الصلاة

بكل كلمة من القراءة والتشهد وغسل الثياب الجدد لاحتمال النجاسة فيها وغسل الفم من اكل الخبز لاحتمال نجاسة الحنطة ببول الثيران عليها فى وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص فى كلام العلماء على كونه خارجا من قانون الشرع وهو محض وسوسة فتى فعل ذلك احد قاصدا بانه طاعة كان بدعة وان لم يقصد انه طاعة كان معصية وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا كل امر يضارع ماذكرنا (فهذه) البدعة فى الشرع دون العادة (هى مراده عليه الصلاة والسلام) حيث قال فى الحديثين السابقين كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة يعنى كل محدث فى الشرع بدعة وكل بدعة فى الشرع ضلالة والمراد كل بدعة فى الشرع ليس فيها اعانة على الطاعة الشرعية بان كانت بدعة سيئة واما البدعة فى الشرع اذا كان فيها اعانة على طاعة شرعية فانها تكون باذن من الشارع ولو بطريق الاشارة كما تقدم فهى بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة فى الشرع ضلالة (بدليل) متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعنى ان البدعة فى الشرع غير شاملة للبدع فى العادات والدليل على ذلك مقتضى (قوله عليه الصلاة والسلام) فى الحديث السابق (فعليكم) يامعشر المكلفين يعنى الزموا العمل (بسنتى) وهى ماشرعه صلى الله عليه وسلم لهم فى دينهم دون ماشرعوه هم لانفسهم من الدين وهى البدع ولم يشرع لهم صلى الله عليه وسلم شيئا فى العادات لانه جاء ليعلمهم دينهم لادنياهم فلا تدخل فى ذلك البدع فى العادات (وسنة الخلفاء) جمع خليفة (الراشدين) اى اهل الرشد ضد الغى (المهديين) وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين يعنى الزموا ماشرعه لكم خلفائى (من بعدى) يعنى فى الدين اذلم تشرع الخلفاء شيئا الا فى الدين فلا يشمل امر العادة (وقوله عليه الصلاة والسلام) فى صدر الحديث المتقدم (انتم اعلم بامر دنياكم) يعنى لاتحتاجون ان اشرعه لكم اى ابينه وانما حاجتكم لامر دينكم ان اشرعه لكم فلا تشرعوا انتم امر دينكم لانكم لاتعلمون ماذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات فى ذلك (وقوله عليه الصلاة والسلام من احدث) اى اخترع (فى امرنا) اى شرعنا وديننا (هذا ماليس منه) من الاعتقاد او العمل او القول او التخلق واعتقد ان ذلك شرع ودين (فهو رد) منه علينا اذ الشارع نحن بوحى الله تعالى ونبوته لاغيرنا اوردمنا عليه فلا نقبل منه ذلك كما سبق بيانه فهذا تصريح بان البدعة الشرعية التى هى ضلالة هى ما ابتدعت فى الشرع والدين دون العادات وكذلك ماتقدم من حديث غضيف بن الحارث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن امة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة الا اضاعت مثلها من السنة فقد خص البدعة بكونها فى الدين فخرجت البدعة فى العادات فانها ليست ببدعة فى الشرع ولاهى ضلالة وفى شرح الشرعة وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبى صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد اى ما احدثه امر مردود [illegible]

فى الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعنى الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين بحيث لواطلعوا عليها لانكروها وكرهوها فهى ضلالة والافقد حققوا ان من البدعة ماهى حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما رأوا فيه مصلحة (والبدعة) الشرعية (فى الاعتقاد) كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة واتباعهم (هى المتبادرة) فى السبق الى الذهن (من اطلاق) اسم (البدعة) الشرعية (و) اطلاق اسم (المبتدع) فى الشرع على فاعلها (و) اطلاق اسم (الهوى) اى الميل النفسانى بمجرد العقل الحيوانى (و) اطلاق اسم (اهل الاهواء) على فاعل ذلك كما هو مذكور فى كتب علم الكلام وغيره فيقال اهل البدع والمبتدعة واهل الهوى واهل الاهواء والمراد بذلك البدعة الشرعية فى الاعتقاد لاغير (فبعضها) اى بعض البدعة الشرعية فى الاعتقاد (كفر) كجحود اى نكران حشر الاجساد ونفى الصفات الالهية والحكم بقدم العالم (وبعضها) اى بعض تلك البدعة (ليست به) اى بالكفر كجحود سؤال القبر وخبر المعراج (ولكنها) اى هذه البدعة التى ليست بكفر (اكبر من كل كبيرة كائنة (فى العمل) اى من كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها تكذيب الشارع فيما اخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل الظنى وهو خبر الاحاد لابطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرا (حتى) انها اكبر من كبيرة (القتل) اى قتل المؤمن المعصوم الدم عمدا (و) اكبر من كبيرة (الزنا) ايضا لان صاحبها يعتقدها حقا ويدين الله تعالى بها وهى بدعة قبيحة واما القتل والزنا فاذا صدرا من المؤمن لايستحلهما ويعتقد حرمتهما فهما اخف من البدعة مع تساويهما معها فى عدم المشروعية (وليس فوقها) اى فوق البدعة المذكورة فى الاعتقاد (الا الكفر) سيما وصاحبها يحجب عنه التوبة حتى يدعها كما سبق فى لفظ الحديث ولايقبل الله له عملا مطلقا مع ان صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر لايحجب عنهما التوبة لان صاحب الكبائر معترف بانه صاحب معاص ومخالفات والكافر غير ملتزم شرائع الاسلام ولامدعى الملة المحمدية بخلاف المبتدع فى الدين فانه يدعى الاسلام ويزعم ان بدعته طاعة من طاعات الله تعالى وقالوا فى كتب علم الكلام ولانكفر احدا من اهل القبلة قال العلامة حسن چلبى فى حاشيته على شرح المواقف معناه ان الذين اتفقوا على ماهو من ضروريات الاسلام كحدوث العالم وحشر الاجساد وماشبه ذلك واختلفوا فى اصول سواه كمسئلة الصفات وخلق الاعمال وعموم الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لانزاع ان الحق فيه واحد لايكفر المخالف للحق فى ذلك والا فلانزاع فى كفر اهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفى الحشر ونفى العلم بالجزئيات ونحو ذلك وكذا بصدور شئ من موجبات الكفر عنه كذا فى شرح المقاصد

ولعله اراد ان اعتقاد قدمه مع نفي الحشر كفر والافقد ذهب كثير من حكماء الاسلام الى قدم بعض الاجسام والفحول من ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم ذهبوا الى قدم العرش والكرسي دون سائر الافلاك فلاوجه للتكفير اذلا تكذيب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم انتهى فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسي قدمهما بالنسبة الى ايجاد الله لهما فانه تعالى موجدهما من الازل حيث لابداية للزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لانه تعالى لايمر عليه الزمان ولاعلى صفاته فقبل حضور الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لاوجود لهما بالنسبة الينا ولهذا كانا حادثين عندنا ولاوجود لهما ايضا بالنسبة الى الله تعالى واما في الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء لهما لتقيدنا بالزمان وموجودان فيه ايضا عند الله تعالى لكن لابطريق الحدوث والابتداء بل من الازل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان ذهو من جملة محدثاته في مرتبته من الازل ولافعله تعالى حادثا بل الحادث مفعوله بالنظر الينا لابالنظر اليه تعالى لحضور الازمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدا به وعدم حضور الازمان كلها بالنظر الينا لتقيدنا بزمان دون زمان وهذا القائل بالقدم في العرش والكرسي من فحول ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم يقول بحدوثهما من جهة التقييد بالزمان ايضا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون سائر الافلاك فان سائر الافلاك فيها خصوص في عموم لوجود الزمان بالنظر الى سائر الافلاك دونهما والحدوث منشاؤه الزمان ولكن ينفرد بالمعرفة الالهية في صدور العالم عن الله تعالى مالايعرفه غيره و يريد بالعرش والكرسي العالمين الكليين وما اشتملا عليه من جميع النفوس والاجسام وذلك مجموع العالم كله واما الحكم بقدم شئ من العالم بالنظر الى التقييد بالزمان كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلاخلاف في انه كفر (والخطاء في الاجتهاد) وهو بذل المجهود لنيل المقصود يعني بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه (فيه) اي في الاعتقاد (ليس بعذر شرعي (بخلاف) الخطاء في (الاجتهاد في الاعمال) البدنية فانه عذر بالاتفاق قال في التلويح للسعد التفتازاني فلا يجري الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من اصول الدين ثم قال بعد ذلك والمخطئ في الاجتهاد يعني في فروع الدين لايعاتب ولاينسب الى الضلال بل يكون معذورا ومأجورا اذليس عليه الابذل الوسع وقدفعل فلم ينل الحق لخفاء دليله الاان يكون الدليل الموصل الى الصواب بينا فاخطأ المجتهد بتقصيرمنه وترك مبالغة في الاجتهاد فانه يعاتب ومانقل من طعن السلف بعضهم على بعض في مسائلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين في زعم الطاعن وانما قال المخطئ في الاجتهاد لان المخطئ في الاصول والعقائد يعاتب بل يضلل او يكفر لان الحق فيها واحد اجماعا والمطلوب هو اليقين الحاصل

بالادلة القطعية اذلا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وعدمهـا فالمخطئ فيها مخطئ ابتداء وانتهـاء و مانقل عن بعضهم من تصويب كل مجتهد فى المسائل الكلامية اذالم يوجب تكفير المخالف كمسئلة خلق القرآن ومسئلة الروية ومسئلة خلق الافعال فمعناه نفى الاثم وتحقق الخروج من عهدة التكليف لا حقية كل من القولين وفى مرقاة الاصول والاجتهاد فى الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيـات والنبوات فان المليين اجمعوا على وحدة المصيب فى العقليات الاعند بعضهم اى بعض المعتزلة وهو ابوالحسن العنبرى والجـاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب فى مسائل الكلام و هو باطل لان المطلوب فيهـا هواليقين الحاصل بالادلة القطعية ولا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصـانع وامتناعها ونحوذلك انتهى وسبق نظيرهذا (وضد هذه البدعة) التى فى الاعتقاد اى ما يضاد ها فيمتنع وجوده معها (اعتقاد اهل السنة) للنبوية المحمدية (والجماعة) الاسلامية الايمانية من الاشـاعرة والماتريدية (والبدعة فى العبادة) اى الاعمال الظاهرة فى مقابلة البدعة فى الاعتقاد كالزيادة والنقصان فى صورة بعض العبادات واشار بقوله فى العبادة دون قوله فى العمل الى ان صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل سائر العبادات مع انها مبتدعة لا اصل لها فلهذا كانت البدعة اقبح من جميع المعاصى (وان كانت) هذه البدعة (دونها) اى دون البدعة فى الاعتقاد يعنى اقل منها قبحا وشناعة وانما وذلك لان البدعة فى الاعتقاد تجنس موضع نظر الرب سبحانه وتعالى وهو القلب والبدعة فى الاعمال تجنس موضع نظر الخلق وهو ظاهر العبد كما ورد ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (لكنها) اى البدعة فى العبادة ايضا (منكر) فى دين الله تعالى (وضلالة) يجب تركها والاجتناب عنها اكثر من جميع المعاصى (لاسيما اذا صادمت) اى دافعت وزاحمت (سنة) من سنن النبى صلى الله عليه وسلم (مؤكدة) اى كان فعل تلك البدعة مانعا من فعل سنة مؤكدة مشغلا للعبد عن الاشتغـال بالسنة فانه يشتد حينئذ قبح البدعة و يكثر الاثم على فعلها (ومقابل هذه البدعة) التى فى العبادة اى مضاد لهـا بحيث لو وجد هو امتنع وجودها (سنة الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة كذا فى القاموس يعنى التى فعلها رشاد لفاعلها ودلالة من فاعلها لغيره على الرشـاد (وهى ما) اى فعل (واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم من جنس العبادة) ليخرج ماواظب عليه من العادات من غيران يقصد عبادة الله تعالى به فانه ليس بسنة هدى بل هو من الزوائد كالمشى والقعود (مع الترك) لذلك الفعل (احيانا) جمع حين يعنى وقتا او بلا ترك اصلا ولا يفهم الوجوب من عدم الترك مالم يقترن به النهى عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال (و) مع (عدم الانكار) من النبى عليه السلام (على تاركه) اى تارك ذلك الفعل لانه لوا قترن بالمواظبة انكار على الترك كان واجبا لا سنة

(كالاعتكاف) وهولغة اللبث والدوام على الشئ وشرعا لبث رجل فى مسجد جماعة اوامرأة بنيته اى الاعتكاف وهوواجب فى المنذور وسنة مؤكدة فى العشر الاخيرمن رمضان ومستحب فيماسواه اى العشر الاخير كذا فى شرح الدرر قال فى مرقاة الاصول والسنة نوعان الاول سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسئ مستحق اللوم كصلاة العيد والاذان والاقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لوتركها قوم عوقبوا اواهل بلدة واصروا قوتلوا والثانى سنة الزوائد وتاركها لايستحق اللوم كتطو بل اركان الصلاة وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى لباسه كالبيض وقيامه وقعوده انتهى وقال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام والحاصل ان الذى يظهران القول اوالفعل يعنى قول النبى عليه السلام اوفعله ان قارنه انكار على الترك فواجب والافان كان مع صيغة امر اونهى ولامواظبة فستحب والا فسنة مؤكدة والسنة نوعان سنة هدى وتركها يستوجب اساءة كالجهاد والاذان وزوائد وتاركها لايستوجب ذلك كالسنن فى القيام والقعود واللباس كما فى المناران كانت على سبيل العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوائد كلبس الثياب والاكل باليمين وتقديم اليمين فى الدخول (واما البدعة فى العادة) اى من غير ان يقصد بها عبادة الله تعالى ولايطلب عليها ثواب (كالمنخل) للدقيق وكذلك الملعقة للاكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى بها والثواب عليها (فليس فعلها ضلالة) ولاوعيد البدعة شامل لها (بل) فعلها (ترك اولى) عند اهل الورع والاحتياط (فتركها) اى البدعة فى العادة (اولى) من فعلها لماتورث الطمانينة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب بالغفلة والغرور قال فى الكشاف وقد شدد العلماء من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى اللباس والمراكب وغيرذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها ذكره الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغيرفهى من البدع العادية ومن ذلك البنيان زيادة على مقدار الحاجة كما روى الشيخ النووى فى رياض الصالحين عن قيس بن ابى حازم قال دخلنا على خباب رضى الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال ان اصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وانا اصبنا مالانجد له موضعا الاالتراب ولولاان النبى صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به ثم اتيناه مرة آخرى وهويبنى حائطاله فقال ان المسلم ليؤجر فى كل شئ ينفقه الافى شئ يجعله فى هذا التراب متفق عليه وهذا لفظ رواية البخارى ومن ذلك ظهور السمن فى الرجال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من اكلة كل يوم سرف وفى شرح الجامع الصغير للمناوى ومن علامات الساعة ظهور السمن فى الرجال انتهى ومن ذلك استعمال التتن والقهوة الشايع ذكرهما

فى هذا الزمان بين الاسافل والاعيان والصواب انه لاوجه لحرمتهما ولا لكراهتهما فى الاستعمال بل هما من البدع فى العادة ومن علل حرمتهما بشئ لزمه حرمة البدعة العادية وهو خلاف ماعليه جمهور العلماء وامر السلطان ونهيه انما يعتبران اذ كانا على طبق امر الله تعالى ونهيه لاعلى مقتضى نفسه وطبعه كما ان امر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه على طبق امر الله تعالى ونهيه لاهو من تلقاء نفسه ومقتضى رأيه وعقله وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ولو فرضنا ان امر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه كانا من تلقاء نفسه لامن امر الله تعالى ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك فكيف يجب علينا امتثال امر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله مالم يكن موافقا لحكم الله تعالى الا اذا ظلم السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم فى النهى عن استعمال هذين المباحين وخاف الناس على انفسهم من شره خصوصا اذا كان يستحل دماء المسلمين و يوجب تعذيرهم فى رأيه بسبب ذلك فلا يجوز ان يلق احد بنفسه الى التهلكة و يكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لامتعقدا الحرمة والكراهة بل حافظا دمه وعرضه وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشفق عليه ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به رواه مسلم كما ذكره النووى فى رياض الصالحين وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى *واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل *اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به اونعم الشئ الذى يعظكم به من العدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ان امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى * ولوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * الآية فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعنى فى ان اولى الامر هم الخلفاء والامراء لا العلماء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر يعنى فقط على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك بمعنى الرد المذكور ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة اواحسن تأويلا من تأويلكم انتهى كلام البيضاوى باختصار لعبارته وسبق مايضارع هذا ولنا فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد كلام فى هذه المسئلة اكثر من هذا وكذلك فى كتابنا المطالب الوفية وغيره (ومنها)

اى ضد البدعة فى العادة (السنة الزائدة) المقابلة لسنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف سنة الهدى كما ذكرنا فان الدين يكمل بها (وهى ما) اى فعل (واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم) وهو (من جنس العادة) حيث لم يقصد به العبادة ليكون تكميلا للدين (كالابتداء باليمين) من اليد والرجل وغيرهما (فى الافعال الشريفة) يعنى غير الخسيسة لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى تنعله وترجله وطهوره وفى شأنه كله قال القرطبى فى شرح مسلم كان ذلك منه تبركا باسم اليمين لاضافة الخير اليها كما قال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وناديناه من جانب الطور الايمن ولما فيه من اليمن والبركة وهو من باب التفاؤل ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين واكرامها فلا تستعمل فى ازالة شئ من الاقذار ولا فى شئ من خسيس الاعمال وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين وفى رياض الصالحين وعن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه ان رجلا اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه رواه مسلم وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح وان يأكل ويشرب بيمينه لما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله ولا بأس بان يستعين بيساره فى الاكل وغيره عند الحاجة وانما البأس فى الاكل بها على الاستقلال بغير حاجة (و) الابتداء (باليسار) من اليد والرجل وغيرهما (فى) الافعال (الخسيسة) كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الامام القرطبى فى شرح مسلم ان من استنجى بيمينه فقد اساء واجزأه وقال اهل الظاهر لا يجزئه لاقتضاء النهى فساد المنهى عنه وعند الجمهور لا يقتضيه وايضا فان الجمهور صرفوا هذا النهى الى غير ذات المنهى عنه وهو احترام اليمين والمطلوب الذى هو الانقاء قد حصل فيجزئ عنه ونهيه فى حديث ابى قتادة رضى الله عنه عن امساك الذكر باليمين وعن التمسح فى الخلاء باليمين يلزم منهما تعذر اختلف فى كيفية التخلص منه فقال المازرى يأخذ ذكره بشماله ثم يمسح به جدارا ليسلم على مقتضى الحديثين وتمامه هنالك (فهى) اى هذه السنة الزائدة (مستحبة) اى استحبها النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الماضون قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام ثم فى الحاوى القدسى والادب والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة وتركه اخرى وهى تسمى سنة ايضا وفى شرح درر البحار اعلم ان المستحب ادون من السنة واعلى من الادب ولم يفرق بعض مشايخنا بين الادب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة (فظهر) من هذا (ان البدعة بالمعنى الاعم) وهو ما تقدم من المعنى اللغوى التام

الذى هو مطلق الابتداع والاختراع سواء كان فى العادة اوفى العبادة (ثلاثة اصناف مرتبة فى القبح) اى اعظمها قبحا الاول وهو البدعة فى الاعتقاد ثم اوسطها قبحا الثانى وهو البدعة فى العبادة ثم ادناها قبحا الثالث وهو البدعة فى العادة قال فى شرح الشرعة وذكر فى شرح المشارق ان العلماء قالوا البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالتبسط بالوان الاطعمة عند ضيافة الاخوان وغيرها ومكروهة وحرام وهما ظاهران (فاذا علمت هذا) التقسيم الذى تقدم بيانه (فالمنارة) المذكورة فى نوع البدعة المستحبة انما كانت مستحبة مع انها بدعة لانها (عون) اى معينة للمؤذنين فى قصدهم (لاعلام) الناس بدخول (وقت الصلاة) المفروضة كالصلوات الخمس والجمعة (المراد) نعت للاعلام (من) معنى (الاذان) شرعا اذ معناه لغة مطلق الاعلام وفى الشرع هو الاعلام بوقت الصلاة وفى المنارة اعانة فى انتشار ذلك بين المسلمين ماليس فى غيرها (والمدارس) المبنية للعلم وقراءة القرآن (و) كذا (تصنيف الكتب) الشرعية فى علم التوحيد والعقائد والاحكام الفقهية والتفسير والحديث وآلة ذلك كالنحو والصرف واللغة ونحو هذا (عون) اى معينة (للتعليم) بسبب تقرير المسائل وايضاحها وايراد كل شئ فى محله من الابحاث المناسبة والاشكالات والاجوبة وتحرير الادلة وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على المعلم والمتعلم (و) عون لحصول (التبليغ) ايضا من العلماء الاولين الى الفضلاء المتأخرين اى تبليغ الشرائع والاحكام على اكمل مايكون من الكلام تسهيلا على القرائح والافهام (ورد) مبتدأ اى صرف ومنع الفرق (المبتدعة) من المعتزلة وغيرهم (بنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) العقلية والبراهين القطعية فى تحقيق المسائل الاعتقادية الاصولية (نهى) خبر المبتدأ (عن المنكر) القبيح ممن تقدم لمن تأخر على وجه العموم كما هو الطريقة المسنونة فى ذلك من غير تعيين فاعله على حسب ماقدمناه (وذب) اى طرد ومحاماة وردع وزجر (عن الدين) المحمدى والحاصل ان السادة الأئمة الاولين من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين لما حصلوا على سعادة الجهاد فى اعداء الدين بظواهر الغرائم وقارعوهم بالسماهر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمأنت القلوب الاسلامية وبردت الاكباد ولم يبق للمتأخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكا بافتراق الامة وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين فى العقائد والمعاندين فانفتحت لهم ابواب جهاد آخر فى النفوس الجاهلية فلم يفتهم حظهم من سعادة الجهاد فى اهل الضلال فحاربوهم بعزائم البواطن وقارعوهم بسيوف الحجج والبراهين فى جميع المواطن وبنوا حصون الكتب المصنفات الكثيرة المتنوعة واتقنوها جهدهم ونصبوا فيها مجانيق الادلة لهدم حصون الضلال وهلاك وساوس اهل العناد والجدال وبنوا المدارس

وشيدوها لتشمر ذلك واعلانه على حسب حال المعين على الخير من اهل التقوى فى زمانه فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم القيامة وبلغهم غايات امانيهم فى دار الاقامة (فكل) بالتنوين اى كل واحد مما ذكر من بناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب ونظم الدلائل (مأذون فيه) من قبل الشارع اذ قصده بقاء ماشرعه وتقويته وازالة ما يمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر (بل مأموربه) من قبل الشارع ولوعلى طريق العموم كما قال تعالى * حافظوا على الصلوات وقال تعالى * ولا تقولوا على الله الا الحق * فبناء المنارة والمدرسة من جملة المحافظة على الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جملة قول الحق على الله وعدم قول الباطل و ماashبه ذلك (وعدم وقوعه) اى وقوع كل من ذلك (فى الصدر الاول) زمان الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين (اما لعدم الاحتياج) الى كل واحد من ذلك لاستغنائهم بكثرة الاجتهاد والمجتهدين عن تدوين العلوم وبسهولة مراجعة الثقات من ائمة الدين عن تصنيف الكتب و بقلة المخالفين عن نظم الدلائل (اولعدم القدرة) فيه (بعدم المال) فى الانفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الاوقاف عليها والوظائف (اولعدم التفرغ له) اى لفعل ذلك (بالاشتغال) ليلا ونهارا ظاهرا و باطنا (بالاهم) من ذلك على حسب مايعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الاسلامية والقوانين الايمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها فى الاحوال كلها صونا لها من الضياع والابتذال (ونحوذلك) من الاعذار المانعة للاوائل عن عمل ذلك كعدم حدوث مايقتضيه فى زمانهم ووجود مايغنى عنه فى ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله (ولوتتبعت كل ماقيل فيه) بين العام والخاص (بدعة حسنة) سواء كان اعتقادا اوقولا اوعملا اوتخلقا (من جنس العبادة) اذجنس العادة ليس ببدعة شرعا كامر (وجدته مأذونا فيه من) قبل (الشارع) لكل احد (اشارة) فى آية اوحديث (اودلالة) من آية اوحديث لايكاد يخرج شئ من ذلك عما ذكر اصلا والقصور فى عدم الاطلاع والفرق بين الاشارة والدلالة ان الاشارة هى ايماء النص الى غير ماسيق له كقوله تعالى * وعلى المولود له الآية سيق الكلام لاثبات النفقة وفيه اشارة الى ان النسب من الاب والدلالة افهام النص لازم معناه كالنهى عن التأفيف يوجب حرمة الضرب بالاولى فى قوله تعالى * ولاتقل لهما اف وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التى يصلون فيها الآن بأربعة ائمة على مقتضى المذاهب الاربعة ما كانت السنة على ذلك ولا عصر التابعين ولا تابعيهم ولا عهد الائمة الاربعة ولاامروا بها ولا طلبوها فاجاب بانها بدعة ولكنها بدعة حسنة لاسيئة لانها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها فى السنة الحسنة لانها لم يحدث منها ضرر ولا حرج فى المسجد ولا فى المصلين من المسلمين لعامة اهل السنة والجماعة بل فيها عميم النفع فى المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للقرب من الامام فى الجمعة وغيرها فهى بدعة حسنة

ويسمون بفعلهم للسنة الحسنة وان كانت بدعة اهل السنة لا اهل البدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فسمى المبتدع للحسن مستنا فادخله النبي صلى الله عليه وسلم في السنة وقرن بذلك الابتداع وان لم يرد في الفعل فقد ورد في القول فالسان سني لا بدعي لدخوله بتسمية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره اوفعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره ومن جملة فعله ايضا قوله صلى الله عليه وسلم وسكوته على الامر لانه تقرير واذن في ابتداع السنة الحسنة الى يوم الدين وانه مأذون له بالشرع فيها ومأجور عليها مع العاملين لها بدوامها اخرج الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذى والنسائي وابن ماجه عن جرير عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجرهم شئ ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شئ واخرج البيهقي عن ابي جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجره ومثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل اوزارهم من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا الحديث فيدخل في السنة تقريره صلى الله عليه وسلم كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصالح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع وكل حدث مستحسن وقال الامام النووى في شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وحديث من دعى الى هدى ومن دعى الى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب الامور الحسنة وتحريم سن الامور السيئة وان من سن حسنة كان له مثل اجور من يعمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها الى يوم القيامة وان من دعى الى هدى كان له مثل اجور تابعيه اوالى ضلالة كان عليه آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى اوالضلالة هو الذى ابتدأه اوكان منسوبا اليه وسواء كان ذلك تعليم علم اوعبادة اوادبا اوغير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فعمل بها بعده معناه بعد ان سنها سواء كان العمل في حياته ام بعد موته اه والظاهر ان السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما الى يوم القيامة سواء نوى من ابتدأهما عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما اولم ينو ذلك وفعلهما لنفسه فقط ابتداء كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل متفق عليه وربما يقال لا يترتب الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما مالم يكن نوى عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما وان لم ينو فليس له الاجزاؤه على فعلهما فقط لقوله عليه الصلاة

والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فان الحصر فى هذا الحد يث مانع من ترتب ذلك على مجرد الفعل من غير نية الامامة فيه نظيره ماصرح به الفقهاء بان الامام اذا لم ينو الامامة فى الصلاة بان يتبعه غيره فيها فلا ثواب له عليها وان صح الاقتداء به وصحت متابعته وهو منفرد فيما يصلي فثوابه ثواب المنفرد لعدم النية ويؤيده حديث من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم كما تقدم وحديث من دل على خير فله مثل اجر فاعله رواه مسلم ايضا وقد صدر الشيخ النووى رحمه الله تعالى باب من سن سنة حسنة اوسيئة فى كتابه رياض الصالحين بقوله تعالى * والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما * وقوله تعالى * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا * ومعلوم ان الامام لا يصير اماما مثابا على امامته بعدد المقتدين حتى ينوى ان يتابعه غيره فى عمله والا فليس باما م اذ لو كان المراد مطلق الفعل لكان فى الحديث من عمل عملا حسنا من عمل عملا سيئا فان السنة مشعرة بما ذكرنا ويمكن ان يقال فى حديث ابن آدم المذكوران النبي صلى الله عليه وسلم كشف له عن حال ابن آدم انه نوى بقتله لاخيه لتشفي نفسه منه وان يتبعه غيره فى ذلك ولهذا قال عنه لانه كان اول من سن القتل ولم يقل اول من قتل فان معنى السنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى انها تسلك بعده ماقيل عنه انه سنها كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسن السنن بنية ان يتابعه فيها غيره فيكون اماما فيها فيترتب له ثواب من عمل بها الى يوم القيامة (ثم اعلم) يا ايها المكلف (ان فعل البدعة) السيئة فى الدين (اشد ضررا) على الفاعل وغيره (من ترك السنة) معتقدا كراهة ذلك الترك وفيه اشارة الى ان ترك السنة ليس بدعة اذا لم يعتقد الترك طاعة فان اعتقده طاعة كان بدعة سيئة فى الدين ايضا فساوى البدعة الفعلية وانما كان فعل البدعة اضر من ترك السنة لتعدى ضررها الى عمل الغير واعتقاده ماليس بشرع خصوصا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة فانه وان تعدى الى الغير لم يكن متعديا فى الاعتقاد (بدليل) متعلق باشد (ان الفقهاء قالوا اذا تردد) اى المكلف (فى) فعل (شئ) من الاعمال اوالاقوال اوالعقائد اوالاحوال (بين كونه) اى ذلك الشئ (سنة) من سنن النبي صلى الله عليه وسلم فيثاب على فعلها (وبدعة) فى الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك فى ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عنده احد الطرفين (فتركه) اى ذلك الشئ المتردد فيه (لازم) عليه اى واجب قال فى محيط السرخسي من كتاب السجدات ان ماتردد فيه بين الواجب والبدعة يأتى به احتياطا وماتردد بين البدعة والسنة تركه لان ترك البدعة لازم واداء السنة غير لازم اه وقال ابن نجيم الحنفى رحمه الله تعالى فى كتابه الاشباه والنظائر فى قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة

ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبا لان اعتناء الشرع بالمنهيات اشد من اعتنائه بالمأمورات ولذا قال عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى فى الكشف حديثا لترك ذرة مما نهى الله عنه افضل من عبادة الثقلين ومن ثمة جاز ترك الواجب دفعا للمشقة ولم يسامح فى الاقدام على المنهيات خصوصا الكبائر ومن ذلك ماذكره البزازى فى فتاواه ومن لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر لان النهى راجح على الامر حتى استوعب النهى الازمان ولم يقتض الامر التكرار اه والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره و يغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا فى شرح النقاية ومن فروع ذلك المبالغة فى المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصائم وتخليل الشعر سنة فى الطهارة و يكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على المفسدة فمن ذلك الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة او السترا والاستقبال فان فى ذلك مفسدة لما فيه من الاخلال بجلال الله تعالى بان لا يناجى الا على اكمل الاحوال ومتى تعذر شئ من ذلك جازت الصلاة بدونه تقديما لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة ومنه الكذب مفسدة محرمة ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للاصلاح بين الناس وعلى الزوجة لاصلاحها وهذا النوع راجع الى ارتكاب اخف المفسدتين فى الحقيقة (واما ترك الواجب هل هو اشد) قبحا واثما (من فعل البدعة) السيئة فى الدين لفوات امتثال الامر بالكلية فى ترك الواجب وفواته من وجه فى فعل البدعة (او) القضية (على العكس) من ذلك وهو ان فعل البدعة اشد من ترك الواجب لاعتقاد انها طاعة بخلاف ترك الواجب فانه معلوم عند تاركه بانه معصية (ففيه) اى فى ترك الواجب المتردد بين الامرين المذكورين (اشتباه) اى التباس عندنا لم يرتفع من ابتداء الامر حتى يظهر وجه الصواب فيه وبيانه ان الفقهاء (حيث صرحوا فيمن يتردد فى شئ) مطلقا (بين كونه بدعة) سيئة (و) كونه (واجبا) ولم يدر ما حكم فعله بان تعارض فيه ما يقتضى وجوبه وما يقتضى عدم مشروعيته اصلا (انه يفعله) ترجيحا لما يقتضى وجوبه احتياطا فى امتثال الامر فقالوا اذا ضاق الوقت عن الاتيان بالسنن فى الصلاة يتركها و يأتى بالصلاة الواجبة عليه وان لزمت البدعة من ترك السنن ولهذا قال فى شرح الدرر من أمن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض الا اذا ضاق الوقت وقال الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه لان صلاة التطوع عند ضيق الوقت حرام لتفويتها الفرض كما فى البحر اه وقال فى الاشباه والنظائر لو ضاق الوقت او الماء عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر فى تنوير الابصار ما لو نذر ركعتين بغير طهارة ايهما يلزمانه بالطهارة عند ابى حنيفة رضى الله عنه وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك

المنهى عنه وفى الاشباه والنظائر مسئلة ما لواستشهد الجنب فانه يغسل عندابى حنيفة رضى الله عنه مع ان تغسيل الشهيد بدعة ترجيحا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفها من تتبعها فى مواضعها (وفى) كتاب (الخلاصة) فى فقه الحنفية (مسئلة تدل على خلافه) اى خلاف ماذكر من ان فعل للواجب مقدم على ترك البدعة فمقتضاها ان ترك البدعة مقدم على فعل الواجب (حيث قال) فى الكتاب المذكور فى مسائل الشك فى الصلاة (اذا شك) المصلى (فى صلاته) المفروضة عليه (انه) اى الشان (هل صلاها ام لا) ولم يغلب على ظنه شئ منهما (ان كان) ذلك وقع منه (فى الوقت فعليه) اى يلزمه (ان يعيدها) ليخرج من عهدتها بيقين كما وجبت عليه بيقين (وان خرج الوقت ثم شك) هل اداها فيه ام لا (لاشئ فيه) اى فى الشك المذكور والاصل براءة ذمته من بقائها عليه قال فى الاشباه والنظائر فى قاعدة الاصل براءة الذمة ولذا لم يقبل فى شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه لموافقته الاصل والبينة على المدعى لدعواه ماخالف الاصل فاذا اختلفا فى قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم لان الاصل البراءة عمازاد ولو اقر بشئ اوحق قبل تفسيره بماله قيمة والقول للمقر مع يمينه ومن شك هل فعل شيئا اولا فالاصل انه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة اخرى من تيقن الفعل وشك فى القليل والكثير حمل على القليل لانه المتيقن الا ان يشتغل الذمة بالاصل فلا تبرأ الا باليقين وهذا الاستثناء راجع الى قاعدة ثالثة وهى ماثبت بيقين لا يرتفع الا بيقين والمراد به غالب الظن ولذا قال فى الملتقط ولو لم يفته من الصلاة شئ واجب ان يقضى صلاة عمره منذ أدرك لا يستحب ذلك الا اذا كان اكبر ظنه فسادها بسبب الطهارة اوترك شرط فحينئذ يقضى ماغلب على ظنه ومازاد عليه يكره لورزد النهى عنه شك فى صلاة هل صلاها اعاد فى الوقت شك فى ركوع اوسجود وهو فيها اعاد وان كان بعدها فلا وان شك انه كم صلى فان كان اول مرة استأنف وان كثر تحرى والاخذ بالاقل وهذا اذا شك فيها قبل الفراغ فان كان بعده فلاشئ عليه الا اذا تذكر بعد الفراغ انه ترك فرضا وشك فى تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم فيصلى ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو كذا فى فتح القدير ولو اخبره عدل بعد الصلاة والسلام انك صليت الظهر ثلاثا وشك فى صدقه وكذبه فانه يعيد احتياطا لان الشك فى صدقه شك فى الصلاة ولو وقع الاختلاف بين الامام والقوم فان كان الامام على يقين لا يعيد والا اعاد بقولهم وقال والدى رحمه الله تعالى نقلا عن الخلاصة لو اخبره رجل عدل بعد السلام انك صليت الظهر ثلاث ركعات قالوا ان كان عند المصلى انه صلى اربع ركعات لا يلتفت الى قول المخبر وان شك المصلى فى الخبر انه صادق ام كاذب عن محمد انه يعيد صلاته احتياطا وان شك فى قول عدلين يعيد صلاته وان لم يكن المخبر عدلا لا يقبل قوله وكذا لو وقع الاختلاف بين الامام والقوم

ان كان الامام على يقين لايعيد والاعاد بقولهم ولو اختلف القوم فقال بعضهم صلى ثلاثا وقال بعضهم صلى اربعا والامام مع احد الفريقين يؤخذ بقول الامام وان كان معه واحد فان اعاد الامام الصلاة واعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم لانه ان كان صادقا يكون هذا اقتداء المتنفل بالمتنفل وان كان كاذبا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ولو استيقن واحد من القوم انه صلى ثلاثا وواحد انه صلى اربعا والامام والقوم فى شك ليس على الامام والقوم شئ وعلى المستيقن بالنقصان الاعادة ولو ان الامام استيقن انه صلى ثلاثا كان عليه ان يعيد بالقوم ولا اعادة على الذى يتيقن بالتمام ولو استيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الامام والقوم فان كان ذلك فى الوقت اعادوها احتياطا وان لم يعيدوا لاشئ عليهم الا اذا استيقن عدلان بالنقصان واخبرا بذلك وقيد فى الظهيرية الاعادة بقول العدل بان كان فى الوقت والمسئلة فى المحيط مذكورة بنحوها فى الخلاصة وفى الظهيرية قال محمد بن الحسن اما انا فاعيد بقول عدل واحد بكل حال ثم فى واقعات الناطفى امام صلى بقوم وذهب فقال بعضهم هى الظهر وقال بعضهم هى العصر فان كان فى وقت الظهر فهى الظهر وان كان فى وقت العصر فهى العصر لان الظاهر شاهد لمن يدعى مايوافقه الوقت فان كان مشكلا قال فى العنابية بان كان غيما قال فى المحيط جاز للغير يقين مازعم فى القياس بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف لامام ولايدرى ممن هى لان الشك فى وجوب الاعاده والاعادة لا تجب بالشك اه وتمام هذه الفروع فى المطولات (ولو كان الشك) من المصلى (فى صلاة العصر) حيث يكره النفل بعدها فانه يحترز ان تقع اعادته نفلا صحيحا تباعدا من الكراهة بان (يقرأ فى الركعة الاولى) من هذه الاربع المعادة فاتحة وسورة او آية طويلة او ثلاث آيات قصار (و) كذلك يقرأ فى الركعة (الثالثة ولا يقرأ) شيئا اصلا (فى) الركعة (الثانية و) لا فى الركعة (الرابعة) كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة العصر فان القراءة فرض فى جميع ركعات النفل متى تركها فى ركعة بطل ذلك الشفع منه وفى ركعتين غير معينتين من الفرض فقط وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه الاربع ركعات فرض صلاة العصر (انتهى) يعنى فرغ كلام الخلاصة ثم قال المص رحمه الله تعالى (وتعيين) الركعتين (الاولين للقراءة فى) صلاة (الفرض واجب) يعنى دون الفرض فتركه سهوا يوجب سجود السهو وعمدا يقتضى نقصان الصلاة لا بطلانها فتجب اعادتها فى الوقت و يستحب اعادتها اذا خرج الوقت كما هو مقرر فى موضعه من كتب الفقه (وقد امر) اى امره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك (بتركه) اى بترك ذلك الواجب (حذرا) اى لاجل الحذر والاحتراز (عن احتمال وقوع النفل) من الصلاة (بعد) اداء صلاة (العصر) على تقدير كونه صلى العصر واما على تقدير كونه ما صلى العصر تقع النفل قبل اداء صلاة العصر وهو جائز ولهذا

يستحب تأخير صلاة العصر مالم تصفر الشمس تكثيرا للنوافل (وهو) اى وقوع لنفل بعد العصر (بدعة مكروهة) لحديث الصحيحين لاصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولاصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وهذه الكراهة باقية الى اداء صلاة المغرب فدخل فى النفل المكروه فى هذين الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطواف ومابدأ به فافسده لا قضاء فائتة ولو وترا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفى شرح الدرر فى مسئلة مالواتى بالقعود الاخير ثم قام فلم يتذكر حتى سجد فى الخامسة ضم اليها سادسة وقدتم فرضه قال ولو عصرا اشارة الى ضعف ماقيل لايضم فى العصر لكراهة النفل بعدها وقيل يضم لان هذا ليس بمقصود والنهى عن النفل بعد العصر يتناول المقصود فلايكره بدونه وهو الاصح كذا قال الزيلعى وفى غرر الاذكار والاصح انه اذا اتى بالفجر والعصر بعد القعود الاخير بركعة ساهيا يضم اليها ركعة اخرى لان المنهى بعدهما هو التنفل قصدا وفى شرح ابن ملك قالوا اذا صلى فى الفجر والعصر بعد القعدة الاخيرة ركعة ساهيا لايضم اليهـا اخرى لكراهة النفل بعدها والاصح انه يضم اليهـا لان المنهى عنه هو النفل المقصود وهذا لم يشرع فيه بالقصد اه وهو يقتضى انه لاحاجة الى ماسبق ذكره فى مسئلة الخلاصة من ترك القراءة فى صلاة العصر فى الثانية والرابعة اذا شك فى ادائهـا حذرا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الاصح انه لايكره الا اذا كان مقصودا وهنا فى مسئلة الشك غير مقصود فلايكره ولكن لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسئلة لخصوص بيان الحكم فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرا من الوقوع فى بدعة التنفل بعد صلاة العصر حيث عارض هذا القول منهم لقولهم بترجيح فعـل الواجب عـلى ترك البدعة المكروهة اذا وقع التردد بينهمـا وقد اجاب عنه بقوله (فالتطبيق) اى المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة الخلاصة المقتضية ترجيح ترك البدعة المكروهة على فعل الواجب (اما بحمل البدعة) المكروهة فى كلام الفقهاء حيث حكموا بترجيح فعل الواجب على تركها كما مر (على ما) اى فعل بدعة مكروهة (لم ينه) اى لم يرد عن النبى صلى الله عليـه وسلم انه نهى (عنه) اى عن فعـل تلك البدعة المكروهة (بخصوصه) اى خصوص فعل ذلك بل كان داخلا فى عموم النهى ومسئلة الخلاصة لاترد حينئذ لان البدعة فيها ورد النهى عنهـا بخصوصه وهو ماسبق من حديث الصحيحين (او بحمل الواجب) الواقع فى قول الفقهاء بترجيح فعله على ترك البدعة (على معنى الفرض) الاعتقادى او العملى وهو مرجح عـلى ترك البدعة المكروهة ولهذا قالوا لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر لانها فرائض (او) بحمـل (الواجب) فى قولهم على الواجب الذى هو دون الفرض (المستقل) كالوتر فى رواية وصلاة العيدين (لا) الواجب (الضمنى) الذى يكون فى ضمن غـيره كتعيين القراءة

فى الاولين من الفرض اذالتابع لغيره اسهل من المستقل فى نفسه حيث بجبر الاول بسجود السهو دون الثانى (او بالحمل على) ورود (ار او بتين) عن المجتهد فى مسألة الخلاصة والاصح منهما ماذكرناه مما يقتضى عدم كراهتها لان النفل فيها بعد صلاة العصر غير مقصود فلا كراهة فيه (والله تعالى اعلم) بما هو الحق والصواب فى ذلك والمشاركة فى العلم بيننا و بينه المستفادة من افعل التفضيل باعتبار ان علمنا اثر صادر عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شئ الى شئ لا يتناهى قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر اى يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية ومقتضاها انه يطلع من ارتضى من رسول والرسول يطلع امته فيكون علم الامة من علم الله تعالى فقد وجد افعل التفضيل بالمشاركة والزيادة واستعمله بعضهم بالالف واللام ولا يفيد غير حصر الاعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق (فان قيل) اى قال قائل (ماسبق) اى فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفى اوائل هذا الفصل (قد دل) مجموع ذلك كله جملة وتفصيلا (على ان الكتاب) العزيز القرآنى (والسنة) النبوية المحمدية (كافيان) لكل مكلف (فى امر الدين) الحق لا يحتاج من يريد القيام به فى الظاهر والباطن الى متابعة غيرهما والاستضاءة بغير انوارهما (و) دل ذلك ايضا على (ان ما) اى الذى او امر (لم يثبت باحدهما) اى الكتاب والسنة فهو (بدعة) مكروهة (وضلالة فكيف يستقيم) مع هذا (قول الفقهاء) فى اصول الفقه (الادلة الشرعية اربعة) قال الامام النسفى فى المنار اصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة واجماع الامة والاصل الرابع القياس و زاد فى اصول فخر الاسلام والاصل الرابع القياس المستنبط من هذه الاصول وفى شرح مرقاة الوصول الادلة اربعة وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ووجه الضبط ان الدليل اما وحى اوغيره والوحى اما متلو فالكتاب اولا فالسنة وغير الوحى ان كان قول كل مجتهد فى عصر فالاجماع والا فالقياس (قلنا) فى الجواب عن ذلك نعم ادلة الشرع اربعة ولكنها ترجع الى اثنين الكتاب والسنة اذ (لابد للاجماع من سند) اى دليل يستند قول اهل الاجماع اليه قال فى شرح مرقاة الوصول ولابد له اى للاجماع من سند اى دليل او امارة يستند الاجماع اليه لاستحالة الاتفاق بلا داع عادة ولان الحكم الذى ينعقد به الاجماع ان لم يكن عن دليل سمعى كان عن عقل وقد ثبت ان لا حكم له عندنا وفى شرح المنار لابن ملك وقيل ينعقد الاجماع لاعن دليل بل بالهام وتوفيق بان يخلق الله تعالى فيهم علما ضروريا ويوفقهم لاختيار الصواب كبيع التعاطى واجرة الحمام ولكن نقول ذلك فاسد لان العدول لا يتصور منهم الاجماع على حكم من احكام الله تعالى جزافا بل بناء على حديث او معنى من النصوص رواه مؤثر وماذكره من بيع التعاطى واجرة الحمام فالاجماع فيهما واقع عن دليل الا انه لم ينقل الينا اكتفاء بالاجماع كذا فى جامع الاسرار وقال التفتازانى

فى التلويح والجمهور على انه لايجوز الاجماع الاعن سند وامارة لان عدم السند يستلزم الخطأ اذ الحكم فى الدين بلا دليل خطأ ويمتنع اجماع الامة على الخطأ وايضا اتفاق الكل من غير داع مستحيل عادة كالاجتماع على اكل طعام واحد وفائدة الاجماع بعد وجود السند سقوط البحث وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيا ثم اختلفوا فى السند فذهب الجمهور الى انه يجوز ان يكون قياسا وانه واقع كالاجماع على خلافة ابى بكر رضى الله عنه قياسا على امامته فى الصلاة حتى قيل رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا نرضاه لامر دنيانا وذهب الشيعة وداوود الظاهرى ومحمد بن جرير الطبرى الى المنع من ذلك واما جواز كون السند خبر واحد فمتفق عليه كذا فى عامة الكتب وقد وقع فى الميزان واصول الامام السرخسى ان المذكورين خالفوا فى الظنى قياسا كان اوخبر واحد ولم يجوزوا الاجماع الاعن قطعى لانه قطعى فلا يبتنى الاعلى قطعى لان الظن لا يفيد القطع وجوابه ان كون الاجماع حجة ليس مبنيا على دليله اى سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه الامة واستدامة لاحكام الشرع والدليل على بطلان مذهبهم انه لواشترط كون السند قطعيا لو قع الاجماع لغوا ضرورة ثبوت الحكم قطعيا بالدليل القطعى (من احدهما) اى من الكتاب اوالسنة (حالا) بان كان صريح آية او حديث ولو خبر واحد (اوما لا) اى مرجعا يرجع الى كتاب اوسنة وهو القياس كما قدمناه (على) القول (الصحيح) اذ فى اشتراط السند للاجماع خلاف ذكرناه وكذا فى كون القياس وخبر الواحد سندا للخلاف الذى مر (و) لابد (للقياس) ايضا (من اصل ثابت باحدهما) اى بالكتاب اوالسنة (فانه) اى القياس (مظهر) للحكم الثابت به (لامثبت) له قال فى شرح مرقاة الوصول القياس مظهر لامثبت والمثبت ظاهرا دليل الاصل وحقيقة هو الله تعالى ثم قال فى شروط القياس وان يكون المعدى حكما شرعيا ثابتا باحد الادلة الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع اذ لو كان حسيا اولغويا لم يجز لان المطلوب اثبات حكم شرعى للمساواة فى علته ولا يتصور الا بذلك وكتب التفتازانى فى التلويح على القول بان مثبت الحكم هو الله تعالى انه غير واف بالمقصود لانه ينبغى على هذا التقدير ان لا يجعل شئ من الادلة مثبتا للحكم بل يجعل مظهرا على ما ذهب اليه المحققون من ان مرجع الكل الى الكلام النفسى والاوجه ان حكم الفرع يثبت بالنص اوالاجماع الوارد فى الاصل والقياس بيان لعموم الحكم فى الفرع وعدم اختصاصه بالاصل وهذا اوضح وفى شرح المنار لابن ملك قدم الكتاب لانه حجة من كل وجه واعقبه بالسنة لان حجيتها ثابتة بالكتاب واخر الاجماع لتوقف حجيته عليهما ثم قال والقياس اصل بالنسبة الى حكمه فرع بالنسبة الى الثلاثة انتهى وكون حجية السنة متوقفة على الكتاب لقوله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وتوقف الاجماع عليهما [illegible]

السنة له وهو من احدهما حالا اوما لا كما مر فالكتاب اصل من وجه والسنة والاجماع والقياس اصول من وجه وفروع من وجه (فرجع) اى موضع رجوع (الاحكام) الشرعية كلها (ومثبتها) اى الحاكم باثباتها وتحققها (اثنان) فقط (فى الحقيقة) وهما الكتاب والسنة والادلة الباقية راجعة اليهما كما مر قال فى شرح مرقاة الوصول واما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف والتعامل ملحق بالاجماع والاستصحاب والتحرى عمل باحد الاربعة والعمل بالظاهر والاظهر عمل بالاستصحاب والاخذ بالاحتياط عمل بقوله عليه السلام دع ما يريبك الى مالا يريبك والقرعة لتطييب القلب بالسنة اوالاجماع وآثار الصحابة وكبار التابعين بشبهة الحديث اوبقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقوله عليه السلام خير القرون قرنى الذين انا فيهم ثم الذين يلونهم الحديث وفى شرح ابن ملك على المنار فان قلت قد ثبت الحكم بشرائع من قبلنا وبتعامل الناس وبالاخذ بالاحتياط وبالتحرى وبآثار الصحابة فكيف حصرت الاصول فى الاربعة قلنا هذه الاحكام غير خارجة عنها اما شرائع من قبلنا فقد صارت شريعة لنا لان نبينا صلى الله عليه وسلم قصها علينا ولم ينكرها والتعامل ملحق بالاجماع العملى والاخذ بالاحتياط عمل باقوى الدلائل كما فى الاصول الثلاثة والعمل بالتحرى عمل بالسنة لانها وردت فى جوازه عند الحاجة والعمل بالآثار عمل بقوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم انتهى والحاصل ان كل ماذكر راجع الى الاصول الاربعة والاصول الاربعة راجعة الى الكتاب والسنة والسنة شرح الكتاب وبيانه فهى راجعة اليه قال البيهقى فى اول المدخل ووضع يعنى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى دينه موضع الابانة عند ما اراد بكتابه عاما وخاصا وفرضا وندبا واباحة وارشادا ووقتا وعددا فقال جل ثناؤه *وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون* انتهى فالاصل الحقيقى هو كتاب الله تعالى لاغير (فظهر) لك ايها المنصف فى الدين السالك طريق المتقين (من هذا) الكلام كله الذى تقدم فى بيان الاعتصام بالكتاب والسنة والاحتراز من البدعة وان اصول الشريعة اربعة ترجع الى اثنين هما الكتاب والسنة (ان ما) اى القول الذى (يدعيه بعض المتصوفة) اى المنتسبين الى التصوف وليسوا من اهله حيث لم يقل بعض الصوفية تطهيرا للسادة الصوفيه خلاصة اهل السنة والجماعة ان ينسب اليهم مثل هذه المقالات الشنيعة (فى زماننا) هذا الذى نحن فيه وهو عصر التسعمائة وذكر امور الزمان وذم وقائعه شئ مشى عليه السلف والخلف من غير تعيين احد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير ونصيحته قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس لما قرأت بالحرم الشريف على الناس ماذكرته فى حق المنتسبين الى الصوفية وذمى احوالهم نقل ذلك على شخص فقال ما دعاه الى هذا والاعراض عن هذا كان احسن وما اشبه هذا الكلام

فزادعندي اعتراضه تقوية ان هذا هوالحق لكونه نقل عليه ولقدعمى هذا القائل عن الاصول التي استندت اليها في قولى هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غيرمرة ولم يعتب عليهم بل استحسن ذلك فلماوقع ذلك في اهل زمانه رأى ان ذلك فضول لكونه في ذلك الزمان فيخاف ان يتطرق اليه الذم في نفسه فحزن ولوانصف لبحث عن نفسه اما الاصول التي استندت اليها في ذلك فكثيرة جدا روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فقد عقدا من عنق بعض اهله تأوه وقال ارتفعت اليوم الامانة من الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ذكره في السير في غزوة فتح مكة والاصل الآخر بنته رضي الله عنها لما نظرت الى زمانها واهله وما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت رحم الله لبيدا حيث يقول * ذهب الذين يُعَاشُ في اكنافهم * وبَقِيتُ في خَلفٍ كجلد الاجربِ * ثم قالت كيف به لوادرك زماننا هذا فذمت زمانها واهله وروينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن الغانمي كلاهما عن القشيري انه قال في رسالته يذم اهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن ذلك منه انه قال لم يبق في زماننا من اهل هذه الطريقة الا آثارهم اما الخيام فانها كخيامهم واري نساء الحي غير نسائها حصلت الفترة في الطريقة لا بل قد اندرست الطريقة بالحقيقة وذمهم باشد الذم في اول الرسالة ولتد اولها بين ايدي الناس اضربنا عن حكاية قوله وروينا عن غير واحد من حديث عبدالرحمن بن الحسين عن هارون عن ابي معونة عن الاعمش عن ابي صالح قال لما قدم اهل اليمن زمان ابي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا * ثم قست القلوب * وتقريع النبي صلى الله عليه وسلم المعذبين بمكة على اسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدا من اجل اسلامه قال خباب شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم ما نلقاه من البلاء وقلنا الا تدعوالله الا تستنصرالله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شئ او يمشط بامشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شئ اه ثم بسط الكلام باكثر من ذلك ولا زال كل زمان يشتمل على ما يذم ومايمدح في طبقات جميع الناس والخير والشر باق الى يوم القيامة ومن ذم نوعا من انواع الناس مراده اهل الشر منهم وهم موجودون وكذلك من مدح نوعا مراده اهل الخير من ذلك النوع وهم موجودون ايضا وان زاد كل فريق على ما يقابله اونقص في كل زمان فالفريقان لا يزولان البتة ولا يجوز تعميم الذم في زمان من الازمان لجميع اهل ذلك الزمان لما روى مسلم باسناده في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه روي اهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع اشهر ومعناه * اشدهم هلاكا واما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا انهم هلكوا في الحقيقة واتفق العلماء

على ان هذا الذم انما هو فيمن قاله على سبيل الازراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح احوالهم لانه لايعلم اسرار الله تعالى فى خلقه قالوا فاما من قال ذلك تحزنا لما يرى فى نفسه وفى الناس من التقصير فى امر الدين فلا بأس عليه كما لا اعرف من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم يصلون جميعا هكذا فسره الامام مالك وتابعه الناس عليه قال الخطابى معناه لايزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فاذا فعل ذلك فهو اهلكهم اى اسوء حالا منهم لما يلحقه من الاثم فى غيبتهم والوقيعة فيهم وربما اداه ذلك الى التعجب بنفسه ورؤيته انه خير منهم (اذا انكر) بالبناء للمفعول اى انكر (عليهم) احد من الناس (بعض امورهم) التى هم موصوفون بها فى ظواهرهم او بواطنهم اذا اظهروها (المخالف) ذلك البعض من امورهم (للشرع الشريف) والمراد لما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر والسرقة وترك الصلاة وما اشبه ذلك واما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر قال الامام الغزالى فى الاحياء فى شروط المنكر ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى ان ينكر على الشافعى اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربه للنبيذ الذى ليس بمسكر الى آخر ما بسطه من الكلام فى هذا المقام وقال الشيخ اللاقانى فى شرح جوهرة التوحيد قال الكافة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثلاثة شروط الشرط الاول ان يعلم ما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لايحل له النهى عما يراه ولا الامر به قال السعد قال امام الحرمين ان الحكم الشرعى اذا استوى فى ادراكه الخاص والعام ففيه للعالم وغير العالم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه امر ولا نهى بل الامر فيه موكول الى اهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد ان يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر فى موضع الاجتهاد اذ كل مجتهد مصيب فى الفروع عندنا ومن قال ان المصيب واحد فهو غير متعين عنده الشرط الثانى ان يأمن من ان يؤدى انكاره الى منكر اكبر منه والثالث ان يغلب على ظنه ان انكاره المنكر مزيل له كما سيأتى (ان حرمة ذلك) الامر المنكر المذكور ثابتة (فى العلم الظاهر) فقط فهو حرام على اهل الظاهر وحدهم (وانا) معشر المتصوفة (اصحاب العلم الباطن) وهو علم القلب ومعرفة احواله وجريان الامور على مقتضاه (وانه) اى ذلك الامر المنكر (حلال فيه) اى فى العلم الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا وهذا كفر صريح من قائله والراضى به اذ فيه انكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة واجمعت عليه المجتهدون قال فى شرح الدرر ومن اعتقد الحلال حراما او بالعكس يكفر اذا كان حراما لعينه وان كان حراما لغيره لايكفر وان اعتقده وانما يكفر اذا كانت حرمته ثابتة بدليل قطعى واما لو كان باخبار الآحاد فلا يكفر وقال فى جامع الفتاوى اتفق العلماء

من المتكلمين والفقهاء انه اذا انكر الحكم الشرعى الثابت بالقرآن اوالحديث المتواتر اوالاجماع القطعى مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة اومن الحيض اوالوضوء بعد الحدث يكفر ويقتل ان دام على ذلك ولايقبل تأويله ولايكون جهله عذرا لان فرض العين يكون شائعا بين المسلمين فجهله لايكون عذرا الااذا دق بحيث لايعلم الابنظر دقيق وتأمل صادق فجهله حينئذ يكون عذرا وسيأتى بقية هذا (وانكم) معشر اهل العلم الظاهر (تأخذون) جميع احكامكم العملية والاعتقادية (من الكتاب العزيز) (وانا) معشر اهل العلم الباطن (نأخذ) جميع احكامنا (من صاحبه) اى صاحب الكتاب الذى انزله الله تعالى عليه (محمد) بدل من صاحبه (صلى الله عليه وسلم فاذا اشكل علينا مسئلة) فى الاعتقاد اوفى العمل (استفتيناها منه) اى طلبنا منه الفتيا فيها قال الجوهرى استفتيت الفقيه فى مسئلة فأفتانى والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا الى الفقيه اى ارتفعوا اليه فى الفتيا (فان حصل لنا) بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قناعة) اى اكتفاء (فبها) اى فقد رضينا بها (والا) اى وان لم يحصل لنا قناعة بذلك (رجعنا) فى تلك المسئلة (الى الله تعالى بالذات) تأكيد لاسم الجلالة وال عوض عن المضاف اليه والباء زائدة يعنى الى الله تعالى ذاته دون غيره لانا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع اليه لانه اقرب الينا من حبل الوريد (فنأخذ) حكم تلك المسئلة التى اشكلت علينا (منه) سبحانه بلا واسطة احد وهذا القول كفر ايضا لامحالة بالاجماع من وجوه الاول التصريح بعدم الدخول تحت احكام الكتاب والسنة مع وجود شروط التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون فى دار الاسلام ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتاء فى حكم من الاحكام وانه مخير فيه ان شاء قبله وان شاء رده ومنها دعوى تلقى الاحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبى وذلك دعوى نبوة قال السعد التفتازانى فى شرح العقائد عند قول النسفى ولايصل العبد مادام عاقلا بالغا الى حيث يسقط عنه الامر والنهى لعموم الخطابات الواردة فى التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك وذهب بعض الاباحيين الى ان العبد اذا بلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الايمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الامر والنهى ولايدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر وبعضهم الى انه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر وهذا كفر وضلالة فان اكمل الناس فى المحبة والايمان هم الانبياء عليهم السلام خصوصا حبيب الله تعالى مع ان التكاليف فى حقهم اتم واكمل واما قوله عليه السلام اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب فمعناه انه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضررها اه يعنى تيسر التوبة له ظاهرا وباطنا فى كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب اليه من وجوده ومن هفوات خاطره فضلا عن افعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه فى ذلك ولامشقة

(وانا) معشر اهل العلم الباطن (بالخلوة) وهى الانفراد عن الخلق (وهمة شيخنا) وهو الذى عاهدوه على الدخول تحت امره ونهيه يربيهم باقواله وافعاله على حسب حالته التى هوفيها وهمته خاطره المتوجه دائما من غير فتور الى مراتب الكمال بمقتضى مايظهرله على زعمه (نصل الى) معرفة (الله تعالى) ونحظى بكمال قربه والفوز لديه (فتنكشف لنا العلوم) كلها فنأخذ منها ماتريد (فلا نحتاج) مع ذلك (الى) قراءة (الكتاب) اى القرآن او كتاب العلم (ولا) نحتاج الى (المطالعة) فى الكتب مطلقا (و) لاالى (القراءة على الاستاذ) اى المعلم للقرآن وللعلم وهذا القول منهم كذب محض وافتراء على الله تعالى واجتراء عليه سبحانه حيث زعموا انه يوصلهم الى معرفته مع قولهم الاول الذى هو كفر صريح ان الله لايهدى القوم الكافرين نعم الخلوة وهمة الشيخ الصادق العارف الكامل فى مرتبتى العلم والعمل الجامع بين علمى الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنية لهم عن قراءة الكتاب والمطالعة والاشتغال فى العلوم اذهمته وحدها وغيرته الالهية لاتتركهم على جهل فى حكم من الاحكام مطلقا وحيث دخلوا تحت تربيته فهو كتاب لهم وزيادة لان عنده جميع مايحتاجون اليه مما فى الكتاب وربما كانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على استاذ غيره مانعة لهم من الدخول تحت امره ونهيه فيما يعلمه من صلاح احوالهم على مقتضى الشريعة المحمدية فهو ينهاهم عن طلب العلم لئلا تألف قلوبهم الاكثار من العلم مع ترك العمل به فيكون علمهم حجة عليه ويعلمهم ماينفعهم شيئا فشيئا لانه اعرف بمصالحهم منهم واما اذا كان شيخهم قاصرا جاهلا لايعلم حكم الله تعالى عليه ولا عليهم وقدامرهم بذلك فهو ضال مضل (وان الوصول الى) معرفة (الله تعالى) والتحقق بوجوده سبحانه (لايكون) اى لايوجد فى احد (الا برفض) اى ترك الالتفات الى (العلم الظاهر) بالكلية وهو العلم المستفاد من معانى الكتاب والسنة فيما يتعلق بالاعتقاد ومايتعلق بالعمل (و) رفض اى ترك (الشرع) وهو البيان الالهى الوارد على السنة الوسائط من الملائكة والانبياء عليهم السلام خطابا بالجميع المكلفين وهذا القائل ان اراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات اليه لان العلم الظاهر والشرع لاحاجة اليه فقد سفه الخطاب الالهى وسفه الانبياء ونسب العبث والبطلان الى ارسال الرسل وانزال الكتب فلاشك فى كفره اشد الكفر وان اراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع ترك الاشتغال بذلك عن شهود الله تعالى وحده ومراقبته سبحانه فى جميع الاحوال فهو لعمرى طريق الوصول الى الله تعالى ان لم ينضم اليه ماتقدم من المقالات لانه لايصل اليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ولاشك ان العلم الظاهر والشرع سواه تعالى فمن اشتغل بشئ من ذلك وظنه مقصودا بالذات فقد انحجب عن الوصول اليه تعالى وغايته الوصول الى الحرمان والغرور فى جميع الامور فان من اشتغل بالطهارة ليلا

ونهار اوانهمك فيهاظانا انها مقصودة بالذات وانه ماطلب منه غيرها فقد انقلب
فعلهاعليه ضلالا وخسرانا كما نقل الشيخ تاج الدين بن عطاءالله الاسكندرى رحمه الله
تعالى فى كتابه لطائف المنن عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدس الله سره انه كان يقول
لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله وكان يقول لن يصل
الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته وتدبير من تد بيراته اواختيار من اختيارا ته قال
ومعنى كلام الشيخ رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول
الى الله اى انقطاع ادب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض الى الله وشهود حسن الاختيار
عنه فيلقى القياد اليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيأ لعلمه بماقى الاختيار
مع الله من الافات ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضا انه قال كنت انا وصاحب لى قداوينا الى
مغارة نطلب الوصول الى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا
رجل له هيبة فقلناله من انت فقال عبدالملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك
فقال كيف حالك كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية
ولافلاح يانفس لم لم تعبدين الله لله قال فتفطنا من اين دخل علينـا فتبنا واستغفرنا
ففتح لنا ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضـا انه قال الورع نعم الطريق لمن عجل
ميراثه واحل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله
والعمل لله و بالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم اوقاتهم وسائر
احوالهم لايدبرون ولا يختارون ولا يريدون و لا يتفكرون و لا ينظرون ولا ينطقون
ولا يبطشون ولا يمشـون و لا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم
على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى
واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم
ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا اومصروف بدعوى وميراثه التعزز
للخلق و الاستكبار على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ
بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع و يستعيذون بالله منه
ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعـا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا
من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم (وانالوكنا على الباطل) فى اعتقاد اوعمل كما تزعمون
انتم (لماحصل لنا) من الله تعالى (تلك الحالات) جمع حالة (السنية) اى المضيئة
الرفيعة التى تقدم ذكرها وهى انا نأخذ الدين من محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
فاذا اشكل علينا مسئلة استفتينا ها منه فان حصل لنا قناعة بذلك والا رجعنا الى الله
تعالى بالذات فنأ خذ منه سبحانه وانا بالخلوة والشيخ نصل الى الله تعـالى فتنكشف
لنا العلوم كلها فلا نحتاج الى قراءة و لا مطالعة ولا استاذ (وبالكرامات) جمع كرامة

وهي مايكرم الله تعالى به العبد فى الدنيا من الامور الخارقة للعادة من غير تحد (العلية) اى المرتفعة عن قدرة الغير (من مشاهدة) بيان للكرامات (الانوار) الملكوتية المتنزلة بالحضرات الرحمانية (ورؤية الانبياء الكبار) بالبصائر والابصار مناما بالليل ويقظة بالنهار وقائل هذا الكلام كاذب مفتر على الله وعلى الانبياء عليهم السلام وعلى نفسه اذ من كان قائلا بهاتيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو كافر بالله تعالى والكافر فى الوساوس والاباطل فكيف يكرمه الله تعالى فى الدنيا والآخرة وكيف يهديه تعالى الى شهود الانوار ويتحفه سبحانه برؤية الانبياء الاخيار ان الله لايهدى القوم الكافرين وانما يتركه يتخبط فى بحار الغرور والمكر والاستدراج يرتوى من الشراب بالسراب ويكتفى عن العذب بالاجاج كما ذكر الامام الغزالى فى كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين فى بيان غرور المتصوفة وقسمهم الى فرق قال* وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولايعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه * وفرقة منهم وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا مالايمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا فادركنا ان ذلك محال ولايعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والارب من اصلهما بل تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لاوزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل العبادة من المتشبهين بالصوفية لاتحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن

فى الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الامام المحاسبي فى كتاب الغرة من الرعاية قال ان الغرة بالله عزوجل تكون من الكافرين ومن العاصين من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء وغيرهم فكل قد اغتر بشيء من الاشياء حتى ضيع امر الله عزوجل وقل حذره منه وخوفه فالغرة بالله عز وجل انما هي خدعة من النفس بصنيع الله عزوجل بالعبد وباسم رجاء الله عز اسمه او ببعض العبادة اوالعلم فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك حتى يعصى الله عزوجل وهو يرى انه من المحسنين او يكفر بالله عزوجل وهو يرى انه من المهتدين اويغتر فيعصي على علم وهو يرى انه مغفور له ناج لايعذب فاما الغرة من الكافرين فهي خدعة من انفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الآخرة اه وقد اكثر علماء اهل السنة فى تصانيفهم من الكلام على اقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيغهم لئلا يغتر بهم احد من المسلمين فيفسد عليه امره كما فسدت امورهم ولم يعين العلماء احدا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لاحد من الناس ان يأخذ هذا الكلام الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى وذكرناه نحن فى حق اهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين تفرس فيهم انهم على هذا الوصف المذكور فيظن فيهم سوء ويؤذيهم بسبب ذلك بل كل من اشكل عليه حاله من امة محمد صلى الله عليه وسلم يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان فى قلبه من النقائص عن اخيه المسلم فان الشيطان للانسان عدو مبين ويحمل جميع مايسمعه من ذلك على مايعلمه الله تعالى من احوال عباده ويحترز فى نفسه من وجود شيء من ذلك فيها او يعظ به غيره على وجه العموم متقيا وقوع قلبه فى تهمة احد معين ويجتنب التجسس والظن السوء ولايغتر على هذا المصنف اوغيره بانه يحكم على طائفة مخصوصين بما يذكره فى كتابه فينكر هو على اهل زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء فان النهى عن المنكر فى الدين من اصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته وخبث طويته والله على مانقول وكيل (وانا) معشر اهل العلم الباطن (اذا صدر منا) فعل (مكروه اوحرام) فى ظاهرنا او باطننا (نبهنا) بالبناء للمفعول اى نبهنا الله تعالى على ذلك الفعل المكروه اوالحرام (بالنوم بالرؤيا) التى يرينا الله تعالى اياها اعتناء بنا وتسديدا لامرنا وتقوية لشأننا (فنعرف بها) اى بالرؤيا التى نراها فى المنام (الحلال والحرام) من الاحكام الشرعية (وانما) اى الفعل الذى (فعلنا) مخالفا للشرع (مما قلتم) انتم يامعشر علماء الظاهر (انه حرام) علينا (لم ننه) اى لم ينهنا الله تعالى (عنه فى المنام) بالرؤيا كما عودنا ذلك (فعلنا) من عدم نهينا عنه فى المنام (انه حلال) لنا فعله وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقولهم لانهم فى احكام شريعتهم يتكلون على مايرونه فى مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية

الشرايع الاسلام نعم ان الله تعالى يجوز ان ينبه بعض اهل خصوصه ممن هو سالك على طريقة اهل السنة والجماعة فيريه فى منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ فى خصوص بعض القضايا حيث كان ذلك السالك مؤمنا كاملا على يقظة وسنة فيزل ويهفو والله تعالى يأخذبيده، وينبهه عناية به لكونه من خاصة اهل الاسلام كما كان يعرض للحارث المحاسبي رضى الله عنه فى اليقظة انه اذا مدىده الى طعام فيه شبهة تحرك فيه اصبعه وكان بعض مشايخنا ينبه للأكل الحرام برائحة كريهة كان يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومناما و بعيد من هذا احوال الكفرة الطغاة اعداء الشرائع والاحكام المصرين على ما تقدم من قبيح الكلام (ونحو هذا) من المقالات الشنيعة التى تهدم قواعد الشريعة وترفع احكام الاسلام (من الترهات) المبنية على زخارف الاوهام وفى القاموس الترهة كقبرة الباطل والجمع ترهات وترار يه وتره كسمع وقع فيها (كله) اى كل ماذكر (الحاد) يقال الحد مال وعدل ومارى وجاول وفى الحرم ترك القصد فيما امر به او اشرك به او ظلم كذا فى القاموس وهذا معناه فى اللغة وفى الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب والسنة لغير ضرورة دعت الى ذلك (وضلال) وهو ضد الهدى ومعناه الحيرة فى الدين والاعراض عن سبيل المؤمنين (اذ) تعليلية (فيه) اى فى كل ماذكر من المقالات القبيحة (ازدراء) اى تحقير قال الجوهرى اذدريته اى حقرته (للشريعة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة قال فى شرح الكرمانى الملة السمحة التى لاحرج فيها ولاضيق على الناس وفى المغرب الحنيف المائل من كل دين باطل الى الدين الحق وفى القاموس الحنف محركة الاستقامة والحنيف كأمير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم انهم لا يأخذون من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام واذا اشكل عليهم امر استفتوه منه وان اراد وامن الحق تعالى فان فى هذا تحقيرا للشريعة المحمدية (و) ازدراء ايضا لكل من (الكتاب) العزيز (والسنة) النبوية) المحمدية باعتبار قولهم انا بالخلوة وهمة شيخنا نصل الى الله تعالى فلا نحتاج الى الكتاب والمطالعة والقراءة على الاستاذ فان هذا احتقار للكتاب والسنة (وعدم) معطوف على ازدراء (الاعتماد عليهما) اى على الكتاب والسنة باعتبار قولهم ان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا برفض العلم الظاهر والشرع فانه صريح فى عدم الاعتماد المذكور (وتجويز الخطأ) فى الالفاظ (والبطلان) فى المعانى او بالعكس (فيهما) اى فى الكتاب والسنة باعتبار قولهم وانا لو كنا على الباطل الى آخره والتقدير كما انكم انتم على الباطل (العياذ) اى الالتجاء والاحتماء (بالله) تعالى من هذه المقالات الفاسدة والاباطيل الكاسدة (فالواجب) اى فرض العين (على كل من سمع) من المكلفين (مثل هذه الاقاويل) جمع اقوال (الباطلة) المضادة لقول الحق (الانكار)

اى الرد والردع (على قائله) اى قائل مثل ذلك لان انكار الباطل حق كما ان انكار الحق باطل (والجزم) اى القطع (ببطلان مقاله) اى قول مثل ذلك فى القاموس جمع القول اقوال وجمع الجمع اقاويل وقال قولا وقيلا و قولة ومقالة ومقالا (بلاشك) فى الحكم ببطلان ذلك (ولاتردد) فيه (ولاتوقف ولاتلبث) اى تصبر عن الحكم بذلك فان الباطل باطل قطعا من غير شبهة (والا) اى وان شك اوتردد اوتوقف اوتلبث (فهو) محسوب (من جملتهم) اى جملة هؤلاء الكافرين القائلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قائلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم (فيحكم) بالبناء للمفعول اى يحكم الشرع المحمدى (بالزندقة عليهم) كلهم جملة القائلين بذلك والموافقين لهم فيه ولوبالشك والتردد والتوقف والتلبث فى امرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا اذالم يتحققه ولم يعاينه بأن اخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعى و بعد الثبوت الشرعى ايضا يحتمل كون الشهود زورا فان حكم الحاكم مستندا الى الشهادة ان صدقت وان كذبت فلا قطع فى ذلك با طنا كما اشار اليه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى خاتمة كتابه ميزان الذرية فى عقائد الطائفة العلية وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح قال ابوالليث الزنديق معروف و زندقته انه لايؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب و معناه على ما يقوله العامة ملحد ودهرى وعن ابن دريد انه فارسى معرب واصله زنده اى من يقول بدوام الدهر اه وفى القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية او القائل بالنور والظلمة اومن لايؤمن بالآخرة وبالربوبية اومن يبطن الكفر و يظهر الايمان اوهو معرب زندين اى دين المرأة وجمعه زنادقة اوزناديق وقدتزندق والاسم الزندقة (وقد صرح العلماء) من الاصوليين وغيرهم (بان الالهام) يقال الهمه الله خيرا لقنه اياه كذا فى القاموس و يكون فى الخير والشر كما قال تعالى * فالهمها فجورها وتقواها * قال الواحدى جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا القول فى حمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه فى تفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع فى قلبه ويجعل فيه اذا اوقع الله فى قلب عبد شيئا فقد الزمه ذلك الشئ كما ذكره سعيد بن جبير وهذا صريح فى ان الله تعالى خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره (ليس من اسباب المعرفة بالاحكام) الشرعية التكليفية فان فى شرح مرقاة الوصول ان الهام النبى وحى بان يريه الله تعالى بنوره كما قال تعالى * لتحكم بين الناس بما اراك الله * وهو حجة منه لامته يجب عليهم اتباعه بخلاف الهام الاولياء فانه لايكون حجة على غيره وفى شرح العقائد للتفتازانى والالهام المفسر بالقاء معنى فى القلب بطريق الفيض ليس (من اسباب المعرفة بصحة الشئ عند اهل الحق وكان الاولى ان يقول ليس من اسباب العلم بالشئ الا انه ساوق)

التنبيه على ان مرادنا بالعلم والمعرفة واحد لاكما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات او بالكليات والمعرفة بالبسائط او بالجزئيات الاان تخصيص الصحة بالذكر مما لاوجه له ثم الظاهر انه ارادان الالهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير والافلا شك انه قد يحصل به العلم وقدورد القول به في الخبر وقدحكى عن كثيرمن السلف اه وطائفة المحققين من اهل الله تعالى جميع علومهم التي يعتمدون عليها في دينهم الهامية وهبية واماالعلوم الاكتسابية فهي آلة عندهم لتحصيل مقام الالهام كمانقل المناوى في شرح الجامع الصغير قال الامام مالك علم الباطن لايعرفه الامن عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولايكون ذلك الامع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية انماالعلم نور يقذفه الله في القلب يشير الى علم الباطن وقال التونسي اجتمع العارف على وفا والامام البلقيني فتكلم على معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني من اين لك هذا ياعلي قال من قوله تعالى * واتقواالله ويعلمكم الله * فامسك وقال العارف سهل التستري خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ولولاان ادراك قلب من له قلب بالنورالباطنى حاكم على علم الظاهر لماقال المصطفى صلى الله عليه وسلم استفت قلبك فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلوعنها زبرا لتفاسير ولايطلع عليها افاضل المفسرين ولامحقق الفقهاء المعتبرين وفى طبقات الشعراوى فى ترجمة الشيخ على الخواص رضي الله عنه انه كان يقول لايسمى العالم عالما عندنا الااذا كان علمه غيرمستفاد من نقل اوصدر بان يكون خضرى المقام اماغير هذا فانما هوحامل لعلم غيره فقط فله اجرمن حمل العلم حتى اداه لااجر العالم والله لايضيع اجر المحسنين ثم قال ومن اراد ان يعرف مرتبته فى العلم يقينا لاشك فيه فليرد كل قول حفظه الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فماوجده معه فهو علمه واظن لايبقى معه الاشئ يسير لايسمى به عالما اذاعلمت هذا فاعلم ان الالهام ليس حجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الاحكام الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هوطريق صحيح لفهم معانى الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح العمل على مقتضى مافهم بالاجتهاد من معانى الكتاب والسنة والاكان وسوسة شيطانية لايجوز العمل به كما قال الامام القسطلاني فى مواهبه لا يظهر على احد شئ من نور الايمان الاباتباع السنة ومجانبة البدعة واما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو اه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لماجاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدنى نوعان لدنى روحانى ولدنى شيطانى فالروحاني

هوالوحي ولاوحي بعدالرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمور ابمتابعته ولوكان مأمورابها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى و يكون معه ولهذا قال له انت موسى بنى اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للانس والجن في كل زمان ولوكان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى عليهما السلام اويجوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدنى الروحانى هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقدسئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ دون الناس فقال لا الافهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه فهذا هو العلم اللدنى الحقيق واتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل المتحيرين (وكذلك) اى كالالهام ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية (الرؤيا) التى يراها الانسان (فى المنام) قال فى شرح المواقف واما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفى حاشية حسن چلبي فيه بحث لانه ثبت بالاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الرؤيا الصالحة جزأمن ستة واربعين جزأمن النبوة وعمل بها قبل الوحي ستة اشهر فكيف تكون خيالا باطلا اللهم الاان يقال الباطل مطلقا عند المعتزلة هو كون مايتخيله النائم ادراكا بالبصر رؤية ومايتخيله ادراكا بالسمع سمعا وهكذا واما كون العلم الحاصل فى النوم خيالا باطلا وكون النوم مضادا للعلم فانما هو بالنسبة الى عامة الخلق واما عند الاصحاب فالظاهر ان الكل بالنسبة الى عامة الخلق ويؤيده تعليلهم ذلك لعدم جريان العادة بخلق الادراك فى الشخص وهو نائم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كسائر المعجزات والكرامات وفى شرح المناوى على الجامع الصغير ذكر الحكيم الترمذى ان سبب الرؤيا ان الانسان اذانام سطع نور النفس حتى يجول فى الدنيا و يصعد الى الملكوت فيعاين الاشياء ثم يرجع الى معدنه فان وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع لحفظ ذلك وقال بعضهم الرؤيا الصالحة من اقسام الوحي فيطلع الله النائم على ماجهله من معرفة الله والكون فى يقظته ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا اصبح سأل هل رأى احد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لانه

آثار نبوة فى الجملة فكان يجب ان يشهدها فى امته قال والناس فى غاية من الجهل بهذه المرتبة التى كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعتنى بها و يسأل عنها كل يوم واكثرهم يهزأ بالرائى اذا رآه يعتمد الرؤيا وفى شرح مسلم للامام النووى عند قوله صلى الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب قال الخطابى وغيره قيل المراد اذا قارب الزمان ان يعتدل ليله ونهاره وقيل المراد اذا قارب القيامة والاول اشهر عند عبر الرؤيا وجاء فى حديث مايؤيد الثانى وقوله صلى الله عليه وسلم اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ظاهره انه على اطلاقه وحكى القاضى عن بعض العلماء ان هذا يكون فى آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء بقوله وعمله فجعله الله تعالى جابرا وعوضا ومنبها لهم والاول اظهر لان غير الصادق فى حديثه يتطرق الخلل الى روايته وحكايته اياها وقوله صلى الله عليه وسلم ورؤيا المؤمن جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة فحصل ثلاث روايات المشهورة ستة واربعين والثانية خمسة واربعين والثالثة سبعين جزأ وفى غير مسلم من رواية ابن عباس اربعين جزأ وفى رواية من تسعة واربعين وفى رواية العباس من خمسين وفى رواية ابن عمر من ستة وعشرين وفى رواية عبادة من اربع واربعين قال القاضى اشار الطبرى الى ان هذا الاختلاف راجع الى اختلاف حال الرائى فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزأ من ستة واربعين جزأ * والفاسق جزء من سبعين جزأ وقيل المراد ان الخفى منها جزء من سبعين جزأ والجلى جزء من ستة واربعين قال الخطابى وغيره قال بعض العلماء اقام صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ثلاثا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى فى المنام الوحى وهى جزء من ستة واربعين جزأ قال المازرى وقيل المراد ان للمنامات شبها مما حصل له ومزية من النبوة بجزء من ستة واربعين قال وقد قدح بعضهم فى الاول بانه لم يثبت ان امد رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ستة اشهر وبانه رأى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم الى الاشهر الستة وحينئذ تتغير النسبة قال المازرى هذا الاعتراض الثانى باطل لان المنامات الموجودة بعد الوحى بارسال الملك منغمرة فى الوحى فلم تحسب قال ويحتمل ان يكون المراد ان المنام فيه اخبار بالغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير فى جنب النبوة لانه يجوز ان يبعث الله نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا ولا يقدح ذلك فى نبوته ولا يؤثر فى مقصودها وهذا الجزء من النبوة وهو الاخبار بالغيب اذا وقع لا يكون الا صدقا قال الخطابى هذا الحديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال وانما

كانت جزأ من اجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى وقال بعض العلماء
معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لا انها جزء باق من النبوة اه والحاصل
ان الرؤيا المنامية بمنزلة الالهام الروحانى ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية
وان كان كل واحد منهما جزأ من اجزاء النبوة ووجها من وجوه الوحى النبوى
فى اهل الدين والصلاح يعتمد عليهما اصحاب التقوى فتنكشف بهما لهم ما خفى
عنهم من دقائق المعارف والحكم الربانية ولطائف الاسرار والحقائق الرحمانية
بعد اعتمادهم فى اصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة
والمعصية دون تقليد شئ منهما فى ثبوت حكم من الاحكام العملية او الاعتقادية بخلاف
ما زعمه اهل الزندقة والالحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة فى استفادة احكام
الله تعالى منهما فان ذلك دعوى نبوة اذ الالهام والرؤيا المنامية قسمان من اقسام الوحى
النبوى يأخذ النبى منهما احكام الشرايع التى كلف الله تعالى بها نفسه وامته
فلو كان الولى كذلك لكان نبيا وغاية ما للولى من الوراثة فى ذلك الهام الاحكام التى
جاء بها اليه نبيه فقبلها منه فى اليقظة وتعرض عليه فى المنام ايضا فيقبلها فالهامه
ورؤياه مظهران له ماخفى عليه لا مثبتان عنده ماجحده والله الموفق للصواب
(خصوصا اذا خالفا) اى الالهام والرؤيا فى المنام مقتضى (كتاب) الله (العليم العلام او)
مقتضى (سنة محمد) نبى الله (عليه الصلاة والسلام) فانهما حينئذ ليسا من اسباب المعرفة
بالاحكام بالطريق الاولى اذ لا يصلح ذلك فى الولى مثبتا لشرع جديد ولا ناسخا لشئ
من احكام الشرع المحمدى لانقطاع الوحى وختم النبوة والشرع لا يثبته الا النبوة
ولا ينسخه الا شرع مثله (وقد قال سيد الطائفة الصوفية) من التصوف قال القشيرى
فى رسالته هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية
ولمن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفون وليس يشهد لهذا
الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال
انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه
ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد النبى
صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفا
فاشتقاق الصوفى من الصفا بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف
فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح
ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج
فى تعينهم الى قياس لفظ واستنباط اشتقاق وتكلم الناس فى التصوف ما معناه
وفى الصوفى من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام القوم فى التصوف

والصوفى يطول ذكرها (وامام ارباب) اى اصحاب (الطريقة) وهى معرفة اخلاق النفس وصفات القلب وكيفية قطع المنازل فى السير الى الله تعالى وذخل فيهما الشريعة التى هى معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح اجالا وكيفية العمل الصالح اجالا لانها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة له (والحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى حالة القيام بالعبودية والانباء عن تصريف الحق فيما ورد من تكليف الخلق ابو القاسم (الجنيد) بن محمد (البغدادى) نسبة الى بغداد المدينة المعروفة اصله من نهاوند ومنشاؤه ومولده العراق وابوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريرى وكان فقيها على مذهب ابى ثور صحب السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى ومحمد بن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومأتين (عليه رحمة الله الهادى) لمن يشاء الى صراط مستقيم (الطرق) جمع طريق وهو المسلك الموصل الى الله تعالى (كلها) تأكيد للطرق (مسدودة) اى لا يمكن السلوك منها الى الله تعالى لعدم ايصالها اليه بسبب رد السالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد بها جميع الشرايع والاديان والمذاهب المخالفة فان اهلها الآن ما سلكوا فيها الا ليصلوا منها الى الله تعالى فهى طرق الى الله تعالى باعتبار زعم اهلها لا فى حقيقة الامر ولهذا اخبر عنها انها مسدودة والمسدود ليس بطريق الا بمجرد الزعم لمن لم يعرف ذلك فان الجاهل اذا سلك طريقا فانتهى فيه الى حد وراءه مسدودا تبين له حينئذ انه ليس بطريق فيرجع من حيث سلك وقد زعم فى الاول بانه طريق ثم تبين له خلاف ذلك (الا على من) اى الذى اورجل (اقتفى) اى اتبع (اثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) بان سار كسيره فى تلك الطرق المذكورة كلها فانها حينئذ ليست بمسدودة عنه بل مفتوحة له يدخل منها الى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص الذى لا تعرفه اهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها والى هذا المعنى يشير شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه من ابيات له مطلعها قوله

ما فى المناهل منهل مستعذب * الاولى فيه الالذ الاطيب

وقول الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره من ابيات له ايضا * عقد الخلائق فى الاله عقايدا * وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه * فان جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالى من حيث حضرات افعاله سبحانه وكفر اهلها باعتبار دعواهم ان بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الافعالية هى ذات الحق سبحانه على ما هى عليه فى الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى هو الذى سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت الا للمحمديين من ورثة الاولياء فاخذوا منها الالذ الاطيب وهو شهود تجليات حضرات الافعال الالهية وتركوا ما انسدت به هذه الطرق من دعاوى ما فوق ذلك من تجليات الذات الالهية المطلقة

مع بقاء شهود آثار افعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضي الله عنه ذلك فانه لولا اقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم لما انفتحت تلك الطرق للسالك في الوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى ان طريق الحق ليس طريقا معينا منفردا عن تلك الطرق كلها ولا واحدا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه الى الله تعالى و جميع تلك الطرق اذا انفتح شيء منها كان هو طريق الحق واذا انسد فهو طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شيء مطلقا دون من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والوقوف عند شيء هو الانسداد (وقال) الجنيد البغدادي ايضا رضي الله عنه (من لم يحفظ القرآن) بكلماته ومعانيه وحدوده واحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه واسراره (ولم يكتب) اي يجمع في طرسه اونفسه (الحديث) النبوي بلفظه ومعناه وظاهره وباطنه واسراره وانواره (لايقتدى) بالبناء للمفعول اي لايجوز لاحد من السالكين ان يقتدي (به) اي بمن خلا عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور (في هذا الامر) العظيم الذي هو السلوك والوصول الى الله تعالى و فيه اشارة الى انه اذا لم يقتدبه لايلزم ان يكون هو على باطل في نفسه اذ يجوز ان يفتح الله تعالى على قلب احد من الناس وهو امي لايقرء ولايكتب ولايعرف قرآنا ولاحديثا فيصير عارفا بالتجليات الالهية والحقايق الربانية واذا قرئ عليه القرآن اوالحديث تكلم في معاني ذلك بما يبهر العقول من الفتح لامن النقل وقد وجد كثير على هذه الصفة لكن لايصلح للاقتداء به وجعله اماما في الارشاد والتسليك وان كان هو وليا فانه ليس بمرشد كما قال تعالى * ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اذ الارشاد يحتاج الى معرفة احكام الكتاب والسنة واساليبهما في المحاولة للامور بالترغيب والترهيب والامر والنهي وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وادخل الى دار فانه لايعرف من اين دخل اليها هو حتى يرشد غيره الى طريق الدخول فيها بخلاف من دخلها مفتوح البصر فانه يعرف طريقها الموصل اليها فيهتدي السالك بدلالته الى الوصول اليها (لان علمنا) هذا الذي هو علم الحقايق الالهية و المعارف الربانية (ومذهبنا هذا) الذي هو مذهب السلف الصالحين والخلف المتقين (مقيد بالكتاب والسنة) لايخرج شيء من ذلك عن مقتضاهما اصلا وان كان متلقى من الفيض والفتح لامن الكتب ولامن افواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك اذا حققه العارف وجده كذلك ولايجهله و ينكره على اهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين الحق النقلي الا الشقي الهالك قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره في الباب الرابع عشر وثلاثمائة من كتاب الفتوحات المكية ثم اعلم ان الله اذا رقت الاولياء في معارج الهمم فغاية وصولها الى الاسماء الالهية التي تطلبها فاذا وصلت اليها في معارجها افاضت عليها من العلوم وانوارها على قدر الاستعداد

الذى جاءت به فلا تقبل منها الاعلى قدر استعدادها ولا يفتقر فى ذلك الى ملك ولا رسول فانها ليست علوم تشريع وانما هى انوار فهو فيما اتى به هذا الرسول فى وحيه اوفى الكتاب الذى انزل عليه اوالصحيفة لاغير وسواء علم ذلك الكتاب اولم يعلمه ولاسمع بما فيه من التفاصيل ولايخرج علم هذا الولى عما جاء به ذلك الرسول من الوحى عن الله تعالى وكتابه وصحيفته لابد من ذلك لكل ولى صديق برسوله الى هذه الامة فان لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبى العلم والفتح والفيض الالهى بكل ما تقتضيه وحى كل نبى وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت هذه الامة على كل امة من الاولياء فلا يتعدى كشف الولى فى العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه قال الجنيد رحمه الله تعالى فى هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الآخر كل فتح لايشهد له الكتاب والسنة فليس بشئ فلا يفتح لولى قط الافى الفهم فى الكتاب العزيز فلهذا قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال سبحانه فى الواح موسى عليه السلام وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فلا يخرج علم الولى جملة واحدة عن الكتاب والسنة فان خرج واجد عن ذلك فليس بعلم ولاعلم ولاية مع انه اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعدم ماله وجود محقق وفى الباب الثانى والتسعين وما ئتين قال رضى الله عنه فى علم الافصاح الالهى عن درجات القرب الالهى من حضرة اللسن اعلم ان ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله تعالى الذى امرنا بالايمان بمحكمه ومتشابهه ولتقبل جميع ما جاء به فان تأولنا شيئا من ذلك على انه مراد المتكلم فى نفس الامر زال عنا درجة الايمان فان الدليل حكم على الخبر فتعطل حكم الايمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل اما القطع منك بان هذا اعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما افصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وقد زال عنك الايمان والسعادة مرتبطة بالايمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذى يبقى معه الايمان فعلى العارف ان يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى فى خلقه كنيابة القمر عن الشمس فى ايصال النور فالانبياء عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على مدرجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة اهـ وذكر الشيخ محيى الدين ايضا فى شرح الوصية اليوسفية قال ومريد التربية ماعنده ميزان الشرع انما ذلك للشيخ الذى يربيه فحقه ان يعرض غرضه وخياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر فى ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان هنا ما اراده الجنيد بقوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى فى ذلك ان الذى وجدوه من العلم فى بواطنهم والعزم وغير ذلك انما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك ان الامور المفتوح بها على النفوس من جانب الارواح العلوية المسمين فى الشرع ملائكة وعند القدماء عقولا فعالة قد ترد بهذه الامور

على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من اسرها وصفائها برياضة ومجاهدة وصقالة مرآتها بنتقش بها فيها جميع مافى العالم فينطق بالغيوب و يعلم ما هو لامر عليه وسواء كانت هذه النفوس مقيدة بالشرع الخاص على طريق الايمان به اولم تكن فان صفائها يعطى ذلك اى يعطى لحوقها بالاصل الذى صدرت منه فاخبرت الاعما اعطاء مقامها ومحلها فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولاهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعنى بالنظر الفكرى فى اصل خلقة النفوس وما اهلت له وانما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنا به واخذنا عنه سلوكنا وان وقعت المشاركة فى الفتح والنتيجة فان اصحاب الاذواق يجدون فرقا بين الادراكين بينا ذوقا ثم ان اهل الله العاملين على الايمان يكون لهم من الله لقاء خاص لاينا له ابدا من لم يكن طريقه الايمان وبهذا ايضا يفترق الصنفان وهذا قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة اى انه لم يحصل لنا الا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله اه فاذا علمت هذا ظهر لك ان علم الولى مأخوذ من الله تعالى بطريق الالهام والفتح والفيض لابطريق التعلم والقراءة والدراسة على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه ان يكون مطابقا لعلم الكتاب والسنة الذى عند المجتهدين فيما اجمعوا عليه من الحق وقد يخالف مااختلفوا فيه لعدم تعين الحق عندهم فى موضع الاختلاف وهو معنى قول الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لاان معناه ان الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة على المشايخ وتعلم العلوم الظاهرة التى هى مادة الفهم فى ذلك عند المحجوبين من اهل الغفلة كما يظنه كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على اهل الفتح والفيض من الاميين الذين لايقرؤن ولايكتبون ونحوهم ممن يقرأ ويكتب ولكن لم يشتغل فى طلب العلم الظاهر وان كان ذلك شرطا فى الارشاد واقتداء المريدين به ليتيقن المطابقة ويصير على بصيرة فى امره فانها حالة الداعى الى الله كما قال تعالى * قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى * واما بقية الاولياء ممن لم يقمهم الله تعالى فى مقام الدعوة اليه وان اجتمعت عليهم الناس واتخذوهم مشايخ لاباذنهم بل للناس فى ذلك اغراض ومقاصد فلا يشترط فى كونهم اولياء حفظهم لكلمات القرآن ولاكتابتهم للحديث النبوى بل يكفى موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم وعند من يعرف الموافقة بينهما ولايضر انكار الجاهل والقاصر لان المقصود من الكتاب والسنة العمل بمقتضى مافيهما لامجرد علمهما فاذا وجد المقصود بتعليم الله تعالى حصل المراد الالهى ولهذا لما ظن المغرورون بعلم الكتاب والسنة على فرض اتقانهم معرفة ذلك انهم ممتثلون امر الله تعالى ونهيه بمجرد علمهم بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشئ منه فى انفسهم وان عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان ومهدوا لانفسهم الرخص فى تناولها

اغراضهم عند الظلمة اذكروا على المتفيدين بالاعمال الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك والهامه لهم وفتحه على قلوبهم ماهو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية واستحالوا وجود ذلك الابتعلم علمهم واخذه عنهم والسير على سيرتهم وعلموا لفظ التوفيق وانكروا معناه فى المكابين الذى هو خلق الطاعة فى العباد وجعل العباد موافقين لماهو الحق والصواب عناية من الله تعالى بهم كما وقع لسيد التابعين اويس القرنى رضى الله عنه وغيره ممن لايعرف القراءة ولا الكتابة اتخذهم الله تعالى اولياء ووفقهم للاعمال الصالحة على طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولا اخذ عن شيخ اصلا وهؤلاء المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد فى علمهم حرمة التجسس وكشفوا عورات اهل الاسلام وفى علمهم حرمة ذلك ولم يأولوا ماظهر لهم من احتمال الخطأ فى اقوال المؤمنين وافعالهم وهم مأمورون بذلك فى علمهم الذى يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لانفسهم بالنجاة من الله يوم القيامة وهلاك غيرهم ممن لايعلم علمهم المذكور ويسيؤن الظنون بكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وكلام غيره من اهل التصانيف المصرحين بالانكار على من خالف الشريعة ونابذ احكامها على العموم فى كل من خالف ونابذ فتراهم يخصصونهم فى انكارهم فيقذفون قوما مخصوصين ويلعنونهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع الى الكتب فيقولون قال فلان فى كتابه كذا وقال فلان فى كتابه كذا وفلان انما قال فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم باعيانهم عنده بريئون مما قال وان قال ماهو موجود فى زماننا فان مالم يعلم بعينه لااثم فيه والكتاب والسنة على انكار المناكر بوجه العموم لاالخصوص لان الخصوص فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام فى علمهم الذى هم يزعمون القيام به (وقال) ابو الحسن (السرى) ابن المغلس (السقطى) خال الجنيد واستاذه وكان تلميذ معروف الكرخى كان اوحد زمانه فى الورع والاحوال السنية وعلوم التوحيد (التصوف) عند السادة الصوفية (اسم لثلاثة معان) هى اصول فى طريق القوم رضى الله عنهم المعنى الاول (وهو) اى الصوفى المفهوم من ذكر التصوف (الذى لايطفئ نور معرفته) بالله تعالى (نور ورعه) اى امتثاله لاوامر الله تعالى واجتنابه عن نواهيه على اكمل الوجوه وقال القشيرى فى رسالته الورع ترك الشبهات وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل اه وانما كان الصوفى قائما بالنورين لان نور المعرفة فى القلب ينكشف به عن حقائق الموجودات الجسمانية والعرضيه ويطلع على حضرات الذات وتجليات الاسماء والصفات ونور الورع فى الجسد يعمل به جميع ما امر الله تعالى ان يعمله به على وجه الكمال ويكف به عن كل مانهاه الله تعالى عنه بأتم مايكون فمتى اشتغل بمراعاة النورين واشتغل عن الآخر الالتفات لاحد الشيئين يكون قد فقد معنى التصوف وزالت حقيقته من التعرف وقال الغزالى فى مشكاة الانوار القلب بيت هو منزل الملائكة والصفات

الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة والسلام ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب ولاصورة قال ولست اقول المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل اقول هوتنبيه عليه ودخول من الظواهر الى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فان هذا طريق الاعتبار ومسلك الائمة الابرار ومعنى الاعتبار ان تعبر بما ذكر الى غيره فلاتقتصر على ماذكر ولاتظنن ان هذا الانموذج بطريق ضرب الامثال رخصة منى فى دفع الظواهر واعتقادى ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك وحاشالله فان ابطال الظواهر رأى الباطنية كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فان الذى يجرد الظاهر حشوى والذى يجرد الباطن باطنى والذى يجمع بينهما كامل ولهذا ورد للقرآن ظاهر وباطن وحد ومقطع بل اقول فهم موسى عليه السلام من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين فهذا هو الاعتبار اى العبور من الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب فيقتنى الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هى من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر فى الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذى هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكمال وهو المعنى بقولهم الكامل من لايطفئ نور معرفته نور ورعه اه والحاصل ان الكمال هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف فى قول السرى المذكور (و) المعنى الثانى الصوفى هو الذى (لا يتكلم بباطن) اى بحقيقة (فى علم) من علومه النورانية (ينقضه) اى ينقض ذلك الباطن بمعنى يبطله ويظهر فساده (عليه ظاهر الكتاب) العزيز اى مايظهر من معانى القرآن لكل مكلف فاذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وان نقضه كان فاسدا والذى يتأتى منه نقضه هو صاحب التحقيق فى العلم الظاهر والعلم الباطن لاكل احد من الناس فان نقض القاصر فى درجة الكمال لايعتبر لعدم معرفته بالتطبيق بين بواطن الحقايق وظواهر الشرايع خصوصا اذا كان لايعرف اصطلاحات الصوفية فى خطاباتهم ومواقع كلامهم فان قول ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه سبحانى ما اعظم شانى مثلا عند من لم يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق فى علمى الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فان ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع ان ابا يزيد رضى الله عنه عارف ربانى وكامل صمدانى فلابد من عالم محقق فى العلمين يعرف اصطلاح الفريقين بشرح معنى ذلك على وجه لايخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظم الشان

والمفهوم من كلام الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه في بعض كتبه ان معنى ذلك كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فانه لما رأى تنزيهه لله تعالى وتسبيحه له عما لا يليق به مخلوقا فيه لله تعالى ورآه ظاهرا منه على حسب استعداده والحق تعالى اعظم واجل تحقق ان الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له في حضرة تجلي الحق المطلق فعلم ان تسبيحه لله تعالى وتنزيهه راجع الى غاية استعداده الظاهر له في مرآة التجلي المطلق فارجعه الى استعداده في نفسه ووقع بالعجز عن التنزيه والتسبيح في تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال سبحاني ثم لما رأى جميع المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح الى غاية استعدادهم في التجلي المطلق واستعداده اتم الاستعدادات فقال ما اعظم شاني وهو موافق لما في القرآن لا مناقض له وهذا مقدار ما يليق بهذا الموضع من معنى كلامه فاذا تكلم احد من العارفين في هذا الزمان بكلام نظير هذا الكلام ينبغي ان يعرض كلامه على اهل المعرفة الجامعين بين علمي الظاهر والباطن فانهم يعرفون معناه من غير ان ينقضه ظاهر الكتاب واما القاصرون من علماء الرسوم الذين لا يعرفون الا ظواهر العلوم فلا عبرة بكونه مناقضا عندهم لظاهر القرآن لانهم لا يعلمون اشارات الصوفية ولا موا جيد اهل الكمالات العرفانية فغايتهم انهم يستنطقون الكلمات بحسب اعرابها ومعانيها اللغوية وينفونهم الوضع الخاص المسمى بالاصطلاح فيقعوا في سب اهل الكمال وهم قاصرون ويحكموا بخطئة المصيب وهم لا يشعرون فان لكل ميدان مجالا ولكل مجال رجالا ونظير هذا ما وقع للشيخ ابي الغيث ابن جيل قدس الله سره انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال لهم مرحبا بعبيد عبدي فاشتد انكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ اسماعيل الحضرمي رضي الله عنه وكان من اهل العلم الظاهر والباطن فقال صدق انتم عبيد الهوى والهوى عبده (و) المعنى الثالث الصوفي هو الذي (لا تحمله الكرامات) جمع كرامة وهي الامور الخارقة للعادة بلا دعوى نبوة (على هتك) اي عدم احترام (محارم الله تعالى) اي محرماته التي حرمها تعالى على عباده المكلفين القطعية والظنية وهذا شرط لكونها كرامات فلو انتهك بها محرما من المحرمات الشرعية كانت مكرا من الله تعالى واستدراجا لا كرامات وكونها تقتضي انتهاك محرم من المحرمات يحتاج الى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولا عبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فان لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بافعال الكاملين ولا دخل للكاملين في قصد ذلك ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (وقال ابو يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) كان جده مجوسيا اسلم وكانوا ثلاثة اخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا وابو يزيد كان اجلهم حالا قيل مات سنة احدى وستين وما ئتين وقيل اربع وثلاثين وما ئتين (رحمه الله تعالى لبعض [illegible]) من اهل بسطام (قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه

بالولاية) وشهرة النفس بهما كناية عن الدعوة الى الله بتربية قلوب المريدين فان كانت بحق كانت محمودة وان كانت بباطل كانت مذمومة ولما احتملت الامرين لم يكن هذا الكلام ذما من ابي يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفا كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج كلامه كذلك وليس فيه تجسس ايضا منهي عنه لانه في قصد ظهور الكمال له من ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا بقصد الاستكشاف عن معايبه (وكان) ذلك (رجلا مقصودا) اي تقصده الناس من كل جهة من جهات الارض يتبركون به (مشهورا بالزهد) والتقوى والدين بين الخاص والعام (فمضينا اليه) بقصد زيارته والتماس بركته (فلما خرج من بيته و دخل المسجد) ونحن ننظر اليه قبل ان نكلمه (رمى ببزاقه) من فمه (تجاه القبلة) اي جهتها (فانصرف ابو يزيد) في الحال حين رآه فعل كذلك (ولم يسلم عليه) ولم يكلمه (وقال) لمن كان معه (هذا رجل غير مأمون) اي لم يؤمنه الله تعالى (على ادب) واحد (من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك لانه استهان بالقبلة التي جعل الله تعالى استقبالها شرطا في صحة الصلاة و ورد النهي عن استقبالها ببول وغائط وكره العلماء مد الرجلين اليها في نوم وغيره واوجب الله تعالى الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بانها بيته تعالى تعظيما لها وتشريفا وآداب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله تعالى احترام ما احترمه الله تعالى وانتقاص ما انتقصه واستهان به سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عباداتهم الباطلة ونحو ذلك وفي شرح اليوسفية للشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه اذا رأينا من يدعي في هذه الامة مقام الدعاء الى الله على بصيرة و يخل بادب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول ان ذلك ادب يخصه لايلتفت اليه وليس بشيخ ولا بحق فانه لايؤمن على اسرار الله تعالى الا من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه ان يبقى عليه عقل التكليف فان طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف فيسلم اليه حاله ولا يقتدى به وهو سعيد وهو في الوقت الذي سلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عند ما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا الموله عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة الميت ولا تدبير لنفسه الناطقة في هيكله لفقد آلامها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره روحه الحيواني ولا يعترض عليه فان الله ما كلفه كما انه لم يكلف الموتى وان كانوا سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد فان هذه الحال جهلها اكثر اهل الطريق فكيف عامة الفقهاء فاذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على انكاره وانما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية في اكل وشرب ونكاح وشبه ذلك فيقولون كما انه ينكح ويأكل ويشرب فليصل ويحجبهم الصورة الانسانية الظاهرة وما يعلمون انه حيوان في صورة انسان وان نفسه الناطقة انتقلت الى البرزخ

انتقال الموتى وان كان لها التفات الى هذا الهيكل فمن اجل بلوغ الاجل المسمى الذى للروح الحيوانى فى كل حيوان يموت فان للموت انما هو للحيوان لا للانسان الا من كونه حيوانا فافهم فيعتقد فى مجانين اهل الله ولا يقتدى بهم بخلاف عقلائهم (فكيف يكون ذلك الرجل (مأمونا) من قبل الله تعالى (على ما) اى الذى او شئ (يدعيه) من الولاية والزهد فان الله تعالى لا يؤمن على اسراره وانواره الا من آمنه اولا على الاخلاق المرضية والآداب المحمدية الله اعلم حيث يجعل رسالته والحكمة وضع الشئ فى موضعه وهى الملازمة لافعال الله تعالى لا ينفك عنها فعل من افعاله تعالى البتة وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للادب بل الحكمة تقتضى عقابه لا ثوابه او العفو عنه لا المدح منه فان قلت يمكن ان يكون ذلك الرجل رمى ببزاقه تجاه القبلة خطأ وغفلة من غير تعمد فكيف انكر عليه ابو يزيد رضى الله عنه حاله ولم يحمله على محمل حسن والخطأ مرفوع الاثم كما تقرر فى الشرع قلت وقد فعل ابو يزيد رضى الله عنه كذلك فانه ما حكم باثمه ولا نسب اليه فسقا ولا قال عنه انه فعل مكروها لاحتمال ان يكون فعل ذلك خطأ منه والخطأ لا مؤاخذة فيه والمسلم محمول على الكمال فى كل حال ولكنه نفى عنه ما يدعيه بلسان حاله حيث دعى الناس الى الله من الولاية ومقام القرب فان ذلك قدر زائد على مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزائد الا بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند ابى يزيد فلم ينسب اليه ما اشتهر عنه من الولاية من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبار عن الواقع لا احتقار واستنقاص له وحاشا مثل ابى يزيد رضى الله عنه من احتقار احد من اهل اسلام (وقال) ابو يزيد البسطامى ايضا رحمه الله تعالى فى غير واقعته المذكور كما يشير اليه كلام القشيرى فى رسالته (لو نظرتم) ايها الناس وهو ابلغ من سمعتم او ظننتم لكمال الانكشاف (الى رجل) يدعى الولاية وقد (اعطى) اى اعطاه الله تعالى (من الكرامات) اى الخوارق للعادات من المشى على الماء واحياء الموتى وطى المسافة البعيدة فى الزمان القليل ونحو ذلك (حتى تربع فى الهواء) بين السماء والارض ابلغ من مشى على الهواء لما فى المشى من وضع القدمين الموهمين احتمال التمسك بهما (فلا تغتروا به) اى لا تستدلوا على ولايته ورفيع جاهه عند الله تعالى بما رأيتموه من ذلك لاحتمال ان يكون مكرا من الله تعالى به من حيث لا يعلم هو ولا تعلمون انتم ايضا واستدراجا له من الله تعالى كما قال تعالى * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى * الله يستهزئ بهم وقال * سخر الله منهم (حتى تنظروا) بتحقق ايضا وكمال معرفة ولو تمسكا بالاصل وهو الصلاح لانه يقين وحق مبين من دون تشكيك ولا وسوسة فان المؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وكذلك الفاسق فاسق حقا والصالح صالح حقا ولا شك ولا تردد

الاعند اهل القلوب الضعيفة والبصائر المطموسة و لزيغ المبين والقصور المهين فان من لم تظهر مخالفته الموجبة لفسقه ظهور اتاما لايحتمل التأويل اصلا من غير تجسس عليه فليس بفاسق وهو ملتحق باهل العافية اوالتهمة من الصالحين (كيف تجدونه) بنفوسكم وانتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التى يلقيها الشيطان اليكم فى حقه ومن غير سماعكم ذلك من الغير الااذاحضرتم ثبوته على الوجه الشرعى عند حاكم شرعى فتكونوا وجدتموه ظاهرا لاحقيقة الوجدان فانكروه حينئذ ظاهرا لا حقيقة الانكار (عند الامر) الالهى القطعى والظنى (والنهى) الالهى كذلك (وحفظ الحدود) التى حدها الله تعالى لعباده المكلفين فى مقدار ماء الطهارة واعضائها واعداد حركات الصلوات واوقاتها ومقادير جميع العبادات واوقاتها ومقادير المعاملات ومايجوز منها وما لايجوز وكيفيات العقائد والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة فى شئ من ذلك ولانقصان منه (واداء) اى تسليم جميع ماهو المطلوب منه فى (الشريعة) المحمدية علما وعملا امرا ونهيا وتخييرا على وجه العدل فيه والمراد ان يجد ذلك من يعلمه على حسب مااجمعت عليه الامة اواختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف فيه كله من المذاهب الاربعة الموجودة الآن فى الارض وغيرها ايضا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم اذيحتمل ان ذلك الولى قلد فى عمله ذلك مذهبا ثبت عنده تلك المسئلة فيه بشروطها فعمل بها فلايجوز انكارها عليه قال الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير وقدنقل الامام الرازى اجماع المحققين على منع العوام من تقليد اعيان الصحابة واكابرهم نعم يجوز لغير عامى من الفقهاء تقليد غير الاربعة فى العمل لنفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنه اه ويحتمل ايضا ان يكون ذلك الولى مجتهدا علم من الادلة مالم يعلمه غيره والاجتهاد باق الى يوم القيامة فمن اجتمعت فيه شرائطه ولايلزمه بيانها وشروط الاجتهاد عند العارفين من اهل الله تعالى غير شروطه عند اهل الاصول من علماء الظاهر كمانقلته فى كتابى لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى فلايكاد احد يجد المخالفة من الولى على وجه اليقين وانما ينكر الجاهل بجهله ما لم يفعله الولى فيأثم الجاهل لدخوله فيما لايعرفه ولانكاره حكم المجتهد الذى اقره عليه الله ورسوله و يثاب الولى وترفع درجته قال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه شرح الوصية اليوسفية التى تكلم بها الشيخ على الكردى على لسان يوسف ابن ابراهيم الشافعى و يقصد جهده ان يدفع عن نفسه الخيالات الردية يعنى فى حق شيخه كيلا يحرم المنفعة به فان الشيطان لايزال يلقى الى نفس المريد فى شيخه مايكرهه اليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يعترضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولاسيما ان كان لظاهر الشريعة التى عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر

عندهم ولاسيما عند صاحب المذاهب الاربعة وما علم ان الشيخ من المحال ان يحلل ما حرم الله او يحرم ما احل الله او يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتى فيه او يدل عليه مريده اويفعله الشيخ على طريق الحل وهو محرم فى حكم الله تعالى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم الواصل الينا بشرع الله فانهم رضى الله عنهم قد يصح عندهم من طريق الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة منه اليهم اوالهاما من الله عزوجل اوالقاء فى قلوبهم على الطريقة المعهودة التى لاولياء الله مع الله فى تلقياتهم ان حكم الرسول عن الله فى ذلك الامر هو هكذا لا ما حكمت به المذاهب الاربعة اومذهب ما وان كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر الى ذلك المجتهد ومن قلده وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فى المطلقة بالثلاث فى المجلس الواحد كيف حكمه عندك يارسول الله فقال هى ثلاث كما قال لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فقلت له فان جماعة من اهل الظاهر حكموا انها واحدة فقال هؤلاء حكموا بما وصل اليهم واصابوا وحكمى انا فى المسئلة ماذكرته لك فى رؤيا طويلة فمن ذلك الوقت صرت اقول بهذا الحكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد امام فى اجتهاده كما لا يلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر فى مسئلة مع اجتهاده ولا يحل للمجتهد ان يحكم فى نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل فاذا نزلت تعين الحكم منه فيها بما يؤديه اليه اجتهاده فان نزلت مرة ثانية ويسأل فيها استأنف الاجتهاد ايضا فى الحكم فان وافق الاول كان وافتى به عن هذا الاجتهاد وان لم يوافق وحكم بامر آخر فى تلك النازلة حرم عليه ان يحكم فيها الابما ظهر له الآن مع صحة الاول فى وقته لا فى هذا الوقت ولذلك كان يقول مالك ابن انس اذا سئل فى مسئلة هل نزلت فان قيل له نعم نظر وافتى وان قيل له لم تنزل ولكن فرضنا نزولها كان لا يفتى فيها بشئ الا ان تنزل فانظر الى تحرى هذا الامام رضى الله عنه فمتى رأيت المريد يزن الشيخ وحركاته بميزان الشرع المقرر عنده من اجتهاده اومن تقليده لامام فاعلم ان المريد فى ادبار لا يفلح ابدا فلذلك قال الشيخ يعنى على الكردى على لسان يوسف بن ابراهيم الشافعى فى وصيته هذه المقالة فى الخواطر الردية هذا فى تحليل محرم اوتحريم محلل واما ان لا يعصى الشيخ فذلك لا يمكن ان يقطع به فى حق احد لا شيخ ولا غيره فان ابا يزيد قيل له ايعصى العارف قال * وكان امر الله قدرا مقدورا * فينبغى للمريد ان لا يصحب شيخا على طريق العصمة وانما يصحبه على طريق العلم بطريق الله ولينظر فى اقواله وفتياه لا فى افعاله ولذلك قال الله تعالى * فاسئلوا اهل الذكر * وما امرنا ان نتاسى بافعالهم لعدم فرض العصمة فيهم وقال فى حق الانبياء لما عصمهم الله تعالى * لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة * وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فان اتبع الرسول فى جميع افعاله الا ما نص علينا

من افعاله التى يختص بها ولا يجوزلنا فعلها واعلم ان هذا من اعظم الادوية لهذه العلة التى تطرأ على المريد من الشيطان ولاشك ان النفس الخبيثة تقبل على الفورمثل هذا الالقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهى بالطبع لا تريد ان تكون محكومة لاحد فاذا الخطرلها ابليس فى الشيخ خاطرا رديا قبلته من حينها الاان يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخا فرآه قدرنى بامرأة وعلم الشيخ ان المريد قدرآه ثم رآى المريد يبالغ فى خدمته كما كان ومانغيرعليه من حاله شئ فقال له الشيخ يافلان انت قدرأيتنى قدوقع منى ماوقع وثبت على طريقك فى خدمتى فقال ياسيدى ماصحبتك على انك معصوم عن المعاصى وانما صحبتك انك عالم بطريق الله الذى فيه رشدى وانت مع نفسك بحسب ماقدرالله عليك فقال الشيخ مثلك من يدعى انه خديم قلت ذكر شيخنا ان بعض من روى هذه الحكاية قال ان ماوقع من الشيخ المذكور كان اختبارا للمريد ولم يكن ماوقع منه زناء فى نفس الامر وقدجرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكنا معه مثل هذا المريد ووالله ماتغيرلى باطن ولا قلب على شيخ من اجل حركته وسكونه وانى ماصحبته الاانه ينصحنى فيما يلق الى وان اقتدى بكلامه لابفعله وكل مريد خرج عن هذه القضية فانه لايجئ منه رجل ابدا ثم لتعلم ان لله عبادا قدقيل لهم افعلوا ماشئتم فقدغفرت لهم فمايدريك ان هذا الشيخ منهم وباب المريد حسن الظن لاسوء الظن واعلم ان الله عزوجل اذا قمع على عبد فى باطنه بسوء ظن باحد من خلق الله فان ذلك من مقت الله به ومن عمى بصيرته ومن فرض العصمة لاحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصى لاتغيرمسلما ولايتغيرلها وان كره فيكره الفعل لاالفاعل فان سلطان الايمان اقوى فانه يكفيه فى المعصية من الطاعة اعتقاده انها معصية فالناصح نفسه ينبغى له ان يحمى باطنه من الخواطر الردية فى حق المؤمنين والكافرين فى الوقت لانه لايدرى بماذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر فى الوقت وانما يكره الكفر من حيث هو كفر لاهذا الكافر فكيف المؤمن وكل من اساء الظن باحد من خلق الله بلاخلاف انه ممقوت من الله وذلك بدو الحرمان وطريق الخسران وقدقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس واى عيب اعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك الامن مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلواشتغل بنفسه ماتفرغ الى النظر فى غيره كما قال بعض شيوخنا * وفى النفس لى شغل عن الغير شاغل * فرحم الله هذا الشيخ بما اوصى به ولقد وصى بخير كثير (وقال ابوسليمان) عبدالرحمن بن عطية (الدارانى) نسبة الى داريا قرية من قرى دمشق مات بها سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضى عنه (ربما) لافادة التقليل اشارة الى ان الغالب انه يجد فى الوقت شاهدين من الكتاب والسنة على مايقع فى قلبه اوفى ثانى الوقت دون المدة المذكورة (تقع فى قلبى) بطريق الفيض من حضرة ربى (النكتة) مشتقة من النكت بالتاء المثناة الفوقية

وهوان ينكت في الارض بقضيب اى يضرب فيؤثر فيهـا والنكتة كالنقطة قاله الجوهرى وفي القاموس النكتة بالضم النقطة والجمع نكات كبرام اه وكأنها سميت بذلك لانها تنكت في القلب اى تؤثر فيه بلطف بلاغتها (من نكت) جمع نكتة (القوم) وهم اهل التحقيق من السادة الصوفية والمراد بما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والالهام من المعارف والاسرار الالهية (اياما) اقلها ثلاثة فيزده في قبول ذلك الواقع في قلبه اوعدم قبوله والمبادرة الى رده حرصا على المحافظة على الاتباع واحترازا من الوقوع في الابتداع (فلا اقبل) ذلك الواقع في قلبي (منه) اى من قلبي (الابشاهدين) اى دليلين مثبتين معنى النكتة (عدلين) اى موثقين ليس مطعونا فيهما الاول (من الكتاب) اى القرآن العظيم وهو متواتر لاضعف في سنده الامن حيث القرا آت الشاذة والتفسير الغريب (و) الثاني من (السنة) النبوية المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفي العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد لابن الهمام رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن موضوعا اه ومعنى كونه لايقبل ذلك الابشاهدين عدلين من الكتاب والسنة على حسب مايفتح له في معـانى الكتاب والسنة ولايلزم ان يذكر ذلك الدليل الذى فتح عليه فيه حتى يعلمه غيره ولاان يفتح لغيره مافتح له فيعلمه به والمقصود بيان ان علمه مقيد بالكتاب والسنة كما سبق عن الجنيد البغدادى رضى الله عنه واهل الفتح والالهام يجدون في الكتاب والسنة من المعانى الصحيحة والاحكام الرجحة مالايجده غيرهم من علماء الرسوم المتحكمين فيهـا بجدونه بالفهوم فان صفاء البصائر وسلامة السرائر يكشف الاسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الالهية فلا يأتى نقد احوالهم الالامثالهم باعتبار نظرهم في الوقايع بالله واتكالهم في الاطلاع على الله كما قال عليه السلام احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ونظر علماء الغفلة والحجاب بأنفسهم المغموسة وبصائرهم المطموسة فان ايمانهم قاصر وعقلهم حاصر فكشفهم انوار الشمس والقمر والنجوم من اعظم المن عليهم فلايطمعون مع نقصـانهم الذى هم فيه في كشف حقائق العلوم وهو من عدل الحى القيوم حيث تسلطوا بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمهم الله تعالى من اهل ولايته الذين لحومهم سموم والله يفصل بين الظالم والمظلوم (وقال) ابو الفيض (ذوالنون المصرى) واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض ابن ابراهيم وكان ابوه نوبيا توفى سنة خمس واربعين ومأتين (رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة) من الانسان (لله تعالى متابعة حبيب الله محمد عليه الصلاة والسلام) ظاهرا وباطنا (في اخلاقه) اى طبايعه وعاداته صلى الله عليه وسلم فانها من اعظم الاخلاق كما قال له الله تعـالى * وانك لعـلى خلق عظيم (وافعـاله) التى كان يفعلها من القيام بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعـالى

(واوامره) من قبل الله تعالى بالفعل قطعا اوظنا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات والمحرمات والمكروهات (وسننه) جمع سنة وهي طريقته وسيرته صلى الله تعالى عليه وسلم التي كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يأمره الله تعالى به واوحى به تعالى اليه باطنا قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية اعلم ان محبة الله تعالى على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي والرضاء بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم اوترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال ماتقرب الى عبدى بمثل اداء ماافترضته عليه وفى رواية بشئ احب الى من اداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبي يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وماترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته واستفيد من قوله وماتقرب الى عبدى بشئ احب الى ان اداء الفرائض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولاتنتجها الفرائض واجيب بان المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان فى رواية ابى امامة بن آدم انك لن تدرك ماعندى الا باداء ماافترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لالخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهانى معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الى آخره واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره فى اتيان امرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بى فلايصغى بسمعه الا الى مايرضينى ولايرى ببصره الا ماامرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلايسمع الامايحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى آخره قاله الفاكهانى قال ويحتمل معنى آخر ارق من الذى قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان املى بمعنى مأمولى والمعنى انه لايسمع الا ذكرى ولايلتذ الا بتلاوة كتابى

ولا يأتمن الا عناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا عما فيه رضائي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يقتدي بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيرى احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد اه واحسن ما رأيت في قريب من معنى ذلك ماقرأته بخط ابي الطيب الغزي رحمه الله تعالى وهو فان قيل كيف يجوز ان يتصف المخلوق بصفات الخالق ولا حلول بينهما ولا اتصال الجواب انظر كيف تكسو النار صفتها الماء بواسطة الحجاب فيعود الماء في الصورة ماء وفي المعنى نارا فيفعل فعل النار في احراقها من غير ان تحيز النار في ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته ولا جانسته فهي متصلة بالصفات منفصلة بالذات وماذلك الا انه بواسطة قرب الماء من النار كسته صفتها فصار محرقا فكذلك لطف الله سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه واقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من غير تحيز ولا اتصال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وانشد في المعنى

سلم اذا ذكر الحيا دا عاشق * وافطن فطور المرء ليس يزيد
فالنار يدخلها الحديد فيغتدي * نارا وذاك معاين مشهود
فاذا تخلى عن مقام وصالها * فالنار نار والحديد حديد

وفي المواهب اللدنية تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته تعالى في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله تعالى فاذا صار محبوبا لله تعالى اوجبت محبة الله له محبة اخرى فيه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا زمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني

فى مرادى فى امتثال اوامرى والتقرب الى محابى فانا اوافقه فى رغبتــه ورغبته فيما يسألنى ان افعله به ويستعيذنى ان يناله وقوى امر هذه الموافقــة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه فى اماتتــه عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره مايكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضى ان لايميته ولكن مصلحتــه فى اماتته فانه ماأماته الاليحييه ولاامرضه الاليصحه ولاافقره الاليغنيه ولامنعه الاليعطيه ولم يخرجه من الجنة فى صلب ابيه الاليعيده اليها على احسن احواله فهذا هوالحبيب فى الحقيقة لاسواه وقال الخطابى التردد فى حق الله تعالى غيرجائز والبدأ عليه فى الامور غيرسائغ ولكن له تأويلان احدهما ان العبد قديشرف على الهلاك فى ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعوا الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروها فيكون ذلك من فعــله كتردد من يريد امرا ثم يبدوله فيــه فيتركه ويعرض عنه ولابدله من لقــائه اذابلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قدكتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه والثــانى ان يكون معناه مارددت رسلى فى شئ انافاعله كترددى اياهم فى نفس المؤمن كماروى فى قصة موسى عليه السلام وماكان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى عــلى الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذى ماحاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعنى باعتبار متعلقها اى عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته فى الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه مايشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه وبالجملة فلاحياة للقلب الابمحبة الله ومحبة رسوله ولاعيش الاعيش المحبين الذين قرت اعينهم بمحبوبهم وسكنت نفوسهم اليــه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا لقربه وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لايسدها الامحبــة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدى اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد فى التعلقات الفانية ويرغب فى تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولابخطرة فضول لاتنفعــه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كماجعله الله نبيه ورسوله وهاديه

فيطالع سيرته ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي اليه و يعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه و يقظته ومنامه وعباداته ومعا شرته لاهله واصحابه الى غير ذلك عامنحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذاقرأ السورة شاهد قلبه ماذانزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفاء فى الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولايخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذى حده فى الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر مايؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله نفى وجود ماصدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لاتنافى بين ارتكاب النهى وثبوت محبة الله ورسوله فى قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لاتنزع منه محبة الله ورسوله اه وذكر فى فتح الصفا شرح الشفا لابن اقبرس فى لزوم محبة الله تعالى ورسوله الاقتداء بالسنة النبوية والاتباع لجميع الاحكام الشرعية قال والمراد باللزوم ههنا اللزوم عند اهل المحبة التى ينتهى الحال فيها عندهم الى مقام الفناء فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هى المحبة التى يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص واما محبة العوام فهى الواقع فيها التفاوت بالشدة والضعف الى ان ينتهى الحال فيها الى الذرة المشار اليها بقوله عليه السلام يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد دل عليه حديث الرجل الذى حده النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر حيث نهى عن لعنه واخبر بكونه يحب الله ورسوله فاثبت له المحبة مع المعصية فان قلت فامعنى قوله عليه الصلاة والسلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن قلت هو محمول على كمال الايمان لاسيما على مذهب من يطلق الايمان على الاعمال (وقال) ابونصر (بشر) بن الحارث (الحافى) اصله من مرو فسكن بغداد ومات بها سنة سبع وعشرين ومائتين (رحمه الله تعالى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يابشر هل تدرى بم رفعك الله تعالى) فى الدنيا والآخرة (من بين اقرانك) اى المماثلين لك فى زمانك (قلت لايارسول الله) يعنى لااعرف السبب فى ذلك (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعك الله (باتباعك لسنتى) ظاهرا وباطنا على وجه اليقين والاخلاص (وخدمتك) باعتقاد قلبك وعمل جوارحك وثناء لسانك ومحاماتك وتأويل مايحتمل الخطاء (للصالحين) من اهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه ولاعبرة بالشك والظان السوء من اول وهلة فاسق وكذا المتجسس والقاصد فضيحة

اخيه والذى يحب ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فلا عبرة بافوالهم وشهاداتهم شرعا وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس ولم ازل ابدا الحمد لله اجاهد الفقها فى حق الفقراء السادة حق الجهاد واذب عنهم واحمى وبهذا فتح لى ومن تعرض لذمهم والاخذ فيهم على التعيين فانه لاخفاء بجهله ولايفلح ابدا اه وقد احترز بقوله على التعيين من الاخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص احد منهم بعينه تنبيها على النوع الفاسد منهم من غير خصوصه ليعلم المكلف ان فيهم الدخيل فيحذر ويكون على يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف لهذا الكتاب رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العام الصادر من الاولين ويخصصون به فقراء زمانهم ويحكمون فيهم بظنونهم السيئة ولهذا قال فمن يفعل كذلك فانه لاخفاء بجهله ولايفلح ابدا اه (ونصيحتك لاخوانك) المسلمين بتبيين مايصلح عقائدهم واقوالهم وافعالهم واحوالهم على طبق السنة من غير تخصيص احد بعينه مخافة احتمال فهمه انه بخلاف ذلك فيتأذى واقتفاء لاثر الكتاب والسنة فى كيفية ذلك البيان (ومحبتك لاصحابى) كلهم من غير طعن فى احد منهم مع السكوت عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بان ذلك كله اجتهاد منهم فى الدين مثابون عليه وان اخطأ بعضهم فيه (و) محبتك (لاهل بيتى) اى ذريتى واقربائى من اولاد فاطمة وعلى وجعفر وعقيل واولاد العباس وحمزة رضى الله عنهم وقد سبق بيانهم (هو) اى مجموع ماذكر من الامور الاربعة اتباع السنة وخدمة الصالحين ونصيحة الاخوان ومحبة الاصحاب واهل البيت (الذى بلغك) اى اوصلك (منازل) جمع منزل وهو موضع النزول وهى الاحوال والمقامات التى تنزلها فى القرب الالهى جملة (الابرار) جمع بر وهو الصادق فى معاملة الحق والخلق (وقال ابو سعيد) احمد بن عيسى (الخراز) من اهل بغداد مات سنة سبع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (كل) امر (باطن) اى من علم الباطن وهو علم الحقائق الالهية والمعارف الربانية (يخالفه) امر (ظاهر) اى من الظاهر وهو علم الشرائع النبوية والاحكام المحمدية (فهو) اى ذلك الامر الباطن شئ (باطل) لااعتبار له لانه وسوسة شيطانية وزخرفة نفسانية حيث خالف الظاهر وهذه المخالفة لايعرفها غير اهل التحقيق فى علمى الظاهر والباطن ولااعتبار بعلم القاصرين لها فانهم ربما ينكرون المعروف زعما منهم بانه مخالفة خصوصا من لم يعرف اصطلاح الصوفية فى مواجيدهم واذواقهم (وقال) ابو عبد الله (محمد بن الفضل البلخى) ساكن سمرقند بلخى الاصل اخرج منها فسكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة (ذهاب الاسلام) اى اضمحلال رسومه واستتار انواره عن قلوب العاملين بحيث يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد ان كان شريعة فلا يحكم الرجل الا بما يستحسنه برأيه وعقله ويترك ما عليه من الشرع قائما

بجهله وذلك عند تغير الزمان وانكار العلم النافع على اهل الايمان (من اربعة امور) الاول انهم (لايعملون بما يعلمون) لانهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويجمعوا به الدنيا من حلال وحرام لا ليعملوا به فهم جارون على مقتضى قصدهم فى ذلك والاسم علماء وافعالهم افعال الجهلاء بل افعال المستهزئين بربهم كأنهم علموا دينه ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون فى الكبائر عمدا وهم معتقدون انه غفور رحيم وانه يسامحهم قطعا بسبب ما علموه من دينه فيزدادون مقتا على مقت وغضبا على غضب وهم لا يشعرون الا انهم محسنون (و) الثانى انهم (يعملون) فى اعتقاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم او فى بعضها (بما لا يعلمون) من احكام الله تعالى فيها فيتبعون عقولهم وما ادى اليه رأيهم واستحسنته نفوسهم ويأمرون بذلك غيرهم ويحاربون عليه من خالفهم وهم يعتقدون ان ما هم فيه هو الصواب ويرجون من الله تعالى عليه غاية الثواب (و) الثالث انهم (لايتعلمون) من المشايخ او الكتب (ما يعملون) به من الاعتقادات والاقوال والافعال والاحوال وليس لهم خلوص سريرة ولا صفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم ورضاه لهم ولا يحوجهم الى الشيخ ولا الكتاب كما قال تعالى *الرحمن علم القرآن وقال الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال واتقوا الله ويعلمكم الله* ولكن بواطنهم مملوءة من الاخباث والادناس وظواهرهم مزخرفة بانواع اللباس لا يقدر المؤمن ان ينظر فى وجوههم من قبح نياتهم وسوء طوياتهم يتقلب الواحد منهم فى اليوم والليلة القمرية ليس لاحدهم صديق يثق به لاغتيابه له فى غيبته ولا عدو يحذر منه لمداهنته له فى حضوره (و) الرابع ان (الناس) المضمر ذكرهم فى الثلاثة الاول (من التعلم) للعلم النافع فى الدنيا بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالى من البدعة وفى الآخرة بالنجاة من النيران والخلود فى دار الجنان ورؤية الرب تعالى بالمشاهدة والعيان مع الذين انعم الله عليهم من اهل الايمان (يمنعون) كل من قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع او ممن يعلمه ذلك او بتزيين العلم المضر فى الدنيا والآخرة ترويجا لسلعتهم الكاسدة فى الدنيا وتلبيسا لطريق المتقين حبا للعاجلة ورغبة فى الحاضرة الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية ويعظمون القشارات العقلية وهم غالب اهل زماننا هذا من غير تمييز والله اعلم بالظالمين ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (كل ما ذكر) اى ذكره هو (من) ابتداء (كلام سيد الطائفة) الصوفية الجنيد البغدادى رضى الله عنه على حسب ما تقدم (الى هنا منقول) كله بحروفه من رسالة الشيخ الامام العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن (القشيرى) رحمه الله تعالى وهى رسالة كتبها الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام فى سنة سبع وثلاثين واربعمائة (انظر) بعين الانصاف واترك التعصب والاعتساف يا (ايها العاقل الطالب للحق) ليعرفه ويعمل به (ان هؤلاء) السادة المذكورين وهم الجنيد والسرى وابو يزيد وابو سليمان الدارانى.

وذوالنون المصرى وبشر الحافى وابوسعيد الخراز ومحمد بن الفضل كلهم (عظماء) جمع عظيم مضاف الى (مشايخ) جمع شيخ مضاف الى (علماء) جمع عالم مضاف الى (الطريقة) وهى طريقة السادة الصوفية اهل العلم والعمل المؤسسة على الكتاب والسنة (وكبراء) جمع كبير مضاف الى (ارباب) جمع رب بمعنى صاحب (السلوك الى الله تعالى) على الكشف والعيان فى مقام الاحسان (و) ارباب (الحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى افعال العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام فى الاسباب (وكلهم يعظمون الشريعة المحمدية) والطريقة المصطفوية بظواهرهم وبواطنهم وكيف وهم ماوصلوا الى مقاماتهم العالية ودرجاتهم السامية الابذلك التعظيم والسلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن احد منهم ولاعن غيرهم من السادة الصوفية الكاملين انه احتقر شيئا من احكام الشريعة المطهرة ولاامتنع من قبوله بل كلهم مسلمون له مؤمنون به عالمون له عاملون به ومن طعن فى احدمنهم فانما طعن لقصور باعه فى العلم عن معرفة مقام القوم والقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور (ويبنون علومهم الباطنة) المفاضة عليهم بالفتح الربانى والالهام الرحمانى فى معانى القرآن العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور فى كتبهم النافعة ومصنفاتهم الرافعة (على السيرة) اى الطريقة (الاحمدية) المنسوبة الى نبينا احمد صلى الله عليه وسلم (والملة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق وهى ملة الاسلام وحاشاهم ان تخالف علومهم المذكورة لشئ من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف مايدعيه الجاهل المغرور فيقتحم به المالك من المخالفة لعدم العلم والذوق والسلوك على هذه المسالك (فلايغرنك) حيث علمت تمسك القوم بالشرايع وتقربهم الى الله تعالى باقرب الذرايع (طامات) جمع طامة من طم الماء طما وطموما غمر والاناء ملأه والشئ كثر حتى علا وغلب والطامة الداهية تغلب ماسواها كذا فى القاموس والمراد هنا الامور المضرة فى الدين من افعال (الجهال المتنسكين) اى المتعبدين بلاعلم ولامعرفة (وشطحهم) اى تجاوزتهم الحدود الشرعية عن قصد منهم (الفاسدين) نعت للجهال وفسادهم باعتبار اعتقادهم ماليس بحق من امور الدين جهلا منهم بعقائد اهل السنة وقولهم مايخالف الشريعة وعملهم الاعمال الباطلة من جهلهم المركب وتخيلهم فى انفسهم انهم على هدى ورشاد (المفسدين) لمن تابعهم من العوام على غير بصيرة (الضالين) اى المتحيرين فى معرفة الحق المبين (المضلين) المحيرين فى معرفة ذلك (لغيرهم) من الناس (بعد) متعلق بالمضلين (ان كانوا) قبل ان يضلوا غيرهم (زائغين) اى مائلين (عن الشرع القويم) الى الدين الباطل والمذهب العاطل (ومائلين عن الصراط) اى الطريق الواضح (المستقيم) الى صراط الجحيم (خارجين) بظواهرهم وبواطنهم (عن مناهج) جمع منهج وهو الطريق الواضح (علماء الشريعة) المحمدية

لتمسكهم باحكام عقولهم الضعيفة وآرائهم السخيفة و علماء الشريعة يتمسكون باحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المهديين وتعميم الدليل بحكم القياس فى الثابت باليقين (ومارقين) اى متجاوزين (عن مسالك) اى طرق (مشايخ الطريقة) النبوية والسيرة الاحمدية لاعراضهم عن التأدب بآداب الشريعة وتركهم الدخول فى حصونها المنيعة فهم كافرون بانكارها مدعون الاستنارة بانوارها ومشايخ الطريقة قائمون بالآداب الشرعية معتقدون تعظيم احكام الله تعالى على كافة البرية ولهذا اتحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية فى المقامات الانسية وهؤلاء المغرورون بالقشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون فى الظاهر واذا حققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على اصنام الاوهام مفتونين بما يلقى لهم الشيطان من الوساوس فى الافهام (فالويل) وهو حلول الشر وكلمة عذاب وواد فى جهنم كذا فى القاموس (كل الويل لهم) حيث كانوا فى هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لايعلمون انها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم انهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير لهم ماينفرهم منها (و) الويل كل الويل ايضا (لمن تبعهم) فى حالتهم القبيحة وسيرتهم التى هى فى الدنيا والآخرة فضيحة (او حسن) بالتشديد اى حكم بانه حسن اغترارا بهم وافتتانا بحالهم (امرهم) اى شأنهم الذى هم عليه مما تقدم بيانه (فهم) اى هؤلاء المذكورون واتباعهم والذين حسنوا امرهم كلهم (قطاع طريق الله تعالى على العابدين) لله تعالى بحيث يمنعون من اراد سلوك طريق العبادة والطاعة والاخلاص والورع باقوالهم المزخرفة واعمالهم المتحرفة بواحوالهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة (يلبسون) اى يخلطون من لبس عليه الامر يلبسه خلطه كذا فى القاموس (الحق) فى كل امر من امور الاسلام (بالباطل) لانكارهم شرايع الاحكام وجحودهم مااشتمل عليه الدين من الحلال والحرام (ويكتمون الحق) الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الى كافة المكلفين (وهم يعلمون) انه الحق المبين غير انهم قصدوا تسهيل الامر عليهم والفوا نسبة الكمال اليهم مع ماهم فيه من سخافة العقول واضاعة الفروع والاصول واعلم ان هؤلاء المذكورين هنا لم يعينهم المصنف رحمه الله تعالى فى طائفة مخصوصين باعيانهم وانما نبه على من هذا وصفهم فلا يلزم ان يكونوا موجودين بالنسبة الى زماننا هذا وبلادنا هذه ولايلزم عدم وجودهم ايضا فالواجب علينا ان لانسئ الظن باحد من الناس بعينه ونؤول الاقوال والاعمال لاخواننا المسلمين سترا عليهم ولا نتجسس عن عوراتهم وننصحهم على العموم من غير ان نظن فيهم مانذكره لهم فضلا عن التصريح لهم بانه فيهم ونتبع فى ذلك طريقة الله ورسوله فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله يعلم المفسد من المصلح ونخالف مااصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعاظهم من تخصيص الناس بالقاصد فى الكلام وتقريعهم

وتوبيخهم وفضيحهم على روس الانام مع التجسس والظنون السيئة فى الخاص والعام واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من اقبح الآثام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهو بكل شئ عليم وفى شرح اليوسفية للشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال ولقد رأيت والله اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم او بعض المعصومين فقال لى اتدرى بم نلت ما نلت من الله قلت له لا قال باحترامك لمن يدعى انه من اهل الله سواء كان ذلك فى نفس الامر كما ادعاه ام لا فراعى الله لك ذلك وشكره منك فاعطاك ما قد علمت وذكر ايضا قال ولله رجال ونساء جبلهم الله على الخير المحض فلا يرون احدا الا ويحسنون الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر ردئ وهذه قلوب قد خبأها الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل احد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه جعلنا الله واخواننا ممن سلم من الوقوع فى اوليائه بل من الوقوع فى عامة المسلمين بمنه وكرمه ﴿ الفصل الثالث ﴾ تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الاول من ابواب الكتاب الثلاثة (فى) بيان (الاقتصاد) وهو ضد الافراط ومعناه التوسط من غير تكثير ولا تقصير (فى العمل) بالجوارح والاعضاء لانواع العبادات وعليه ادلة من الكتاب والسنة اما من الكتاب فهو (الآيات) جمع آية والمذكور منها هنا سبع آيات *الآية الاولى من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يريد الله بكم) يا معشر المكلفين (اليسر) وهو السهولة يقال تيسر هذا الامر اذا سهل ولان ذكره الواحدى وقال الخازن اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض وفى تفسير البغوى قال الشعبى ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عز وجل (ولا يريد بكم العسر) اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر قاله البيضاوى وقال الواحدى لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم قال الشعبى اذا اختلف عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا فى المسجد يطيل الصلاة فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله رضى لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر * الآية الثانية من سورة النساء وهى قوله تعالى (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق قاله البيضاوى وقال البغوى يسهل عليكم فى احكام الشرع وقد سهل وقد قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة وقال الواحدى يخفف عنكم فى احكام الشرع وفى جميع ما يسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بنى اسرائيل وقال الخازن يعنى يسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا وقال ابو عبد الرحمن السلمى يخفف

عنكم اثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الامانة (وخلق الانسان) اى جنسه من ذكر وانثى (ضعيفا) قال ابن عباس والاكثرون يضعف عن الصبر عن الجماع ولا يصبر عن النساء ولا يكون الانسان فى شئ اضعف منه فى امر النساء لا يصبر عنهن فلذلك اباح له نكاح الامة اى يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف فى ذلك قاله الواحدى وقال الحسن هو انه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى * الله الذى خلقكم من ضعف * ذكره البغوى وقال البيضاوى لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث يعنى قوله تعالى قبل هذه الآية يريد الله ليبين لكم وقوله والله يريد ان يتوب عليكم وقوله يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم وقال ابو عبد الرحمن السلمى قيل ضعيف الرأى ضعيف العقل الامن ايد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه * الآية الثالثة من سورة المائدة وهى قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق فى الدين ولكنه جعله واسعا قاله الواحدى * الآية الرابعة من سورة المائدة ايضا وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) الطيبات اى اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليهــا القلوب قال المفسرون هم قوم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عزموا ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشــارب اللذيذة وان يصوموا النهــار ويقوموا الليل ويخصوا انفسهم فانزل الله تعالى هذه الآية واعلم ان الطيبات لا ينبغى ان تجتنب قاله الواحدى (ولا تعتدوا) يعنى لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معنــاه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات قاله الخازن وقال الواحدى وسمى الخصاء اعتداء فقال ولا تعتدوا اى لا تجبوا انفسكم قال ابن عباس كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا الا نستخصى فنهانا عن ذلك ثم قرأ هذه الآية (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام ذكره الخازن وقال البيضاوى كأنه لما تضمن ما قبله يعنى من آية طمعهم فى الدخول مع القوم الصــالحين وغير ذلك من مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم وداعية الى القصد بينهما * الآية الخامسة من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الآية قولان

احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكر الرازى انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل فى هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم والقول الثانى وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه *قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا* فانزل الله قل من حرم* الآية والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل مايستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه كذا قاله الخازن وفى هذه دلالة واضحة على اباحة نحو القهوة والتتن مما تستلذه بعض الطباع و تجدله نفعا وليس هو من المسكرات لها وليس فى حرمته نص آية ولا حديث ولا قياس على ثابت باحدهما وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم وقال البيضاوى قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر مايتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وقال الواحدى المعنى قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمين المشركون فى الطيبات فى الحياة الدنيا فاكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شئ وقرأ نافع خالصة والمعنى قل هى ثابتة للمؤمنين فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال الخازن وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لاشريك لى فاحلوا حلالى وحرموا حرامى* الاية السادسة من اول السورة وهى قوله تعالى (طه) اختلفوا فى تفسيرها

فقال اهل اللغة هى من فواتح السور نحو حم والم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع رجلا ووضع اخرى فانزل الله تعالى طه اى طأ الارض بقدميك جميعا وقوله (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتصلى على احدى رجليك فيشتد عليك وقيل طه لغة بالعجمية معناه يارجل قاله الزجاج وقال الخازن قيل طه قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك بالانسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا تكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو بالانسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال * طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى * وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لتشقى فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتعنى وتتعب وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن طه طأ الارض هديت لبساط القربة والانس وقال الواسطى هو مستخرج من الطاهر الهادى اى انت طاهر بنا هادى الينا وقال محمد بن عيسى الهاشمى طوى عن سر محمد صلى الله عليه وسلم الاكوان كلها بما فيها وهدى الى الاشتغال بمكونها وقال محمد بن على الترمذى اى طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل الينا وقال الواسطى سمى القرآن قرآنا لانه مقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيما لشأن القرآن كما وصل الينا شعاع الشمس وحرارتها ولم تباين القرص وقال ابن عطاء ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب فى خدمتنا فكان جوابه من النبى صلى الله عليه وسلم زيادة تعبد واجتهاد حتى تورمت قدماه كأنه يقول وهل يشقى احد فى خدمتك ويتعب احد وهى محل استرواح العارفين فاما هذه الحركات فهى القيام بشكر ما نالنى من لذيذ قربك ومنا جاتك وخدمتك والدنو منك الا تراه عليه السلام لما قيل له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا * الاية السابعة من سورة الحج وهى قوله تعالى (وما جعل) اى الله تعالى (عليكم فى الدين من حرج) اى من ضيق جعل الله تعالى على من لم يستطع الشئ الذى ينقل فى وقت ما هو اخف منه فجعل للصائم الافطار فى السفر وتقصير الصلاة وللمصلى اذا لم يطق القيام ان يصلى قاعدا وان لم يطق القعود ان يومى وجعل للرجل ان يتزوج اربعا وجميع ما ملكته يمينه فوسع الله تعالى ذلك قاله الزجاج وقال الواحدى من حرج قالوا جميعا من ضيق واختلفوا فى وجه رفع الحرج فروى عن ابن عباس انه قال جعل الكفارات مخرجا يعنى من اذنب ذنبا جعل له منه مخرجا اما بالتوبة او بالقصاص او برد المظلمة

اونـسوع كفارة فلم يبتلى المؤمن بشئ من الذنوب الاجعل له منه مخرج وهذا رواية الزهرى عنه وروى عنه قول آخر قال هذا فى هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفى الحج اذا شكوا فى الهلال وفى الفطر واشباهه حتى يتيقنوا وعلى هذا رفع الحرج يعود الى انا امرنا بالاخذ باليقين عند الاشتباه وروى عن ابى هريرة انه قال لابن عباس اماعلينا فى الدين من حرج ان نسرق او نزنى قال بلى قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج قال ذلك الامر الذى كان على بنى اسرائيل وضعه الله عنكم وقال مقاتل بن حيان يعنى اباحة الرخص عند الضرورات كالقصر فى الصلاة والتيمم واكل الميتة والافطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبى وقال الخازن من حرج اى ضيق وشدة وهوان المؤمن لا يبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد سبيلا الى الخلاص منه من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال البيضاوى من حرج اى ضيق بتكليف مايشتدبه القيام عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه اوالى الرجعة فى اغفال ماامرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشئ فأتوابه ما استطعتم واما الادلة من السنة فهى (الاخبار) جمع خبر وهى عشرة احاديث * الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن انس رضى الله عنه انه قال جاء رهط) هم من ثلاثة اوسبعة الى عشرة اومادون العشرة ومافيهم امرأة ولاواحد له من لفظه وجمعه ارهط واراهط وارهاط وارا هيـط كذا فى القاموس (الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم) يعنى زوجاته فالزوج اسم للمرأة وللرجل قال فى القاموس الزوج البعل والزوجة (يسألون) من ازواجه صلى الله عليه وسلم (عن) كيفية (عبادة النبى صلى الله عليه وسلم) الزائدة على مايعلمونه منه عليه السلام ممايفعله فى بيته ليلا اونهارا اذلايطلع على سر الرجل فى الغالب الازوجته (فلما اخبروا) بالبناء للمفعول اى اخبرتهم زوجاته عليه السلام عماسألوا (كأنهم تقالوها) اى اشبهت حالتهم حالة من رآها قليلة وقللها بعضهم لبعض وكانوا يعهدون انها كثيرة مبالغ فيهـا على حسب ماتدعواليه عقولهم وتستحسنه * نفوسهم من اعتقـاد الكمال فى الاكثار وحسن التشديد على النفوس فى رأيهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتهـا من رسول الله صلى الله عليـه وسلم حيث (قالوا) بان قال بعضهم الى بعض (فاين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى لاتقاس نفوسنا الغير المعصومة على نفسه المعصومة ولانعامل ربنا فى عباداته مع قصورنا مقدار مايعامل هو ربه مع كماله وكيف نفعل ذلك (و) الحال انه (قد غفر) بالبنـاء للمفعول اى غفر الله تعالى عنه

وتجـاوز (له) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ما) اى جميع الذى (تقدم) فى ابتداء عمره صلى الله عليه وسلم (من ذنبه وما) اى الذى (تأخر) منه اى جنس ذنبه الذى صدر منه بالنظر الى رفعة مقامه صلى الله عليه وسلم وانكشـاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم حسنات الابرار سيئـات المقربين والا فالانبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبـل النبوة وبعـدها كما سيـأتى تحقيقه (قال احدهم) اى واحد منهم (اما انا فاصلى) النوافل (الليـل) كله (ابدا) اى مدة عمرى (وقال الآخر) منهم (وانا اصوم) الصوم النفل (الدهر كله) اى مدة عمرى (ولا افطر) ولا يوما (وقال الآخر وانا اعتزل النساء) فلا ابيت معهن واحفظ نفسى من اشتهائهن والميل اليهن (ولا اتزوج) شيئـا منهن حرائر واماء (ابدا) اى مدة عمرى (فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال) لهم معاتبا على ما صدر منهم (انتم الذين قلتم كذا وكذا) كناية عمـا سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال مؤكدا بالقسم (اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم (والله انى لاخشاكم) اى اكثركم خشية (لله تعالى) والخشية تبع للعلم كما قال تعالى *انما يخشى الله من عباده العلماء* يعنى العلماء به والنبى صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بالله فهو اخشاهم له تعـالى (واتقاكم) اى اكثركم تقوى (له) سبحـانه وتعالى يعنى فكيف تقولون مع ذلك بانى اقل اعمالا وادنى طاعات وتعتذرون عن ذلك بان الله تعالى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فلم احتج الى كثرة ذلك وانتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون الى الكثرة (ولكنى) فى مقابلة ما فهمتم من حالى واخطـأتم فيه (اصوم) مرة ما بدا لى ان اصوم من غير تكلف كما كان عليه السلام يدخل عـلى بعض اهله فيقول هل عندكن اليوم غداء فاذا قالوا لا قال انى صائم وامره الله تعالى ان يقول وما انا من المتكلفين (وافطر) ما بدا لى ان افطر ايضا كما ورد عن اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقـال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسـائى وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا يفطر منه شيئا ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال افطر افطر وعن ابن عباس كان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخارى ومسلم والنسائى (واصلى) فى ليلة (وارقد) اى انام عن التهجد فى ليلة اخرى او اصلى بعضا من الليل وارقد البعض الآخر ولا اصلى الليل كله يدل عليه قول عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل فى اول الليل وربما اغتسل فى آخره وربما اوتر فى اول الليـل وربما اوتر فى آخره وربما جهر بالقراءة وربما

خفص وقالت ام سلمة كان يصلي وينام قدر ماصلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي (واتزوج) اى اعقد وربما يراد الوطئ فيشمل الامة (النساء) وهي النسوة بالكسر والضم والنسوان والنسون بكسرهن جموع المرأة من غير لفظها كذا في القاموس وكانت نساؤه صلى الله عليه وسلم اللواتي تزوج بهن احدى عشرة امرأة ستا من قريش خديجة بنت خويلد وعائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية من بني اسرائيل هي صفية بنت حيي من بني النضير ومات عنده اثنتان منهن خديجة وزينب ام المساكين ومات هو صلى الله عليه وسلم عن تسع واما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربعة مارية القبطية وريحانة بنت شمعون واخرى وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اصابها في بعض السبي وتمامه مبسوط في المواهب اللدنية للقسطلاني (فمن رغب) اى اعرض (عن سنتي) يقال رغب عنه اذا اعرض عنه ولم يرده والسنة السيرة والطريقة (فليس) محسوبا (مني) يعني انا بريء منه (وزاد) الراوي لهذا الحديث (في رواية) اخرى عند (النسائي وقال بعضهم) اى بعض الرهط الذين جاؤا الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسئلون عن كيفية عبادته عليه السلام اخذا عن فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا اكل اللحم) اى لحم الحيوانات مطلقا قال المناوي في شرح الجامع الصغير قال الغزالي وينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم * قال اهل التفسير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان ابن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت ابي امية واسمها الحولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يارسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم

على كذا وكذا قالوا بلى يارسول الله وما اردنا الا الخير فقال عليه السلام انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم ثم قال مابال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله عزوجل هذه الآية وعن سعد ابن مسعود ان عثمان بن مظعون اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لنا فى الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء امتى الصيام فقال يارسول الله ائذن لنا فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله قال يارسول الله ائذن لنا فى الترهب فقال ان ترهب امتى الجلوس فى المساجد انتظار الصلاة وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يارسول الله انى اصبت من اللحم فانتشرت فاخذتنى شهوة فحرمت اللحم فانزل الله *ياايها الذين امنوا لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم* يعنى اللذات التى تشتهيها النفوس مما احل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وقال ابو محمد الخازن فاعلم الله عزوجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لاتحرموا لاتعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر امأترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة لامنع منها بل مأمور بها* الحديث الثانى (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها انه) اى الشان (صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا) لعله من المأكل اللذيذة صنع له باذنه اوغير ذلك من انواع المباحات ولم ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه اولقصد التعميم فى كل مباح (فرخص فيه) اى حكم بالرخصة وعدم الحرج على احد بتعاطيه (فتنزه) اى تباعد وامتنع (عنه) فلم يرغب فيه (قوم) من الصحابة رضى الله عنهم ايثارا للزهد فى الدنيا وكفا لانفسهم عن تناول شهواتها مخافة ان تبغى عليهم نفوسهم فى الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم فى المحرمات وعلمهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم محفوظ مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شئ من ذلك فلا تقاس انفسهم على نفسه (فبلغ ذلك) التنزه الذى صدر منهم (النبى صلى الله عليه وسلم) فغضب غضبا شديدا لجمع الصحابة (فخطب)

لهم فى ذلك (فحمد الله تعالى) كما هو عادته صلى الله عليه وسلم فى خطبه (ثم قال بعد ذلك (مابال اقوام) استفهام انكار والبال الحال يعنى اى شئ حال اقوام نكرهم سترا عليهم حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذواتهم والمقصود ذم صفاتهم لاذواتهم (يتنزهون) اى يتباعدون و يمتنعون (عن) معاطاة (الشئ الذى اصنعه) ولايقبلون على سنتى ويرغبون فى اتباعى (فوالله انى لاعلمهم) اى اكثر علما منهم (بالله) سبحانه وتعالى لكماله فى مقام النبوة والرسالة وفقد النبوة منهم اصلا (واشدهم) اى اكثرهم (له) تعالى (خشية) اذا العلم بالله سبب الخشية له فكلما كثر العلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال النووى فى شرح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال مابال اقوام يرغبون عما رخص لى فيه فوالله لانا اعلمهم بالله و اشدهم له خشية فيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والنهى عن التعمق فى العبادة وذم التنزه عن المباح شكا فى اباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وان كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا وفيه حسن المعاشرة بارسال التعزير والانكار فى الجمع ولايعين فاعله فيقال مابال اقوام ونحوه وفيه ان القرب الى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته واما قوله صلى الله عليه وسلم فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية فمعناه انهم يتوهمون ان رغبتهم عما فعلت اقرب لهم عندى وان فعلى خلاف ذلك وليس كما توهموا بل انا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وانما يكون القرب اليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما امر لابخيالات النفوس وتكلف اعمال لم يؤمر بها * الحديث الثالث (خ د) يعنى روى البخارى وابوداود فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى جحيفة انه) اى النبى (صلى الله عليه وسلم آخى) فعل ماض من الاخاء قال فى القاموس ولقد آخوت اخوة وآخيت وتآخيت وآخاه مواخاة واخاء واخاوة ووخاء اتخذه اودعته اخا (بين سلمان) الفارسى (و) بين (ابى الدرداء رضى الله عنهما فزار سلمان ابا الدرداء فرأى) سلمان (ام الدرداء) زوجة ابى الدرداء (متبذلة) اى لابسة الثياب الخلقة قال فى القاموس مبذلة كمكنسة ما لايصان من الثياب كالبذلة بالكسر والثوب الخلق والمبتذل لابسه ومن يعمل عمل نفسه كالمتبذل (فقال لها ماشانك) اى لماذا انت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبسى الثياب الحسنة وتتزينى لابى الدرداء (فقالت) له (اخوك ابو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا) يعنى فلا يرغب فى شئ من الشهوات والزينة الظاهرة (فجاء ابو الدرداء) فوجد اخاه سلمان فى داره (فصنع له طعاما) ليضيفه به وقدمه اليه (فقال) ابو الدرداء (له) اى لسلمان (كل) يعنى من هذا الطعام وحدك (فانى صائم قال) سلمان (ما انا باكل) يعنى وحدى (حتى تأكل) معى (فاكل) ابو الدرداء معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الاكرام (فلما كان الليل)

وقدبات سلمان فى دارابى الدرداء رضى الله عنهما (ذهب ابوالدرداء يقوم) يصلى بالليل متهجدا (فقال)له سلمان (نم فنام) وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة على حقوق الاخوة معه (ثم ذهب) ابوالدرداء (يقوم) من الليل ايضا (فقال) له سلمان (نم فلما كان من آخر الليل) عندثلث الليل الاخير (قال سلمان) لابى الدرداء (قم الآن) للصلاة (فقاما) يعنى سلمان وابا الدرداء رضى الله عنهما (فصليا) ماقدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ولعل اختيارهذا الوقت للقيام لماقال القرطبى فى شرح مسلم الساعة التى فى الليل وهى الساعة التى ينادى فيها المنادى من يسألنى فاعطيه الحديث وهى فى الثلث الاخير من الليل الى ان يطلع الفجر وفيها ينزل ربنا الى السماء الدنيا كذاصحت الرواية هنا وهى ظاهرة فى النزول المعنوى وتمامه هناك يعنى نزول العطف والاحسان والانعام والاكرام (فقال له) اى لابى الدرداء (سلمان ان لربك) الذى خلقك (عليك حقا) لازم الاداء وهوان تعبده لاتشرك به شيئا على حسب ماامرك به وتكف عمانهاك عنه وقدم حق الله للاهتمام به (وان لنفسك) التى قيامك بسببها وهى مطيتك الحاملة لك الى الآخرة (عليك حقا) يلزمك اداؤه اذمن حق الراكب ان يحتفظ على مطيته التى تبلغه امانيه وحوائجه فى الدنيا والآخرة وقدمها على مابعدها لانها اهم منه اذهى الاصل بالنسبة اليه وماقبلها اصلها (وان لاهلك) اى زوجاتك واولادك واقربائك اللواتى حسن معيشتك فى الدنيا بهن وانتظام حالك دائرعليهن وتسهيل سيرك الى آخرتك منوط بهن قال فى القاموس اهل الرجل عشيرته وذووا قربائه وللبيت سكانه وللرجل زوجته كاهلته (عليك حقا) بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالانفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم والشفقة والرأفة (فاعط) وجوبا عليك شرعيا وعرفيا (كل ذى حق) من هذه الثلاثة (حقه) الذى تعين فى ذمتك ولاتظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم القيامة (فاتى) ابوالدرداء (النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك) اى الذى صنع سلمان وقوله الصادرمنه (له) اى للنبى عليه السلام (فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق سلمان) يعنى فى جميع ماصدر منه فى حقك وفى هذا الحديث حث الاخوان فى الدين على نصح بعضهم بعضا ووجوب اطاعة بعضهم بعضا فى الخيروالهدى والانقياد الى الحق حيث كان وان الرجل الكبيراذا عرض عليه كلام من هو دونه وكان حقا فى نفسه يصدقه فيه ويصوبه ولايابى قبوله ممن هودونه وفيه الحث على مواخاة الاخوان الصالحين ومخالطتهم وجواز الدخول الى بيوتهم من غيراذنهم مع المحافظة على حرماتهم واموالهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم اذاحضروا واجتمعوابهم * الحديث الرابع (خ س) يعنى روى البخارى والنسائى فى صحيحيهما باسنادهما (عن انس رضى الله عنه) انه قال (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد) يعنى مسجد المدينة (فاذا حبل ممدود بين الساريتين)

اى الاسطوانتين المعهودتين هنالك فكأنهما معروفتان للمخاطب (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم لمن حضر (ماهذا الحبل قالوا) اى الحاضرون (حبل زينب) بنت جحش زوجة النبي صلى الله عليه وسلم يعني ربطته بين السارتين في المسجد لتستعين به على دفع النعاس عنها (فاذافترت) اى ضعفت عن قيام الليل وتراخت اعضاؤها من هجوم النوم عليها (تعلقت به) ساعة ليذهب عنها النعاس فتنشط للصلاة (فقال) النبي (صلى الله عليه وسلم لا) اى لاتفعل زينب هكذا (حلوه) اى ذلك الحبل بمعنى فكوا ربطه واطرحوه (ليصل احدكم) يعني في الليل (نشاطه) اى مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة بالمشقة في التهجد وغيره (فاذافتر) اى ضعف ووجد من نفسه ضد النشاط من العي والكسل (فليقعد) عن العبادة اى يتركها ومنه ذوالقعدة و بكسر شهر كانوا يقعدون فيه عن الاسفار اى يتركون وفي رياض الصالحين للنووى رحمه الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذانعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذاصلى وهوناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه متفق عليه وعن ابى عبدالله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال كنت اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم قوله قصدا اى بين الطول والقصر اه ويناسب الاول ماقاله فقهاء الحنفية من انه اذاغلب عليه النوم تكره له التراويح كذا في جامع الفتاوى والمجتبى والخانية بل ينصرف حتى يستيقظ لان في الصلاة مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ذكره والدى رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر * الحديث الخامس (د) يعني روى ابوداود باسناده (عن انس) بن مالك (رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتشددوا) اى لاتضيقوا الامر يامعشر المكلفين (على انفسكم) بارتكابكم العبادات المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم الى الملالة والكسل (فيشدد) اى يضيق الامر الذى ارتكبتموه والتزمتموه بشروعكم فيه (الله) تعالى (عليكم) لان الشروع في النوافل ملزم بها وموجب لاتمامها كما قال تعالى ولاتبطلوا اعمالكم والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفي ذلك تشبه بالمنافقين كما قال تعالى فيهم * واذاقاموا الى الصلاة قاموا كسالى (فان قوما) من امة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم (شددوا) اى ضيقوا امر العبادة (على انفسهم) بتكليفها المشقات والمتاعب (فشدد) بالبناء للمفعول اى شدد الله تعالى (عليهم) فالزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه بينهم تهاونا بطاعة الله تعالى وتكاسلا عنها (فتلك) يعني الطائفة الموجودة الآن من النصارى (بقاياهم) اى بقايا الاولين (في الصوامع) جمع صومعة قال في القاموس صومعة كجوهرة بيت للنصارى (والديار) دار وهي المحل يجمع البناء والعرصة كذا في القاموس (رهبانية) وهي المبالغة في العبادة والرياضة

والانقطاع

والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قاله البيضاوى (ابتدعوها) اى اخترعوها قال الخازن والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس بالتقلل من ذلك (ما كتبناها) اى ما فرضناها (عليهم) روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منهما ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازأت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازأة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون وعن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنواسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق احد للدين يدعو اليه فقالوا تعالوا نتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال * واحدثوا الرهبانية فنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين امنوا منهم يعنى من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على القلاع وروى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسهم فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونسرب كما تسرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار

ونجتذب البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الا وله حيم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول تكون فى مكان فلان فيتعبد كما تعبد و يسيح كما ساح فلان و يتحدون كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم كذا نقله ابو محمد الخازن وذكر الواحدى فى تفسير هذه الآية بسنده عن الزهرى عن عروة قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهى باذة الهيئة فسألتها ما شأنك قالت زوجى يقوم الليل و يصوم النهار فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا افمالك فى اسوة فوالله ان اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا* الحديث السادس (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين يسر) ضد العسر وهو السهولة يعنى سهلا لاصعوبة فيه ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابو بكر بن اسحق الكلاباذى فى كتابه بحر الفوائد وشرح الآثار عن ابى التياح قال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا فمعنى يسروا اى اصرفوا بوجوه الناس الى الله عز وجل فى الرغبة اليه وردوهم فى طلب الحوائج الى الله ودلوهم فى جميع احوالهم على الله فان اليسر كله عند الله قال تعالى* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال* ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولا تعسروا اى لا تردوهم الى المخلوقين فى طلب الحوائج منهم وقضائها من عندهم فانهم محتاجون الى مثل ما يحتاج اليهم فيه فكأنهم يتجاذبون شيئا بينهم كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول الى ما تتجاذبونه بينكم وقوله سكنوا تصديق لما قلنا لان السكون هو الطمأنينة وقد قال تعالى* الا بذكر الله تطمئن القلوب* فلا يزال قلب المؤمن فى اضطراب فى نيل ما يرجوه ودرك ما يريده حتى يرده الى الله فهنالك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارا وكذلك قوله ولا تنفروا اى لا تفرقوهم فى دلالتهم على غير الله وردهم الى سواه فتتفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق فى طلب ما يريدونه فالتنافر فرقة والسكون جمع فكان معنى قوله يسروا اى ردوهم الى اليسر ولا تعسروا اى لا تردوهم الى العسر وسكنوا اى اجمعوهم ولا تنفروهم اى لا تفرقوهم قال النبى صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله هذا فيمن اراد الدنيا والآخرة فما ظنك فيمن اراد ربهما يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار الذى هو ايسر ويجوز ان يكون معناه اختار الذى هو لله فانه اذا اختار ما اراد الله فقد اختار اليسر لان الله عز وجل يريد اليسر (قوله ولن يشاد)

من المشادة وهي التشدد اى المغالبة والمخاصمة (الدين) المعهود ذكرا (احد) من الامة (الاغلبه) اى قهره فمن شدد على نفسه فيه ليأخذنه بحظ وافرطال عليه المدى فرجع الى السهولة فغلبه الدين ولم يقدر هوان يغلب الدين اصلا (فسددوا) سدده تسديدا قومه وسد الثلمة اصلحها ووثقها واستد استقام كذا فى القاموس فالمعنى قوموا اموركم واصلحوها ووثقوها (وقاربوا) من قارب الخطو داناه يعنى اجعلوا سيركم فى طريق الله تعالى وسبيل عبادته مقاربة ومداناة فلا تبالغوا فى ذلك ولا تغلوا فيه (وابشروا) يعنى بالقبول من الله تعالى وبالمنازل العالية عنده ولا تظنوا ان ذلك يحصل لكم بالمبالغة والغلو دون التوسط فى الامور (واستعينوا) على اعمال دينكم ودنياكم (بالغدوة) بالضم البكرة او مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداوة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدوا ولا يقال غدايا الامع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر وغاداه باكره كذا فى القاموس (والروحة) من الرواح وهو العشى اومن الزوال الى الليل ورحنا رواحا سرنا فيه او عملنا كذا فى القاموس وفى شرح المناوى على الجامع الصغير الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج اول النهار الى انتصافه والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال الى الغروب (و) استعينوا ايضا (بشئ من الدلجة) بالضم والفتح السير من اول الليل وقد ادلجوا فان ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد كذا فى القاموس والمعنى فى الاستعانة بذلك المبادرة الى الاعمال والمسارعة اليها والمسابقة عليها من غير تأخرعنها فى اعمال النهار ودون ذلك فى اعمال الليل ولهذا قال بشئ من الدلجة ولم يقل بالدلجة (وزاد) الراوى لهذا الحديث (فى رواية) اخرى (والقصد القصد) وهو ضد الافراط كالاقتصاد كما فى القاموس ومعناه التوسط فى الامور بين الافراط والتفريط (تبلغوا) اى تصلوا الى مقصودكم ومقصود الله تعالى منكم من قبوله ورضوانه والحلول فى فراديس جنانه وذكر الكلاباذى فى بحر الفوائد قال حدثنا محمد بن احمد القاضى عن عيسى عن جابر بن عبد الله قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يصلى على صخرة بمكة فاتى ناحية مكة فمكث مليا ثم انصرف فوجد الرجل يصلى على حاله فجمع يديه ثم قال يا ايها الناس عليكم بالقصد ثلاث مرات فان الله لا يمل حتى تملوا الملال تكره يعرض للانسان من عمل يعمله واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصبر عليه ويحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ويرفضه تضجرا منه وسآمة له وهو شئ يعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ورغبته فيه وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغايرة والله جل ومن يجل عن هذه الاوصاف وتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للانسان المطبوع الذى يضعف عن تحمل ما يعرض له ويثقل عليه ويؤده الشئ ويؤذيه فمعنى قول

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لايمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة فى وقت اوعند امر بل هو على النفى عنه والتبرئة له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اى لايمل فتمل ولايمل بل تملون كأنه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذا تكلفتم الاعمال فاكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم مايلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا تعودوا اليها والله تعالى جده لاتصيبه هذه الآفات ولاتعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولايحول بينكم و بينها كراهة لها واستثقالا منه اياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولاتبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لاارضا قطع ولاظهرا ابقى اى المركب المنبت يعنى المنقطع من كثرة العدو عليه لاقطع الارض المقصود قطعها لبعد مسافتها ولاابقى ظهره مستريحا قابلا للسير عليه بعد ذلك وهو مثل مضروب للمبالغ فى العبادة لايصل بكثرة عبادته الى غاية مقصوده ولايقدر ان يدوم على السير كذلك بل مآله ان يعجز ويترك من التعب والملل وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالقصد كره التعمق والغلو فى الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف ومافى طباعهم من الملالة والسآمة خوفا عليهم ان يبغضوا عبادة الله و يستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فامرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر و يكون ذلك ادعى لهم الى حسن الطاعة لله ومحبة الخدمة له والف عبادته كما قال لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد وآتى النساء الا فمن رغب عن سنتى فليس منى الا وكل قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة وقال عليه السلام لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان لله عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولاهلك عليك حقا وكتب سلمان الى ابى الدرداء رضي الله عنهما انى انام واقوم فاحتسب نومتى كما احتسب قومتى فعد واحتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما احتسب قيامه وصلاته لان النوم حق البدن وقد اوجب الله تعالى هذا الحق فايفاؤه اياه طاعة لله ولان فى نومه استجلاب القوة لقومته وتشحيذ الطباع وحثا منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة الله الى نفسه لان الله جل وعز احب من عباده ان يحبوه ويؤثروه و يقبلوا عليه ولذلك كلفهم الاعمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه و يتوجهوا باداءتها اليه فاذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها وفى تركها ترك الاقبال عليه والتوجه اليه جل وعز وهو غنى عن افعال عباده لاتزيده طاعتهم ولاتنقصه معصيتهم وانما اراد منهم اظهار فقرهم اليه ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليغنيهم ويقويهم و يجعلهم ملوكا خالدين واغنياء لايفتقرون واقوياء لايضعفون سبحان اللطيف بعباده الرؤف

بهم و يجوز ان يكون معنى قوله ان الله لا يمل حتى تملوا اى لا يترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين فيها مالم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول الله عزوجل يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته و يقبل يسيرا عما لكم و يثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين ونياتكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها و مقاصدكم منها وانما يترك ثو ابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها *الحديث السابع (زطب حب) يعنى روى البزار و الطبرانى وابن حبان باسنادهم (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى عليه السلام (انه) اى ابن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (يحب ان تؤتى رخصه) جمع رخصة بضمه وبضمتين مارخص الله للعبد فيما يخففه عليه كذا فى القاموس وفى التلويح الرخصة اسم لما بنى على اعذار العباد وهو مايستباح مع قيام المحرم وذكر ابواليسران الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب وفى الميزان ان الرخصة اسم لما يغير عن الامر الاصلى الى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على اصحاب الاعذار وفى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول قال فى الرخصة وهى انواع اربعة نوعان من الحقيقة اى رخصة حقيقة لكن احدهما احق بكونه رخصة من الآخر ونوعان من المجاز اى يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن احدهما اتم فى المجازية من الآخر اى ابعد من حقيقة الرخصة قال فى المنار وشرحه لابن ملك اما احق نوعى الحقيقة فما استبيح مع قيام السبب المحرم و قيام الحرمة والمراد من الاستباحة ان يعامل معاملة المباح فى سقوط المؤاخذة لانه يصير مباحا فلا يلزم من سقوط المؤاخذة ثبوت الاباحة فان الكبيرة اذا عفيت عن مرتكبها لاتصير مباحة مع عدم المؤاخذة عليها وذلك كترخص من اكره بما يخاف على نفسه اوعلى عضو منه على اجراء كلمة الكفر فانه رخص له الاجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالايمان لان حقه فى نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى اما صورة فبتخريب البنية واما معنى فبزهوق الروح والاقدام عليها لايفوت حق الله تعالى معنى لان الركن الاصلى هو التصديق وكذلك اذا اكره الصائم على الافطار يباح له الافطار لانه اذا امتنع وقتل يفوت حقه صورة ومعنى واذا اقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لانه يفوت الى بدل وهو القضاء فكان له رخصة فى الفطر لرجحان حقه وكذلك اذا اكره على اتلاف مال الغير رخص له ذلك لرجحان حق نفسه وحق الغير لا يفوت لانجباره بالضمان وكذلك اذا خاف على نفسه رخص له ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانه لواقدم يفوت حقه صورة ومعنى ولو ترك يفوت حق الله تعالى صورة لامعنى لان اعتقاد

حرمة الترك باق وكذلك جناية المكره المحرم على احرامه وتناول المضطر طعام الغير بان اصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من الرخصة ان الاخذ بالعزيمة اولى لبقاء المحرم والحرمة حتى لو صبر واحتمل ما اكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدا لكونه باذلا نفسه لاقامة حق الله تعالى والنوع الثانى من الرخصة ما استبيح مع قيام السبب المحرم لكن الحكم وهو الحرمة متراخ عنه اى عن السبب الى زمان زوال العذر فمن حيث ان السبب قائم كانت الرخصة حقيقة ومن حيث ان الحكم متراخ غير ثابت فى الحال كان هذا القسم دون الاول وذلك كافطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى *فمن شهد منكم الشهر فليصمه وحكم هذا النوع ان الاخذ بالعزيمة اولى لكمال سببه وهو شهود الشهر حتى كان الصوم فى السفر افضل من الافطار الا ان يضعفه الصوم يعنى اذا اضعفه الصوم كان الفطر اولى ولو صبر حتى مات كان آثما لانه لو بذل نفسه لاقامة الصوم كان قاتلا نفسه من غير تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى واما تام نوعى المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع فى حقنا من الاصر وهو الاعمال الشاقة كقتل النفس فى التوبة وقطع الاعضا الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير مساجدهم وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب احدهم على الباب بالصبح والاغلال وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل كما روى ان بنى اسرائيل كانوا اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى ما حط عنا من الاصر والاغلال التى وجبت على من قبلنا رخصة مجازا لان الاصل وهو العزيمة وهى الاصر والاغلال لم يبق مشروعا اى لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفا بالنظر الى غيرنا والنوع الرابع من انواع الرخص ما سقط عن العباد باخراج سببه من ان يكون موجبا للحكم فى محل الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعا فى بعض الاوقات فمن حيث انه سقط فى محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازا اذ ليس فى مقابلته عزيمة ومن حيث انه بقى السبب والحكم مشروعا فى بعض الاوقات اخذ شبها بالحقيقة ولكن جهة المجاز غالبة لان جهة المجاز بالنظر الى محل الرخصة وشبه الحقيقة بالنظر الى غير محلها فكانت جهة المجاز اقوى قال فى شرح مرقاة الوصول كالخمر والميتة للمضطر والمكره فان حرمة تناولهما ساقطة فى حقهما بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا وتبدلت بالاباحة حتى اذا صبر ومات اثم ان علم بالاباحة فى هذه الحالة لان فى انكشاف الحرمة خفاء فيعذر بالجهل كذا ذكره الامام الاسبيجابى وقال فى التلويح فى اكل الميتة وشرب

الخمر حال الاضطرار فان المختار عند الجمهور انه مباح والحرمة ساقطة لانه حرام رخص فيه بمعنى ترك المؤاخذه ابقاء للمهجة كما في اجراء كلمة الكفر واكل مال الغير على ماذهب اليه البعض اما في اكل الميتة فلان النص المحرم لم يتناولها حالة الاضطرار لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الاصل وبمثل قوله تعالى* خلق لكم ما في الارض جميعا* بل عند القائلين بان الاستثناء من الاثبات نفي يكون النص دالا على عدم حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط الكلام في ذلك وقال في شرح مرقاة الوصول وكقصر المسافر فانه رخصة اسقاط عندنا فاتمام المسافر بنية الظهر لايجوز كاتمام الفجر وبنية الظهر والنفل اساءة وترك القعدة الاولى مفسد وكذلك مسح المتخفف فان غسل الرجل الذى هو عزيمة سقط في مدة المسح رخصة لان استتار القدم بالخف يمنع سراية الحدث الى القدم فثبت ان الغسل ساقط وان المسح شرع لليسر ابتداء لا على معنى ان الواجب من غسل الرجل يتأدى بالمسح اذ لو كان كذلك لما اشترط كون الرجل طاهرة وقت اللبس ولا كون اول الحدث بعد اللبس طاريا على طهارة كاملة كما في المسح على الجبيرة لان المسح يصلح رافعا للحدث السارى الى القدم وان الشرع اخرج السبب الموجب للحدث من ان يكون عاملا في الرجل مادامت مستترة بالخف وجعله مانعا من سراية الحدث الى القدم وحكم هذا القسم من الرخصة ان العزيمة لاتبقى مشروعة فيه مادام متخففا فان رأى المسح ولم يمسح اخذا بالعزيمة يثاب باعتبار النزع والغسل (كما تؤتى عزائمه) جمع عزيمة من عزم على الامر اراد فعله وقطع عليه اوجد فيه وعزمة من عزمات الله حق من حقوقه اى واجب مما اوجبه وعزائم الله فرائضه التى اوجبها كذا في القاموس وفي شرح مرقاة الوصول والعزيمة ماشرع ابتداء غير مبنى على اعذار العباد وهي فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه ومباح وتمامه مفصل في كتب الاصول بما ذكره يطول والحاصل ان الرخص احكام الله تعالى كما ان العزائم احكامه ايضا وهو تعالى يحب طاعته بالعمل باحكامه على كل حال ويلزم من هذا ان يبغض مخالفته سبحانه بالعمل باحكام النفس والهوى والشيطان وليست الرخص من احكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وان كان فيها تسهيل على النفوس وتوسيع عليها فانه تسهيل وتوسيع من قبل الحق تعالى لا هو من قبل النفوس حتى يكون مذموما كما قال تعالى* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لكن نقل الشيخ عبدالرؤف المناوى في شرح الجامع الصغير انه لايجوز تتبع الرخصة بان يأخذ من كل مذهب الاهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه خلافا لابن عبد السلام حيث اطلق جواز تتبعها وقد يحمل كلامه على ما اذا تتبعها على وجه لايصل الى الانحلال المذكور ونقل عن السبكى في المنتقل من مذهب الى آخر ان قصد الرخصة فيما يحتاجه لحاجة لحقته اوضرورة ارهقته يجوز وان قصد مجرد الترخص فيمتنع لانه متبع لهواه لا الدين وان اكثر ذلك وجعل اتباع الرخص ديدنه

يمتنع لماذكر ولزيادة فحشه انتهى ولنا رسالة مستقلة فى مسئلة التقليد سميناها خلاصة التحقيق بينا فيها حكم مذهبنا فى جواز التقليد ومايمتنع منه وليس من الرخص التى يجوز فعلها الحيلة اذا وردت على تحليل حرام او تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة ابن العز الحنفى فى رسالة له صنفها فى بيان الاقتداء بالامام المخالف للمذهب قال فيها ومما يجب الاحتراز منه لقصور الفهم عن الائمة وعدم فهم الادلة الشرعية فيتساهلون فى الحيل فى التحليل وغيره اما القصور فى فهم الادلة فظاهر واما القصور فى الفهم عن الائمة فانهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل فيسترسلون فى الاكثار منها ومجاوزة الحد فيها وقد قال ابو حنيفة رضى الله عنه انه يحجر على المفتى الذى يعلم الناس الحيل لكن قد يشكل على من يسمع هذا عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويقول كيف يقال بالحجر على من يعلم الناس الحيل مع القول بجوازها ولا اشكال بحمد الله وان كان قد وقع فى الحيل كثير ممن ينسب الى ابى حنيفة لظنهم انه يقول بجواز تعاطى اسبابها وليس الامر كذلك فان ابا حنيفة انما يقول لو فعل مثل هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لا انه يقول بجواز فعله ابتداء كما يقول فى البيع الفاسد لو فعل لترتب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل لا انه يقول بجواز الاقدام على البيع الفاسد وكما قالوا فى البيع عند اذان الجمعة انه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ واصل ابى حنيفة فى ذلك معروف وهو انه يفرق بين النهى عن الشئ لمعنى فى عينه والنهى عنه لمعنى فى غيره ومن ذلك العينة وامثالها فان العينة مذمومة قال الشيخ حسام الدين السغناقى فى النهاية شرح الهداية فى كتاب الكفالة وهذا النوع من البيع ذميم اخترعه اكلة الربا وقد ذمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر ذللتم وظهر عليكم عدوكم وقيل اياك والعينة فانها لعينة ومصداق هذا الحديث ما دهانا من البلاء ودهمنا من اللاواء واذا الناس فى زماننا اشتغلوا بالعين فابتلوا بهذا اللعن وبعضهم اقبلوا على الجد على الزراعة فقرعوا بقارعة ذات بأس وفظاعة وعلماؤهم اخذوا فى اقتراب ابواب السلطان فأخذوا بانواع الافتتان * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون * كذا ذكره الامام المرغينانى فى الفوائد خصوصا فى هذا الوقت الذى نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة بالنسبة الى بياعات هذا الزمان فلاجرم ابتلوا ببلايا اشد مما كان البلاء فيمن قبلهم هذه عبارة السغناقى رحمه الله تعالى فالحيلة اذا كانت على تحريم حلال او تحليل حرام او ابطال حق او تحقيق باطل فهى حرام بلا خلاف وانما الخلاف فى الحيلة اذا فعلت مع كونها حراما هل يترتب عليها الحكم ام لا فعند ابى حنيفة والشافعى رضى الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافا لمالك واحمد رضى الله عنهما واما قول من قال من الاصحاب ان الحيلة على اسقاط الزكاة لا تكره لانه امتناع من الوجوب لا اسقاط بعد الوجوب

يعني اذا ملك المال قبل حولان الحول لمن يثق به ثم استرده بعد الحول فالظاهر ان هذا لم يقله ابوحنيفة فان قولهم انه امتناع من الوجوب انما يكون الامتناع من الوجوب اذا ترك الاكتساب اما اذا ملك النصاب ثم ملكه قبل حولان الحول لمن يثق به فقد سعى في اسقاط الوجوب بعد انعقاد سببه فان السبب ملك النصاب النامي ولهذا جاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التي شرعت لاجلها الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على اسقاطها وكذلك المفسدة التي حرم لاجلها الربا لم ترتفع بالحيل على تحصيله وكذلك المصلحة التي شرع لاجلها الاستبراء وهي خوف اختلاط المياه واشتباه الانساب تفوت بالحيلة على اسقاطه وكذا قال ابوحنيفة ان القضاء بشهادة الزور في العقود والفسوخ ينفذ ظاهرا و باطنا حتى لو اقام رجل شاهدي زور انه تزوج امرأة حل له وطؤها مع حرمة تعاطي ذلك السبب الباطل فالاثم في تعاطي السبب الباطل لكن اذا وجد السبب وجد المسبب واما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة المعاملة وان قصد بها المداينة مع علمه بالخلاف فشيء محدث لا اصل له ولا ينبغي ان يرفع الخلاف بل من اراد ابطال تلك المعاملة ابطلها فان قوله وان قصد بها المداينة معناه وان قصد بها الربا ولا اعتبار للالفاظ بل العبرة بالمعاني واي حكم اقبح من الاعانة على فعل المحرم فانه اذا قال حكمت بصحة هذا الفعل ان قصد به تحليل ما حرم الله وتحقيق ما ابطله الله يكون حكمه على خلاف حكم الله في هذه القضية واحل الله البيع وحرم الربا فالحاصل ان الحيلة اذا تضمنت تحليل حرام او تحريم حلال او ابطال حق او تحقيق باطل لا يفتي بها المفتي وان كان يترتب عليها حكمها لو فعلت فانه لا يسوغ له الاعانة على فعل المحرم قال تعالى* وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب* ويحجر على من يفتي بها من المفتين كما قال ابوحنيفة فاذا رفعت اليه قضية وهو لا يعلم انها حيلة على ابطال حق او تحقيق باطل حكم بها لانه معذور حكم بالظاهر والله يتولى السرائر فمن افتى او حكم وهو يعلم بالحال فليعلم انه موقوف بين يدي الله تعالى ومسؤل فليعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا انتهى كلام ابن العز رحمه الله تعالى وهو كلام حسن عند من تأمله بالانصاف موافق للمذهب بل لاصل الدين من غير خلاف فان الحيلة على استباحة المحرم وانتهاك حرمة الله تعالى فيه امر قبيح جدا عند من لم يسكر بحب الدنيا والاكثار من الاموال قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الدين الغزي الدمشقي في كتابه حسن التنبه في التشبه ومن اعمال بني اسرائيل يعني اليهود الحيلة في اكل ما حرم عليهم قال الله تعالى* واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون* روى الحاكم باسناد صحيح عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف قبل ان يذهب بصره

وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك قال فقال هل تعرف ايلة قلت وما ايلة قال قرية بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت زاد في رواية لغير الحاكم وذلك ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه ان اطاعوا لم يؤجروا وان عصوا عذبوا قال الحاكم في روايته فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيض سمان كامثال المخاض فاذا كان في غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها الا في مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض اومن قال ذلك منهم لعلها لو اخذناها يوم السبت واكلناها في غير يوم السبت ففعل ذلك اهل بيت منهم فاخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا ما نرى اصحاب بني فلان بشيء فاخذها آخرون حتى فشى ذلك فيهم وكثر فافترقوا ثلاثا فرقة اكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فقالت الفرقة التي نهت انا نحذركم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اوقذف او ببعض ما عنده من العذاب والله لان يأتيكم في مكان وانتم فيه فخرجوا من السور فغدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فاتوا بسبب فاسندوه الى السور ثم رقى راق منهم الى السور فقال يا عباد الله قردة والله لها اذناب تعاوى ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف القردة انسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فيأتي القرد الى نسيبه وقريبه من الانس فيحك به ويلصق به ويقول الانسان انت فلان فيشير برأسه اى نعم ويبكي وتأتي القردة الى نسيبتها فتقول لها انت فلانة فتشير برأسها اى نعم وتبكي فتقول لهم الانس اما انا حذرناكم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اومسخ او ببعض ما عنده من العذاب قال ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول *فانجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون* فلا ادري ما فعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس وكم قد رأينا من منكر فلم ننه قال عكرمة فقلت ما ترى جعلني الله فداك اذ كرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فاعجبه قولي ذلك وامر لي ببردين غليظين فكسانيهما *الحديث الثامن (حد زطط خز) يعني روى الامام احمد والبزار والطبراني في المعجم الاوسط وابن خزيمة باسنادهم (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك) اى تقدس وتنزه صفة خاصة بالله كذا في القاموس (وتعالى) اى ارتفع عن ادراك العقول (يحب) من احب والمحبة في حق الله تعالى لبعض الاعمال او الاشخاص كناية عن كمال الرضاء بذلك والاقبال عليه (ان تؤتى) بالبناء للمفعول (رخصه) جمع رخصة وتقدم معناها والمراد انه تعالى يرضى من عبده المكلف ان يفعل ما رخصه له من الاحكام الشرعية اى سهله عليه (كما) اى مثل ما (يكره) سبحانه وتعالى اى لا يحب ولا يرضى (ان تؤتى)

اى تفعل يعنى بفعلها عبده المكلف (معصيته) التى نهى عنها نهى تحريم اوكراهة وفيه اشارة الى انه تعالى يحب عبده اذافعل الافعال التى يحبها سبحانه ويكره عبده اذافعل الافعال التى يكرهها سبحانه وانه تعالى يحب مارخص فى فعله كما يحب ماامر بفعله ويكره مانهى عن فعله فاوجب ترك معصيته من الصغائر والكبائر (زاد) الراوى على قوله ان الله يحب ان تؤتى رخصه (فى رواية ابن خزيمة) اى روى ابن خزيمة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما (كما يحب ان تترك) بالبناء للمفعول (معصيته) يدل كما يكره ان تؤتى معصيته والحاصل ان الرخص التى سهل الله تعالى على المكلفين فى فعلها لايجد الحرج فى نفسه بفعلها الا الذى ترك الدين الحق وتبع العقل والهوى قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه ومن اخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف مايحبه الله من العبد ثم اورد نحو ماهنا من الاحاديث ثم قال وروى ابن ابى شيبة عن ابراهيم النخعى قال مسح اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الخفين فمن ترك ذلك رغبة عنه فانما هو من الشيطـان ومن هنا قال العلماء من وجد فى نفسه كراهة الترخص فاخذه بالرخصة افضل من اخذه بالعزيمة ومهما اخذ بالرخصـة فلابد ان لايفضى به الاخذ بهـا الى تتبع الرخص بان يأخذ بالاهون من كل مذهب فان هذا حرام وهو من خطوات الشيطان اه وقدمنا مافيه من الكلام *الحديث التاسع (ط طك) يعنى روى مالك فى الموطأ والطبرانى فى المعجم الكبير باسنادهما (عن ابى الدرداء و) عن (واثلة بن الاسقع و) عن (ابى امامة) الباهلى (و) عن (انس) بن مالك (رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب) اى يرضى كال الرضاء (ان تقبل) بالبناء للمفعول (رخصه) اى يقبلها عبده فيعمل بها ولاينفر منها قلب العبد فيتسـاهل بها ولايعمل الا بمـايشق عليه (كما يحب العبد المذنب (مغفرة ربه) لذنبه حتى لايؤاخذه به يوم القيامة * الحديث العاشر (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهمـا (عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال اخبر) بالبناء للمفعول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اخبره مخبر من الناس (انى اقول والله لاصومن النهار) حسبة لوجه الله تعالى (ولاقومن الليل) كله ابتغاء القرب اليه سبحانه والنجـاة منه فى الآخرة (ما عشت) اى مدة عيشى اى بقائى فى الحياة الدنيا وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهمـا اشهر وكثر رواته فكثر اختلافه حتى ظن من لابصيرة عنده انه مضطرب وليس كذلك فانه اذا تتبع اختلافه وضم بعضه الى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه اذ ليس فيه اختلاف تناقض ولاتهاتر بل يرجع اختلافه الى ان ذكر بعضهم ماسكت عنه غيره وفصل بعض ما اجمله غيره ثم ذكر رواية مسلم الم اخبر انك تصوم ولاتفطر وتصلى ثم قال هذا انما فعله عبدالله رضى الله عنه بعد ان التزمه بقوله لاصومن

النهار ولاقومن الليل ماعشت كما جاء فى الرواية الاخرى فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحكى بعض الرواة الفعل وحكى بعضهم القول (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعبدالله بن عمرو المذكور (انت الذى تقول ذلك) يعنى ماتقدم من قوله لاصومن النهار ولاقومن الليل (فقلت له بابى وامى) اى افديك بهما (قد قلته) اى ذلك الذى اخبرت به (يارسول الله قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فانك لاتستطيع ذلك) اى لاتقدر على فعله لان النفوس تمل بسبب نقصانها خلقة عن كمال الطاعة فلابد من تعهدها بنوع من حظوظها لتستروح اليه ثم ترجع الى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت صلاة التراويح وسميت بذلك للاستراحة فيها بين كل اربع واربع بقدرها حتى انه يكره ان لم يفعل ذلك لعدم القيام فى ذلك بالنشاط غالبا وفى رواية مسلم لاتفعل قال القرطبى نهى عن الاستمرار فى فعل ماالتزمه لاجل مايؤدى اليه من المفسدة التى نبه عليها بقوله فانك اذا فعلت ذلك هجمت عينك قال المفسرون اى غارتا وتحقيقه هجمت على الضرر دفعة واحدة فان الهجم هو اخذ الشئ بسرعة بغتة ويحتمل ان يكون معناه هجمت العين عليه بغلبة النوم لكثرة السهر السابق فينقطع عماالتزمه فيدخل فى ذم من ابتدع رهبانية ولم يدمها وكما قال له ياعبدالله لاتكن مثل فلان يقوم الليل فترك قيام الليل وفى رواية ونفهت نفسك اى اعيت وضعفت عن القيام بذلك كما قال فى لفظ آخر نهكت نفسك (فصم) اى ماعسى ان تصوم من غير تقدير عدد فى نفسك عند شروعك فى الصوم حتى لاتكون داخلا تحت طاعة نفسك بل صم على حسب مايقدره الله تعالى لك لتكون داخلا فى طاعة ربك على كل حال (وافطر) كذلك على حسب مايتيسر لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لانفسانيا وليسهل عليك امر الطاعة لربك فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبى فى شرح مسلم قال فى سؤال شقيق لعائشة رضى الله عنها عن زمن صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مقداره فاجابت بهما فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام قد صام ويفطر حتى نقول قد افطر قد افطر ومعنى هذا انه كان يصوم متطوعا فيكثر ويوالى حتى يتحدث نساؤه وخاصته بصومه ويفطر كذلك ومثل هذا حديث ابن عباس رضى الله عنهما كان يصوم حتى يقول القائل لايفطر ويفطر حتى يقول القائل لايصوم ومثل هذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به عن نفسه فقال بل اصوم وافطر واقوم وانام فمن رغب عن سنتى فليس منى (وقم) ماعسى ان تنام ولو فى الليل كله (ونم) كذلك ماعسى ان تقوم ولو فى الليل كله ولاتواظب على كثرة النوم فى جميع الليالى ولا كثرة القيام فى جميع الليالى بل كن مع تيسير ربك لك مايريد ولاتدخل تحت اختيار نفسك لك ماتريد ولاتثقل على نفسك بالكلية ولاتخفف عنها بالكلية واسلك الحالة الوسطى يستقيم امرك وتدوم لك الطاعة وقال النووى

فى شرح مسلم قال اصحابنا يعنى الشافعية تكره صلاة الليل كله دائما لكل احد وفرقوا بينه و بين صوم الدهر فى حق من لايتضرر به ولا يفوت حقا بان صلاة الليل كله الضرر فيها متعين اه وذلك لان هذا الدين يسر لاعسر فيه كما قال الكرمانى فى شرح البخارى عند ذكر الحديث السابق لن يشاد الدين احد الاغلبه معناه لايتعمق احد فى الدين و يترك الرفق الاغلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله او بعضه ومعنى هذا الحديث ان الدين اسم يقع على الاعمال افالتى توصف باليسر والعسر هى العمل والدين والايمان والاسلام بمعنى واحد المراد منه التحضيض على ملازمة الرفق والاقتصاد على مايطيقه العامل ويمكنه الدوام عليه وان من شاد الدين وتعمق انقطع .وغلبه الدين وقهره و يصير الدين غالبا وهو مغلوب (وصم من الشهر) اى من كل شهر اردت ان تصوم فيه (ثلاثة ايام) وفى رواية المسلم من سرة الشهر قال النووى فى شرحه سرة الشئ وسطه واستحبوا ان تكون الايام الثلاثة هى ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل ابتداؤها الثانى عشر ولعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها ونبه بسرة الشهر و بحديث الترمذى فى ايام البيض على فضيلتها وقال القرطبى لم يكن صلى الله عليه وسلم يعين لصوم الثلاثة زمانا مخصوصا من الشهر يدوم عليه وانما كان يصومها مرة فى اوله ومرة فى آخره ومرة فى وسطه ثم بسط الكلام فى ذلك (فان الحسنة بعشر امثالها) يعنى كل يوم صمته من الايام الثلاثة بعشرة ايام فهذه تمام الشهر (وذلك) اى صوم ثلاثة ايام من كل شهر (مثل صيام الدهر) حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور وفى رواية لمسلم صم من كل عشرة ايام يوما قال القرطبى وهذا موافق للرواية التى قال فيها صم من كل شهر ثلاثة ايام وكذلك قوله فى الرواية الاخرى صم يوما ولك اجر مابقى وهذا الاختلاف وشبهه من باب النقل بالمعنى وقال بعضهم اجر مابقى من العشر وهو نسخة وكذلك قال فى قوله صم يومين ولك اجر مابقى من العشرين وكذلك صم ثلاثة ايام ولك اجر مابقى اى من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف الحسنة بعشر امثالها (قلت) يعنى قال عبدالله بن عمرو المذكور (انى اطيق) من الاطاقة وهى القدرة على الشئ (افضل) اى اكثر (من ذلك) الذى ذكره له النبى صلى الله عليه وسلم (قال) له النبى صلى الله عليه وسلم (فصم يوما) واحدا (وافطر) بعده (يومين) وفى رواية لمسلم صم يومين وافطر يومين قال القرطبى انه نقله من صيام ثلاثة ايام فى الشهر الى اربعة فيه ومنها الى صوم يومين وافطار يومين ثم منها الى صوم يوم وافطار يوم وهذا محمول على ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم درجه فى هذه المراتب هكذا لكن بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب اما نسيانا

اواقتصارا على قدر مايحتاج اليه فى ذلك الوقت ثم فى وقت آخر ذكر الحديث بكماله (قلت) اى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على صوم اكثر من هذا (قال) صلى الله عليه وسلم (فصم يوما وافطر يوما) وذلك لتأخذ قوتك الفائتة منك بيوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم (فذلك) اى صوم يوم وافطار يوم (صيام داود) النبى (عليه الصلاة والسلام) وفى رواية لمسلم فانه كان اعبد الناس قال القرطبى انما احاله على صوم داود ووصفه بانه كان اعبد الناس لقوله تعالى فيه* واذكر عبدنا داود ذاالايدانه اواب* قال ابن عباس الايد هنا القوة على العبادة والاواب الرجاع الى الله تعالى والى عبادته وتسبيحه وفى الشرعة وشرحها والمتطوع فى الصوم يختارا فضل الصيام وهو صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما و يفطر يوما وانما كان ذلك افضل لكونه ابلغ فى تاثير النفس لعدم الاعتيادلان الاعتياد على الدواء يبطل اثره فاذا امرض لم ينتفع به ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقدقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوماواشبع يوما احمدك اذاشبعت وانضرع اليك اذاجعت وفى الاحياء ومن لايقدر على صوم نصف الدهر فلابأس بثلثه وذلك بان يصوم يوما و يفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الاوسط وثلاثة من الاخير فهوثلث و واقع فى الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث (وهو) اى صوم يوم و افطار يوم الذى هوصوم داود عليه السلام (اعدل الصيام) من العدل خلاف الجور اى اكثرعدلا فى معاملة النفوس من غيره لعدم الجور عليها فيه و قال القرطبى هواعدل الصيام من حيث حفظ القوة وو جد انمشقة العبادة واذاكان اعدل فى نفسه فعندالله افضل واحب ولاصوم فوقه فى الفضل كما جاءت هذه الالفاظ وهى كلها متقاربة فى مدلولها وهو بلاشك نقل بالمعنى ومضمون هذه الالفاظ ان هذا الصوم اعدل فى نفسه واكثر فى ثوابه (وفى رواية) اخرى (افضل الصيام) يعنى اكثرفضيلة من المراتب المتقدمة (قلت) اى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) لثقته بنفسه فى الرغبة فى الطاعات والاكثار منها (فقال) له (رسول الله صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك) قال النووى فى شرح مسلم اختلف العلماء فيه فقال المتولى من اصحابنا يعنى الشافعية وغيره هوافضل من السرد لظاهر الحديث وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث على ان ذلك فى حق عبدالله بن عمرو ومن فى معناه قالوا لم ينهه عن السرد ولا ارشده الى يوم و يوم ولوكان افضل فى حق الكافة لارشده اليه فان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز (وزاد فى رواية) اخرى من روايات هذا الحديث (فان لجسدك عليك حقا) يعنى فى تقويته وتنميته لتقوم به فى اعمال الدنيا والآخرة فانه

يضعف من كثرة الصوم (وان لزوجك) اى امرأتك قال فى الصحاح زوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة (عليك حقا) فى جماعك لها اعفافا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها فى المهمات (وان لزورك) اى زائرك وهو الضيف الذى يزورك (عليك حقا) وذلك بخدمته واكرامه وتأنيسه وفى رواية لمسلم فان لعينك عليك حقا ولنفسك عليك حقا وفى رواية حظا قال القرطبي اى من الرفق بهما ومراعات حقهما وقد سمى فى الرواية الاخرى الحظ حقا اذهو بمعناه وزاد فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا وفى لفظ آخر ولاهلك مكان ولزوجك اما حق الزوجة فهو فى الوطئ وذلك انه اذا سرد الصوم ووالى القيام بالليل منعها بذلك حقها منه واما حق الزور وهو الزائر والضيف فهو القيام باكرامه وخدمته وتأنيسه بالاكل معه واما الاهل فيعنى بهذا الاولاد والقرابة وحقهم هو فى الرفق بهم والانفاق عليهم ومواكلتهم وتانيسهم وملازمة ما التزم من سرد الصوم وقيام الليل يؤدى الى امتناع تلك الحقوق كلها ويفيد ان الحقوق اذا تعارضت قدم الاولى (وفى) رواية (اخرى) قال له النبى صلى الله عليه وسلم (الم اخبر) بالبناء للمفعول اى يخبرنى مخبر (انك تصوم الدهر) يعنى كله فلا تفطر الايام الكراهة والمعنى انك عازم على ذلك من قوله فى الرواية السابقة والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت (وتقرأ القرآن) يعنى كله فى (كل ليلة) من جميع الليالى بان تختمه فى الصلاة وغيرها (فقلت) اى قال عبدالله (بلى يا نبى الله) والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله (وانى لم ارد) اى اقصد (بذلك) المذكور من صيام الدهر وقراءة القرآن كل ليلة (الاخيرا) وهو التقرب الى الله تعالى ورجاء الثواب فى الآخرة لا لرياء ولا السمعة ولا الاعجاب وحب المحمدة (وفيها) اى فى هذه الرواية (قال) له صلى الله عليه وسلم (واقرأ القرآن) من اوله الى آخره (فى كل شهر) مرة وقال فى شرح الشرعة وفى القنية فيه اقوال والاحسن الختم فى كل شهر مرة وفى زين العرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن عمرو بن العاص اقرأ القرآن فى كل شهر اه ولعل هذا وجه ما فى القنية وهو المذكور هنا (قال) يعنى عبدالله (قلت يا نبى الله انا اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على اكثر من ذلك فضيلة (قال) صلى الله عليه وسلم له (فاقرأه) اى القرآن كله (فى سبع) اى سبع ليال والمراد ايام مع لياليهن قال القرطبي قوله اقرأ القرآن فى كل شهر ثم قال بعد ذلك فاقرأه فى كل عشرين ثم قال اقرأه فى كل سبع هكذا فى اكثر روايات مسلم ووقع فى كتاب ابن ابى جعفر وابن عيسى زيادة قال فاقرأه فى عشر وبعد ذلك قال له اقرأه فى سبع ومقصود هذه الرواية بيان تجزية القرآن على ليالى الشهر بالنسبة الى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقرأه فى كل شهر لا اقل من ذلك والمثقل لا يزيد على سبع كما قدمناه عنه (لا تزد على ذلك) اى على السبع

قال القرطبي ذهب الى منع الزيادة على سبع كثير من العلماء واختار بعضهم قراءته في ثمان وكان بعضهم يختم في خمس وآخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكان من لم يمنع الزيادة على السبع حمل قوله لا تزد على انه من باب الرفق وخوف الانقطاع فان امن ذلك جاز بناء على ان ما كثر من العبادة والخير فهو احب الى الله تعالى والاولى ترك الزيادة اخذا بظاهر المنع واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عنه انه ختم القرآن كله في ليلة ولا في اقل من السبع وهو اعلم بالمصالح والاجر فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطي على القليل ما لا يعطي على الكثير لاسيما وقد ثبتت مصلحة القلة والمداومة وآفة الكثرة والانقطاع وقال الاسيوطي في الاتقان وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فاكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات اربعا في الليل واربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة اربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة وقد روت عائشة ذلك واخرج ابن ابي داود عن مسلم ابن مخراق قال قلت لعائشة ان رجالا يقرأ احدهم القرآن في ليلة مرتين او ثلاثا فقالت قرأ ولم يقرأ كنت اقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار الا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف الا دعا واستعاذ ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن وكره جماعات الختم في اقل من ذلك لما روى ابو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابن ابي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال لا تقرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابو عبيد عن معاذ بن جبل انه كان يكره ان يقرأ القرآن في اقل من ثلاث ويليه من ختم في اربع ثم في خمس ثم في ست ثم سبع وهذا اوسط الامور واحسنها وهو فعل الاكثرين من الصحابة وغيرهم اخرج ابو عبيد وغيره من طريق واسع ابن حبان عن قيس ابن ابي صعصعة وليس له غيره انه قال يارسول الله في كم اقرأ القرآن قال في خمس عشرة قلت اني اجدني اقوى من ذلك قال اقرأه في جمعة ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين واخرج ابن ابي داود عن مكحول قال كان اقوياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في اكثر من ذلك وقال ابو الليث في البستان ينبغي للقاري ان يختم في السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد ادى حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وقال غيره يكره تأخير ختمه اكثر من اربعين يوما بلا عذر نص عليه احمد لان عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم يختم القرآن قال في اربعين يوما رواه ابو داود وقال النووي في الاذكار المختار ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص

فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم مايقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم وفصل الحكومات اوغير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه اخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وان لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل والهذرمة به في القراءة وقال في شرح الشرعة وفي قاضيخان قالوا ينبغي لحامل القرآن ان يختم القرآن في كل اربعين يوما مرة واما سبب الاستحباب في خصوصية الاربعين فقد قيل لان فيه من خاصية الاستكمال ما ليس في غيره من الاعداد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن الله تعالى خمرت طينة آدم اربعين صباحا وقال عليه السلام ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الحديث وقال تعالى * وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة * وقال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولما كان القرآن منبع جميع الحكم ينبغي للقارئ ان يخلص في كل اربعين بترتيل بعض منه في كل يوم من تلك الاربعين لينبع من ينابيع الحكمة الى قلبه والى لسانه واما الاحسنية في كل شهر فلسهولة القراءة وحساب كل يوم بجزء كل شهر بختم فعلى هذا لا يستحب الختم في اقل من شهر وان جاز وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختم القرآن في كل عام مرة وختم في العام الذي قبض فيه مرتين وعن المرغيناني من ختم القرآن في السنة مرة لا يكون هاجرا فالختم سنة مؤكدة فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين في السنة مع كمال رسوخه في القرآن وكمال تدبره لا ينافي استحباب الاكثر لغيره على ان قوله عليه السلام تعاهدوا القرآن وقوله استذكروا القرآن وغيرهما يدل على استحباب التكثير (قال) يعني عبدالله بن عمرو بن العاص (فشددت) اي ضيقت على نفسي في كثرة الاعمال (فشدد) بالبناء للمفعول اي شدد الله تعالى (علي) بخلقه تعالى الضعف والعجز لي عن دوام ما قصدت من تلك الاعمال الكثيرة وفي رواية لان اكون قبلت الثلاثة الايام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من اهلي ومالي (و) قد كان (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم انك لا تدري لعله يطول بك عمرك) يعني فتعجز عن القيام بهذه الاعمال الكثيرة فربما نقص رجاؤك لنقصان عملك فينقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لديه اوتصير الاعمال الكثيرة لسهولتها عندك عادة فلا تثاب عليها ثواب الطاعات لالفتك لها وقلة حضورك فيها (قال) يعني عبدالله (فصرت) اي وصلت (الى) الحال (الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم) بان طال به عمره (فلما كبرت) يقال كبر كفرح طعن في السن وكبر ككرم نقيض صغر كذا في القاموس (وددت) اي احببت (اني كنت قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم) التي رخص لي في ابتداء عمري لاعتادها عليها فلا يتغير علي حالي في انتهاء

العمر قال القرطبي وهذا يدل من عبدالله رضي الله عنه على انه كان قد التزم الافضل مما نقله اليه النبي صلى الله عليه وسلم والا كنز اما بحكم التزامه الاول اذ قال لاصومن الدهر ولاقومن الليل ماعشت واما بحكم انه هو الحال الذى فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فكره ان ينقص ان من عمل فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فلم ير ان يرجع عنه وان كان قد ضعف عنه (وزاد فى رواية لاصام) اى لايسمى صائما من جهة انه لاثواب له لفعله المنهى عنه اودعاء بعدم تيسير الصوم (من صام الابد) اى طول عمره ولم يفطر اصلا اوسوى يوم العيدين وايام التشريق وفى المرأة سوى ايام حيضها ونفاسها (ثلاثا) اى ثلاث مرات لينا كدحكم النهى عند المخاطب ويتبين على اتم الوجوه وقال القرطبي فى حديث صوم الابد وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن صيام الابد فقال لاصام ولاافطر يحتمل ان يكون دعاء عليه لانه اخبرعنه ويحتمل ان يكون خبرا عن انه لم يأت بشئ ووجه ذلك ان من سرد الصوم صارله عادة ولم يجدله مشقة فيعود النهار فى حقه كالليل فى حق غيره فكأنه ماصام اذلم يجد مايجده الصائم ولاافطر لصورة الصوم وتكون لا بمعنى ما كما قال الله تعالى *فلاصدق ولاصلى* وحمل كثيرمن العلماء هذا على ما اذا صام الا المحرمة فاما لوافطرها فكرهه قوم واجازه آخرون وقال ابو الطاهر بن بشير هو مستحب وهذا ابعدها وقال النووى فى شرح مسلم فى احاديث النهى عن صوم الدهر وقد اختلف العلماء فيه فذهب الظاهرية الى منع صيامه وذهب الجمهور الى جوازه اذا لم يصم الايام المنهى عنها وهى العيدان وايام التشريق وذهب الشافعي واصحابه ان صومه اذا افطر ايام النهى مستحب اذا لم يلحقه ضرر ولايفوت حقا فان وجدا فكروه واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو فى الصحيحين انه قال يارسول الله انى اسرد الصوم فاصوم فى السفر فقال ان شئت فصم ولوكان مكروها لم يقره لاسيما فى السفر وكان عمر يسرد الصوم وكذلك ابوطلحة وعائشة وخلائق من المسلمين واجابوا عن حديث لاصام من صام الابد باجوبة منها انه محمول على حقيقته بان يصوم معه العيد والتشريق وبه اجابت عائشة رضي الله عنها ومنها انه فى حق من تضرر به اوفوت حقا ومنها انه لم يجد مشقة فهو خبر لادعاء وفى شرح الشرعة ولايصوم احد الدهر كله فانه مكروه لماروى ان عمر الفاروق رضي الله عنه قال يارسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال لاصام ولاافطر يعني كأنه لم يصم لانه لم يكن باذن الشارع فلايثاب ولم يفطر ايضا وهو ظاهر واما من يفطر الايام المنهية فلابأس عليه لان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصومه ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال ويكره صوم الدهر لانه يضعفه او يصير طبعاله ومبنى العبادة على مخالفة العادة كذا فى فتح القدير (وزاد فى رواية له اخرى (وكان) يعنى عبدالله بن عمرو بن العاص

رضى الله عنه (يقرأ عـلى بعض اهله) اى زوجتـه (السبع من القرآن) وهو جزء من سبعة اجزاء منه (بالنهار) يكرره عليها ليحفظه (والذى يقرأه) عليها من السبع المذكور (يعرضه) اى يأتى به (من الليل) يعـنى فى صلاة الليل (ليكون) ذلك الذى يقرأه على اهله بالنهار (اخف عليه بالليل) فى الصلاة فتسهل قرآءته ولا يثقل عليه شئ من ذلك وفى رياض الصـالحين للنووى وفى رواية قال يعـنى عبدالله المذكور انكحنى ابى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته اى امرأة ولده فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ آتينـاه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال القنى به فلقيته بعد فقال كيف تصوم قلت كل يوم قال وكيف تختم قلت كل ليلة وذكر نحو ما سبق وكان يقرأ على بعض اهله السبع الذى يقرأه يعرضه من النهـار ليكون اخف عليه بالليـل (واذا اراد) يعنى عبدالله المذكور (ان يتقوى) لضعفه بكثرة الصيـام والقيام (افطر اياما) تزيد عـلى يومين (واحصى) اى ضبط مقدار ما افطر من الايام (وصام مثلهن) فى باقى ما يصوم حتى لا يكون افطر فيما مضى له من الايام شيئا لصيامه بدل ذلك فتكون ايام صيامه القضاء مشغولة بصيام عما مضى وان لم يكن له فيهـا صوم حاضر (كراهة) اى انمـا كان يفعل ذلك لانه كره (ان يترك شيئا) من العبـادة التى (فارق عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى عهد نفسه تفعله ولا تفتر عنه فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان يقوى عليه (وفى) رواية (اخرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) لعبدالله المذكور (ان احب الصيام) يعنى الى الله تعالى على ارادة كثرة الثواب منه تعـالى عليه ورفع درجة من يأتى به لديه (صيـام داود عليه السلام) وهو صوم يوم وفطر يوم كما قدمناه (واحب الصلاة) الى الله تعالى ايضا (صلاة داود عليه السلام) وذلك ان داود عليه السلام (كان ينـام نصف الليل) الاول اوالثانى (ويقوم ثلثه) من بعد النصف الاول اوقبله (وينـام سدسه) بقية النصف الآخر من آخر الليل اومن اوله فيكون جملة نومه الثلثين من الليل وقيـامه الثلث ويحتمل تقديم القيـام اوتأخيره اوتارة وتارة (وكان يصوم يوما ويفطر يوما) وهو بيـان لصيام داود عليه السـلام المذكور فى هذه الرواية ويضـارع حديث عبدالله هذا المذكور هنا مانقله الامام النووى فى رياض الصـالحين قال وعن ابى ربعى حنظلة بن الربيع الاسيدى الكاتب احد كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقينى ابو بكر رضى الله عنه فقـال كيف انت ياحنظلة قلت نافق حنظلة قال سبحـان الله ماتقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنـا من عند رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم عافسنـا الازواج والاولاد والضيعات نسينـا كثيرا قال ابو بكر رضى الله

عنه فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات رواه مسلم واما (اقوال الفقهاء) جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد فى الفروع العملية * والمراد فقهاء الحنفية فيما يشيرون اليه من الاقتصاد فى العمل فهو كثير (قال فى) كتاب (الاختيار) شرح المختار (لاتجوز الرياضة) اى تعليم النفس مكارم الاخلاق (بتقليل الاكل والشرب (حتى) يصل الى حالة (يضعف) معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة (عن اداء الفرائض) بحيث لايقدر ان يؤديها على تمام السهولة وربما لايقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها وتسبيحاتها لفساد خياله وفى بعض الكتب ولاتجوز الرياضة بتقليل الاكل حتى يضعف عن اداء العبادة وهى اعم من الفرائض فتشمل النوافل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لمعاذ بن جبل رضى الله عنه) يامعاذ ان نفسك (التى انت) قائم بسببها فى الحياة الدنيا وهى التى تعبر عنها بقولك انا وهى المكلفة المخاطبة بالامر والنهى الحالة فى الجسد حلول ماء الورد فى الورد وبالموت تفارق الجسد فتشرق عليه وعلى اجزائه اذا تفرقت كاشراق الشمس على الارض وهى فى عالمها فى نعيم اوعذاب اليم (مطيتك) والمطية الدابة تمطو فى سيرها اى تسرع وانما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها وبقاء وجوده فى الدنيا مادام جسده محمولا بها وكونها مطيته مع انه ليس غيرها باعتبار انقسامها الى عالم ومعلوم فهى من حيث هى معلومة مطية لها من حيث هى عالمة (فارفق بها) اى تعاهدها بما يحفظ عليها بقاءها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة (وليس من الرفق) بها (ان تجيعها وتذيبها) حتى تضعف بقلة الامداد فانها مخلوقة على تركيب يقتضى المادة الطبيعية وماهى ملك يقتات بالغذاء المعنوى من التسبيح والخشوع والحضور غاية الامر انك لاتكثر عليها المادة الطبيعية حتى ترجع بهيمة وتوسط فى رعايتها لانك محتاج اليها مدة بقائك فى عالم التكليف وقد اوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى * ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة * وقال تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * الآية ومتى تركت رعايتها وحفظها ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولايمكنك العبادة الابها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم فى حديث سلمان رضى الله عنه وان لنفسك عليك حقا (ولان ترك العبادة) المفروضة والواجبة (لايجوز)

مع القدرة عليها (فكذا) لا يجوز فعل (ما يفضي) بالفاء اى يوصل (اليه) اى الى ترك العبادة من عدم مراعاة الحقوق النفسانية قال فى الشرعة وشرحها فرض الاكل من اعظم الفرائض لانه قوام الخير كله لان تحصيل الخير انما يكون بسلامة البدن وذلك لا يتيسر الا بالاكل وعلم الاكل والشرب مقدم على علم العبادة لان العبادة بهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة فى امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيه على ان قيام العبادة بهما بحسب جرى عادة الله تعالى لا لانها تمتنع بدونهما عقلا وعدم تقديم فصل الاكل والشرب على فصول العبادة مع تقدم علمهما عليها لما انها مقصودة بالذات وهما من الوسائط وحكى ان رجلا قال لابن سيرين علمنى العبادة وآدابها قال كيف تأكل الطعام قال آكل حتى اشبع قال لا تأكل اكل البهائم بعد اذهب فتعلم الاكل والشرب اولا ثم تعلم العبادة وآدابها كذا فى الخالصة وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر معزيا الى الاختيار قال بعد ذكر نحو ما تقدم فاما تجويع النفس على وجه لا يفضى الى العجز عن اداء العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الاول فانه اهلاك للنفس وكذا الشاب الذى يخاف الشبق لا بأس بان يمتنع عن الاكل ليكثر شهوته على وجه لا يعجز عن اداء العبادات على ما قال صلى الله عليه وسلم فانه له وجاء (وقال فيه ايضا) اى فى الاختيار شرح المختار (الكسب) اى تحصيل امور المعيشة على الوجه المشروع (انواع) اربعة الاول (فرض) بحيث يثاب على فعله بالنية الصالحة ويعاقب على تركه متى امكنه وتركه (وهو الكسب) اى التحصيل (بقدر الكفاية) اى مقدار ما يكفيه ويسد حاجته (لنفسه وعياله) كزوجته واولاده وآبائه ومن تجب عليه نفقته من حيث الاكل والشرب والكسوة والسكنى (وقضاء ديونه) فانه فرض عليه لاصحابها اذا كان قادرا على ادائها ومن مجزفات وكان من نيته لو قدر لأداها لا يأثم كما ذكر فى البزازية اوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لا يؤاخذ به يوم القيمة لانه لم يتحقق المطل (ثم قال) يعنى فى الاختيار (فان ترك الاكتساب) مع قدرته عليه (بعد ذلك) اى بعد تحصيل مقدار كفايته منه (وسعه) ذلك اى جازله الترك قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال محمد بن سماعة سمعت محمد بن الحسن يقول طلب الكسب فريضة كما ان طلب العلم فريضة وهذا صحيح لما روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الكسب فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة اى الفريضة بعد الفريضة ولانه لا يتوصل الى اقامة الفرض الا به فكان فرضا لانه لا يمكن من اداء العبادات الا بقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة قال الله تعالى * وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام * وتحصيل القوت بالكسب ولانه

يحتاج فى الطهارة الى آلة الاستقاء والآنية و يحتاج فى الصلاة الى مايستر عورته وكل ذلك انما يحصل بالكسب والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وعجنها وخبزها ونوح كان نجارا وابراهيم كان بزازا وداود كان يصنع الدروع وسليمان يصنع المكاتل من الخوص ونبينا صلى الله عليه وسلم رعى الغنم وكانوا يأكلون من كسبهم وكان الصديق رضى الله بزازا وعمر رضى الله عنه يعمل فى الاديم وعثمان رضى الله عنه كان تاجرا يجلب الطعام فيبيعه وعلى رضى الله عنه كان يكتسب فقد صح انه كان يؤاجر نفسه ولا يلتفت الى جماعة انكروا ذلك وقعدوا فى المساجد اعينهم طامحة وايديهم مادة الى ما فى ايدى الناس يسمون انفسهم المتوكلة ولبسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى * وفى السماء رزقكم وماتوعدون * وهم بمعناه وتأويله جاهلون فان المراد به المطر الذى هو سبب انبات الرزق ولو كان الرزق ينزل من السماء لما امرنا بالاكتساب والسعى فى الاسباب قال تعالى * فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه * وقال تعالى * انفقوا من طيبات ما كسبتم * وفى الحديث ان الله تعالى يقول ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق وقال تعالى * وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * وكان تعالى قادرا ان يرزقها من غير هز منها لكن امرها ليعلم العباد ان لايتركوا الاسباب فان الله تعالى هو الرزاق ونظير هذا خلق الانسان ضعيفا فان الله تعالى قادر على خلقه لامن سبب ولافى سبب كآدم عليه السلام و يخلق من سبب لافى سبب كحواء وقد يخلق فى سبب لامن سبب كعيسى عليه السلام وقد يخلق من سبب فى سبب كسائر بنى آدم فطلب العبد الولد بالنكاح لاينفى كون الله تعالى هو الخالق فكذلك طلبه الرزق باسبابه لاينفى كون الرزاق هو الله تعالى والدلائل على ذلك كثيرة والاحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها وفى هذا بلاغ النفع كذا فى الاختيار ونحوه فى جامع الفتاوى اه قلت وهذا كلام فى غاية الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم بالناس و بمراقبة شهواتهم واما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم لمراقبته فى جميع احوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وانطرحت اسرارهم بين يديه فلم يطلبوا منه نعيما فى الآخرة ولم يخافوا عذابا وانما يرجونه هو و يخافونه لاماسواه فضلا عن الرغبة فى الشهوات العاجلة فليس هذا الكلام فى شأنهم وهم موجودون فى الناس ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة ولايجوز لاحد ان يظن فى احد يراه متوكلا بلااشتغال بكسب فى مسجد أوغيره انه هو بعينه من القسم الذى اراده الفقهاء فى انه آثم تارك لفرض الاكتساب خصوصا اذا كان له عائلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة عن الاكتساب فان مثل هذا يحتمل ان يكون من القسم الثانى الذى ذكرناه شغله الله تعالى به عما سواه وسوء الظن حرام والتجسس

حرام ايضا بل كلام الفقهاء باق على حاله فى حق من كان موصوفا بما ذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا ايضا باق فى حق من كان موصوفا بما ذكرناه فيما يعلمه الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح والنوع الثانى من انواع الاكتساب المباح بلا اثم فيه ولا ثواب عليه وقد اشار اليه بقوله (وقال فيه) اى فى كتاب الاختيار شرح المختار (وان اكتسب ما يدخره) اى يبقيه الى وقت الحاجة اليه من الأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك (لنفسه وعياله) ولو الى سنين مستقبلة (وهو) يومئذ (فى سعة) اى وسعة من العيش (فقد صح) فى الحديث (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادخر قوة عياله سنة) اى حولا فلو كان ذلك مكروها لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير ان من مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال اه ويرد على مذهبه فعله عليه السلام وعن سفيان بن عيينة انه قال ليس شئ فى الحيوان يخبأ قوته الا الانسان والنملة والفارة والعقعق ومن الكسب المباح اكتساب الزيادة على حاجته لاجل التجمل قال فى المبتغى بالغين المعجمة من الكسب ما هو مباح للتجمل والتنعم حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشترى السرارى والغلمان لقوله عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح انتهى ومحل ذلك كله اذا لم يكن للتكبر والتفاخر والتكاثر والا فهو من قسم الحرام والاعمال بالنيات والناس فى ذلك محمولون على المحامل الحسنة ما امكن بلا ظن سوء بهم ولا تجسس عليهم (و) النوع الثالث من الكسب (مستحب) يعنى يثاب بفعله ولا يأثم بتركه (وهو) كسب (الزيادة على ذلك) اى على قدر الكفاية (ليواسى به) اى بالزائد مما اكتسبه يقال واساه عاله مواساة اناله منه وجعله فيه اسوة ولا يكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضلة فليس بمواساة كذا فى القاموس والكفاف ما كف عن الناس واغنى وهو قدر الكفاية والمراد هنا اعلاما يكفى حتى يواسى بالزائد على الادنى (فقيرا) اى محتاجا الى ذلك من ذكر اوانثى اوخنثى قريب منه اوبعيد (او يجازى) على قرابته اى يقابل (به قريبا) من اقاربه الادنى اوالاباعد وهى صلة الرحم فانها تكون بالهدية ونحوها وفى عبارة ملتقى الابحر او يصل به قريبا (فانه) اى كسب الزيادة بقصد ما ذكر (افضل من التخلى) اى التفرغ (لنفل العبادة) من صلاة تطوع اوقراءة قرآن اونحو ذلك مما لم يفترض عليه (لان منفعة النفل) من العبادة (تخصه) فلا يثاب بها غير الفاعل لها (ومنفعة الكسب) على الوجه المذكور عامة (له) اى للكاسب (ولغيره) ولا شك ان النفع المتعدى افضل من القاصر (قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس) بصدقة بمال او بكلمة حق او بمعونة على فعل خير او ترك شر اوتعليم علم نافع او بدعاء واستغفار (انتهى) كلام صاحب الاختيار والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو الجمع للتفاخر والبطر وان كان من حل فقد قال

صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا متفاخرا متكاثرا لقى الله وهو عليه غضبان كذا في الاختيار وسماه في ملتقى الابحر حراما لانه مكره كراهة تحريم والمكروه تحريما يسمى حراما عند محمد وقال في شرح الشرعة ومما يجب ان يعتقد ان الكسب غير مؤثر في الرزق كما ان الشبع لا يحصل بالطعام بل يخلق الله تعالى ورب اكلة لا تشبع الآكل اذا لم يقدر الله تعالى الشبع فيها ويقال الناس في الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولا يعصى الله تعالى لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله تعالى من اجل الكسب ولا يؤدي حقه فهو فاسق ومنهم من يرى الرزق من الله ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدري ايعطيه ام لا فهو منافق شاك ذكره في مشكاة الانوار وتنبيه الغافلين وفي الخلاصة المذهب عند جمهور العلماء والفقهاء ان جميع انواع الكسب في الاباحة على السواء واختلف المشايخ في ان الزراعة افضل او التجارة فقال بعضهم التجارة افضل واكثر مشايخنا على ان الزراعة افضل (وقال في كتاب الفتاوى (التاتارخانية) في فقه الحنفية (يكره) كراهة تحريم اذ هي المحمل عند الاطلاق (ان يجتمع قوم) من الناس (فيعتزلون في موضع) كمسجد ونحوه ويمتنعون عن استعمال (الطيبات) اى الملذوذات في المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب من الخيل ونحوها (يعبدون الله) تعالى بانواع العبادات (فيه) اى في ذلك الموضع (ويفرغون انفسهم لذلك) اى للعبادة فقط ليلا ونهارا دون الاشتغال بشئ من المباحات في بعض الاوقات فيتركون الاكتساب من الحلال والجمعة والجماعات مع اخوانهم المسلمين فان هذا امر منهى عنه كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره (وكسب) المال (الحلال) لينفق منه على نفسه وعياله ويتصدق من فضله (و) كذلك (لزوم) صلاة (الجمعة و) الصلوات الخمس مع (الجماعات) الراتبة في المساجد التى (في الامصار) جمع مصر وهي البلاد (احب) من ترك ذلك (والزم) اى اشد لزوما لافتراضه عليه في الجملة (انتهى) اى فرغ كلام التاتارخانية وفي شرح الشرعة قال عمر الفاروق رضى الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وروى ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد فقال ومن يقوتك قال اخى قال اخوك اعبد منك ذكره في الاحياء (فان قلت) هذا سؤال نشأ من جملة ما تقدم (يعارض ما ذكرت) هنا من الاحاديث ونقلته عن الفقهاء من منعهم من الرياضة وكثرة المجاهدات وترك الاكتساب (ما) اى الذى (نقل) بالبناء للمجهول اى نقله العلماء في كتبهم في هذه الطريقة (عن السلف) الصالحين (من شدة الرياضات) بتقليل الاكل والشرب قال في شرح الشرعة ومن المريدين من رد الرياضة الى طى الايام حتى انتهى بعضهم

الى ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء ايضا وقالوا من طوى اربعين يوما عن الطعام ظهرله قدرة من الملكوت اى كوشف له بعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض من هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه فكلمه بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه معجزة لاتكون الالنبي صادق فقال الصوفى فان طويت اناخمسين يوما تترك ماانت عليه وتدخل فى دين الاسلام قال نعم فقعد لايبرح الاحيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ماكنت اظن احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وذكر القشيرى فى الرسالة ان سهل بن عبدالله كان لايأكل الطعام الا اكلة فى خمسة عشر يوما فاذا دخل رمضان كان لايأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح ودخل ابوتراب النخشبي من بادية البصرة مكة فسأله احمد بن يحيى بن الجلا عن اكله فقال خرجت من البصرة فاكلت بنباح ثم بذات عرق ومن ذات عرق اليكم فقطع البادية باكلتين وكان ابوعثمان المغربى يقول الربانى يأكل مرة فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وذكر النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فيما ورد فى التشبه قال ومن هذا القبيل ماذكره ابو طالب المكى فى القوت وابو حامد الغزالى فى الاحياء عن ابى بكر رضى الله عنه انه كان يطوى ستة ايام وعن عبدالله ابن الزبير انه كان يطوى سبعة ايام وعن الثورى وابن ادهم انهما كانا يطويان ثلاثة ايام وعن محمد بن عمر الغزى وعبدالرحمن بن ابراهيم وحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصى والمستلم بن سعيد وزهير البابى وسليمان الخواص وسهل بن عبدالله وابراهيم بن احمد الخواص ان طيهم وصل الى ثلاثين يوما ومن العجب ما فى هذا الباب ماروى عن سهل بن عبدالله انه اقتات بثلث درهم فى ثلاث سنوات وعن الشيخ محيى الدين بن العربى انه اقتات من اول المحرم الى عيد الفطر بلوزة واحدة رضى الله تعالى عنه (و) من (كثرة المجاهدات) فى منع نفوسهم من الشهوات فى المآكل وغيره قال القشيرى فى رسالته حكى عن ابراهيم بن سنان انه قال مابت تحت سقف ولا فى موضع عليه اغلاق اربعين سنة وكنت اشتهى فى اوقات ان اتناول شبعة عدس فلم يتفق وعن السرى السقطى انه كان يقول ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين اواربعين سنة ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وقيل ان عصام بن يوسف البلخى وجه شيئا الى حاتم الاصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت فى اخذه ذلى وعزه وفى رده عزى وذله فاخترت عزه على عزى وذلى على ذله وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولا قلبك من السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى هاتف

اما تستحيي تركتها من اجله ثم تعود اليها (و) من (الاجتهاد في) انواع (العبادات) كما روى ان اويس القرني رضي الله عنه قال والله لاعبدن الله عبادة الملائكة فكان ليلة يقطعها قائما وليلة يقطعها ساجدا وليلة راكعا وفي ذلك اشارة الى ان اولياء الله تعالى من بني آدم ترتفع هممهم الى التشبه بالملائكة والاقتداء بهم والتساوي معهم في الطاعات كذا ذكره النجم الغزي في كتابه حسن التنبه في التشبه وذكر القشيري انه قيل للجنيد رضي الله عنه ممن استفدت هذا العلم فقال من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واومأ الى درجة في داره ومعلوم ان ذلك كان بكثرة عباداته لله تعالى وقد كان رضي الله عنه يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ونقل عن ابي الحسين النوري رضي الله عنه انه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به في الطريق ويدخل مسجدا يصلي الى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم فكان اهله يتوهمون انه يأكل في السوق واهل السوق يتوهمون انه يأكل في بيته وبقي على هذا في ابتدائه عشرين سنة وقال يوسف بن الحسين اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وكان ابو حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرما في عباء اسافر في كل سنة الف فرسخ تطلع على الشمس وتغرب كلما احللت احرمت وعن ابي علي الثقفي امام الوقت انه كان يقول لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم يأخذ ادبه من استاذ يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات وعن ابي عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ في ابتداء امري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة (كصيام الدهر) اي العمر كله (و) صيام (الوصال) اي المتابعة وايصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما (والقيام) بالصلاة (في كل الليالي) كما نقل عن سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه انه كان يقول حفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي خبز الشعير اثني عشر سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ومكثت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ذكره القشيري في رسالته وذكر ايضا عن ابي يزيد قال كنت اثني عشر سنة حداد نفسي وكنت خمس سنين مرآة قلبي وسنة انظر فيما بينهما فاذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثني عشرة سنة ثم نظرت فاذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لي فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وكان

بعض المشايخ يصلي في مسجد في الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى في الصف الاخير فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت اقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندي اني مخلص فيها لله فداخلني يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس اياي في الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطي طول عمري انما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتي (والاجتناب) اي التباعد (عن) انواع (المشتهيات) اي ما تشتهيه النفوس (و الطيبات) اي اللذ اللذ في المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ما قدمناه عن بعض السادة رضي الله تعالى عنهم (و) كذلك (الختم) للقرآن العظيم من اوله الى آخره (في كل يوم مرة اومرتين) كما قدمناه (بل مرات) كثيرة كما نقل المناوي في شرح الجامع الصغير قال القسطلاني واخبرني شيخ الاسلام البرهان ابن ابي شريف انه كان يقرأ خمسة عشر ختمة في اليوم والليلة وفي الارشاد ان النجم الاصبهاني رأى رجلا من اليمن ختم في شوط اواسبوع وهذا لا يتسهل الا بفيض رباني ومدد رحماني واخبرني بعض الثقات ان شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراوي ختم بين المغرب والعشاء ختمين واخبرنا الشيخ علي المرصفي انه قرأ في ايام سلوكه في يوم وليلة ثلاثمائة الف ختم وستين الف ختم كل درجة الف ختم اه ولا يستبعد هذا على اولياء الله تعالى الذين غلبت روحانياتهم على جسمانياتهم والروح من امر الله وامر الله كلمح بالبصر كما اخبر تعالى وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها على لسان الولي كلمح بالبصر ما هو ببعيد والله على كل شيء قدير (قلنا) يعني في الجواب عن هذا السؤال المذكور من جهة المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة اجوبة (اولا) اي جوابا اولا (لا معارضة بين الوحي) القرآني والنبوي المتقدم بيانه في الآيات والاحاديث المقتضية لطلب الاقتصاد و التوسط من المكلف في الاعمال (وغيره) مما نقل عن السلف الصالحين مما ذكرناه من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات اذ الوحي اقوى من كل وجه ولا مناسبة بين الاقوى والاضعف و بين قول المعصوم وغير المعصوم فلا معارضة اذ المعارضة تقتضي التسوية ولا تسوية بينهما (حتى نحتاج الى الجواب) عن صنيع السلف فان ما ورد عن الشارع لا يعارضه ما ورد عن غير الشارع وانما نحن مكلفون باتباع الشارع فيما ورد عنه لا باتباع غيره (فعليك) يا ايها المكلف اي الزم (الاخذ) اي التمسك (بما ثبت) عندك من الدين المحمدي (بالكتاب والسنة) يعني بالوحي القرآني والنبوي فابحث عن ذلك واحفظه واعمل به على حسب ما كلفك الله تعالى لتخرج بذلك من عهدة الخطاب واترك عنك النظر والتفحص عما ورد عن السلف الماضين من الرياضات والمجاهدات فانهم اعلم منك باعمالهم وانت جاهل بما هم مطلعون عليه من احوالهم فلا تنتقد بما لا تعلم ارجحيته من الاعمال واسكت عن البحث عنه طاويا عنهم بساط المقال كما قال تعالى * تلك امة قد خلت لها ما كسبت

ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون * واحذر من الطعن على احد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الكتاب والسنة فانهم اعلم منك بهما واكثر فهما منك ومن امثالك لمعانيهما لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنوير عقولهم بمعرفة الله تعالى وزيادة الاتباع للسنة والاخلاص واليقين والتوحيد والزهد مالا يخطر لك ولا لامثالك ببال ولله در ابن الوردي حيث قال في وصيته لابنه رحمهما الله تعالى * لا تخض في حق سادات مضوا * انهم ليسوا باهل للزلل * وانما انت يا ايها الفقيه المسكين تعرف حصة من كيفية الاعمال الشرعية استخلصت معرفتها من بين يدى اشغالك بشهوات بطنك وفرجك ليلا ونهارا فانت فرحان بها تظن انك بسببها صرت من العلماء الكبار وساويت المتقدمين اهل العلوم الالهامية الوهبية والاعمال الصالحة المرضية المكتسبة بالارواح الامرية والنفوس الطيبة الزكية والاجسام المتغذية بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام المحمية فاعمل بما ظهر لك ان اردت النصيحة ولا تدخل في اعمال من هو اعلى منك من اولى الهمم الصحيحة ومن ابن للعصفور ان يأكل من مأكل النسور فان حوصلته المعتادة على الحبات الصغار لا تشابه حوصلة النسر التي لا يفيتها غير اللقم الكبار قد علم كل اناس مشربهم بعين عذوبة واجاجا ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (وثانيا) اى جوابا ثانيا (انا نمنع صحة الرواية عنهم) اى عن السلف الماضين فيما ذكر من التشديدات في الرياضات والمجاهدات حيث كانت تخالف عندنا ظواهر الكتاب والسنة على حسب ما تقدم (اذلم يقع عنها) اى عن تلك الامور الواردة عنهم بين العلماء الناقلين لها في كتبهم (بحث وتفتيش بل اكثرها) اى اكثر تلك الامور (خال عن سند) الى من نقلت عنه وان اشتمل بعضها على السند الصحيح (بخلاف الكتاب العزيز) فانه ثابت الآن بالتواتر (والاخبار النبوية) فانه وقع فيها من اهل الحديث البحث والتفتيش الكثير حتى صححوا اسنادهم فيها (فلا مساواة في النقل) بين مالم يبحث عنه بما لم يتصل سندا كثيرا وبين ما بحث عنه حتى اتصل سنده وعدلت رواته (فكيف يتصور التعارض) بين ماهذا شأنه حتى يحتج به احد ويترك الاحتجاج بما هو ظاهر الكتاب والسنة وليس هذان الجوابان باقوى من الثالث لان جميع ما ورد عن السلف الماضين رضى الله عنهم من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لا تخالف شيئا من الدين المحمدى اصلا بل هى واردة فيه ايضا في الكتاب والسنة في حق من يقدر عليها ويتفرغ لها من غير ان تكون واجبة عليه لانها نفل زائد على ما كلف به مثاب عليها كما ورد الاقتصاد والتوسط في الاعمال ايضا في الكتاب والسنة في حق من لا قدرة له ممن يخاف عليه الملل وفي الدين تسهيل وتصعيب قال الله تعالى * واتقوا الله حق تقاته وقال فاتقوا الله ما استطعتم وانزل تعالى في حق وحشى قاتل حمزة قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فلما قرئت على

وحشي قال ان في هذه الآية شروطا واخشى ان لا اني بها ولا اطيق ان اعمل عملا صالحا فهل عندك شيء الين من هذا يا محمد فانزل الله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فقال وحشي وانا لا ادري لعلي ان لا اكون في مشيئته ولو كانت الآية ويغفر مادون ذلك ولم يقل لمن يشاء كان ذلك فهل عندك شيء اوسع من ذلك يا محمد فنزل قوله تعالى * قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * فقال وحشي اما هذه فنعم واسلم رضي الله عنه ولا شك ان الآية الاولى والثانية اصعب من الثالثة لوجود الشروط فيهما دون الثالثة والآيات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام في حق وحشي وغيره من الامة الى يوم القيامة وقال تعالى في آية التيمم * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فصعب سبحانه باشتراط اخذ جزء من الصعيد ووضعه على الوجه واليدين وقال تعالى في آية اخرى * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم * ولم يقل منه فسهل سبحانه حيث لم يشترط اخذ جزء من الصعيد كما قرره الفقهاء في التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من اصول مذهب الحنفية وصنف الشعراوي رحمه الله تعالى كتاب الميزان فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب الاحكام في اختلاف المذاهب وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عرضت عليه بطحاء مكة ذهبا فاباها فشدد على نفسه ولم يأخذ من ذلك ليستعين به في نصرة الحق ودفع شر الكافرين مع انه كان ذلك الفرض في ابتداء الاسلام وقد خطب صلى الله عليه وسلم في يوم عزمه لغزوة تبوك فقال من جهز جيش العسرة اضمن له الجنة حتى جهزه عثمان رضي الله عنه بماله فسهل على نفسه صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا لترتفع بذلك درجة اصحابه وورد عنه صلى الله عليه وسلم صوم الوصال وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على بطنه عليه السلام وورد ايضا انه عليه السلام قام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا كما ورد في صحيح مسلم وشرحه للنووي في باب اكثار الاعمال والاجتهاد في العبادة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية حتى تفطرت رجلاه ومعنى تفطرت تشققت اه وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن ازواجه امهات المؤمنين كما تقدم في الحبل المربوط بين الساريتين وانه لزينب رضي الله عنها اذا فترت من قيام الليل تعلقت به ولو كان ذلك معصية لما فعلته وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحله للشفقة عليها رضي الله عنها لانه كان بالمؤمنين رؤف رحيم ولهذا عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي سبق ذكره لما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة العبادة لم يفهم انقلاب ذلك معصية بل قال لما كبر وددت اني كنت قبلت رخصة النبي

صلى الله عليه وسلم فسمى ماامر به النبي صلى الله عليه وسلم رخصة ومافعله هو عزيمة ولم يسم ماامره به عليه السلام هوالدين فقط ومن تأمل ماسبق من الآيات والاحاديث كلها علم ان ذلك كله رحمة من الله تعالى بالامة ومن النبي صلى الله عليه وسلم وترخيص للمؤمنين لايكون عليهم حرج فى الدين فان قوله تعالى * لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم * اى لاتعتقدوا حرمتها بانكار الرخصة لكم فيها فلولم يحرموها وتركوا تناولهـا زهدا فى الشئ الفانى لامعصية فى فعلهم وكذلك قوله * قل من حرم زينة الله وقوله عليه السلام فى آخر الحديث السـابق فمن رغب عن سنتى فليس منى اى من لم يعتقد جواز مافعلته ورخصت فيه وفعل اشد منه فى مقـابلة قولهم فاين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر يريدون بذلك يبطلون الترخيص الشرعى فقال لهم عليه السلام ماقال وقوله عليه السلام فى الحديث الذى سبق ذكره ان الله يحب ان تؤتى رخصه كماتؤتى عزائمه صريح فيما قلناه فالحاصل ان السلف الماضين رضى الله عنهم اختاروا ان يفعلوا العزائم فى انفسهم لانهم اهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم على فعلها كماكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل احيانا يأمر بالرخص ويعمل هو العزائم لنفسه كما اخبر فى قضيـة صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهـاهم شفقـة عليهم ورحمة بهم ثم قال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكان فى عادة السلف الماضين والعلماء العـاملين رضى الله عنهم انهم يشددون على انفسهم ويسهلون عـلى غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على النـاس وخوفا على انفسهم من التقصير حتى نقـل القشيرى فى رسالته عن رويم بن احمد رضى الله عنه انه كان يقول من حكمة الحكيم ان يوسع على اخوانه فى الاحكام ويضيق على نفسه فيها فان التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر ايضا عن النصراباذى رضى الله عنه انه كان يقول اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات وقد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يتركون من ورعهم سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى باب من الحرام وليس ذلك معصية فى حقهم بل اخذا بالعزيمـة وذكر القشيرى فى باب الورع انه قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وللصالحين رضى الله عنهم فى الورع امور كثيرة سلفا وخلفا لاتكاد تحصى وليس شئ منها معصية وماهى اقتصاد ولاتوسط فى العمل فليس الدين محصورا فى ذلك حتى يكون التعارض بل قال تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات *

﴿ الآية وحكى ﴾

الآية فجعل تعالى الاقتصاد نوعا من الدين واهله بعضا ممن اصطفى سبحانه وكلام فقهاء الحنفية وغيرهم فى كراهة الرياضة بتقليل الاكل فيمن يوصله ذلك الى الهلاك والسلف رضى الله عنهم عالمون بحرمة القاء النفس الى التهلكة وقوتهم الروحانية التي كانوا يخرقون بها العادات تقدر على اكثر من ذلك وكذلك من كان مثلهم والله يخلق مايشاء وايضا مذهب الحنفية لا يقضى على مذاهب السلف وبالله التوفيق (وثالثا) اى جوابا ثالثا (ان المنع) الوارد فى ظواهر الآيات والاحاديث المتقدم ذكرها وفى قول الفقهاء ايضا (عن التشديد فى العبادة) على حسب ماقدمناه (معلل) فى الشرع المحمدى (بعلتين) موجبتين لذلك المنع عند العلماء العلة الاولى علة (لمية) اى نازلة حاصلة للمكلف فيخاف منها على المكلف ان تقتضى منع ماهو مطلوب منه ولوفى حق البعض دون البعض (هى) اى تلك العلة اللمية (الافضاء) بالفاء والضاد المعجمة اى الايصال (الى اهلاك النفس) وقد نهى الله تعالى عنه بقوله * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * وذلك فى حق من لم يحتمل مقاساة تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله كمن عمل بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل الى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة ولا العود الى حالته الاولى لفساد معدته واحتراق امعائه بثوران الحرارة وكثرة الجفاف وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة وهذه تهلكة التي بيده اليها فهي منهى عنها بحكم الآية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لا يوصل المريد الى شئ من هذه المضار لانه عارف بالعلاج الشرعى والطبيعى فهو طبيب الاديان والابدان وهو الوارث المحمدى وليس يخلو عنه زمان من الازمان فاذا سلم المريد نفسه اليه وتأدب معه فى الظاهر والباطن اوقفه على ضرورة نفسه وسلك به فى طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس ظنه وحدسه فلا تفضى به تلك التشديدات حينئذ الى اهلاك النفس لانه لم يدخل فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين حيث سلكوا فيها على ايدى المرشدين ولهذا لم ينقل عن احد منهم التضرر بشئ من ذلك بل انتفعوا بها فى معالم الدين ولم يزل الامر كذلك عند السالكين على ايدى الكاملين ولكن مراد الفقهاء التحذير فى العموم كما هو دأبهم فى جميع القضايا نفعا لكافة المكلفين (او) الافضاء اى الايصال الى (اضاعة) اى تفويت (الحق الواجب) على ذلك العبد (للغير) اى لنفسه فيما يرجع الى بقائها وبقاء حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله واولاده واهله فى القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر فى مصالحهم فاذا كان له من يقوم بمؤنة ذلك اواستغنى عنه لعدم العيال والاهل ساغ له ذلك على يد المرشد الكامل كما ذكرنا والا امتنع فى حقه واثم به (او) الافضاء الى (ترك العبادة) لضعفه عنها وفساد بنيته

التى هو قائم بها فيها ومادى الى ترك الفرض فهو حرام (او) الافضاء الى (ترك مداومتها) اى العبادة لضعفه فى المستقبل وفساد بنيته فيه ان لم يكن فى الحال وهذا كله بعد فى السلوك على يد المرشد الكامل وانما معه السلامة فى البدن والدين ان من الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول اليه وتمييزه من بين امثاله فى الخلقة الآدمية والطبيعية الانسانية (و) العلة الثانية علة (آنية) بالتشديد اى حقيقية محققة منسوبة الى ان المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد (هى) اى تلك العلة الانية (ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل) اى ارسله الله تعالى (رحمة للعالمين) كما قال تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقال تعالى * لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالعالمين الشفقة عليهم والملاطفة بهم والتخفيف فى كل ما امرهم به ونهاهم عنه ولهذا سأل ربه التخفيف عنهم فى ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت الى خمس صلوات وكان يغضب من سؤال الصحابة له عن الاحكام التى لم تشرع مخافة ان ينزل الله تعالى فيها حكما يشق عليهم وكان يقول اتركونى ما تركتكم حتى انزل الله تعالى فى ذلك * يا ايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم * الآية وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة الى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات فى الدين لكمال شفقته على الامة حتى لايكون عليهم حرج فى شئ من ذلك (و) هو (مؤيد) اى مسدد مقوى (من عند الله) تعالى بالعناية والحفظ من التقصير فى الحقوق ومن لحوق الملل والسآمة فى العبادة (فيقوى على ما) اى امر من العبادة والطاعة (لايقوى عليه) اى على ذلك الامر (آحاد الامة) حتى انه صلى الله عليه وسلم فى قضية صوم الوصال بين انه اقوى منهم عليه حين نهاهم عنه فقال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى كما ورد فى الحديث وله خصوصيات افردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية مالاتوجد فى غيره (وانه) عليه السلام (اخشى) اى اكثر خشية من (الناس) كلهم (من الله) تعالى (واتقاهم) اى اكثرهم تقوى لربه (واعلمهم بالله) كما ورد ذلك فى الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقدمر بيانه (فلايتصور) عند المؤمنين به صلى الله عليه وسلم وبانه ناصح الامة (منه) عليه السلام (البخل) بعدم بيان ماهو الاكمل من العبادات والطاعات وكتمان شئ مما امره الله تعالى ببيانه للامة مما هو الكمال فى حقهم (وترك النصح) لهم فى تقرير ماينفعهم عند الله تعالى (ولاالتوانى) اى التضاعف والتقاعس فى بيان الانفع (ولاالتكاسل) فى ذلك (ولاالجهل) بالانفع لهم فى امر الدين) من حيث العلم والعمل (فلوكان) اى وجد (فى) امر (العبادة والقرب من الله) تعالى (طريق) يوصل الى شئ من ذلك (افضل) لهم (وانفع) عند الله

تعالى (غيرما) اى طريق (هو) صلى الله عليه وسلم (فيه) اى فى ذلك الطريق (لفعله) صلى الله عليه وسلم (او بينه) واوضحه للامة (وحث) اى حرض وحض (عليه) عباد الله الذى ارسله الله تعالى اليهم ليهديهم اليه صراطا مستقيما لانه انما ارسل لذلك ولهذا قال تعالى له* ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فابلغت رسالته (فنجزم) حينئذ (قطعا) من غير شك ولا شبهة (ان) جميع (ما) اى الذى (هو عليه) النبى (صلى الله عليه وسلم) اقوالا وافعالا واحوالا (افضل) عندالله تعالى (وانفع) للناس (واقرب الى) تحصيل (معرفة الله) تعالى (و) تحصيل (رضاه) سبحانه (من كل ماعداه) مما عليه جميع الناس فى جميع الازمان من عصره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة والذى عليه صلى الله عليه وسلم هو ماتقدم بيانه من امره عليه السلام للامة بالاقتصاد فى الاعمال والتوسط فى الاحوال بين الافراط والتفريط كما هو سيرته فى الملأ صلى الله عليه وسلم لتقتدى به الامة وتنقل عنه اخبار دينها كما قال صلى الله عليه وسلم لما طاف راكبا على ناقته خذوا عنى مناسككم وقال صلوا كما رأيتمونى اصلى وهذا مقدار مااطلع عليه علماء الظاهر اهل النقل والرواية من سيرته صلى الله عليه وسلم العامة واما سيرته الخاصة وباطنية شريعته صلى الله عليه وسلم مما لم تكن عليه المنافقون فى زمنه عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المؤمنين فى الظاهر فهى امور اسرها صلى الله عليه وسلم لخواص اصحابه وهم اسروها لخواصهم لانها انما تأخذ وتتلقى بالاحوال الصادقة والاعمال المصحوبة بالاخلاص والتقوى والخشوع والحضور كما قال تعالى* واتقوا الله ويعلمكم الله* وهى العلوم المخزونة والمعارف الالهية اللدنية المكنونة التى اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لايعرفه الا العلماء بالله فاذا قالوه لاينكره الا اهل الغرة بالله والمراد باهل الغرة الذين ينكرونه علماء العلم الظاهر من شريعته صلى الله عليه وسلم مما كان يعرفه المؤمنون والمنافقون فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده فيتساوى الفريقان فى العمل به ظاهرا ولنا رسالة صنفناها فى اثبات ان العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الاذواق كعلم الكرار بس والاوراق مأخوذ جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث المعراج كما ذكره القسطلانى فى مواهبه وغيره وسألنى ربى فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لايقدر على حمله احد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من امتى اه فانظر فانه لم يحصر صلى الله عليه وسلم العلم الحق فى العلم الذى امره الله تعالى بتبليغه الى العام والخاص الذى هو علم الشرايع والاحكام على وجه الاقتصاد والتوسط فى العلم الذى يعلمه علماء الظاهر كما فعل اهل الظاهر القاصرون وانما اخبر الصادق

صلى الله عليه وسلم ان هناك علمين آخرين هما حق ايضا بل علوم شتى كما قال عليه السلام
واما العلم الذى اخذ عليه كتمانه صلى الله عليه وسلم فهو علم النبوة مما لا يعلمه الا نبى
ولهذا قال فيه عليه السلام اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى فبين بذلك وجه
اخذه عليه كتمانه فانه لا فائدة فى بيانه حيث لا يقدر احد على حمله اى العلم به فانه لا يقدر
الا نبى ولا نبى بعده صلى الله عليه وسلم واما العلم الذى خيره فيه فهو علم الولاية وهو علم
باطن الشريعة وحقيقتها واسرارها مما لا يؤخذ الا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله
تعالى المشار اليه بقوله تعالى فى الخضر * وعلمناه من لدنا علما * وقوله تعالى * واتقوا الله
ويعلمكم الله * وقول النبى صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه
رشده وهو العلم الموروث للعلماء بالله من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم باسانيد الالهام
ونقلة الكشف التام الى قلبه صلى الله عليه وسلم وباطن حاله كما ان العلم الذى
امره الله تعالى بتبليغه موروث عنه ايضا صلى الله عليه وسلم باسانيد الرواة ونقلة
المشايخ الموثقين الى فمه صلى الله عليه وسلم وظاهر فعله وهذا ابو هريرة رضى الله عنه
يقول احفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم اما احدهما فبثثته
واما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اى الحلقوم ومراده لقتلونى لحكمهم
بكفرى حيث لم يفهموا ما اشير اليه فى كلامى من حقائق المعانى واسرار الشريعة
المطهرة فالوعاء من العلم الذى بثه هو علم الظاهر الذى تعرفه الفقهاء من احكام
الشريعة المحمدية والوعاء من العلم الذى لم يبثه هو علم الباطن من حقائق الشريعة
وما لا يعلمه الا المقربون من الاولياء والصديقين والحاصل ان علم التقوى وهو العلم المأخوذ
بالرياضات والمجاهدات وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم
صحيح مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدلول عليه عند اهله العلماء به
بالادلة من الكتاب والسنة واعمال النبى صلى الله عليه وسلم واشارات اقواله واحوال
الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما ان العلم الظاهر المأخوذ بالقراءة على المشايخ والرواية
عنهم والحفظ من الكتب علم صحيح ايضا مدلول عليه عند العلماء به بالادلة من الكتاب
والسنة واقوال النبى صلى الله عليه وسلم واعماله واقوال الصحابة والتابعين والسلف
الماضين واعمالهم والله تعالى لم يقطع من الارض ولا يقطع ان شاء الله تعالى علماء كلا العلمين
القائمين بهما نيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم حجة على المكلفين غير ان كل طائفة من اهل
العلمين فيهم القائمون بعلمهم على الوجه المرضى لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون
المفسدون الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح وليسوا منهم اللابسون ثوب
الزور فكما ان فى الصوفية فاسقون ملحدون جاهلون فى الفقهاء ايضا كذلك فاسقون
كافرون خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله وتفسد تلك الطريقة
التى يزعمون انهم قائمون بها واذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على اهل السوء
من كلا الفريقين ولا الظن السيئ باحد معين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح

معين في احد ظاهرا ولا باطنا والله يعلم المفسد من المصلح (فتحمل ما) اى الذى (روى عنهم) اى عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين من التشديدات والمجاهدات (على انهم انما فعلوا ذلك التشديد) والتضييق على نفوسهم وغيرهم من اهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذى كان عليه صلى الله عليه وسلم وامر به وبلغه للخاص والعام من الاقتصاد والتوسط فى الاعمال كما ذكرنا (امامداواة) اى تطبيبا (لامراض القلوب) السقيمة بالغفلات والغرور ليردوها بذلك الى الصحة والعافية فان القلوب تمرض كالمرض الاجسام قال تعالى فى قلوبهم مرض وهؤلاء المرضى قلوبهم المحتاجون الى مداواة تلك الامراض هم طائفة من اهل العلم الظاهر غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الاغراض النفسانية فاعمتهم عن سواء السبيل فلابد لهم من حمية تلك التشديدات حتى تصح ارواحهم وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول فى رياض الرضا بين اشجار الوصول كما ذكر الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير عن ابى طالب المكى صاحب قوت القلوب قال علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لا يستغنى احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما عن صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان وهذا لا ينصرف اليه اسم العلماء الذين هم ورثة الانبياء اذهم العلماء العاملون الابرار المتقون الذين آل اليهم العلم الموروث بالصفة التى كان عليها عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته واتباع شهوته ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبئس الورد المورود قال بعضهم وهذه صفة علماء زماننا تجدهم يجتهدون فى تحسين الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فاذا نظر الى باطن احدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للظلمة والاغنياء واحتقار الفقراء والانفة من الفقر والاستكبار فى موضع الحق والحقد على اخيه المسلم والعداوة والبغضاء وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى والحسية والرغبة فى الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والرياء والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة والاعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وعزة النفس والقسوة والفظاظة والغلظة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها وترك القنع والمراء والجفاء والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال على الطاعة وامن سلب ما اعطى وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز والجاه واتخاذ الاخوان فى العلانية على عداوة فى السر والغضب اذا رد عليه قوله والتماس المبالغة لغير الله والانتصار للنفس والانس بالخلق والوحشة من الحق

والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طوية صدورهم وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وانواع اعمال البر فاذا انكشف الغطاء بين يدى الله تعالى عن هذه الامور كان كمزبلة فيها انواع الاقذار غشيت بالذبابح فانتنت فهذا عالم مرأى مداهن يتصنع عند شهواته فلم يقدر ان يخلص عمله ونفسه مقيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه وهذه كلها عيوب والعبد اذا كثرت عيوبه انحطت قيمته (اولكون العبادة) من كثرة تمرين نفوسهم بها صارت (عادة لهم) اعتادوها (وطبعا) انطبعوا عليه فصاروا لايتكلفون لها (كالغذاء للصحيح) البدن من الناس فانه ينتفع به فى بدنه لبقاء صحته ويأخذ منه حظه بنفس مقبلة مشتهية (فيتلذذون بها) اى بالعبادة كما يتلذذ الصحيح البدن بغذائه كما ذكر الاسيوطى فى كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب عن ثابت البنانى رضى الله عنه انه كان يقول اللهم ان كنت اعطيت احدا من خلقك الصلاة فى قبره فاعطنيها وانما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله تعالى حتى اخرج ابونعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال انا والله الذى لا اله الا هو ادخلت ثابت البنانى لحده ومعه حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا انا به يصلى فى قبره (بلااضاعة حق) واجب عليهم لاحد من خلق الله تعالى (ولاترك مداومة) بل كانوا يبقون على ذلك الى الموت (ولااعتقاد) من احدمنهم (انه) اى مايفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها (افضل مما) اى من الذى (كان عليه افضل البشر) صلى الله عليه وسلم فعمل به من الاقتصاد والتوسط (او) (افضل من الذى قاله) من ذلك وبينه للناس ولا شك ان من اعتقد رجحان عمله على عمل النبى صلى الله عليه وسلم فهو كافر وحاشا السادة الائمة العارفين من شئ من ذلك بل دائما لايرون اعمالهم الامدخولة قاصرة وان بالغوا فيها ماعسى ان يبالغوا ولايرون انفسهم مع ذلك كله الامذنبة عاصية كما نقل الشيخ بن علان الصديقى رحمه الله تعالى فى شرحه على حكم ابى مدين رضى الله عنه ان الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لماسئل عن الكرامات قال اى كرامة اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجه الارض (وامانبينا) محمد (صلى الله عليه وسلم فقدبلغ الدرجة العليامن الكمال) يعنى فلايحتاج مع ذلك الى امثال هذه التشديدات والمجاهدات فى النفوس مع انه فعلها صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وبعدها وكان يتحنث فى غار حراء ويتبتل الى الله تبتيلا ويواصل فى صيامه ويتابع فى قيامه ولم يسبقه احد من الامة بكثرة عبادة اصلا فانه صلى الله عليه وسلم هو السابق فى كل خصلة جيدة وانما السابقون مقتدون به على كل حال (وهى) اى تلك الدرجة العليا من الكمال (ان لايمنع عن توجه القلب) الى جناب الرب (شئ) مطلقا (لاالتكلم مع الخلق ولا الاكل ولاالشرب ولاالنوم ولاملامسة النساء) اى جماعهن (وتكون الخلطة) مع الناس (والعزلة) عنهم (سواء) فى عدم اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه

صلى الله عليه وسلم انه كان يدبر الجيش وهو فى الصلاة من غير ان يشتغل عنها وورد فى حديث الجامع الصغير عن عقبة بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت وانا فى الصلاة تبرا عندنا فكرهت ان يبيت عندنا فامرت بقسمته ومعلوم انه مع ذلك لم يضيع الخشوع والحضور فى صلاته (فاقتصاره عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات الظاهرة) فى بعض الاحيان بحسب ظاهر الحال (لكونها افضل له صلى الله عليه وسلم ولامته) باعتبار كمال اتقانها بالتوجه بالكلية الى حضرة ذى الجلال باعتبار ان العبادة الباطنية اذا كثرت قلت العبادة بالظاهر واذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولاشك ان العبادة بالباطن افضل من العبادة بالظاهر لان الظاهر تابع والباطن متبوع والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فالسالكون تكثر عباداتهم اولا بالظاهر حتى يصلوا الى معرفة الله تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرائض والسنن وتكثر عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذى الجلال والاكرام والنبى صلى الله عليه وسلم من اعظم الواصلين الى معرفة الله تعالى فالغالب فى اعماله الاقتصاد بقوله ويعمل به (وتلذذه صلى الله عليه وسلم دائم) مستمر (لا يختص بالعبادات الظاهرة) كتلذذ اهل البدايات من السالكين باعمالهم البدنية ومجاهداتهم النفسانية بل كان له تلذذ بشهود التجلى الحق سبحانه فى جميع الامور العادية وسائر الاحوال الكونية وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة باعتبار ترقيه صلى الله عليه وسلم فى مراتب الشهود فالمرتبة العليا اذا كان فيها صلى الله عليه وسلم يجد مادونها غينا اى حجابا وهكذا (وقد بلغ) اى وصل (بعض المشايخ) من الكاملين (الى حيث كان له حظ) اى نصيب (من هذه الدرجة التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم بطريق الارث عنه) فان العلماء ورثة الانبياء (حتى قال) ذلك الشيخ المذكور (من رآنى الآن) يعنى وانا واصل الى معرفة الله تعالى ومشغول بلذة شهوده فى كل شئ (صار زنديقا) اى اقتدى بى فى حالتى التى يفهما منى وانا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال الباطن بما هو اكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذة مناجاته والاطلاع على لطائف حقائقه واسراره فى صفحات مصنوعاته فيظن انى كذلك بباطنى ايضا غير معتن بالعمل الظاهر فلا يعتنى هو ايضا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرايعه فيصل الى رتبة الزندقة وهو عدم التديين بدين اصلا وذلك من اكفر الكفر (ومن رآنى قبل) اى قبل الآن وانا منهمك فى العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله تعالى عنى بالاغيار وخلو باطنى من لمعات البوارق الالهية والانوار (صار صديقا) لانه يقتدى بى فى هذه الحالة فيجاهد فى نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل الى مقام الصديقية وهى خلاصة الولاية (حيث كان) ذلك الشيخ المذكور (فى) حال وصوله الى مقام (نهايته)

بقطعه مسافة نفسه وحصوله فى حضرة ربه (يقتصر من العبادات الظاهرة على الفرائض) من كل نوع من انواع العبادات (والواجبات والسنن) ويترك ماعداذلك من النوافل المستحبات من كل نوع (ويأكل) المشتهيات وغيرها (ويشرب) كذلك (وينام كالعوام) من حيث ظاهره قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه كاد ان يكون مجمعا عليه عند المحققين من الصوفية رضى الله عنهم ان العارف لايضره قلة العمل اذيكون سيره قلبيا والا لم يكن محققا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك بدليل من الحديث وهو مارواه الطبرانى عن عبدالله بن مسعود قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اى عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال اوثق عرى الايمان الولاية فى الله والحب فى الله والبغض فى الله ثم قال يا ابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل الناس افضلهم عملا اذافقهوا فى دينهم ثم قال يا ابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال ان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا فى عمله وان كان يزحف على استه زحفا الحديث (و) كان (فى) حال (بدايته يجتهد) فى العبادات والطاعات (ويرتاض) بانواع الرياضات (فمن رأى اجتهاده) فى العبادات ليلا ونهارا (يجتهد كاجتهاده حتى يصير) بسبب ذلك (صديقا ومن رآه فى) حال (نهايته) كما تقدم (ينكر الاجتهاد و) احوال (الطريقة اصلا) اى من الاصل (فيخاف) بالبناء للمجهول (عليه الكفر) بل يكفر ان لم ير الاعمال الظاهرة حقا او استخف بها او باهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر نقلا عن التتمة قال من اهان الشريعة اوالمسائل التى لابدمنها كفر وفى المحيط من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم او يروى حديثا صحيحا هذاليس بشئ ردا اوقال لاى امر يصلح هذا الكلام ينبغى ان يكون الدرهم لان العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر اى لانه معارضة لقوله تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وقوله سبحانه وكلمة الله هى العليا اه وسيأتى نحو هذا ان شاء الله تعالى (ولو تأملت) يا ايها المذعن للحق اذا ظهر (فيما كتبنا) لك (سابقا) فى اوائل فصل الاقتصاد فى العمل من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال الفقهاء الحنفية (و) تأملت ايضا (ما) اى الذى (نقل عنهم) اى عن السلف الماضين من التشديدات فى العبادات وانواع المجاهدات (حق التأمل) بانصاف واذعان (وجدت فى اكثرها) اى اكثر كل مافى هذا الكتاب وماورد عن السلف وان لم يكن فى جميع ذلك (اشارة الى هذا) المعنى المذكور هنا فى هذا الجواب الثالث المعلل بالعلتين المذكورتين فان تأملت ماسبق فى اول هذا الفصل وجدت الاشارة الى العلة الاولى واذا تأملت مانقل عن السلف وجدت الاشارة الى العلة الثانية واذا علمت هذا وتحققته (فلا يخلو) اى لاينفك جميع

(ما) اى الذى (نقل عن السلف) الماضين رضى الله عنهم اجمعين (من التشديد)
فى العبادات والتضييق على النفوس فى المجاهدات (عن العلتين المذكورتين) اصلا
بل لابدان يكون سببه احدهما او كلاهما معا (وهذا) التحقيق فى هذه المسئلة
(هو المحمل) للمانقل عن السلف (الصحيح) لذوى الافهام السالمين من سقم الاوهام
(والحق الصريح) الواضح الذى هو لكل شبهة فاضح والذى اجاب به النجم
الغزى رحمه الله تعالى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه عن مثل هذا الاشكال الذى اشار
اليه المصنف رحمه الله تعالى هنا والى جوابه غير ما اجيب به هنا فقال فى بحث التخلق
باخلاق الملائكة فى الاقتيات بالذكر وهو ابلغ من الصيام وهو حال الصمدانيين الذين
كانوا يطوون الاربعينيات فاكثرنها ودونها بحيث يكون خارقا للعادة فيكتفون
بالذكر والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق
بالملائكة عليهم السلام فى هذا الخلق الشريف وعن بعض العلماء العاملين انه قال انى لاقتات
بوردى من الذكر كما اقتات بالطعام والشراب وقال الشيخ العارف بالله شهاب
الدين السهروردى فى عوارف المعارف قيل لسهل بن عبدالله رضى الله عنه هذا الذى
يأكل فى كل اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور قال وقد
سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على انه يجد فرحا به
ينطفئ معه لهب الجوع قال وهذا واقع فى الخلق ان الشخص يطرقه فرح وقد كان
جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك فان قيل قد صح عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فى الصوم فقيل له فانك تواصل فقال لست
كاحدكم ان الله يطعمنى ويسقينى فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب ان هذا النهى انما هو
فى مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولئلا يتخذ الوصال سنة جارية يتعاطاه
القادر والضعيف عنه فيحتاج الى التكليف فاما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغنى
عن الطعام والشراب فقد يقال فى حقه باباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج
احوال من اسلفنا ذكرهم من السلف رضوان الله عليهم اجمعين وقد حكى القاضى
عياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل رحمهم الله
تعالى انهم اجازوا الوصال وحكى ابن حزم ان ابن وضاح من المالكية كان يواصل
اربعة ايام واطلق اكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا هل هو كراهة
تنزيه او تحريم على وجهين اصحهما الثانى وهو ظاهر كلام الشافعى رضى الله عنه فانه
قال بعد ان ذكر حديث النهى عن الوصال وفرق الله بين رسوله وبين خلقه فى امور
اباحها له وحظرها عليهم وكذلك مذهب ابى حنيفة ومالك رضى الله عنهما وقال
الحافظ العراقى فى شرح الترمذى واصح ما يستدل به على عدم تحريم الوصال ما رواه
ابو داود باسناده الصحيح عن عبدالرحمن بن ابى ليلى قال حدثنى رجل من اصحاب النبى

صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحجامة والمواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه فقيل له يارسول الله انك تواصل الى السحر فقال انى اواصل الى السحر وربى يطعمنى ويسقينى قلت وهنا اصل اصيل وهوان ادخال الطعام والشراب الى الجوف انماهو فى الاصل مباح وانما يندب تعاطيه او يلزم اذا احتاج اليه الانسان من حيث ان يتقوت به ويحفظ على حياته فاذا اخذ الانسان منه حاجته وكفاته لم يحسن فى حقه ان يتناول زيادة عليها بل اذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرا من الهلاك الذى من حذره الجئ الى استعمال الطعام والشراب اذا احتاج اليه فاذ كان فى عباد الله من رزقه الله تعالى حالة شريفة كحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وهن فى بدنه ولا ضعف فى قواه ولا توقان الى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة فظاهر هذا القياس انه مادام غنيا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لا نكلفه تناول شئ من المطعومات ولا من المشروبات حتى يحتاج اليه كما انا لا نطالب الشبعان ولا الريان بشئ من ذلك حتى يحتاج اليه بل الدنيا وان كان الاصل فى مطعوماتها ومشروباتها الاباحة فان اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه فمقتضى طريقه ان لا يتناول منها شيئا الا ان يحتاج اليه و يضطر الى الاخذ منه فهما اغناه الله عنه فلا يتناوله اصلا فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذور المدفوع بهما كما يدفعانه وزيادة ينبغى ان لا نكلفه بهما ولو واصل الصيام عمره ثم كان بعد الطاوين من اهل الله تعالى اذا طوى يتناول عند الغروب مفطرا ما ولو قطرة ماء عملا بالسنة وخروجا من الخلاف وعلى ذلك فينبغى ان يتناول عند السحر شيئا ما بنية السحور عملا بالسنة ايضا واغتناما لصلاة الله وملائكته كما فى الحديث ان الله وملائكته يصلون على المتسحرين وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع وفى هذا الحديث دليل لما ذكرناه من ان الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيه عن الطعام والشراب وان هذه الحالة تكون فى فتنة الدجال لكافة المؤمنين وانما كانت حينئذ لعموم اهل الايمان لان من فتنة الدجال ان يمر على البلدة فيقول لاهلها اعبدونى اواتبعونى فان اتبعوه امر السماء فامطرت والارض فانبتت فكانوا فى ارغد عيش والا امر السماء ان لا تمطر والارض ان لا تنبت وكانوا فى اضيق عيش فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه الفتنة لا تضر المؤمنين اذا نطقوا بالتسبيح والتقديس لانهم يستغنون عما تمطره السماء وتنبته الارض انتهى والحاصل ان عمل الرياضة على وجه التشديد والتضييق لاهل التقوى والورع والزهد والصبر والمراقبة لا يعترض عليهم فيها ولا يقال انها مخالفة للشرع فان غرض الشرع ترك المؤذيات

﴿ والمضرات ﴾

والمضرات وليس فيما يفعلونه مؤذ ولا مضر في حقهم وان كان ذلك مؤذيا ومضرا في حق غيرهم ممن ليس على قدمهم في الاخلاق الفاضلة والاحوال الصادقة (فلا تفرط) يا ايها العبد المكلف من افرط اذا زاد (في حقهم) اي في حق اهل الرياضات والمجاهدات يعني في مدحهم والثناء عليهم حتى توصلهم الى رافعة على الانبياء في كثرة عباداتهم وسمو مقاماتهم فانه لا يصل ولي الى درجة نبي اصلا كما سيأتي تحقيقه في محله من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (ولا تفرط) بالتشديد من التفريط وهو التقصير في حقهم باحتقارهم واستنقاص احد منهم كان حيا او ميتا علمت حاله اولم تعلم واتهم نفسك في القصور عن معرفة اولياء الله تعالى ولا تسئ الظنون في احد منهم وقال الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه شرح الوصية اليوسفية واحذر ان يخطر لك خاطر ردي في احد من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن احسن او اساء فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس والعاقل لا يتفرغ الى غيره حتى يتفرغ عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه ابدا فانه مراقب لنفسه ما يحدث الله فيها في كل نفس مستقبل مشتغل بما القى الله اليه في وقته فيها من الخير هذا حظ المؤمن فكيف حظ المختص في الايمان بالاتباع كان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى يقول لي يا ولدي ما ارى في العالم الا ولي الله تعالى بالنظر الى فانه لا يخلو من يعرفني ان يكون حامدا لما انا عليه اوذاما فان حمدني فاقول هذا ولي ما رآني الا بصورته بما هو عليه والحمد لله الذي اراني وليا من اوليائه وان ذمني اقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبي ولا يكاشف الا الولي وهذا رجل يسمني بما ينسب الى ومذكر لي حتى لتحفظ من هذه الصفة فانصح عباد الله الا ولي الله هذا كان اعتقاده في الخلق كلهم رحمه الله تعالى فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه ونقل صاحب كتاب تحفة الاكياس في تحسين الظن بالناس ومن كلام سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه اسوء المعاصي سوء الظن وغالب الناس لا يعده ذنبا ولا يستغفر منه وقال سيدي افضل الدين لو ان انسانا احسن الظن بجميع اولياء الله تعالى الا واحدا منهم بغير عذر مقبول في الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى ولذلك لا تجد وليا حق له قدم الولاية الا وهو مصدق بجميع اقرانه من الاولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما انه لم يختلف في انبياء الله تعالى نبيان فمن آذى الاولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة ومن كلام الشيخ ابي المواهب الشاذلي رضي الله عنه من حرم احترام اصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت وذكر الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ان معاداة الاولياء والعلماء العاملين كفر عند الجمهور وقال من عادى احدا من الاولياء والعلماء العاملين او الشرفاء فقد عادى ايمانه وقال سيدي علي الخواص رضي الله عنه من عادى احدا من الاولياء او العلماء خالفه ضرورة وفي مخالفة الولي والعالم الضلال والهلاك اه وقد اطلنا الكلام في هذا المقام في كتابنا المطالب الوفية بما يفي بالمرام والحاصل ان الانكار

بالقلب او باللسان على احد من اولياء الله تعالى الذين هم العلماء العاملون وسواء كانوا احياء او كانوا موتى وكلهم احياء عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لا بانفسهم وكلهم موتى من حياتهم بانفسهم سواء عرفهم من ينكر عليهم اولم يعرفهم وانكر مالم يعرف من احوالهم الصحيحة وافعالهم المستقيمة عندالله تعالى فهو كفر صريح والمنكر كافر باجماع المسلمين على مقتضى جميع مذاهب اهل الاسلام لانه انكر دين الاسلام والشريعة المحمدية وهو لا يعرف انه انكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن انه انما انكر امرا باطلا وفعلا قبيحا تصوره فى نفسه وحكم بانه فعل ذلك الولى اوقوله فحكم بسببه على ذلك الولى بانه ليس بولى وانه فاسق او كافر او ملحد اوزنديق والولى فى حقيقة امره من حيث مايعلمه الله تعالى منه برئ من جميع مااعتقده فيه ذلك المنكر وعمله ذلك الذى انكره عليه وقوله ذلك الذى انكره عليه ايضا ليس شئ منهما باطلا فى الشريعة ولا كفرا ولا الحادا ولا زندقة بل ذلك الفعل طاعة وقربة الى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو محض ايمان وحقيقة معرفة وايقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرا او الحادا وزندقة لمحض جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور عن علوم الاولياء ومعارف الصديقين وعدم احساسه بطمس بصيرته وعمى قلبه عن ادراك مداركهم والكشف عن حقايق اسرارهم ولمحات انوارهم فالمنكر يتقلب فى اودية الكفر والضلال والالحاد والزندقة وهو معتقد انه يتقلب فى اودية الايمان والطاعة وارشاد الناس الى الاحتراز عن الخطأ والضلال والنصيحة والهدى وهو لا يشعر فكفره عندالله تعالى سيظهر له ولامثاله ممن يوافقه على الانكار المذكور يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين فانه الحاكم العادل الذى يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل ولكن الان فى الدنيا لا يحكم المنكر هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا امثاله يحكمون عليه بذلك لاصرار المنكرين كلهم على عقيدة واحدة هى الانكار فالحكم عليهم بالاسلام مبنى على مجرد زعمهم ذلك كما ان الحكم عليهم بالكفر مبنى على اعتقاد اهل الاسلام العارفين بكلام الاولياء المطلعين على احوالهم الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لان لهم مندوحة عن الانكار بايكال الامر الى الله تعالى والتسليم فيما لا يعرفه ولا اعتراف بان الله تعالى يعلم من احوال الناس مالا يعلم هو والجهل فى الشريعة ليس بعذر فى مثل هذا اذ هو مثل جهل اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاصنام بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق والدين الصحيح فانه ليس بعذر عند اهل التصديق بذلك كما انه ليس بعذر عندالله تعالى ايضا وان ما كان عذرا عند اهل هذه الملل الباطلة بل فى زعمهم ان ما انكروه هو الباطل وما انكروا به هو الحق وحيث كان حكم المنكر على اولياء الله هو الكفر فيترتب على ذلك ما يترتب على الكفر من احكام الشريعة كفسخ النكاح والاستتابة واهراق الدم ان اصر وكذلك بقية احكام المرتد وهذا كله

ان تحققنا منه ذلك وقدرنا عليه فان لم تحقق وغاب عنا حكم برجوعه عنه نظير ما قال العلماء في المرتد وقالوا بان انكار الردة توبة ولا نحكم بالظن في احد ولا بالتجسس عليه انه منكر على ولي من اولياء الله تعالى اصلا كما انا لا نسيء الظن في احد انه ينكر فرضا من الفروض ولا نجسس عليه في ذلك ولكنا نحكم بما نتحققه فيه فان الظن السوء والتجسس حرمهما الله تعالى وحرمهما رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يترتب عليهما اذا فعلا حكم من احكام الله تعالى كما ان النمام اذا نقل القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعله الحرام فلا يترتب على قوله حكم اقامة الحد على المنقول عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس النقل او عدم وجود نصاب الشهادة فكذا في التجسس وسوء الظن يفسق فاعلهما فلا يقبل قوله في الشريعة ولو قبله من لم يعلم حاله فان العدالة شرط في الديانات (وابتغ) اى اطلب (بين ذلك) اى بين الافراط في مدح الاولياء والتفريط في ذمهم (سبيلا) اى طريقا تسلكه في ظاهرك وباطنك بكون وسطا بحيث لا تذمهم اصلا ولا تخرجهم عن كونهم عباد الله تعالى مخلوقين لا تأثير لهم في خرق عادة ولا في عادة مطلقا بل هم كغيرهم من خلق الله تعالى في عدم التأثير في شيء من الاشياء ولكن الله تعالى فضلهم على غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبه اليهم من خوارق العادات ومن العادات وهم ادنى من الانبياء لان ولايتهم ادنى من النبوة كما ان الايمان ادنى من الولاية فالانبياء ثم الاولياء ثم المؤمنون (وقل) يا ايها المكلف (الحمد لله) بقلبك ولسانك (الذي هدانا) اى دلنا وارشدنا (لهذا) الحق المبين والكلام المتين الذي تقرر في هذا الفصل كله بل في هذا الكتاب جميعه (وما كنا لنهتدي) بانفسنا الى ذلك (لولا ان هدانا الله) سبحانه بمحض فضله واحسانه بل كنا نضل كما ضل غيرنا ممن بسا وبا في الادراك والتكاليف من كل خسيس في الناس وشريف والحمد لله الخبير اللطيف اه *

﴿ الباب الثاني ﴾

من الابواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب (في الامور) جمع امر وهو الشان والحال الذي يخص او يعم (المهمة) التي توقع في الهم والحزن على فواتها او التي تفعل بالهمة والعزيمة (في الشريعة) الاسلامية وهي ما شرع الله لعباده والطاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما كذا في القاموس (المحمدية) اى المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم (وهي) اى تلك الامور المهمة (ثلاثة) امور (نبين) اى نشرح ونوضح (كلا) اى كل واحد (منها) اى من تلك الامور الثلاثة (بتوفيق) اى بسبب ذلك والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد (الله) تعالى لنا يعني لا بحولنا ولا بقوتنا (في فصل) مستقل (على حدة) غير تابع في بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون الفصول ثلاثة (الفصل الاول) من تلك الفصول الثلاثة (في تصحيح الاعتقاد) اى ذكر الاعتقاد [illegible] ولا يكون الا بالقلب واما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد

لاهو الاعتقاد بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحا فى القلب فليس هو بصاحب اعتقاد صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم سواء عرف انه كذلك اولم يعرف ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الايمان ليخلق فى جوف احدكم كما يخلق الثوب فاسئلوا الله تعالى ان يجدد الايمان فى قلوبكم اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وقد نقل السنوسى فى شرح الجزائرية عن ابن دهاق شارح الارشاد لامام الحرمين ان النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لايعلمه صاحبه كنفاق من جهل العقائد الصحيحة وبين ذلك بيانا شافيا (وتطبيقه) اى الاعتقاد بمعنى موافقته ومساواته (لمذهب) اى لماذهب اليه (اهل السنة) اى الطريقة والسيرة المحمدية وهى عامة شاملة للاقوال والافعال والاحوال (و) اهل (الجماعة) من الاجتماع والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من المتبعين للنبى صلى الله عليه وسلم قال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه والمراد بطريق اهل السنة والجماعة ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام وهو ماعليه السواد الاعظم من المسلمين فى كل زمان وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة روى اصحاب السنن وصححه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة وروى هذا الحديث من طرق اخرى كثيرة منها رواية عبدالله بن عمرو وقال فيها كلهم فى النار الاملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ماانا عليه واصحابى حسنه الترمذى ومنها رواية معاوية رضى الله عنه وقال فيها اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة رواه ابوداود وغيره ومنها رواية ابن عباس رضى الله عنهما وقال فيها كلها فى النار الا واحدة فقيل وماهذه الواحدة فقبض على يده وقال الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا رواه ابن ماجه وغيره وقوله فى الآية والحديث ولاتفرقوا اى فى اصول الديانات والاعتقاد كما روى عن ابن مسعود وغيره وقيل المعنى ولاتفرقوا متابعين للهوى والاغراض المختلفة النفسانية وعليهما فليس فى الآية نهى عن الاختلاف فى الفروع والاحكام اذ المنهى عنه انما هو اختلاف يؤدى الى افساد وتقاطع وليس ذلك الا فى الاختلاف فى العقائد والاصول واما الاختلاف فى مسائل الاجتهاد فانه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض وظهور دقائق الشريعة ولم تزل الصحابة مختلفين فى احكام الحوادث وهم مع ذلك متواصلون وفى الحديث اختلاف امتى رحمة كما نقله خلائق [illegible] العلماء منهم الشيخ نصر المقدسى والحليمى والبيهقى وامام الحرمين ومن هذا [illegible] اختلاف

الائمة الاربعة رضي الله عنهم وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون مأجورون لهم اجورهم ومثل اجور اتباعهم رضي الله تعالى عنهم ومن هذا القبيل ايضا اختلاف العلماء في العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فيها حيث منهم من مال الى الحديث ومنهم من مال الى التفسير ومنهم من مال الى الفقه ومنهم من مال الى العربية وكذلك اختلاف الصوفية رضي الله عنهم في رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو ومريدوه طريقة فمنهم من سلك طريقة المجاهدات ومنهم من سلك طريقة المعاملات وقد قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى الطرق الى الله عدد انفاس الخلائق اى من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد فان عقائد اولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة وهي عقيدة اهل السنة والجماعة وكذلك اختلاف اهل الصنايع والحرف في صنايعهم وحرفهم كل ذلك داخل في قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما اختلافهم في الاصول فانه عذاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وذكر الشيخ الامام العارف بالله تعالى احمد بن محمد المدني المعروف بالقشاشي رحمه الله تعالى في الجواب الشافي عن السؤال الموافي في معنى المراد من اهل السنة والجماعة ان المخصوص بالهداية الجماعة المجتمعون على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الآخذون بالوارد لا بالعقل المثير للمراء والخصومات في دين الله فالقائم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة وهو متابعة ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم قولا وفعلا بصريح الوارد محكماته ومسلماته تسليما عازلا لهواه وعقله عند ذلك هو من اهل السنة والجماعة ومسمى بذلك بالنص المذكور وان فرط منه شيء من القصور والمخالفة تداركه بالرجوع الى الله تعالى والحكم للغالب من حاله فاذا كان الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم بسط الكلام في بيان ان المراد من اهل السنه والجماعة من تابعوا الوارد في الكتاب والسنة واعتقدوه ايمانا واذعانا ولم يعتقدوا امرا مستفادا من محكمات العقول والآراء وان المراد بالفرق الضالة والطوائف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراءهم في معاني الوارد في الكتاب والسنة ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله و يعتقدوه كذلك وذكر امثلة لذلك من كلام الفريقين على مقتضى المذهبين (وجملته) اى جملة مذهب اهل السنة والجماعة في العقائد يعني محصله وملخصه اذ لا يمكن استقصاء ذلك مبسوطا في هذا الكتاب للخروج عن مقتضى الاختصار (ان الله تعالى واحد) اى موصوف بالوحدانية وهي تقال على خمسة انواع النوع الاول الوحدانية في الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام وفي الارشاد لامام الحرمين الرب تعالى واحد والواحد في اصطلاح الموحدين الشيء الذي لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشيء لوقع الاكتفاء بذلك والرب تعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض

والانقسام وفي بحر الكلام للامام النسفي ومعنى الواحد الموجود الذي لابعض له ولا انقسام لذاته فان الله تعالى واحد لا من جهة العدد يدل عليه انه تعالى لوكان واحدا من جهة العدد لكان ابعاضا فامتنع ان يكون الها واحدا والنوع الثاني الوحدانية في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل في كل صفة من صفاته فيمتنع ان يكون له تعالى علوم وقدرات وارادات متعددة متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وارادته واحدة ومراداته كثيرة وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع ان يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى او مثل صفة من صفاته تعالى او يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه او مثل صفة من صفات خلقه سبحانه والنوع الثالث الوحدانية في الاسماء والمراد بذلك امتناع المشابه والمماثل له تعالى في كل اسم تسمى به سبحانه من حيث هو مسمى به وان جاز اطلاق بعض اسمائه تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة ان الصفة تتقدم على الاسم فالصفة اسم غير ظاهر فاذا ظهر اطلق عليه الاسم فان الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما رحم تسمى رحمانا والنوع الرابع الوحدانية في الافعال وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموما وامتناع استناد التأثير لغيره تعالى في شئ من الممكنات اصلا فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث جميع ذلك مخلوق لله تعالى وحده لا شاركه في شئ من ذلك مشارك اصلا لا طبيعة ولا كوكب ولا قوة ولا سبب مطلقا والنوع الخامس الوحدانية في الاحكام كما قال تعالى * والله يحكم لا معقب لحكمه * والحكم هو الامر والنهي وهو واحد ولكنه كثير بالتعلقات من احوال المكلفين وحكمه قديم ولكنه تبين في الخلق لاحدث وهو الذي انزل الكتب وشرع الشرايع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه فالاحكام كلها راجعة الى قوله الحق ومستندة الى خبره الصدق وهو الذي ينفذها على يدي من شاء من خلقه في الدنيا وينفذها في الآخرة من غير واسطة وهو الذي حكم بسعادة من يسره لطاعته وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذي حكم بترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وبترتيب العادة وهو الذي حكم بالكفر على الكفار وبالايمان على المؤمنين وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين وبالاخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين له الحكم واليه ترجعون ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اليس الله باحكم الحاكمين ومن احسن من الله حكما ان ربك يقضي بينهم بحكمه ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم لوروده كذلك في هذه الآيات وان جاز اطلاق تعدده لكثرة انواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذه الابحاث في كتابنا المطالب الوفية (لايشبهه) سبحانه وتعالى (شئ) اصلا وهو توكيد لصفة الوحدانية كما ذكرنا ثم اكد ذلك ايضا بقوله (ليس) سبحانه وتعالى (بجسم) وهو

المركب من الجزء الذى لايتجزى وادنى التركيب من جزئين فصاعدا وعند البعض لابد من ثلاثة اجزاء لتحقيق الابعاد الثلاثة اعنى الطول والعرض والعمق وفى شرح الصحايف قال اهل السنة الجسم هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسما عندهم اه ومعلوم ان كل مركب حادث والله يستحيل فى حقه الحدوث فليس بجسم سبحانه (ولاعرض) ايضا بالعين المهملة والراء محركة وهو مالا قيام له بذاته والمراد ليس هو تعالى عرضا ولاصفة من صفاته تعالى ايضا عرضا ولااسم من اسمائه ولافعل من افعاله ولاحكم من احكامه لان العرض لايقوم بذاته بل يفتقر الى محل وهو الجسم يقومه اى يجعله قائما فوجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الجسم فلوكان الله تعالى عرضا لاحتاج الى محل يقومه فكان ممكنا لاواجبا وهو محال ولان العرض يمتنع بقاؤه والالكان البقاء معنى قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال لان قيام العرض بالشئ معناه ان تحيزه تابع لتحيزه والعرض لاتحيز له بذاته حتى يحيز غيره بتبعيته وذلك محال على الله تعالى الذي يجب بقاؤه سبحانه (ولاجوهر) وهو الجزء الذى لايتجزى عند اهل السنة والجماعة وعند الحكماء الجوهر اما جرمانى مادى اوروحانى مجرد عن المادة فالجرمانى هو الجسم واجزاؤه الهيولى والصورة والروحانى العقول والنفوس المجردة والله تعالى يستحيل عليه شئ من ذلك كله اما عندنا فلان الجوهر جزء من الجسم والله تعالى متعال ان يكون جزأ واما عندهم فلان الجوهر من اقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التى اذا وجدت كانت لافى موضوع وليس الله تعالى بممكن بل هو واجب وايضا لم يرد فى الشرع اطلاق الجوهر على الله تعالى مع تبادر الفهم الى اطلاقه عند النصارى بالمعنى الذى يجب تنزيه الله تعالى عنه (ولامصور) اى ذو صورة لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت فى الظاهر اوفى الذهن وكان الشيخ ابو اسحق الاسفرائنى رحمه الله تعالى يقول جمع ماقاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه اهل الحق فى كلمتين الاولى اعتقاد ان كل ماتصور فى الاوهام فالله تعالى بخلافه والثانية اعتقاد ان ذاته سبحانه ليست كالذوات ولامعطلة عن الصفات (ولامتناه) اى له نهاية فى زمان اومكان لان ذلك من صفات المقادير والاعداد المستحيلة عليه تعالى (ولامتجز) اى له اجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها متركبا وباعتبار انحلاله اليها متبعضا ومتجزيا لما فى كل ذلك من الاحتياج المنافى للوجوب (ولايطعم) اى يأكل من طعمه كسمعه طعما وطعاما (ولايشرب) لما فى ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الاجسام قال تعالى وهو يطعم ولايطعم * وقالوا فى قوله تعالى * الله الصمد * انه الذى لايحتاج الى الطعام والشراب وقال البيضاوى انه السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصده وهو

الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه في جميع جهاته * لم يلد * لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله * ولم يولد * وذلك لانه لم يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم * ولم يكن له كفوا احد * اى ولم يكن له احد يكافيه او يماثله من صاحبة وغيرها قاله البيضاوى وفي حقائق السلمى قال ابن عطا قل هو الله احد ظهر لك منه التوحيد الله الصمد ظهر لك منه المعرفة لم يلد ظهر لك منه الايمان ولم يولد ظهر لك منه الاسلام ولم يكن له كفوا احد ظهر لك منه اليقين وقال بعضهم الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الذى لا نظير له في ذات ولا فعل وقال ابو بكر الرازى سمعت اباعلى الروذبادى يقول وجدنا الشرك على ثمانية انواع على التنقص والتقلب والكثرة والعدد والعلة والمعلول والاشكال والاضداد فنفى عزوجل عن صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى التنقص والتقلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد وقال ابن عطا لم يلد دليل الفردانية ولم يولد دليل الربوبية وقال جعفر جل ربنا ان تدركه الاوهام والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقول فسبحانه ان تصل الفهوم والعقول الى كيفيته كل شئ هالك الا وجهه والبقاء والابدية والسرمدية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى قال الواسطى نفى الحقايق والاحاطة ثم اكده بقوله لم يكن له كفوا احد فلا يشار الى ما لا كفوله بوجه كيف نطق اللسان بما لا كفوله ولا مثل الاثبات دون المباينة وكيفية الصفات (ولا يتمكن) سبحانه وتعالى اى لا يحل ولا يسكن (بمكان) اى في مكان وهو ما استقر عليه الجسم والحيز هو ما ملأ الجسم فالمكان والحيز امران نسبيان من لواحق الاجسام وتوابعها حتى لو فرض ان الاجسام لم تخلق لم تخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الاجسام لا فيه فان كانت فيه فتلك الاحياز والله تعالى يستحيل عليه ان يكون في مكان اى مكان كان في السماء او الارض لان المكان لا يفتقر اليه الا جسم والله تعالى لو افتقر الى مكان لكان جسما ويستحيل عليه تعالى ان يكون جسما فالاستواء في قوله تعالى * الرحمن على العرش استوى * ليس معناه ان استواء الله تعالى كاستواء الاجسام لانه تعالى ليس بجسم كما تقدم بل استواء يليق به تعالى و بكمال تنزيهه عن مشابهة كل شئ قال النسفى في بحر الكلام لان الله تعالى كان قبل ان يخلق العرش فلا يجوز ان يقال بانه انتقل الى العرش لان الانتقال من صفات المخلوقين وامارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك ولان من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو اما ان يقول انه مثل العرش او العرش مثله او العرش اكبر منه او هو اكبر من العرش واى كان فقائله كافر لانه جعل الله تعالى محدودا وعن على بن ابى طالب

رضي الله عنه انه سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق العرش فقال اين السؤال عن المكان وكان الله تعالى ولامكان ولازمان وهو الآن كما كان وقالت الجهمية ان الله تعالى في كل مكان * وفي شرح العمدة وقول المعتزلة وجمهور النجارية انه تعالى في كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لان من يعلم مكانا لايقال انه في ذلك المكان بالعلم (ولايجري) اي يمر (عليه) سبحانه وتعالى (زمان) ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد بمتجدد آخر فالزمان نسبة بين الشيئين المتجددين متأخرة عنهما والله تعالى ليس بمتجدد بل هو قديم ازلي فليس للوجود الاول المتجدد الحادث اقتران به فلازمان بينه وبينه وكذلك للوجود الثاني ومابعده الى مالانهاية له من الحوادث المتجددة بل هو تعالى سابق على كل شئ من الاشياء الماضية والحالة والمستقبلة سبقا واحدا لا تفاوت فيه (وليس له) تعالى (جهة من الجهات الست) التي هي فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لانه تعالى ليس بجسم حتى تكون له جهة كما للاجسام والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار اضافة جسم آخر اليه ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافا الى جسم آخر حتى لوانعدمت الاجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها لان الجهات من توابع الاجسام واضافاتها وحيث انتفى عن الله تعالى المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى ايضا لان جميع ذلك من لوازم الجسمية وهي مستحيلة في حقه تعالى والاكان تعالى مشابها للحوادث (ولاهو) اي الله تعالى (في جهة منها) اي من تلك الجهات الست لانه تعالى ليس بجسم ولايحتاج للجهات الاالجسم وذكر بعضهم ان جملة العالم ليس في مكان ولاجهة والا لتسلسل واذا كان هذا في جملة العالم الذي هو حادث مخلوق فكيف في ارب الخالق سبحانه وتعالى يكون له مكان اوجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي شرح العقائد للسعد واعلم ان ماذكره في التنزيهات بعضها يغني عن بعض الا انه حاول التفصيل والتوضيح في ذلك قضاء لحق الواجب في باب التنزيه وردا على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بابلغ وجه واوكده فلم يبال بتكرير الالفاظ المترادفة والتصريح بما علم بطريق الالتزام (ولايجب) اي لايلزم (عليه) تعالى (شئ) لغيره سبحانه من ثواب اوعقاب اوفعل صلاح واصلح اوفساد اوافسد بل هو الفاعل العدل المختار يخلق الله مايشاء ويختار وفي شرح الطوالع للاصفهاني واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولايكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولاالعقاب على المعصية لانه لايجب على الله شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصي ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد في ذلك تاثير وقال السعد في شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لاتفي

بشكر بعض ماانعم الله تعالى به عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لا استحق الرب على مايوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذى يقوم بمؤنته وازاحة عاله والولد على خدمته لابيه الذى يربيه وعلى مراعاته وتوخى مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق وقال الاصفهانى ولا يجب عليه تعالى شئ لان الوجوب حكم والحكم لا يثبت الا بالشرع ولا حاكم على الشارع فلا يجب عليه شئ ولانه لو وجب عليه شئ فان لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب لان الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم وان استوجب بتركه الذم كان البارى تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله فانه حينئذ يخلص بفعله من المذمة وهو محال والمعتزلة اوجبوا على الله تعالى امورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنهـا ان يفعل الاصلح لعباده فى الدنيا ومنهـا ان لا يفعل القبيح عقلا وقد عرفت فساد ذلك فانه لا قبيح بالنسبة الى الله تعالى وفى شرح العقائد للسعد ثم ليت شعرى مامعنى وجوب الشئ على الله تعالى اذليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا من سفه اوجهل اوعبث اوبخل اونحو ذلك لانه رفض لقاعدة الاختيار وميل الى الفلسفة الظاهرة العوار وقال السنوسى رحمه الله تعالى فى شرح الجزائرية ان الذى اوقع المعتزلة فى الضلالات كايجاب الثواب وفعل الصلاح والاصلح على الله تعالى اعتمادهم فى عقائدهم على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم افعال الله تعالى واحكامه على افعال المخلوقين واحكامهم من غير ان يكون فى ذلك جامع يقتضى التسوية فى الاحكام والذى اجمع عليـه اهل الحق ان الافعال كلهـا مستوية بالنسبة الى تعلق قدرة الله تعـالى * وارادته بها وكذا هى ايضا مستوية بالنسبة الى تعلق احكامه تعالى الشرعية بها فلا يتصف شئ منها بالحسن لذاته اوصفته كما لا يتصف شئ منها بالقبح لذاته اوصفته فلا يجب اذن شئ منها عقلا على الله تعالى ولا يستحيل وكذا لا مجال للعقول فى ادراك حكم شرعى لها فليس الحسن شرعا عند اهل الحق الا ماقيل فيه من جهة مولانا عز وجل افعلوه ولا القبيح شرعا الا المقول فيه من جهته لا تفعلوه وتخصيص كل واحد من الافعال بما اختص به من الاحكام لا علة له ولا غرض يبعث عليه وللشرع حكم ان يقله نتبعه فى ذلك وان سكت فلا مجال لعقولنا فى ذلك اصلا (ولا يحل) اى يسكن (فيه) سبحانه وتعالى اى فى حضرة ذاته العلية اوفى صفة من صفاته اوفى اسم من اسمائه اوفى فعل من افعاله اوفى حكم من احكامه (حادث) من الحوادث اصلا لان جميع الحوادث كائنة

به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه واذا كانت به كان هو فاعلا لها فلا يتصوران يكون الفاعل محلا للمفعول والا لما كان فاعلا وهو محال والحاصل انه يستحيل ان يكون الله تعالى محلا للحوادث او الحوادث محلا له او متحدة معه او متحدا معهـا واذا بطل الحلول فالاتحـاد يبطل بالطريق الاولى لانه اذا استحال قيامه تعـالى بشئ وحلوله فيه استحال اتحاده بذلك الشئ بحيث يصيران شيئا واحدا والاتحاد محال مطلقا فى القديم والحادث كما ذكره المقرى رحمه الله تعـالى فى حاشيته على شرح السنوسية والحلول على ثلاثة انواع حلول النصارى وحلول اليهود وحلول البـاطنية ومن الباطنية الدروز والتيامنة والنصيرية وامثالهم خذلهم الله تعالى فحلول النصارى اعتقـادهم بان الاله سبحـانه حال فى عيسى عليه السلام حلول الصفة فى الموصوف على تفصيل ذكرناه مع رده فى كتابنا المطالب الوفية وحلول اليهود اعتقادهم ان الاله تعالى مستقر على العرش وقد تعب واعيـا من خلق السموات والارض وقريب منه اعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى جسم ويقولون انه فى السماء واما حلول الباطنية فهو كما قال المقرى رحمه الله تعـالى بان الباطنية هم القائلون بان الحق سبحـانه يحل فى الانسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل فى الذات الا المعـانى وهم كفار انتسبوا لاهل التصوف واخذ واذلك من شطحات لهم (حكيم) هو الذى يعلم المناسبة بين الاشيـاء فيضع كل شئ فى موضعه ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه وفى شرح الاسماء لليافعى رحمه الله تعـالى الحكيم وصف مبالغة من الحكمة التى هى العلم فمعنـاه العليم او بمعنى المحكم فهو مشتق من الاحكام وهو الاتقان او بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم الذى هو المنع (لا يفعل شيئا) فى الحس او فى العقل فى الدنيا وفى الآخرة (الا بحكمة) وهى كما قال اليافعى ترجع الى العلم بالاسرار والاحكام والى الاتقان للصنع والاحكام والى الحكم الحق النافذ على الانام وفى القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحـلم والقرآن واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد (وفائدة) اى عاقبة حميدة ترجع الى عبـاده لانه الغنى عن العالمين (فعال) صيغة مبالغة اى كثير الفعل (لما يشاء) سبحانه بعبـاده من خير او شر او نفع او ضر وقال البيضاوى فى قوله تعالى *فعال لما يريد* ما يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره (بلا ايجاب) لشئ من الافعال عليه تعالى بل كل ذلك جائز فى حقه اذ لا معنى للايجاب كما قدمناه (منزه) سبحانه وتعـالى ازلا وابدا من التنزه وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه فهو نزيه واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح كذا فى القاموس ويمكن ان يكون له وجه بانهم كنوا به عن ذلك ومرادهم التباعد عن الهموم والاحزان بسبب رؤية ذلك وتفريج الضيق عنهم او باعتبار قصدهم المكان البعيد فانه انزه عند النفوس من القريب فسمى تنزها لانه تبعد عن الوطن (عن صفـات

النقصان) التي توجب انحطاطا في مراتب الالوهية كالجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك (كلها) ماعلم منها ومالم يعلم (متصف) جل وعلا ازلا وابدا (بصفات الكمال) الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها (كلها) على حسب ماورد في الكتاب والسنة (وليس له) سبحانه وتعالى (كمال متوقع) بصيغة اسم المفعول اى منتظر وقوعه وحصوله يعني كمالا حادثا لانه تعالى قديم ولايوصف القديم بحادث والاكان تعالى حادثا ليماثل ماانصف به وهو محال (قديم) واختلفوا في معنى القدم فقيل هو صفة سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود يعني لم يسبق وجوده تعالى عدم اصلا وهذا هو القدم المخصوص بالالوهية واما القدم الزماني فهو مرور الازمنة على الشئ مع بقائه فيها كالعرجون القديم وقيل هو من الصفات النفسية ورد بانه لوكان كذلك لماعرى عنه موجود اذالصفة النفسية مالاتعقل الذات بدونها فيلزم ان لاتعقل ذات شئ اصلا بدونها واللازم باطل فكذا الملزوم لان ذوات الحوادث معقولة وليست بقديمة وقيل هو صفة معنى ثبوتي موجود زائد على الذات كالقدرة والارادة ورد بانه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم وهلم جرا وقيام المعنى بالمعنى والراجح الاول (ازلي) منسوب الى الازل وهو بالتحريك القدم وهو ازلى اواصله يزلى منسوب الى لم يزل ثم ابدلت الياء الفا للخفة كماقالوا في ازمح المنسوب الى ذى يزن ازنى كذا في قاموس ومعنى الازل عند المحققين حضرة الله تعالى التي هو موجود فيها حيث لا ماضي ولامستقبل ولاحال بالنسبة اليها ولامكان ولاجهة فكما ان شيئا من الحوادث لايمكن ان يوجد فيها لايمكن ان يوجد هو سبحانه وتعالى في الزمان اوالمكان اوالجهة فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده والازل حضرة الله تعالى وحده فليس الله تعالى موجودا في حضرتنا بل في حضرته الخاصة به وهي الازل وليس شئ منا موجودا في حضرته تعالى التي هي الازل بل جميع الحوادث موجودة في حضرتها الخاصة بها التي هي الزمان والمكان والجهة وفي زبدة الحقائق لعين قضاة الهمداني قدس الله سره من ظن ان الازلية شئ ماض فقد اخطأ خطأ فاحشا فحيث الازلية فلا ماضي ولا مستقبل وهي محيطة بالزمن المستقبل كما حاطتها بالزمن الماضي من غير فرق فليس زمن آدم عليه السلام اقرب بالازلية من زماننا هذا بل نسبة الازمنة كلها الى الازلية واحدة ولعل نسبة الازلية الى الازمنة كنسبة العلوم مثلا الى الامكنة اذلا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان اوبعيدة من مكان بل نسبتها واحدة الى كل مكان فهي مع كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان وكذلك ينبغي ان يعتقد نسبة الازلية الى كل زمان فانها مع كل زمان وفي كل زمن ومع ذلك فانها محيطة بكل زمن وسابقة الوجود على كل زمان ولايسعها زمن كمالا يسع العلم مكان فاذا فهمت هذه المعاني فاعلم انه لامغايرة بين الازلية والابدية في المعنى اصلا

بل اذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته الى الماضى من الازمنة استعيرله لفظة الازلية وان اعتبر وجوده مع نسبته الى المستقبل من الازمنة استعيرله لفظة الابدية اه وهذا الكلام فى اعلى طبقات التحقيق ولايشعر به الااهل العناية والتوفيق (ابدى) اى منسوب الى الابد محركة وهو الدهر وجمعه اباد وابود والدائم والقديم الازلى كذا فى القاموس ويرادف ذلك الباقى من البقاء واختلف فيه كالقدم ايضا فقيل صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى وقيل صفة نفسية وقيل صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بمامر فى القدم (له) سبحانه وتعالى (صفات) جمع صفة اصلها وصف لحذفت الواو وعوض عنها التاء ثم جمعت هذا الجمع والوصف يجمع على اوصاف وصفاته تعالى على اقسام صفات ذات وصفات افعال وصفات نفسية وصفات سلبية وصفات معانى وصفات معنوية وكلها (قديمة) ازلية يستحيل حدوث شئ منها مع قيامه بذات الله تعالى ولاانفكاك لها عن ذاته تعالى اصلا فيستحيل حدوثها وزعمت الكرامية انه له تعالى صفات حادثة وهو محال (قائمة) اى موجودة ثابتة (بذاته) سبحانه ضرورة انه لامعنى لصفة الشئ الامايقوم به لاكما زعمت المعتزلة انه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره تعالى وله ارادات حادثة لافى محل (لا) تلك الصفات (هو) سبحانه وتعالى يعنى عين ذاته (ولاغيره) اى غير ذاته تعالى فلايلزم قدم الغير ولاتكثر القدماء ورفع النقيضين فى الحقيقة جمع بينهما فهى عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال عين القضاه الهمدانى فى زبدة الحقايق الصفات عين الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى الذات وعلى هذا لايكون فيهما تغاير البتة اصلا وهى غير الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى انقسام الوجود الى الاقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة ولهذا مثال واضح فان العشرة لها فى ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لاينقسم ويدل عليه لفظ العشرة فاما اذا اعتبر منها نسبة الى الخمسة دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى العشرين دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى الثلاثين دل عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن ان يدل عليها بالفاظ اخر عند اختلاف نسبتها الى اعداد اخر وهذه الصفات التى وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه فاذا اعتبر منها الوجه الذى يلى ذات العشرة لم يوجد فيها تعدد واذا اعتبر منها الوجه الذى يلى اقسام الاعداد التى نسبت العشرة اليها تعددت باعتبار تلك النسب لتعدد اعداد نسبت اليها فكذلك ذات واجب الوجود الحق يلزمها الوحدة وكيف لايلزمها الوحدة والاحديه التى هى اخص من الوحدة لازمة لها اذ لايمكن ان يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها فاذا نظرت عين الذات الواجبة الى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه ولكن لكثرة

نسب تلك الذات الى الموجودات الاخر التى استحقت الوجود من تلك الذات احتيج الى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب بواسطتها الى الافهام واعلم بأن الصفات التى هى لاعين الذات ولاغيرها انما هى الصفات الذاتية الثبوتية والصفات المعنوية وصفات الافعال عندنا واما الصفات السلبية كليس بمركب فانها غير الذات قطعا واما الصفات النفسية كالوجود فهى عين الذات قطعا كما اوضحنا فى المطالب الوفية (هى) اى الصفات يعنى صفات المعانى المذكورة انها لاهو ولا غيره ثمانية الاولى (الحياة) وهى صفة لله تعالى ازلية توجب صحة العلم قاله السعد وهو معنى قول السنوسى الحياة صفة تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك والحياة لاتتعلق بشئ اى لاتقتضى امرا زائدا على قيامها بذات الحق تعالى (و) الثانية (العلم) وهى صفة تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات موجودة اومعدومة محالة كانت اوممكنة قديمة كانت اوحادثة متناهية كانت اوغير متناهية جزئية كانت اوكلية وبالجملة جميع مايمكن ان يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى لايقال يلزم على هذا التعريف الدور لان المعلومات مشتقة من العلم وقد اخذت فى تعريفه فيتوقف كل منهما على الآخر لانا نقول يمكن دفعه بان المراد بالمعلوم مايمكن ان يتعلق به العلم الازلى القديم او بان المراد بالمعلومات المدركات وهى انما تتوقف على العلم بمعنى الادراك لابمعنى الصفة الازلية القائمة بالذات العلية كما هنا اوهو تعريف لفظى فان قلت ذكر الانكشاف مشعر بسبق الخفاء وهو محال عليه تعالى قلت غايته انه تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن احاطة الذات القائمة بها تلك الصفة بسائر المدركات كما تسامح فى توقيت التعلق بقوله عند الى اخره ذكره اللاقانى فى شرح جوهرته وليس علم الله تعالى مستفادا بالاكتساب ولابالضرورة قال المقرى فى حاشيته على شرح السنوسية ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد او النظر اوكونه كسبيا اوضروريا اوبديهيا اويقينيا لان اليقينى كما قال البيضاوى افتقار العلم لما ينفى عنه الشبهة نظرا واستدلالا ولذا لايوصف به العلم القديم اه وكذلك يمتنع فى علمه تعالى ان يكون تصورا اوتصديقا لانه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم اليهما علمنا الحادث فيستحيل ان ينقسم ايضا اليهما او الى احدهما علمه القديم وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات الواجبة والممكنة والمستحيلة ومع ذلك لاتعدد فيه ولاتكثر وتمام هذا مبسوط فى كتابنا المطالب الوفية (و) الثالثة (القدرة) وهى صفة تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها يعنى ان الذات الازلية القائمة بها صفة القدرة القديمة تؤثر فى الممكنات ايجادا واعداما على وفق ما تعلقت به ارادتها واعلم ان تعلق الارادة على وفق تعلق العلم وتعلق القدرة على وفق تعلق الارادة ذكره اللاقانى ونقل المقرى عن القرافى فى شرح الاربعين ان معنى ايجاد القدرة انها بمنزلة القلم للكاتب والموجد

في الحقيقة هوالذات وهذا على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى اه والقدرة انمـا تتعلق بالممكن الذى يقبـل الوجود والعدم قبولا على السواء بحيث لايلزم من وجوده نقصان صانعه ولا كماله ولايلزم من عدمه ايضا نقصان صانعه ولا كماله و هذا معنى الممكن ويسمى الجائز ولاتتعلق القدرة بالواجب وهوما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا بالمستحيل وهومايلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه وفصلنا هذا البحث وغالب مباحث هذا الفصـل فى المطالب الوفية (و) الرابعة (السمع) وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثر حاسة ووصول هواء ذكره اللاقانى (و) الخامسة (البصر) وعرفه اللاقانى ايضـا بانه صفـة ازلية تتعلق بالمبصرات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثير حاسة ووصول شعـاع وقال السنوسى فى شرح الجزائرية والجمهور من اهـل الحق يقولون بان السمع والبصر صفتان زائدتان عـلى العلم مباينتان له بالحقيقـة وان كانا متشاركين فى انهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشئ على ماهو به وهذا احد قولى الشيخ ابى الحسن الاشعرى والقول الثانى عـلى مانقله عنه ابن التلمسانى فى شرح المعالم انهما من جنس العلم الا انهما لايتعلقان الا بالموجود والعـلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد وقال اللاقانى ليس سمعه تعـالى خاصا بالاصوات بل يعم سائر الموجودات ذوات كانت اوصفـات فيسمع ذاته العليـة وجميع صفـاته الازلية كما يسمع ذواتنـا وما قام بنا من صفاتنا كعلومنـا والواننا وهكـذا بصره سبحـانه لايختص بالالوان ولا بالاشكال والاكوان فحكمـه حكم السمع سوا بسواء فمتعلقهما واحد اه يعـنى متعلقهما الموجودات فقط سواء كانت قديـمة اوحادثة ولايتعلقان بالمعدومات وكل موجود من الممكنات مقدر بزمان يوجد فيه سواء كان الزمان ماضيا اومستقبلا اوحالا فذلك الممكن موجود فى زمانه المقدر وجوده فيه بالنسبة الى الله تعـالى المنزه عن التقيد بالزمان وان كان ذلك الممكن معدوما بالنظر الينـا اما لمضيـه اولاستقبـاله بسبب تقيدنا نحن بالزمان الذى وجدنا فيه فيكون المراد بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات تعلقهمـا بالموجودات التى هى موجودات بالنظر الى صاحب السمع والبصر لابالموجودات بالنظر الينا ولايشترط فى سمعه وبصره سبحانه ان تكون الاشياء موجودة بالنظر الينا واما المعدومات التى ماارادها الله تعالى ولاتعلقت القدرة بايجادها فى ازمنتها المقدرة لها ولاكشف عنها العلم موجودة فى تلك الازمنة فلا يتعلق بهـا السمع والبصر وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فانه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد حققنـا هذا البحث فى المطالب الوفية بمايفى بالامنيـة (و) السادسة (الارادة) وهى صفة قديمة تقتضى تخصيص المكونات بوجه دون وجه

فى وقت دون وقت وقال السنوسى هى صفة تؤثر فى اختصاص احد طرفى الممكن من وجود وعدم وطول وقصر ونحوهما بالوقوع بدلا عن مقابله فصار تأثير القدرة فرع تأثير الارادة اذلا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات او يعدم بقدرته الاما اراد تعالى وجوده او عدمه وتأثير الارادة عند اهل الحق على وفق العلم فكل ماعلم تعالى انه يكون من الممكنات اولا يكون فذلك مراده عز وجل اه والارادة تتعلق بما تتعلق به القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر (و) السابعة (التكوين) وهو المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع ونحو ذلك ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود قاله السعد فى شرح العقائد وفى شرحه للمقاصد اسند القول بالتكوين الى الشيخ ابى منصور الماتريدى واتباعه وهم ينسبونه الى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ ابى الحسن الاشعرى حتى قالوا ان قول ابى حنيفة والطحاوى له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق اشارة الى هذا ثم اطبقوا على اثبات ازلية التكوين ومغايرته للقدرة وكونه غير المكون وان ازليته لا تستلزم ازلية المكونات اه وقد حققناه فى المطالب الوفية (و) الثامنة (الكلام) وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت الذى هو ترك التكلم مع القدرة عليه والآفة التى هى عدم مطاوعة الآلة اما بحسب الفطرة كما فى الخرس او بحسب ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما فى الطفولية ولاخلاف لارباب الملل والمذاهب فى كون البارى تعالى متكلما وانما الخلاف فى معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعندنا كلامه مامر وخالفنا فى ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود وان الكلام النفسى غير معقول لهم ذكره اللاقانى وقال السعد فى شرح العقائد كلام الله صفة واحدة متكثرة الى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فان كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث انما هو فى التعلقات والاضافات لما ان ذلك اليق بكمال التوحيد ولانه لادليل على تكثر كل منها فى نفسها (الذى ليس) هو (من جنس الحروف) اللفظية والرقمية (والاصوات) لانها اعراض حادثة وكلامه تعالى قديم فهو منزه عنها ونقل المقرى عن ابن مرزوق انه قال فى بعض اجوبته القرآن يطلق ويراد به القراءة وهى الحروف والاصوات ويطلق ويراد به المقروء وهو كلام الله الذى هو معنى قائم بذاته تعالى وهذا قديم والاول حادث وقال امام الحرمين فى الارشاد القراءة عند اهل الحق اصوات القراء ونغماتهم وهى اكسابهم التى يؤمرون بها فى حال القراءة ايجابا فى بعض العبادات وندبا فى كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار ودل عليه المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكساب العباد

﴿ ويستحيل ﴾

ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب والتعنيف بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات والقراءة هي التي تستطاب من قارئ وتستبشع من اخر وهي الملحونة والقويمة المستقيمة وتتنزه على كل ماذكرناه الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الانصاف ان الاصوات التي يبح لها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة منها اوداجه وتقع على حسب الايثار والاختيار محرفا وقويما وجهوريا وزخيما ليس كلام الله تعالى فهذا القول في القراءة واما المقروء بالقراءة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذي تدل عليه العبارات وليس منها ثم المقروء لايحل القارى ولايقوم به وسبيل القراءة والمقروء كسبيل الذاكر والمذكور فالذكر يرجع الى اقوال الذاكر والرب المذكور والمسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد والعرب صنفت انواع الدلالات على المدلولات بالعبارات فسمت انباء الشعرا نشادا والانباء عن الغائبات التي ليست من قبيل الكلام ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى بالاصوات قراءة وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا بمصحف ولاقائما بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب وقد يعبر بها عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم منها كلام الله تعالى وهذا بمثابة اطلاق القول بان الله تعالى مكتوب في المصاحف وليس المعنى بذلك اتصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام (والقرآن) العظيم (كلام الله) تعالى (غير مخلوق) ولم يقل القرآن غير مخلوق بلاقوله كلام الله لئلا يسبق الى الفهم ان المؤلف من الحروف والاصوات قديم كما ذهب اليه الحنابلة وقرأت بخط بعض المتأخرين نقلا من كتاب السنة للامام ابي عبدالرحمن عبدالله بن الامام احمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه قال عبدالله سمعت ابي يقول من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لان القرآن من صفة الله وفيه اسماء الله وحدثني ابي حدثنا شريح بن النعمان اخبرني عبدالله بن نافع قال كان مالك بن انس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب واخرج عن عبدالله بن المبارك من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن سفيان بن عيينة القرآن كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر اه وحدثني محمد بن ابراهيم الدرقي حدثني يحيى بن يوسف قال حضرت عبدالله بن ادريس فقال له رجل يا ابا محمد ان قبلنا اناس يقولون القرآن مخلوق فقال من اليهود قال لاقال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوس قال لاقال فممن قال من الموحدين قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان الله مخلوق ومن زعم ان الله مخلوق فقد كفر هؤلاء زنادقة واخرج عن وكيع بن الجراح من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم انه محدث فيستتاب فان تاب والاضربت عنقه وعنه من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن يزيد ابن هارون انه حلف والله الذي لا اله الاهو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة

من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن معاذ بن معاذ من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن شبابة بن سوار وعبد العزيز بن ابان القرشي قال القرآن كلام الله ومن زعم انه مخلوق فهو كافر وعن ابن ابي مريم من زعم ان القرآن مخلوق فهو كافر وعن يحيى بن معين من قال القرآن مخلوق فهو كافر اه وذكر ابن الكمال فى بعض رسائله ان اباحنيفة وابايوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة اشهر ثم استقر رأيهما على ان من قال بخلق القرآن فهو كافر وقد ذكر فى الاصول ان قول ابي حنيفة ان القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على ان القائل به مبتدع ضال لا كافر (ورؤية الله تعالى) فى اليقظة (بالابصار) جمع بصر وهو حس العين ومن القلب نظره وخاطره كذا فى القاموس والمراد الاول لانه موضع الخلاف بين اهل السنة وغيرهم (جائزة فى العقل) على معنى ان العقل اذا خلاه ونفسه لم يحكم بامتناع ان تتعلق به تعالى رؤية الرائي اذ لم يرده برهان عن ذلك وهذا لا ينافي وجوب الرؤية سمعا لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الاجماع قبل ظهور المخالفين عليها قاله اللاقاني وفى شرح المقاصد للسعد ذهب اهل السنة الى ان الله تعالى يجوز ان يرى وان المؤمنين فى الجنة يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان وخالفهم فى ذلك جميع الفرق فان المشبهة والكرامية انما يقولون برؤيته فى الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى عن ذلك ولا نزاع للمخالف فى جواز الانكشاف التام العلمي ولا لنا فى امتناع ارتسام صورة من المرئي فى العين واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي لو حالة ادراكية تستلزم لذلك وانما محل النزاع انا اذا عرفنا الشمس مثلا بحد او رسم كان نوعا من المعرفة ثم اذا ابصرناها وغمضنا العين كان نوعا آخر فوق الاول ثم اذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الادراك فوق الاولين نسميه الرؤية ولا يتعلق فى الدنيا الا بما هو فى جهة ومكان فمثل هذه الحالة الادراكية هل تصح ان تقع بدون المقابلة والجهة وان تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان ولم يقتصر الاصحاب على ادلة الوقوع مع انها تفيد الامكان ايضا لانها سمعيات ربما يدفعها الخصم بمنع امكان المطلوب فاحتاجوا الى بيان الامكان اولا والوقوع ثانيا ولم يكتفوا بما يقال الاصل فى الشيء سيما فيما ورد به الشرع هو الامكان ما لم تدفع عنه الضرورة او البرهان فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لان هذا انما يحسن فى مقام النظر والاستدلال دون المناظرة والاحتجاج وفى شرح الصحائف اتفق اهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزها عن المسامتة والمحاذات والجهة والمكان خلافا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية وان جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم انما جوزوا لاعتقاد كونه تعالى جسما حاصلا فى الجهة واما بتقدير كونه تعالى منزها عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته فالرؤية المجردة عن الجسمية والمكان انما ذهب اليها اهل السنة فقط والمسامتة هي ان يكون المرئي مقابلا للعين بحيث لو اخرج خط مستقيم من الحدقة قائما على سطحها

لم على المرئ والمحاذاة اعم من ذلك وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في اثباته والغاية فيه بيان الجواز وتقرير قول الصادق وبيان الجواز يبطل قول المنكرين لانهم يحيلونها وبيان جواز الرؤية على الوجه المعقول ان المشاهدة هي ادراك عين الحاضر وان الله تعالى كامل العلم لايعزب عنه شئ ويدرك عين الاشياء لان عدم هذا النوع من الادراك نقص محال فحينئذ يدرك عين ذاته الموجودة في الخارج فتكون عين ذاته الموجودة مشاهدة له فجاز على ذاته الموجودة المعينة ان تكون مشاهدة فعلم ان ذاته الموجودة المتنزهة عن الجسمية والجهة قابلة للمشاهدة والقابلية لاتختلف بالقياس الى الاشياء لانها ذاتية ونسبة الذات في اقتضاء القابلية الى جميع الابصار واحدة فتكون قابلة بالنسبة الى ابصارنا والتفاوت لو كان فانما يكون من جهة الرائي بان لايكون قويا على مشاهدته واعيننا رائية للاشياء الممكنة الرؤية فتكون قوية على ذلك اوبعد خلق تلك القوة في اعيننا والمؤمنون في الخلد روحانيون كالملائكة فعلم انما جاز ان نرى الله تعالى اذا تجلى من غير اين وجهة ومسافة وهذا هو الوجه المعقول في بيان جواز رؤية الله تعالى وههنا وجه آخر منقول عن امير المؤمنين على رضي الله عنه واولاده عليهم الرضوان ان لارواحنا ادراكا آخر ندرك به الاشياء باعيانها بدون توسط الحاسة اذا تجردت الروح بالارتياض والاعراض عن الاغراض البدنية الحيوانية واللذات الشهوانية وكذا هذا تواتر من مرتاضي الملل المختلفة في الاوقات المتغايرة انا قد ندرك بعد التصفية والتجريد الاشياء البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال العائقة ونسمع كلامهم وقد امتحن ما اخبروا فقد اصابوا ومثل هذا التواتر يفيد اليقين وانما الارتياب في التواتر الذي صدر من امة واحدة اووقت واحد وهذا مما اتفق عليه العقلاء وايده قوله عليه السلام حكاية عن المعراج رأيت ربي بقلبي مرتين نص على الرؤية وخص بمرتين فخرج الكشف والعرفان فلعل هذا هو الوجه في هذا المطلوب وفي طريق سماع الكلام بالوحي والالهام وهذا الادراك لايمتنع ان تكون العين مع ذلك طامحة وان لم يكن لها مدخل في هذه الرؤية فيصدق انا نراه باعيننا على ان الباء بمعنى مع وحينئذ سقطت شبهة المعتزلة واستجابهم من رؤية مالايكون في جهة لان هذا انما يستبعد في الرؤية التي بسبب العين اذ لابد حينئذ من المقابلة وغيرها من الشرائط واما اذا سقطت العين عن درجة الاعتبار في السببية وكان السبب شيئا آخر غير محتاج اليها والعين مصاحبة له فمعلوم ان امثال هذه الشرائط في حيز الاسقاط وهذا سر هذا الموضع واما رؤية الله تعالى في المنام فقد حكى القول بها عن كثير من السلف وفي شرح الشيبانية لابن قاضي عجلون وقد وقع الخلاف في رؤية الله تعالى في المنام فمنهم من منعه لكن معظم المثبتين للرؤية على جوازه من غير كيفية وجهة وحكى كثير من السلف انهم رأوه عز وجل كذلك (واجبة بالنقل) وهو الكتاب

والسنة واجماع الامة من السلف الصالحين والخلف المتقين الى يوم الدين (فى الدار الآخرة) وهى غير الدار الدنيا فيشمل ذلك مابعد الموت الى مالانهاية له ومواطن الآخرة ثلاثة عالم القبر وعالم الحشر وعالم القرار فى جنة اونار والثلاثة بعد الموت وقد ورد فى الحديث قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا فالموت غاية لنفى الرؤية فى الدنيا فاذا وجد الموت انتهى نفى الرؤية الممنوعة فى الدنيا ومضى حكم الدنيا واتى حكم الآخرة فمن الموتى من ينعم الله عليه بالرؤية عند موته ومنهم فى عالم البرزخ ومنهم من لايرى ربه الى يوم القيامة فى الموقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لايراه ابدا كاهل الكفر على ماسنذكره (فيرى) بالبناء للمفعول اى يراه المؤمنون (لافى مكان) لانه تعالى ليس له مكان (ولا) على اعتبار (جهة) من الجهات الست لعدم وجود الجهة فى حقه تعالى كما قدمناه (من مقابلة) بينه تعالى وبين الرائى وهو بيان لاعتبار الجهة (واتصال شعاع) يخرج من بصر الرائى فيقع عليه تعالى (وثبوت مسافة) بينه وبين الرائى لان هذا كله فى رؤية الاجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الاجسام فان الرؤية تابعة للشئ على ماهو عليه فمن كان فى مكان وجهة لايرى الافى مكان وجهة كما هو كذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن فى مكان ولاجهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس فى مكان ولاجهة ولامقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة والالم تكن رؤية له بل لغيره وقال اللاقانى فى شرح جوهرته والمراد انه ينكشف سبحانه انكشافا تاما بحاسة البصر لكل فرد فرد من المؤمنين وهذا مجمع عليه فى الجملة وان اختلف العلماء فى بعض جزئياته وافراده وزمانه ومكانه فقد قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام ان الملائكة لاترى ربها فى الآخرة متمسكا بعموم قوله تعالى لاتدركه الابصار فانه عام خص منه مؤمنوا البشر بالنص فبقى على عمومه فيمن عداهم والحق انهم يرونه سبحانه كما نص عليه الاشعرى ووافقه البيهقى والبلقينى وجزم الجلال السيوطى بان الجن تحصل لهم الرؤية فى الموقف مع سائر الخلق قطعا وتحصل لهم فى الجنة فى وقت ما من غير قطع بذلك واما انهم يساوون الانس فى الرؤية فى كل جمعة فالظاهر خلافه وقد اختلف العلماء فى رؤية النساء الله تعالى فى الآخرة على ثلاثة مذاهب احدها لايرينه لقصرهن فى الخيام ولعدم تصريح الاحاديث برؤيتهن والثانى يرينه اخذا من عموم النصوص الواردة فى الرؤية والثالث يرينه فى الاعياد فانه تعالى يتجلى فيها تجليا عاما فيرينه فى مثل هذه الحالة دون غيرها وبه جزم السيوطى وفى المؤمنين من الامم السابقة احتمالان لابن ابى جمرة اظهرهما عنده مساواتهم فى الرؤية لمؤمنى هذه الامة واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فانهم لايرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * وقيل انهم يرونه ثم يحجبون فيكون عليهم حسرة والدليل على حصول الرؤية لاهل الجنة

دة
غير
حابة
لمات

﴿ من ﴾

من القرآن قوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * قال فى شرح الصحائف النظر اما الرؤية او تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته فان كان الاول فقد حصل المطلوب وان كان الثانى تعذر ههنا حمله على ظاهره لان تقليب الحدقة انما يكون نحو المرئى الذى يكون فى الجهة فلابد من حمله على الرؤية لان النظر بسبب الرؤية واطلاق لفظ السبب وارادة المسبب من اقوى وجوه المجاز فحينئذ يكون المراد بالنظر الرؤية ولزم المطلوب وقوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * فسر جمهور ائمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية وقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * فاخبر تعالى انه حقر شان الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المؤمنون غير محجوبين وهو معنى الرؤية قاله اللاقانى وفى شرح المقاصد والنص من السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته وقوله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة * واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيه وفى حديث مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال القرطبى فى شرح هذا الحديث ومذهب اهل السنة باجمعهم ان الله تعالى ينظر اليه المؤمنون فى الآخرة بابصارهم كما نطق بذلك الكتاب واجمع عليه سلف الامة ورواه بضعة عشر من الصحابة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنع ذلك فرق من المبتدعة منهم المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة (والعالم) بفتح اللام قال السعد هو ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك فتخرج صفات الله تعالى لانها ليست غير الذات كما انها ليست عينها (بجميع اجزائه) التى هى الجواهر الفردة والاعراض خلافا للفلاسفة فانهم اثبتوا العقول والنفوس المجردة عن المادة والهيولى (و) جميع (صفاته) من التركيب والبساطة وغير ذلك (ولو افعال العباد) المكلفين وغيرهم من الانسان وغيره فانها من اجزاء العالم ايضا (خيرها) اى الخير منها وهو ما وافق الشريعة المحمدية (وشرها) اى الشر منها وهو ما لم يوافق الشريعة المحمدية وكذلك الاختيارى منها والاضطرارى (حادث) جميع ذلك على المعنى الذى يقصده اهل السنة وهو انه خارج من العدم الى الوجود بمعنى انه كان معدوما فوجد فان الفلاسفة وان اطلقوا القول بالحدوث لما سوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج الى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه كما ذكره السعد (بخلق) اى ايجاد وتقدير (الله) تعالى قال فى القاموس الخلق التقدير والخالق فى صفاته تعالى المبدع للشئ المخترع على غير مثال سبق (لا خالق) لجميع ما ذكر (غيره) سبحانه وتعالى ولا طبيعة ولا سبب يؤثر فى العالم اصلا (وتقديره) معطوف على بخلق الله تعالى اى

وحادث بتقدير الله تعالى ايضا ويقال له القدر بالتحريك والقدر بالسكون ايضا وهو مايقدره الله تعالى من القضاء كذا فى الصحاح وقال السعد هو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر ومايحوبه من زمان ومكان ومايترتب عليه من ثواب وعقاب (وعلمه) اى وبعلمه سبحانه ايضا (وارادته) تعالى لجميع ذلك من الازل وسبق بيان العلم والارادة (وقضائه) جل وعلا لجميع ماذكر وهو حكمه الازلى بكل ماقدره فى الازل فالتقدير بعين المحكوم به والقضاء هو الحكم بذلك المعين فهما نعتان للوصف الواحد الالهى القديم الذى يستحيل عليه التغير والتبدل فمن جهة انه حكم على الماهيات باوصافها الخاصة بهـا من مقدار مخصوص وزمان ومكان ونحو ذلك مماهو مفصل فى حضرة العلم القديم الازلى يسمى قضاء ومن جهة انه تحديد وتقييد للماهيات المذكورة ببعض مايجوز عليها مماهو ثابت لها فى حضرة العلم القديم يسمى تقديرا وقدرا (وللعباد) المكلفين بالامر والنهى (اختيارات) جمع اختيار من اختار الشئ اذا انتقاه لانهم ينتقون بنظر عقولهم مايترجح عندهم فعله لغرض دنيوى او اخروى ولاجبر لاحد فى فعله الاختيارى اصلا وان كان الاختيار ليس موجودا فيه بالاختيار لئلا يلزم التسلسل (لافعالهم) التى كلفهم الله تعالى بها وطلب منهم الاتيان بها فى الخير والانكفاف عنها فى الشر (بها) اى بسبب تلك الاختيارات المخلوقة لله تعالى فيهم (يثابون) اى يثيبهم الله تعالى يوم القيامة على ماصدر منهم من الخير مما خلقه الله تعالى منسوبا اليهم بسبب خلق الله تعالى ارادتهم له (وعليها) اى لاجل تلك الاختيارات (يعاقبون) اى يعاقبهم الله تعالى يوم القيامة حيث صدر منهم بها افعالا من الشر خلقها تعالى لهم منسوبة اليهم بسبب خلقه ارادتهم لها وحيث ثبت ان للانسان اختيارا خلقه الله تعالى فيه فقد انتفى مذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور على فعل الخير والشر ثم ان ذلك الاختيار الذى خلقه الله تعالى فى الانسان يخلق الله تعالى عنده لا به ولا فيه ولا منه افعال الخير والشر فينسبها للانسان فيكون اختيار الانسان المخلوق فيه بمنزلة يده المخلوقة له بحيث لاتأثير لذلك فى شئ مطلقا غير مجرد قبول صحة النسبة بخلق الله تعالى فيه صحة ذلك القبول فانتفى مذهب القدرية القائلين بتأثير قدرة العبد فى الخير والشر قال امام الحرمين فى الارشاد اتفق سلف الامة قبل ظهور البدع والاهواء واضطراب الآراء على ان الخالق المبدع رب العالمين ولاخالق سواه ولامخترع الاهو وهذا مذهب اهل الحق فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى ولافرق بين ماتعلقت قدر العباد به وبين ماتفرد الرب تعالى بالاقتدار عليه ويخرج من مضمون هذا الاصل ان كل مقدور لقادر فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشئه (والحسن منها) اى من افعال العباد وهو الموافق لما اذن الله تعالى به فى الشرع (برضاء الله تعالى) اى يرضى تعالى بفعله من العبد او يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضاء ترك الاعتراض وفسره

بعضهم بالارادة من غير اعتراض و برادفه المحبة وهذا فى المحبة القديمة واما المحبة الحادثة فهي ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقرب اليه ذكره اللاقانى وعلى هذا فيكون قوله بعده (ومحبته) تأكيدا للرضاء بمرادفه اى بمحبته تعالى لذلك النوع من الافعال وللعبد فيخلق له ذلك النوع من الافعال قال ابن اقبرس فى فتح الصفا شرح الشفا محبة الله تعالى للخلق مؤولة قطعا وقال لانه لا يكون عن ميل القلب ولا النفس ولا من رؤية الطاعة له ولا من سبب من جنس الاسباب الموجبة لمحاب الخلق بل كل صفة من اوصاف الله تعالى من العلم و القدرة والارادة وغيرها وان اتفقت فى اسماء صفات خلقه فلا يشبه حقيقتها حقيقة اوصاف الخالق حتى الوجود الذى يعم الخالق والمخلوق جميعا وذلك لان وجود الخلق عن عدم ووجود الخالق واجب لذاته ووجود كل ماسواه مستفاد منه ومن دقق النظر علم انه ليس فى الكون الا الله تعالى وافعاله منه وانه ليس فى الوجود شئ ثابت الا هو وحده لا شريك له وقرأ بعضهم على الشيخ سعيد بن ابى الخير قوله تعالى * يحبهم و يحبونه فقال الحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه على معنى انه ليس فى الكون الا هو وماسواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فاذا لا يجاوز نفسه لان نفسه قائمة بنفسه وماسواه قائم به فهو لا يحب الا نفسه اه فمحبة الله تعالى لبعض الاعمال والاشخاص محبة منه تعالى لمصنوعاته المتقنة المحكمة وجميع مصنوعاته متقنة محكمة فلا باعث حينئذ لمحبته ولا غرض له فيها اصلا بل ذلك مجرد فضل منه تعالى على ذلك المصنوع وكذلك بغضه تعالى لبعض الاعمال والاشخاص عدل منه تعالى من غير علة ولا غرض (والقبيح منها) اى من افعال العباد وهو غير الموافق لما اذن الله به (ليس صادرا) من المكلفين (بهما) اى بسبب رضاء الله تعالى ومحبته بل ببغضه سبحانه وكراهته قال ابن اقبرس فى شرح الشفا اعلم ان ههنا قاعدة شريفة ينبغى ان تعلم وهى ان الاعراض النفسانية كالفرح والرحمة والسرور والحياء والمكر والخداع والاستهزاء لها اوائل وغايات فاذا وصف الله بشئ منها كان محمولا على الغايات لا على البدايات مثلا الغضب كيفية تعرض للنفس بسببها يغلى الدم وتحرك الروح الى خارج دفعا للمكروه وطلبا للانتقام فابتداؤه الدم وحركة الروح وغايته الانتقام من المغضوب عليه فهو فى حق الله تعالى محمول على ارادة الانتقام اذا طلاقه عليه بحسب الابتداء محال والحياء له اول وهو انكسار يحصل فى النفس وله غرض وهو ترك الفعل فاذا اطلق على الله تعالى حمل على ترك الفعل لا على الابتداء لانه محال عليه تعالى وعلى هذا فقس فهي قاعدة كلية وضابط لطيف فاعلمه (والثواب) يوم القيامة للمؤمنين المطيعين (فضل) اى احسان وانعام (من الله تعالى) على عباده (والعقاب) للكافرين ومن يشاء من العاصين (عليل) منه تعالى فى عباده

اى انصاف وعدم ظلم وجور (من غير ايجاب) من احد عليه تعالى شيئا من ذلك (ولاوجوب عليه) تعالى بمقتضى ربوبيته ومربوبية غيره له (سبحانه ولااستحقاق من العبد) لشئ من ذلك اصلا وذكرنا فيما تقدم انه قال الاصبهانى فى شرح الطوالع واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولاالعقاب على المعصية لانه لايجب على الله تعالى شئ وكل ميسر لماخلق له فالمطيع موفق ميسر لماخلق له وهوالطاعة والعاصى ميسر لماخلق له وهوالمعصية وليس للعبد فى ذلك تاثير والله مخلد المؤمن الموفق للطاعات فى جنانه وفاء بوعده قال عز من قائل* ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا* ويعذب الكافر المعاند المعرض عن الحق فى نيرانه ابدا بمقتضى وعيده فى قوله تعالى * ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها ابدا* وقال السعد فى شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لاتفى بشكر بعض ما انعم الله تعالى عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها ولواستحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على مايوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذى يقوم بمؤنته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذى يربيه وعلى مراعاته وتوخى مرضاته وايضا لووجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق كما مر (والاستطاعة) التى يوجد بها الفعل فى الخارج (مع الفعل) المأموربه او المنهى عنه او المباح اى مقارنة له لامتقدمة عليه ولامتأخرة عنه وهى حقيقة القدرة التى بها يكون الفعل لانها عرض يخلقه الله تعالى فى الحيوان يفعل بها الافعال الاختيارية والجمهور على انها شرط لاداء الفعل شرعا (وتطلق) اى الاستطاعة المذكورة (على سلامة الاسباب) التى بها حصول الامر المكلف به كاسباب العادات واسباب العبادات من حيث ماهو خارج عن ذات المكلف (و) سلامة (الآلات) التى تتأتى بها تلك الاسباب كالحواس والجوارح والاعضاء من حيث ذات المكلف والحاصل ان الاستطاعة تطلق بازاء معنيين المعنى الاول القدرة التى يوجد بسببها الفعل ويحصل فى الخارج وهى لاتتصور الامقارنة له لانها عرض يستحيل بقاؤه فلوكانت قبله انعدمت عنده لامتناع بقاء الاعراض فيلزم ان يحصل بدونها فيلزم الجبر وهوممتنع وان كانت بعده فكذلك ايضا فلم يبق الاالمقارنة ولايتصور ان تكون شرطا للتكليف الشرعى لانه قبل الفعل وهى مقارنة للفعل فيلزم تكليف غير المستطيع والمعنى الثانى سلامة الاسباب والآلات وهى قبل الفعل وقبل الاستطاعة

بالمعنى الاول (وصحة التكليف) بالاحكام الشرعية (نعتمد) من جهة الشارع (عليها) اى على الاستطاعة بهذا المعنى الثانى لا الاستطاعة بالمعنى الاول فلا يكلف الله تعالى احدا الا اذا كانت اسباب عاداته وعباداته مهيئة قابلة لاستعمالها والآلة سالمة قابلة للاستعانة بهـا سواء وجدت فيه القدرة التى يتيسر بهـا وجود الفعل اولم توجد (ولا يكلف) بالبنا للمفعول اى لا يكلف الله تعـالى (العبد) العاقل البالغ (بما ليس فى وسعه) اى طـاقته وقدرته واستطاعته والوسع هنا معناه الاستطاعة بالمعنى الثانى وهى سلامة الاسباب والآلات دونها بالمعنى الاول والمراد انه تعـالى لا يكلف بالاحكام الا من تهيئت عنده اسبابها وسلمت آلاتها فهو المكلف بها وهذا معنى اقداره عليها وانتفاء الجبر عنه والعجز والقهر كما قال تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* قال السعد فى عدم تكليف العبد بما ليس فى وسعه سواء كان ممتنعا فى نفسه كجمع الضدين اوممكنا كخلق الجسم واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصى فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه ثم عدم التكليف بما ليس فى الوسع متفق عليه لقوله تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* وانما النزاع فى الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلى وجوزه الاشعرى لانه لا يقبح من الله تعالى شئ (والمقتول ميت باجله) الذى قدره الله تعالى له لان الله تعالى حكم بآجال العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى *فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون* والاجل قد يكون قتلا اوغيره بمرض اوغيره وكل ذلك بتقدير الله تعـالى ووجوب القصاص والضمان على القاتل حكم شرعى لا مدخل للعقل فيه وذلك بسبب ارتكابه المنهى عنه وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعـالى عقيبه الموت بطريق جرى العادة (والاجل واحد) لا كما زعم الكعبى من المعتزلة ان للمقتول اجلين القتل والموت وانه لولم يقتل لعاش الى اجله الذى هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين وآجالا اخترامية بحسب الآفات والامراض وفى شرح الجزائرية للسنوسى الاجل عرفا هو منتهى زمن الحياة وسمى اجلا لانه الوقت المقدر للموت كالاوقات المقدرة لقبض الديون ونحوها فمن قتل فاجله عند اهل الحق هو ما علم الله موته فيه وهو وقت قتله واستدل اهل الحق على ذلك بان علم الله تعـالى تعلق ازلا بالمعلومات على ما هى عليه فيلزم ان يكون الاجل المقدر لموت كل حى واحدا لا يمكن فيه التبدل اذ تقديره انما هو على وفق علم الله تعالى وعلمه يستحيل عليه التخلف (والحرام) وهو ما نص الله تعالى عليه اورسوله عليه السلام او اجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه اوجنسه او اقتضى القياس الجلى ذلك اوورد فيه حد اوتعزير اووعيـد شديد غير مؤول سواء كان تحريمه لمفسدة اومضرة خفية كالزنا ومذكى المجوس اولمفسدة ومضرة واضحة كالسم والخمر فان المنتفع به اما معدن

اونبات اوجيوا ن ونو ابعه فالمعادن باسرها حلال الا الضار منهـا على انه لايختص بها بل لوضر العسل بعض ارباب الامزجة الحارة حرم عليه اكله والنبات كذلك الاما ازال الحياة كالسم اوالعقل كالخمر وسائر المسكرات قال بعضهم والمخدرات كالحشيشة والافيو ن والبنج وكذا جوزة الطيب واما الحيوان فكل ماورد النص على اكله فهوحلال كالبقر والغنم والابل وكل ماورد النص على عدم اكله فهو حرام ومالانص فيه يرجع فيه الى ذوى الطباع السليمة من العرب فـا استخبثوه فهو حرام ومالا فحلال كذا ذكره اللاقانى فى شرح جوهرته (رزق) بالكسر فى الاصل مصدر سمى به الشئ المرزوق واما بالفتح فهو مصدر (وكل) اى كل واحد من النـاس والحيوان وغيرهما (يستوفى) اى يتناول و يستعمل (رزق نفسه) الذى قدره الله تعالى له من الازل (لا) يتصور ان احدا (يأكل رزق غيره) اصلا (ولا) يتصور ان يأكل (غيره رزقه) والالتغير مقدور الله تعـالى ولم يجر على طبق مراده سبحانه وهومحال والحاصل ان الرزق عنداهل السنة والجماعة كل ماانتفع به الحيوان سواء كان حلالا اوحراما اوشبهة قال امام الحرمين فى الارشاد الرزق يتعلق بمرزوق تعلق النعمة بمنعم عليه والذى صح عندنا فى معنى الرزق ان كل ماانتفع به منتفع فهورزقه ولافرق بين ان يكون متعديا بانتفاعه وبين ان لايكون متعديا به ثم الرزق ينقسم الى المحظور والمباح والا فان من اغتذى بالحرام طول عمره وانصرفت انتفاعاته الى الجهات المحظورة من كل وجه يلزم ان يقال لم يدر عليه من الله رزق ومارزقه الله قط وتلك عظيمة لاينتحلها متدين (وعذاب) مبتدأ ومابعده معطوفات عليه والخبر قوله فيمـا سيأتى كله حق (القبر) قيد القبر جرى على الغالب اوقبر كل انسان بحسبه وقال العلماء عذاب القبر هوعذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغـالب والا فكل ميت اراد الله تعالى تعذيبه ناله ما اراد الله به قبر اولم يقبر ولوصلب او غرق فى بحر اواكلته الدواب اوحرق حتى صار رمادا وذرى فى الريح ومحله الروح والبدن باتفاق اهل السنة وكذا القول فى النعيم قاله اللاقانى (للكافرين) اى الكائن لهم كلهم (ولبعض عصاة المؤمنين) ممن مات قبل التوبة ولم يشأ الله تعالى ان يغفرله واما من شاء له المغفرة فلا يعذبه كما قال تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء * وقال اللاقانى ولايختص عذاب القبر بكافر ولامنافق بل قديكون لعصاة المؤمنين كما لايختص بهذه الامة ايضـا وقال القزوينى فى حاشية شرح العضد للجلال الدوانى فى الاستدلال على ذلك لقوله تعالى * النار يعرضون عليها الآية حيث عطف عذاب القيامة على عرض النار غدوا وعشيا اذمنه يعلم انه غيره ولمـا كان نزول الآية فى شان الموتى علم ان لهم عذابا غيرعذاب يوم القيامة وهوليس الاعذاب القبر هذا وانت تعلم انه يدل على عذاب القبر للكافرين دون المؤمنين لان الكلام فيهم لافى المؤمنين فتأمل وقوله

تعالى * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * على تقدير تمامه دليلا يثبت عذاب القبر في حق المؤمنين دون الكافرين اه فمجموع الآيتين يثبت بهما عذاب القبر للكافرين والمؤمنين وهو المطلوب والمراد بالاماتتين اماتة في الدنيا قبل القبر واماتة في القبر بعد السؤال وبالاحياءين احياء في الدنيا قبل الموت واحياء في القبر للسؤال وقال تعالى في قوم نوح عليه السلام * اغرقوا فادخلوا نارا * والفاء للتعقيب فادخال النار عقيب الاغراق قبل البعث فان الادخال في النار بعد البعث لايكون عقيب الاغراق وقال النبي صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه (وتنعيم اهل الطاعة) من المؤمنين (فيه) اى القبر يعني كأن ذلك فيه (بما) اى بالوصف الذى (يعلمه الله تعالى ويريده) للعبد المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران وكما تقدم في عذاب القبر تعالى في نعيمه سواء قبر العبد اولم يقبر حتى لوصلب اوغرق في بحر اواكلته الدواب اوحرق وكان مؤمنا مطيعا كان له نعيم القبر لروحه وجسده جميعا وقيل ان التنعيم والتعذيب انما هو على الروح وحده ويجوز ان يكون معه جزء من البدن (وسؤال منكر ونكير) بفتح كاف الاول وهما ضد المعروف سميا به لانهما لايشبه خلقهما خلق آدمي ولاملك ولاغيرهما وهما اسودان ازرقان جعلهما الله تعالى نكرة للمؤمنين ببصره وبثبته وعذابا على غيره ذكره المناوى في شرح الجامع الصغير وتفصيل الكلام في سؤال القبر ذكرناه في المطالب الوفية (والبعث) وهو مشتق من بعث الشئ من مكانه اذا اثره وهو اعادة الموتى من قبورهم كما كانوا في الدنيا ارواحا واجسادا (والوزن) وهو مساواة شئ بآخر بآلة مخصوصة قال اللاقاني توزن حقائق الاعمال وذواتها بان يجعل الله سبحانه تلك الاعمال اجساما نورانية في الحسنات وظلمانية في السيئات ثم نطرح تلك الاجسام في الميزان الاولى في اليمين والثانية في الشمال وفي شرح الشيبانية للشيخ علوان الحموى ومذهب اهل السنة ان اقوال بني آدم وافعالهم توزن باعتبار ان الله تعالى يخلق من اعراضها اجراما واجساما اوباعتبار الصحف المكتوبة المشتملة على الحسنات والسيئات وقيل توزن الاشخاص وفي بحر الكلام قال بعضهم يوزن العبد مع عمله (والكتاب) الذى كتبته الملائكة الحفظة على المكلف في الدنيا بجميع مافعله وقيل الذى كتب في القبر بناء على حديث رومان الضعيف ولاينافي هذا ان الملائكة ترفع لكل عبد في كل يوم وليلة صحيفة اما لوصلها كلها فتصير صحيفة واحدة يعني كتابا واحدا واما بنسخ مافي جميعها في واحدة كما صرح به الغزالى وقال اللاقاني فان قلت دلت الآيات على ان المؤمن الطايع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله فاحكم المؤمن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة قلت جزم الماوردى بان المشهور انه يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولاقائل بانه يأخذه بشماله وقال يوسف ابن عمر اختلف في عصاة المؤمنين فقيل يأخذون كتبهم بيمينهم وقيل بشمالهم واختلف

الاولون فقيل يأخذونها قبل الدخول فى النار ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها ومن اهل العلم من توقف فيهم لتعارض النصوص (والسؤال) اى سؤال الله تعالى عباده المكلفين يوم القيامة وهو حسابهم وقد اختلف العلماء فى معنى كونه تعالى محاسبا عباده على ثلاثة اقوال احدها انه تعالى يعلمهم مالهم وما عليهم قال الفخر الرازى بان يخلق الله سبحانه فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب وثانيها ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم كتب اعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وثالثها ان يكلم الله تعالى عباده فى شأن اعمالهم وكيفية مالها من الثواب والعقاب قال الفخر امابان يسمعوا كلامه القديم او يسمعوا صوتا يدل عليه يتولى تعالى حساب خلقه فى اذن كل واحد من المكلفين اوفى محل يقرب من اذنه بحيث لاتبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كلف به ولا شك فى صحة شهادة الآثار الصحيحة له واعلم ان كيفيات الحساب مختلفة واحواله متباينة فنه اليسير ومنه العسير ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل (والحوض) واحد الاحواض والحياض وهو معروف من حاضت المرأة سال دمها لان الماء يسيل اليه اومن حاض الماء جمعه اشار اليه فى القاموس والمراد به هنا جسم مخصوص طوله وعرضه سواء يشعب فيه ميزابان من الجنة ذكره اللاقانى وهو حوض رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يكون يوم القيامة وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال القرطبى لكل نبى حوض الاصالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته قال ولم اقف على مايدل عليه اويشهد له لكن هذا الحديث اعنى قوله عليه السلام ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانى ارجو ان اكون اكثرهم واردة صريح فى ان الحوض ليس من الخصائص المحمدية لكن اشتهر الاختصاص فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وقال السنوسى فى شرح الجزائرية ان الحوض ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض كما وصفه صلى الله عليه وسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان من الكوثر عليه من الآوانى عدد نجوم السماء حافاته ورائحته المسك وحصباؤه اللؤلؤ لا يظمأ من شرب منه ابدا ويزاد عنه من بدل وغير (والصراط) وهو لغة الطريق الواضح ولغاته الصاد والسين المهملتان والزاى وشرعا كما قال السنوسى فى شرح الجزائرية الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون لاطريق للجنة الا عليه وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماورد به الحديث الصحيح واجمع عليه اهل

السنة وفى شرح الشيبانية لابن قاضى عجلون واما الصراط فهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق والنبى صلى الله عليه وسلم قائم يقول يارب سلم سلم وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماورد فى الحديث الصحيح والناس فى جوازه متفاوتون على حسب ايمانهم واعمالهم والله تعالى يسهل الطريق على من اراد كما جاء فى الخبران منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يجر على وجهه وروى ايضا انه يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع (وشفاعة) وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير من الشفع ضد الوتر كأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين فيما قاله اللاقانى (الرسل) اى رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الانبياء والملائكة ايضا فانهم رسل الله (والاخيار) جمع خير بالتشديد وهو ذو الخير وهم العلماء والاولياء والصالحون كما ورد فى الاخبار والاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك واجمع عليه اهل السنة وعلماء النقل فعن ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يشفع يوم القيامة ثلاث الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفى رواية لابى الزعرا عن عبدالله ثم يأذن الله فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم عيسى اوموسى الشك من ابى الزعرا الراوى عن عبدالله ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لايشفع احد من بعده فى اكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى *عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا* واخرج الترمذى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتى من يشفع للقيام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع لرجل حتى يدخلوا الجنة قال حديث حسن وفى مسند البزار عن ثابت انه سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل يشفع للرجلين والثلاثة وفى الشفاء عن كعب الاحبار ان لكل رجل من الصحابة شفاعة والحق ان الشفاعة العظمى اول المقام المحمود وربما يحسب من الشفعاء رب العالمين ففى الصحيح ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخرله ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لى فيمن قال لااله الا الله قال فيقول ليس ذلك لك اوقال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من قال لااله الاالله والمعنى لاتفضلن عليهم باخراجهم بغير شفاعة احد كما فى حديث شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين ذكره اللاقانى (لاهل الكبائر) من الذنوب (وغيرهم) قال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وفى الاربعين فى اصول الدين للفخر الرازى قال فى الاحتجاج على ثبوت الشفاعة انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمذنبين فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والفاسق مؤمن

بدليل قوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله * سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال تعالى * ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى * سماه مؤمنا حال ماقتل النفس بغير الحق فثبت بهذا ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يستغفر للفاسق ويلزم من ذلك ان الله تعالى يقبل شفاعته عليه السلام فى الفاسق وقال تعالى فى حق الملائكة * ولا يشفعون الالمن ارتضى * وصاحب الكبيرة مرتضى عندالله لانه مرتضى بحسب ايمانه ومن صدق عليه انه مرتضى فى الصفة الفلانية صدق عليه بانه مرتضى وقال تعالى * فاتنفعهم شفاعة الشافعين * ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار فلو كان حال المسلم كذلك لم يبق فى هذا التهديد فرق بين الكافر والمؤمن وكان تخصيص الكافر به عبثا وقال اللاقانى فى شرح الجوهرة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس احديها وهى اعظمها واعمها شفاعة فصل القضاء وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم وثانيتها فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا خاصة به عليه السلام كما قاله القاضى عياض والنووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه ابن حجر قائلا لادليل عليه وثالثتها فى قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضى عياض والسبكى بعدم اختصاصها به عليه السلام وتردد النووى فى ذلك ورابعتها فيمن دخل النار من المؤمنين المذنبين وهذه وقع اطباق القوم على عدم اختصاصها به عليه السلام حيث كان لهم عمل خير زائد على الايمان اذ الشفاعة فى اخراج من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ليخرج من النار خاصة به صلى الله عليه وسلم وخامستها الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة وزاد الاسيوطى فى شرح النقاية شفاعة سادسة وهى الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق ابى طالب وفى الصحيح انا اول شافع واول مشفع وانه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار (والجنة) وهى الحديقة ذات النخل والشجر كذا فى القاموس وقال اللاقانى وهى فى اللغة البستان قاله الجوهرى وقال غيره هى ماتكاثف من الشجر وظللت اغصانه والتف بعضها على بعض وتطلق على دار الثواب فى الآخرة وهى المرادة هنا بجميع انواعها وهل هى سبع جنات متجاورة اوسطها وافضلها الفردوس وهو اعلاها فوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر انهار الجنة كما جاء به الحديث وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الخلد او اربع ورجحه جماعة اخذا من قوله تعالى * ولمن خاف مقام ربه جنتان * ثم بعد وصفهما قال ومن دونهما جنتان * او واحدة والاسماء والصفات كلها جارية عليها لتحقق معانيها كلها فيها خلاف فى ذلك كله (والنار) وهى جسم لطيف محرق يطلب العلو

مركزا وهي مشتقة من نار ينور اذا نفر ونار لان لها حركة واضطرابا وقد تطلق مجازا على النار المعنوية كنار الخوف ونار المحبة كما ان اطلاقها على دار العقاب الاخروى كذلك اطلاقا لاسم الحال على المحل باعتبار اللغة وقد اشتهر بين حملة الشرع اطلاقها عليها وعلى جميع طبقاتها السبع التى اعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيها ابو لهب ثم الهاوية وباب كل من داخل اخرى على استواء كما نبه عليه ابن عطيه وغيره ذكره اللاقانى (الموجودتان الآن) اى فى هذا الوقت قال امام الحرمين فى الارشاد الجنة والنار مخلوقتان اذ لا يحيل العقل خلقهما وقد شهد لذلك اى من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى * وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين * والاعداد يصرح بثبوت الشئ وتحققه وقال تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وتواترت الاخبار فى قصة آدم عليه السلام من الجنة وادخال آدم اياها واخراجه عنها ووعده الرد اليها وكل ذلك ثابت قطعا متلق من فحوى الآيات والمستفيض من نقل الاثبات والثقات وقال اللاقانى وملخصه ان الجنة والنار موجودتان الآن فى عالم يعلمه الله تعالى الذى احاط بكل شئ علما وفى الحديث ان هرقل كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه السلام سبحان الله اين الليل اذا جاء النهار وهو حديث صحيح يشهد له ما اخرجه الحاكم وصححه عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ارأيت جنة عرضها السموات والارض فاين النار قال ارأيت الليل اذا البس كل شئ فاين جعل النهار فقال السائل الله اعلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك الله يفعل ما يشاء (الباقيتان) الى ما لا نهاية له بحيث (لا تفنيان) ولا تزولان ابد الآبدين (ولا) تفنى (اهلهما) اى اهل الجنة والنار بل هم مخلدون فيهما من غير فناء ولا زوال وقال جدنا ابن جماعة المقدسى النابلسى فى شرح بدء الامالى مذهب اهل السنة ان الجنة والنار وكذا اهلهما لا يعرض لهما الفناء خلافا للجهمية وفى شرح العقائد للسعد اى دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى فى حق الفريقين * خالدين فيها ابدا * واما ما قيل من انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * فلا ينافى البقاء بهذا المعنى وذهبت الجهمية الى انهما يفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه شبهة فضلا عن حجة ونقل اللاقانى قال القرطبى ذكر بعض من ينتمى الى العلم انه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة وانه جائز فى العقل ان ينقطع الغضب فيعكس عليه بلزوم جواز انقطاع الرحمة عمن دخل الجنة فيخرجون منها ويدخلون النار وهو خلاف نصوص الشرع قال تعالى * وما هم منها بمخرجين * عطاء غير مجذوذ

وهذا فى حق اهل الجنة وقال فى اهل النار* ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط* وبالجملة هذا قول مخالف للقرآن والسنة والاجماع من الامة (والمعراج) هو السلم والمصعد وعرج عروجا ارتقى كذا فى القاموس والمراد به مطلق الانتقال صعودا حتى يشمل الاسراء فان بيت المقدس اعلى من مكة كما قالوا (لرسول الله) محمد (صلى الله عليه وسلم فى) حال (اليقظة) محركة وهى نقيض النوم وقد يقظ ككرم وفرح يقاظة ويقظا محركة وقد استيقظ كذا فى القاموس (بشخصه) صلى الله عليه وسلم اى بصورته الجسمانية (من المسجد الحرام) الذى بمكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس قال ابن جبل التونسى فى التنوير مختصر التفسير الكبير والمراد بالمسجد الحرم الحرام لاحاطته بالمسجد وهو قول الاكثر وقيل من المسجد بعينه وهو الظاهر والمسجد الاقصى هو بيت المقدس وصف بالاقصى لبعده عن مكة (ثم) من المسجد الاقصى (الى السماء) اى جنسها ليشمل السموات السبع (ثم الى ماشاء الله) سبحانه (من العلى) قال شهاب المكى فى شرح همزية الابوصيرى عن بعض الائمة ان المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى لعرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيق وفى مواهب القسطلانى وقد اختلف العلماء فى الاسراء هل هو اسراء واحد فى ليله واحدة يقظة اومنا ما اواسرا آن كل واحد فى ليلة ومرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما اويقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم منا ما من المسجد الاقصى الى العرش اوهى اربع اسرا آت ثم قال والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك اذ ليس فى العقل ما يحيله (و) جميع (ما) اى الذى (اخبر به) النبى صلى الله عليه وسلم (من اشراط) جمع شرط بالتحريك وهو العلامة كذا فى القاموس (الساعة) وهى الوقت الذى تقوم فيه القيامة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (من خروج الدجال) من دجل كذب اومن دجل البعير طلاه بالدجيل كزبير القطران وعم جسمه لان الدجال المسيح يعم الارض اومن دجل قطع نواحى الارض سيرا اومن دجل تدجيلا غطى وطلى بالذهب لتمويهه بالباطل اومن الدجال للذهب لان الكنوز تتبعه اومن الدجال لفرند السيف اومن الدجالة للرفقة العظيمة اومن الدجال كسحاب للسرجين لانه ينجس وجه الارض ذكره فى القاموس وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال البسطامى الدجال مهدى اليهود ينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدى ونقل عن كعب الاحبار انه رجل طويل عريض الصدر مطموس يدعى الربوبية معه جبل من خبز وجبل من اجناس الفواكه وارباب الملاهى جميعا يضربون بين

بديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلا يسمعه احد الاتبعه الامن عصمه الله قال ومن امارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرة الزنا وسفك الدماء وركون العلماء الى الظلمة والتردد الى ابواب الملوك ويخرج من ناحية المشرق من قرية تسمى سرابادين ومدينة الاهواز ومدينة اصبهان ويخرج على حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض البحر الى كعبيه و يستظل فى اذن حماره خلق كثير ويمكث فى الارض اربعين يوما ثم تطلع الشمس يوما حمراء ويوما صفراء ويوما سوداء ثم يصل المهدى وعسكره الى الدجال فيلقاه ويقتل من اصحابه ثلاثين الفا وينهزم الدجال ثم يهبط عيسى عليه السلام الى الارض وهو متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف راكب على فرس وبيده حربة فيأتى اليه فيطعنه بها فيقتله (و) خروج (دابة الارض) وتسمى الجساسة قال النووى فى شرح مسلم قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وفى تحفة الحبيب للشيخ محمد بن الشيخ علوان الحموى ومما كتب الله ظهوره من اشراط الساعة واخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بوقوعه وخبره صدق لامرية فيه دابة الارض وهى دابة رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وقيل ان وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلقة الطير ويقال بان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض يكون لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن ثم يفشو ذكرها فى البادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم تخرج قريبا من مكة ثم بين الناس فى المسجد الحرام واذا بها قد خرجت ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم ثم تذهب سائحة فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب ومعها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تسم الرجل فى وجهه فيعرف الكافر من المؤمن وقيل بانها تخرج من الصفا وتضطرب الارض لخروجها فاول ما يبدأ منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش ويقال بانها تخرج من شعب جياد فاذا خرجت تكلمت بكلام عربى فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول قوله تعالى * ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (و) خروج (يأجوج ومأجوج) وهما امتان مضرتان مفسدتان كافرتان من نسل يافث بن نوح وخروجهما بعد عيسى عليه السلام والقول بانهم خلقوا من منى آدم عليه السلام المختلط بالتراب وليسوا من حواء غريب جدا لادليل عليه وانما يحكيه بعض اهل الكتاب وفى كتاب التيجان ان امة منهم آمنوا فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بارمينية فسموا لذلك الترك والديلم ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى تحفة الحبيب ويقال انهم تسعة اعشار بنى آدم واصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم

وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيـل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذوا القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لانهم تركوا خارجين وفى التواريخ ان اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فابو العرب والعجم والروم سام وابو الحبشة والزنج والنوبة حام ويافث ابو الترك والخزرج والصقـالبة ويأجوج ومأجوج وقيل يأجوج امة ومأجوج امة كل امة منهم اربعة آلاف امة لايموت منهم رجل الا وينظر الف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم ثلاثة اصناف منهم مثل الارز وهو شجر معروف فى الشـام طوله مائة وعشرون ذراعا ومنهم من طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا ومنهم من يفـترش اذنه ويلتحف بالاخرى لايمرون بفيـل ولاشئ من انواع الوحوش الااكلوه ومن مات منهم اكلوه اولهم بالشـام وآخرهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويقال ان منهم من هو مفرط فى الطول ومنهم من طوله شبر واحد (ونزول عيسى) بن مريم (عليه السلام من السماء) التى هو فيها الآن وهى السماء الثانية على المنارة البيضـاء شرقى دمشق من غير تعيين انها منارة الجـامع الاموى اذليس فى الحديث مايدل على ذلك فيقتل الدجال ويبطل الجزية وحواريه يومئذ اصحاب الكهف والرقيم وسيحجون معه فانهم لم يحجوا ولم يموتوا ثم يقرر عيسى عليه السلام امور الشريعة المطهرة ويجدد لهذه الامة امر دينها ويصفو حال النـاس فلايموت احد ولايمرض اربعين سـنة ويقول الرجل لغنمـه ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين من غيران تؤذيه ويرتفع فى زمنه اذى المؤذيات من الحشرات والافاعى والسباع ويبذر الزراع مدا من القمح فيجئ منه سبعمائة مد من غير حرث ويتزوج ويولد له ويمكث فى الارض خمسة واربعين سنة ويدفن فى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم (وطلوع الشمس من مغربهـا) فيمتنع قبول التوبة حينئذ قال العلماء لان الناس حينئذ يخلص الى قلوبهم من الفزع ماتخمد به كل شهوة وتفتر به كل قوة لتيقنهم بالقيامة كحـال من حضرته الوفاة واخذ فى النزع وانتهت روحه الى حلقومه ومن هذا حاله لاتقبـل له توبة لانه عاين الحق ورأى مقعده من الجنة او النار فالمشاهدة لطلوع الشمس مثله وقيـل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود * فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بهـا من المغرب فبهت وانقطع وانكر الملاحدة والمنجمون عن آخرهم ذلك وقالوا انه لايمكن ولايكون وانه لم تقم لابراهيم عليه السـلام بذلك حجة على النمرود فيطلع الله سبحانه الشمس يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته سبحانه على ذلك وان الشمس فى قبضة قهره ان شاء اطلعها من المشرق وان شاء اطلعها من المغرب ذكره اللاقانى (ونحو) اى مثل (ذلك) المذكور من باقى علامات السـاعة الكبرى كرفع القرآن

من الصدور والمصاحف وهدم الكعبة والدخان والخسف الى غير ذلك مما هو مسطر في الكتب المصنفة في هذا الشان (كله) اى كل ما تقدم من قوله وعذاب القبر الى هنا (حق) اى ضد الباطل او امر مقضي او حقيقة الامر كذا في القاموس (والكبيرة) من الذنوب اذا فعلها المكلف والمراد الجنس وكذلك الكبائر الكثيرة اذا فعلها قال القرطبي في شرح مسلم وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في الكبائر ماهي وفي الفرق بينها وبين الصغائر فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان الكبائر جميع مانهى الله تعالى عنه من اول سورة النساء الى قوله * ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * وعن الحسن انها كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقيل هي كل ما اوعد الله عليه بنار او الحد في الدنيا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كل مانهى الله عنه وما اظنه صحيحا لانه مخالف لما في كتاب الله من التفرقة بين المنهيات فانه قد فرق بينها في قوله تعالى * ان تجتنبو كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * وقوله * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فجعل من المنهيات كبائر وصغائر وفرق بينهما في الحكم لما جعل تكفير السيئات في الآية مشروطا باجتناب الكبائر واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش فكيف يخفى هذا الفرق على مثل ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر القرآن فتلك الرواية عن ابن عباس ضعيفة اولا تصح وكذلك اكثر ماروى عنه لقد كذب الناس عليه كثيرا انتهى كلام القرطبي ويمكن الجواب عنه بان القول بان الكبائر كل مانهى الله عنه نظرا الى عظمة الناهي وهو الله تعالى حيث عصى عن عمد وقصد مخالفة فان كانت المعصية زلة سقط بها فاعلها لجهل او غلبة شهوة ونحو ذلك فهي اللمم المغفور مشتق من الم بالمكان اذا نزل فيه ساعة بقصد الاستراحة ثم الانتقال عنه وكذلك فعل مانهى الله عنه اذا الم به المكلف ساعة بقصد الاقلاع والانتقال عنه بالتوبة من غير اصرار عليه فهو اللمم وهو السيئات التي قال الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه * يعني الذنوب كلها مع الاصرار وقصد المداومة عليها والانهماك فيها نكفر عنكم سيئاتكم يعني اللمم بها على وجه الزلة بقصد الاقلاع عنها في الحال واستقباحها فيكون الانقسام اعتباريا كما قلنا فتصح الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما بذلك ويؤيده قول امام الحرمين في الارشاد المرضي عندنا ان كل ذنب كبيرة اذلا نراعي اقدار الذنوب حتى تضاف الى المعصي بها فرب شيء يعد صغيرة بالاضافة الى الاقران ولو صور في حق ملك لكان كبيرة تضرب بها الرقاب والرب تعالى اعظم من عصي واحق من عبد بالعبادة وكل ذنب بالاضافة الى مخالفته عظيم ولكن الذنوب وان عظمت لما ذكرناه فهي متفاوتة في رتبها فبعضها اعظم من بعض فهذا كحكمنا للانبياء عليهم السلام بالفضيلة وعلو المرتبة وبعضهم اعلى من بعض فهذا ما نرتضيه وقال اللاقاني في شرح جوهرته اختلف

السلف والخلف فى حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فعن ابن عباس رضى الله عنهما كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا اخذ الاستاذ ابو اسحق الاسفرائنى وحكاه القاضى عياض عن المحققين احتجاجا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وقال الغزالى فى بسيطه والضابط الشامل فى حد الكبيرة انها كل معصية يقدم عليها المؤمن من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرى عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترات مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس هو بكبيرة وسيأتى بيان افراد الكبائر والصغائر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (لايخرج العبد المؤمن من الايمان) ولو كان مصرا على فعلها لبقاء التصديق الذى هو حقيقة الايمان وقال الكرمانى فى شرح البخارى واما عند الخوارج فالكبيرة موجبة للكفر وعند المعتزلة موجبة للمنزلة بين المنزلتين صاحبها لامؤمن ولا كافر وهذا فى ارتكابها احتراز عن اعتقادها لانه لواعتقد حل بعض المحرمات المعلومة من الدين ضرورة كالخمر كفر بلا خلاف (ولاتدخله) تلك الكبيرة اذا فعلها وكذلك الكبائر المتعددة (فى الكفر) كما قال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * الآية فسماهم مؤمنين فعلم ان صاحب الكبيرة لايخرج عن الايمان (ولاتخلده) اى الكبيرة (فى النار) اذا ادخلها للتطهير (ولاتحبط) اى تبطل (طاعته) وقالت الرافضة والاباضية وبعض الخوارج ان المذنبين من المؤمنين يخلدون فى النار بذنوبهم وقد نطق القرآن بتكذيبهم فى مواضع منها قوله عز وجل * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ومذهب اهل الحق على ان من مات موحدا لايخلد فى النار وان ارتكب من الكبائر غير الشرك ما ارتكب وقد جاءت به الاحاديث الصحيحة منها قوله عليه السلام وان زنا وان سرق كذا فى شرح البخارى للعينى (والله تعالى) بمحض عدله (لايغفر) اى لايعفو ولايسامح (ان يشرك به) ولو كان نبيا بدليل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والشرك اعتقاد المشاركة بينه تعالى وبين شئ فى وصف اوحكم واذا ذكر مع الكفر افترق معناهما بانه اعتقاد المشاركة والكفر ستر الحق بالجحود والتكذيب وما فى معنى ذلك كالتهاون بالمحترم شرعا والاستهزاء به واما اذا ذكر كل واحد منهما على حدة شمل الآخر فى المعنى فعنى الشرك هنا ماهو اعم منه ومن الكفر والزيغ والتكذيب فان الله تعالى لايغفر شيئا من ذلك بلاتوبة منه قبل الغرغرة بالايمان والتبرى عما صدا دين الحق من سائر الاديان ولاتنفع الشفاعة فى شئ من ذلك يوم القيامة قال اللقانى فى شرح جوهرته اما الكفر فلايقع منه تعالى العفو عنه للزوم الكذب فى اخباره تعالى بقوله ان الله لايغفر ان يشرك به الآية ولافرق فيه بين الاصلى والارتداد شرعا كان اوعقليا وعرف الشيخ ابن عرفة المالكى الكفر بالعموم

التصديق الممكن بما علم ضرورة مجئ الرسول به لوفعل يدل عليه غالبا كقتل النبي والقاء المصحف فى القاذورات وقال العينى فى شرح البخارى والمراد بالشرك فى هذه الآية الكفر لان من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان كافرا ولو لم يجعل مع الله الها آخر والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف (ويغفر) اى يعفو ويسامح (ما دون ذلك) اى دون الشرك من جميع الذنوب الكبائر والصغائر (لمن يشاء) المغفرة له قال العينى فى شرح البخارى والمراد من هذه الآية من مات على الذنوب من غير توبة ولو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى اذ التائب من الشرك قبل الموت مغفور له وقال اللاقانى اختلف فى جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وفى الحديث يا عبدى لو اتيتنى بقراب الارض ذنوبا لاتيتك بمثلها مغفرة الى ما لا ينحصر منها ومعنى العفو والغفران واحد وهو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة قال والفرق بين المعاصى يجوز ان تغفر وبين الكفر فلا يجوز ان يغفر ان العاصى قلما ينفك عن خوف عقاب ورجاء رحمة وغير ذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية اتباعا للهوى بخلاف الكافر وايضا الكفر مذهب والمذهب يعتقد للابد وحرمته لا يحتمل الارتفاع اصلا فكذلك عقوبته بخلاف المعصية فانها لوقت الهوى والشهوة وقال الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه اعلم ان الشرك عدم لا وجود له هذا ما ينفعه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله تعالى اذ الغفر الستر ولا يستر الا ما له وجود واما المعصية فلها وجود فيمكن ان تتعلق المغفرة بها (ويجوز العقاب) من الله تعالى لعبده المكلف (على) فعل (الصغيرة) من صغائر الذنوب (ولو) كان فعل تلك الصغيرة (مع اجتناب) جميع (الكبائر) لان الله تعالى لا يجب عليه شئ ولا يمتنع منه شئ فمجازاته لعباده دائرة بين فضله وعدله والظلم عليه محال لدخول الصغيرة تحت قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * فعلقت المغفرة بالمشيئة فمن لم يشأ ان يغفر له يجوز ان يعاقبه على الصغيرة او على الكبيرة وقال تعالى * لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها والاحصاء انما يكون للسؤال والمجازات وقال اللاقانى هذا الحكم مما اختلف فيه فذهب بعض المعتزلة وجماعة من الفقهاء والمحدثين الى ان المكلف اذا اجتنب الكبائر كفرت صغائره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها لا بمعنى الامتناع العقلى بل لورود الادلة السمعية به وذهب ائمة الكلام الى ان ذلك الحكم ظنى يقوى به الرجاء تمسكا بانا لو قطعنا لمجتنب

الكبائر بتكفير صغائره بالاجتناب لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بانه لاتباعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة واجابوا عن متمسك الاولين بان الكبيرة في الآية محمولة على الكفر لاطلاقها والفرد عند اطلاقه يحمل على الكامل من نوعه وقد جمع الكبائر باعتبار تعدد انواع الكفر من تهود وتنصر وتمجس ولو قلنا بأنه ملة واحدة من حيث الحكم ولتعدد افراده القائمة بافراد المكلفين وماذهب اليه المتكلمون هو الذي لاغبار عليه واعلم ان النزاع انما هو في قطعية التكفير وظنيته لافي جواز تكفير الصغائر باجتناب الكبائر فانه ليس محل خلاف لاحد ومبنى النزاع هل يجوز العقاب على الصغيرة اولا والحق جوازه والمراد من الاجتناب مايعم التوبة بعد الملابسة وقيد ابن عطية المسئلة بمن ادى بالفرائض ولفظ القرطبي فدل القرآن على ان في الذنوب صغائر وكبائر خلافا لمن قال كلها كبائر وان الصغائر كاللمس والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بالوعد الصدق وقوله الحق الا انه لايجب عليه ذلك لكن بضميمة اخرى الى الاجتناب وهي اقامة الفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الافتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الآية وفي مسلم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وعلى هذا جماعة اهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب واما الكبائر فلايكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها والوضوء يكفر الصغائر وكذا الحج المبرور (و) يجوز ايضا (العفو) اى المسامحة (عن) فعل (الكبيرة) اى جنسها ليشمل الواحدة والكثيرة (ولو) كان ذلك العفو (بلاتوبة) من العبد قال اللقاني اختلف في جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثيران الله يغفر الذنوب جميعا * انتهى وقد سبق الكلام على هذا ومحله اذا لم يكن عن استحلال فالاستحلال كفر لمافيه من التكذيب المنافي للتصديق ولهذا تأول النصوص الدالة على تخليد العصاة في النار وعلى سلب اسم الايمان عنهم ذكره السعد في شرح العقائد (والله تعالى يجيب الدعوات) لعباده (ويقضي الحاجات) لهم (تفضلا) منه تعالى على عباده قال الله تعالى * ادعوني استجب لكم * وقال عليه السلام يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل وفي رواية يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلا اوفلم يستجب لي وفي رواية فلا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله

ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ارَ يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال اهل اللغة حسر واستحسر اذا اعيي وانقطع عن الشئ والمراد ههنا انه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالى *لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون* اى لا ينقطعون عنهـا ففيه انه ينبغى ادامة الدعاء ولا يستبطئ الاجابة ذكره النووى فى شرح مسلم وقال السعد فى شرح العقائد واعلم ان العمدة فى ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب لقوله عليه السلام ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه واختلف المشايخ فى انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقوله تعالى *وما دعاء الكافرين الا فى ضلال* ولانه لا يدعوا لله تعالى لانه لا يعرفه فانه وان اقر به فلما وصفه بما لا يليق به فقد نقض اقراره وما روى فى الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا تستجاب فمحمولة على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن ابليس رب انظرنى* فقال له الله تعالى *انك من المنظرين هذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر الدبوسى قال الصدر الشهيد وبه يفتى انتهى والجواب عن الآية ان معنى كون دعائهم فى ضلال انه يستجاب لهم فيظنون انهم على شئ فيزدادون من ضلالهم فتكون اجابة دعائهم اضلالا لهم والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره الاحاديث المشتملة على الادعية وفى هذه دليل لاستحباب الدعاء وهذا هو الصحيح الذى اجمع عليه العلماء واهل الفتاوى فى الامصار فى كل الاعصار وذهبت طائفة من الزهاد واهل المعارف الى ان ترك الدعاء افضل استسلاما للقضـاء وقال آخرون منهم ان دعا للمسلمين فحسن وان دعا لنفسه فالاولى تركه وقال آخرون منهم ان وجد فى نفسه باعثا للدعاء استحب والافلا ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة فى الامر بالدعاء وفعله والاخبار عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بفعله (والايمان) بالله تعالى وبانبيائه عليهم السلام وجميع ما اخبروا عنه من الحق يعنى التصديق بكل ذلك هو (والاسلام) اى التسليم والانقياد والاذعان لجميع ما ذكر (واحد) باعتبار المعنى الشرعى دون المعنى اللغوى قال فى القـاموس آمن به ايمانا صدقه والايمان الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة والاسلام الاسم من التسليم والتسليم الرضاء واسلم انقاد وصار مسلما كاستسلم وقال القرطبى فى شرح مسلم الاسلام فى اللغة هو الاستسلام والانقيـاد ومنه قوله تعالى *قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنـا اى انقدنا وهو فى الشرع الانقياد بالافعال الظاهرة الشرعية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه انس رضى الله عنه الاسلام علانية والايمان فى القلب ذكره ابن ابى شيبة فى مسنده والايمان لغة هو التصديق مطلقا وفى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث انس هذا وقد ناقش علماء الاصول

فى هذه الاسماء الشرعية تناقشا لاطائل له اذا حقق الامر فيه وذلك انهم متفقون على انها يستفاد منها فى الشرع زيادة على اصل الوضع وهل ذلك المعنى يصير تلك الاسماء موضوعة كالوضع الابتدائى من قبل الشرع اوهى مبقاة على الوضع اللغوى والشرع انما تصرف فى شروطها واحكامها هذا تناقشهم والامر قريب والحاصل ان الشرع تصرف فى حال هذه الاسماء لافى اصل وضعها فخصص عاما كالحال فى الاسلام والايمان فانهما بحكم الوضع يعمان كل انقياد وكل تصديق لكن قصرهما الشرع على تصديق مخصوص وانقياد مخصوص وكذلك فعلت العرب فى لغتها فى الاسماء العرفية كالدابة فانها فى الاصل اسم لكل ما يدب ثم عرفهم خصصها ببعض ما يدب فالاسماء الشرعية كالاسماء العرفية فى هذا التصرف وقد استفدنا من هذا البحث ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الاصل فى الاسماء المختلفة اعنى ان يدل كل واحد منها على خلاف مايدل عليه الآخر غيرانه قد توسع الشرع فيهما فاطلق اسم الايمان على حقيقة الاسلام كما فى حديث وفد عبد القيس الوارد فى صحيح مسلم فانه اطلق فيه اسم الايمان على ما جعله فى حديث جبريل اسلاما وكقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا فادناها اماطة الاذى عن الطريق وارفعها قول لا اله الا الله وقد اطلق الاسلام مريدا به مسمى الاسلام والايمان بمعنى التداخل كقوله تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وقد اطلق الايمان كذلك ايضا كما روى من حديث على رضى الله عنه مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وهذه الاطلاقات الثلاث من باب التجوز والتوسع على عادة العرب فى ذلك وهذا اذ تحقق يريح من كثير من الاشكال الناشى من ذلك الاستعمال (وهو) اى ذلك الواحد الذى هو الايمان والاسلام فى الاستعمال الشرعى (تصديق النبى) محمد (صلى الله عليه وسلم فى جميع ما علم) بالبناء للمفعول اى علم المكلف (بالضرورة) اى من غير فكر ونظر وفسره السعد فى شرح المقاصد بما يحدثه الله تعالى فى نفس العالم من غير كسبه واختياره كالعلم بوجوده وتغير احواله وذكر ايضا ان العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والبديهيات والمتواترات انتهى فالمراد بما علم بالضرورة اى بطريق التيقن والتثبت من غير شك ولا تردد اما بسماعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم كالحاضرين فى زمانه عليه السلام او بطريق تواتر الخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بمضمونه (مجيئه) اى مجيء النبى صلى الله عليه وسلم (به) من عند الله تعالى الى الخلق (والاقرار) اى النطق باللسان فى القادر على ذلك متى اراد (به) اى بجميع ما علم بالضرورة مجيء النبى عليه السلام به وبيان ذلك ما قاله القرطبى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم ان الايمان بالله هو التصديق بوجوده تعالى وانه لا يجوز عليه العدم وانه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال

من العلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر والحياة وانه تعالى منزه عن صفات النقص التي هي اضداد تلك الصفات وعن صفات الاجسام والمتحيزات وانه واحد حق فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيما يشاء من التصرفات يفعل في ملكه مايريد ويحكم في خلقه مايشاء والايمان بالملائكة هو التصديق بانهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون يسبحون الليل والنهار لايفترون وانهم سفراء الله تعالى بينه وبين رسله والمتصرفون كما اذن لهم في خلقه والايمان بكتب الله هو التصديق بانها كلام الله ومن عنده وان ماتضمنته حق وان الله تعالى امر خلقه باحكامها وفهم معانيها والايمان برسل الله هو انهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى وان الله تعالى ايدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وانهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا للمكلفين ما امرهم الله ببيانه وانه يجب احترامهم وان لايفرق بين احد منهم والايمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وانهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك مما صح نصه وثبت نقله والايمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله هو مادل عليه قوله تعالى * والله خلقكم وما تعملون * وقوله * انا كل شئ خلقناه بقدر * وقوله * وما تشاؤن الا ان يشاء الله * واجماع السلف والخلف على صدق قول القائل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس ومذهب السلف وائمة الفتوى من الخلف ان من صدق بهذه الامور تصديقا جزما لاريب فيه ولاتردد ولاتوقف كان مؤمنا حقيقة وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة او عن اعتقادات جازمة على هذا انقرضت الاعصار الكريمة وبه صرحت فتاوى ائمة الهدى المستقيمة حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة فقالوا انه لايصح الايمان الشرعي الا بعد الاحاطة بالبراهين العقلية والسمعية وحصول العلم بنتائجها ومطالبها ومن لم يحصل ايمانه كذلك فليس بمؤمن ولايجزئ ايمانه بغير ذلك وتبعهم على ذلك جماعة من متكلمي اصحابنا كالقاضي ابي بكر وابي اسحاق الاسفرائني وابي المعالي في اول قوليه والاول هو الصحيح اذ المطلوب من المكلفين مايقال عليه ايمان لقوله تعالى * آمنوا بالله ورسوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله * والايمان هو التصديق لغة وشرعا فمن صدق بذلك كله ولم يجوز نقيض شئ من ذلك فقد عمل بمقتضى ماامره الله به على نحو ماامره الله تعالى ومن كان كذلك فقد تقصى على عهدة الخطاب اذ قد عمل بمقتضى السنة والكتاب ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعده حكموا بصحة ايمان كل من آمن وصدق بما ذكرناه ولم يفرقوا بين من آمن عن برهان او عن غيره ولانهم لم يأمروا اجلاف العرب بترديد النظر ولاسألوهم عن ادلة تصديقهم ولاارجؤا ايمانهم حتى ينظروا وتحاشوا

عن اطلاق الكفر على احد منهم بل سموهم المؤمنين والمسلمين واخذوا عليهم احكام الايمان والاسلام ولان البراهين التى حررها المتكلمون ورتبها الجدليون انما احدثها المتأخرون ولم يخض فى شئ من تلك الاساليب السلف الماضون فمن المحال والهذيان ان يشترط فى صحة الايمان مالم يكن معروفا ولامعمولا به لاهل ذلك الزمان وهم من هم فهما عن الله واخذا عن رسول الله وتبليغا لشريعته وبيانا لسنته وطريقته انتهى كلام القرطبى رحمه الله تعالى وهو يقتضى عدم اشتراط النطق ايضا باللسان فى صحة الايمان وهو قول المحققين قال الشيخ العينى فى شرح البخارى ان الايمان عند المحققين واليه ذهب الاشعرى واكثر الائمة كالقاضى عبد الجبار والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى والحسين بن الفضل وغيرهم هو مجرد التصديق بالقلب اى تصديق الرسول عليه السلام فى كل ماعلم مجيئه به بالضرورة تصديقا جازما مطلقا اى سواء كان بدليل اولا فقولهم مجرد التصديق اشارة الى انه لايعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة لاخراج مالم يعلم بالضرورة ان الرسول جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بان الله تعالى عالم بالعلم اوعالم بذاته والتصديق بكونه مرئيا اوغير مرئى فان هذين التصديقين وامثالهما غير داخلة فى مسمى الايمان ولهذا لايكفر منكر الاجتهاديات بالاجماع والتقييد بالجازم لاخراج التصديق الظنى فانه غير كاف فى حصول الايمان والتقييد بالاطلاق لدفع وهم خروج اعتقاد القلب فان ايمانه صحيح عند الاكثرين وهو الصحيح وقال السعد فى شرح العقائد هذا الذى ذكره من ان الايمان هو التصديق والاقرار مذهب بعض العلماء وهو اختيار الامام شمس الائمة وفخر الاسلام وذهب جمهور المحققين الى انه التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء الاحكام فى الدنيا لما ان تصديق القلب امر باطن لابدله من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا فى احكام الدنيا ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس وهذا هو اختيار الشيخ ابى منصور والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى *اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وقال تعالى* وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى* ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ثبت قلبى على دينك وقال لاسامة حين قتل من قال لااله الاالله هلا شققت عن قلبه (والاعمال) بالجوارح (خارجة عن حقيقته) اى حقيقة الايمان قال فى شرح الصحائف الايمان فى اللغة التصديق وفى الشرع مختلف فيه فقال المحققون هو تصديق الرسول بكل ماعلم بالضرورة مجيئه به ويقرب من هذا ماذهب اليه ابو حنيفة رضى الله عنه ان الايمان هو المعرفة والاقرار اى العلم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم والاقرار به وقالت المعتزلة الايمان هو مجموع الطاعات ونقل عن السلف ان الايمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان ونقل عن على رضى الله عنه مثل ذلك وبه قال الشافعى [illegible]

واقرار باللسان وعمل بالاركان وقال الكرمانى فى شرح البخارى وذكر فى الكتب الكلامية لهتفاسير فقال المتأخرون هوتصديق الرسول بما علم مجيئه به ضرورة والحنفية التصديق والاقرار والكرامية الاقرار وبعض المعتزلة الاعمال والسلف التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فهذه الاقوال خمسة الثلاثة منها بسيطة وواحد منها مركب ثنائى والخامس مركب ثلاثى ووجه الحصر انه امابسيط اولا والبسيط امااعتقادى اوقولى اوعملى وغير البسيط اماثنائى واماثلاثى وهذا كله بالنظر الى ماعندالله تعالى اماعندنا فالايمان هوالكلمة فاذا قالها حكمنا بايمانه اتفاقا بلا خلاف ثم لاتغفل ان النزاع فى نفس الايمان واماالكمال فانه لابدفيه من الثلاث اجماعا واذا تحققت هذه الدقائق انفتح عليك المغالق ان شاءالله تعالى وحيث كانت الاعمال خارجة عن حقيقته (فلايزيد) بالطاعات (ولاينقص) بالمعاصى والمخالفات قال الكرمانى فى شرح البخارى مذهب السلف ان الايمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص ومعناه انه يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان وعلى الاعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه وينقص بنقصها وانكرا كثر المتكلمين زيادته ونقصه قالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا وقال المحققون منهم نفس التصديق لايزيد ولاينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهى الاعمال قال النووى والمختار خلافه وهوان نفس التصديق ايضا يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديق اقوى بحيث لايتزلزل بعارض ولايتشك عاقل فى ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لايساويه تصديق آحاد الناس انتهى ولاشك ان عدم المساواة فى القوة والضعف ليست زيادة فى حقيقة الايمان وجوهره وانماهى زيادة فى وصفه كالانسان المريض والانسان القوى فان الانسانية فيهما على السواء من غير زيادة فى القوى دون الضعيف والمراد بالزيادة المنفية عند القائلين بذلك الزيادة فى حقيقته وجوهره دون وصفه فالخلاف لفظى والآيات الدالة على زيادة الايمان محمولة على ماذكره ابوحنيفة رضى الله عنه انهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتى فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص وحاصله انه كان يزيد بزيادة مايجب الايمان به وهذا لايتصور فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم قال السعد فى شرح العقائد وفيه نظر لان الاطلاع على تفاصيل الفرائض ممكن فى غير عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والايمان واجب اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولاخفا فى ان التفصيلى ازيد بل اكمل من الاجمالى وماذكر من ان الاجمالى لاينحط عن درجته فانما هو فى الاتصاف باصل الايمان انتهى ولايخفى ان قول ابى حنيفة رضى الله عنه وهذا لايتصور فى غير عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معناه زيادة الايمان فى حق من آمن من الصحابة رضى الله عنهم اجمالا بالنبى صلى الله

تعالى عليه وسلم و بجميع ماجاء به من عند الله تعالى فكان كل ماجاء بعد ذلك
بفرض آمنوا به تفصيلا فيزيد ايمانهم بالنسبة الى ايمانهم الاول الاجمالي وبعد انقطاع
الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم مابقي يتصور ذلك واما تصوره في كل زمان
بمن لم يطلع اولا على تفصيل الفرائض وآمن بجميع ماورد عن الله تعالى بطريق الاجمال
وكان كلما وصل اليه الخبر بفرض آمن به فيزداد ايمانه بالنظر الى ايمانه الاول الاجمالي
فهو امر نادر انما يتصور فيمن نشأ منفردا من غير مخالطة اهل الاسلام فان الفرائض مما يعلم
من الدين بالضرورة بحيث يشترك في علمها الخاص والعام على ان من كان كذلك جاهلا
بتفاصيل الفرائض ثم اطلع على تفاصيلها فازداد ايمانه بها مفصلة على ايمانه بها
مجملة ليس هو موضع الخلاف في زيادة الايمان ونقصانه بل الخلاف في كل ايمان هل يقبل
الزيادة ام لا واذا كانت الآيات دالة على زيادة الايمان في حق الصحابة رضي الله عنهم
فقط دون غيرهم لانهم المخاطبون بذلك حيث هم الموجودون وقت نزول الوحي
فلا مانع من تصور ذلك في النادر فيمن جهل ماعلم من الدين بالضرورة من فرائض
الاسلام فآمن اجمالا ثم علم بذلك فآمن تفصيلا على ان قول ابي حنيفة رضي الله
عنه بعدم تصوره في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص بمن نزل ذلك
في حقهم وهم الصحابة رضي الله عنهم فانه لايتصور وجودهم جاهلين بالفرائض
في غير ذلك العصر ثم يعلمون ذلك بنزوله بالوحي وان تصور في غيرهم فيمن ذكر فان هذا
القول من ابي حنيفة رضي الله عنه صرف للآيات الواردة عليه ببيان سبب نزولها
من دون تعرض لامكان تصور نحو تلك الحالة فيما بعد فلا نظر في قوله ولا ايراد عليه
والحاصل ان زيادة الايمان ونقصانه محمولة اما على الزيادة والنقصان في وصفه دون
ذاته وجوهره واما على ان مراد القائل بذلك الايمان المفسر عنده بالاعتقاد والقول
والعمل فيزداد بزيادة العمل وينقص بنقصانه واليه يشير كلام الماتن هنا حيث فرع
بالفاء على كون الاعمال خارجة عنه قوله بعدم الزيادة والنقصان فالخلاف في ذلك
لفظي على كل حال والآيات والاحاديث الوارد فيها ذكر ذلك يخرجها كل قوم
بحسب ماذهبوا اليه وهو محتمل وللاجتهاد في ذلك مجال وليست المسئلة مما يضر الخلاف
فيها (ويصح) في الشرع (ان يقول من وجد) اي التصديق بقلبه والاقرار بلسانه
(فيه انا مؤمن حقا) كما قال تعالى * فاولئك هم المؤمنون حقا * وذلك لان الايمان
اما ان يكون موجودا او غير موجود فان لم يكن موجودا فهو كافر وان كان موجودا
فهو مؤمن وان شك في وجوده في وقت من الاوقات فهو كافر فيتعين على المؤمن
قوله انا مؤمن حقا لتحقق الايمان منه (ولا ينبغي) اي لايحسن ولايليق بالمؤمن
(ان يقول انا مؤمن ان شاء الله) تعالى باحالة كونه مؤمنا على مشيئة الله تعالى دون
القطع بما هو موجود فيه من الايمان لان هذا القول منه ان كان للشك فهو كفر لا محالة

وان كان للتأدب واحالة الامور الى مشيئة الله تعالى اوللشك فى العاقبة والمآل لا فى الآن والحال اوالتبرك بذكر الله تعالى اوالتبرى عن تزكية نفسه والاعجاب بحاله فالاولى تركه لانه يوهم الشك ولهذا قال ولا ينبغى دون ان يقول ولا يجوز لانه اذا لم يكن للشك فلا معنى لنفى الجواز كيف وقد ذهب اليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين ذكره السعد فى شرح العقائد والحاصل ان الخلاف لفظى ايضا فان من منع من قوله انا مؤمن ان شاء الله تعالى محله اذا قصد الشك اوكان قوله موهما للشك عند من لم يعرف مراده بذلك ومن اجاز قوله انا مؤمن ان شاء الله تعالى استند فى ذلك الى ما ورد عن السلف مما لم يثبت عند المانع منه كما وقفت فى ذلك على رسالة من تصنيف الامام البخارى صاحب الصحيح ذكر فيها من ورد عنه القول بذلك من الصحابة والتابعين من ائمة الدين والوارد عن السلف مستفيض من صاحب الشرع ان لم يكن بصريح الحديث فهو بمفهومه عند الصدر الاول مع تعليل جواز ذلك ايضا بما ذكر من التأدب مع الله تعالى واحالة الامور الى مشيئته والشك فى العاقبة والتبرك بذكر الله تعالى والتبرى من تزكية النفس والاعجاب بحالها الى غير ذلك مما علل به المجيزون والمسئلة اجتهادية ايضا للرأى فيها مجال (والايمان) المذكور (بهذا المعنى) الذى سبق بيانه وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان (مخلوق) لله تعالى فى العبد المؤمن (كسبى) حاصل باكتسابه (واما) الايمان (بمعنى هداية الرب تعالى لعبده الى معرفته) بلا كيف ولا كيفية (فغير مخلوق) لانه حينئذ من صفات الله تعالى كما ورد فى اسمائه تعالى المؤمن بمعنى انه الهداية من الله تعالى والاهتداء من العبد فيقال آمن الرب عبده اى هداه للتصديق به وبكل ما ورد عنه فاهتدى لذلك فان الايمان بهذا المعنى قديم لانه من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه المؤمن وصفاته تعالى واسماؤه كلها قديمة قال اليافعى فى شرح اسماء الله الحسنى واما المؤمن فقيل معناه المصدق لان الايمان فى اللغة التصديق يقال آمن يؤمن ايمانا اذا صدق والرب سبحانه مصدق نفسه ورسله بقوله الصدق فالاسم راجع الى الكلام الذى هو من الصفات القديمة وقيل المؤمن معناه انه تعالى سيؤمن عباده الابرار من الفزع الاكبر عند رؤية النار وعظيم الاهوال وعلى هذا يجوز صرفه الى القول فانه تعالى سيؤمن عباده يوم العرض الاكبر ويسمعهم قوله ألا تخافوا ولا تحزنوا ويجوز صرفه الى القدرة على خلق الامن والطمأنينة فيكون من اسماء الصفات ويجوز صرفه الى نفس خلق الامن فيكون من اسماء الافعال يقال آمنه يؤمنه اذا افاده الامن فالفاعل مؤمن بكسر الميم الثانية والمفعول مؤمن بفتحها وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه قال المؤمن هو المصدق لنفسه ولانبيائه بالمعجزات اوالذى لا يتصور الامن والامان الا من قبله ثم قال والسلام والمؤمن اسمان مشتقان من اسم الله السلام واسمه

المؤمن وهما من خصائص هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم تسمى الله باسمين سمى بهما امتى هو السلام وسمى بهما امتى المسلمين وهو المؤمن وسمى بها امتى المؤمنين رواه ابن ابى شيبة وذكر الكرمانى فى شرح البخارى ان اشتقاق الايمان من الامن وامنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب وقال التيمى الايمان مشتق من الامن لان العبد اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امن من القتل والعذاب انتهى والحاصل ان الايمان اما معناه التصديق او اعطاء الامان من التكذيب او تحصيل الامن من القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فيقال امن العبد بالرسول اذا صدق بجميع ما جاء به اوامنه من التكذيب اوامن من القتل والعذاب فما حصل للعبد من هذه المعانى الثلاثة مما سمى بسببه مؤمنا فهو مخلوق فيه واما اذا جعل احد هذه المعانى الثلاثة اشتقاقا لاسم الله تعالى المؤمن على تقدير انه تعالى امن اى صدق بنفسه وبرسله وبما جاؤا به من عنده اوامن عباده المحسنين من مقابلتهم بالاساءة اوامن من تكذيبهم له فيما شرع لهم وذلك هو الهداية لهم الى صراطه المستقيم فالايمان حينئذ قديم وليس بمخلوق لانه من صفات الله تعالى (وايمان المقلد) من التقليد بمعنى المتابعة واصله وضع القلادة فى العنق فكأن من قلد غيره فى قول او فعل وضع التبعة فى عنق ذلك الغير فيبقى خطاؤه منسوبا الى ذلك الغير وكذا اصابته اومن تقليد الولاة الاعمال فكأن التابع قلد المتبوع ولاية الحكم عليه حيث تابعه فى قوله اوفعله اومن قلد بالتخفيف الماء فى الحوض واللبن فى السقاء والشراب فى البطن يقلده بسكون القاف جمعه فيه ثم شدد الفعل قصدا للمبالغة لان المقلد غيره يجمع عنده قول الغير اوفعله اومن قلد الشئ على الشئ لواه ثم شدد كذلك لان المقلد يلوى قول غيره اوفعله عليه والتقليد للغير هو اخذ قول ذلك الغير اوفعله مع الجزم به والمطابقة له من غير استدلال عليه فلا تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم انه مقلد لائمة المسلمين وهو يعتقد ان لله تعالى مكانا او جهة او جسمية اوان معه مؤثرا فى الوجود فى امر ما فانه ليس بمقلد لائمة المسلمين لانهم لا يعتقدون شيئا من ذلك حتى يقلدهم فيه (صحيح) عند المحققين من اهل السنة وان لم يكن عنده استدلال على ما قلد غيره فيه وحكاه الزركشى عن الائمة الاربعة وعزاه ابن ناجى وابو الحسن الشاذلى من المالكية وغيرهم من الشافعية للجمهور فى اجراء الاحكام الدنيوية عليه اتفاقا والاخروية عند المحققين يدل عليه قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم (ولكنه) يعنى المقلد (آثم) اى عاص (بترك الاستدلال) على مسائل اعتقاده وقال بعضهم ليس بآثم الا ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم ليس بآثم اصلا وان كان فيه تلك الاهلية ولعل ان بعضهم نقل عن الاشعرى والقاضى الباقلانى والاستاذ الاسفرائنى وامام الحرمين

والجمهور

والجمهور عدم صحة ايمان المقلد وانه لايكفى التقليد فى العقائد الدينية وبالغ بعضهم فيه فحكى عليه الاجماع وعزاه ابن القصار لمالك وقال السنوسى فى شرح مقدمته ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التى ينتجها النظر الصحيح وقال بعضهم انه مؤمن ولا يعصى الا اذا كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم المقلد ليس بمؤمن اصلا وقد انكر بعضهم وذهب غير الجمهور الى ان النظر ليس بشرط فى صحة الايمان بل وليس بواجب اصلا وانما هو من شروط الكمال فقط وقد اختار هذا القول الشيخ العارف ابن ابى جمرة والقشيرى وابن رشد وابو حامد الغزالى وجماعة انتهى وقدمنا عن القرطبى مايؤيد هذا وفى حاشية المقرى على شرح السنوسية قال ابن عطية فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى *اولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون* وقوة هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجتمعت الامة على ابطاله فى العقائد وقال الزمخشرى لاضال اضل من المقلد وقال الفهرى ناقلا عن القاضى الباقلانى ان التقليد فى اصول الدين ممتنع حيث قال المعرفة بالله تعالى على وجه الاحاطة لاسبيل اليها فالمعتبر اذن الاقرار بالله عزوجل وبرسله من مستند جلى قال اصحابنا والذى يصير به مؤمنا وهو التكليف العام ان يشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ولا نظير له فى صفاته ولا قسيم له فى افعاله وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ارسله بالهدى ودين الحق وان كل ما اخبر به صدق وهل يكتفى بذلك فى التقليد اولا بد من معرفة الله تعالى على بصيرة اختلف فيه واختار القاضى ان التقليد غير منصور فى التوحيد ثم قال الفهرى فى موضع آخر ويكتفى فى اثبات الايمان بالعلم بالله عزوجل لامن كل وجه بل على الجملة فيعلم انه موجود ازلى غنى واحد فى ذاته وصفاته والهيته وتدبيره ليس كمثله شئ وانه عادل فى افعاله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق وانه صادق فى جميع ماجاء به صلى الله عليه وسلم ويكفى معرفة جميع ذلك بطريق ما وفى الدلائل كثرة وكل ماسوى الله دليل عليه واما التفصيل فمن فروض الكفاية وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال وقد اختلف المتكلمون فى اول الواجبات على اقوال كثيرة منها مايشنع ذكره ومنها ماظهر ضعفه والذى عليه ائمة الفتوى وبهم يقتدى كمالك والشافعى وابى حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة السلف رضى الله عنهم ان اول الواجبات على كل مكلف الايمان التصديق الجزمى الذى لاريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وماجاءت به الرسل على ماتقرر فى حديث جبريل عليه السلام كيف ماحصل ذلك الايمان وبأى طريق اليه توصل واما النطق باللسان فمظهر لما استقر فى القلب وسبب ظاهر تترتب عليه احكام الاسلام (وفى ارسال) الله تعالى الى عباده المكلفين (الانبياء) جمع نبى (والرسل) بضم السين المهملة وبسكونها ايضا جمع رسول والخلاف فيهما على اربعة اقوال التباين والتوافق

والعموم والخصوص المطلق ومن وجه وقد فصلنا ذلك في كتابنا لمطالب الوفية والمشهور نسبة العموم والخصوص المطلق فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول (بالمعجزات) جمع معجزة وهي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة (والكتب) بضم التاء المثناة الفوقية وبسكونها ايضا جمع كتاب بمعنى مكتوب من الكتب وهو الجمع لجمعه الحكم والاخبار والاحكام والمواعظ (المنزلة) بالوحي الالهي مع جبريل عليه السلام (عليهم) اي على الانبياء والرسل وفي الكلام اشارة الى اختيار عدم الفرق بينهما ولهذا نسب الارسال اليهما وهو مذهب المحققين (من البشر) الذين هم انبياء ومرسلون وهو بيان للانبياء وارسل (الى البشر) الذين هم سائر الامم وهو ارسال الجنس الى الجنس (حكمة) بالكسر وهي العدل والعلم والحكمة اتقنه ومنعه عن الفساد كذا في القاموس (بالغة) اي عظيمة قال تعالى * لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * قال البيضاوي لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس (وهم) اي الانبياء والرسل عليهم السلام كلهم (مبرؤن عن الكفر) بالله تعالى (و) عن (الكذب مطلقا) اي قبل النبوة وبعدها العمد من ذلك والسهو والكذب على الله تعالى وعلى غيره في الامور الشرعية والعادية (و) مبرؤن (عن الكبائر) من الذنوب (و) عن (الصغائر) منها ايضا (المنفرة) نعت للصغائر اي التي تنفر غيرهم من اتباعهم (كسرقة لقمة) من المأكولات (وتطفيف) اي تنقيص (حبة) من الحبوب التي يبيعونها فان ذلك مما يدل على الخسة والدناءة (و) مبرؤن ايضا من (تعمد الصغائر غيرها) اي غير المنفرة (بعد البعثة) اي ارسالهم الى دعوة الخلق قال التفتازاني في شرح المقاصد المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية الاحكام فاما توهم صدوره عن الانبياء عليهم السلام من القبائح اما ان يكون منافيا لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ اولا والثاني اما ان يكون كفرا او معصية وهي اما ان تكون كبيرة كالقتل والزنا او صغيرة منفرة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة او غير منفرة ككذبة وشتمة وهم بمعصية وكل ذلك اما عمدا او سهوا او بعد البعثة او قبلها والجمهور على وجوب عصمتهم عليهم السلام عما ينافي مقتضى المعجزة وقد جوزه القاضي زعما منه انه لا يخل بالتصديق المقصود بالمعجزة وعن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعندنا سمعا وعند المعتزلة عقلا والمذهب عندنا منع الكبائر مطلقا والصغائر عمدا لا سهوا لكن لا يصرون ولا يقرون بل ينبهون وينتهون وذهب امام الحرمين منا وابو هاشم من المعتزلة الى تجويز الصغائر عمدا لنا ان نقول انه لو صدر منهم الذنب لزم امور كلها منتفية الاولى حرمة اتباعهم لكنه واجب بالاجماع وبقوله تعالى * ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

الثانى رد شهادتهم لقوله تعالى * ان جاءكم فاسق * الآية والاجماع على ذلك لكنه منتف للقطع بان من ترد شهادته فى القليل من متاع الدنيا لايستحق القبول فى امر الدين القائم الى يوم القيامة الثالث وجوب منعهم وزجرهم لعموم ادلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكنه منتف لاستلزام ايذائهم المحرم بالاجماع وبقوله تعالى * والذين يؤذون الله ورسوله * الآية الرابع استحقاقهم العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم * وقوله تعالى * الا لعنة الله تعالى على الظالمين * وقوله تعالى * لم تقولون ما لا تفعلون * وقوله تعالى * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم * لكن ذلك منتف بالاجماع ولكونه من اعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى * لاينال عهدى الظالمين * لان كل من صدر عنه ذنب فهو فاسق وكل فاسق ظالم السادس كونهم غير مخلصين لان المذنب قد اغواه الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان * لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين * لكن اللازم منتف بالاجماع وبقوله تعالى فى ابراهيم ويعقوب * انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وفى يوسف * انه من عبادنا المخلصين السابع كونهم من حزب الشيطان ومتبعيه واللازم قطعى البطلان الثامن عدم كونهم مسارعين فى الخيرات معدودين عند الله تعالى من المصطفين الاخيار اذ لا خير فى الذنب لكن الذنب منتف لقوله تعالى فى حق بعضهم * انهم كانوا يسارعون فى الخيرات وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار * وقال اللقانى فى شرح جوهرته واعلم انهم عليهم السلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالاجماع ثم ذكر عصمتهم من الكبائر والصغائر وقد بسطنا الكلام على ذلك مفصلا فى كتابنا المطالب الوفية وذكرنا الجواب عن جميع ما وقع من الانبياء عليهم السلام مما يشبه المعاصى والمخالفات بما يطول شرحه والحق انا نؤمن بما ورد من ذلك فى الكتاب والسنة مع تنزيه ساحتهم مما نفهمه من العصيان فعصيانهم طاعتنا واما طاعتهم فلا يعلم بكيفية وقوعها منهم على الوجه الذى هم فيه من مراتب الاخلاص الخاص بهم الا الله تعالى وكذلك بقية مقاماتهم فى القرب (واولهم) اى اول الانبياء والرسل عليهم السلام (آدم) ابو البشر (وآخرهم) وافضلهم بالاجماع (محمد) نبينا (عليهما) اى عليه وعلى آدم (الصلاة) من الله تعالى (والسلام) قال فى شرح المقاصد واجمع المسلمون على ان افضل الانبياء عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم لان امته خير الامم بقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وتفضيل الامة من حيث انها امة تفضيل للرسول الذى هم امته ولانه مبعوث الى الثقلين وخاتم الانبياء والرسل ومعجزاته الظاهرة باقية على وجه الزمان وشريعته ناسخة لجميع الاديان وشهادته قائمة فى القيامة على كافة البشر الى غير ذلك من خصائص لا تعد ولا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر (ولا يعرف) بالبناء للمجهول اى لا يعرف احد (يقينا) اى على وجه القطع (عددهم) اى الانبياء والمرسلين عليهم السلام والحديث الوارد فى ذلك

آحاد لا يفيد القطع بل الظن وهوانه صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف وفى رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفى رواية واربعة عشر على ان الحديث متكلم فيه ايضا (ولا يتصل زسالتهم) اى الانبياء عليهم السلام وكذلك نبوتهم (بموتهم) فهم الآن رسل وانبياء عليهم الصلاة والسلام وان نسخت شرايعهم اذلا يلزم من النسخ بطلان الرسالة والنبوة فان قلت الى من هم الآن مرسلون وفى حق احكام من هم انبياء قلت هم مرسلون الآن الى اممهم الماضين وانبياء فى حق احكامهم و قد انتقلوهم واممهم من دار الدنيا الى البرزخ وانقطعت تكاليف اممهم بما جاؤا به لانتهاء احكام شرايعهم فى حقهم وحججهم قائمة على اممهم بالحق فاذا كان يوم القيامة ظهر ماهم الآن فيه من رسالة والنبوة كما قال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين* ولولا انهم مرسلون حتى فى يوم القيامة ماسماهم كذلك وفى عمدة الاعتقاد للنسفى قال وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما فى حال نومه وكذا الرسل والانبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وانبياء حقيقة لان المتصف بالنبوة و لايمان الروح وهو لا يتغير بالموت اه كلامه . ومثل ذلك الولاية ايضا فالاولياء بعد موتهم اولياء كما انهم فى حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الاولياء باقية بعد موتهم ايضا كما انها باقية فى حال نومهم ومن زعم خلاف ذلك فى الكرامات فهو جاهل متعصب ولنارسالة فى خصوص اثبات الكرامة بعد موت الولى (وهم) اى الرسل والانبياء عليهم السلام (افضل من الملائكة) عليهم السلام قال فى شرح المقاصد ذهب جمهور اصحابنا والشيعة الى ان الانبياء افضل من الملائكة خلافا للمعتزلة والقاضى ابى بكر الباقلانى وابى عبدالله الحليمى منا وصرح بعض اصحابنا بان عوام البشر من المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام البشر اى غير الانبياء عليهم السلام وفى شرح الطوالع للاصفهانى ذهب الى تفضيل الانبياء على الملائكة اكثر اصحابنا والشيعة خلافا للحكماء والمعتزلة والقاضى ابى بكر الباقلانى والحليمى من اصحابنا فى الملائكة العلوية فانهم ذهبوا الى ان الملائكة العلوية افضل من الانبياء دون الملائكة السفلية (الذين) نعت للملائكة (هم عباد) لله تعالى من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد لله تعالى والآية نزلت فى خزاعة قالوا الملائكة بنات الله فقال تعالى *وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه* تنزيه له عن ذلك بل عباد (مكرمون) مقربون (لايسبقونه) تعالى (بالقول) اى لايقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله مالم يقله (وهم بامره) سبحانه (يعملون) لايعملون قط مالم يأمرهم به قاله البيضاوى (لايوصفون) اى الملائكة عليهم السلام (بمعصية) صغيرة ولا كبيرة لانهم كالانبياء معصومون واما كفر ابليس فانه ليس من الملائكة وان استثناه الله تعالى منهم لانه كان من الجن ففسق

عن امر ربه ولكنه لما كان فى صفة الملائكة فى باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت وماروت فالاصح انهما ملكان لم يصدر منهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما تعاتب الانبياء على السهو والزلة وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر فى تعليم السحر بل فى اعتقاده والعمل به كذا ذكره السعد فى شرح العقائد وقال البيضاوى وماروى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر (ولا) يوصفون ايضا (بذكورة ولا انوثة) اذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل وما زعم عبدة الاصنام انهم بنات الله محال باطل وافراط فى شانهم فقال تعالى فى الرد عليهم * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * قال البيضاوى احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم (ولا) يوصفون ايضا (باكل ولا بشرب ولوازمهما) من التغوط والبول والعرق والمخاط والريح كما قال تعالى * فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط * قال البيضاوى انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وقال اللاقانى فى شرح جوهرته مذهب جمهور المسلمين ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل باشكال شريفة مختلفة مستدلين بان الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم كذلك اه وانما قوت الملائكة الذكر والتسبيح لا غير فيكتفون بالذكر والتسبيح عن الطعام والشراب كما قال تعالى * يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع (ورسل الملائكة) عليهم السلام اى المرسلون منهم وهم الخاصة (افضل من عامة البشر) وهم غير الانبياء عليهم السلام (الذين) نعت لعامة البشر (هم افضل من عامة الملائكة) كالحفظة والموكلين بالارزاق والآجال قال فى شرح الصحائف ان الانسان مركب من النفس الناطقة والبدن والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهى من الانوار الالهية كالملائكة وافعالها افعال الروحانيات من العلوم والمعارف والتأثير فى العالم السفلى اذا صفت عن الكدورات الحيوانية كما سمعت من الانبياء والاولياء والبدن آلة لها فى اكتساب الكمالات من الادراكات والعبادات وممارسة الخيرات فذات الانسان الذى حصلت لنفسه كمالات غير ممكنة للمجردات بتقدير كون الملائكة مجردات اشرف والافعال الشريفة الصادرة عنه مع عوق القوى البدنية ومنع الاضداد العنصرية

افضل من افعال الملائكة الخالية عن هذه الشوائب والانبياء موصوفون بالكمالات الروحانية من العلوم والمعارف وخوارق العادات من التأثيرات فى الاجسام العنصرية والانباء عن الغيوب فكانوا افضل من الملائكة وذهب اكثراهل السنة الى ان الرسل من بنى آدم افضل من الملائكة الرسل وغير الرسل والرسل من الملائكة افضل من عامة بنى آدم والمتقون من بنى آدم افضل من عامة الملائكة (وكرامات) جمع كرامة وهى امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى من الانبياء عليهم السلام مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح فامتازت بعدم الاقتران بالتحدى عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهى الخارق الظاهر على ايدى عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراك وبمتابعة نبى قبله عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة فى بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا اجاجا ذكره اللاقانى (الاولياء) الاحياء والاموات اذ الولى لا ينعزل عن ولايته بالموت كالنبى لا ينعزل عن نبوته بالموت كما قدمنا وهو جمع ولى وهو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ذكره السعد فى شرح العقائد فبالانهماك خرج تناول اللذات والشهوات من غير انهماك بها وبتحصيلها بان كان لايمنع نفسه من تناولها اذا تيسرت بلا تكلف منه وكانت حلالا له (حق) ثابت بالنص القرآنى من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله * فقد كانت فى كفالة زكريا عليه السلام وكان لايدخل عليها احد غيره وكان اذا خرج من عندها اغلق عليها سبعة ابواب واذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فتعجب من ذلك وسألها فاجابته بانه من عند الله وانه يرزق من يشاء بغير حساب * ومن قصة اصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف سنين بلا طعام ولا شراب ومن قصة آصف بن برخيا واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام اليه وقد تواتر فى المعنى وان كانت التفاصيل آحادا كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا من الصالحين قاله اللاقانى وفى شرح مقاصد المقاصد للدلجى قال وليس انكار الكرامة من اهل البدع بعجب اذ لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب السيئات فوقعوا فى اولياء الله تعالى اهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون اديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة بل العجب من قول بعض فقهاء

اهل السنة فيما روى عن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه انه روئى بالبصرة و بمكة يوم التروية ان من اعتقد جوازه كفر والانصاف ما قاله النسفى وقد سئل عما قيل ان الكعبة كانت تزور احد الاولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند اهل السنة (من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة) من الزمان وقد رتب على ذلك الفقهاء الحنفية والشافعية كثيرا من المسائل الشرعية قال فى فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولا يعتبر امكان الدخول بل النكاح قائم مقامه كما فى تزوج المشرقى مغربية والحق ان التصور شرط ولذا لوجاءت امرأة الصبى بولد لايثبت نسبه والتصور ثابت فى المغربية لثبوت كرامات الاولياء والاستخدامات فيكون صاحب خطوة اوجنى وذكر ابن حجر الهيتمى الشافعى فى فتاواه انه اذا غربت عليه الشمس فى بلدة وكان صاحب خطوة لخضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد ما صلى المغرب فى البلد الاول لايلزمه اعادتها (وظهور الطعام والشراب واللباس) من الغيب (عند الحاجة) الى شئ من ذلك كما وقع لكثير من الاولياء (والطيران فى الهواء) كما نقل عن جعفر بن ابى طالب ولقمان السرخسى وغيرهما (والمشى على الماء وكلام الجماد والعجماء) كالبهيمة والطير (وغير ذلك) من انواع الخوارق للعادة الواقعة للاولياء تكريما لهم من الله تعالى (و يكون ذلك) اى ما كرم الله تعالى به الولى (لرسوله) اى رسول ذلك الولى (معجزة) وان كان بعد موت الرسول فالمعجزة على هذا لايشترط لها حياة الرسول بل تكون بعد موته ايضا وكذلك الكرامة تكون بعد موت الولى ايضا كرامة له كما قدمناه (ولايبلغ) اى لايصل الولى (درجة النبى) اصلا فنبى واحد افضل من جميع الاولياء (ولا) يصل الولى ايضا فى مقام القرب من الله تعالى (الى حيث يسقط عنه) اى عن ذلك الولى (الامر والنهى) من الله تعالى (وافضلهم) اى الاولياء (ابو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر) بن الخطاب (الفاروق) لقب به لانه كان يعبد سرا قبل اسلامه فلما اسلم قال لن يعبد الله سرا بعد هذا اليوم فهو اول من اظهر شعار الاسلام وفرق بعزمه فى الظاهر بين النور والظلام (ثم عثمان) بن عفان (ذوالنورين) لجمعه بين بنتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رقية ثم ام كلثوم تزوج اولا برقية قبل النبوة فماتت بعد ان ولدت له غلاما سماه عبدالله ثم تزوج ام كلثوم فماتت ولم تلد له فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت عندنا ثالثة لزوجتها عثمان (ثم على المرتضى) بصيغة اسم المفعول لان الله تعالى ارتضاه للخلافة عن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الخلفاء الثلاثة دون باقى الامة اولان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتضاه خليفة عنه فى المدينة على اهله فى غزوة تبوك وقال له انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى (وخلافتهم) اى هؤلاء الاربعة عن رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كانت (على هذا الترتيب ايضا) اى كما هى فضيلتهم كذلك (ثم) بعدهم فى الفضيلة (سائر) اى بقية (الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ونكف) السنتنا وقلوبنا (عن ذكرهم) اى الصحابة وذكر ماجرى بينهم من الحروب (الا بخير) فان جميع ماكان بينهم من الحروب كان اجتهادا منهم رضى الله عنهم وهم مثابون عليه فى كل حال فمن اخطأ اثيب مرة ومن اصاب اثيب مرتين (ونشهد بالجنة) على وجه القطع (للعشرة المبشرة) بذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابوعبيدة بن الجراح وعبدالرحمن ابن عوف (و) لبنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاطمة) الزهراء ايضا (و) لابنيها من على رضى الله عنه (الحسن والحسين وغيرهم) اى غير من ذكر (ممن بشرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كخديجة بنت خويلد اما فاطمة بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى النسائى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على و بشرنى ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نساء اهل الجنة وفى خبر النسائى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الديلمى فى مسند الفردوس باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شباب اهل الجنة خمسة حسن وحسين وابن عمر وسعد بن معاذ وابى بن كعب (لا) نشهد بالجنة (لغيرهم) اى غير ماذكر (بعينه) اى عين ذلك الغير كانسان معين من الامة فان فيه تحكما على الله تعالى واخبارا بما لايعلم قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام شرح درر الحكام من قطع لاحد من ائمة الهدى بالجنة كابى حنيفة ومالك والشافعى فقد اخطأ وكذا الجنيد وابو يزيد والشبلى ونحوهم من الصالحين انتهى كلامه واذا لم نقطع لهم بالجنة يكون فى غالب ظننا لهم ذلك واكبر رجائنا لانهم اهل صلاح وخير وقد عاشوا على هدى وماتوا كذلك لان الاصل بقاء ما كان على ما كان ولايثبت خلاف الاصل الابيقين ولكن لما احتمل تغير احوالهم عند الموت تركنا القطع الى غلبة الظن والله لايضيع اجر المحسنين وقوله بعينه احتراز عن القطع لكل مسلم لابعينه فان ذلك جائز من غير شبهة (ثم) بعد الصحابة فى الفضيلة (التابعون) ثم تابعوا التابعين رضوان الله عليهم اجمعين (والمسلمون لابد لهم من امام) اى سلطان يقمع هوى انفسهم بالزامهم الحق قهرا عنهم (قادر على تنفيذ الاحكام) الشرعية فيهم لعلمه بذلك وقوته عليه بالشجاعة والجنود (مسلم) اذلاولاية لكافر على المسلم (حر) لان العبد لاولاية له (مكلف) اى عاقل بالغ (ظاهر) غير مختف ليمكن كل احد من الرعية الوصول اليه عند الاحتياج (قرشى) اى من قريش وهو اسم لاولاد النضر

ابن كنانة (ولايشترط ان يكون هاشميا) اى منسوبا الى هاشم وهو ابو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللاقانى فى شرح جوهرته فى شروط الامام انها خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة اواعتقاد لان غير المكلف من الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بالامور على ما ينبغى والعبد مشغول بخدمة السيد لايتفرغ للامور مستحقر فى اعين الناس لايهاب ولايمتثل امره وتشترط الذكورة ايضا فلايكون الامام امرأة ولاخنثى مشكلا لانه بالنساء اشبه والنساء ناقصات عقل ودين ممنوعات من الخروج الى مشاهدا الحكم ومعارك الحرب والفاسق لايصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فكيف يصلح للولاية ومن الوالى لدفع شرماليس بحجب اسرعاء الغنم الذئب واما الكافر فامره ظاهر وزاد الجمهور اشتراط ان يكون شجاعا لئلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا فى الاصول والفروع ان وجد و الا فامثل المقلدين ليتمكن من القيام بامر الدين ذارأى فى تدبير الحروب لئلا يخبط فى سياسة الجمهور ولم يشترط هذه الثلاثة بعضهم فى الامام وجوزالاكتفاء فيها بالاستعانة من الغير بان يفوض امر الحروب ومباشرة الخطوب الى الشجعان ويستفتى المجتهدين فى الدين ويستشير اصحاب الآراء الصائبة فى امور الملك محتجا بندرة وجودها فى شخص واحد وحينئذ فاما ان يجب نصب واجدها فيؤدى الى تكليف مالايطاق او يجب نصب فاقدها وذلك الغاؤها اولايجب لاهذا ولاذاك فيكون اشتراطها مستلزما للمفاسد التى يمكن دفعها بنصب فاقدها فلاتكون هذه الاوصاف معتبرة فيها ورد ماتمسك به بانا نختار عدم الوجوب مطلقا لكن للامة ان ينصبوا فاقدها دفعا للمفاسد التى تندفع بنصبه وقال السعد فى شرح العقائد ويكون الامام من قريش ولايجوز من غيرهم ولايختص ببنى هاشم واولاد على رضى الله عنهم (ولا) يشترط ان يكون (معصوما) لثبوت امامة ابى بكر رضى الله عنه مع القطع بعدم عصمته (ولاافضل زمانه) لان المساوى فى الفضيلة بل المفضول الاقل علما وعملا ربما كان اعرف بمصالح الامامة ومفاسدها واقدر على القيام بمواجبها خصوصا ونصب المفضول ادفع للشر وابعد من اثارة الفتنة (ولاينعزل) عن الامامة (بفسق وجور) اى ظلم رعيته فلايجوز الخروج عن طاعتهم بسبب ذلك فانه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الائمة والامراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم ولايرون الخروج عليهم واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الطبرانى عن ابى امامة واسناده حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاتسبوا الائمة وادعوا الله لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح (ويجوز الصلاة) من الفرض والنفل (خلف كل) بالفتح اى صالح (وفاجر)

اذالاسلام كاف في امامة الصلاة فان الصحابة والتابعين كانوا يقتدون بالحجاج في الجمعة وغيرها وكفى به فاجرا (ويصلى) بالبناء للمفعول اى يصلى المسلمون (عليه) اى على كل بروفاجراذامات مسلما (ويجوز المسح) وهو اصابة اليدالمبتلة ونحوها العضو (على الخفين) الملبوسين على طهارة تامة (في الحضر) يوما وليلة (و) في (السفر) ثلاثة ايام ولياليها (ولايحرم) شرب (نبيذ) اى منبوذ (الجر) جمع جرة وهى اناء من فخار ونبيذها هونقوع التمر اوالزبيب ونحوهما بان ينبذ اى يلقى في الماء فتظهر حلاوته فيه (ان لم يكن مسكرا) اى مغيبا للعقل اومخدرا للحواس فانه حينئذ لايجوز شربه (وفي دعاء الاحياء للاموات) الاقارب والاجانب (وصدقتهم عنهم نفع لهم) يصل اليهم بفضل الله تعالى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة اوصوما اوصدقة اوقراءة قرآن اوذكرا اوطوافا اوحجا اوعمرة اوغيرذلك عند اصحابنا كذا في البحر وقال في خزانة الفتاوى وغيرها ولوصام اوصلى اواعتق اوقرب شيئا من القربات ليصل ثوابه الى الميت يجوز ويصل اليه وفي اذكار النووى اجمع العلماء على ان الدعاء للاموات ينفعهم ويصلهم ثوابه واحتجوا بقوله تعالى *والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان* وغيرذلك من الآيات بمعناها والاحاديث المشهورة كقوله عليه السلام اللهم اغفرلاهل بقيع الغرقد وقوله اغفر لحينا وميتنا (وفضل الاماكن) كمكة والمدينة والبيت المقدس (حق) ثابت في الاخبار النبوية وكذلك المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال الاثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى (والعلم افضل من العقل) لان العقلاء انما يتميزون بالعلم مع تساويهم في العقل كما قال تعالى *يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات* وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون* وقال العينى في شرح البخارى اختلفوا في العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم في اللغة واحد ولايفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات اه وتقدم هذا في صدر الكتاب فعلى الاول لايتصور التفاضل بينهما وعلى الثانى لاشك في افضلية العلم لانه اعم من العقل وكذلك على القول الثالث (واطفال المشركين) الذين ماتوا قبل البلوغ ذكورا كانوا اواناثا (لايدرى) بالبناء للمفعول اى لايدرى احد (انهم) بعد الموت (في الجنة) يخدمون اهلها (ام في النار) يعذب بهم آباؤهم ولا يعذبون فقيل انهم خدم اهل الجنة وقيل بانهم في النار من غير عذاب كما ورد في الحديث ان الذباب كله في النار ليعذب به اهل النار زيادة على عذابهم ولايعذب هو وقيل ان اطفال المشركين في الاعراف بين الجنة والنار وقيل بالوقف فيهم وهومنقول عن ابى حنيفة رضى الله عنه (والكفر

حفظة) من الملائكة يحفظونهم حتى تنفذ فيهم اقدار الله تعالى لانهم مكلفون بالايمان قال الشيخ الوالد فى شرحه على شرح الدرر والاصح ان الكافر تكتب اعماله الان كاتب اليمين كالمشاهد على كاتب اليسار (والمعدوم ليس بشئ) اى لايطلق عليه لفظ الشئ الامجازا كقوله تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون *فسماه شيئا باعتبار مايؤل اليه من الوجود والا فالمحققون على ان الشيئية ترادف الوجود والثبوت والعدم يرادف النفى (والسحر) وهو اتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم ثم ان اقترن بكفر فكفر والا فكبيرة عند الشافعى وكفر عند غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (واقع) اى امر محقق قال النووى فى شرح مسلم مذهب اهل السنة وجهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى فى كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر ما فيه واشار الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن فيما لاحقيقة له وحديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم مصرح باثباته وانه اشياء دفنت واخرجت وهذا كله يبطل ماقالوه فاحالة كونه من الحقائق محال ولا يستنكر فى العقل ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق اوتركيب اجسام اوالمزج بين قوى على ترتيب لايعرفه الا الساحر واذا شاهد الانسان بعض الاجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالادوية الحادة ومنها مضرة كالادوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله ان ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة اوكلام مهلك اومؤد الى التفرقة (واصابة العين جائزة) حتى رتب فقهاء الشافعية وجوب الضمان على من اتلف بها وفى شرح مسلم قال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم العين حق ولوكان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا قال الامام ابوعبدالله المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالف فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولافساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشرع وجوده وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه وهل من فرق بين تكذيبه بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الآخرة وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك اويفسد قالوا ولايمتنع هذا كما لايبعد انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللذيغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين ومذهب اهل السنة ان المعين انما تفسد وتهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر وقد ورد الشرع بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله فامر النبى صلى الله عليه وسلم عاينه ان يتوضأ رواه مالك

فی الموطأ وصفة وضوء العاين عند العلماء ان يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فی الارض فيأخذ منه ای الحاسد غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فی القدح ثم يأخذ منه ماء فيغسل به وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به كفه اليسرى ثم بشماله ماء يغسل به مرفقه الايمن ثم يأخذ بيمينه ماء يغسل به مرفقه الايسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وذلك فی القدح ثم داخلة ازاره وهو الطرف المتدلی الذی يلی حقوه الايمن وقد ظن بعض الناس ان داخلة الازار كناية عن الفرج وجمهور العلماء على ما قدمنا فاذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس فی قوة العقل الاطلاع على اسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بان لا يدفع معناه وقد اختلف العلماء فی العاين هل يجبر على الوضوء للمعين ام لا واحتج من اوجبه بقوله صلى الله عليه وسلم فی رواية مسلم هذه واذا استغسلتم فاغسلوا وبرواية الموطأ التی ذكرناها انه صلى الله عليه وسلم امره بالوضوء والامر للوجوب قال المازری والصحيح عندی الوجوب (وكل مجتهد) من الاجتهاد وهو فی اللغة تحمل الجهد ای المشقة وفی الاصطلاح استفراغ المجهود فی استنباط الحكم الشرعی الفرعی عن دليله وهو على قسمين اجتهاد مقيد ويكفی فيه الاطلاع على اصول مقلده لان استنباطه على حسبها واجتهاد مطلق وشرطه ان يحوی علم الكتاب المتعلق بمعرفة الاحكام بمعنيه افراد اوتركيبا فيفتقر الى ما يعلم فی اللغة والصرف والنحو والمعانی والبيان بسليقة اوتعليم وبمعانيه شرعا واقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ وغيرها وضابطه ان يتمكن من العلم بالقدر الواجب منها عند الرجوع وان يحوی علم السنة المتعلقة بمعرفة الاحكام بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعا واقسامها من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو طريق وصولها الينا من تواتر وغيره وهذا يتضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والصحيح والضعيف وغيرها وطريقه فی زماننا الاكتفاء بتعديل الائمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على حقيقة حال الرواة اليوم وان يحوی علم موارد الاجماع لئلا يخالفه فی اجتهاده (مصيب) فی اجتهاده (ابتداء) ای فی اول اجتهاده قبل ظهور الحكم له (بالنظر الى الدليل) لبذل تمام الوسع فيه حيث ترتبت الحسنة على الاجتهاد والخطأ كما قال عليه السلام لعمرو بن العاص رضی الله عنه احكم على انك ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة والحسنة لا تترتب على الحسنة من كل وجه لا يقال يجوز ان يكون ترتب الحسنة للشقة الاجتهادية لا للاصابة فی الدليل لانا نقول الدليل اذا لم يكن شرعيا فالاخذ به ان لم يؤد الى العقاب فلا اقل من ان لا يؤدی الى الثواب (وقد يخطئ) المجتهد (فی الانتهاء بالنظر الى الحكم) الذی ظهر له من الدليل (لان الحق واحد معين) عند الله [illegible]

لوتعدد لزم الفساد اذاتغير الاجتهاد لان الاجتهاد الاول ان بقى حقا لزم اجتماع المتنافيين بالنسبة اليه والالزم النسخ بالاجتهاد وكل منهما فاسد فالمجتهد يخطئ ويصيب خلافا للمعتزلة فانهم يقولون ان كل مجتهد مصيب والحق عندهم متعدد وتمامه فى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول (والنصوص) الواردة فى الكتاب والسنة (تحمل على ظواهرها) المفهومة من غير كلفة (ان امكن) ذلك مالم يصرفها عن الظاهر دليل قطعى كما فى الآيات التى تشعر ظواهرها بالجسمية والجهة ونحو ذلك (والعدول اى الاعراض (عنها) اى عن الظواهر مع امكانها (الى معان) اخرى (يدعيها اهل الباطن) وهم الملاحدة ويأتى الاخبار عن ذلك انه كفر قال السعد فى شرح العقائد واما ماذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان (ورد النصوص) القطعية من الكتاب والسنة بانكار الاحكام التى دلت عليها كحشر الاجساد مثلا وقذف عائشة رضى الله عنها بالزنا (واستحلال المعصية) صغيرة او كبيرة اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعى وكان حراما لعينه كشرب الخمر واما الحرام لغيره كوطئ الحائض فلا يكفر مستحله (والاستخفاف بالشريعة) اى عدم المبالات باحكامها واهانتها واحتقارها حتى ذكر فى البحر شرح الكنز ان من ترك الصلاة متعمدا غيرنا وللقضاء وغير خائف من العقوبات انه يكفر (والياس من رحمة الله) تعالى لانه لايياس من روح الله الا القوم الكافرون. (والامن) وهو عدم الخوف (من عذابه) تعالى (وسخطه) اى غضبه لانه لايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (وتصديق الكاهن فيما يخبره من الغيب كله كفر) اى ردة عن دين الاسلام لقوله عليه السلام من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ولنا رسالة فى حكم المتكلم بالاخبار الزمانية سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون وفى شرح مسلم للنووى كانت الكهانة فى العرب ثلاثة اضرب احدها ان يكون للانسان ولى يخبره بما يسترق من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم الثانى ان يخبره بما يطرأ او يكون فى اقطار الارض وما خفى عنه مما قرب او بعد ولا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين واحالوهما ولا استحالة فى ذلك ولا بعد فى وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون والنهى عن تصديقهم والسماع منهم عام الضرب الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذى يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم واسباب

معتادة وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم (قال فى) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (من قال بحدوث صفة من صفات الله تعالى) كالعلم والقدرة ونحو ذلك (فهو كافر) بالله تعالى ولهذا يكفر من قال بحدوث كلام الله تعالى الذى هو القرآن لانه صفته تعالى (وفيها) اى التاتارخانية (سئل) مصنفها رحمه الله تعالى باللغة الفارسية (عن قوم) من الناس (ذات بارى) اى ذات الله تعالى (جلت قدرته محل حوادث ميكويند) اى قالوا بان ذات البارى محل للحوادث (ما حكمهم قال) اى فى الجواب (كافر شدند) اى صاروا كافرين (بى) اى بلا (شك) ولاريب (وفيها) اى فى التاتارخانية (سئل عمن قال بان الله) تعالى (عالم بذاته) اى ذاته علمه (ولا نقول له) صفة (العلم قادر بذاته) اى ذاته قدرته (ولا نقول له القدرة وهم المعتزله) والفلاسفة نفات الصفات (هل يحكم بكفرهم ام لا قال يحكم) بكفرهم (لانهم ينفون الصفات) بقولهم ذلك (ومن نفى الصفات فهو كافر) والحاصل ان القائلين بان الصفات عين ذاته تعالى طائفتان محققة ومبطلة فالمبطلة المعتزلة والفلاسفة لا يؤمنون ان له تعالى صفات زائدة على ذاته سبحانه عقلا بل هى عين ذاته عندهم عقلا والمحققة اهل الكمال من العارفين فانهم يقولون ان له تعالى صفات هى عين الذات بالنظر الى الامر على ما هو عليه مما لا يعلمه الا الله تعالى وهى غير الذات بحسب النظر العقلى وهو محض الايمان كما بسطناه وحققناه فى كتابنا المطالب الوفية (وفيها) اى التاتارخانية (ان اعتقد ان لله) سبحانه (رجلا وهى الجارحة) اى هى جسم مركب حيث سمع قدم الجبار الوارد فى الحديث (فانه يكفر) لاعتقاده فى الله تعالى الجسمية اللازمة للحدوث وكذلك من اعتقد ان لله تعالى يدا هى جارحة اوعينا حيث ورد النص بذلك فانها صفات له تعالى لا يعلم بها الا هو وهى من جملة المتشابهات والكلام فيها معروف فى محله (وفيها) اى فى التاتار خانية (ومن قال بان الله) تعالى (جسم لا كالاجسام) يعنى لا يشابه جسما من الاجسام اصلا (فهو مبتدع) حيث اثبت انه جسم وهو خلاف الشرع اذ لم يرد فيه ذلك (وليس بكافر) لانه قال لا كالاجسام فقال بالتنزيه فى الجملة (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال الله عالم فى السماء ان اراد به) اى بذلك القول (المكان) له تعالى (كفر) لانه قول بانه تعالى جسم كالاجسام وهو كفر (وان اراد به) مجرد (الحكاية عما جاء فى ظاهر الاخبار) كقوله تعالى ءأمنتم من فى السماء وقوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وغير ذلك (لا يكفر) لانه حكى الوارد من ذلك (وان لم يكن له نية) فى قلبه حين قال ذلك لا نوى المكان لله تعالى ولا نوى الحكاية (يكفر عند اكثرهم) اى العلماء (وفى) كتاب (التصحيح وهو) اى الكفر (الاصح وعليه الفتوى) لانه ظاهر فى التجسيم كما فى البزازية والمفهوم من قوله عند اكثرهم ان عند اقلهم عدم الكفر وكذلك المفهوم من قوله الاصح ان الصحيح عدم الكفر ولا يحكم بالكفر متى كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة او كان الكلام يحتمل ...

صحيحا وههنا يمكن حمله على نية سماء العقول وهى الغيب المطلق او نحو ذلك من التأويلات الحسنة فى حق الغير ولا يحكم فيه بالكفر قال فى تنوير الابصار ولا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن اوكان فى كفره خلاف ولو رواية ضعيفة وفى جامع الفصولين روى الطحاوى عن ابى حنيفة واصحابنا رحمهم الله تعالى انه لا يخرج الرجل من الايمان الاجحود ما ادخله فيه ثم ما تيقن بانه ردة يحكم بها اذ الاسلام ثابت لا يزول بالشك مع ان الاسلام يعلو و ينبغى للعالم اذا رفع اليه هذا ان لا يبادر بتكفير اهل الاسلام مع انه يقضى بصحة اسلام المكره وقال النووى فى ادب العالم و المتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق وفى طبقات الشعراوى نقل القزوينى فى كتابه سراج العقول عن امام الحرمين انه كان يقول حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع فى غير مطمع فان كلامهم بعيد المدرك وعير المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقايق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق كما انشد بعضهم فى معنى ذلك

* تركنا البحار الزاخرات ورآنا * فمن اين يدرى الناس اين توجهنا *

وسئل الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل الاهواء والمتفوهين بالكلام على الذات المقدس فقال رحمه الله تعالى اعلم ايها السائل ان كل من خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله اذ التكفير امر هائل صعب عظيم الخطر لان من كفر شخصا فكانه اخبر ان عاقبته فى الآخرة الخلود فى النار ابد الآبدين وانه فى الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا يجرى عليه احكام المسلمين لا فى حياته ولا بعد مماته والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفى الحديث لان يخطئ الامام فى العفو احب الى الله من ان يخطئ فى العقوبة ثم ان تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم فى غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قرائنها و تفاوت دواعيها والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة طرق اهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على اكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم واذا كان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فمابقى الحكم بالتكفير الا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالادب

الوقوف عن تكفير اهل الاهواء والبدع والتسليم للقوم فى كل شئ قالوه مما يخالف صريح النصوص وقال ابن نجيم الحنفى فى البحر شرح الكنز والذى تحرر انه لايفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن اوكان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا اكثر الفاظ التكفير المذكورة لايفتى بالتكفير بها وقد الزمت نفسى ان لاافتى بشئ منها اه وفى شرح الدرر ثم اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الاكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم الى ما يمنعه ولايرجح الوجوه على الواحد لان الترجيح لايقع بكثرة الادلة ولاحتمال انه اراد الوجه الذى لايوجب الاكفار (وفيها) اى التاتار خانية (لوقال) هكذا بالفارسية (نه مكانى) اى لامكان (زتوا) اى منك والخطاب لله تعالى (خالى) يعنى مافى الوجود مكان خال منك اصلا (نه تو) اى ماانت (درهيج مكانى) اى فى مكان واحد (فهذا كفر) لان فيه نسبة المكان الى الله تعالى وهو يقتضى الجسمية فى حقه تعالى والجسمية تقتضى الحدوث وهو محال (وفيها) اى التاتار خانية (رجل قال علم خدا) اى علم الله تعالى (درهمه مكانى هست) اى موجود فى كل مكان (هذا خطأ) لان فيه ايهام حلول العلم الالهى فى المكان ولكن لما كان ذلك للعلم لاللذات والعلم صفة للذات لاانفكاك فيهما اصلا رجع معنى ذلك القول الى احاطة علمه تعالى بكل مكان فكان خطأ فى العبارة وليس بكفر (وفى) كتاب (النصاب) اى نصاب الاحتساب (والصواب) فى العبارة (ان يقول) قائل ذلك القول (كل شئ معلوم لله تعالى) فان هذه العبارة لاابهام فيها لشئ مما ذكر (وفيها) اى فى التاتار خانية (رجل وصف الله تعالى بالفوق او بالتحت) بان قال له تعالى فوق بالنسبة اليه او تحت (فهذا تشبيه) له تعالى بالاجسام التى لها فوق وتحت فهو تجسيم لله تعالى (و) التجسيم (كفر) كما ذكرنا (وفيها) اى فى التاتار خانية (رجل قال يجوز ان يفعل الله تعالى فعلا لاحكمة فيه يكفر لانه وصف الله تعالى بالسفه) وهو العبث واللهو (وهو كفر) لانه يؤدى الى مشابهة الحوادث بانتفاء صفة الحكمة فى كل افعاله تعالى وذلك محال (وفيها) اى فى التاتار خانية (ولوقال خدا اى بود) اى كان الله تعالى (وهيج نبود) اى وما كان (و باشد) اى و يكون الله تعالى ايضا (وهيج نباشد) اى ولا يكون شئ اصلا (فقد قيل الشطر الثانى) وهو قوله ويكون الله ولايكون شئ اصلا (من كلام الملاحدة) الكافرين بالتمسك فقط بالعلم الباطن والاستهانة بعلوم الشريعة والدين (فان ظنهم ان الجنة ومافيها من الحور العين للفناء) والاضمحلال (وهو كفر عند بعض المشايخ) لان فيه الرد على النصوص المقتضية بقاء الجنة ومافيها وخلود اهلها مع غير زوال (خطأ عظيم عند البعض) من العلماء لاحتمال ارادة الحكاية لمعنى قوله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك [illegible]

فان كل قابل للفناء والزوال فانه فى حد ذاته زائل مضمحل واما الشطر الاول وهو قوله كان الله تعالى وماكان شئ فهو حق ثابت لقوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ماعليه كان اى لاشئ معه ايضا فى وجوده اذ ماعداه تعالى من الاكوان ليس له مع الله تعالى رتبة الاثنينية لان وجود الاكوان به تعالى لامعه وماكان به فهو له (وفيها) اى فى التاتارخانية (من انكر القيامة اوالجنة اوالنار اوالميزان اوالحساب اوالصرط اوالصحائف المكتوب فيها اعمال العباد) فانه (يكفر) لانكاره ماهو الثابت بالنصوص القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية واجمعت عليه الامة المرضية (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال ان الميزان) اى الذى يكون يوم القيامة (عبارة عن العدل فقط) اى عدل الله تعالى فى خلقه ولايكون يوم القيامة ميزان حقيقى توزن به الاعمال (فهو مبتدع) اى احدث فى الاعتقاد مالم يرد فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من دين ائمة الهدى (وليس بكافر) لايمانه بالميزان فى الجملة حيث لم يكن منه صريح التكذيب للآيات والاحاديث (وفيها) اى فى التاتارخانية (من انكر عذاب القبر فهو مبتدع) اى صاحب بدعة فى اعتقاده ولم يكفر لعدم انكاره خبرا متواترا حتى يكفر فان عذاب القبر ثابت بالحديث الآحاد لا بالقرآن الاعلى احتمال فى بعض الآيات كما قدمناه ولايكفر بانكار المحتمل (ومن انكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر) لثبوتها بالقرآن فى عدة مواضع وينبغى ان لايكفر بانكار تفاصيل الشفاعات لثبوتها بالآحاد (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال بتخليد اصحاب الكبائر) كالزناة وشربة الخمر ونحوهم (فى النار) بحيث لايخرجون منها ابدا (فهو مبتدع) لاعتقاده مايخالف السنة مما اجمعت عليه الامة الناجية من ان عصاة المؤمنين اذا ماتوا قبل التوبة كانوا فى مشيئة الله تعالى بدليل قوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * ولايكفر معتقد ذلك لتمسكه بظاهر بعض الآيات والاحاديث كقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها * الآية وقوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وان كان تمسكهم هذا غير صحيح الدلالة على زعمهم لارادة المستحل فى الاول او الخلود بمعنى طول المدة لا التأبيد وارادة الايمان الكامل فى الثانى او الزانى المستحل كما تقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (لو انكر رؤية الله تعالى بعد الدخول) اى دخول اهل الجنة (فى الجنة يكفر) لانكاره ماهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * واما السنة فقوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة رضى الله عنهم واما الاجماع فهو ان الامة كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الآخرة وان الآيات الواردة فى ذلك محمولة على ظواهرها

ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبهاتهم وتأويلاتهم كذا ذكره السعد فى شرح العقائد ثم ذكر فى موضع آخر منه قال والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن او استحال الرؤية او سب الشيخين رضى الله عنهما ولعنهما وامثال ذلك فمشكل انتهى كلامه ويمكن ان يدفع الاشكال بان قولهم بالكفر بناء على انكار الثابت بالنص القطعى وانكاره كفر بالاجماع وقولهم بعدم الكفر فى احد من اهل القبلة بناء على ان لهم فيما قالوه تأويلا يحتمل صرف قولهم اليه فتى قطع نظر القائل بذلك عن التأويل كان انكاره كفرا ومتى اعتبر التأويل لم يكن كفرا بل بدعة اعتقادية ارأيت ان جميع ما وقع فى كتب الفتاوى من كلمات الكفر التى صرح المصنفون فيها بالجزم بالكفر لا يجوز الفتوى بشئ منها اذا كان له تأويل يحتمل عدم الكفر او كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة كما قدمناه فيكون الكفر فيها محمولا على ارادة قائلها المعنى الذى علاوابه الكفر فيها واذا لم تكن ارادة قائلها ذلك فلا كفر بها (وكذلك) يعنى كما ذكر (لو قال لا اعرف عذاب القبر فهو كافر) لان انكاره لعذاب القبر اقترن بنوع استهزاء على من ورد عنه ذلك وهو الشارع صلى الله عليه وسلم فى صرايح الاحاديث وان كانت آحادا لا يكفر منكرها لكن اذا تضمن انكارها الاستهزاء والاستهانة بمن وردت عنه لا نعتبرهى من جهة عدم القطعية فيها ويبقى معنى الاستهزاء والاستهانة بالشارع وذلك كفر لا محالة (وفيها) اى فى التاتارخانية (يجب اكفار القدرية) وهم فرقة من الفرق الضالة وقد افترقوا الى احد عشرة فرقة (فى نفيهم كون الشر بتقدير الله تعالى) وهم فرقة يقال لهم الثنوية قائلون بان الله تعالى لم يقدر الشر والمعاصى بل قالوا الخير مخلوق لله تعالى والشر مخلوق للشيطان وقد روى اللالكائى عن رافع بن خديج رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى امتى قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون قال قلت يقولون ماذا يارسول الله قال يقولون الخير من الله والشر من ابليس وذكر الحديث كذا فى حسن التنبه فى التشبه للنجم الغزى (وفى دعواهم) يعنى القدرية (ان كل فاعل) من حيوان اوغيره (خالق فعل نفسه) دون الله تعالى وهى فرقة منهم يقال لها المعمرية اصحاب معمر ابن عباد السلمى سموا انفسهم اصحاب المعانى وهم اعظم القدرية فرية فى نفى الصفات والقدر وقالوا ان الله تعالى لم يخلق شيئا غير الاجسام والعرض من اختراعات الاجسام اما طبعا كحرق النار او اختيارا كالحيوان يحدث الحركة ذكره فى حسن التنبه (وفيها) اى فى التاتارخانية (يجب اكفار الكيسانية) وهم فرقة من فرق الشيعة اصحاب كيسان (فى اجازتهم البدا على الله تعالى) يقال بداله فى الامر بدوا وبدأ وبدأة نشأ له رأى فيه كذا فى القاموس وقد قالوا مالم تقل به اليهود فان اليهود منعوا النسخ زعمهم انه بدو وهو ممتنع على الله تعالى عندهم وهذه الفرقة اجازته على الله تعالى [illegible]

اكفار الروافض فى قولهم برجع الاموات) بعد موتهم (الى الدنيا) ايضا (و) قولهم (بتناسخ الارواح) اى انتقالهـا من جسد الى جسد على الابد (وانتقال روح الا له الى الائمة) الاثنى عشر من اولاد على كرم الله وجهه وهم على المرتضى وحسن المجتبى وحسين الشهيد وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى المرتضى ومحمد التقى وعلى بن محمد النقى والحسين العسكرى ومحمد المنتظر (وان الائمة) المذكورين عندهم (آلهة) لحلول الاله فيهم وهذا كله كفر لاقتضائه انكار القيمة واعتقادا لحلول فى حق الله تعالى (وبقولهم) يعنى الرافضة (بخروج امام باطن) الآن وهو الامام المنتظر عندهم وهو المهـدى (وتعطيلهم الامر والنهى) بحيث لايجب على احد مراعاتهما (الى ان يخرج الامام الباطن) المذكور ولاشك فى ان ذلك كفر (وبقولهم) اى الرافضة (ان جبريل) عليه السلام (غلط فى الوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم دون على بن ابى طالب رضى الله عنه) حتى انهم يفضلون عليا على النبى صلى الله عليه وسلم (وهؤلاء لقوم) الذكورون (خارجون عن ملة الاسلام) قطعا لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واحكامهم احكام المرتدين) حيث يدعون الاسلام ويقولون بذلك (ويجب اكفار الخوارج) وهم فرق كثيرة منهم الازارقة اصحاب نافع بن الازرق ومنهم الاباضية اصحاب عبدالله بن اباض (فى اكفارهم جميع الامة) حيث قالوا بكفر جميع المسلمين (وفى اكفارهم على بن ابى طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم) قال فى حسن التنبه الازارقه اصحاب نافع بن الازرق الذين خرجوا معه بالبصرة الى الاهواز وماوراءها فى ايام عبدالله بن الزبير كفروا عليا رضى الله عنه وكفروا عثمـان وطلحة والزبير وعائشه وابن عباس وسـائر المسلمين وكفروا من قعد عن القتال معهم واباحوا قتل اطفال مخالفيهم ونسائهم وقالوا اطفال المشركين معهم فى النار والاباضية قالوا ان مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين (ويجب اكفار اليزيدية) وهم فرقة من جملة الفرق الخوارج الاباضية (فى انتظـار نبى من العجم) خلاف العرب (ينسخ ملة محمد صلى الله عليه وسـلم) وينزل عليه كتاب قد كتب فى السمـاء ينزل جملة واحدة وتترك الشريعة المحمدية ولاشك فى كفرهم ولاشبهة (ويجب اكفار النجارية) اصحاب الحسين بن محمد النجار (فى نفيهم صفات الله تعالى) كالمعتزلة (وفى قولهم ان القرآن جسم اذا كتب) فهو عين الحبر والقرطاس عندهم (وعرض) بالتحريك (اذا قرئ) فهو عين الحروف والاصوات لان ذلك يقتضى ان يكون مخلوقا ومن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر عـلى ما هو مقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (واختلف الناس) اى العلمـاء (فى اكفار المجبرة) وهم الجبرية الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والقدرية فى طرفى نقيض فالقدرية يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان كل مايجرى من افعال العبد فهو

فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا واهل السنة وسط بين الطرفين لا تفريط ولا افراط ويعتقدون ان الله خالق العبد وما يعمل ويثبتون للعبد قدرة ويسمون ما يصدر عنها كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد اخطأ القدرية فى تسميتهم اهل السنة جبرية (فمنهم) اى من العلماء (من اكفرهم) اى المجبرة لانكارهم تكليف الله تعالى لعباده وتسفيههم ذلك (ومنهم من ابى) اى ترك (اكفارهم) لتأولهم نحو قوله تعالى * الله خالق كل شئ * وقوله * لا يقدرون مما كسبوا على شئ * وان كان زعمهم فاسدا وتأويلهم باطلا لكنه درأ عنهم الكفر والزمهم البدعة فى الاعتقاد والزيغ عن مذهب اهل السنة والجماعة (والصواب اكفار من لم ير) اى من لم يعتقد (للعبد) المكلف (فعلا اصلا) وانما افعاله كلها افعال الله تعالى للزوم انكار التكليف الشرعى اذ لا معنى لتكليف الجماد وانما تكليفه سفه وعبث وذلك محال على الله تعالى (ويجب اكفار معمر) بن عباد السلمى ومن تابعه (فى قوله ان الانسان غير الجسد) الظاهر (وانه) اى الانسان (حى) بحياة له مستقلة غير حياة الجسد (قادر) على فعل كل شئ (مختار) فى ذلك (وانه ليس بمتحرك ولا ساكن) لكونه ليس بجسم (ولا يجوز عليه شئ من الاوصاف الجائزة على الاجسام) من الكبر والصغر والطول والقصر والاتصال والانفصال والتحيز والمكان والجهة فان قوله هذا تترتب عليه قبايح كثيرة وضلالات وافرة منها انكار كون هذا الجسد المتحرك الساكن هو الانسان الذى كلفه الله تعالى بالشرايع والاحكام فيقتضى ذلك انكار التكليف وهو كفر ومنها نسبة الانسانية الى الله تعالى الموصوف بما ذكر من الاوصاف فانه تعالى حى قادر مختار ليس بمتحرك ولا ساكن ولا يجوز عليه شئ من صفات الاجسام ومع ذلك فهو المستولى على هذا الجسد المتجسم للانسانية التى هى صفة النفس الناطقة وهى روح وعقل ونفس حيوانية ونفس نباتية ونفس جمادية ولا يقال انه اراد بالانسانية الروحانية اللطيفة الحاملة الجسد التى وصفها الامام الغزالى وغيره بقوله الروح مجرد غير حال فى البدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر امره على وجه لا يعلمه الا الله تعالى لانا نقول انه لو اراد ذلك لما قال حى قادر مختار فان الروح لا توصف بالحياة والقدرة والاختيار الا باعتبار الجسد فالجسد يصير حيا بالروح ويصير قادرا مختارا بها ولا وجود للارواح المجردة عند اهل السنة اصلا بل لابد من الاجساد اما الاجساد الدنيوية العنصرية او البرزخية النورانية او الظلمانية ومنها انه يلزم من هذا القول ان الجسد المتحرك الساكن اذا فعل من المعاصى والكفر ما عسى ان يفعل لا يكون مؤاخذا بذلك اذ ليس هو الانسان والمكلف بالاجتناب انما هو الانسان ومنها انه يلزم من ذلك عدم امكان الامتثال لامر الله تعالى والاجتناب عن نهيه اذ الانسان المكلف بذلك غير الجسد فكيف يمتثل او يجتنب

ومنها انه يلزم من ذلك ان يكون امتثال التكاليف واجبا على الانسان بمجرد التفكر بدون فعل الجسد فاذا امتثل تفكرا سقط عنه الامر واكتفى عن النهي وهذه كلها امور ملغية لاحكام الله تعالى فهي موجبة للكفر (ويجب اكفار قوم من المعتزلة بقولهم ان الله تعالى لا يرى شيئا) من الاشياء اصلا (ولا يرى) بالبناء للمفعول اى لا يراه احد فان الاول انكار لقوله تعالى * الم يعلم بان الله يرى * والثاني انكار رؤية الله تعالى في الآخرة وذلك كفر لا محالة (ويجب اكفار شيطان الطاق) وهو لقب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول رأس الفرقة النعمانية من فرق غلاة الرافضة (في قوله ان الله تعالى لا يعلم شيئا الا اذا اراده وقدره) فيلزم على هذا الزعم الباطل انه تعالى لا يعلم الا خلقه ولا يعلم ذاته سبحانه ولا صفاته ولا اسماءه ولا احكامه لانه لم يقدر ذاته ولا اراد هما ولا قدر صفاته ولا اسماءه ولا احكامه ولا تعلقت ارادته بذلك لان ذاته تعالى قديمة وكذلك صفاته واسماؤه واحكامه قديمات ازليات والقديم لا يتعلق به الارادة ولا التقدير وهذا نفي لعلم الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فكان كفرا (وفيها) اى في التاتارخانية (من يقول بقول جهم) بن صفوان وهو اول من قال بخلق القرآن كان كوفي الاصل فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا يجالس اهل العلم بل كان يكلم المتكلمين ويجالس الدهرية حتى شك في الاسلام ومكث اربعين يوما لا يصلي وقيل له صف لنا ربك الذي تعبده فدخل البيت ومكث اياما ثم خرج اليهم فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء فقتل على بدعته باصبهان فلما ضربت عنقه اسود وجهه ذكره النجم الغزي في حسن التنبه (فهو خارج عندنا) معشر اهل السنة والجماعة (من الدين) المحمدي (فلا نصلي عليه) اذا مات (ولا نتبع جنازته) لكفره بالله تعالى العظيم قال الامام ابو زرعة الرازي حدثت عن العلاء بن سويد قال ذكر جهم عند عبد الله بن المبارك فقال شعرا

* عجبت لشيطان الناس داعيا * الى النار واشتق اسمه من جهنم *

وروى ابو نعيم في الحلية عن علي بن الحسن بن شقيق قال قال عبد الله بن المبارك

ايها الطالب علما ائت حماد بن زيد

* فاطلب العلم بحلم * ثم قيده بقيد * لا كثور وكجهم * وكعمرو بن عبيد *

يعني بثور ثور بن يزيد وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين وروى ابن ابي حاتم عن سعيد بن احمد صاحب ابي اسحاق الفزاري قال انما خرج جهم سنة ثلاثين ومائة فقال القرآن مخلوق فاكفره العلماء كذا في حسن التنبه (واما صنف القدرية الذين ينفون العلم) اى علم الله تعالى (فكذلك عندنا) يعني خارجون من الدين لا نصلي عليهم ولا نتبع جنائزهم اذا ماتوا لكفرهم بذلك (ونفسر) اى نبين (رد العلم) الذي يقولون به (انهم يقولون ان الله تعالى يعلم كل شيء

عند كونه) اى وجود ذلك الشئ (وكذلك كل شئ يكون) اى يوجد (عند كونه) اى وجوده وعلم الله تعالى به مقارن لوجوده فكما ان وجوده لايتقدم عليه علمه تعالى به لايتقدم ايضا عندهم (واما الشئ الذى لم يكن) اى لم يوجد (فانه لايعلم) اى لايعلمه الله تعالى (حتى يكون) اى يوجد (فهـؤلاء) القائلون بهذه المقـالة الباطلة (كفار) حيث نفوا علم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها وحكموا بحدوث علمه سبحانه حيث كان مقارنا للاشياء الحادثة فى الوجود (لانتزوج من نسائهم ولانزوجهم) من نسائنا زدنهم بدعواهم الاسلام مع هذه المقـالة ولايجوز تزوج المرتدة ولاتزويج المرتد (ولانتبع جنائزهم) اذا ماتوا لكفرهم بذلك (واما المرجئة) من الفرق الضالة (فان ضربا) اى نوعا (منهم يقولون نرجى) اى نكل (امر المؤمنين والكافرين الى الله تعـالى) من غير ان يقطعوا لاحد بثواب اوعقاب (فيقولون الامر) عندنا (فيهم) اى فى المؤمنين والكافرين موكول (الى الله) تعالى (يغفر لمن يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء) من المؤمنين والكافرين ايضـا (ويقولون له) اى لله تعالى (الآخرة والاولى) كما قال الله تعالى * وان لنا للآخرة والاولى * فيفعل مايشاء ويحكم مايريد (فكما نرى انه) سبحانه وتعالى (يعذب من يشاء من المؤمنين فى الدنيا وينعم من يشاء من الكافرين) فيها (وذلك منه) سبحانه وتعالى (عدل فى الحكم) (فكذلك فى الآخرة) ينعم من يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء من المؤمنين والكافرين (فيسوون حكم الآخرة والاولى) اى الدنيـا (فهولاء ضرب من المرجئة وهم كفار) حيث انكروا وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وساووا بين من لم يساو الله تعالى بينهم حيث قال سبحانه تعالى * لم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصـالحات كالمفسدين فى الارض لم نجعل المتقين كالفجـار * الى امثال ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على القطع للمؤمنين بالجنـة وللكافرين بالنار من غير شك ولاتردد واجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير شبهة (وكذلك الضرب الآخر) من المرجئة (الذين يقـولون حسناتنـا) التى نعملهـا كلها (متقبلة) اى مقبولة عنـد الله تعالى قطعا (وسيئـاتنا) التى نأتى بها جميعها (مغفورة) لايؤاخذنا الله تعـالى على شئ منها لانا مؤمنون والايمان كاف عن جميع الطاعات (والاعمال) كلها التى كلف الله تعالى بها عباده (ليست بفرائض) بل كلها نوافل بتخيير العبدين فعلهـا وتركها (ولايقرون بفرائض الصلاة والزكاة والصيام وسائر) اى بقية (الفرائض) كالحج والجهاد وبر الوالـدين (ويقولون هذه) كلها (فضائل) زائدة (من عمل بهـا حسن) يستحق له الثواب على عمله (ومن لم يعمل) بشئ من ذلك (فلا شئ عليـه) من العقـاب (فهؤلاء ايضا) اى كالضرب الاول (كفار) لانكارهم العقاب على السيئات بوجه القطع وجحودهم الفرائض القطعية

(واما المرجئة الذين يقولون لانتولى) اى لانتخذ اولياء يعنى لانساوى فى الايمان (المؤمنين المذنبين ولانتبرأ منهم) ايضا (فهؤلاء المبتدعة) لحكمهم بان الذنوب تنقص من حقيقة الايمان بحيث يصير المذنب لامؤمن خالص ولاكافر خالص وهذا بدعة فى الاعتقاد (ولانخرجهم بدعتهم) هذه (من الايمان الى الكفر) لعدم استلزامها جحود شئ من القطعيات (واما المرجئة الذين يقولون نرجى) اى نفوض ولكل (امر المؤمنين الى الله) تعالى يعنى المذنبين وغيرهم (فلا ننزلهم) اى لا نجعل لهم على وجه القطع (جنة ولانارا ولانتبرأ منهم ونتولى هم) اى نتخذهم اولياء اى مساوين لنا (فى الدين فهم على السنة) النبوية والطريقة المرضية (فالزم قولهم وخذ به) فانه حق وهم الذين اخذوا بقوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وتمسوا بقوله تعالى * وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم * الآية (واما الخوارج) من الفرق الضالة (فمن لم يرد قولهم شيئا من كتاب الله) تعالى وسنة نبيه القطعية (وكان خطأهم فى قولهم (على وجه التأويل) وهو تفسير الكلام باحد محتملاته (يتأولون ان الاعمال) من الفرائض وغيرها (ايمان) فهم (يقولون ان الصلاة ايمان وكذا الصوم والزكاة) كل واحدة ايمان ايضا (وكذلك جميع الفرائض) من الحج والجهاد وغيرهما (والطاعات) من الواجبات والنوافل (فمن اتى بالايمان بالله) تعالى (وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اتى بفعل (جميع الطاعات) المفروضة وغيرها (فهو مؤمن ومن ترك شيئا من الطاعات) المفروضة (كفر ويقولون الزانى يكفر حين يزنى) اى فى وقت زناه (وشارب الخمر يكفر حين يشرب) اى فى تلك الحالة اخذا من ظاهر قوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن (وكذا يقولون فى جميع مانهى الله عنه) من فعله فانه يكفر حين فعله قياسا على ما فى الحديث (يكفرون الناس) اى المسلمين (بترك العمل) من فعل المنهى عنه وترك المأمور به (فهؤلاء تأولوا) الاخبار الشرعية (واخطأوا) فى تأولهم ذلك (فهم مبتدعة) مخالفون باعتقادهم لعقائد اهل السنة والجماعة وليسوا بكافرين (فاياك) ياايها المؤمن التابع لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى الاعتقاد والقول والعمل (وقولهم) ذلك فتباعد عنه (ولاتقل بقولهم) اصلا (واجتنبهم) اى لاتخالطهم (واحذرهم) ان يفتنوك بشئ من زخارف مذهبهم (وفارقهم وخالفهم) تسلم منهم (واما من لم ير المسح على الخفين) من الروافض والشيعة ويرون المسح على ارجلهم من غير خفين (فقد رغب) اى اعرض (عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كان المسح على الخفين سنته عليه السلام كما وردت به الاحاديث المشهورة القريبة من التواتر (فهو عندنا) معشر اهل السنة

والجماعة (مبتدع) لمخالفة السنة النبوية ولهذا لما سئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن مذهب اهل السنة والجماعة قال هو ان تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين فالشيخان ابو بكر وعمر والختنان عثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين فالختن زوج البنت (فلا تتخذه) اي من لم ير المسح على الخفين (اماما في صلاتك) لاحتمال انه مسح على رجليه حيث يتعين عليه ذلك في مذهبه فيبطل وضوءه فلا تصح صلاته فتكون اقتديت بمحدث (ولا توقره) اي تعظمه (ولا تختلف) اي تتردد (اليه) فتخالطه وتجالسه (فانه صاحب بدعة) وقد ورد النهي عن مجالسة المبتدع في الدين ففي الحديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله تعالى قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الاكبر ذكره في الشرعة (انتهى) اي كلام صاحب التاتارخانية (فعليك ايها السالك) في طريق الله تعالى (بالجد) اي الاجتهاد (والتشمير) اي المبادرة والمسارعة (في تحصيل) مقام (اليقين) وهو السكون واطمئنان القلب (بمذهب اهل السنة والجماعة والاذعان) اي الانقياد والتسليم (له) اي للمذهب المذكور (وغاية التيقظ) من غباوة الذهول (والتنبه) من نوم الغفلة (والتضرع) اي التوسل (والاستعانة بالله تعالى) في احوالك كلها وامورك جميعها (حتى لا تزل) من الزلل وهو الخطأ (قدمك ولا يزول اعتقادك) الحق الذي في قلبك (باضلال مضل) من شياطين الانس والجن (وتشكيك مشكك) يدخل عليك شبهة فيفسد عليك دينك ويكدر صفاء مشربك (فاني قد سمعت) باخبار احد لي (عن بعض متصوفة) اي مدعين التصوف وليسوا بصوفية على الجد (زماننا) وهو عصر التسعمائة الذي كان فيه المصنف رحمه الله تعالى (حكي عن شيخه ان واحدا من اقربائه) اي اقرباء الشيخ او الحاكي (يرى الله) سبحانه وتعالى (في كل يوم مرة او مرتين وان موسى عليه السلام مع كونه كليم الله لم يتيسر له ذلك) يعني رؤية الله تعالى (وقيل له) اي قال تعالى له (لن تراني) حين طلب الرؤية بقوله * رب ارني انظر اليك * اعلم ان رؤية الله تعالى في الدنيا بالبصر جائزة من وجهين الاول قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام * رب ارني انظر اليك * فانه دال على جواز الرؤية والا يلزم الجهل او العبث على موسى عليه السلام لانه ان لم يعلم امتناعها لزم الجهل وان علم وسأل لزم العبث ومثل موسى عليه السلام لا يجوز ان يكون جاهلا بوصف من اوصاف الله تعالى او يكون عابثا بالله تعالى والوجه الثاني قوله تعالى * فان استقر مكانه فسوف تراني * علق رؤيته على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرؤية ممكنة كذا في شرح الصحائف وقال السعد في شرح المقاصد والاستدلال في الاول من وجهين احدهما انه لو لم تجز الرؤية لم يطلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالنص والاجماع والتواتر وتسليم الخصم [illegible]

كان طلبه الرؤية عبثا واجتراء لايليق بالانبياء عليهم السلام وان كان جاهلا لم يصلح ان يكون نبيا وكلاهما باطل وثانيهما انه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن في نفسه ضرورة والمعلق على الممكن ممكن لان معنى التعليق ان المعلق يقع على تقدير المعلق عليه والمحال لايقع على شئ من التقادير انتهى وحيث ثبت انها جائزة في الدنيا بالبصر فهل هي واقعة لاحدام لا قال الشيخ علوان بن عطية الحموى في شرح الشيبانية اعلم ان فصل الخطاب هنا ان رؤية الله تعالى جائزة عقلا ولكنها مع جوازها عقلا هل هي واقعة حسا جائزة شرعا اولا هذا محل النظر والذى نراه والله اعلم بغيبه انها غير واقعة بالبصر لغير سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم ولو وقعت لاعطيها الكليم ومن المعلوم ان آخر مقامات الولاية اول مقامات الصديقية وآخر مقامات الصديقية اول درجات النبوة وآخرها اول درجات الرسالة وآخرها اول درجات اولى العزم الذين من جملتهم موسى عليه السلام ولم يظفر بالرؤية على المشهور عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم في وقوعها وثبوتها للنبي الفاتح الخاتم صلى الله تعالى وسلم ليلة الاسراء فبين منكر من الصحابة كعائشة ومن وافقها رضي الله عنهم فقد صرحت بتكذيب من نسب ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس واتباعه رضي الله عنهم وكل منهم اخبر عما وصله واعتقده فكيف يظفر بها عن دونهم في الرتبة واسفل منهم بكثير في الدرجة والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيرى والغزالى وغيرهما ان الشهود والرؤية انما هما بالقلب دون المقلة في هذه الدار الفانية لان البصر فان والحق باق ولايرى الباقي بالفاني فاذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبا باقيا فكانت ابصارهم باقية فصح ان يرى الباقي بالباقي ونحو هذا منقول عن الامام مالك مستحسن منه وقال الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربى رضي الله عنه في كتابه انشاء الجداول والدوائر لكل شئ في الوجود اربع مراتب الا الله تعالى فان له في الوجود المضاف الينا ثلاث مراتب المرتبة الاولى وجود الشئ في عينه وهي المرتبة الثانية بالنظر الى علم الحق تعالى بالمحدث المرتبة الثانية وجوده في العلم وهي المرتبة الاولى بالنظر الى علم الله تعالى بنا والمرتبة الثالثة وجوده في الالفاظ والرتبة الرابعة وجوده في الرقم ووجود الله سبحانه وتعالى بالنظر الى علمنا على هذه المراتب ماعدا مرتبة العلم الثانية يعني وجوده في عينه هذا هو الادراك الذى حصل بايدينا اليوم ولا ادرى اذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع هل يحصل في نفوسنا ثبات او مزيد وضوح في جنس العلم الذى بايدينا اليوم منه في علمنا به سبحانه وتعالى فان كان كذلك فليس له الا ثلاث مراتب وان كان يوجب النظر اتفاقا في الدار الآخرة ... العلية لو وقعت فيصفه بالرتبة الرابعة وقال

فی عقیدة اهل الاختصاص من اول کتاب الفتوحات المکیة متعلق رؤیتنا الحق تعالی ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به اثباته الها بالاضافات والسلوب فاختلف فلا یقال فی الرؤیة انها مزید وضوح فی العلم لاختلاف المتعلق وان کان وجوده غیر ماهیته فلا ننکر ان معقولیة الذات غیر معقولیة کونها موجودة انتهی کلامه فانظر کیف فرق بین العلم بالله تعالی وبین رؤیته وقد صرح ان الذی بایدی العارفین الیوم انما هو العلم بالله سبحانه لا رؤیته تعالی والرؤیة انکشاف آخر غیر انکشاف العلم ومن اشتبه علیه الفرق سمی العلم رؤیة وادعی الرؤیة فی الدنیا وهو باطل وقال اللاقانی فی شرح جوهرته لم تقع رؤیة الله تعالی فی الدنیا لغیره صلی الله علیه وسلم علی خلاف فیها وفی موسی علیه السلام خلاف ایضا والاصح انه لم یر واقتضی جواب القاضی ابی بکر وحکاه ابو فورك عن الاشعری انه رای هو والجبل بخلق حیاة ورؤیة فیه فمن ادعاها غیرهما فی الدنیا یقظة فهو ضال باطباق المشایخ وفی کفره قولان والذی جزم به الکواشی والمهدوی کفره ونقل جماعة الاجماع علی انها لا تحصل للاولیاء فی الدنیا والصواب مع ناقل الخلاف نعم المنع ارجح قولی الاشعری وقد صرح ابو عمرو ابن الصلاح وابو شامة والکلاباذی بتکذیب مدعیها یقظة فی الدنیا وان مدعی ذلك لم یعرف الله تعالی قال العلامة القونوی فان صح عن احد من المعتبرین وقوع ذلك امکن تأویله ان غلبات الاحوال تجعل الغائب کالشاهد حتی اذا کثر اشتغال السر بشیء واستحضاره له صار کأنه حاضر بین یدیه کما هو معلوم بالوجدان لکل احد وعلیه یحمل ما نقل عن ابن عمر وغیره رضی الله عنهم انه کان یطوف حول البیت فسلم علیه انسان فلم یرد علیه فشکاه الی عمر رضی الله عنه فقال کنا نترای الله تعالی فی ذلك المکان ومنه اخذ ان هذا الحال قد یتفق فی زمان دون زمان ومکان دون مکان وقال الشیخ علوان رحمه الله تعالی فی شرح الشیبانیة فکذب مدعی الرؤیة هنا مما کان یطبق علیه الخاص والعام لاسیما ممن یکون متمسکا بالاوهام غیر متخلق ولا متحقق بقواعد الاسلام فتفسقه لکذبه فی دعاویه وافترائه فیما یحکیه واضح لاشك فیه واما التجلی والاستتار فی اصطلاح القوم فامرهما مشهور واما کفره وزندقته فنکله الی الله العلیم بحقائق الامور علی ان صاحب الانوار صرح بکفره حیث قال فی باب الردة ولو قال انی اری الله ویکلمنی شفاها کفر اه والحاصل ان الاحتیاط فی عدم الکفر لمدعی ذلك خصوصا والمسئلة اذا کان فیها خلاف لا یفتی بالتکفیر فیها کما قدمناه ولکن الکذب والفسق والضلال ثابت له ان لم یتب من دعوی ذلك وسبب دعوی الرؤیة عدم المعرفة بالفرق بین العلم بالله تعالی وبین رؤیته سبحانه فیظن الجاهل انه اذا علمه تعالی فقد رآه وربما ادعی ان رؤیة کل موجود بحسبه فرؤیة الموجود الحق تعالی هی العلم به فان اعترف قائل ذلك بالرؤیة الواردة فی الشرع وانها تکون فی الآخرة علی وجه

لايعلمه الآن فى الدنيا كان ادعاؤ ذلك فى الدنيا بتسمية العلم روءية بمجرد اصطلاح كما هو عادة بعض الصوفية وان لم يعترف قائل ذلك بالروءية الشرعية فى الآخرة وحكم بانها مثل روءيته فى الدنيا التى هى العلم به تعالى فهو منكر روءية الآخرة ومنكر روءية الآخرة كافر وجميع ماوقع فى كلام الكاملين من ائمة الصوفية من اثباتهم روءية الله تعالى فى الدنيا مرادهم به الروءية القلبية وهى الشهود للتجلى الالهى من قبيل قوله عليه السلام فى مقام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومنه قول الصديق رضى الله عنه مارأيت شيئا الاورأيت الله قبله وقول السيد عمر رضى الله عنه مارأيت شيئا الاورأيت الله بعده وقول عثمان رضى الله عنه مارأيت شيئا الاورأيت الله معه فالاول رأى الاشياء بالله والثانى رأى الله بالاشياء والثالث رأى الله فى الاشياء وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولاشئ معه وهو الآن على ماعليه كان فرأى الله وحده بلاشئ وورد عن باب مدينة العلم الامام على رضى الله عنه انه كان يقول انا لانعبد ربا لم نره فكل من قال من الصوفية رأيت الله تعالى وانى ارى الله تعالى مراده شهود الله تعالى بعين البصيرة لاروءيته سبحانه بالبصر حتى لو لم يكن اراد ذلك يجب على السامع ان يحمل كلامه على ارادة ذلك لئلا يسئ الظن بالمسلم متى امكن حمل كلامه على محمل حسن مالم يصرح فيقول رأيت الله بعينى التى فى وجهى فيحكم حينئذ عليه بالجهل وعدم معرفة الله تعالى خصوصا اذا فضل نفسه على موسى عليه السلام بان موسى عليه السلام مارأى الله تعالى وقيل له لن ترانى وهو رأى الله تعالى فان هذا كفر صريح فان الولى لايصل الى مرتبة النبى اصلا ولايدانيه كما قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى كتابه شرح الوصية ليوسفية ولقد روينا عن ابى موسى الدبيلى عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه سأل الله تعالى روءية مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له انك لاتطيق اى نورك الذى ترى به يضعف عن ادراك ماتطلبه من ذلك مع كون الحق فى هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره فالح فى السؤال قال ابو يزيد ففتح لى من ذلك قدر خرم ابرة فلم اطق الثبوت عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه وذكر الشيخ الاكبر رضى الله عنه ايضا فى كتابه المذكور حكاية ابى يزيد فى حق المريد الذى قال له بعض اصحابه لم لاتمشى الى بيت ابى يزيد فتراه فقال المريد رايت الله واغنانى عن ابى يزيد فقال له الرجل لان ترى ابا يزيد مرة خير لك من ان ترى الله الف مرة يشير الى ان الحق تعالى فى معرفة ابى يزيد اتم منه فى معرفة هذا المريد به فاراد المريد وكان صادقا ان يرى صدق هذا القائل فاتفق ان ابا يزيد مر فقال له الرجل هذا ابو يزيد فنظر اليه ذلك المريد فمات من ساعته فقيل لابى يزيد عنه فقال كان الحق تعالى عنده على قدره وقدرنا اعظم من قدره فعرفتنا بالله اعظم من معرفته فلما رآنى كشف الله عن بصيرته فرأى الحق

على قدرنا على قدره لا فلم يطق فات اه كلامه فابو يزيد مع مقامه هذا لم يقدر ان يثبت لقدر رخرم ابرة من مقام نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فكيف من دونه من الصوفية اذا تقرر هذا وثبت عندك فاعلم ان مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخاتم لمقامات النبيين والمرسلين عليهم السلام من اعلى المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقدورثه في مقامه هذا اولياء كثيرون من امته يقال للواحد منهم خاتم الولاية المحمدية وكل ولي دونه على مشرب نبي من الانبياء عليهم السلام وفي كل زمان ختم ولاية واولياء دونه الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ومن المعلوم ان جميع الانبياء عليهم السلام لم يدركوا عصر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعرفوا ماهو متحقق به من علوم ختم النبوة وانما لهم علم النبوة الخاصة بهم وقدورثه عليه السلام كثير من اكابر اولياء امته في علوم ختم نبوته ولم يفتهم غير النبوة فقط فيعلم الولي الوارث الكامل المحمدي بسبب ارثه لخاتم النبوة مالم يعلمه الانبياء الاولون وان كان النبي الواحد منهم افضل من جميع اولياء الامة المحمدية اذ الفضيلة اختصاص الهي لا باعتبار كثرة العلم ارأيت بان الرجل افضل من المرأة والحر افضل من العبد ولو كانت المرأة حاوية لعلوم شتى وكان الرجل جاهلا فانه من جهة صفة الرجولية افضل من المرأة وان كانت المرأة اكثر علما منه وكذلك الحر الجاهل افضل من العبد العالم وان كان العبد اكثر علما من الحر فان الهدهد وهو طير قال لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين وكذلك قصة الخضر مع موسى عليهما السلام والخضر مختلف في نبوته وموسى من اولي العزم اجماعا وقد وجد عند الخضر علوم لم توجد عند موسى عليه السلام حتى امر موسى عليه السلام بالتعلم منه فقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا الآية فلم يبعد ان يوجد عند الولي من العلم مالم يعلمه نبي من الانبياء خصوصا على القول بولاية الخضر رضي الله عنه وانه ليس بنبي اذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم ان من هذا القبيل قول الشيخ الاكبر رضي الله عنه خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله فان البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والانبياء وقفوا بساحل بحر خاتم النبوة بلا شبهة لانهم لم يدركوه ولا تأخروا عنه ليخوضوا بحر علومه مثل اتباعه الوارثين له ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه في قصيدته التائية حيث قال

لقد خضت بحرا دونه وقف الاولى ❊ بساحله صونا لموضع حرمتي

ومثل هذا كثير في كلام الورثة المحمديين فرؤية الله تعالى في الدنيا هي بالبصيرة القلبية كما قدمناه قد تكون في الولي الجامع تم منها في التي بسبب اقتباس ذلك من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال العارف [illegible]

لابعينه فان الكلام السابق ليس فيه ذكر العين والبصر اصلا لافى نفسه ولافى موسى عليه السلام ولافى الآية ذكر ذلك فربما كان مراد القائل لمثل ماتقدم من الكلام الرؤية القلبية المسمـاة شهودا وعرفانا ومراده ان موسى عليه السلام طلب زيادة فى رؤيته القلبية وفى عرفانه فلم يتيسر له لان ذلك مخصوص بخاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبورثته الكاملين من امته من مشكاته عليه السلام ولهذا ورد ان موسى عليه السلام قال يارب اجعلنى من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى وصفهم عنده فى التوراة المنزلة عليه فيكون قائل ذلك القول مريدا لما ذكرنا ويكون الكلام صوابا لايحكم فيه بالخطأ والله اعلم بحقائق الاحوال والحاصل ان مقتضى شريعتنا هذه المبنية على الكتاب والسنة ان امر الانسان اذا احتمل الخير والشر يحمل على الخير ماامكن حتى لايبقى له تأويل اصلا لم مادام ذلك الانسان مدعيا للاسلام يسلم له كلامه فهو اعلم به ولايقال له لست مسلما كما قال الله تعالى * ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * الآية فاذا اعترف بالتحول عن الاسلام الى غيره يحكم عليه حينئذ بالردة كما قدمناه فيما سبق ولايجوز حمل كلامه على الوجه الفاسد مالم يمكن حمله على الوجه الحق (وهذا الكلام) يعنى المذكور من بعض المتصوفة (ربما يسمعه الغافل) عن معرفة الله الجاهل بمقام شهوده تعالى على حسب ماقدمناه (بغتة) اى من غير ان يسبق له تأمل فيه (فيظن انه صحيح) على حسب مايفهمه منه فى اول وهلة (او يشك) فى صحته وعدم صحته (و) الحال ان (هذا) يعنى الكلام المذكور بحسب مايفهمه الغافل اول مايطرق سمعه (تفضيل لغير النبى) وهو الولى (على موسى) ابن عمران (عليه السلام) الذى هو نبى ورسول ومن اولى العزم (بل) تفضيل لغير النبى (على جميع الانبياء) لان التفضيل على نبى تفضيل على كل نبى (فى رؤيته تعالى اعلى المراتب) الكمالية اذلا يراه الامن هو عنده فى اعلى رتبة (و) اعلى (اللذات) الروحانية فانه لالذة اعلى من لذة رؤية الله تعـالى والتمتع بشهوده سبحانه فلو حصلت لاحد كان افضل عند الله تعالى ممن لم يحصل له ذلك (ولم تتيسر) رؤيته سبحانه وتعالى ايضا (لاحد فى الدنيا) والله اعلم بذلك (سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء) والمعراج حين رقى الى السموات (وقد اختلف فيه) اى فى ثبوت ذلك له عليه السلام كما مر بيانه (وقد عرفت فيما سبق) لك فى هذا الكتاب اوائل هذا الفصل (ان اعتقاد اهل السنة والجماعة) نصرهم الله تعالى كلهم الى قيام الساعة (ان الولى) مطلقا ولو كان فى اعلى درجات القرب الى الله سبحـانه وتعالى (لايبلغ درجة النبى) اصلا فالنبوة طور فوق طور الولاية كما ان الولاية طور فوق طور العقل (فضلا عن ان يجاوزها) اى الولى درجة النبى وروى عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه قال النبوة نظر فى علوه عسلا رشحت منه الى خارج رشحات فهى ذوق الاولياء

فى مقاماتهم (وقد ذكر) العلامة ابن ابى شريف (فى شرح المواقف) فى علم الكلام (و) ذكر العلامة سعد الدين التفتازانى (فى شرح المقاصد ان الاجماع منعقد) بين المسلمين (على ان الانبياء) عليهم السلام (افضل) اى اكثر فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة (من الاولياء) رضى الله عنهم ولا يلزم من فضيلة الانبياء على الاولياء زيادة علم الانبياء على الاولياء فان الفضيلة فى النبوة لذاتها وهى طور مخصوص فوق طور الولاية لا افضليتها لامر عرضى لها وهو العلم وليست هى العلم نفسه والا لكانت تحصل بالكسب وتعظم به وهو باطل لانه مذهب المخالفين ومذهب اهل السنة والجماعة ان النبوة موهبة من الله تعالى وكذلك عظمها لانها متفاوتة فان نبوة نبينا ليست كنبوة غيره والخضر ولى فى قول وهو على علم علمه الله تعالى له لا يعلمه موسى عليه السلام كما ورد فى حديث البخارى وغيره وقد قال تعالى عنه كما قدمناه يخاطب موسى عليه السلام وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا وقال موسى عليه السلام عن نفسه للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وسبق هذا قريبا (وذكر) السعد التفتازانى (فى شرح العقائد ان تفضيل الولى) اى اعتقاد انه اكثر فضيلة عند الله وجاها ورفعة (على النبى) مرسلا كان اولا (كفر وضلال كيف وهو) اى التفضيل (تحقير النبى) بالنسبة الى الولى (وخرق للاجماع) حيث اجمع المسلمون على فضيلة النبى على الولى (وسمعت عن بعض) الصوفية من اهل الطريقة (الخلوتية) ولعله سمع ذلك من بعض الجهلة المنتسبين اليهم فان كل طائفة من الناس وكل طبقة منهم فيها كاملون وقاصرون وصالحون وفاسقون وابرار وفجار وليس هذا امرا مخصوصا بالصوفية فقط والذم لا يقع الا على النوع الفاسد منهم لا غير (ان ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم من الانبياء) عليهم السلام (لم يبلغوا) فى حضرات الكشف والشهود (مرتبة الاسم السابع) من اسماء الله تعالى (بل وقفوا فى) الاسم (السادس ولم يجاوزوه) يعنى الانبياء عليهم السلام (وانا) معشر الاولياء المحمديين (قد جاوزناه) يعنى الاسم السادس ولعل مراده ذوق مخصوص حصل لهم فى ذلك الاسم لم يحصل للانبياء عليهم السلام فان اذواق الانبياء عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار نبواتهم لا يعلم بها غيرهم واما اذواقهم عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار ولايتهم لانهم اولياء ايضا كما انهم انبياء فان الاولياء يعلمونها لانهم ورثوا الانبياء فى مقامات ولاياتهم وهى العلم بالله لا فى مقامات نبواتهم لانقطاع النبوة دون الولاية الى يوم القيامة فمن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم فى مقام ولايته كان عنده من العلم مالم يكن عند الانبياء كلهم عليهم السلام فى مقام ولاياتهم واما مقامات نبواتهم ففيها من العلوم مالا تعلمه جميع الاولياء اذ لا ذوق للاولياء فى النبوة وانما ذوقهم فى الولاية فقط (وهذا) الكلام المذكور عن بعض الخلوتية (مثل الكلام (الاول) ربما يسمعه الغافل بغتة فيفتتن به ولا يعرف معناه ومعلوم ان الكلام

اذا امكن ان يكون له معنى صحيح لايحكم بتخطئة قائله لان قائله مسلم يدعى الاسلام و يتبرأ من الكفر فلا يحكم عليه بما هو متبرئ منه مع الحكم بصحة ايمان المكره والمسلم لايكره احدا على الكفر وانما اذا حملته الغيرة يكره على الاسلام والحاصل ان غاية مايكون فى هذا الكلام انه كلام غلاة الصوفية وهم القاصرون منهم اصحاب الشطح الذين فيهم رعونة نفسانية وعندهم من نعتاتهم بقية واى بقية وربما قالوا ذلك فى مقام السكر والغيبة فيعذروا وسبق الكلام من امام الحرمين فى شأنهم (وقال) يعنى القائل الاول من الحلولية (ان ابابكر رضى الله عنه لم يبلغ مرتبة الارشاد) الى الله تعالى والدلالة عليه (وانا نجاوز مرتبة الاصحاب) اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تأويله ايضا كما ذكرنا فان الفضيلة ايضا التى فى ابى بكر رضى الله عنه على سائر امة محمد صلى الله عليه وسلم ليست بالعلم وانما بشئ وقر فى صدره شهد له النبى صلى الله عليه وسلم به وهو نفسه الزكية المخصوصة بنوع من القرب الالهى لايكون فى الصديقين كلهم الى يوم القيامة والصديقية فيه رضى الله عنه من جملة احواله فلا مانع ان يكون عند من هو دونه فى الفضيلة من الاولياء معرفة بكيفية الدلالة على الله تعالى وزيادة صناعة فى الارشاد اليه سبحانه لم يكن ذلك عنده رضى الله عنه كما ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه باب مدينة العلم النبوى دون ابى بكر رضى الله عنه فى الفضيلة كما قال عليه السلام انا مدينة العلم وعلى بابها وليست هذه المزية فى ابى بكر رضى الله عنه مع انه افضل من على كرم الله وجهه وكذلك مزية عمر رضى الله عنه وكون الشيطان يفر من ظله وكون رأيه وافق نص الكتاب العزيز مع ان ذلك لم يكن لابى بكر رضى الله عنه وهو افضل من عمر رضى الله عنه واما قوله بمجاوزة مرتبة الاصحاب فهو من قبيل قول ابن عبد البر بانه قد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة واستدل على ذلك بما ورد من الاحاديث فى المسئلة كما ذكره فى المواهب اللدنية وغيرها وان كان الاوفق فيه ان يقال ان فضيلة الصحبة امر ذاتى ايضا لايعادله فضيلة اصلا واما من غير الصحبة فقد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة وعلى كل حال فالمتعين التأويل فى كلام اهل الاسلام خصوصا اهل التصوف من فقراء طريق الله تعالى والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى (وهذا) القول المذكور فى ابى بكر رضى الله عنه على حسب مايظهر من معناه للغافل الجاهل فى اول وهلة (قدح فى افضل الاولياء) وهو ابو بكر رضى الله عنه (وطعن) اى تنقيص (فى افاضل هذه الامة) المحمدية وهم الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فانهم من حيث الصحبة افضل من جميع الامة وان امكن ان يفضلهم غيرهم من حيث العلم واطلق ابن عبد البر فى امكان ان يفضلهم غيرهم مطلقا كما ذكرنا (بل) طعن (فى سيدنا وسيد الاولين والآخرين رسول الله) محمد (وحبيب رب العالمين) صلى الله عليه وسلم حيث كان ذلك فى الانبياء

وفى الصحابة وقد بين عليه السلام فضيلة الانبياء وفضيلة الصحابة على من سواهم فيلزم تكذيبه والطعن فيه وهذا كله على حسب فهم الغافل الجاهل الذى لا يعرف ذلك فربما يعتقد صحة القدح والطعن المذكورين فيقع فى مهواة من التلف فى الدين والتحذير من ذلك بالتنبيه على مواضع الخطأ ليحترز منه لا فى احد بعينه من شأن العلماء العاملين واما الحكم بذلك فى احد معين فهو شأن الجاهلين المتعصبين بل الفاسقين الفاجرين (وقد خرج) اى اسند (خم) يعنى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عمران بن حصين) عن (ابن مسعود رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال خير الناس قرنى) القرن اربعون سنة او عشر او عشرون او ثلاثون او خمسون او ستون او سبعون او ثمانون او مائة او مائة وعشرون والاول اصح لقوله عليه السلام لغلام عش قرنا فعاش مائة سنة كذا فى القاموس (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم بعدهم (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم (ثم يفشو) اى يظهر ويكثر (الكذب) فى الاقوال والاحوال والاعمال وهو خلاف الصدق فى ذلك وكان هذا فى اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع كما اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا تعتمدوا اقوالهم) اى لا تعتنوا بها ولا تصدقوها (و) لا تعتمدوا (افعالهم) ايضا ولا تغتروا بها لان غالبها بدع وضلالات وقد ورد اخبار منه صلى الله عليه وسلم عن الفرق المبتدعة والدعاة الى الضلال والمخالفين لجماعة السلف الصالحين فى الاعتقاد والاعمال لا عن مطلق الاختلاف مع الاجتماع فى التمسك بالكتاب والسنة والاجماع كاختلاف المجتهدين بالعقول المنورة فى مسائل الشريعة المطهرة واختلاف الصوفية المحققين بالبصائر والقلوب فى المعارف والحقائق المتلقاة عن علام الغيوب مع اجتماع الكل فى الاسلام للامر على ما هو عليه والاعتراف بانه على حسب استعدادهم فى جميع ما ذهبوا اليه وكلامنا هذا من المجتهدين والصوفية من حيث هم موجودون فيما يعلمه الله تعالى الى يوم القيامة من غير تعيين احد بعينه الا من اجمع المسلمون على عدالتهم والشهادة لهم بالصدق فى العلم والتصوف كالائمة الاربعة وبقية المجتهدين الماضين ممن انقطعت الآن مذاهبهم لقلة مقلديها وائمة التصوف الكاملين كالجنيد البغدادى والسرى السقطى ومعروف الكرخى وغيرهم من اهل الولاية ومن لم يقع الاجماع من المسلمين على تصديقهم فى مقاماتهم ومشاربهم ولم يظهر نحن وجدنا كمالهم فياهم بصدده لا نخوض فيهم بشئ من التنقيص والاعابة وان خاض فى ذلك غيرنا ممن قبلنا ومن هو اكبر منا واما لو ظهر لنا وجدنا كمالهم وصدقهم فى درجات القرب كانوا اعتقدنا مثلها فى القسم الاول الذين اجمعت عليهم الامة وكنا فى ذلك كمن رأى هلال رمضان وحده ورد قوله فانه يجب عليه الصوم ولا يباح له الافطار هذا اعتقادنا وعلمنا ما

مع الحائضين (وخرجم) يعنى الامام مسلما فى صحيحه باسناده (عن عائشة رضى الله عنها
انه سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال) صلى الله عليه وسلم (القرن الذى
آنا فيهم) وهم الصحابة رضى الله عنهم اجمعين (ثم) القرن (الثانى) الذى فيه
التابعون رضى الله عنهم (ثم) القرن (الثالث) الذى فيه التابعون للتابعين رضى الله
تعالى عنهم اجمعين (وخرجاخم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن)
ابى سعيد (الخدرى رضى الله عنه انه قال) يعنى الخدرى (قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاتسبوا اصحابى) يامعشر الامة المتأخرين (فان احدكم) اى الواحد منكم
(لوانفق مثل) جبل (احد ذهبا) يعنى فى سبيل الله تعالى (مابلغ) ذلك (مد احدهم)
اى مد اصحابى (ولانصيفه) اى نصيف ذلك المد قال فى القاموس النصف مثلثة احد
شقى الشئ كالنصيف (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن عبد الله بن مغفل) انه قال
(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله) منصوب على التحذير اى احذروا الله
احذروا الله وكرر للتأكيد (فى اصحابى) اى فى حقهم وحق ماوقع بينهم من المخالفات
الاجتهادية والحروب المنبعثة عن الحمية الدينية فى نصرة الاحكام الشرعة (لاتتخذوهم
غرضا) محركة وهو هدف يرمى فيه والجمع اغراض كذا فى القاموس اى لاتجعلوهم
موضعا لرمى سهام الطعن فيهم منكم والاصابة عليهم (من بعدى) الى يوم القيامة
(فمن احبهم) اى الصحابة رضى الله عنهم (فبحبى) اى بسبب حبه لى (احبهم)
فان من احب احدا احب جميع من يحبه ذلك الاحد والا لم يكن يحبه (ومن ابغضهم)
اى واحدا منهم (فببغضى) اى بسبب بغضه لى (ابغضهم ومن آذاهم) فى حياتهم او بعد
مماتهم فى انفسهم او اهلهم او مالهم او عرضهم او دينهم او عقلهم او مقابهم او نحو ذلك
(فقد آذانى) لانهم اصحابه صلى الله عليه وسلم وقرناؤه فى الدنيا والقرين على حالة
قرينه والمرء على دين خليله (ومن آذانى فقد آذى الله) سبحانه وتعالى لانه عليه السلام
رسول الله تعالى وقدر الرسول من قدر المرسل فتعظيمه من تعظيمه واهانته من اهانته
(ومن آذى الله) سبحانه (يوشك) وشك الامر ككرم سرع كوشك واوشك اسرع
السير كواشك ويوشك الامران يكون وان يكون الامر ولاتفتح شينه اولغة ردية كذا
فى القاموس (ان يأخذه) بالاهلاك والدمار (وخرجم) يعنى مسلما فى صحيحه باسناده
(عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر
رضى الله عنهما) يعنى اخبر عنهما اوقال لهما مشيرا اليهما (هذان سيدا كهول)
جمع كهل وهو من وخطه الشيب اومن جاوز الثلاثين اواربعا وثلاثين الى احدى
وخمسين كذا فى القاموس (اهل الجنة) مع ان اهل الجنة كلهم جرد مرد ابناء ثلاث
وثلاثين فكلهم كهول (وللبعض سيادة عليهم بمقتضى هذا الحديث وحديث الحسنين
انهما سيدا شباب اهل الجنة فاهل الجنة كلهم شباب لوجود رونق ايام الشباب

فى صفة كهوليتهم فهم كهول فى السن وشباب فى رونق الخلقة واستقامتها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن اهل الجنة انهم كهول مرة وانهم شباب مرة اخرى وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير عن السمهودى ان طول آدم وكونه امرد وهو اجمل الناس ثابت لكل من دخل الجنة فيشمل من مات صغيرا بل جاء مايقتضى ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقى بسند حسن عن المقداد مامن احد يموت سقطا ولاهرما وانما الناس فيما بين ذلك الابعث ابن ثلاث وثلاثين فان كان من اهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب ايوب ومن كان من اهل النار عظم كالجبال (من الاولين) بيان لكهول اهل الجنة (والاخرين الاالنبيين والمرسلين) فان سيادتهم لايعادلها سيادة (وخرج ت) يعنى الترمذى باسناده (عن) ابى سعيد (الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن نبى الاوله وزيران) الوزير الذى يحمل الثقل ويعين بالرأى (من اهل السماء ووزيران من اهل الارض فاما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل) عليهما السلام (واما وزيراى من اهل الارض فابوبكر وعمر) رضى الله عنهما (وخرج خ) يعنى البخارى باسناده (عن محمد بن الحنفية) وهو ابن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه من غير فاطمة من جارية اخذها الامام على رضى الله عنه من سبى بنى حنيفة جماعة مسيلمة الكذاب (قلت لابى) يعنى لعلى رضى الله عنه (اى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان اقول ثم من فيقول عثمان قلت ثم انت قال ماانا الارجل من المسلمين) قال العراقى فى شرح الفية الحديث واختلف اهل السنة فى الافضل بعد عمر رضى الله عنه فذهب الاكثرون كما حكاه الخطابى وغيره الى تفضيل عثمان على على رضى الله عنهما وان ترتيبهم فى الفضيلة كترتيبهم فى الخلافة واليه ذهب الشافعى واحمد بن حنبل كما رواه البيهقى فى كتاب الاعتقاد عنهما وهو المشهور عند مالك وسفيان الثورى وكافة ائمة الحديث والفقهاء وكثير من المتكلمين كما قال القاضى عياض واليه ذهب ابوالحسن الاشعرى والقاضى ابوبكر الباقلانى وذهب اهل الكوفة كما قال الخطابى الى تفضيل على على عثمان رضى الله عنهما وروى باسناده الى سفيان الثورى انه حكاه عن اهل السنة من اهل الكوفة وحكى عن اهل السنة من اهل البصرة افضلية عثمان فقيل فالقول فقال انا رجل كوفى ثم قال وقد ثبت عن سفيان فى آخر قوليه تقديم عثمان وممن ذهب الى تقديم على على عثمان ابوبكر بن خزيمة وقد جاء عن مالك التوقف بين عثمان وعلى كما حكاه المازرى عن المدونة ان مالكا سئل اى الناس افضل بعد نبيهم فقال ابوبكر ثم قال اوفى ذلك شك قيل له فعلى وعثمان قال ماادركت احدا ممن اقتدى به يفضل احدهما على صاحبه ويرى الكف عن ذلك وفى رواية فى المدونة حكاها القاضى عياض

افضلهم ابو بكر ثم عمر وحكى القاضي عياض قولا ان مالكا رجع عن التوقف الى القول الاول قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى (وخرج ت) يعني الترمذي باسناده (عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره) اى يصلي بهم اماما في جميع الصلوات والمعنى لا يتقدم عليه غيره من بقية الصحابة رضي الله عنهم وفي ذلك اشارة الى انه احق بالخلافة بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهكذا كان فانه لم يتقدم عليه احد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجمعت الصحابة على خلافته من غير اختلاف بينهم في ذلك (وخرجت) يعني الترمذي باسناده (عنها ايضا) اى عن عائشة رضي الله عنها (ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابو بكر سيدنا) اى له السيادة علينا بالسبق الى الاسلام واستحقاق الخلافة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع (وخيرنا) اى الاكثر خيرا منا (واحبنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذي يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر منا (وخرجت) يعني الترمذي باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضي الله عنه انه قال عمر لابي بكر رضي الله عنهما يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اكثر الناس خيرا (وقال) في كتاب الفتاوى (في التاتارخانية) في فقه الحنفية (اوقال) رجل (عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لم يكونوا اصحابا) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يكفر) لعدم ثبوت صحبتهم بطريق التواتر بل بالاحاديث الاحاد ولا يكفر منكر الاحاد (و) انما (يكون مبتدعا) لمخالفته لاهل السنة والجماعة (ويستحق اللعنة) التي تلحق المخالفين ممن سلك غير سبيل المؤمنين (ولو قال ابو بكر الصديق) رضي الله عنه (لم يكن من الصحابة كفر لان الله تعالى سماه) يعني ابا بكر رضي الله عنه في القرآن (صاحبا بقوله اذ يقول) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه (لا تحزن ان الله معنا) بالعصمة والمغفرة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ذكره البيضاوي فقد ثبت بالنص المتواتر انه صحابي فمن انكر صحبته فقد انكر النص فيكفر (وفي) الفتاوى (الظهيرية) لظهير الدين المرغيناني قال (ومن انكر امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه) اى خلافته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامة (فهو كافر في) القول (الصحيح) لاجماع الامة على ذلك من غير خلاف احد يعتد به (وكذلك من انكر خلافة عمر رضي الله عنه في اصح الاقوال) لانكار الاجماع القطعي ايضا (انتهى) اى كلام الفتاوى الظهيرية (الفصل الثاني) من الفصول الثلاثة المشتمل عليها الباب الثاني من ابواب الكتاب الثلاثة (في) بيان

اقسام (العلوم المقصودة) فى الشرع (لغيرها) من الطاعات فليس المراد منها تعلمها
وانما المراد العمل بمقتضاها ولايمكن ذلك الابتعلمها كالطهارة مثلا للصلاة لايمكن
عمل الصلاة بدونها (وهى) اى تلك العلوم المذكورة (ثلاثة انواع) علوم
(مأمور بها) المكلف فيعصى بتركها (و) علوم (منهى عنها) فيحرم عليه تعلمها
(و) علوم (مندوب اليها) فيثاب على تعلمها ولايعاقب على الجهل بها (للنوع الاول)
من الثلاثة انواع (فى) العلوم (المأمور بها وهو) اى هذا النوع (صنفان الاول)
فى العلوم التى هى (فروض العين) بحيث اذا علمها البعض لاتسقط عن الباقين بل هى
فروض على كل احد من المكلفين بعينه (وهو) اى هذا الصنف من العلوم يشمله اسم
واحد وهو (علم الحال) اى الامر والشان الذى يتقلب فيه المكلف ليلا ونهارا
بتقليب الله تعالى له على حسب ماهو مقدر عليه فى علم الله تعالى من الاقوال والاعمال
والاعتقادات تقليبا منسوبا الى المكلف نسبة حسية شرعية لاحقيقية ايمانية (قال الله
تعالى فاسئلوا) يعنى ياايها المكلفون بالاحكام الشرعية الظاهرية والباطنية (اهل الذكر)
اى العلم قال ابن حبيل فى مختصر تفسير الرازى والمراد بالذكر العلم اى اسئلوا من له علم
وتحقيق (ان كنتم لاتعلمون) قال البيضاوى وفى الآية دليل على وجوب المراجعة
الى العلماء فيمالا يعلم (وخرج مج) يعنى ابن ماجه باسناده (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)
وللعلم اطلاقات متباينة ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء
ومن هنا اختلفوا فى فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه فمن متكلم يحمل العلم على علم الكلام
ويحتج لذلك بانه العلم المتقدم رتبة لانه علم التوحيد الذى هو المبنى ومن فقيه يحمله
على علم الفقه اذهو علم الحلال والحرام ويقول ان ذلك هو المتبادر من اطلاق العلم فى عرف
الشرع ومن مفسر ومن محدث وامكان التوجيه لهما ظاهر ومن نحوى يحمله على علم
العربية اذ الشريعة انما تتلقى من الكتاب والسنة وقد قال الله تعالى * وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم * فلابد من اتقان علم البيان والتحقيق حمله على مايعم
ذلك من علوم الشرع كذا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وهذا المعنى الاخير
الجامع للكل هو المناسب هنا (وقال فى) كتاب (تعليم المتعلم ويفترض على)
الانسان (المسلم) رجلا كان او امرأة (طلب) علم (مايقع له فى حاله) اى امره وشانه
(فى اى حال كان) حال اقامة او حال سفر او حال صحة او حال مرض وغير ذلك ممايتولى
عليه فى مدة عمره (فانه لابدله) اى لذلك المسلم (من الصلاة) خمس مرات فى اليوم والليلة
(فيفترض عليه علم مايقع له فى صلاته بقدر مايؤدى به فرض الصلاة) من مسائل
الطهارة ومعرفة اقسام المياه ومعرفة شرائط الصلاة واركانها (ويجب) وجوبا
دون الفرض (عليه) اى على ذلك المسلم علم مايقع له فى صلاته (بقدر مايؤدى به الواجب)

من واجبات الصلاة (لان) علم (ما يتوسل به) من الشرائط والاركان (الى اقامة الفرض يكون فرضا و) علم (ما يتوسل به الى اقامة الواجب) الذي هو دون الفرض (يكون واجبا) وعلى هذا ايضا علم ما يتوسل به الى اقامة السنة والمستحب يكون سنة ومستحبا (وكذلك) الحكم (فى الصوم والزكاة ان كان له مال) بان ملك النصاب من العين او الماشية (والحج ان وجب) اى افترض (عليه) بان قدر على السفر بالزاد والراحلة (وكذلك) الحكم (فى) مسائل (البيوع ان كان يتجر) اى يستعمل التجارة لابدان يتعلم احكامها المشروعة (انتهى) اى ما نقله من كتاب تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى صاحب تعليم المتعلم (وكل من اشتغل بشئ من المعاملات) بين الناس كالاجارة والمزارعة والمساقاة والوديعة والعارية والنكاح والطلاق والبيع والقرض ونحو ذلك (و) بشئ من (الحرف) جمع حرفة وهى الصناعة لانه يخالط الناس فى حرفته بالضرورة (يفترض عليه علم التحرز عن) تناول (الحرام فيه) اى فى ذلك الشئ الذى اشتغل به (وكذلك يفترض عليه) اى على المسلم (علم احوال القلب) ومايعتريه من الاخلاق الجميلة التحرز عن ضدها بتعلمها (من التوكل) على الله تعالى (والانابة) اى الرجوع اليه سبحانه (والخشية) منه سبحانه (والرضاء) عنه تعالى فى كل افعاله واحكامه (فانه) اى ذلك المسلم (واقع) مدة عمره (فى جميع الاحوال) القلبية المذكورة وغيرها وكذلك الاحوال البدنية فى المعاملات ولا محيص له عنها كيف ما كان (انتهى) ما نقله عن تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى فى تعليم المتعلم ايضا ولم ينسب ذلك كله اليه مرة واحدة لنقله عنه فى مواضع متفرقة (وكذلك) الحكم (فى سائر) اى بقية (الاخلاق) الانسانية (نحو الجود و) ضده (البخل والجبن) بالضم (و) ضده (الجراءة) اى الشجاعة (والتكبر و) ضده (التواضع والعفة) ويضاددها الشح (والاسراف و) ضده (التقتير) اى التقليل (وغيرها) من انواع الاخلاق الحسنة والسيئة كالسماحة والحرص والمحبة والبغض (فان الكبر والبخل والجبن والاسراف حرام) بلا خلاف (ولا يمكن التحرز عنها) بطريق الاكتساب (الا بعلمها وعلم ما يضاددها) مما ذكر حتى يكون المكلف تاركها بقصده واختياره فيكون ذلك مجاهدة منه فى نفسه فان المجاهدة فى النفس عبادة ولا تحصل لاحد الا بالعلم وهى فرض على كل مكلف (فيفترض على كل انسان علمها) ليؤدى به فرضها قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر قال الشيخ ابن علان الصديقى رضى الله عنه فى شرح حكم ابى مدين قدس الله سره ولقد صدق فيما قال فاى شخص يا اخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (حاصله) اى حاصل ما ذكر كله (ان العلم لكل حال من الاحوال (تابع للمعلوم) اى لحكم ذلك الحال المعلوم (فان) كان ذلك

الحال المعلوم (فرضا وحراما ففرض) اى فالعلم به فرض للامتثال فى الاول والاجتناب فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (واجبا) دون الفرض (اومكروها فواجب) اى فتعلمه واجب للعمل به فى الاول والكف عنه فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (سنة فسنة) اى فتعلمه سنة (وان) كان (نفلا فنفل) كذلك فكل حال من الاحوال حكم تعلمه مثل حكمه (وكذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى الفرض فرض وكذلك فى الحرام وفى الواجب واجب و فى المكروه وفى السنة سنة وفى النفل نفل (غير انهما) اى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (على سبيل الكفاية) اى فرض كفاية بحيث اذا قام به البعض يسقط عن الباقين (و علم الحال) بالتفصيل المذكور (على سبيل العين) اى فرض عين كما قدمناه (ومنه) اى من علم الحال (اعتقاد اهل السنة والجماعة الذى سبق ذكره) فى الفصل الذى قبل هذا (و) كذلك منه (تنويره) اى انارته بمعنى اضاءته واذهاب ظلمة القصور فيه (بالاستدلال) على كل مسئلة من مسائله (للخروج عن) ربقة (التقليد) فيه الى افضاء النظر وكون علم الحال جميعه بانواعه لايمكن القيام به والتحرز عن المنهيات منه الابتعلمه و معرفة احكامه ومسائله امر محقق فى قضية اكتسابه وتحصيله بطريق المجاهدة المفروضة كما ذكرنا والا فان التوفيق الذى اجمع الامة على ثبوته وكونه امرا واقعا فى الخلق لمن شاء الله تعالى لايحتاج صاحبه معه الى العلم بشئ من ذلك كله اصلا و هو خلق القدرة على الطاعة فى العبد بحيث يصير العبد مطيعا ربه ظاهرا وباطنا ومنتهيا عما لايرضى به ربه فى ظاهره و باطنه بالهام من الله تعالى له ان يكون كذلك وان لم يكن له معرفة بكمال هذه الحالة عند الله تعالى فضلا عن تحصيلها بتعلمها من غيره وهى المقصود الشرعى من المكلف سواء حصلت بالتحصيل اوبالالهام وضد هذه الحالة الخذلان والعياذ بالله تعالى فانه ضد التوفيق وهوموجود فى الخلق ايضا كالتوفيق لمن شاء الله تعالى وهو خلق القدرة على المعصية فى العبد فيصير العبد عاصيا ربه فى ظاهره اوباطنه منهمكا فى المعاصى بالهام من الله تعالى له ايضا كما قال تعالى « فالهمها فجورها وتقواها » وان لم يكن له معرفة بنقصان هذه الحالة عند الله تعالى وهذان الحالتان حالة التوفيق وحالة الخذلان لايخلو عنهما العبد اصلا فان كل انسان اماموفق اومخذول وقد يوفق فى وقت و يخذل فى وقت وقد يوفق لعمل ويخذل من عمل وفى كتاب مواقع النجوم للشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الابدية والهادى بالعبد الى سلوك الآثار النبوية وانقاذ له الى التخلق بالاخلاق الالهية من قام به غنم ومن فقده حرم وهو نور يضعه الله فى قلب من اصطنعه لنفسه واختصه لحضرته وانما هو به تحصيل النجاة و به تنال الدرجات ومع انه سر موهوب ونور فى قلب المؤمن موضوع فان ارادة العبد من جهة

العلم بخصائصه وحقائقه متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف به فقد يحصل للعبد تلك الارادة فيتخيل انه كسبى وان دعاءه الله فيه وارادته اياه سبب فى حصوله وما علم ان تلك الارادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق فانها من آثاره واولاه لم يكن ذلك فان ارادة التوفيق من التوفيق ولكن لايشعر لذلك اكثر الناس فاذا تقرر هذا فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق الواهب الحكيم ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع احواله من اعتقاداته وخواطره واسراره ومطالع انواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وافعاله كلها الا انه يتجزى ويتبعض فانه معنى من المعانى القائمة بالنفس فنقصه الذى يطلق عليه انما هو ان يقوم بالعبد فى فعل من الافعال ويحرمه فى فعل آخر وكذلك زيادته استصحابه لجميع افعال العبد وقد بان علة سؤاله فى التوفيق من الله تعالى وتبين ان التوفيق لم يكن عنده معدوما عند سؤاله لله سبحانه وتعالى فيه وهو تفعيل من الموافقة وهو معنى يقوم بالنفس عند طروفعل من افعاله الصادرة عنه على اختلافها يمنعه من المخالفة للحد المشروع له فى ذلك الفعل لاغير فكل معنى كان حكمه هذا يسمى التوفيق فلو وافق حال العاصى حقه المشروع له لم يكن عاصيا واذا انتفت الموافقة فى حال ما مشروع كانت المخالفة لان المحل لايعرى عن الشئ اوضده وقد يقوم بالعبد المؤمن التوفيق فى فعل ما والمخالفة فى فعل آخر فى زمن واحد كالمصلى فى الدار المغصوبة او كمن يتصدق وهو يغتاب او يضرب احدا فى حال واحد واشباهه فلهذا ما سال العبد الاكمال التوفيق يريد استصحابه له فى جميع احواله كلها حتى لا يكون منه مخالفة اصلا ثم بسط الكلام ثم قال واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع الذى ندبك الشارع الى الاشتغال بتحصيله وآخرها حيث يقف بك فان تمت لك المقامات حصلت فى التوحيد الموحد نفسه بنفسه الذى لايصح معه معقول وان نقصت لك فبعض الحضرات الوجودية واللطائف الجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام ثم قال فالتوفيق اذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم فاذا حصل له وصح توفيقه انتج الانابة والانابة منتجة التوبة والتوبة تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق والاستيحاش من الخلق ينتج الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور والحضور ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحياء والحياء ينتج الادب والادب ينتج مراعات الحدود ومراعات الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال ينتج الانس والانس ينتج الادلال والادلال ينتج السؤل والسؤال ينتج الاجابة وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة فى اصطلاح بعض اصحابنا والعلم فى اصطلاح بعضهم ولايصح شئ من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوق فالرسمى كعلوم النظر وهو ما يتعلق باصطلاح العقائد وكعلوم الخبر وهو ما يتعلق بك من الاحكام الشرعية ولايؤخذ منها الاقدر الحاجة والذوق فى علم نتايج المعاملات

والاسرار وهو نور يقذفه الله تعالى فى قلبك تقف به على حقائق المعانى الوجودية واسرار الحق فى عباده والحكم المودعة فى الاشياء وهذا هو علم الحال انتهى كلامه فاذا تأملت قوله واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع وقوله ايضا فالتوفيق اذا صح وتحججه بتحصيل العلم وقوله ولا يصح شئ من هذه المقامات الابعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى علمت بالبديهة ان الامر الذى يخرج العبد من الكفر الى الاسلام ومن الفسق الى الصلاح توفيق من الله تعالى للعبد ايضا غير التوفيق الاختصاصى الذى اول مقامات الاشتغال بالعلم المشروع وغير التوفيق الصحيح من جميع وجوهه الذى ينتج المقامات المذكورة وليس من شرط حصول هذا النوع من التوفيق للعبد الاشتغال بالعلم المشروع بل يحصل منة من الله تعالى على العبد فينقى باطن العبد من الاخلاق المحرمة وظاهره من الافعال المنهى عنها سواء كان للعبد شعور بذلك اولم يكن واما التوفيق الاختصاصى الذى ينتج المقامات المذكورة فلابد فيه اولا من الاشتغال بعلم القدر المهم من العلم الرسمى والذوقى ويا ليت شعرى لو انهمك الانسان طول عمره فى الاشتغال بالعلم الرسمى الذى هو الا ن عند علماء الظاهر كما نشاهد انهماكهم فيها ليلا ونهارا فهل يمكن ذلك الانسان ان يعمل بمقتضى ما علمه من ذلك الا بتوفيق الله تعالى له بان يلهمه سبحانه العمل بما علم ويقدره على ذلك واذا خذله فلم يلهمه العمل المفروض عليه فعلا وكفا وهو قد علمه وكذلك الواجب والمسنون فاذا ينفعه علمه بذلك وقد رأينا من يغتر بعلم الاحكام الشرعية فيعلمها ويعلمها للناس ولا يعمل بها هو فى نفسه حتى اوقع فى قلب الجاهلين ان المقصود العلم والعمل كيف ما كان بكون فتراهم يأخذون كلاما ويعطون كلاما وافعالهم اقبح من افعال الجاهلين وهم من اعلم العالمين فكأنهم غير مطالبين الا بالعلم فقط وكان العلم هو دخول الجنة والنجاة من النار لا غير ولا تراهم يطالبون الناس الا بالعلم وحده فالامام يحفظ شروط الامامة وشروط الصلاة واركانها وما لابد له من ذلك لاحتمال ان يمتحنه احد فيجد عنده العلم بذلك ومن لم يحفظ ذلك عندهم فصلاته باطلة سواء عمل بذلك اولم يعمل وكأنه متى علم ذلك فقد ثبت عندهم عمله بها قطعا ومتى لم يعلم ذلك فقد ثبت عندهم عدم عمله بها قطعا ولا يحتمل عندهم انه اذا لم يعلمها ان يوفقه الله تعالى للعمل من دون علمها فينكرون التوفيق فى الناس قطعا واحقر الناس عندهم فقراء الصوفية المشغولون بذكر الله تعالى على حسب ما اقامهم الله تعالى فيه من جهر او مخافتة ونحو ذلك مما قصدهم به وجه الله تعالى والاعمال بالنيات فتراهم يذمونهم اقبح الذم لكونهم لم يتركوا ذكر الله تعالى ويشتغلوا بتعلم مسائل الفقه وينهمكوا فيها ويصيروا مثلهم يحفظون كلاما يقولونه كلما ارادوا الافتخار به فيما بينهم على بعضهم بعضا من غير عمل بذلك فترى الرجل منهم يسهل على نفسه ويشدد على غيره بضد ما كان عليه السلف الصالحون واذا رأوا مسئلة فيها وجه للتشديد

وثبوا عليها واخذوها يشددون بها على امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذارأوا مسئلة فيها سهولة كتموها عن الناس واخفوها وقالوا لايقال هذا بين العوام فيريدون بالناس مالايريدالله تعالى بهم حيث قال تعالى* يريدالله بكم اليسر ولايريد بكم العسر والله بكل شئ عليم * والحاصل انه يفترض تعلم العلم الظاهر مقدار مايحتاج اليه المكلف فى اعتقاده ومعاملاته بينه وبين الله تعالى وبينه وبين الناس لاجل ان يعمل بذلك كله وليس العمل بمقتضى ذلك مشروطا بالتعلم وانه لايمكن الابالتعلم بل بتوفيق الله تعالى للعمل الصالح لان ارادته تعالى امر كائن لامحالة الى يوم القيامة ولافرق بين من علم جميع ذلك ومن لم يعلم شيئا منه فى انه محتاج للمقصود وهو التوفيق للعمل بمقتضى العلم ومن لم يوفقه الله تعالى فهو مخذول فكما ان من علم جميع ما يحتاج اليه من مسائل دينه ربما لايوفقه الله تعالى للعمل بمقتضى ذلك فيكون مخذولا كذلك من لم يعلم شيئاً من مسائل الدين وكان اميا لايقرأ ولايكتب ربما يوفقه تعالى للعمل الصالح فيعمل بمقتضى جميع ماتعلمه العلماء وهو لايشعر بذلك ويكون موفقا فيكون عندالله تعالى اعظم من الاول لانه موفق والاول مخذول وقدحرم الله تعالى التجسس وسوء الظن وكشف عورات المسلمين فكل مسلم على هدى وتقى وان كان جاهلا بالعلم الظاهر لان المقصود التوفيق للعمل الصالح وهو لايقدر العالم ان يستجلبه بعلمه ولايمتنع عن الجاهل بسبب جهله والعلم غير مقصود لذاته اصلا خصوصا علم العمل فلم يبق فى العلم الا انه حجة الله تعالى على العبد ولهذا ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال المناوى فى شرحه لان عصيان العالم عن علم ولذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من النصارى لكونهم انكروا بعد المعرفة وقال الغزالى فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد فمن لم ينفعه علمه لاينجو منه رأسا برأس هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد اوالعذاب السرمد لاينفك عن الملك اوالهلك فهو طالب الملك فى الدنيا فان لم تتفق له الاصابة لم يطمع فى السلامة (الصنف الثانى) من الصنفين (فى) العلوم التى هى (فروض الكفاية) بحيث اذاعلمها البعض سقط عن الباقين واذا تركها الكل اثموا والمتبادر ان فرض العين افضل من فرض الكفاية لانه مفروض حقا للنفس فقط فهواهم عندها واكثر مشقة فهو اكثر فضيلة وفرض الكفاية مفروض حقا للكافة والفاعل من جلتهم والامر اذاعم خف واذا خص ثقل ونقل العينى فى عمدة القارى شرح البخارى عن امام الحرمين انه قال فى كتابه المعانى ان فرض الكفاية عندى افضل من فرض العين من حيث ان فعله مسقط للحرج عن الامة باسرها وبتركه يعصى المتمكنون منه كلهم ولاشك فى عظم

وفع ماهذه صفته (وهو) اى هذا الصنف من العلوم (ما يتعلق بحال غيره) اى غير العالم به (اعنى) اى اقصد بذلك علم (الفقه كله) يعنى المقدار الذى لا يحتاج اليه المكلف بما زاد على الضرورة فان مقدار الحاجة هو علم الحال الذى سبق انه فرض عين وهذا علم الزائد على ذلك لاحتياج غيره اليه بحسب حال الغير (و) كذلك علم (التفسير) اى تفسير القرآن حتى لا تخلو البلاد ممن يعرف معانى كلام الله تعالى لاحتمال ترتب الاحوال على ذلك بعروض شبهة لاحد فى معنى آية من الآيات (و) كذلك علم (الحديث) اى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من جهة اصطلاح المحدثين وضبط متن الحديث فان فيه ما يشتبه فلا بد ان يكون فى البلاد من يعرف معانى ذلك وان كان علم الفقه على اختلاف مذاهب المجتهدين فيه غنية اليوم للمقلدين يتعلمون منه احكام احوالهم فيستغنون عن البحث فى معانى الآيات والاحاديث (و) كذلك تعلم (الاصوليين) اصول الاعتقاد وهو علم الكلام واصول الفقه فانه لا بد من وجود من يعرف ذلك المذكور لاحتمال ظهور مبتدع فى الاعتقاد اومن يشكك فى مسئلة من الفقه فيرد عليه بادلة علم الكلام و بالقواعد الاصولية التى فرع الفقه عليها (و) كذلك علم (القراءة) بمعرفة اختلاف وجوهها وان كان الحاجة داعية الى اتقان وجه واحد منها فى اقامة الصلاة لاحتمال تصويب اللحن فى جاهل بشئ من ذلك (واما) علم (الحساب فيحتاج اليه) ايضا (فى كثير من المسائل) الفقهية كاموال الزكاة والديات (خصوصا) مسائل (الفرائض) والوصايا (فلذا قالوا) اى العلماء (هو) اى علم الحساب (ربع العلم لانه نصف الفرائض) والفرائض نصف العلم كما ورد فى الحديث لان للانسان حالة حياة وحالة موت والفرائض علم حالة الموت فهى نصف العلم (فلا يبعد ان يكون) علم الحساب (فرض كفاية) لان قسمة التركة وان امكنت بدون معرفة علم الحساب فى غالب المسائل فبعض الوقايع من المناسخات وغيرها لا بد فيها من استعمال الصناعة الحسابية فالامر محتاج اليه فى الجملة فى حق الكافة (وصرح) الامام ابو حامد محمد (الغزالى رحمه الله تعالى به) اى بكونه فرض كفاية (فى) كتاب (الاحياء واما علوم العربية) وهى اثنى عشر علما علم النحو وعلم المعانى وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم العروض وعلم القافية وهذه الثمانية اصول والاربعة الباقية فروع وهى علم الخط وعلم قرض الشعر وعلم الانشا وعلم المحاضرات والتواريخ (ففى) كتاب (بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (اعلم ان العربية لها فضل على سائر) اى بقية (الالسنة) المختلفة وهى لسان اهل الجنة قال فى المبتغى بالغين المعجمة لسان اهل الجنة العربية والفارسية وقيل الناس يتكلمون قبل دخول الجنة بالسريانية وبعده فيها بالعربية (فمن تعلمها) اى اللغة العربية (او علمها غيره) من الناس (فهو ماجور) اى مثاب على ذلك (لان الله

تعالى انزل القرآن بلغة العرب) كما قال تعالى *قرآنا عربيا غير ذى عوج* (فمن تعلمها فانه يفهم بها ظاهر القرآن) العظيم حيث هو مترجم بها واما باطنه واسراره ففهمهما موقوف على البصيرة المنورة بانوار الشهود والعيان فى مقام الاحسان (و) ظاهر (معانى الاخبار) اى الاحاديث النبوية والآثار المصطفوية (انتهى) اى ما نقله عن كتاب بستان العارفين (والذى يقتضيه الاصل) المقرر عند العلماء (اعنى) اى اقصد بالاصل (ان ما) اى الذى (يتوسل به الى) تحصيل (الفرض) من اى نوع كان من انواع العبادات فهو (فرض وكذلك فى الواجب) ما يتوسل به اليه فهو واجب (وغيره) اى الامر المسنون والمستحب فما يتوسل به اليهما فحكمه كحكمهما (كونها) اى علوم العربية (فرض كفاية لان العلوم الشرعية) المترجمة من قبل شارع الذى هو النبى العربى صلى الله عليه وسلم (متوقفة عليها) فلا تفهم الا بها قال الحليمى لا ينبغى لاحد اطلاق لسانه بتفضيل العجم على العرب بعد ما بعث الله تعالى فضل رسله من العرب وانزل آخر كتبه بلسان العرب فصار فرضا على الناس ان يتعلموا لغة العرب ليعقلوا عن الله امره ونهيه ومن ابغض العرب اوفضل العجم عليهم فقد آذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اسمعه فى قومه خلاف الجميل ومن آذاه فقد آذى الله تعالى ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير للاسيوطى (النوع الثانى) من الانواع الثلاثة (فى) العلوم (المنهى عنها) فى الشرع (وهو) اى هذا النوع (ما) اى الذى (زاد على قدر الحاجة من علم الكلام) لتحسين الاعتقاد على طبق مذهب اهل السنة والجماعة واقامة الادلة على ذلك عقلا ونقلا والزائد المنهى عنه هو الخوض فى مذاهب الفرق الضالة لا بنية الرد عليهم ولا بقصد دفع شبه المخالفين التى يوردونها فى امور الادلة العقلية (و) ما زاد على قصر الحاجة من (علم النجوم) كالمقدار المتعلق بالمغيبات المستقبلة والتكلم على الكوائن الزمانية (اما الاول) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم الكلام (فقد قال فى الخلاصة) من كتب الفتاوى (تعلم علم الكلام) وهو معرفة العقائد الصحيحة عن ادلتها العقلية والنقلية وسمى علم الكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام فى كذا وكذا ولان مسئلة الكلام كانت اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن ولانه يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ولانه اول ما يجب من العلوم التى انما تعلم وتتعلم بالكلام فاطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به ولم يطلق على غيره تميزا ولانه انما يتحقق بالمباحثة وادارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ولانه اكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ولانه لقوة ادلته صار كانه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال لاقوى الكلامين هذا هو الكلام ولانه لابتنائه على الادلة القطعية المؤيد

اكثرها بالادلة السمعية اشد العلوم تأثيرا فى القلب وتغلغلا فيه فسمى بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح كذا فى شرح العقائد للسعد (والنظر) ى التأمل (فيه) اى فى علم الكلام (والمناظرة) اى المباحثة والمجادلة (وراء قدر الحاجة) فى تحقيق المذهب الحق ورد الشبه عنه وابطال زيغ الزائغين بان زاد على ذلك فصد استجلاء مباحث الفرق الضالة ومحبة الاطلاع على مناقشاتهم لاهل السنة والجماعة (منهى عنه) لانه يورث الشك فى الدين ونقصان مرتبة اليقين كمن يتعب فى مداواة نفسه وقد ضربها بالسكين (وقال فى) الفتاوى (البزازية ودفع الخصم) من المعتزلة وغيرهم (واثبات المذهب) الحق بالادلة النقلية والبراهين العقلية امر مهم (يحتاج) بالبناء للمفعول (اليه) فى نصرة الدين فليس هو من القدر المنهى عنه (وفى) الفتاوى (التاتار خانية) فى فقه الحنفية وعبارتها (وفى النوازل) اسم كتاب من كتب الفتاوى (قال ابو نصر) من ائمة الحنفية (بلغنى ان حماد بن ابى حنيفة) النعمان صاحب المذهب رضى الله عنهما (كان يتكلم) اى يخاصم ويجادل (فى علم الكلام) مع الناس (فنهاه عن ذلك) ابوه الامام (ابوحنيفه) رضى الله عنه (فقال له ابنه قد رأيتك تتكلم فى علم الكلام فما بالك تنهانى عنه قال) له ابوه رضى الله عنه (يا بنى كنا نتكلم) فى ذلك (وكل واحد منا) فى حالة التكلم (كان الطير على رأسنا) كناية عن عدم حركة الرأس فان من كان الطير على رأسه لايحرك رأسه لئلا يطير الطير عنه وهو مثل يضرب لكمال التأنى فى الامور والتؤدة فيها والسكون والوقار وعدم الاستعجال (مخافة ان نزل) اى نخطئ فان الزلل فى هذا العلم كفر وغاية الزلل فى غيره من العلوم انه فسق (وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد) منكم (يريد ان يزل) اى يخطئ (صاحبه) ليظفر عليه بالحجة سواء كان صاحبه فى مذهبه او مذهب غيره فانه لايجوز ارادة الزلل والخطأ لاحد مطلقا (واذا اراد احدكم ان يزل) اى يخطئ (صاحبه فقد اراد له ان يكفر) بالله تعالى (ومن اراد ان يكفر صاحبه) الذى يباحثه وهو من غير دينه (فقد كفر) هو (قبل ان يكفر صاحبه) لان الرضاء بالكفر كفر (وعن ابى الليث الحافظ) رحمه الله تعالى (وهو) فقيه (كان بسمرقند متقدما فى الزمان على الفقيه ابى الليث) المشهور (قال من اشتغل بالكلام) اى بعلم الكلام واراد كثرة المباحثة فيه بحيث يستغرق بذلك غالب اوقاته لا من تكلم فيه احيانا (محى) بالبناء للمفعول اى محى الناس (اسمه عن العلماء) فلا يقال له عالم (وعن ابى حنيفة رضى الله عنه قال يكره الخوض فى) علم (الكلام) بكثرة المباحثة فيه واستجلاء المناقشة بمسائله (مالم تقع شبهة) له او لغيره فيحتاج الامر اليه حينئذ فيجوز الخوض مقدار الضرورة (فاذا وقعت شبهة وجب) عليه (ازالتها) لئلا ترفع اليقين من القلب (كمن يكون على شاطئ البحر ينبغى) اى يجب عليه (ان لا يوقع نفسه فى البحر) لانه هلاك له قال

﴿ تعالى ﴾

تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة (فان وقع) فى البحر بالقاء نفسه فيه او بدون ذلك (وجب علينا اخراجه) من البحر فكذلك صاحب الشبهة اذا عرضت له او اطلع انها فى غيره يجب عليه رفعها وازالتها (انتهى) ما نقله عن التاتار خانية (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (افاد هذا) الكلام المذكور (انه) اى علم الكلام (فرض كفاية) لاجل نصرة الدين ورد شبه المخالفين وازالة ما يقع فى القلوب مما ينقص اليقين (لكن لا ينبغى ان يعلمه) الانسان (او يتعلمه) من غيره (الا كل) عبد (ذكى) اى صاحب ذكاء وهو الفطانة والحذق (متدين) اى صاحب ديانة وهى مراقبة الله تعالى فى الاهتمام باحكامه (مجد) اى ساع فى تحصيل الكمال الدينى اكثر من الكمال الدنيوى (والا) اى وان لم يكن كذلك (يخاف) بالبناء للمفعول (عليه الميل الى المذاهب الباطلة) فهرا عنه من عدم رسوخه فى اتقان الدين ومحبة احوال المتقين قال فى شرح الدرر روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال لان يلقى الله عبدا باكبر الكبائر خير من ان يلقاه بعلم الكلام فاذا كان هذا حال علم الكلام المتداول فى زمانهم هكذا فاظنك بالكلام المخلوط بهذيانات الفلاسفة المغمور باباطيلهم المزخرفة انتهى فرأت بخط الشيخ ابى الطيب الغزى رحمه الله تعالى ناقلا عن الشيخ ابى الحسن على بن احمد بن يوسف القرشى الهنكارى قال انبأنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى اجازة سمعت ابا نصر احمد بن حاتم السجزى يقول قيل لابى العباس بن شريح صاحب الشافعى ما التوحيد قال توحيد اهل العلم وجماعة المسلمين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وتوحيد اهل الباطل الخوض فى الاعراض والاجسام وانما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بابطال ذلك حدثنا ابو بكر الحميدى المعدل حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعى يقول لو علم الناس ما فى الكلام لفروا منه كما يفرون من الاسد وباسناده عن الربيع ابن سليمان سمعت الشافعى يقول لان يلقى الله الرجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشئ من الكلام اه وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال روى عن الشيخ الامام ابى اليسر انه قال نظرت فى الكتب التى صنفها المتقدمون فى علم التوحيد فوجدت بعضها للفلاسفة مثل اسحاق الكندى والاسفرادى وامثالهما وذلك كله خارج عن الدين المستقيم زائغ عن الطريق لا يجوز النظر فى تلك الكتب ولا يجوز امساكها فانها مشحونة من الشرك والضلال قال ووجدت ايضا تصانيف كثيرة فى هذا الفن للمعتزلة مثل عبد الجبار الرازى والجبائى والكعبى والنظام وغيرهم لا يجوز امساك تلك الكتب والنظر فيها لئلا تحدث الشكوك ويتمكن الوهم فى العقائد وكذلك المجسمة صنفوا كتبا فى هذا الفن مثل محمد بن هيصم وامثاله لا يحل النظر فى تلك الكتب ولا امساكها فانهم شر اهل البدع وقد صنف الاشعرى كتبا كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ثم ان الله لما تفضل

عليه بالهدى صنف كتابا ناقضا لما صنفه اولا الان اصحابنا من اهل السنة والجماعة نصرهم الله تعالى خالفوه فى بعض المسائل فمن وقف عليها فلا بأس له بالنظر فى كتابه وامساكه وعامة اصحاب الشافعى اخذوا بما استقر عليه الاشعرى وكذلك لابأس بامساك تصانيف محمد بن عبدالله بن سعيد القطان وهو اقدم من الاشعرى واقاويله توافق اقاويلنا الا فى مسائل قلائل لاتبلغ عشرا لكن انما يحل النظر بشرط الوقوف على ماخولف فيه ودفع التعنت المتعمق فى الدين فلا بأس به وان كان للتخييل وطرح صاحبه ففيه ابؤس كما قرر فى الظهيرية والحاصل انه كره الاشتغال بعلم الكلام وتأويله عندنا كثرة المناظرة والمجادلة فيه لانه يؤدى الى اثارة البدع والفتن وتشويش العقائد او يكون المناظر قليل لفهم اوطالبا للغلبة لاللحق فاما معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة والذى ينطوى عليه عقائدنا فلايمنع منه كذا جزم به فى الملتقط وذكر فى موضع آخر وعن ابى حنيفة يكره الخوض فى الكلام مالم تقع شبهة فيجب ازالتها فالمناظرة لدفع مثله بار لايكون مبتدئا اولنصرة الحق من اجل الطاعات كما فى الحاوى وقول من قال ان تعلمه والمناظرة فيه مكروه مردود قال الله تعالى * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه * الآية دل قوله تلك على اشارة الى مناظرة فى اثبات التوحيد وجعله من حجج الله مضافا الى نفسه على شرفه وشرف العلم بقدر شرف المعلوم والمروى عن ابى يوسف ان امامة المتكلم وان كان بحق لاتجوز محمول على الزائد على قدر الحاجة والمتوغل فيه كما قيل من طلب الدين بالكلام تزندق ولايريد المتكلم على قانون الفلاسفة لانه لايطلق على مباحثهم علم الكلام لخروجه عن قانون الاسلام وهو من اجزاء الحد كذا فى البزازية (واما الثانى) وهو مازاد على قدر الحاجة من علم النجوم (فى سنن ابى داود عن ابن عباس) رضى الله عنهما (مرفوعا) اى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس) هو فى الاصل اخذ القبس وهو الشعلة من النار ويراد به هنا الاستفادة اى من استفاد (علما من النجوم) اى نوعا من انواع علم النجوم وهو علم واسع فيه كتب عديدة يتكلمون فيها على كيفيات الاستخبار عن الكوائن الزمانية باسباب معتادة عندهم ويتعاطون بنوع من ذلك معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ومواضع الكنوز ومقادير الاعمار ونحو ذلك مما يزعمونه وهو من الكهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع (اقتبس) اى استفاد (شعبة) اى قطعة (من السحر) وقدمنا بيانه (زاد) من ذلك (ما) اى الذى (زاد) فان استفاد كثيرا فقد استفاد من السحر كثيرا وان استفاد قليلا فقد استفاد منه قليلا فلا فرق بينه وبين السحر فى الحكم (وقال فى) كتاب (الخلاصة وتعلم علم النجوم) ان كان (قدر) اى مقدار (مايعلم) به (مواقيت) جمع وقت (الصلاة) الخمسة (و) يعلم جهة (القبلة لابأس به) يعنى هو جائز (و) تعلم (الزيادة) على ذلك (حرام) لانه من السحر

(انتهى) كلام الخلاصة وفى شرح الشيخ الوالد رحمه الله تعالى على شرح الدرر وقيل فى تأويل قوله تعالى * وجعلناها رجوما للشياطين * اى جعلنا النجوم سببا لكذب المنجمين اطلق اسم الشيطان على المنجم وسمى هذيانه رجما من رجم بالغيب كذا فى البزازية (وفى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (ولو تعلم من علم النجوم مقدار مايعرف به) جهة (القبلة و) يعرف به (امر الحساب) اى حساب الاوقات والشهور والسنين (فلا بأس به) وهو امر مباح (ولا يزيد عليه) اى على ماذكر (اذا تعلم مقدار مايعرف به القبلة وامر الحساب) كما ذكرنا (انتهى) مانقله من بستان العارفين (وفى) كتاب (تعليم المتعلم وعلم النجوم بمنزلة المرض) لمن تعلمه لانه يمرض القلب فى الايمان بالغيب فيبقى العبد اذا تعلمه يزعم فى نفسه علما ما كان قبل ذلك يكل علمه الى الله تعالى من الامور المغيبات (فتعلمه حرام لانه يضر) بعالمه فى دينه لانه ينقله من الايمان بالحق المغيب الى الايمان بالكذب الموهوم (ولا ينفع) اصلا (والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن) لمن اطلع بعلم النجوم انه يفعله فى المستقبل كذا وكذا وغايته انه يبقى فى الهم والغم وماقدر الله تعالى عليه وقضى به واقع لا محالة (انتهى) كلامه (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (فما) اى الذى (هو) المقدار (الحرام من علم النجوم) هو (مايتعلق بالاحكام) فى الوقايع والنوازل المستقبلة (كقولهم) اى المنجمين (اذا وقع كسوف) للشمس (او خسوف) للقمر (او زلزلة) للارض (او نحوها) كانتشار الكواكب ذوات الاذناب (فى زمان كذا) لوقت معين عندهم (سيقع) فى الارض (كذا) من غلاء او رخص او موت او حرب ولذلك قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية واياك وتصديق الكهان وان صدقوا واجتنب ما استطعت علم التعاليم وهو القضاء بالنجوم فانه يردى وان كان من جملة الاسباب ولكن الوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة ومانذن الاعلى ذلك انتهى كلامه ولنا رسالة فى تحقيق هذا المحل سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون كما ذكرنا فيما تقدم (واما معرفة) جهة (القبلة) وحضور (المواقيت) الزمانية (فيحصل بالعلم المسمى بالهيئة) اى علم الهيئة الذى يبحث فيه عن معرفة هيئة الافلاك وكرة العالم (فلما كانا) اى استقبال القبلة ووقت الصلاة المفهومان مما ذكر (شرطى اداء الصلاة) كما تقرر فى موضعه (لزم معرفتهما) اى القبلة والوقت (بالتحرى) وهو بذل المجهود لنيل المقصود واصله طلب الاحرى اى الاولى من الامور (والامارات) اى العلامات جمع امارة (وهذا العلم) الذى هو علم الهيئة (من جملة اسباب التحرى والمعرفة) لذلك المذكور (جاز الاشتغال به) والقراءة فيه وتعلمه (واما ان يجب) ذلك على المكلف (فلا) يجب (اذ لا انحصار للاسباب) التى يعلم منها القبلة والوقت (فيه) اى فى علم الهيئة (ولا يلزم)

احدا من المكلفين (اليقين) اى القطع (فيهما) اى فى القبلة والوقت (بل يكفى) فى بيان الامور عليهما (الظن) اى غالبه وفى الاشباه والنظائر ولوشك فى دخول وقت العبادة فاتى بها فبان انه فعلها فى الوقت لم يجزء اخذا من قولهم كما فى فتح القدير لوصلى الفرض وعنده ان الوقت لم يدخل فظهر انه قددخل لايجزيه انتهى كلامه فاذا غلب على ظنه دخول الوقت لم يكن ذلك شكا فيجزيه وذكر فى موضع آخر قال الشك تساوى الطرفين والظن الطرف الراجح وهو ترجيح جهة الصواب والوهم رجحان جهة الخطأ واما اكبر الرأى وغالب الظن فهو الطرف الراجح اذا اخذبه القلب وهو المعتبر عند الفقهاء كماذكره اللامشى فى اصوله وحاصله ان الظن عند الفقهاء من قبيل الشك لانهم يريدون به التردد بين وجود الشئ وعدمه سواء استويا اوترجح احدهما ولذا قالوا فى كتاب الاقرار لوقال له على الف فى ظنى لايلزمه شئ لانه للشك وغالب الظن عندهم ملحق باليقين وهو الذى تبتنى عليه الاحكام يعرف ذلك من تصفح كلامهم فى الابواب صرحوا فى نواقض الوضوء بان الغالب كالمحقق وصرحوا فى الطلاق بانه اذاظن الوقوع لم يقع واذاغلب على ظنه وقع (وانه) اى علم الهيئة (يحتاج) فى معرفته (الى ذكاء) اى فطنة (وقوة حدس) اى فكر (وخيال وجد) اى سعى واجتهاد (كثير) وفيه الحرج (فلايقع التكليف به) فى الشرع (لكل احد اذلا يكلف الله) سبحانه (نفسا) من عباده (الاوسعها) اى مقدار ماتسع اى تستطيع بلاحرج عليها ولاصعوبة (وايضا تحتاج معرفة القبلة) من علم الهيئة (الى معرفة عرض كل بلد) مما هو فيها (وطوله) ليتحرر عنده امر قبلتها (ولايمكن) تلك المعرفة (الابتقليد من نعرف عدالته) من واضع ذلك العلم الذى هو علم الهيئة فان للاسلاميين فيه اوضاعا ولغيرهم كذلك ولهم ضوابط وقوانين يعرف بها ذلك واذاكان الامر مشتبها كذلك (فلايوجب) علم الهيئة (العمل به) على من تعلمه لاحتمال متابعة غيرالثقة فى استعمال القواعد التى وضعوها (واماسائر) اى بقية (علوم الفلاسفة) الاولين الذين كانوا فى ايام الفترة وقبلها (فالمنطق) الذى هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر وهو مقدمة للعلوم الفلسفية يفيد التحقيق فيها (داخل فى) حكم (علم الكلام) الذى معظم ابحاثه مبنية على قواعد الفلاسفة للتمكن من الرد عليهم وعلى المعتزلة (و) فى حكم (علم الهندسة) على حسب ماسبق بيانه (مباح) حيث لم يكن تحقيق الشرعيات متوقفا عليه ولاهو مضر فيها لان المؤمن بالشرع لايعلل بالعقل احكام الشرع حتى يحتاج لعلم الميزان الذى هو المنطق ولامانع من استعمال قواعده فى فهم بعض المسائل فلاينفعه ولايضره (والالهيات) اى المسائل المتعلقة بالاله من العلوم الفلسفية (مايخالف منها الشرع) المحمدى كاثبات علة العلل وانكار المعاد الجسمانى وكون الواحد لايصدر عنه الاواحد ونحو ذلك

(جهل مركب) فصاحبه جاهل و يجهل انه جاهل (لايجوز تحصيله) اى تعلمه وفهمه (و) لا (النظر) اى التأمل (فيه الاعلى وجه الرد) عليه من عالم متمكن قادر على الرد والقاصر لايجوزله التعرض مطلقا (وقداستقصى) بالبناء للمفعول اى تتبع الرد من علماء الكلام (فى) علم (الكلام) فلا حاجة الآن الى ذلك (وما) اى الذى (يوافقه) اى الشرع من الالهيات الفلسفية (فداخل فى) علم (الكلام ايضا) ففى علم الكلام غنية عن ذلك (والطبيعيات) اى المسائل الفلسفية المتعلقة بالطبيعية وماتولد منها من العناصر وماتركب من الاجسام (ماخالف منها الشرع) النبوى (فبنى على) المسائل (الالهيات) المذكورة فالتفصيل فيه كالتفصيل فيها (وقدعرفت حالها) اى الالهيات بان ماخالف الشرع منها مردود (ومالم يخالف الشرع (لم يمنع منه) لانه اطلاع على احكام عقلية لاتصادم حكما شرعيا وذكر ابن نجيم فى الاشباه والنظائر ان العلم قد يكون حراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبايعيين والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحرف والموسيقى آه وللشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى رحمه الله تعالى كتاب فى الرد على العلوم الفلسفية سماه كشف الفضايح اليونانية ورشف النصايح الايمانية وذكر الشهاب بن حجر المكى فى فتاواه قال واما الاشتغال بالفلسفة والمنطق فقدافتى بحريمه ابن الصلاح وشنع على المشتغل بهماواطال فى ذلك ويجب على الامام اخراج اهلهما من مدارس الاسلام وسجنهم وكف شرهم قال وان زعم احدهم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه واما استعمال الاصطلاحات المنطقية فى الاحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة وليس بها افتقار الى المنطق اصلا ومايزعمه المنطقى للمنطق من الحد والبرهان ففماقع قداغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسيامن خدم نظريات العلوم الشرعية هذاحاصل شئ من كلامه وماذكره فى الفلسفة صحيح ومن ثم قال الاذرعى وماذكرته من تحريمها هو الصحيح والصواب ونصوص الشافعى رضى الله عنه ناصة على تقبيح تعاطيه ونقل عنه التحذير على ذلك واماماذكره فى المنطق فعارض بقول الغزالى فى مقدمة المنطق فى اول كتابه المصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لايحيط بهـا فلا ثقة له بعلومه اصلا وقوله فى المنقذ من الضلال واماالمنطقيات فلايتعلق شئ منهابالدين نفيا ولااثباتا بل هو نظر فى طرق الادلة و المقاييس وشروط مقدمة البرهان و كيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح و كيفية ترتيبها وان العلم اماتصور وسبيل معرفته الحد وامانصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ماينبغى ان ينكر فانه من قبيل مايتمسك به المتكلمون واهل النظر فى الادلة وانما يفارقونهم فى العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه اذا ثبت كل انسان حيوان لزم منه

ان بعض الحيوان انسان وان كل من ثبت انه انسان ثبت انه حيوان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تلزم موجبة جزئية وهذا حق لاشك فيه فكيف ينبغي ان يجحد وينكر على انه لا تعلق له بمهمات الدين ثم متى انكر مثل هذا لزم منه عند اهل المنطق سوء الاعتقاد في المنكر بل في دينه الذي يزعم ان فيه ابطال مثل هذا فتأمله تأملا خاليا عن التعصب تجده رحمه الله تعالى قد اوضح المحجة واقام الحجة على انه ليس فيه شيء مما ينكر ولا ما يجر الى ما ينكر وعلى انه ينفع في العلوم الشرعية كاصول الدين والفقه وقد اطلق الفقهاء ان ما ينفع في العلوم الشرعية محترم ثم قال بعضهم كالاسنوي ان المنطق غير محترم فعلمنا ان مراده المنطق الذي لا ينفع في العلوم الشرعية او الذي يعود منه ضرر على الدين وهذا النوع من المنطق الفلاسفة يبحثون فيه عن نحو ما ذكره الغزالي ثم يدرجون فيه البحث عن حال الموجودات وكيفية تراكيبها ومفاهيمها واعراضها وغير ذلك مما يخالفون فيه علماء الاسلام حتى انتصبوا لهم وردوا جميع مقالاتهم القطيعة الشنيعة فمثل هذا النوع من المنطق هو الذي يحرم الاشتغال به وعليه يحمل كلام ابن الصلاح ويدل لذلك قوله فيما مر عنه وكف شرهم وقوله وان زعم اخذهم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه فعلمنا ان كلامه في منطق له شر وله اهل يعتقدون خلاف عقائد المسلمين وهو النوع الذي ذكرته لا غير واما المنطق المتعارف الآن بين ايدي اكابر علماء اهل السنة فليس فيه شيء مما ينكر ولا شيء من عقائد المتفلسفين بل هو علم نظري يحتاج لمزيد رياضة وتأمل يستعان به على التحرز عن الخطأ في الفكر ما امكن فمعاذ الله ان ينكر ذلك ابن الصلاح ولا ادون منه وانما وقع التشنيع عليه من جماعة من المتأخرين لانهم جهلوه فعادوه كما قيل من جهل شيئا عاداه وكفى به نافعا في الدين انه لا يمكن ان يرد شبهة من شبه الفلاسفة وغيرهم من الفرق الا من اتقنه وراعى قواعده وكفى الجاهل به ان لا يقدر على التفوه مع الفلسفي وغيره العارف به ببنت شفة بل يصير نحو الفلسفي يلحن بحجته وذلك الجاهل به وان كان من اكابر العلماء ساكت ولقد احسن القرافي من أئمة المالكية واجاد حيث جعله شرطا من شرائط الاجتهاد وان المجتهد متى جهله سلب عنه اسم الاجتهاد فيكون المنطق شرطا في منصب الاجتهاد فلا يمكن حينئذ ان يقال الاشتغال به منهي عنه او ان علماء المتقدمين كالشافعي ومالك لم يكونوا عالمين به فان ذلك يقدح في حصول منصب الاجتهاد لهم نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة في زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط وقال السبكي ينبغي ان يقدم على الاشتغال به الاشتغال بالكتاب والسنة والفقه حتى يتروى منهما ويترسخ في ذهنه الاعتقادات الصحيحة ويعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عنده الشبهة على الدليل فاذا وجد شيخا ناصحا دينا حسن العقيدة جاز له الاشتغال بالمنطق وينتفع به ويعينه على العلوم الاسلامية وهو من احسن العلوم وانفعها في كل بحث ومن قال انه كفر

اوحرام فهوجاهل فانه علم عقلي محض كالحساب غيران الحساب لايجر الى فساد وليس مقدمة لعلم آخر فيه مفسدة والمنطق من اقتصر عليه ولم يكن له سليقة صحيحة خشي عليه التزندق والتغلغل باعتقاد فلسفي من حيث يشعر اولا يشعر قال وفصل القول فيه انه كالسيف يجاهد به شخص في سبيل الله و يقطع به آخر الطريق وهذا نص فيما قدمناه ان المنطق قسمان قسم منه لايخشى على المشتغل به شيء مما ذكره والقسم الآخر وهو المدرج فيه كثير من العقائد الفلسفية ولا يجوز الخوض فيه الالمن اتقن ماذكره ووجد شيخا بالصفة التي ذكرها فهذا يجوز له الاشتغال حتى بهذا القسم لانه يؤمن عليه ولقد اشتغل بهذا القسم كثير من الفحول حتى احكموه وتمكنوا به من تمام الرد على الفلاسفة وتزييف مقالاتهم الباطلة انتهى كلامه ببعض اختصار وسبحان الله الذى لااله الاهو المراد بالمنطق ماعرفه علماؤه بقولهم هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر وهو قسم واحد لاقسمان سواء خلطوه بالفلسفيات اوتجرد عن ذلك وخلطه بالفلسفة لايخلواما ان تكون مسائل الفلسفة بعده وهو مقدمة لها في تصنيف واحد فالمنطق هو المقدمة لامع مابعدها كما قال السعد في اول شرح العقائد ان علم الكلام يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ومراده ان المنطق مقدمة لعلم الفلسفة واما ان تكون مسائله وقواعده امثالها التي تذكر فيها وشواهدها من مسائل علم الفلسفة فهو المنطق الذى هو آلة قانونية بعينه وامثاله وشواهده اذاذكرت فيه لم تذكر الالايضاح قواعده وضوابطه كالنحاة لما مثلوا بقام زيد وان كان زيد لم يقم فان هذا الكذب لايضر لان مرادهم ايضاح القاعدة لاغير ونحوه كثير فلامعنى لجعله قسما آخر غير المنطق الخالي من ذلك ولئن سلمنا انه قسمان كما ذكر وان المنهي عنه القسم الممزوج بالفلسفيات لانه يؤول بصاحبه الى الزندقة كما قال السبكي وقد شرط لجواز الاشتغال به تقدم الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها فلانسلم ان غير الممزوج بذلك لايؤول بصاحبه الى الزندقة ايضا مالم يتقدمه الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها لان جميع الفرق الضالة انما خالفوا اهل السنة واختلفوهم فيما بينهم بسبب تعلمهم هذا القسم من المنطق الخالي من الفلسفيات واستعمال قواعده في مسائل عقائدهم فكيف يكون ضرره مأمونا وقد انتج في الاسلام هذا الاختلاف العظيم والفساد الكبير فانه كان اولا بغير اللسان العربي لانه من استخراج الحكماء اليونانيين فنقله بعض ملوك العباسيين الى اللغة العربية وخاض فيه الاسلاميون فكثرت الفرق الضالة وجادلوا به في الدين كما اشار اليه ابن الشحنة في شرح السلم والعجب ممن جعله شرطا في الاجتهاد فلعله يزعم ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلمونه من النبي صلى الله عليه وسلم او يتدارسونه بينهم لانهم كلهم مجتهدون وقد جعله هذا القائل من شروط الاجتهاد فعند فقد العلم به يفقد الاجتهاد وهو باطل لان الصحابة

رضى الله عنهم لم يكونوا يشغلوا انفسهم بهذا القشار الذى اخترعه الحكماء لفلاسفة بل من اعتقد فى النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم الصحابة هذه الشقاشق والهذيانات المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبى صلى الله عليه وسلم معلم الخير والحق والايمان لا المعقولات التى تهدم دين الاسلام من اصله لانه ليس مبنيا عليهما بل على التسليم والاذعان فاذا تحكم بهما العبد فيه تحولت احكامه معللة بالعلل العقلية وذهبت انوار سننه بظلمات البدع الشيطانية واعجب من هذا قوله ايضا نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط فانه ان اراد بالعبارات والاصطلاحات الالفاظ فانهما ليست علم المنطق وان اراد المعانى فالمعانى ليس لها معانى وعلم المنطق ليس الا هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط المفهومة من الالفاظ التى هى تقسيمات الادراكات العقلية ومتى لم تعتبر هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط من حيث هى قواعد وضوابط فهى الادراك العقلى وليست بعلم المنطق فان اراد بكون الامام الشافعى ومالك رضى الله عنهما كانا يعلمان علم المنطق انهما كانا يعلمان هذه القواعد والضوابط الاصطلاحية لا من حيث هى قواعد وضوابط اصطلاحية بل من حيث هى ادراكات عقلية فكأنه قال بان الامام الشافعى ومالك كان لهما ادراك عقلى وهذا امر لا ينازعه فيه احد ولا ينبغى ان يذكر لان احدا لا يتوهم عدمه وكذلك ان اريد هذا المعنى فى قول من جعل المنطق شرطا فى الاجتهاد فكأنه جعل الادراك العقلى شرطا فى الاجتهاد وهو امر معلوم بالبداهة اذ من لم يكن له كمال ادراك عقلى كيف يمكنه الاجتهاد فى الدين والحاصل ان كل مكلف مأمور بتقوية الجزء الايمانى فيه وهو الاسلام والاذعان لجميع ما ورد عن الله ورسوله على حسب ما يعلمه الله ورسوله وتقويته انما تكون بالامتثال للامر والاجتناب للنهى والمبالغة فى ذلك كما قال تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * فقد وعد الله تعالى بالهداية للمجاهد فيه بامتثال امره واجتناب نهيه وهى المجاهدة الشرعية فى النفس والهوى والشيطان والدنيا فان هذه الاربعة قواطع عن القرب اليه تعالى فمتى جاهدها المكلف بالطاعة لله تعالى والمخالفة لها هداه الله تعالى فعرفه به وادناه منه زلفى وكشف له عن معانى الكتاب والسنة بطريق الفيض والالهام ما تعجز عنه العقول والافهام وليس المكلف مأمورا بتقوية الجزء العقلى منه لان تقويته ذلك يضره فى دينه لان الدين المحمدى ليس مما يدرك بالعقول خصوصا فى مذهب الشيخ الاشعرى رضى الله عنه بان التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان والعقل لا يدرك حسن شئ اصلا ولا قبحه كما هو مقرر فى الاصول وهذا القسم من المنطق ولو قلنا انه خال من الفلسفيات فانه يقوى العقل على جانب الايمان والتسليم للشرع فيضعف الجزء الايمانى التسليمى بسبب قوة الجزء

العقلى ان لم يذهب بالجزء الايمانى بالكلية او ينقلب عقليا كما هو مشاهد فى كثير من الناس تراه لايقبل حكما من احكام الشرع مالم يكن امرا معقولا وللعقل مدخل فى ادراكه ولهذا تكلم اهل التأويل فى المتشابهات وخاضوا فيها بالمعانى العقلية ولم يقدروا ان يؤمنوا بها على ما هى عليه ولااستطاعوا ان يطمئنوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى منها ويعلمه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة الجزء العقلى فيهم بحيث غلب على نور ايمانهم فاضعفه بالكلية فتراهم لاتقوى قلوبهم ولاتطمئن نفوسهم الااذاوافق حكم الشرع المحمدى عقولهم واذالم يوافقها تعبوا فى الموافقة بين العقل والشرع والجزء الايمانى ضعيف فيهم جدا ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور الحق والصواب بحريم علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه اليهما لايصاله الى ماذكرنا من اعتياد المكلف استعمال ضوابطه وقواعده وغلبة ذلك عليه فى كل ما يريد ادراكه من الدين مع ان الدين ليس مبنيا على الفهوم العقلية وان احترز متعلمه من استعماله فى ادراك الدين به فلا نتيجة له حينئذ وان زعم ان له نتيجة اخرى فى غير الادراك فهو ممتنع منه فتلخص من هذا ان المنطق ضرر محض على اهل الاسلام انما بعث متعلموه على تعلمه حب الانفراد بعلم لا يعلمه اهل الاسلام وطلب الرياسة به على الاقران ولهذا صرح القائل فيما تقدم بانه يكفى الجاهل به انه لايقدر على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به ببنت شفة الى آخر ما مر فانه جعل هذا العلم الذى تعلمه موصلا الى هدم القواعد الاسلامية من اصلها كمالا فى الفلسفى وغيره العارف به مع ان المؤمن اذا جهل مبنى اساس الكفر والضلال فذلك فى حقه عين الكمال ومن المعلوم ان من قدر على ابطال المذاهب الفلسفية وغيرها مما اسس على القواعد المنطقية بهذه القواعد المنطقية فانه لايبطلها بامر هو مبنى الدين المحمدى بل بما هو مبنى تلك المذاهب الباطلة وهو العقل فلا يستطيع ابطالها بما بنيت عليه ولئن امكنه ذلك فان اهلها يجيبون عن ذلك والعقل معهم لان مبنى دينهم عليه والقواعد المنطقية تساعدهم فيجيبون عن جميع ما يرد عليهم ويعاندون بالحماية للدين الباطل فلا يفيد ذلك الابطال شيئا فان المذاهب الباطلة لايبطلها الا الدين الحق والقواعد الاسلامية المحمدية وليست هى العقل بل لادخول له فيها اصلا وانما هى تلقيها من الكتاب والسنة بدون استعمال قواعده بل بالايمان والتسليم والاذعان ولهذا قال العارف بالله الشيخ رسلان الدمشقى رضى الله عنه فى رسالته الناس تايهون عن الحق بالعقل فانظر كيف جعل العقل مضلا عن الحق لاهاديا اليه فاذا كان مضلا فكيف يمده المكلف بتفصيل قواعد ادراكاته وضوابط مفاهيمه حتى يقويه فيغلب عليه فلا يقدر بعد ذلك على رده والمطلوب منه اضعاف عقله بكثرة نور ايمانه حتى يبقى عقله تبعا لما جاء به نبيه كما ورد فى الحديث لا ان يبقى ما جاء به نبيه عليه

السلام تبعا لعقله وقد ورد في الكتاب والسنة طلب الايمان من المكلف لا التعقل كما قال تعالى * فامنوا بالله ورسوله * ولم يقل فاعقلوا ونحو ذلك والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (واما السحر) وتقدم بيانه (والنيرنجات) وهى نوع من السحر يسمى الدك والشعبذة (ونحوهما) اى نحو السحر والنيرنجات (من) انواع (الشرور) القبيحة (والمعاصى) الموجبة للفضيحة (فيجوز تعلمها للاحتراز عنها) لا للرغبة فى عملها (كما قيل) اى قال الشاعر فى مثل هذا المعنى (عرفت الشر) ضد الخير (لا للشر) اى لا لاجل الرغبة فيه والاهتمام به (لكن) عرفته (لتوقيه) اى للاحتراز عنه ولدفعه اذا ابتلى به احد (ومن لم يعرف الشر) وتعلم طرقه المختلفة (فانه يقع فيه) اى فى الشر لالتباسه عليه وعدم معرفته به (واما المناظرة) وهى المقابلة بالنظر العقلى والفكر فى الابحاث العلمية من الطرفين مفاعلة لان كل واحد ينظر بعقله فى كلام الآخر (والحيلة فيها) اى فى المناظرة لاجل دفعها (فنى) كتاب (الخلاصة التمويه) اى اظهار ماليس بحق فى صورة الحق ومنه الاستطراد فى البحث الى شئ آخر بحيث ينتقل الكلام من مسئلة الى مسئلة اخرى ولم تكن تحققت عندهما (والحيلة فى المناظرة) لطرح الخصم عنها وقطع كلامه ومنهما ان يحمل احدهما الآخر على ان يقول ماليس بمذهبه لاجل الزام الحجة عليه وكذلك التنزل الى مذهب الخصم لالزامه (ان تكلم معك) من تناظره حال كونه (متعلما) اى طالبا منك التعلم والاستفادة (مسترشدا) اى طالبا الرشد وهو الهداية الى الصواب وهذا معلوم بقرائن الاحوال عندك (اوتكلم على الانصاف) لك بلا جور منه عليك فى ظهور الحق على يديك (بلا تعنت) اى معاندة ومكابرة فى الحق (يكره) لك حينئذ التمويه والحيلة لتصرفه عن البحث الذى انت تناظره فيه قبل ان يتحقق بينكما لان فى ذلك كتمانا للدين وشحا ببيان الحق (وكذا اذا تكلم) معك خصمك المناظر لك حال كونه (غير مسترشد) اى طالب للرشد منك (لكن على الانصاف) اى منصفا لك فى البحث معك (بلا تعنت) منه عليك ولا معاندة فانه يكره التمويه منك والحيلة عليه فى صرفه عن المسئلة (فان تكلم) الانسان (مع من) اى الذى (يريد التعنت) اى المعاندة والمكابرة وعدم التسليم للحق وان ظهر له (ويريد) الانسان (ان يطرحه) اى يقطع عليه كلامه بالنقل الى كلام آخر او تغطية وجه الصواب عليه فى الكلام وابهام الامر ومنه قوله تعالى * وانا اواياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين * وقول حسان رضى الله عنه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الكافرين

هجوت محمدا واذبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

(لا يكره) طرحه عن المناظرة حينئذ (و) ينبغى ان (يحتال) عليه

(كل حيلة) تمكنه (ليدفع عن نفسه) ارادة تعنت خصمه عليه وعناده له ومكابرته معه فى الحق ومجادلته بالباطل كما قال تعالى * وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب (لان الحيلة) على الخصم (لدفع التعنت) منه (مشروعة) سائغة فى الشرع (قال صاحب الخلاصة) الامام رشيد الدين البخارى رحمه الله تعالى (سمعت القاضى الامام) ولعله قاضيخان صاحب الفتاوى رحمه الله تعالى (يقول ان اراد) المناظر (تخجيل الخصم) اى القاءه فى الخجل وهو زيادة الحياء بظهور جهله والخامه بالادلة (يكفر) لانه استهان بالدين حيث جعل مسائله آلة لانفاذ حظوظ نفسه فى خصمه واظهر بذلك التقرب والطاعة لله تعالى ولانه احب ان يزل خصمه ويخطئ ليظهر ارتفاع قدره عليه ومن احب زلة غيره فقد احب كفره فيكفر (قال) يعنى صاحب الخلاصة (رأيت فى موضع آخر) يقول القاضى الامام المذكور اوغيره (وعندى لايكفر) ان اراد تخجيل خصمه (و) لكنه (يخشى) بالبناء للمفعول اى يخاف (عليه الكفر) لاحتمال انه لم يرد شيئا مماذكر فى مايؤول به ذلك الى ارادة ماذكر (انتهى) اى مانقله عن الخلاصة قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (والاولى) اى الاحرى والاحق (فى زماننا) هذا الكثير الشر القليل الخير وهو عصر التسعمائة (ان لايناظر) الانسان (احدا) مطلقا (اذ) اى لانه (قل مايوجد) فى طلبة العلم اليوم وفى العلماء (من يريد) بمناظرته (اظهار الصواب) من غير حظ نفسانى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال مشايخنا لو ناظر مع غيره ان كان غيره متعلما مسترشدا غير متعنت لايحل له الحيلة لطرحه فى المناظرة معه لان ذلك يؤدى الى اخفاء العلم وكتمانه وانه حرام وان كان متعنتا يحل له ان يحتال كل حيلة لدفعه عن نفسه لانه من اراد زلة صاحبه فكأنما اراد تكفيره فيكفر قبل ان يكفر صاحبه ولايجب على الفقيه كذا فى المبتغى والاجابة عن كل مايسأل عنه غير واجبة الااذا علم انه لايجيب غيره فيلزمه جوابه لان الفتوى والتعليم فرض كفاية من المبتغى ايضا انتهى وذكر الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية قال واياك والمراء فى القرآن فانه كفر بنص الحديث وهو الخوض بانه محدث اوقديم وهل هو هذا المكتوب فى المصاحف والمتلو المتلفظ به عين كلام الله تعالى او ماهو عين كلام الله تعالى فالكلام فى مثل هذا والخوض فيه هو الخوض فى ايات الله تعالى وهذا هو المراء والجدال المنهى عنه (النوع الثالث) من انواع العلوم الثلاثة (فى) بيان العلوم (المندوب اليها) اى المستحبة (وهى معرفة فضائل) اى مافيه فضيلة من (الاعمال) البدنية والقلبية كالصدقة بمازاد على الكفاية والاكثار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والنظر فى المصحف ونحو ذلك (ونوافلها) اى الاعمال كصلاة الضحى

وركعتي الوضوء وركعتي المسجد (وسننها) المؤكدة وغير المؤكدة (ومكروهاتها) التحريمية والتنزيهية (و) معرفة (فروض الكفاية) بانواعها (فيها) اى فروض كفاية (وجد القائم بها) من الناس فانها لاتبقى فروضا بعد ذلك ولا يثاب فاعلها ثواب الفرض اذا اتى بها بعد اتيان من سقط الفرض باتيانه وانما يتنفل بهـا بعد ذلك فى غير صلاة الجنازة قال فى الهداية وان صلى الولى لم يجز لاحد ان يصلى بعده لان الفرض يتأدى بالاول والتنفل بها غير مشروع ولهذا رأينا الناس تركوا عن آخرهم الصلاة على قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو اليوم كما وضع انتهى وقد بينا هذه المسئلة فى رسالة سميناها غاية الوجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة (و) كذلك (التعمق) يقال عمق النظر فى الامور بالغ وتعمق كذا فى القاموس (والتوغل) وغل فى الشئ يغل وغولا دخل وتوارى اوبعد وذهب واوغل فى البلاد والعلم ذهب وبالغ وابعد كتوغل كذا فى القاموس والمراد هنا الاكثار (فى ادلة) جمع دليل (فروض العين و) ادلة فروض (الكفاية و) فى (وجوههما) اى وجوه ادلة الشيئين وهو اقامة الدليل على الدليل فالاول يسمى تحقيقا والثانى تدقيقا (ومنها) اى من المعلوم المندوب اليها علم (الطب) وهو العلم الذى يبحث فيه عن امزجة الحيوان ومايعدلها (قال فى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (يستحب للرجل ان يعرف من علم (الطب مقدار مايمتنع) اى يتباعد بسببه (عما) اى عن الامر الذى (يضر) تناوله اواهماله (بدنه) من انواع المآكل والمشارب والادوية والعلاجات (انتهى) كلام بستان العارفين قال مؤلف متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (ولا يجب) معرفة هذا المقدار من الطب (لان التداوى) اى استعمال الدواء فى المريض (لا يجب) لان حصول الشفاء به امر مظنون فكم من مريض تداوى ولم يشفه الدواء وكم من مريض شفاه الله تعالى من غير دواء والاستشفاء بالدواء نادر ولا يترتب على النادر الوجوب (قال فى) كتاب (الخلاصة رجل استطلق بطنه) اى لم يقدر على امساك غائطه (اورمدت عيناه) او نحو ذلك من انواع الامراض (فلم يعالج) نفسه بشئ من الدواء (حتى اضعفه) ذلك الدواء (ومات) منه (لااثم عليه) ولا عقاب فى الآخرة (وفرق بين هذا الحكم) المذكور (وبين ما اذا صام ولم يأكل) الطعام اياما كثيرة (حتى مات) من شدة الجوع (وهو قادر) على الاكل فانه (يأثم) حينئذ (والفرق) بين الامرين (ان الاكل مقدار قوته فرض) عين عليه (لان فيه شبعا) من الجوع (بيقين) من غير شك كما هو العادة المعروفة (فاذا ترك) الاستشفاء بالاكل (كان متلفا لنفسه) مع القدرة عليه عمدا (ولا كذلك المعالجة) بالدواء فى المريض (لان الصحة) من المرض (بالمعالجة) بالدواء (غير معلومة) بل هى امر مظنون نادر الوقوع فلا ينبنى عليه حكم شرعى ايجابى فغاية مافى الباب انه ينبنى عليه الاستحباب كذلك وفى الملتقط

اللدنية روى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية والكمية فلا ينجح بل ربما احدث داء آخر وفى رواية عن الحميدى فى كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الاوله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عزوجل ملكا ومعه ستر فجعل بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برء امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفى حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الاانزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابونعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لايعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التى لايمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبربها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لاعلم للخلق الاما علمهم الله تعالى ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعد ذلك الداء بعينه فلاينجح والسبب فى ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا فلاينجح فيه ماينجح فى الذى ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لاينجح ومن هنا تخضع رقاب الاطباء (وقال فى) كتاب (فصول) جمع فصل (العمادى) وهو كتاب من كتب الفتاوى فى فقه الحنفية يشتمل على اربعين فصلا (اعلم ان الاسباب) جمع سبب وهو مايتوصل به الى غيره (المزيلة للضرر) فى البدن (تنقسم) ثلاثه اقسام (الى) قسم (مقطوع به) اى بكونه سببا موصلا الى ازالة الضرر بحسب التكرار فى العادة ومشاهدة ذلك على الحس من دون شك ولاشبهة لاحد فى ذلك اصلا (كالماء المزيل لضرر العطش) من العطشان (والخبز المزيل لضرر الجوع) من الجيعان وذلك بان يخلق الله تعالى الرى ورفع العطش فى باطن المستعمل لذلك عند وصول الماء الى الجوف من غير تأثير للماء فى ذلك اصلا ولااستعانة منه تعالى بالماء على ذلك وكذلك الخبز يخلق الله تعالى الشبع عند وصوله الى الجوف بلا تأثير من الخبز ولااستعانة به اصلا وهكذا جميع الاسباب العادية (والى) قسم (مظنون) زوال الضرربه (كالفصد والحجامة) فى حق المريض المحتاج الى ذلك فى عرف الاطباء (وشرب) الدواء (المسهل) والقابض (وسائر ابواب الطب) المذكورة فى كتب الطب (اعنى معالجة البرودة) الغالبة على مزاج الحيوان (بالحرارة) الغالبة فى الدواء من مركب وبسيط كالمعاجين والعقاقير (و) معالجة (الحرارة) الغالبة فى مزاج الحيوان ايضا (بالبرودة) الغالبة فى دواء مركب اوبسيط (وهى الاسباب الظاهرة) اى المعلومة (فى) علم (الطب والى) قسم (موهوم) اى يحتمل

الشفاء وعدمه (كالكى) بالنار ولهذا قالوا آخر الطب الكى فالكى الآخرية لانه اضعف احتمالا للشفاء واما غيره من المعالجات فهو اقرب منه الى الشفاء فهو اول الطب (والرقية) بالضم العودة وجمعها رقى ورقاء رقيا فهو رقاء نفث فى عودته كذا فى القاموس (اما) القسم (المقطوع به) من الاسباب المزيلة للضرر عن البدن (فليس تركه من التوكل) على الله تعالى (بل تركه حرام) على العبد (عند خوف الموت) من العطش اوالجوع ونحو ذلك فان ترك هذا القسم معصية على المتعين عليه والتوكل على الله تعالى طاعة فليس هو من التوكل ولا التوكل منه (واما) القسم (الموهوم) من الاسباب المذكورة (فشرط) حصول (التوكل) على الله تعالى (تركه) اى ترك هذا القسم لانه موهوم والتوكل مقام يقيني فينافيه الامر الوهمي (اذ) اى لانه (به) اى بترك هذا القسم الموهوم (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين) على الله تعالى (وذلك فى حديث صحيح (بلغنا) اى وصل الينا (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود) رضى الله عنه (انه عليه السلام قال اريت) بالبناء للمفعول اى ارانى الله تعالى (الامم) كلهم (بالموسم) متعلق باريت اى وانا فى موسم منى (فرأيت امتى) من اولهم الى اخرهم (قد ملأوا السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم) العظيمة (وهيأتهم) المستقيمة (فقيل) اى قال قائل (لى) ولعله الله تعالى (ارضيت قلت نعم) يعنى رضيت (قال ومع هؤلاء) اى وفى جملتهم (سبعون الفا) والعموم يقتضى ان فيهم الرجال والنساء الاحرار والعبيد والكبار والصغار (يدخلون الجنة بغير حساب) عليهم فيما عملوا لان عملهم لم يكن بقوة نفوسهم بل بقوة ربهم شهودا ذوقا فهم ربانيون لا نفسانيون كما قال تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية (قيل) اى قال بعض الصحابة (من هم) اى السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (يارسول الله قال هم الذين لايكتوون) اى لايتداوون بالكى اذا مرضوا (ولا يرقون) اى يتداوون بالرقية (ولايتطيرون) اى يتشاءمون من شئ مطلقا (وعلى ربهم يتوكلون) قدم الجار والمجرور لافادة الحصر اى لا على غيره (فقام عكاشة) بن محصن الاسدى وكان من فضلاء الصحابة توفى فى خلافة الصديق رضى الله عنه فى زمن الردة وعمره خمس واربعون سنة (فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم) اى من هؤلاء السبعين الفا المذكورين (فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعله منهم فقام) رجل (آخر) من الصحابة (فقال) يارسول الله (ادع الله ان يجعلنى منهم فقال عليه الصلاة والسلام سبقك بها) اى بهذه الفعلة اوالحالة (عكاشة) المذكور وذلك لان قيامه كان ابتداء لله تعالى لا اقتداء ومتابعة لاحد بلا حظ نفسانى واما قيام الثانى فلعله كان لحظ نفسه حيثما رأى عكاشة سبقه الى هذا المقام فقصد مساواته بسعيه وهو مجرد سؤال النبى صلى الله عليه وسلم تلك الحالة فاقتدى بعكاشة فى ظاهره دون باطنه فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم

ان عكاشة سبقه وسبقه له كان فى الظاهر والباطن اما فى الظاهر فظاهر واما فى الباطن فلتباعده عن حظ نفسه فى طلبه ذلك وسلامة صدره من الاعتماد على الاغيار والمنافسة فى جميع الاطوار ولهذا جميع الاحوال الكمالية لاتحصل لعبد بتنافس فيها غيره ولالمن يحسد اويحقدا ويقصد بها التشهي اوالمباهات اوالامتحان بل طريقها سلامة الصدور والنية الحسنة مع الدوام على ذلك كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه ماوصلت الى الله بقيام ليل ولاصيام نهار ولادراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين بترك الكى والرقية والتطير واقواها الكى) فى اهمية تركه (ثم الرقية والطيرة آخر درجاتها) على حسب ماذكر فى لفظ الحديث (والاعتماد عليها) اى على هذه الثلاثة اوعلى احدها (والاتكال اليها) فى قصد القلب (غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب العادية (واما الدرجة المتوسطة وهي) الاسباب (المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة) اى المعلومة (عند الاطباء) اى علماء الطب (فعله ليس مناقضا للتوكل) على الله تعالى (بخلاف) القسم (الموهوم) من الاسباب فان فعله يناقض التوكل بنص الحديث السابق (وتركه) اى ترك القسم المظنون (ليس محذورا) اى ممنوعا منه حراما (بخلاف) القسم (المقطوع به) فان تركه حرام عند خوف الموت كامر (بل قد يكون) هذا القسم المظنون (افضل من فعله فى بعض الاحوال) بالنسبة الى من يخاف عليه الاعتماد على الاسباب بقلبه (وفى حق بعض الاشخاص) المعتمدين على غير الله تعالى غفلة منهم عن الله تعالى فتركه حينئذ افضل لتقوية القلوب الضعيفة فى مقام اليقين (فهو) اى هذا القسم المظنون (على درجة بين الدرجتين) درجة الفعل ودرجة الترك يدور مع المقتضى لاحدهما (انتهى) مانقله من فصول العمادى باختصار ثم هذا التطبب المذكور حيث لاينافى مقام التوكل على الله تعالى لافرق فيه بين التطبب بطبيب مسلم اوكافر اذا غلب على ظن المريض انه صادق فيما يصف له من الدواء اذرب مسلم يكذب وكافر يصدق والمعتبر غلبة ظن المريض خصوصا بعد تجربة الحذق منه وهذا من قبيل المعاملات وقول الكافر فيها مقبول عندنا قال فى شرح الدرر وقبل قول كافر ولوكان مجوسيا قال شريت اللحم من مسلم اوكتابى فحل اومن مجوسى فحرم قال فى الكنز ويقبل قول الكافر فى الحل والحرمة وقال الزيلعى هذا سهو لان الحل والحرمة من الديانات ولايقبل قول الكافر فى الديانات وانما يقبل فى المعاملات خاصة للضرورة اقول ليس الساهى صاحب الكنز لان مراده بالحل والحرمة ماتحصل فى ضمن المعاملات لامطلق الحل والحرمة كما توهم بدليل انه قال فى الكافى ويقبل قول الكافر فى الحل والحرمة حتى لوكان له اجير مجوسى فارسله ليشترى له لحما فاشترى فقال اشتريته من يهودى اونصرانى اومسلم وسعه اكله وان كان

غيرذلك لم يسعه اكله ثم قال واصله ان خبرالكافر فى المعاملات مقبول بالاجماع لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب ومساس الحاجة الى قبوله لكثرة المعاملات وكونه من اهل الشهادة فى الجملة انتهى وتمامه هناك ولاشك ان التطبب بالكفار من هذا القبيل فيجوز وعلى مقتضى جوازه لاينافى التوكل على الله تعالى ويؤيده ماذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى رحمه الله تعالى فى كتابه لطائف المنن قال ولقد بلغنى عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه انه استدعى يهوديا كحالا ليداوى بعض من عنده فقال له اليهودى لااستطيع ان اعالج فانه جاء مرسوم من القاهرة ان لايداوى احد من الاطباء الا باذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج ذلك اليهودى قال الشيخ لخدمه هيؤا آلة السفر وسافر لوقته الى القاهرة واخذ لهذا الطبيب اذنا وعاد ولم يبت بالقاهرة ليلة واحدة ثم جاء الى الاسكندرية فارسل الى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر به اولا فاخرج له الشيخ مكتوبا بالاذن فاكثر اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم انتهى ومايخالف هذا مماذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى رحمه الله تعالى فى كتابه العهود المحمدية من التنفير عن التطبب بالكفار فمحمول على من ابتلى بضعف اليقين من عوام المسلمين فيخاف عليه ان يميل الى الطبيب اليهودى او النصرانى وربما يقع عنده الشك فى عقيدته بسبب حصول الشفاء على يده ويظن انه شفى بسبب صحة دينه الباطل واما من لم يخطر له ذلك وعرف ان الاسباب كلها بيد الله تعالى وحده وانه تعالى الشافى لاغيره ولاتأثير لكل ماسواه مطلقا وان جميع ماسواه تعالى اسباب ان شاء الله تعالى خلق عندها لابها وان شاء لم يخلق وكان لافرق عنده بين الاسباب الحسنة والقبيحة فى عدم التأثير فلا شبهة فى جواز التطبب بالاطباء المسلمين والكافرين والصالحين والفاسقين ومطاوعتهم اذا غلب على الظن صدقهم فيما لايوجب ترك واجب ولافعل حرام اومكروه فان قول الكافر والفاسق غير مقبول فى الديانات كما صرح به الفقهاء فى كتبهم وان كان مقبولا فى المعاملات كماذكرنا (اقول) اى يقول صاحب متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (مراده) يعنى مراد صاحب فصول العمادى (بالتوكل) هنا حيث لايكون التطبب بالاسباب الظاهرة عند الاطباء مناقضا له (كماله) اى التوكل الكامل (اذ) اى لان (اصله) اى اصل التوكل على الله تعالى فى جميع الامور ظاهرا وباطنا (فرض) عين على كل مكلف (وهو) اى اصل التوكل الذى هو فرض (ان يعتقد) المكلف قطعا من غير شك (ان لاخالق) اى مقدر وموجد (ولامؤثر فى شئ) مطلقا (الا الله) تعالى وحده (فالشفاء) الحاصل (ليس الا منه تعالى) لذلك المرض (وانه) سبحانه وتعالى (جرت عادته) فى خلقه (على ربط المسببات بالاسباب) ربطا عاديا بحيث يصح تارة و يتخلف اخرى من غير لزوم عقلى (فالشك) اى الشك والتساهل بالاسباب

الظاهرة (على هذا الاعتقاد لاينافض هذا التوكل) المذكور (مظنونة) كانت الاسباب (اوموهومة) لانها فى اعتقاده لاتأثيرلها (ولولم يعتقد هذا) الاعتقاد المذكور (بل اعتقد ان الشفاء) حاصل (من الدواء) اى من تأثيره (فالمظنون) اى من الاسباب حينئذ (بل المتيقن) منها اى المقطوع به كما تقدم (مناقض لهذا التوكل) الذى هو اصل (ايضا) كما هو مناقض لكمال التوكل (واما كمال التوكل) اى التوكل الكامل (فالاعتماد) بالظاهر والباطن (والاتكال على الله تعالى بلا استقصاء) اى مبالغة (ولا تعمق فى ملاحظة الاسباب) اى مراعاتها وتعاطيها (فهذا) توكل (مستحب) لافرض وهو الذى (ينافضه التشبث) اى التمسك (بالسبب الموهوم) فقط دون المظنون والمقطوع به (فترك الكى والرقى) مصدر رقاه عوذه (وامثالهما) من الطب الموهوم (مستحب لا واجب) لانه ينافى كمال التوكل لااصل التوكل قال فى المواهب اللدنية بعد ذكر طرف من الاحاديث الدالة على معاطاة الدواء قال وفى مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان لاتنافى التوكل كما لاينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغيرذلك وقدسئل الحارث بن اسد المحاسبى فى كتاب المقصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذى لايلحقه لاحق ولا يسبقه فى التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول فى خبر النبى صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم فى حديث آخر فقال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب واما ماسواهم من المتوكلين فيباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبى التوكل بعضه افضل من بعض وقال فى التمهيد انما اراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقى الرقيا المكروهة فى الشريعة اواكتوى وهو تعلق رغبته فى الشفاء بوجود الكى وكذلك قوله لايسترقون الرقيا لمخالفة الشريعة ولايكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكى ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ماجاء فى الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذ امره الله تعالى واتعاب نفسه وكدها فى خدمة ربه فتوكله باق على حاله لاينقص منه الدواء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذا عمل بذلك فى نفسه وفى غيره فقد تبين ان التداوى لاينافى التوكل بل لاتتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الامر والحكمة وورد فى خبر اسرائيل ان الخليل عليه السلام قال يارب ممن الداء قال منى قال فمن الدواء قال منى قال فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه وفى قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض

والصبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته (قال) ابو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (في) كتابه (بستان العارفين واما الاخبار التي وردت) عن النبي صلى الله عليه وسلم (في النهي) عن الرقية ونحوها (فانها منسوخة) كلها (الا يرى) بالبناء للمفعول اي يرى الرائي (الى ماروى جابر) بن عبدالله رضي الله عنه (ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى) جمع رقية (وكان عند آل) اي اهل (عمرو بن حزم رقية يرقون بها عن) لسع (العقرب) لاذهاب الالم من سمه (فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فعرضوا عليه) ذلك (وقالوا) له (انك نهيت عن الرقى فقال) لهم عليه السلام (ماارى به) الآن (بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه) بشيء (فليفعل) ولايتأخر عن ذلك فان له فيه الاجر عندالله تعالى (فيحتمل ان النهي) الوارد في ذلك (عن الذي يرى العافية في الدواء) حاصلة له (من نفسه) اي من نفس الدواء (واما اذا عرف ان العافية) حاصلة (من الله) تعالى (والدواء سبب) عادي يخلق الله تعالى العافية عنده لابه ولافيه ولامنه (لا بأس به) اي بالدواء حينئذ وقال النووي في شرح مسلم ان جبريل عليه السلام رقى النبي صلى الله عليه وسلم والاحاديث مذكورة في الرقى وفي الحديث الآخر في الذين يدخلون الجنة بغير حساب لايرقون ولايسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقد يظن مخالفة الاحاديث ولامخالفة بل المدح في ترك الرقى المراد بها الرقى التي هي من كلام الكفار والرقى المجهولة والتي بغير العربية ومالايعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال ان معناها كفر اوقريب منه اومكروه واما الرقى بآيات القرآن وبالآيات المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين ان المدح في ترك الرقى للافضلية وبيان التوكل والذي فعل الرقى اواذن فيها لبيان الجواز مع ان تركها افضل وبهذا قال ابن عبدالبر وحكاه عمن حكاه والمختار الاول ونقلوا الاجماع على جواز الرقى بالقرآن واذكارالله تعالى قال المازري جميع الرقى جائزة اذا كانت بآيات الله تعالى او بذكره وينهى عنها اذا كانت باللغة العجمية او بمالا يدري معناه لجواز ان يكون فيه كفر واختلفوا في رقية اهل الكتاب فجوزها ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكرهها مالك خوفا من ان تكون مما بدلوه ومن جوزها قال الظاهر انهم لم يبدلوا الرقى فانهم لاغرض لهم في ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه واما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقى فاجاب العلماء عنه باجوبة احدها انه كان نهى اولا ثم نسخ ذلك واذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الاذن والثاني ان النهي عن الرقى المجهولة كما سبق والثالث ان النهي كان لقوم يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها كما كانت

الجاهلية تزعمه فى اشياء كثيرة قال القاضى وجاء فى حديث فى غير مسلم سئل عليه السلام عن النشرة فاضنا فهما الى الشيطان قال والنشرة معروفه مشهورة عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اى تخلى عنه وقال الحسن هى من السحر قال القاضى وهذا محمول على انها اشياء خارجة عن كتاب الله تعالى وأذكاره وعن المداواة المعروفة التى هى من جنس المباح وقد اختار بعض المتقدمين هذا فكره حل المعقود عن امرأته وقد حكى البخارى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب انه سئل عن رجل به طب اى ضرب من الجنون او يؤخذ عن امرأته ايحلى عنه او ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الصلاح فلم ينه عما ينفع وممن اجاز النشرة الطبرى وهو الصحيح قال كثيرون اوالاكثرون يجوز الاسترقاء للصحيح لما يخاف ان يغشاه من المكروهات والهوام ودليله احاديث منها حديث عائشة رضى الله عنها فى صحيح البخارى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه نفل فى كفيه ويقرأ * قل هو الله احد * والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده (وقد جاءت الآثار) والاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى الاباحة) من غير كراهة (الا يرى ان النبى صلى الله عليه وسلم (لما جرح) بالبناء للمفعول اى جرحه المشركون (يوم احد) بضمتين اسم جبل بالمدينة (داوى جرحه بعظم قد بلى) اى انحت وتفتت فذره على جرحه كالرماد يذر على الجراحة لينقطع دمها (وروى ان رجلا من الانصار رمى) بالبناء للمفعول (فى اكحله) وهو عرق فى اليد اوهو عرق الحياة ولاتقل عرق الاكحل كذا فى القاموس (بمشقص) كمنبر نصل عريض اوسهم فيه ذلك والنصل الطويل اوسهم فيه ذلك يرمى به للوحش كما فى القاموس (فامر به) اى بذلك الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكوى) بالنار على موضع الجراحة (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) نفسه اوغيره (بالمعوذتين) وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كما فى حديث عائشة رضى الله عنها وفى حديثها ايضا عند مسلم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسح بيمينه ثم قال اذهب الباس رب الناس لاشافى الاانت اشف شفاء لايغادر سقما وقال النووى فى شرح مسلم فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاءله وقد جاء دعوات كثيرة صحيحة جمعتها فى كتاب الاذكار وهذا المذكور هنا هو احسنها ومعنى لايغادر سقما اى لايترك والسقم بضم السين واسكان القاف وبفتحها لغتان وفى حديث عائشة رضى الله عنها ايضا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باصبعه هكذا ووضع سبابته فى الارض ثم رفعها باسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا قال جمهور العلماء المراد بارضنا هنا جملة الارض وقيل ارض المدينة خاصة لبركتها والريقة اقل من الريق ومعنى الحديث انه يأخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة

ثم يضعها على التراب يتعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح او العليل ويقول هذا الكلام فى حال المسح واختلف قول مالك فى رقية اليهودى والنصرانى المسلم و بالجواز قال الشافعى (والآثار فيه) اى فى تداوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورقيته (اكثر من ان تحصى) وهى مفصلة فى كتب متون الحديث وشروحها (انتهى) ما نقله عن كتاب بستان العارفين (ثم ان عد الكى من) القسم (الموهوم) كامر (ليس بكلى) اى بامر مطلق (بل قد يكون) الكى (من) القسم (المظنون بل من) القسم (المتيقن) به بحسب غلبة نفعه او تحققه (فلذا امر) فى الشرع كما هو مذكور فى كتب الفقه (بالحسم) مصدر حسمه يحسمه فانحسم قطعه بالدواء كذا فى القاموس (فى قطع) يد (السارق) وذلك ان توضع يده بعد قطعها فى زيت مغلى على النار حتى ينقطع سيلان الدم منه (لئلا يفضى) اى يوصل القطع (الى الهلاك) بسيلان الدم (وعد التطير من) القسم (الموهوم) ايضا (يوهم الجواز) اى جواز التطير (كغيره) وهما الكى والرقية كامر (بل هو) اى التطير (حرام و) قد (اختلف) بالبناء للمفعول اى اختلف العلماء (فى كونه كفرا) حيث كان فيه نسبة التأثير الى غير الله تعالى (ذكره) الامام (قاضيخان) فى فتاواه (وغيره) ايضا قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر صاحت الطير فقال رجل يموت المريض او خرج الى السفر فرجع الى صياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا فى البزازية والاصح انه لا يكفر كما فى عمدة المفتى وفى الخانية وجه القول بعدم الكفر انه انما قال ذلك على وجه التفاؤل قال ابن الشحنة وعلى هذا ينبغى ان يجرى سائر احكام الفصل بمقتضى الطيرة ويكون الخلاف واقعا فى كفره وكذا فى كل ما يقوله الانسان عند وقوع امر من الامور التى تقول الجهلة عندها يكون كذا من الامر كما ذكره فى مسئلة صياح الهامة وقال النووى فى شرح التطير التشاؤم واصله الشئ المكروه من قول او فعل وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء و الطيور فان اخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى سفرهم و حوائجهم فيبشرون وان اخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم و حاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم فى كثير من الاوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس له تأثير بنفع ولا يضر فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا طيرة و فى حديث آخر الطيرة شرك اى اعتقاد انها تنفع او تضر اذا عملوا اعتقاداها معتقدين تأثيرها فهو شرك لانهم جعلوا لها اثرا فى الفعل والايجاد (فظهر) من جملة ما تقدم من الكلام (ان علم الطب ليس بفرض بل هو مستحب عندنا) كما قال صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى كامر والحديث فى مسلم وقال النووى فى شرحه وفى هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا و جمهور السلف

وعامة الخلف قال القاضى فى هذه الاحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب فى الجملة واستحبابه بالامور المذكورة فى هذه الاحاديث التى ذكرها مسلم قال وفيها رد على من انكر التداوى من غلاة الصوفية وقال كل شئ بقضاء وقدر فلاحاجة الى التداوى وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوى هو ايضا من قدر الله تعالى وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الالقاء باليد الى التهلكة مع ان الاجل لايتغير * والمقادير لاتتأخر ولاتتقدم عن اوقاتها ولابد من وقوع المقدورات (وقال) الامام ابوحامد (الغزالى) رحمه الله تعالى (فى) كتابه (الاحياء) اى احياء علوم الدين (انه) اى علم الطب (فرض كفاية) حتى لاتخلو البلدة ممن يعلم ذلك فربما يحتاج اليه فى معرفة الامزجة لتوقى المضار وجلب المنافع مما لاتفى به التجربة خصوصا فى بعض العقاقير التى لايعلم الناس نفعها ولاضررها (فاذا فرغ السالك) بالعبادة فى طريق الله تعالى (عن) تعلم (فرض العين) الذى هو علم الحال كما سبق بيانه (ووجد) هناك (من يقوم) عنه (بفرض الكفاية) مما يتعلق بحال غيره على حسب مامر تفصيله (اولم يوجد) هناك من يقوم بذلك (فحصله) هو (ايضا) كما حصل فرض العين (فله الخيار) بعد ذلك من غير حرج عليه لان الحرج مرفوع بالنص كما قال تعالى *وماجعل عليكم فى الدين من حرج (ان شاء) اى ذلك السالك المذكور (اقبل على العبادة) فاشتغل بها وانقطع اليها معرضا عماعدا ذلك ومنهمكا فى نفع نفسه بطاعة ربه (وان شاء اقبل على) الاشتغال بتحصيل (العلم المندوب اليه) المتقدم بيانه ليكمل فى رتبة العلم ويتضلع من انواع الكمال (فهذا) اى المقبل على العلم المندوب اليه زيادة على ماعنده من العلم المفروض عليه عينا وكفاية (افضل) عندالله تعالى (من الاول) اى المقبل على العبادة بعد تعلمه مافرض عليه عينا وكفاية لان عبادة الله تعالى بنوافل العلم افضل من عبادته بنوافل العمل كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير عن ابى هريرة وفى رواية العلم خير من العمل وفى رواية العلم افضل من العمل وقال المناوى فى شرحه لان العلم مصحح لغيره مع كونه متعديا فالعبادة مفتقرة له ولاعكس ولان العلماء ورثة الانبياء ولايوصف المتعبد بذلك ولان العلم تبقى ثمرته بعد صاحبه والعبادة تنقطع بموته ومن ثمه اتفقوا كما فى المجموع على ان الاشتغال بالعلم افضل منه بنحو صلاة وصوم وقال ايضا لان فى بقاء العلم احياء الشريعة وحفظ معالم الملة ولان العابد تابع للعالم مقتدبه مقلدله واجب عليه طاعته وفى العتابى اذاخلا الزمان من سلطان ذى كفاية فالامور موكلة الى العلماء ويلزم الامة الرجوع اليهم ويصيرون ولاة فاذا عسر جمعهم على واحد استقل كل قطر باتباع علمائه فان كثروا فالمتبع اعلمهم فان استووا اقرع بينهم وقال السمهودى وهذا من حيث انعقاد الولاية

الخاصة فلا ينافي وجوب طاعة العلماء مطلقا فاندفع ما للسبكي هنا وكان الامام مالك
يمتنع من الولايات فيحبس ويعذر ومع ذلك يمتثل امره انتهى كلامه وهذا الذي
ذكر من ان العالم افضل من العابد والعلم افضل من العبادة محله فيما اذا علم العبد العلم
المفروض عليه فرضا عينيا والمفروض فرض كفاية كما تقدم وفيما اذا عمل بالعلم المفروض
عليه واما اذا ترك العمل ولو ببعض ما فرض عليه فليس مجرد علمه افضل من العمل
المفروض وانما هذه الفضيلة بين الثقلين من العلم والعمل والفرضين منهما لمن اتى بهما
ولهذا قال عليه السلام فيما اخرجه الاسيوطي عن عبادة العلم خير من العمل وملاك
الدين الورع والعالم من يعمل وفي حديث جابر قال عليه السلام العلم علمان فعلم في القلب
فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم (الآيات) اى هذه الايات
التي تدل على شرف العلم وعلى فضيلته وذلك احد عشر آية من سور مختلفة * الآية الاولى
من سورة البقرة وهي قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم ضروري بها
فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم
غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة
او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك تأتى بنوه اخيافا
ومن الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعد الادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم
وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها قاله البيضاوي وقال الواحدي ووجه تعليمه آدم
ان خلق في قلبه علما بالاسماء على سبيل الابتداء والهمه العلم بها قال ابن عباس علمه اسم
كل شيء حتى القصعة والمغرفة وقيل ان الله علم آدم جميع اللغات ثم ان اولاده تكلم كل واحد
منهم بلغة اخرى فلما تفرقوا في البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات كلها
انما سمعت من آدم واخذت عنه وقال البغوي سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل
لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد وابو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه اسماء الاشياء وذلك
ان الملائكة قالوا لما قال الله * اني جاعل في الارض خليفة * ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق
خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله تعالى
فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب
اليه اهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل
اسم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن انس اسماء الملائكة وقيل اسماء
ذريته وقيل صنعة كل شيء وقال الخازن وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد
وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى

على آخرها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ لتقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى * واشتعل الرأس شيبا * لان الغرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء ولاسيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء قاله البيضاوى وقال البغوى وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد ثم عرض تلك الاشخاص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم وقال الواحدى معنى العرض فى اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على البيع اذا اظهرته للمشترى قال الله تعالى * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * اى ابرزناها حتى رأوها وقيل ان الله تعالى خلق كل شئ الحيوان والجماد ثم علم آدم اسماءه ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ولذلك قال ثم عرضهم لانه كنى عن المسلمين والمسلمات وكان فيهم من يعقل من الجن والانس والملائكة (فقال انبؤنى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) الاشخاص وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون انهم اعلم من الخليفة الذى يجعله الله فى الارض قاله الواحدى وقال البيضاوى تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال (ان كنتم صادقين) انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم وافضل منه قاله الواحدى وقال البيضاوى فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرح جوابه لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا) يعنى الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) اى تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك قاله الواحدى وقال البيضاوى اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعل كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله * سبحان من علقمة الفاخر * وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال

موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من الظالمين وقال الواحدى لاعلم لنا قال المفسرون هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم مالم يعلموه وكأنهم قالوا لاعلم لنا الاما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام مختصرا (انك انت العليم) اى العالم (الحكيم) اى الحاكم تحكم بالعدل وتقضى به والحكم القضاء بالعدل ويجوز ان يكون بمعنى المحكم للاشياء كالاليم بمعنى المؤلم والسميع بمعنى المسمع وقال البغوى انت العالم بخلقك الحكيم فى امرك وقال البيضاوى العليم الذى لايخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الاما فيه حكمة بالغة (قال يا آدم انبئهم) اى أعلمهم (باسمائهم) لماظهر عجز الملائكة عن علم اسماء الموجودات قال الله تعالى * يا آدم انبئهم باسمائهم * فسم كل شئ باسمه والحق كل شئ بجنسه (فلما انبأهم باسمائهم) اى اخبرهم بأسمائهم (قال المأقل لكم) الم حرف نفى وصل بالاستفهام فصار بمعنى الايجاب والتقرير كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * انتم كذلك (انى اعلم غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما عنكم وهذا كقوله * ولله غيب السموات والارض * اى ماغاب فيهما ملكا وخلقا (واعلم ماتبدون) اى من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها (وما كنتم تكتمون) من اضمار ابليس الكفر وقيل ماكنتم تكتمون من قولهم لن يخلق الله خلقا افضل ولااعلم مناقاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لاروح فيه فقال لامر ما خلق هذا ثم دخل فى فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لايتماسك لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه ارأيتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط على لاعصينه قال الله تعالى * واعلم ماتبدون * يعنى الملائكة من الطاعة * وما كنتم تكتمون * يعنى ابليس من المعصية وقال البيضاوى استحضار لقوله اعلم مالا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله * انك انت العليم الحكيم * وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة وانه تعالى يعلم الاشياء

قبل حدوثها * الآية الثانية من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (يؤتى) اى الله تعالى (الحكمة من يشاء) من عباده وهو تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يعنى القرآن والفهم فيه وقيل الورع وقال البغوى قال السدى هى النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لايسع للمؤمن تركهن حتى يعلمهن وقال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وروى ابن نجيح عنه الاصابة فى القول والفعل وقال ابراهيم النخعى معرفة معانى الاشياء وفهمها وقال الخازن حاصل هذه الاقوال يرجع الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها (ومن يؤت) اى يؤتيه الله بمحض فضله (الحكمة) المذكورة (فقد اوتى خيرا كثيرا) تنكيره للتعظيم وفى حقائق القرآن لابى عبد الرحمن السلمى قال بعضهم الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة اشارة لاعلة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجديد السرلورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتنبئة قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقال القاسم الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا يحكم عليك شهوتك وقيل يؤتى الحكمة من يشاء الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اعطى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة الخشية * الآية الثالثة من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (ومايعلم تأويله) اى الذى يجب ان يحمل عليه (الا الله والراسخون فى العلم) اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين اوحال منه (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم من عنده قاله البيضاوى وقال الواحدى ومايعلم تأويله الا الله يريد مايعلم انقضاء ملك امة محمد صلى الله عليه وسلم الا الله لان انقضاء ملك هذه الامة مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ثم ابتدأ فقال والراسخون فى العلوم اى الثابتون فيه والرسوخ الثبوت فى الشئ وعند اكثر المفسرين المراد بالراسخين علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام قال ابن عباس بقولهم آمنا به سماهم الله راسخين فى العلم فرسوخهم فى العلم قولهم آمنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ وما علمناه

ومالم نعلمه قال ابن عباس نزل القرآن على اربعة اوجه فوجه حلال وحرام لايسع احدا جهالتهما ووجه عربى يعرفه العرب ووجه تأويل يعلمه العلماء ووجه تأويل لايعلمه الاالله فمن انتحل فيه علما فقد كذب معنى انتحل اى ادعى باطلا وقال البغوى اختلف العلماء فى نظم هذه الآية فقال قوم الواوفى قوله والراسخون واو العطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنابه وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا ومعناه والراسخون فى العلم قائلين آمنابه وروى عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه الآية انامن الراسخين فى العلم وعن مجاهد انا ممن يعلم تأويله وذهب الاكثرون الى ان الواوفى قوله والراسخون واوالاستئناف وتم الكلام عند قوله ومايعلم تأويله الاالله وهوقول ابى بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير ورواية طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائى والفراء والاخفش وقالوا لايعلم تأويل المتشابه الاالله ويجوزان يكون للقرآن تأويل استأثرالله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو هذا والخلق متعبدون فى المتشابه بالايمان به وفى المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله ان تأويله الاعندالله والراسخون فى العلم يقولون آمنابه وفى قراءة ابى ويقول الراسخون فى العلم آمنابه قال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا كل من عند ربنا وهذا القول اقيس فى العربية واشبه بظاهر الآية والراسخون فى العلم الداخلون فيه وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لايدخل فى معرفتهم شك واصله من رسوخ الشئ فى الشئ وهو ثبوته يقال رسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وسئل مالك بن انس عن الراسخين فى العلم قال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه (ومايذكر) يتعظ بما فى القرآن (الااولوا الالباب) ذوا العقول قال الخازن وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنابه كل من عند ربنا وقال البيضاوى مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس * الآية الرابعة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (شهد الله انه لااله الاهو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها قاله البيضاوى وقال البغوى قيل نزلت هذه الآية فى نصارى نجران فقال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شئ فان اخبرتنا به

آمنا بك وصدقناك فقال سلاقال اخبرناعن اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى * فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان شهدالله اى بين الله لان الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل اعلم الله انه لااله الاهو قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولاارض ولابر ولابحر (والملائكة) اى وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار (واولوا العلم) يعنى الانبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقال السدى والكلبى يعنى علماء المؤمنين (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله ذكره البيضاوى وقال البغوى اى قائم بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بامر فلان اى مدبرله ومتعهد لاسبابه قائم بحق فلان اى مجازله فالله جل ذكره مدبر رازق مجاز بالاعمال * الآية الخامسة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (ولكن كونوا ربانيين) جمع ربانى وهو المنسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل قاله البيضاوى وقال الواحدى اى معلمين وقيل فقهاء علماء حكماء فالربانى المنسوب الى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب اى بعلم الشريعة وصفات الرب وقال المبرد الربانيون ارباب العلم وقيل الربانى الذى يربى العلم ويربى الناس اى يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الربانى من الرب الذى هو بمعنى التربية وقال البغوى واختلفوا فى الربانى قال على وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء علماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء علماء حكماء نصحاء لله فى خلقه قال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى العارف بانباء الامة ماكان ومايكون وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان فى الاصل ربى فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعانى وبهرانى وقال المبرد هم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح شئ واتمامه فقدربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه ياء النسبة وحكى عن على انه قال هو الذى يربى علمه بعلمه قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة وقال ابو عبدالرحمن السلمى قال الواسطى كونوا ربانيين تملكون الاشياء ولاتملككم شئ وقال جعفر كونوا مستمعين بسمع القلوب وناظرين باعين الغيوب

وقال ابن عطاء اخرجهم بهذا الخطاب عما خاطبهم به من العبودية وقيل فى قوله كونوا ربانيين جذبهم بهذا من الافتخار بالطين الى الافتخار بالحق وقال الجنيد اخرجهم من الكون جملة وجذبهم الى الحق اشارة وقال الشبلى الربانى الذى لا يأخذ العلوم الامن الرب ولا يرجع فى بيانه الا الى الرب عزوجل وقال الجريرى كونوا ربانيين اى سامعين من الله تعالى ناطقين بالله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب و بسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قاله البيضاوى وقال البغوى بما كنتم اى بما انتم كقوله تعالى من كان فى المهد صبيا اى من هو فى المهد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون بالتخفيف من العلم و بما كنتم تدرسون اى تقرؤن وقال الواحدى اى بكونكم عالمين بالكتاب وبكونكم دارسين له وقيل كونوا معلمين الناس بعلمكم ودرسكم علموا الناس و بينوا لهم ومن قرأ تعلمون بالتشديد من التعليم فالمعنى بكونكم معلمين اى علموا الناس الكتاب و بينوا لهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومافيه الحق والصواب حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين وقال الخازن اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين و بسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة يوجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا بهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه *الآية السادسة من سورة طه وهى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال اى استعجاله صلى الله عليه وسلم فى تلقى الوحى من جبريل فان ما اوحى اليك تناله لا محالة قاله البيضاوى وقال الخازن علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك فى كل شئ علما و حكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى ايمانا ويقينا وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام زدنى علما حفظا وقيل قرآنا وقيل ادبا لان علم الشرع لا يحتاج الى الالتماس او بقصص الانبياء ومنازل الاولياء اوبحال امتى بعدى اوصبرا على الطاعة والجهاد لانه يسهل بزيادة العلم وحقيقته العلم بالله لانه لا يتناهى وقال صلى الله عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما بالله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال ابوعبدالرحمن السلمى وقل رب زدنى علما قال بعضهم اجعلنى عالما بك جاهلا بما سواك وهو زيادة العلم وقال محمد بن الفضل زدنى علما بنفسى وما تضمره من الشر والمكروه والغدر لاقوم بمعونتك فى مداواة كل شئ منها بدوائها *الآية السابعة من سورة العنكبوت وهى قوله تعالى (وتلك الامثال) اى الاشباه يعنى امثال القرآن التى شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة قاله الخازن (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (ومايعقلها الاالعالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى وعنه عليه السلام انه تلى هذه الآية

فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام العالمون الموحدون وقال ابوعبدالرحمن السلمى قال سهل اى ولايثبتها الاالعالمون به وباسمائه وصفاته لانهم علماء النسبة والباقون علما المنهج والعالم على الحقيقة من يحجزه علمه عن كل مالاينجه العلم الظاهر *الآية الثامنة من سورة الروم وهى قوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك) اى فى اختلاف السنتكم والوانكم كما ذكر فى الآية قبله (لايات للعالمين) لايكاد يخفى على عاقل من ملك اوانس اوجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله ومايعقلها الاالعالمون قاله البيضاوى *الآية التاسعة من سورة فاطر وهى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذشرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهو اخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى اخشاكم لله واتقاكم له وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولواخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا قاله البيضاوى وقال الخازن قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظمه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عائشة رضى الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال اقوام يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه اى تباعد عنه وكرهه قوم وعن انس رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لوتعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين والخنين بالخاء المعجمة هوالبكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عزوجل وقال مقاتل اشدالناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وفى حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوى فى سورة البقرة قال وظاهر قوله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يدل على انه ليس للجنة اهل الا العلماء لان كلمة انما للحصر فهذه الآية تدل على ان خشية الله تعالى لاتحصل الا للعلماء والآية الثانية وهى قوله تعالى * ذلك لمن خشى * ربه دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية ينافى كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على انه ليس للجنة اهل الا العلماء واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذى هو سبب القرب من الله تعالى هوالذى يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وعظمت اذا خلت عن افادة

الخشية كانت من العلم المذموم وفى حاشية الشيخ جمال الدين خليفة على البيضاوى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموا انه كم اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولا يبالى وما يقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولا تدل على ان كل عالم فيه خشية فمدفوع بان مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفى الكشاف فى سورة النازعات لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الادلاج السير اول الليل وفى حاشية خليفة ايضا عند قوله تعالى * وهم من خشيته مشفقون * خص بذلك العلماء قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يعنى لكون الخشية مشتملة على معنى التعظيم خص بها العلماء وقصرها فيهم بانما لان التعظيم يصدر بعد معرفة قدر الشئ وعظمه فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام فى تفسيره العالم بالله يسلك حاله فمن اقتفاه فى حاله زل والعالم بامر الله يقلد فى قاله فمن احتذاه فى فعاله زل والجامع لهما عز شاله فمن انتشاه فى كماله جل * الآية العاشرة من سورة الزمر وهى قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل قاله البيضاوى وقال الخازن يعلمون اى ما وعدالله من الثواب والعقاب وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام الذين يعلمون انهم ملاقوا ربهم اويعلمون فيعلمون يعنى غيرهم او يعلمون مالهم فى الطاعة وعليهم فى المعصية وعكسها مفهوم نزلت فى عمار وابى حذيفة بن المغيرة * الآية الحادية عشر من سورة المجادلة وهى قوله تعالى (يرفع الله الذين امنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين يرفع الله الذين آمنوا بعلمهم وايمانهم اى اقدارهم فى الآخرة اوفى الدنيا اى تفاوت المنازل على مقدار تفاوت الدرجات (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات على من سواهم فى الجنة وقيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس قال الحسن قرأ ابن مسعود وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم فى العلم فان الله يقول

يرفع المؤمن العالم فوق الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وافعاله كلها وعن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس بمثله اخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده مجلس يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ويرغبون اليه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل انما بعثت معلما ثم جلس فيهم (الاخبار) اى هذه الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى فضيلة العلم وهى ثلاثة عشر حديثا *الحديث الاول (دت) يعنى روى ابو داود والترمذى باسنادهما (عن كثير بن قيس) رضى الله عنه (انه قدم رجل من المدينة) المنورة (على ابى الدرداء) رضى الله عنه (وهو) يومئذ (بدمشق) الشام (فقال) له ابو الدرداء (ما اقدمك) يعنى اى شئ كان سبب قدومك (يا اخى قال) اقدمنى (حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له ابو الدرداء (اما جئت لحاجة) غير هذا (قال لا قال اما قدمت) من بلدك (لتجارة قال لا قال) يعنى الرجل (ما جئت الا فى طلب هذا الحديث) اى فى سماعه منك (قال) ابو الدرداء (فانى قد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سلك طريقا) سواء كان مسافرا اودون مدة السفر ولو فى مصر او قرية ولو خطوة او خطوتين (يبتغى) اى يطلب ويقصد (فيه) اى فى سلوكه ذلك (علما) نافعا كعلم معرفة الله تعالى على مذهب اهل الحق من العارفين والعلماء اهل الورع والدين وعلم الكتاب والسنة وعلم الشرايع والاحكام والعلوم الموصلة الى فهم الكتاب والسنة بنية فهم ذلك بها لا العلم المضر كعلم الكلام للمجادلة وعلم الشريع للمباهات ونحوها والعلوم الموصلة للمقصود لابنية الوصول كعلوم العربية لذاتها فان الاشتغال بها لذاتها قاطع عن الاهم وموجب للغرور ودعوى العلم مع الجهل بالمقصود (سلك الله) تعالى (به) اى بذلك العبد (طريقا) موصلا (الى الجنة) وهو ذلك الطريق الذى سلكه فانه يصل بسبب سلوكه فيه الى دخول الجنة فى يوم القيامة لكثرة ما يحصل له من الثواب الجزيل والاجر الجليل (وان الملائكة) يعنى الحفظة الموكلين بالعبد او اعم منهم (لتضع) اى ترسل عن الطيران (اجنحتها) كما قال تعالى *جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع* وذلك كناية عن عدم فرارها منه او تواضعها له اوسيره بالهامها او بسط اجنحتها ليمسها باقدامه تبركا به وفيه اشارة الى فرار الشياطين عنه اذ لا يجتمع الشيطان والملك فى الاستيلاء والحضور وقال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه ان معنى بسط اجنحة الملائكة التلطف وارادة الخير ودفع السوء وفى حديث

زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما ونحن عنده طوبى للشام ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليه رواه الامام احمد والترمذى وصححه هو وابن حبان والحاكم (رضاء) اى لاجل رضائها (لصاحب العلم) النافع كما ذكرنا (وان العالم) بالعلم النافع (ليستغفر) اى يطلب من الله تعالى المغفرة (له) جميع (من فى السموات والارض) من الملائكة وغيرهم من الحيوان والنبات والجماد (حتى الحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى الماء) وفى رواية يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر قال الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يؤذى ولا يقتل الالاكله ولا يذبح مالا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا بظلمه ولا يجلس فى حر ولا برد لا يطيقه وان قرار نينان البحر فى الماء اذا لم تكن اليهما حاجة واجب وانه لا يجوز التلهى باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها من غير قصد اكلها و ذا صيدت بلاكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز فتحها بعصا او حجر الى غير ذلك ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وفضل العالم) بالعلم النافع مع العمل به (على العابد) اى لعامل من غير علم بمجرد توفيق الله تعالى له الى صحيح العمل بلا علم كما قدمناه اذ لو بطل عمله لم يكن عابدا فلا فضيلة له اصلا (كفضل القمر) المشرق فى نوره فى ظلمة الليل (على سائر) اى بقية (الكواكب) اى النجوم التى فى السماء فانها لها نور ولكنه لا يظهر مع ظهور نور القمر فكذلك للعابد الموفق للعبادة نور عمل صالح ولكنه لا يظهر مع ظهور نور العالم العامل بعلمه فانه عابد وزيادة (ان العلماء) بالعلم النافع العاملين بعلمهم لانهم الموفقون للاعمال الصالحة دون المخذولين الذين علمهم حجة عليهم (ورثة) جمع وارث لحظهم من العلم على قدر قربهم بالمتابعة (الانبياء) فانهم عليهم السلام كانوا عالمين للعلوم النافعة الشرعية عاملين بهما فى الفرائض والنوافل فكذلك اتباعهم قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتى وورثة الانبياء وماسماهم ورثة لانبياء الالمدانانهم لهم فى الشرف ولمنزلة لانهم القوام بمابعثوا من اجله كذا فى الكشاف ومعجزات الانبياء عليهم السلام ضربان احدهما الوحى بواسطة الملك والثانى خرق العوائد كانقلاب العصا حية وفلق البحر واحياء الموتى ونبع الماء من بين الاصابع وافضل الناس من ورث منهم الامرين جميعا فورثوا فى مقابلة الوحى الالهام والعلوم وتبيين ما اتت به الانبياء عليهم السلام من الكتب بما جعل فى قلوبهم من النور وورثوا فى مقابلة الخوارق والآيات الكرامات وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم قال بعضهم ومن ولى هذا المنصب فارتقى من مقام الولاية الى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له لعلمهم بقبيح افعالهم وقصورهم عن معارج رتب الكمال وانكارهم لما وافق الهوى من اعمالهم

انتهى ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة فى حق الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى والشيخ شرف الدين بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين ونحوهم بما لايعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن اسرار عالم الامر الذى هو كلمح البصر وخاضوا فى فهم كلماتهم بما هم بريئون منه وافتروا عليهم فى نسبة المعانى الفاسدة التى تخالف الشريعة اليهم وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين ولم يقدروا من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم ان يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار فوسوسوا فى صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم وافسدوا عليهم اعتقادهم فى اولياء الله تعالى وحرموهم التماس بركاتهم واوقعوهم فى الانكار عليهم وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ان الانبياء) عليهم السلام (لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم) النافع وحده (فمن اخذ به) اى تعلمه (فقد اخذ بحظ) اى نصيب (وافر) اى زائد من الكمال والمدد الالهى قال المناوى فى شرح الجامع الصغير يعنى ان جميع الانبياء عليهم السلام لم يورثوا شيئا من الدنيا لعدم صرفهم هممهم الى اكتسابها واعراضهم عن الجمع والادخار واشتغالهم بما يوصل الى دار القرار لكن لا ينتقل الشئ الى الوارث الا بالصفة التى كان عليها عند المورث قال الغزالى لا يكون العالم وارثا لنبيه الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهى الفارقة بين الوارث والمورث اذ المورث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه * الحديث الثانى (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل العبادة) التى يعبد الله تعالى بها (الفقه) اى الفهم فى دين الله تعالى وهو معرفة النفس مالها وما عليها اعتقادا وعملا وغلب فى عرف المتأخرين على معرفة الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية (وافضل الدين) اى الشرع المحمدى (الورع) وهو ترك الشبهات ما يحتمل ان يكون حراما او مكروها ومما ينفر منه قلب المؤمن زيادة على ترك المحرمات والمكروهات * الحديث الثالث (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قليل العلم) النافع مع العمل به والاخلاص فيه (خير من كثير العبادة) الموفق صاحبها الها على وجه الصحة من دون علم فان العالم العامل صاحب فضيلتين والعامل الموفق صاحب فضيلة واحدة فهو دون الاول * الحديث الرابع (طط) يعنى روى الطبرانى ايضا فى الاوسط باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه) اى حضر (اجله) اى وقت موته (وهو يطلب العلم) النافع بقصد العمل به (لقى الله) تعالى فى يوم القيامة كما ورد فى خبر آخر ان الله تعالى

يفيض له فى قبره من يعلمه (ولم يكن بينه و بين النبيين الا درجة النبوة) فان النبوة وهبية لا كسبية وقد انسد بابها ومابقى الا الولاية وهى تحصيل العلم النافع والعمل به ثم حصول علوم الالهام ببركة الاخلاص فى العمل كما قال الله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * فاذا مات طالب ذلك قبل تحصيل مقصوده لا يحشره الله تعالى يوم القيامة الا من اعلم العلماء الحديث الخامس (طك) يعنى روى الطبرانى فى الكبير باسناده (عن ثعلبة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله) تعالى للعلماء العاملين المخلصين (يوم القيامة اذا قعد) سبحانه وتعالى اى انكشف للخلق متجليا (على كرسيه) الذى وسع السموات والارض من غير كيفية ولا استقرار لانه تعالى ليس بجسم ولا عرض (لفصل عباده) اى قطع الخصومات بين بعضهم بعضا لظهور فضله تعالى عليهم وعدله فيهم (انى لم اجعل علمى) اى علمكم بى وباحكامى وحكمى (وحلمى) اى تخلقكم باخلاقى كما ورد تخلقوا باخلاق الله وفى حديث الجامع الصغير ان لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من اتاه بخلق منها دخل الجنة (فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم جميع ذنوبكم) فلا اؤاخذكم بذنب منها (ولا ابالى) بذلك اى لا اهتم به لسهولته على * الحديث السادس (صف) يعنى روى الاصفهانى باسناده (عن ابى امامة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء) بالبناء للمفعول والمراد يوم القيامة (بالعالم) العامل المخلص فى عمله (والعابد) الموفق للعمل الصالح مع الاخلاص بلا علم (فيقال للعابد) المذكور (ادخل الجنة) لان نفعه قاصر عليه فادخله الجنة (و يقال للعالم) المذكور (قف حتى تشفع للناس) لان نفعه متعد الى غيره فهو ينفع نفسه وغيره فى الدنيا فينفع نفسه وغيره كذلك فى الآخرة * الحديث السابع (صف) يعنى روى الاصفهانى ايضا باسناده (عن عبدالله بن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم) المذكور (على العابد) المذكور (سبعون درجة مابين كل درجتين حضر) بضم الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة (الفرس) وهو ارتفاعها فى العدو كالاحضار والفرس محضير لا محضاز اولغة كذا فى القاموس (سبعين عاما) ولعل السبعين فى الموضعين للتكثير لا للعدد كما فى قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (وذلك) اى بسبب فضيلة العالم على العابد (لان الشيطان يبتدع لبدعة للناس) اضلالا لهم بها بان يوقعها فى قلب احد من الغافلين ويزين له عملها و يغطى عليه قبحها (فيبصرها العالم) بنور علمه النافع وعمله الصالح (فينهى عنها) فينفع بذلك نفسه وغيره (والعابد) الموفق بلا علم (مقبل على عبادة ربه) مشتغل بها (لا يتوجه اليها) اى الى تلك البدعة فلا يعرفها لينهى عنها وان عرفها بنور عمله الصالح فانتهى عنها هو فى نفسه فانه لا يتفرغ لينهى عنها غيره فنفعه قاصر عليه لا يتعداه الى غيره * الحديث الثامن (قطن حق)

يعني روى الدار قطني والبيهقي باسناد هما (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عبد) بالبناء للمفعول اى ماعبد (الله) تعالى احد (بشئ) من انواع العبادات فى ظاهره و باطنه (افضل من فقه) اى فهم (فى دين الله) تعالى مع العمل بذلك والاخلاص فيه (ولفقيه) اى والله لفقيه والفقيه هو العالم باحكام الله تعالى عليه وعلى غيره فى الظاهر والباطن العامل بعلمه المخلص فيه (واحد) فكيف باثنين فاكثر (اشد) اى اكثر امتناعا وتباعدا (على الشيطان) الذي يريد اغواءه واضلاله (من) امتناع وتباعد (الف عابد) موفق للعمل الصالح بلافقه ولافهم لان مع الفقيه نور العلم زيادة على نور العمل الصالح فله نوران فهو اكثر امتناعا واحتماء من ظلمة الشيطان ممن لهم نور واحد وهم العابدون المنورون بالعمل الصالح (ولكل شئ عماد) اى عمود يرتفع بنيانه به ويعتمد عليه (وعماد الدين) اى الشرع المحمدي (الفقه) اى الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله اعتقادا وعملا (وقال ابو هريرة رضي الله عنه والله لان اجلس ساعة) وهي جزء من اجزاء الجديدين والوقت الحاضر والجمع ساعات وسواع كذا فى القاموس (فافقه) اى اصير فقيها فاهما فى دين الله تعالى (احب الى من ان احيي ليلة القدر) اى اقطعها بالتهجد والعبادة مع ان ليلة القدر خير من الف شهر (وفى رواية) اخرى احيي (ليلة) من الليالى (الى) وقت طلوع (الصباح) لان فقه الساعة نور ينتفع به صاحبه بالعمل والاخلاص وغير صاحبه ايضا بالارشاد والدلالة واحياء الليلة نور ينتفع به صاحبه فقط والامر المتعدي افضل من القاصر * الحديث التاسع (ت) يعني روى الترمذي باسناده (عن ابي امامة رضي الله عنه انه ذكر) بالبناء للمفعول والذاكر بعض الناس (لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان) من اصحابه (احدهما عابد) اى موفق للعمل الصالح بلا علم (و) الرجل (الآخر عالم) اى موفق للعمل الصالح مع العلم النافع (فقال) عليه الصلاة والسلام (فضل) اي فضيلة (العالم) العامل بالاخلاص (على العابد) الموفق بلا علم اى للعمل بالاخلاص (كفضلي) اى فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم (على ادناكم) اذ العمل الصالح بجمعهما ويمتاز النبي صلى الله عليه وسلم بزيادة العلم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (وملائكته) عليهم السلام (واهل السموات) من الملائكة المجردين للعبادة (و) اهل (الارض) من جميع انواع الحيونات والنباتات والمعادن والانس والجن (حتى النملة) الكائنة (فى جحرها) بضم الجيم وبالحاء المهملة قال فى القاموس الجحر بالضم كل حفرة تحتفره الهوام والسباع لانفسها (والحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى البحر يصلون) اى يدعون له ويستغفرون ويثنون (على معلم الناس) من المؤمنين والكافرين (الخير) اى الطاعة بامتثال الاوامر واجتناب المناهي قطعا اوظنا بالخطاب او بالكتاب اذا كان قصده بذلك التقرب

الى الله تعالى لا الى المال والجاه * الحديث العاشر (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيامة) فى المذنبين من المسلمين (الانبياء) عليهم السلام لانهم الاصل فى ارشاد الناس وتعليمهم الخير فهم اول شافع فى المبتلين بالمعاصى دون الكفر (ثم) يشفع بعدهم (العلماء) بالعلم النافع مع العمل الصالح والاخلاص فيه والا كانوا فاسقين عاصين فيحتاجون الى شفاعة غيرهم فيهم (ثم) يشفع بعدهم (الشهداء) جمع شهيد والشهادة مقام من مقامات القرب الى الله تعالى وتحصل باسباب ظاهرة كالقتل ظلما ويسمى شهيد الدنيا كما هو مفصل فى كتب الفقه واسباب باطنة كالعشق مع العفة والصبر والموت ببعض الامراض كوجع البطن ونحوه ويسمى شهيد الآخرة على حسب ما هو مقرر فى موضعه وانما تأخر الشهداء عن العلماء لانهم انما امتازوا فى مقامهم بالعلماء فهم اتباع العلماء المذكورين * الحديث الحادى عشر (طك) يعنى روى الطبرانى فى الكبير باسناده (عن معاوية رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس انما) يحصل (العلم) النافع للعمل به مع الاخلاص (بالتعلم) اى الدراسة على المشايخ او السماع منهم بقصد العمل به مع الاخلاص فيه لا بقصد غير ذلك ولهذا كثير ممن لم يرد فى وقت التعلم او السماع العمل بالعلم مع الاخلاص لا يتعلم غير صورة المسئلة و يفوته روحها وسرها وحكمتها ويحرم بركتها ولا يتحقق بشئ منها غير انه يتخيل بعقله صورتها الظاهرة فقط فتكون عنده قشرة بلا لب فلا يكبر فى نفسه العمل بها لانه لم يرد ذلك حين التعلم فتبقى حجة عليه لا له وربما كان تخيله صورتها سببا لانكاره بها واعتراضه على اهل العمل الصالح من الابرار والمقربين وهو لا يشعر لاستيلاء الغرور على قلبه وتراكم ظلمات الجهل المركب فى نفسه فيضل عن الصراط المستقيم كما نراه فى كثير من متفقهة زماننا (و) انما (الفقه) اى الفهم فى الدين المحمدى اعتقادا وعملا (بالتفقه) اى التفهم بقوة نور الخشوع والاخلاص والتقوى لا التفكر والتأمل بالنفس المدعية الاشتغال باطنا لتراكم ظلمات الغفلة والغرور والدعاوى الباطلة مع الاصرار على بغض الصالحين واحتقار مقامات المقربين فان ذلك التفكر لا ينتج الا الضلال والغى والطمس والعمى (ومن يرد الله) تعالى (به خيرا) من خيور الدنيا والآخرة (يفقهه) اى يفهمه سبحانه وتعالى بمحض فضله عليه (فى) علوم (الدين) اى الشريعة المحمدية واسند هنا التفقيه الى الله تعالى وقبله التفقه الى النفس لان النفس اذا تفقهت بنور الخشوع والاخلاص متبرأة من حولها وقوتها كما ذكرنا كان الله تعالى هو الذى يفقهها فيصح الاسنادان (وانما يخشى) اى يخاف خوف هيبة واجلال لا خوف عقاب فهو خوف الخواص والثانى خوف العوام و لهذا قال عليه السلام فى صهيب الرومى رضى الله عنه نعم

العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو لم يخفه خوف عقاب لم يعصه هيبة له واجلالا فقد نفى عنه خوف العقاب واثبت له خوف الاجلال والارهاب (الله) وفى تقديم المفعول اشارة الى الحصر اى لاغيره وفى ضمنه الاهتمام والتعظيم (من عباده) الانس والجن والملائكة وغيرهم (العلماء) اى العارفون به سبحانه من حيث ذاته العلية وصفاته السنية واسمائه القدسية وافعاله البهية واحكامه الفضلية والعدلية وتقدم الكلام على هذه الآية * الحديث الثانى عشر (ر) يعنى روى ابن عبد البر باسناده (عن معاذ رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا) يامعشر المكلفين (العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص (فانه تعلمه) كذلك (الله) تعالى والجار والمجرور متعلق بقوله (خشية) اى خشية لله سبحانه لالغيره كما قال تعالى * ولايخشون احدا الا الله * الآية (وطلبه) على الوصف الذى ذكرناه (عبادة ومذاكرته) كذلك بنية افادته واستفادته للعمل والاخلاص فالفرق بين التعلم والمذاكرة ان التعلم لمن لا يعلم والمذاكرة البحث مع من يعلم السماع من لايعلم اوزيادة فائدة بتقوية فى دليل اوتثبت من نسيان (تسبيح) اى تنزيه وتقديس لله تعالى لانها اما فى مسئلة اعتقادية تتعلق بجناب الله تعالى اوعظيم شانه سبحانه اومسئلة عملية تتعلق بجزيل ثوابه وجليل نعمه اوما يسوق الى شئ من ذلك وما عداه فليس من العلم النافع بل من المضر الذى استعاذ منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذبك من علم لاينفع (والبحث) اى التكلم من الجانبين بنية اظهار الحق للعمل به مع الاخلاص (عنه) اى عن العلم النافع كما ذكرنا (جهاد) فى النفس وفى الغير من جهة الموصوف بالنية الحسنة فاجره اجر المجاهد فى سبيل الله تعالى واما من جهة من لم يكن موصوفا بما ذكرنا فهو جهاد فى سبيل الشيطان فهو من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون والمخلص لا يظن سوءا بغيره لان الاصل الكمال فى الامة الموثقة بقوله تعالى * كنتم خيرامة اخرجت للناس * ولايحيق المكر السيئ الا باهله (وتعليمه) اى العلم النافع (لمن لايعلمه) من الناس صدقة) عليه (وبذله) اى ايراده (لاهله) المستعدين لقبوله والمتصفين به (قربة) اليهم (لانه) اى العلم المذكور (معالم) جمع معلم قال فى القاموس معلم الشئ كمقعد مظنته ومايستدل به كالعلامة (الحلال) من الاعتقاد والقول والعمل (والحرام) كذلك فان الحلال والحرام مما ذكر لايعلم الا بالعلم فالعلم علامة على ذلك اى دلالة عليه وبيان له (ومنار) وهو الجبل ومايوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق وموضع النور (سبل) جمع سبيل وهو الطريق (اهل الجنة) اى حدود الطرق الموصلة الى الجنة لانها تعلم به (وهو) اى العلم المذكور (الأنس) لصاحبه وسامعه (فى) حالة (الوحشة والصاحب) الملازم للعبد (فى) حال (الغربة) عن الاوطان اوعن الاقران والامثال كما ورد فى حديث الجامع الصغير طوبى للغرباء قال يارسول الله من هم قال اناس صالحون

24

فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وفى رواية من يبغضهم اكثر ممن يحبهم (والمحدث) اى المنادم لصاحبه فيما بينه وبين نفسه (فى الخلوة) اى فى حالة الانفراد عن الناس (والدليل) اى الدال المرشد (على السراء) اى مايسر العبد (والضراء) اى مايسوؤه مما يتعلق بامور الدنيا والآخرة فيعلم به صاحبه ماينفعه ومايضره من جميع الامور (والسلاح) الذى يقاتل به (على الاعداء) فى الدين بالزام الخصم وابطال المذاهب الباطلة وفى الدنيا باخماد الحسدة والمبغضين (والزين) الزينة والحلية والهيئة الحسنة (عند) لقاء (الاخلاء) جمع خليل وهم الاصحاب والاخوان (يرفع الله) تعالى (به) اى بالعلم المذكور فى الدنيا بالتقدم على غيرهم وفى الآخرة بالمراتب العالية (اقواما) وضعه فيهم بمحض فضله عليهم واحسانه اليهم (فيجعلهم) سبحانه (فى) انواع (الخير قادة) جمع قائد اى دعاة اليه يجذبون الناس بسلاسل الحجج والبينات الى نعيم الجنان كما ورد فى حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل وفى رواية البخارى عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل (وائمة) جمع امام يعنى يقتدى غيرهم بهم ويتابعهم ليصير مثلهم (تقتص) بالبناء للمفعول وبالصاد المهملة اى تتبع قال فى القاموس قص اثره قصا وقصصا تتبعه (آثارهم) فى زمانهم بالافواه او الكتابة وكذلك بعد موتهم كما دونوا اخبار الصالحين الماضين وذكروا سيرتهم الحسنة (ويقتدى) بالبناء للمفعول (بفعالهم) قال فى القاموس فعال كسحاب اسم الفعل الحسن والكرم ويكون فى الخير والشر وهو مختص لفاعل واحد واذا كان فاعلين فهو فعال بالكسر فهو ايضا جمع فعل اه والمعنى انهم يبينون الدين المحمدى للناس باقوالهم وافعالهم كما كانت الانبياء عليهم السلام يفعلون كذلك فلو لم يكونوا عاملين بعلومهم لايقتدى بافعالهم فيخرجون عن هذا الوصف المذكور (وينتهى) بالبناء للمفعول اى يتوصل الجاهلون (الى) معرفة (آرائهم) فيقفون عندها ولايجاوزونها ان قصدوا الفلاح والآراء جمع رأى وهو الاعتقاد (ترغب الملائكة) عليهم السلام (فى خلتهم) اى محبتهم وصحبتهم فلايفارقونهم فيلهمونهم الخير ويحذرونهم من الشر وفى القاموس الخلة بالكسر هى الصداقة والاخاء والخلة ايضا الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع والخل بالكسر والضم الصديق المختص اولايضم الامع ود يقال كان لى ودا وخلا والخليل الصادق اومن اصفاء المودة واصحها (وباجنحتها) اى الملائكة (تمسحهم) وهو كناية عن الهامهم مابه ترقى كثائفهم فيطيرون الى فضاء الملكوت الاعلى (يستغفر) اى يطلب المغفرة من الله تعالى (لهم) عن جميع ذنوبهم (كل) شئ (رطب) اى روحانى (ويابس) اى جسمانى والمراد جميع الاشياء (وحيتان) اى اسماك (البحر وهوامه) اى البحر وهى بقية حيوانات البحر

(وسباع) اى وحوش (البر) بالفتح ضد البحر (وانعامه) جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهى الابل والشاة او خاص بالابل ويجمع على اناعيم كذا فى القاموس (لان العلم) مع العمل به والاخلاص فيه (حياة القلوب من) موت (الجهل ومصابيح) جمع مصباح وهو السراج (الابصار) جمع بصر يعنى ضياءها ونورها التى تبصر به (من الظلم) جمع ظلمة فكل شئ يخفى ينكشف بالعلم (يبلغ) اى يصل (العبد بالعلم الى منازل الاخيار) جمع خير قال فى القاموس الخير الكثير الخير كالخير ككيس وجمعه اخيار وخيار او المخففة فى الجمال والميسم والمشددة فى الدين والصلاح (والدرجات العلى) اى الرفيعات (فى الدنيا والاخره والتفكر فيه) اى فى العلم المذكور (يعدل) ثواب (الصيام) لانه امساك عن التفكر فى غيره فهو حبس النفس على التفكر فيما يرضى الله تعالى كالصائم يحبس نفسه فى طاعة الله تعالى عن الاكل والشرب والجماع (ومدارسته) اى قراءته على المشايخ للحفظ والاتقان ومطالعته للفهم والايقان (تعدل) ثواب (القيام) بالتهجد خصوصا اذا كانت فى الليل وقد صفا الذهن وراقت البصيرة (به) اى بالعلم (توصل الارحام) بتعليمه لاقاربه واهله نساء ورجالا فيكون فى ذلك صلة رحم لهم (وبه يعرف) اى يميز (الحلال والحرام) من كل اعتقاد وقول وعمل (وهو) اى العلم (امام العمل) لانه متقدم عليه تقدم الامام على المقتدى (والعمل تابعه) اى تابع العلم متأخر عنه (يلهمه) بالبناء للمفعول اى يلهمه الله تعالى (السعداء) جمع سعيد وهو من سبقت له الحسنى من الله تعالى فكان من اهل اليمين (ويحرمه) اى يحرمه الله تعالى (الاشقياء) جمع شقى وهو من حقت عليه الكلمة الازلية انه من اهل النار فكان من اهل الشمال * الحديث الثالث عشر (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لان) اللام للقسم المقدر تقديره والله لان (تغدو) اى تذهب فى وقت الغدوة وهى بالضم البكرة او ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر كذا فى القاموس (فتعلم) بالتشديد وحذف احدى التائين تخفيفا والاصل تتعلم (آية) واحدة (من القرآن) بنية ان تقرأها فى الصلاة او فى غيرها او تعلمها لغيرك او لتفهم معناها فتتعظ به او تستنبط منه ان كنت من اهل الاستنباط (خير لك) عند الله تعالى (من ان تصلى مائة ركعة) من النافلة لان نفل الركعات قاصر ونفع تعلم الآية متعد وقد تقع فرضا بخلاف النافلة من الصلاة (ولان تغدو) اى تذهب بكرة النهار (فتعلم) اى فتتعلم (بابا) اى نوعا (من) انواع (العلم) وفيه اشارة الى ان تعلم طرف من المسئلة لا يكون كذلك ما لم تتم بجميع اطرافها فلا يبقى منها طرف الا تعلمته كمسئلة صحة الصلاة فانها متوقفة على تعلم جميع شروطها واركانها بتفاصيل الابحاث فى ذلك (عمل) بالبناء للمفعول اى

سواء عمل غيرك (به) اى بذلك الباب من العلم الذى تعلمته انت للعمل به مع الاخلاص (اولم يعمل) بالبناء للمفعول ايضا اى ترك العمل به غيرك وضعفت رغبة الناس فى القيام به (خيرلك من ان تصلى) لله تعالى (الف ركعة) من النافلة خصوصا اذانويت بتعلم ذلك الباب احياء سنة درستها الناس وتركوا العمل بها فعملت بها انت لارشادهم الى ذلك وسبقهم الى فعل الخير وحثهم عليه (اقوال) اى هذه اقوال (الفقهاء) اى علماء الاحكام الشرعية فى بيان العلم قال (فى) كتاب فتاوى (الخلاصة سئل ابو بكر) من فقهاء الحنفية رحمه الله تعالى (عن قراءة القرآن للمتفقه) اى الطالبين لمعرفة الفقه بقصد العمل به مع الاخلاص (هى افضل) عندالله تعالى (ام درس) اى مدارسة بمعنى قراءة ومطالعة علم (الفقه قال) المسؤل (حكى عن ابى مطيع) البلخى رحمه الله تعالى (انه قال النظر) اى التأمل والتفهم (فى كتب اصحابنا) وهى كتب علم الفقه (من غير سماع) من مدارسة غيره (افضل من قيام الليل) ولم يقل افضل من قراءة القرآن احتراما للقرآن والا فان قراءة القرآن فى غير الصلاة مستحبة والنظر فى كتب علم الفقه لاكتساب الفوائد قد يكون فرضا اذا احتاج للعمل المفروض (وعن الامام ابى بكر محمد بن الفضل البخارى) رحمه الله تعالى (انه سئل عن الفقيه) اى المشتغل ليلا ونهارا بمطالعة مسائل الفقه ومراجعة احكام الشريعة للعمل بها فى فرائضه والانتهاء عمانهى عنه ولتعليم غيره (هل) يترك ذلك و (يصلى صلاة التسبيح) المذكورة فى كتب الفقه (قال) فى الجواب (تلك) اى صلاة التسبيح (طاعة العامة) فانهم لايقدرون على طاعة الاشتغال بعلوم الشرايع والاحكام ونشرها وافادتها للخاص والعام ولاشك ان ذلك افضل من صلاة التسبيح لانها نفع قاصر وهو متعد (فقيل) له (فلان الفقيه) وذكرله اسمه (يصلى صلاة التسبيح قال هو عندى) محسوب (من) جملة (العامة) حيث ترك النفع المتعدى الى الغير واشتغل بالنفع القاصر على النفس وهو طريقة العوام (انتهى) مانقله عن الخلاصة (وفى) كتاب (التجنيس) تأليف الامام الفرغانى مؤلف الهداية رحمه الله تعالى (الرجل اذا تعلم بعض القرآن) وهو مقدار مايحتاج اليه بان تعلم قدر الفرض للقراءة فى الصلاة وذلك آية طويلة اوقصيرة عند ابى حنيفة رضى الله عنه اوثلاث آيات قصار اوآية طويلة عند صاحبيه رحمهما الله تعالى وتعلم قدر الواجب وهو فاتحة الكتاب ومعها سورة اوثلاث آيات قصار اوآية طويلة وتعلم قدر السنة وهو نحو الاربعين آية من طوال المفصل من الحجرات الى البروج ونحو العشرين آية من اوساط المفصل من الطارق الى لم يكن وسورة من قصار المفصل من الزلزلة الى آخر القرآن (ولم يتعلم الكل) اى كل القرآن فان الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا كلهم يعلمون كل القرآن وانما غالبهم كان يعلم البعض دون البعض (فاذا وجد) ذلك الرجل (فراغا) بان وجد وقتا خاليا من الاشتغال بالفرائض والواجبات

والسنن المؤكدات (كان) حينئذ (تعلم) جميع (القرآن) له (افضل من صلاة التطوع) بليل اونهار وذلك (لان حفظ القرآن) كله اى تعلم قراءته على ظهر القلب اومن المصحف صحيحا مجودا (على الامة فرض كفاية) اذا قام به البعض سقط عن الباقين فالسابق بذلك هو الفرض والباقون متنفلون به لكنهم مترشحون الى سقوط الفرض بالتـالى منهم اذا مات السـابق اونسي فكان افضل ولان نفعه متعد بالتعليم بخلاف صلاة التطوع (وتعلم) احكام (الفقه) مقدار مايهمه منه فى عباداته ومعـاملاته (اولى من ذلك) كله لافتراضه عليه وكذا الزائد على مايهمه لتعليم غيره (انتهى) مانقله عن التجنيس (وفيه) اى فى التجنيس (ايضا طلب العلم) بالدين المحمدى اعتقادا وعملا (والفقه) اى الفهم والتأمل بالاخلاص فى ذلك كله (والعمل به) اى بما فقهه من ذلك بالتيقن به فى الاعتقاد واشغال الجوارح بتعاطيه فى الاعمـال (اذا صحت) اى قويت وثبتت (النية) اى قصد القلب على التقرب بذلك كله الى الله تعالى من غير التفات الى ماسواه اصلا (افضل) عند الله تعالى (من جميع اعمال البر) بالكسر اى الخـير كنوافل الصلوات والصيام والصدقة والحج (لقوله) اى النبى (عليه الصلاة والسلام ماعبد) بالبناء للمفعول (الله) تعالى (بشئ) من العبـادات (افضل من فقه) فهم (فى الدين) المحمدى اعتقـادا وعملا بقصد العمل بذلك مع الاخلاص (ولانه) اى طلب العـلم النافع المذكور (اعم نفعـا) اى من جهة النفع (لان نفعه يرجع اليه) اى الى المتعلم المذكور بالعمل به على وجه الاخلاص (والى غيره) ايضا بتعليم الغير (ونفع غيره) اى غير طلب العلم (من) سائر (الاعمـال) الصالحة (يرجع الى العـامل) بذلك (خاصة) دون غيره وان كان فى الاعمال ايضا يرجع الى الغير مثل ثواب العامل اذا ارشده ذلك لغير اليها ودله عليها فان الدال على الخير له مثل ثواب فاعله لاينقص من ثواب فاعله شيئا على ماورد فى الحديث ولكن ذلك الثواب الذى يحصل للدال اذا عمل المدلول بذلك الخير ثواب غير حاصل له باختياره وربما كان له بعد موته ايضا زيادة على ثواب الدلالة الاختيارى فليس مثل الثواب الذى يحصل للمتعلم على فعله الاختيارى فانه مضاعف له دون الاول وقد يكون فرضا فثوابه اكثر على كل حال (قال العبد الضعيف) يعنى الامام الفرغانى صاحب التجنيس (عصمه) اى حفظه (الله تعالى) من الزلل فى القول والعمل ورحمه الله تعالى (وكذا الاشتغال بالزيادة) من العلم النافع مع الاخلاص فيه (بعد ماتعلم) العبد (قدر مايحتاج اليه) فى اعتقاده وعباداته ومعاملاته (افضل) من الاشتغال بنوافل العبادات (اذا كان لايدخل عليه) اى على ذلك المشتغل بالزيادة النقـصان فى فرائضه) الفعلية كالمفروضات من العبادات والتركية كالاجتناب عن المحرمات وكذلك فى فعل واجباته وترك مكروهاته التحريمية وفعل سننه وترك مكروهاته التنزيهية (وهو الصحيح) من الاقوال (لما قلنا) من ان نفع ذلك اعم من غيره (وصحة النيـة) المتقدم ذكرها هى (ان يطلب) العبد

(به) اى بطلب العلم معرفة ظهور (وجه) اى ذات (الله) تعالى الموجودة متوجهة على شيئيته الهالكة وكذا شيئية كل شئ وهذا مقام المقربين (و) بطلب حصول النجاة له من الله تعالى والنعيم المقيم فى (الدار الآخرة) من غير عذاب يسبق وهو مقام الابرار ادنى من الاول (ولا ينوى به) اى بطلب العلم المذكور (طلب) حصول (الدنيا) له وهى الاموال ومايتوصل اليه بها من الحظوظ العاجلة قبل يوم القيامة (وقيل اذا اراد ان يصحح نيته) فى طلب العلم المذكور (ينوى الخروج) بالعلم المذكور (من الجهل) فى نفسه (و) ينوى (منفعة الخلق) اى المخلوقات بتعليمهم ذلك والحكم عليهم به على وجه العدل فى بنى آدم وغيرهم (و) ينوى (احياء) اى ابقاء ذكر (العلم) النافع فى الارض حتى لايندرس فيجهله الناس (انتهى) مانقله من التجنيس (وفى) كتاب (بستان العارفين فاذالم يقدر) العبد (على تصحيح النية) فى طلب العلم بان كانت حظوظ نفسه غالبة عليه وشهواته محكمة من قلبه وحب المال والجاه مقيداله (فالعلم) النافع حينئذ (افضل) له (من تركه) وان طلبه من غير اخلاص ولابنية العمل به لانه فى حالة تركه يجتمع فيه ظلمة حظوظه وشهواته وغفلاته وعدم اخلاصه مع جهله ايضا بمافيه نجاته من ذلك فتبقى حالته ظلمات بعضها فوق بعض واما اذا اشتغل مع ذلك بتعلم العلم النافع قلت ظلماته وخفت غفلاته والشر بعضه اهون من بعض (ولانه) اى من لم يقدر على ردع نفسه عن السوء فى طلب العلم (اذا تعلم العلم) النافع (فانه يرجى) له ولو بعد حين (ان يصحح العلم نيته) فيجعلها خالصة لله تعالى (قال مجاهد) من التابعين رحمه الله تعالى (طلبنا العلم) النافع (ومالنا فيه كثير من النية) الصالحة فى طلبه بل قليل منها لانه غالبا يكون فى رعونة الشباب وجهل الحداثة (ثم رزق الله) تعالى فلو بنابعد ذلك (فيه تصحيح النية) وصدق الهمة خصوصا اذا وصل العبد الى سن الشيخوخة وانطفى توقد نيران آماله (انتهى) مانقله من بستان العارفين (وفيه) اى فى بستان العارفين ايضا (قال بعضهم) وهو سفيان الثورى رحمه الله تعالى (تعلمنا العلم) النافع فى بداية الامر (لغير) وجه (الله) تعالى (فابى) اى امتنع (العلم) النافع علينا (ان يكون الالله) تعالى فكان فى اخر الامر لوجه الله تعالى غيره من الله تعالى على العلم النافع ان يكون على غير وجهه وفى غيرانه وذلك بان يصرف الله تعالى وجوه الناس عن اعتبار ذلك العلم فيبقى صاحبه بينهم مهانا فينقطع طمعه فيهم بسبب علمه ذلك فيخلص فيه ونحو ذلك من الصوارف الجارية على مقتضى الحكمة الالهية (والظاهر) من قول هذا البعض (ان مراده) بالعلم الذى ابى ان يكون الالله تعالى (العلوم الزاجرة) عن اقتراف الذنوب الظاهرة والباطنة التى فيها قصد غير وجه الله تعالى كعلوم المواعظ والمناهى والترهيب فان طالبها لايزل بتعلمها بالنية الفاسدة حتى تصح نيته فيها

فى الغالب اذا طال به المدا (بدليل قوله) اى صاحب بستان العارفين (فيما سبق) قريبا حيث قال فانه يرجى ان يصحح العلم نيته ومعلوم ان العلم الذى يصحح النية هو العلم الزاجر دون غيره (واذا اخذ الانسان حظا) اى نصيبا (وافرا) اى كثيرا (من) علم (الفقه ينبغى) اى يستحب له (ان لا يقتصر على) معرفة علم (الفقه) فقط (ولكن ينظر) اى يقرأ ويتأمل (فى علم الزهد) وهو علم التصوف الذى يعرف منه امراض القلب وادويتها ليرفع عنه الاخلاق المذمومة ويتصف بالاخلاق المحمودة (و) ينظر (فى كلام الحكماء) الالهيين العارفين بالله تعالى الذين آتاهم الله تعالى الحكمة كما قال سبحانه *يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا* الآية وهو علوم الالهام والحقايق الالهية لا علوم الفلسفة وحكمة العين فانها علوم محرمة كما سبق بيانه ومن اجل الحكماء الالهيين الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى والشرف بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين وغيرهم رضى الله عنهم من العارفين المحققين فان كلامهم انفع شئ للفقيه اذا سلك به فى معرفة اسرار فقهه ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من اهل الجهل والغباوة الذين هم ليسوا على طريقهم ولا يعرفون اصطلاحهم فان من جهل شيئا عاداه ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم وزعمهم انهم فهموه لانهم لو فهموه لما ظهر من تغير وهم كفرا وضلالا بل كان يظهر ايمانا وتوحيدا ولكن كل اناء بالذى فيه ينضح وآنيتهم لما تنجست بكفر الانكار على اولياء الله تعالى وبغضهم والتعصب عليهم كان كل كلمة من كلام اهل الله تعالى اذا دخلت ذلك الاناء النجس تنجست به وكانت ايمانا فى الآنية الطاهرة فصارت كفرا فى الآنية النجسة القذرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولا نقطع عندنا ببقاء المنكرين على انكارهم لاحتمال توبتهم قبل الموت فلا طعن فيهم الا بحسب كلامهم حال صدوره منهم ان صح عنهم انظر الى هذا الامام فى علمى الظاهر والباطن سيد المتأخرين الشيخ شهاب الدين احمد بن علان الصديقى البكرى المكى النقشبندى رضى الله عنه فانه نقل فى كتابه شرح حكم العارف بالله تعالى الشيخ ابى مدين التلمسانى قدس سره قال دعوى النفس ينشأ من عجبها وهو اشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكائنات حيث قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية والقول بالحق فى الرضاء والسخط والقصد فى الغناء والفقر واما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهى اشدهن فمن كان عنده اشد المهلكات كيف يتوقع الشفاء من ادوية الطاعات فلذلك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر ولقد صدق فيما قال فاى شخص يا اخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات الا ان تحل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة اطباء القلوب

وحلول عذاباتهم عليه حتى تحقق العجب الذى حل به من تلك الطاعات ولايعجب بعد ذلك الابفضل مولاه كما قال فى الحكم العطائية لاتفرحك الطاعة بانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله تعالى اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * فلاتفرح ياأخى ولاتعجب الابنواله ولاتصحب الامن يعلمك العلوم التى تقربك الى حضرة كماله (و) ينظر (فى شمائل) اى اوصاف (الصالحين) المتقدمين رضى الله عنهم ويتأمل ما كانوا فيه من العلم والعمل والتقوى والورع ويقلدهم فيما يمكنه من ذلك فان الغيث اوله قطر ثم ينسكب ولاتمانعه الوساوس واليأس من الشبر على سيرهم ولاينتقد عليهم مالايعرفه ولايلتفت الى غرور مغرور فيهم ولاطعن طاعن كما لايلتفت الى طعن الرافضة والخوارج فى الصحابة والخلفاء الموثقين رضى الله عنهم اجمعين * والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (فان الانسان اذا تعلم) علم (الفقه) وحده (ولم ينظر فى علم الزهد و) علم (الحكمة) الالهية وهى علوم مواجيد القوم من الصوفية المحققين كما ذكرناها فهمه من ذلك على طبق الكتاب والسنة جمد هم عليه وما خفى عنه ودق اسلمه لاهله واعترف هو بالقصور فى نفسه عن فهمه ولوكان من اعلم علماء الظاهر فان لكل مجال رجالا ولكل مقام مقالا ولايعجب بنفسه ولايغتر بعلمه فانه يهلك من حيث لايشعر (قسا) اى عتا وصلب (قلبه) فكان كالصخر لاتؤثر فيه المواعظ ولا الحكم وجمدت بصيرته فلا يقدر يفهم بها شيئا سوى ظاهر من الحياة الدنيا وتسلط عليه بسبب ذلك الوساوس الشيطانية فيقع فى اهل الله واوليائه بماهم بريؤن منه ويجحد الدين الخالص وطريق التقوى القلبية التى قال تعالى * فانها من تقوى القلوب * فيهلك فى مهواة من التلف (والقلب القاسى) الذى لايلين للحق (بعيد من الله) سبحانه مطرود عن ابواب فضله وانعامه (انتهى) ما نقله من كتاب بستان العارفين وانما كان هذا المقدار المذكور من النظر فى علم الزهد والحكمة كما بينا مستحبا مما ينبغى تعلمه للفقيه ولم يكن فرضا عليه لان القلوب البشرية قد تكون مطبوعة على الرفق واللين والخشوع وسلامة النية وحسن القصد والتواضع والاعتقاد فى كلام الصالحين والتسليم لهم من غير فهم لكلامهم بلاشك فيهم ولاتردد فيستغنى الفقيه بذلك عن النظر فى علم الزهد والحكمة ولايحتاج ان ينظر فيه كما على ذلك غالب العوام ممن لم يجتمع باحد من المنكرين على احد من الاولياء المحققين اواجتمع بهم ولم يقدروا ان يوسوسوا فى صدره بحمله على الانكار على احد اصلا وسلمهم الله منهم ومن لم يكن مفطورا على ماذكرنا من سلامة الصدر والاعتقاد الحسن ونحوه احتاج الى النظر المذكور لعله يوجب له شيئا من ذلك فان القلوب بيد الله تعالى لاتدخل تحت تكليف العبد حتى يصلحها فلامعنى لايجاب ذلك عليه

ولكن من اكثر من استعمال الدواء النافع فلا بد ان ينتج له ولو بعض شفاء فالاشتغال به اهم من تركه والله الموفق وفى الشرعة وشرحها قال ويقتبس يعنى للتعلم من كل فن حظا كافيا لحاجته ولا يقتصر على البعض وعلى القدر الغير الكافى منها فقد قيل من طلب الله تعالى بعلم الكلام وحده بلا استعانة بغيره من العلوم تزندق اى انكر الوحدانية واليوم الآخر اذ يغلب على قلبه حينئذ ادلة المبطلين فلا يقدر ان يخلصه منها فيعتقد على مقتضاها ومن طلب الله تعالى بالزهد وحده بلا شئ من العلوم ابتدع لعدم علمه الطريق المسنون ومن طلب الله تعالى بالفقه وحده تفسق بان صار خارجا عن الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى لا يخلص من التقليد ولا يميز ما يصلح القلب مما يفسده من الصفات الباطنة قال ابو الليث رحمه الله تعالى من تعلم علم الفقه ولم ينظر فى علم الزهد والحكمة يسود قلبه ومن تفنن بان تعلم الفنون تخلص عن التزندق والابتداع والتفسق ويكون فى طلبه على صراط مستقيم (فاذا كان الحال) اى الشان (هذا) اى قسوة القلب (فى) علم (الفقه) وحده مع شرف الفقه لانه معرفة الاحكام الشرعية للعمل بها مع الاخلاص ولا يمكن العمل بها مع الاخلاص الا لصاحب علم الزهد والحكمة (فاظنك بسائر) اى بقية (العلوم) التى هى دون علم الفقه مما هى وسائل اليه (غير) العلوم (الزاجرة) للعبد عن المخالفات كعلوم العربية ونحوها فانها توجب قسوة القلب والبعد عن الله تعالى بالطريق الاولى لكل من اقتصر عليها فى الاشتغال ولم ينظر فى علم الزهد والحكمة (وفى) كتاب (التجنيس) لصاحب الهداية (رجل تفقه) اى تعلم الفقه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة) لله تعالى مع الاخلاص والورع (وامتنع) بسبب ذلك (عن التعليم) للناس (فان كان الناس استغنوا عنه بغيره) من العلماء المعلمين لغيرهم (اجزأه) اى كفاه ذلك الغير عن تعليم الناس لانه فرض كفاية وقد قام به البعض فسقط عن الباقين (كما فعل) ابو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) نسبة الى قبيلة طى (فانه تعلم العلم عن ابى حنيفة) رضى الله عنه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة واعتزل) جميع (الناس ولم يشتغل بالتعليم) لاحد قال ابو على الدقاق رحمه الله تعالى كان سبب زهد داود انه كان يمر ببغداد يوما فنحاه المطرقون بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود فرأى حميدا فقال داود اف لدنيا سبقك بها حميد فلزم البيت واخذ فى الجهد والعبادة وقال بعضهم ان سبب زهده انه كان يجالس اباحنيفة رضى الله عنه فقال له ابو حنيفة يوما يا اباسليمان اما الاداة فقد احكمناها فقال له داود فاى شئ بقى فقال العمل به قال داود فنازعتنى نفسى الى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسئلة فجالستهم سنة لا اتكلم فى مسئلة وكانت المسئلة تمر بى وانا الى الكلام فيها اشد نزاعا من العطشان الى الماء ولا اتكلم به ثم صار امره الى ما صار ذكره القشيرى فى رسالته (و) كان (هذا)

الامر لداود رحمه الله تعالى (لانه اخذ بالفاضل) من الاحوال (وان كان التعليم) للغير (افضل) عندالله تعالى (لان نفعه اوفر) اى ازيد من نفع العابد (فلا يكون) حينئذ (به) اى بالاشتغال بالعبادة وترك تعليم (بأس) اى كراهة بل ترك للافضل فان التعليم مع العبادة من اخلاق النبيين عليهم السلام (انتهى) مانقله عن التجنيس (والحاصل ان العبادة المتعدية الى الغير) اى التى يتعلق بها صحة عبادة الغير وهى عبادة التعليم للغير العلم النافع (افضل من) العبادة (القاصرة) على نفع العابد بها نفسه (لان خير الناس) اى اكثرهم خيرا (من ينفع الناس) بالتعليم للخير (ثم) العبادة (المتعدية) الى الغير (نوعان) نوع (اخروى) اى منسوب الى الآخرة لتعلقه فى النفع فى الآخرة فقط (وهو افضل من جميع اعمال البر) اى الخير والصلاح (اذ) اى لانه (هو عمل الانبياء) والمرسلين عليهم السلام فانهم كانوا يعلمون الناس الشرايع والاديان بعد التوحيد والعقائد ويعلمونهم الاخلاق الحسنة و يحذرونهم عن الاخلاق السيئة (وبه) اى بهذا النوع من العبادة المتعدية (فضلوا) على غيرهم من جهة العمل وهم افضل من غيرهم بالنبوة قطعا (خرج) بالتشديد اى اسند (ديلمى) يعنى ابامنصور الديلمى (عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم بابا من العلم) النافع اى مسئلة بتمامها (ليعلم الناس) ذلك الباب الذى تعلمه وفيه اشارة الى ان النية الصالحة لابد منها فى ثواب العمل وان المعلم للناس لايلزم ان يكون عالما جميع ابواب العلم بل يجوز لمن يعلم بابا من الابواب ان يعلمه لغيره وان الذى علم بعض المسئلة كمن علم شروط الصلاة فقط ولم يعلم اركانها لاينبغى له ان يعلم غيره حتى يستوفى علم مسئلة الصلاة كلها يعنى مايهم منها دون علم جميع فروعها فسئلة الصلاة مثلا باب من العلم (اعطى) اى اعطاه الله تعالى من الاجر (ثواب سبعين صديقا) بكسر الدال المهملة مشددة يعنى ثواب السبعين غير مضاعف ولهم مضاعف ولعل السبعين للتكثير لا للعدد كما فى نظائره (ولذا قال فى) كتاب (التجنيس اذا تعلم رجلان علما) من العلوم النافعة (علم الصلاة اوغيره) كعلم الصوم اوالزكاة اوالحج وكان (احدهما يتعلم) ذلك العلم (ليعلم الناس) ماتعلمه اى بنية ذلك (والآخر) انما تعلم (ليعمل به) اى بما تعلمه (فالذى يتعلم) العلم المذكور (ليعلم) غيره (افضل) من الذى يتعلم ليعمل به هو لنفسه (لان منفعته) اى الذى يعلم غيره (اكثر للناس) من منفعة الذى يتعلم ليعمل به فى نفسه (وابلغ) اى اعظم (فى امر الدين) المحمدى لنشره احكام الله تعالى واظهاره شرايع الاسلام وحماية الحق عن اهل الباطل ونصرة المؤمنين على اعدائهم من الوساوس النفسانية والعصبة الشيطانية (انتهى) مانقله عن التجنيس (و) نوع آخر (دنيوى) اى منسوب الى الدنيا لحصول الانتفاع به فى الدنيا (كالصدقة) المفروضة وغيرها فان الذى يأخذها ينتفع بها فى الدنيا

والمعطى ينتفع بها فى الآخرة فهونفع متعد دنيوى لا اخروى والنوع الاول اخروى لانه ينتفع به الذى يتعلم فى الآخرة كما ينتفع المعلم فى الآخرة ايضا (والاعانة) على حوائج الدنيا والآخرة فى غير المعصية (والدلالة) على كل نفع دنيوى او اخروى (والشفاعة) فى الخير والصلاح (وبناء القناطر) من ماله فوق الانهار العظام اوفى الطرق الصعبة السلوك على المارة (ونحوها) من بنيان السبلانات والسقايات والمساجد والمكاتب (وتسوية الطرق) جمع طريق اى ازالة الثلمة منهـا وتنقية الاحجار وقلع الصخور (واماطة) اى رفع (الاذى) كالقمامات والشوك والنجاسات (عنها) اى عن الطرق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى فى جميع ذلك والا كان معصية بازاء والسمعة والعجب والجاهات (فهذا) النوع الثانى من العبادات المتعدية (متوسط) فى الثواب عند الله تعالى (بينهما) اى بين النوع الاول و بين العبادة القاصرة فيكون حينئذ (دون) النوع (الاول) الذى هو تعليم العلم النافع للغير فانه افضل من الكل (وفوق) العبادة (القاصرة) لتعدى نفعه الى الغير دون العبادة القاصرة التى هى (كالصلاة والصوم) فرضا ونفلا (والذكر والدعاء) ونحو ذلك من سائر العبادات البدنيـة (فلذا) اى لكون العبادة المتعدية افضل من القاصرة (كان الاشتغال بامر النكاح) اى الوطئ الحلال بعقد اوملك يمين لمن يقدر عـلى ذلك بلا حرج عليه اوعلى المرأة (و) كان (الكسب للمال الحلال من الوجوه الشرعية فيمن تيقن ذلك) و يقدر عليه (لاجل التصدق) بمازاد على الكفاية (افضل من التخلى) اى الانقطاع (للعبادة) والاشتغال بها لان فى النكاح حصول الذرية الصالحة ولو بالاسلام والايمان واعفـاف نفسه وامرأته وقطع تشوقهمـا الى السوء وفى التصدق سد خلة الفقراء واغناء فافهم (فعليك) يا (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالجد) اى السعى والاجتهاد (والمواظبة) من غير فتور (فى تحصيل العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص واترك كل من يفندك عنه ويصرف همتك فى الاشتغـال بما لايعنيك من فشارات الدنيا وضلالات الغرور واذا علمت ذلك (فلا تصغ) اى تمل وتلتـفت (الى ترهات) اى اباطيـل (جهلة) الطائفة (المتصوفة فى زماننا) هذا وهو عصر التسعمائة فان الصوفية فى كل زمان فيهم جهلة وفيهم علماء عارفون كما ان الفقهاء كذلك فيهم فسقة مكبون على اكل الحرام وفيهم صالحون زاهدون وكذلك المفسرون والمحدثون وسائر انواع العلمـاء حتى الجنود والعساكر والملوك والقضاة والامراء واهل الاسواق فيهم الصالحون وغيرهم فى كل زمان والنوع الفاسد منهم هو المذموم فقط دون النوع الصالح ولا يعمم فى الذم او المدح الا الجـاهل (يقولون) يعنى جهلة المتصوفة (العلم حجاب) و يعنون بذلك ان اشتغالهم بالعلم يوجب تركهم الاشتغال بما هم فيه من شهود الله تعالى على زعمهم ذلك وما عرفوا ان بالعلم يزداد شهودهم وتكمل معرفتهم به سبحانه ويرسخون فى مقام اليقين ولكنهم نظروا

الى كيفية اشتغال اهل الغفلة بالعلم فانهم يشتغلون به وهم مصرون على الرياء والعجب والكبر والحقد والمنافسة بل على المعاصي والمخالفات واكل الحرام فحسبوا ان العلم اورثهم ذلك وانما العلم نور ولكن اهل الغفلة هم المتدنسون باوساخ الذنوب والقبائح ومقالة هؤلاء الجهلة من المتصوفة ليست في زمان المصنف رحمه الله تعالى فقط بل فيما قبل ايضا كما ذكر الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره في كتابه مواقع النجوم بعد ان مدح العلم كثيرا ثم قال وانما اكثرنا هنا في العلم لان في زماننا قوما لا يحصى عدد هم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبث بهم الاهواء حتى قالوا ان العلم حجاب ولقد صدقوا في ذلك لو اعتقدوه اى والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل واضداده يعني اضداد العلم من الظن والشك والوهم فما اشرفها من صفة خبأنا الله تعالى بالحظ الوافر منها وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من اجلها الكونان ولها شرفان كبيران عظيمان الشرف الواحد ان الله سبحانه وصف بها نفسه والشرف الآخر انه مدح بها اهل خاصته من انبيائه وملائكته عليهم السلام ثم من علينا سبحانه ولم يزل مانا بان جعلنا ورثة انبيائه فيها فقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء (وانه) يعني العلم (يحصل) للعبد (بالكشف وهو بلوغ ماوراء المحسوس من عوالم الغيب) وطريقه صفاء السريرة من الاشتغال بالاغيار ودوام الذكر والخشوع قال العفيف التلمساني قدس الله سره في شرح منازل السائرين للهروي رحمه الله تعالى في المكاشفة انها بلوغ ماوراء الحجاب من المشاهدة الالهية بخلاف المكاشفة الصورية وهي كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغائب والاخبار بما وراء الجدار مما لم يشاهد بالحس ونحو ذلك وهي ليست في طريق الله تعالى بل هي قاطعة عنه ولذلك لم يختص بها ملة دون اخرى انتهى والعلم الذي يحصل بالمكاشفة حيث قلنا بحصوله بها علم المعارف الالهية والحقائق الربانية لا علم كيفية الاعمال الظاهرة ومعرفة الاحكام الشرعية فان هذا العلم لا يحصل الا بالتعلم والا لاستغنت الخلق عن الانبياء والكتب بالمكاشفة وهو باطل وان كان بعض الاولياء يلهمه الله تعالى الحق والصواب بشيء منه فيوافق ما عند العلماء منه في اقواله واعماله واحواله واعتقاداته بطريق العناية له من الله تعالى فهو نادر فلا نطعن في احد بعينه من المتصوفة الذين تركوا التعلم واشتغلوا بالذكر فعساه يكون وافق الحق من علم العلماء في جميع اموره هداية له من الله تعالى وان كنا نقول لابد من التعلم ولا يحصل هذا العلم الا بالتعلم فان قولنا هذا على وجه العموم من غير خصوص في احد والكف عمن وجدناه ترك التعلم للاحتمال المذكور على وجه الخصوص في شخص معين واشخاص معينين وعلى هذا يحمل كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وفي نظائره من ابحاث هذا الكتاب (فلا حاجة) في تحصيل العلم مع نورانية الكشف (الى الكسب) اى المطالعة والقراءة على المشايخ والمذاكرة (فانه) اى هذا القول من جهلة المتصوفة في حق علم

الشرايع والاحكام بطريق الاطراد فى كل احد الا الندرة القليلة فى بعض من يعتنى بهم الحق تعالى كما ذكرنا (كذب) محض لانه لم يقع للجميع بل انما وقع لاهل التوفيق والعناية بالموافقة فى الاعمال الصالحة كما وقع لاويس القرنى رضى الله عنه مع وجوده فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع بالنبى عليه السلام استغناء بالامداد الباطنى المحمدى له عن الاخذ من حيث الظاهر ومن كان موفقا كذلك لا يعرف صور المسائل ولا مواضع استنباطها ولا يدرى بها اذا سئل عنها وانما يوفق الله تعالى للعمل بها على وجه الصواب من غير شعور منه بذلك وليس هذا المقدار علما حتى يكون الكشف موصلا اليه بلا اكتساب ولا تعلم ولا دراسة (و) هو (ضلال) ايضا فى حق من لم يكن على الوصف الذى ذكرناه من الموفقين فانه يكون مخذولا حينئذ لا عنده توفيق من الله تعالى والهام للحق ولا له اشتغال واكتساب للعلم النافع الذى ربما وفقه الله تعالى للعمل به على وجه الاخلاص فيجاوسعد وليس هذا الوصف مخصوصا باحد بعينه نتجسس عليه ونحتقره بسبب عدم تعلمه العلم فى الظاهر لاحتمال التوفيق فى الباطن لعين الصواب وانما هذا حكم منا ومن المصنف رحمه الله تعالى على وجه العموم ليحترز العبد من مواضع الهلكة ولا نسيء الظن ايضا باحد معين كما قال تعالى * والله يعلم وانتم لا تعلمون (و) هو (اضلال) ايضا للغير ممن لم يكن على الوصف المذكور ممن يعلم الله حاله بلا تجسس منا ولا سوء ظن باحد معين اصلا ونؤول كل خطأ وجدناه فى كل مسلم من المسلمين كما قال الامام النووى رضى الله عنه فى ادب العلم والمتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك الا كل قليل التوفيق انتهى كلامه واذا وجدنا احدا ممن ترك العلم الظاهر من المتصوفة وغيرهم من المسلمين فلا نسأله عن شئ من احكام الله تعالى اصلا فان من اراد تخجيل غيره فى العلم فهو كافر بالله تعالى كما تقدم بيانه فاذا سألناه فوجدناه لم يعلم ما سئلناه عنه يحتمل ان الله تعالى موفق له الى العمل بمقتضاه بلا تعلم من العلماء فان التوفيق لا بد منه لمن علم ولمن لم يعلم وليس العلم بالحكم الشرعى مقتضيا للعمل به وحاملا على العمل قطعا من دون توفيق الله تعالى فكم من عالم لم يوفقه الله تعالى للعمل بما علمه فهو مخذول وكم من جاهل وفقه الله تعالى للعمل الصالح بطريق الالهام والعناية به فهو خير من ذلك العالم المخذول وان لم يكن له علم بما علمه ذلك العالم ولا يعلم بتفاصيل امور الناس على ما هم عليه الا الله تعالى وانما للعلماء النصح والتحذير بلا اساءة ظن ولا تجسس ولا امتحان لاحد معين اصلا وهذه احوال العلماء العاملين واما علماء القيل والقال من غير تقوى ولا خوف من الله تعالى فهم على غير ما ذكرنا (فان العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص فيه (فرض) على كل مكلف لتوقف صحة العمل المفروض عليه فى العادة المطردة بحسب الظاهر فلو وفق الله تعالى العبد لذلك العمل المفروض على وجه الصحة بدون العلم

لم يكن العلم فرضا عليه اذليس هو فرضا لذاته بل لغيره كالطهارة شرط لصحة الصلاة فهى فرض لغيرها لا لذاتها فلو حصلت من غير تحصيل لهـا حصل المقصود منها كمن وقع فى ماء فانه يخرج طاهرا حيث عم الماء موضع الحدث منه فتصح صلاته بتلك الطهارة وان لم تقع عبادة مثابا عليها كما قال فقهاؤنا (وانه) اى العلم انمـا يحصل (بالتعلم) وان لم يكن مقصودا لذاته فلا يكون عالما الا اذا تعلم وقد يكون عاملا بمجرد التوفيق من غير علم فيحصل المقصود فلا يبقى العلم فرضا حينئذ كمن وقع فى ماء بحيث قلنا بحصول الطهارة له فلا تبقى الطهارة عليه فرضا (لما قاله) النبى (عليه الصلاة والسلام) كما سبق فى الحديث انما العلم بالتعلم (وان مأخذه) اى العلم (كتاب الله) تعالى وهو القرآن العظيم (وسنة حبيبه) اى حبيب الله محمد (صلى الله عليه وسلم لما بينا) فى هذا الكتاب (سابقا) فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة فليس مأخذ العلم الكشف يعنى العلم المذكور على حسب ما قررناه (وان الصحابة) رضى الله عنهم (خير هذه الامة) بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله خير القرون قرنى الحديث (وافضلها) اى افضل الامة علمـا وعملا (وانهم اجتهدوا) اى بذلوا وسعهم فى استنباط الاحكام من الادلة الشرعية (واختلفوا) فيما بينهم فى جزئيات القضايا (واستدلوا بالكتاب والسنة) على ما ذهبوا اليه من المذاهب (ولم ينقل احد منهم الهم) بالبناء للمفعول اى القى (الى) من الالهام وهو الالقاء فى القلب من غير تفكر (انه) اى الفعل الفلانى ونحوه (حرام او حلال او غير ذلك) من فرض او واجب او مكروه فكيف يترك من دونهم التمسك بالكتاب والسنة والاستدلال بهما ويكتفى عن ذلك بالكشف والالهـام وان كان ذلك ممكنا باعتبار حصول التوفيق له من الله تعالى والتوفيق هو ان يخلق الله تعالى فيه القدرة على الطـاعة والكف عن المعصية من غير علم منه بذلك او مع العلم وليس من شروط التوفيق حصول العلم كما انه ليس من شروط حصول العلم التوفيق للعمل به كما قدمنـاه ولهذا قال الجنيد رضى الله عنه كما نقله عن القشيرى فى رسالته فى باب الارادة ان المريد الصادق غنى عن علم العلماء وذكر فى آخر الرسالة فى باب الوصية قال هذا احمد بن حنبل رحمه الله تعـالى كان عند الشافعى رضى الله عنه فجاء شيبان الراعى فقال احمد اريد ياابا عبدالله ان انبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلم فقال الشافعى رحمه الله تعالى لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى اى صلاة نسيها ما الواجب عليه ياشيبان فقال يا احمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب ان يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعده فغشى على احمد فلما افاق قال له الشافعى الم اقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعى كان اميا (فان ادعوا) اى هؤلاء الجهلة المستغنون بالكشف عن تعلم الاحكام الشرعية حتى يصير وابذلك طالبين بها على زعمهم (انهم كوشفوا) اى كاشفهم الله تعالى بذلك (ووصلوا) منه (الى ما

لم يصل اليه الصحابة) رضي الله عنهم وان امكن ذلك بلن يكاشفوا بالاسرار ويصلوا الى حقائق المعارف كما قدمناه فى ان رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة من هو افضل من الصحابة ماعدا فضيلة الصحبة بل قد يوجد فى غير النبي من العلم ما لا يوجد فى النبي خصوصا على القول بولاية الخضر مع انه اعلم من موسى عليه السلام وقول الهدهد لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به مع انه طير وسليمان نبي عليه السلام وان كانت هذه الاحاطة فى امر دنيوى لكنه علم فى الجملة وليست النبوة هى العلم بل هى امر اختصاصي واما خصوص مسائل الحلال والحرام على الكيفية التي يعلمها اهل الاستنباط من الفقهاء وترتيب الادلة على ذلك ومعرفة هذا الاصطلاح المخصوص المعلوم فيما بين العلماء فلابد فيه من التعلم والاخذ عن المشايخ (فهم مبتدعون) حيث زعموا معرفة هذا العلم على هذا الاصطلاح المخصوص بمجرد الكشف والالهام من غير تعلم (خارجون عن مذهب اهل السنة والجماعة) من حيث هذا الاصلاح المخصوص الذى تدونت فيه الآن مذاهب اهل اسلام ولم يعلم على اليقين صحة مرادهم (ولو سئل احدهم عن) شئ من (الاخلاق المذمومة مثل الرياء والكبر والحسد والحقد او عن معرفة علاجها) اى مداواتها (او عن شئ من (الاخلاق الحميدة مثل النية) اى قصد الخير فى كل عمل (والتوبة والتوكل والصبر والرضا بالقضاء والشكر او عن طريق تحصيلها او تقوية ضعيفها بهت) فى ذلك ولم يقدر على الجواب عنه (وخجل) منه (وخلط فى كلامه) اى جاء بالهذيان (وتكلم بالشطح) اى بالكلام الذى فيه الغلو والخروج عن الحدود (والطامات) اى الزخارف الباطلة ولا يستطيع ان يجيب الجواب الذى اصطلحت عليه علماء هذا الشان من التقرير والبيان وان كان هو فى نفسه متصفا بجميع تلك الاخلاق الحسنة متباعدا عن جميع الاخلاق المذمومة بمجرد توفيق الله تعالى * والله على كل شئ قدير * فيكون كشيبان الراعى كما قدمنا ولعمرى هذا الاصطلاح المخصوص الآن عند الفقهاء وغيرهم من العلماء لو سئل عنه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما عرفه بخصوص هذا الاصطلاح ورعما عيا ببيان ما هو متصف به من الطاعات والاخلاق الحسنة والتباعد عن الاخلاق المذمومة فضلا عن آحاد الامة وياليت شعرى من علم ذلك كله وبينه وقرره ولم يكن عنده توفيق من الله تعالى للعمل بمقتضاه والتخلق به ماذا يفيده من النتيجة غير علمنا نحن بانه عالم ذلك فالمدار على التوفيق فى كل حال فكما ان من لم يعلم شيئا من ذلك يحتمل انه موفق للقيام به كله من حيث ما يعلم الله تعالى منه كذلك من علم ذلك كله وبينه لنا يحتمل انه منافق فيه وانه يحفظه مجرد كلام وهو غير عامل به ولا يجوز سوء الظن باحد معين ولا التجسس عليه ولا كشف ستر الله عنه ولا فضيحته بل يحمل على احسن المحامل ولكن الفقهاء يحذرون الناس على العموم وينصحونهم موعظة وتنبيها (بل لو سئل عن فرائض الصلاة والوضوء

والاستهجان تحير واضطرب) ولم يأت بجواب اصلا (بل بعضهم) ممن لا يمكن الاطلاع عليه بخصوصه لتأ ويلنا كل ماصدر عنه من الخطأ وجوبا علينا ذلك كما مر عن النووى رحمه الله تعالى (لم يصحح اعتقاده بعد) على طريقة اهل السنة والجماعة (و يظن من جهله) بالله (ان الله فى السماء وانه) سبحانه على صورة مخصوصة (و بعضهم يعتقد ان الله لا يريد القبايح والمعاصي) من غير شعور منه ان ذلك مذهب المخالفين (و بعضهم يعتقد انه موجد لفعله) كذلك من غير شعور بالخطأ (واكثرهم يصلون بلا تعديل اركان) فتنقص صلاتهم وان لم نعلمهم باعيانهم الا اذا توصلنا الى ذلك بالتجسس والاستكشاف عن استار الله تعالى عليهم وهو مذموم فهم عندنا امور كلية لا نعلم جزئياتها يقينا والظن السوء مؤول فالنصح للعموم (ولا تجويد) اى تصحيح وتحسين (قرآن) مع احتمال العجز منه عن تعلم ذلك فلا اثم كما قال عليه السلام اذا قرأ القارى فاخطأ اولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما انزل اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير (ومع) وجود (هذه الفضايح) فبهم عند من يعلمها (يدعون انهم واصلون) بما هم به جاهلون (مكاشفون) بذلك (فهيهات هيهات) ان يصلوا الى معرفة جميع ذلك الا بالتعلم من المشايخ (نعم انهم واصلون الى الشيطان) الذى غرهم فادعوا ماليس عندهم (مغرورون باما نيه) اى بما يلقى اليهم من تمنى ما لا يحصل لهم الا بالتعلم (عاملون بوساوسه) التى يلقيها فى صدورهم (ولا يبعد ان يقع لبعضهم كشف حسى لبعض الاشياء) عن امور محسوسة تتعلق بالاكوان من الاخبار عن شئ فيكون كذلك وهو الكشف الصورى كما مر (اونحوه) اى نحو الكشف الحسى من بعض المنامات والتخيلات والواردات الغيبية والهواتف (من خوارق العادات بمقتضى الرياضات) التى يعملونها من تصفية الباطن والتجرد عن العلاقة البشرية (اواراءة الشيطان) لهم طيرانا فى الهواء برفع بعضهم اونقله من مكان الى مكان باسرع زمان والاتيان بما يريدونه (مكرا) بهم (واستدراجا من الله) تعالى ليزدادوا اثما (كما نقل) نظير ذلك (عن بعض الكفرة المرتاضين) اى المتخذين الرياضة كما قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى كتابه شجون المشجون عالم الصفاء حجاب لانه يكون به الكشف وهذا يشاركنا فيه الرهبان وانما نفضل عليهم بعالم الترقية (فيظنون انه) اى ما يقع لهم من ذلك (كرامة) من الله تعالى (وولاية) لهم منه تعالى كما يقع للاولياء المقربين (فيغترون به) فيهلكون ولا يشعرون وكل هذا محتمل فى امورهم التى تظهر لهم ويحتمل ايضا انها امور صحيحة صادرة بمحض تكريم الله تعالى لهم وليس للشيطان سبيل عليهم حيث كانوا مستقيمين فى باطن الامر مما خفى على غيرهم والتوفيق محيط بهم وعناية الله تعالى تحفظهم والله ساترهم فى كل حال فلا قطع بالسوء فى احد منهم على التعيين كما قدمناه (وقد سمعت) يا ايها

السالك (سابقا) فى آخر فصل البدع (قول سلطان العارفين) بالله تعالى (ابى يزيد) طيفور (البسطامى) رضى الله عنه (لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات) يعنى خوارق العادات (حتى تربع فى الهواء) بين السماء والارض (فلا تغتروا به) وتنسبوا اليه الولاية (حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى) الوارد ذلك عليه من الله تعالى تكليفا له (وحفظ الحدود) التى جدها الله تعالى له (واداء) احكام (الشريعة) انتهى قول ابى يزيد رضى الله عنه والمراد نظر ذلك منه بلا تجسس عليه ولا ظن فيه بل على وجه التحقيق بالثبوت الشرعى كالشاهد فى الزنا بحيث يرى ذلك مثل الميل فى المكحلة وستر ذلك عليه لان ستر الشهادة فى الحدود افضل كما قاله الفقهاء مع تحقق الاجنبية فى المزنى بها ومتى احتمل الامر الخير وجب الحمل عليه فلم يكن الرائى رأى ما يخالف الشريعة قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى شرح الوصية اليوسفية ونا استتر الولى بامر فى الظاهر عند العامة انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الامر وبعيد ان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ولا من صاحب حال لشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له حال فى الستر ولا فى الظهور فيتخيل الاجنبى ان ذلك الولى قصد الستر بما ظهر منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فاتى هذا الولى الامر صحيح محمود فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر فى ناظر عين الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكأس وهو يشرب ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى يناوله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيشربه الاجنبى شرابا حلالا فالاجنبى الذى لا يعلم ذلك محمود عنده اى عند نفسه فى انكاره موف لمقامه والولى محمود فى فعله اذا لم يقصد الستر فان قصد الستر بمثل هذا فهو مذموم فى الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولى فى العموم وقد يقع من ولى فى الخصوص من اصحابه اختيارا منهم لصدق دعواهم فى التسليم له (فنعوذ بالله) تعالى (من شرورهم) اى شرور هؤلاء الجاهلين بالعلم الظاهر المحتمل ان يكونوا كما وصفهم وان يكونوا موفقين للهدى والرشاد مما لا يعلمه منهم الا الله تعالى (و) شرور (اقوالهم وافعالهم) التى لا تدخل فى الموازين الشرعية التى تعلمها العامة من علماء الرسوم وغيرهم فقد يقعون فى ذمهم وهم على حالة مرضية فيعادون احباب الله تعالى وهم لا يشعرون ولا عذر بالجهل فى الشريعة وقد يقعون فى مدحهم وهم على حالة غير مرضية فيحبون اعداء الله تعالى ويوالونهم فلا يوافقون الامر على ما هو عليه وان ذلك غير موجب للاثم بخلاف الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوالى المنافقين الذين اسلموا بظواهرهم وكفروا ببواطنهم ويقسم لهم فى الغنائم ويعاملهم معاملة المسلمين فلو كان فى ذلك اثم ما فعله عليه السلام ولا جاءت به الشريعة واما نسبة الشر والسوء الى البرئ من ذلك بمجرد احتمال صدور ذلك منه بعلامة ونحوها فلم يقع منه عليه السلام ولا من اصحابه بعده ولا اذن به لاحد كيف وقد قال عليه السلام

ادرؤا الحدود بالشبهات وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وغير ذلك من الاحاديث فالمؤمن يسع ما وسعه النبي صلى الله عليه وسلم (فانهم) على حسب الاحتمال المذكور (شياطين الانس) لظهورهم بالوسوسة فى صدور الناس (وقطاع طريق الله) تعالى لالتباس الطريق بسبب ذلك على ضعفة السالكين (وخصماء حبيبه) محمد (صلى الله عليه وسلم) لمخالفتهم لشريعته مع زعمهم موافقتها وهذا كلام الفقيه الخائف على الامة ان تضل باحتمال الخطاء فيمن يحتمل ذلك فيهم وان كان الله تعالى * يضل من يشاء ويهدى من يشاء * والتسليم اسلم والله سبحانه اعلم (الفصل الثالث) تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الثانى من ابواب الكتاب الثلاثة وهو اطول الفصول لانه المقصود بالتصنيف (فى) بيان (التقوى) اى الاحتراز بحسب الطاقة البشرية من غضب الله تعالى بمعونة الله تعالى لا بالنفس والا كانت شركا خفيا (وهو ثلاثة انواع النوع الاول) من ذلك (فى فضيلتها) اى التقوى (اعلم) يا ايها السالك فى طريق الله تعالى بالعلم والعمل مع الاخلاص (اولا) اى قبل الشروع فى المقصود (اى اردت ان اورد) فى هذا الفصل (جميع الآيات القرآنية (الدالة على فضيلة التقوى فوجدتها) اى الآيات (تجاوزت) اى فاتت فى الكثرة (مائة وخمسين) آية (ووجدت صريح الامر) من الله تعالى للعباد (فيها اكثر من اربعين) آية (فاقتصرت من) الآيات (المكررات على) آية (واحدة ولم اراع ترتيب المصحف) فى تقديم الآيات المتقدمات وتأخير المتأخرات (كما راعيت) ذلك (فيما سبق) فى فصل الاعتصام وفصل الاقتصاد وفصل العلوم (تقديما للمناسبة المعنوية) اى من حيث المعنى بين الآيات فانه الاولى بالاعتبار فى التصانيف (الآيات) اى هذا بيان الآيات الواردة فى فضيلة التقوى الآية الاولى من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (ان اكرمكم عندالله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى مهين على الله قاله البيضاوى وقال الشيخ عزالدين اتقاكم اخوفكم له واعملكم بطاعته روى انه لما كان يوم الفتح امر عليه الصلاة والسلام بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة فقال غياث بن اسيد الحمد لله الذى اكرم اسيدا حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان لو قلت شيئا لاخبر به رب السماء فنزلت هذه الآية وقال الواحدى اخبرنا عبد الرحمن ابن عبدان وذكر اسناده عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول يوم القيامة امرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبى

واضع انسابكم ابن المتقون ان اكرمكم عندالله اتقاكم وروى باسناده عن سعيد المقبرى قال سأل رجل عيسى ابن مريم اى الناس افضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اى هاتين افضل الناس خلقوا من تراب فاكرمهم اتقاهم وقال قتادة اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور * الآية الثانية من سورة المائدة وهى قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) للمعاصى والمخالفات فان الطاعه لاتقبل الامن مؤمن تقى قال الخازن يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا فى قصة قابيل وهابيل دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر قابيل فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يقبل قربان قابيل لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين وقال الواحدى قال ابن عباس قال له هابيل انما يتقبل الله ممن كان زاكى القلب والمعنى من المتقى للمعاصى وقال البيضاوى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى له ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محفوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وقال ابن جبل فى التنوير مختصر التفسير الكبير للرازى وانما تقبل قربان هابيل لتقواه قال تعالى * ولكن يناله التقوى منكم * والتقوى فى القلب ولها صفات منها ان يكون على خوف من تقصيره فى تلك الطاعة فيجتهد فى تخليصها منه وان يجتهد فى اخلاص النية وان لا يكون لغير الله فيه شركة وما اصعب مراعاة هذه الشرائط * الآية الثالثة من سورة الانفال وهى قوله تعالى (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون غيره قاله البيضاوى وقال الواحدى المتقون الكفر والشرك والفواحش انتهى وفى مرجع هذا الضمير قولان احدهما انه راجع الى المسجد الحرام قال الخازن قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله تعالى عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ولكن اكثر المشركين لا يعلمون ذلك وقال البيضاوى وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ولكن اكثرهم لا يعلمون اذ لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند اواراد به الكل كما يراد بالقلة العدم والثانى انه راجع الى الله حيث ذكر فى الآية قبله وقد اشار اليه البيضاوى بقوله وقيل الضميران لله يعنى ضمير وما كانوا اولياءه وضمير ان اولياؤه * الآية الرابعة من سورة الجاثية وهى قوله تعالى (والله ولى) اى متولى جميع امور (المتقين) يعنى المؤمنين الذين اتقوا الشرك قاله الواحدى وقال البيضاوى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة * الآية الخامسة من سورة براءة

وهي قوله تعالى (ان الله يحب المتقين) من اتقى الله في اداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهد. قاله الواحدي وقال الخازن يعني انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه *الآية السادسة من سورة النجم وهي قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا تمدحوها بالطهارة او لا تدعوا طاعة بلا عمل وقيل لا تخبروا بخير عملتموه وقال الواحدي قال الحسن علم الله من كل نفس ماهي صانعة والى ماهي صائرة فقال فلا تزكوا انفسكم لا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها يدل على هذا ماروى از زينب بنت ابي سلمة قالت سميت برة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم بالبر منكم وقال الخازن وقيل في معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك اوانا ازكى منك اواتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله تعالى يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى زكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنو عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقال ابو عبد الرحمن السلمي في حقائق القرآن قال ابو عثمان من علم من اين هو والى اين هو وماهو في الوقت علم انه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله تعالى * فلا تزكوا انفسكم *عماذا يزكى نفسه باخلاقه ام بافعاله ام باقواله ام باحواله كلا لكن نفسه هي الامارة بالسوء الى اى جانب ابصر رأى نقص الرق وذل العبودية *الآية السابعة من سورة البقرة وهي قوله تعالى (واعلموا ان الله مع المتقين) بالعون والنصرة كذا ذكره الواحدي وقال البيضاوي فيحرسهم ويصلح شأنهم *الآية الثامنة من سورة طه وهي قوله تعالى (والعاقبة للتقوى) اى العاقبة المحمودة لذوى التقوى قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اى وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين وقال الخازن والعاقبة الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقوني *الآية التاسعة من سورة القصص وهي قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله وقال الشيخ عز الدين اى حسن العاقبة وقيل الثواب وقيل الجنة وقال الخازن اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقال الواحدي قال الكلبي وهم الذين اتقوا الكبائر والفواحش وقال قتادة اى الجنة للمتقين وهم الذين اتقوا عقاب الله باداء

فرائضه واجتناب معاصيه *الآية العاشرة من سورة الزخرف وهي قوله تعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بالاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع على الايمان وهوانه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من آفات قل من يتخلص عنها قاله البيضاوي وقال الواحدي والآخرة يعني الجنة عند ربك للمتقين خاصة لهم وقال الخازن والآخرة يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب *الآية الحادية عشر من سورة ص وهي قوله تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع كما قال البيضاوي وقال الشيخ عز الدين منقلب وقال الخازن اي احسن مرجع ومنقلب يرجعون و ينقلبون اليه في الآخرة * الآية الثانية عشر من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) قال ابن عباس لا تصروا على الذنب اذا اذنب احد فليسرع الرجوع ليغفر الله وقيل الى التوبة من الزنا وشرب الخمر وفي الكلام محذوف على تقدير وسارعوا الى موجب مغفرة من ربكم قاله الواحدي وقال البغوي اي بادروا وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة وقال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة قاله عكرمة وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وقال ابن جميل في التنوير مختصر التفسير الكبير للرازي والمعنى سارعوا الى ما يوجب المغفرة وتمسك بها من قال ان الامر للفور قال ابن عباس هو الاسلام ووجهه ان التنكير في مغفرة للتعظيم فيكون موجبها عظيما وهو الاسلام وعن عثمان رضي الله عنه هو الاخلاص لانه المقصود من العبادات وقيل الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات وقال البيضاوي وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة) اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة قاله الخازن (عرضها السموات والارض) اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس يريد لرجل واحد من اوليائه وقال كريب ارسلني ابن عباس الى رجل من اهل الكتاب اسأله عن هذه الآية فاخرج اسفار موسى فنظر فقال تلفق كما يلفق الثوب فاما طولها فلا يقدر احد قدره وقال الجنان اربع

جنة عدن وهى الدرجة العليا وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى كل جنة منها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها الى بعض وقال ابن جيل فى التنوير والمعنى كعرض السموات لان عرض السموات لايكون عرض الجنة اى لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحدة سطحا ووصل البعض بالبعض كان ذلك مثل عرض الجنة وقيل المراد المبالغة فى وصف سعة الجنة كقوله تعالى *خالدين فيها مادامت السموات *وانما خص العرض بالذكر لان الظاهر ان الطول اعظم كقوله تعالى بطائنها من استبرق *تنبيها بها على الظاهر التى هى اعلى وقال البغوى اى عرضها كعرض السموات والارض كما قال فى سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول كل شئ فى الاغلب اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهرى انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على التمثيل لا انها كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض يعنى عند ظنكم والا فهما زائلتان وروى عن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه وقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثله فى التوراة ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون * واراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والارض كما اخبر تعالى وسئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء ام فى الارض قال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقال ابن جيل فى التنوير فان قيل انتم تقولون ان الجنة فى السماء فكيف تكون كعرض السماء فالجواب المراد انها فوق السماء وتحت العرش ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاين النار فقال سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمراد والله اعلم ان الفلك اذا دار حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى جانب ضده فكذلك الجنة فى العلو والنار فى السفل واما على قول من يقول ان الله تعالى يخلقها يوم القيامة فلا يبعد ان يخلق الجنة فى مكان السموات والنار فى مكان الارض وقال الخازن روى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار (اعدت) اى هيئت (للمتقين) الشرك والفواحش وقال الخازن فيه دليل على الجنة والنار مخلوقتان الآن وقال البيضاوى وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم *الآية

الثالثة عشر من سورة مريم وهي قوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) اي نجعلها ثواب اعمالهم اي جزاءها وعاقبتها لانه باق بعد فان ولان الارث اطيب مال واهناه وقيل يرثون ما اعد للكفار ان لو آمنوا لان الكفر موت وقوله تقيا اي موحدا اومن الشرك والكبائر قاله الشيخ عزالدين بن عبد السلام وقال ابن جبل في التنوير واشير بتلك الى الجنة لانها غائبة واستعير الميراث لاهلها لانها باقية لهم كما يبقى على الوارث مال الموروث اوهي ارث عن الكفار لانهم لو آمنوا لاستحقوها ولان تقواهم اورثهم اياها قال القاضي المرتكب للكبائر الفاسق ليس بمتق فلا يدخل الجنة بالآية والجواب انها تدل على ان المتقي يدخلها اما ان غير المتقي لا يدخلها فلا تدل عليه اومن تقى الكفر يصدق عليه انه متق فتناوله الآية فينعكس الدليل عليهم * الآية الرابعة عشر من سورة الزمر وهي قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين قاله البيضاوي (زمرا) جماعات في تفرقة ذكره الشيخ عزالدين وقال البيضاوي افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه اومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) جواب اذا والواو مقحمة وقيل للحال اي جاؤها مفتحة لا يوقفون وقيل واو الثمانية والجواب محذوف اي فازوا ونالوا المناء وفائدة الحذف تعظيم الامر وقيل الجواب وقال لهم باقحام الواو ذكره الشيخ عزالدين وقال البيضاوي حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) آمنة من الله لكم ان ينالكم بعدها مكروه اواذى قاله العز بن عبد السلام (طبتم) طهرتم من دنس المعاصي ذكره البيضاوي وقال الخازن اي ابشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم وقال الشيخ عزالدين طبتم بطاعة الله اوعن الخبائث وللجنة وطابت اعمالكم فطاب مثواكم (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفو الله تعالى لانه يطهره قاله البيضاوي وقال الخازن وقال علي رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (الآيتين) اي اقرؤا الآيتين بعد هذا الى آخر السورة وذلك

قوله تعالى * وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين * الآية الخامسة عشر من سورة يوسف عليه السلام وهى قوله تعالى (ولدار الآخرة) يعنى الجنة وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى هى لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه قاله الخازن وقال البيضاوى ولدار الحالة او الساعة او الحياة الآخرة (خير) من الدنيا (للذين اتقوا) الشرك و المعاصى (افلا يعقلون) هذا فيؤمنوا ويتقوا الشرك عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة خير من الارض ومافيها ذكره الواحدى وقال البيضاوى افلا يعقلون فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى يعنى قل لهم افلا تعقلون * الآية السادسة عشر من سورة يوسف عليه السلام ايضا وهى قوله تعالى (ولأجر الآخرة) يعنى لثواب الآخرة (خير) اى افضل من اجر الدنيا قاله الخازن وقال الواحدى اى مايعطى الله تعالى من ثواب الآخرة خير ممايعطى المؤمنين فى الدنيا والمعنى ان مايعطى الله تعالى يوسف عليه السلام فى الآخرة خير مما اعطاه فى الدنيا وكذلك غيره ممن يسلك طريقه فى الصبر على المكاره (للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه قاله البيضاوى اى لعظم اجر الآخرة ودوامه كان خيرا وقال الخازن يعنى يتقون مانهى الله عنه * الآية السابعة عشر من سورة الشعراء وهى قوله تعالى (وازلفت الجنة للمتقين) قال ابن عباس قربت الجنة لأوليائى قال ابو اسحق تأويله انه قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها ذكره الواحدى وقال الشيخ عزالدين وازلفت اى تزلف يومئذ حتى يشموا من المحشر ريحها وقال ابن جبل فى التنوير معنى ازلفت قربت وذلك زيادة لنعيم هؤلاء وقال البيضاوى فى ازلفت بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها * الآية الثامنة عشر من سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى (مثل الجنة) أى صفتها قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لايقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة مثل عجيب وشئ عظيم قاله الخازن (التى وعد المتقون) قال الكلبى ومقاتل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم يتقون الشرك ذكره الواحدى * الآية التاسعة عشر من سورة النحل وهى قوله تعالى (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح قاله البيضاوى وقال الواحدى هذا كما تقول نعم الدار دار تنزلها وقال ابن جبل فى التنوير والمخصوص بالمدح محذوف اى ولنعم دار المتقين دار الآخرة

ثم ابتدأ جنات عدن اي هي جنات عدن او جنات هو المخصوص بالمدح ومعنى عدن
الاقامة وقال الخازن دار المتقين الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون
فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى
فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام
به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجري
من تحتها الانهار) يعني تجري الانهار في هذه الجنان تحت دوراهلها وقصورهم
ومساكنهم وقال ابن جبيل في التنوير والمعنى ان لهم ابنية وان الانهار تجري من تحتها
(لهم فيها) اي في تلك الجنات (ما يشاؤن) يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن
يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا قاله الخازن وقال
البيضاوي وفي تقديم الظرف يعني الجار والمجرور تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع
ما يريده الا في الجنة (كذلك يجزي الله المتقين) اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد
الى وصف المتقين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين
من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل
معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا
كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة
والمباعدة عن الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه ان وفاتهم تكون
طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم
عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم
الموت على هذه الحالة قاله الخازن وقال ابن جبيل في التنوير وقوله طيبين يفيد معاني
كثيرة فيندرج فيها اتيانهم بالمأمورات واجتنابهم المنهيات وانهم طاهرون من المعصية
طيبة نفوسهم بالموت قيل المراد وفاة الموت وقيل وفاة الحشر لقوله ادخلوا الجنة
والاكثر على الاول وانه لما بشروا بالجنة صاروا كانهم دخلوها وقال البيضاوي
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم
بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون
سلام عليكم) لا يحيقكم بعد مكروه وقال الخازن تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام
من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة
وقال البيضاوي ادخلوا الجنة حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا
التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ وقال الخازن فان قلت كيف الجمع
بين قوله تعالى * ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل

ورحمة اخرجه فى الصحيحين من حديث ابى هريرة قلت قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لايثبت بالعقل ثواب ولاعقاب ولا ايجاب ولاتحريم ولاغير ذلك من انواع التكليف ولاتثبت هذه الاشياء كلها ولاغيرها الابالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لايجب عليه شئ بل العالم ملكه والدنيا والاخرة فى سلطانه يفعل مايشاء فلوعذب المطيعين و الصالحين وادخلهم النار كان ذلك عد لا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولونعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لايفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح فى خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفى ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لايستحق احد الثواب والجنة بطاعة واما قوله تعالى *ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون* ونحوها من الآيات التى تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلاتعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد من الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اى بسببها وهى من الرحمة والله سبحانه وتعالى اعلم * الآية العشرون من سورة الدخان وهى قوله تعالى (ان المتقين فى مقام) اى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (امين) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال قاله البيضاوى وقال الواحدى امنوا فيه الغير من الموت والحوادث والمقام المجلس كقوله ومقام كريم وقال الشيخ عزالدين مقام امين مكان مأمون من الموت اومن الشيطان والاحزاب اومن الغير والمحن والعذاب (فى جنات وعيون) بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذبه من المآكل والمشارب قاله البيضاوى (يلبسون من سندس واستبرق) السندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب اومشتق من البراقة ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين السندس مارق من الديباج مما يلبس والاستبرق ماغلظ منه مما يفترش وقال الخازن فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ العجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا وقال الشيخ عزالدين متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد اوفى المجالس وقال البيضاوى متقابلين فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) اى الامر كذلك اوآتيناهم مثل ذلك وقال الخازن اى كما

﴿ اكرمناهم ﴾

اكرناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم (وزوجناهم بحورعين) اى قرناهم بهن ليس هومن عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين و الحور من النساء النقيات البياض وقيل اللاتى يحار الطرف من بياضهن وصفاءلونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين وقال الشيخ عزالدين العين جمع عيناء وهى العظيمة العينين من النساء (يدعون فيهابكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار مايشتهون من الفواكه لايتخصص شئ منهما بمكان ولازمان وقال الشيخ عزالدين بكل فاكهة نوع مما اشتهوه منهما (آمنين) من الضرر قاله البيضاوى وقال الخازن اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيهما من الموت والاوصاب والشيطان وقال الشيخ عزالدين آمنين من غائلتها وغب اذاها ونفادها (لا يذوقون فيهما الموت الاالموتة الاولى) اى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فيها وقيل الامعنى لكن وتقديره لايذوقون فيهما الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت فى الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكأن موتهم فى الدنيا انهم فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها قاله الخازن وقال الشيخ عزالدين الاالموتة الاولى اى سوى ماذاقوه كقوله الاماقدسلف وقيل بعدها والعرب تضع الكلمة مكان غيرها اذاتقارب معناهما وقيل بمعنى لكن الموتة الاولى فقدذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلامنه قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلامنه (ذلك هوالفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب قاله البيضاوى *الآية الحادية والعشرون من سورة الطور وهى قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين قاله البيضاوى وقال الخازن اى معجبين بذلك ناعمين (بماآتيهم ربهم) اى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم) وصرف عنهم (عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اى يقال لهم ذلك (هنيئا) اى مأمون العاقبة من التخمة والسقم قاله الخازن وقال البيضاوى اى اكلاوشرباهنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهوالذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه اوبدله وقيل الباء زائدة ومافاعل هنيئا والمعنى هنأكم ماكنتم تعملون اى جزاؤه وقال الخازن بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحورعين) اى صيرناهم ازواجا بسببهن *الآية الثانية والعشرون من سورة المرسلات وهى قوله تعالى (ان المتقين) اى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهوظل

الاشجار (وعيون) اى فى ظلها عيون ماء قاله الخازن (وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى انواع الترفه قاله البيضاوى (كلوا واشربوا) اى ويقال لهم ذلك وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لا بواسطة وما اعظمها من نعمة وان يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الطاعات قاله الخازن (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة ذكره البيضاوى وقال الخازن قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم *الآية الثالثة والعشرون من سورة النبأ وهى قوله تعالى (ان للمتقين) الذين لم يجعلوا لله شريكا (مفازا) فوزا بالجنة ونجاة من النار ثم فسر ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعنى اشجار الجنة وثمارها قاله الواحدى وقال البيضاوى مفازا فوزا اوموضع فوز والحدائق والاعناب بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وقال الخازن الحدائق جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه نخل (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن (اترابا) اى مستويات فى السن وقال الشيخ عز الدين كواعب نواهد اوعذارى اترابا اقرانا مستويات على سن واحد متصافيات متواخيات وقيل لذيذات على سن ثمانى عشرة سنة (وكأسا دهاقا) ملأى متابعة صافية وقال الخازن قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متابعة وقيل صافية وقال الواحدى عن مسلم بن قسطاس قال دعا ابن عباس غلاما فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقال سعيد ابن جبير ومجاهد هى المتابعة (لا يسمعون فيها) اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم (لغوا) اى باطلا من الكلام (ولا كذابا) اى تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به قاله الخازن وقال الواحدى قال ابن عباس وذلك ان اهل الدنيا اذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل واهل الجنة اذا شربوا لم يتكلموا عليها بشئ يكرهه الله تعالى (جزاء من ربك) قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك (عطاء) اى واعطاهم عطاء (حسابا) قال ابو عبيدة كافيا وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اى اكثرت له واعطيته ما يكفيه قال الزجاج اى فى ذلك الجزاء كل ما يشتهون *الآية الرابعة والعشرون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس قاله البيضاوى وقال البغوى نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون نحن نحج

بيت الله افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا اى ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الزاد الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب وقال الواحدى فان خير الزاد التقوى يعنى ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وانفسكم عن الظلم فهـذا نوع تقوى وقال الخازن وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد فيحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضـل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة (واتقون) اى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله عزوجل (ياأولى الالباب) اى ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور وقال البيضاوى فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب * الآية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيـل لباس الحرب قاله البيضاوى وقال ابن جميل فى التنوير وفى اللباس قولان احدهما انه الملبوس لانه الحقيقة وفيه وجوه احدها ان المراد اللباس المتقدم يعنى فى الآية قبله يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا واعيد ذكره لاضافته الى التقوى وللاخبـار عنه بانه خير ردا لما كانوا يعتقدون فى الطواف عراة الثـانى المراد ما يلبس فى الحروب للوقاية الثالث المراد ما يعد من اللباس للصلاة * القول الثانى انه مجاز قيل هو الايمان او قيل العمل الصالح وقيل العفاف والتوحيد لان المؤمن مستور وان عرى عن الثياب والفـاجر مكشوف العورة وان كان كاسيا وقيل هو الحياء وقيل ما يظهر على الانسان من السكينة والعمل الصالح وقال الخـازن اختلف العلماء فى معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول يعنى المذكور فى الآية قبله وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انمـا اعاده ليخبر عنه بانه خير لان العرب فى الجـاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لبـاس التقوى وذلك خير وقال زيد بن على لباس التقوى آلات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقيه

من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وقال الواحدي والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله مما خلق له من اللباس والرياش للتجمل * الآية السادسة والعشرون من سورة الحجرات وهي قوله تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها اوعرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف اوللفعل باعتبار الاصل اوجرب قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها اواخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه قاله البيضاوي وقال الواحدي قال الفراء اخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه ويسقط خبثه وعلى هذا تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه ولهذا قال مقاتل ومجاهد وقتادة اخلص الله قلوبهم * الآية السابعة والعشرون من سورة الحج وهي قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) شعائر الله المعالم التي ندب الله تعالى اليها وامر بالقيام بها واحدتها شعيرة فالصفا والمروة من شعائر الله والذي يعني به ههنا البدن قاله الزجاج وقال البيضاوي شعائر الله دين الله اوفرائض الحج ومواضع نسكه اوالهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما وقال الواحدي يعني بتعظيم شعائر الله استعظام الهدايا والضحايا والشعائر جمع شعيرة وهي البدن يقال اشعر الرجل بدنته اذا جعل عليها علامة ليعلم انه اوجبها بدنة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه في الابل والبقر بجرح سنامها من الجانب الايمن وهي مستقبلة القبلة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الغنم فانها ضعيفة لا تحتمل الاشعار والشعيرة بمعنى المشعرة فانها قال الفراء اريد فان الفعلة كما قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال ابن عباس يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون واضاف التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلوب كما روي في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التقوى ههنا واشار الى صدره وقال ابن جبيل في التنوير والشعائر ما ينصب اعلاما لشيء قيل هو معام

وقيل هو افعال الحج وقيل الهدايا وتعظيمها بأن يعتقد الطاعة فى التقرب بها وبأن يختارها عظيمة سمينة ولا يماكس فى ثمنها وكذلك الاضحية والرقبة ومعنى فانها من تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات لان المعنى يدل عليها واضيفت الى القلوب لانها محل الاخلاص وبالغ سبحانه فى تعظيم الهدايا ابعادا عن عادات الجاهلية وقال الشيخ عز الدين تقوى القلوب اخلاصها وقيل قصد الثواب * الآية الثامنة والعشرون من سورة براءة وهى قوله تعالى (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة قاله البيضاوى وقال الواحدى البنيان مصدر يراد به المبنى ههنا والتأسيس احكام اساس البناء وهواصله وقرأ نافع اسس بضم الالف بنيانه رفعا هذا فى المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنيانه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق وهو قوله ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الآية وقال الخازن افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله تعالى ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير اساس ثابت * الآية التاسعة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها فى الآخرة (للذين يتقون) الكفر والمعاصى قاله البيضاوى وقال الواحدى قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت فى الدنيا البر والفاجر وهى يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة وقمنا معه فقال اعرابى وهو فى الصلاة اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابى لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عزوجل رواه البخارى وقال قتادة وابن عيينة فى قوله ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتورية والانجيل ونؤتى الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى * وهو نبيكم كان اميا لا يكتب وقال الخازن فرحمة الله تعالى عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة وتقدم هذا فى الاعتصام بالسنة * الآية الثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى

(هدى للمتقين) اى هو هدى يعنى القرآن اى رشد و بيان لاهل التقوى والهدى مايهتدى به الانسان قاله البغوى وقال البيضاوى يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى *لعلى هدى او فى ضلال مبين* ولانه لايقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم اوكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس اولانه لاينتفع بالتأمل فيه الامن صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والنظر فى المعجزات ونعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا مالم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله *ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا* ولايقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى مالم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى *والزمهم كلمة التقوى* والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عندقوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى *ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا* والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيق المطلوب بقوله تعالى *يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته* وقد فسر قوله تعالى *هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة وقال البغوى قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين مايقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب عما نهى حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثنى عن التقوى فقال هل اخذت اى سلكت طريقا ذاشوك قال نعم قال فاعملت فيه قال حذرت وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لاترى نفسك خيرا من احد وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ماحرم الله واداء ماافترض الله فمارزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الواحدى والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كانه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذر المن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد

الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر* واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما *الآية الحادية والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال البيضاوى للمتقين من قومهم يعنى بنى اسرائيل اولكل متق سمعها وقال الواحدى نهيا وعبرة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يتجاوزوا ماحدلهم *الآية الثانية والثلاثون من سورة الانبياء عليهم السلام وهى قوله تعالى (وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون اوذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع وقال ابن جبل فى التنوير وخص الذكر بالمتقين لانهم المنتفعون به وقال الخازن يعنى يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه *الآية الثالثة والثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) يا ايها الناس عموم فى كل مكلف من مؤمن وكافر قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة ومعنى اعبدوا ربكم اى وحدوا ربكم واخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك الا المالك الاعيان قاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس كل ماورد فى القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقال البيضاوى فالناس يعم المؤمنين الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الاماخصه الدليل ومارى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس مكى ويا ايها الذين آمنوا فدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب مالايتم الابه وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بما عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وبقاؤهم عليها اى العبادة وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربوبية (الذى خلقكم) الخلق ابداع شئ لم يسبق اليه وكل شئ خلقه الله فهو مبتديه اولا على غير مثال سبق اليه قاله الواحدى وقال البيضاوى الخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان وقال الواحدى ومعنى الآية ان الله تعالى احتج على العرب بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فقيل لهم اذ كنتم معترفين بانه خالقكم فاعبدوه فان عبادة الخالق اولى من عبادة المخلوقين من الاصنام (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال

اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى * يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه * وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال تعالى * وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * وهو ضعيف اذلم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لايستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لماوجبت عليه شكرا لماعدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قيل ان لعل تكون ترجيا وتكون بمعنى كى وقيل لعل كلمة ترجئة وتطميع اى كونوا على رجاء وطمع ان تتقوا بعبادتكم عقوبة الله ان تحل بكم كما قال فى قصة فرعون * لعله يتذكر او يخشى كأنه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بمايؤول اليه امره وقال البغوى لعلكم تتقون لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء كما قال * فقولاله قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * اى ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل مايشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب انتهى وهذه اشارة الى ان فرعون تذكر وخشى قطعا تصديقا لرجاء الله تعالى منه ذلك وهو يقتضى قبول ايمانه كما جزم به الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه وتابعه عليه الجلال الدوانى فى رسالة له فى ذلك وغيره ايضا * الآية الرابعة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (واذكروا مافيه) مافى الكتاب ادرسوه ولاتنسوه اوتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب اواعملوا به (لعلكم تتقون) لكى تتقوا المعاصى اورجاء منكم ان تكونوا متقين قاله البيضاوى وقال البغوى اذكروا ادرسوا وقيل احفظوا لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فان قبلتم والارضختكم بهذا الجبل وغرقتكم بهذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لامهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لايسجدون الاعلى انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا وقال الواحدى المعنى احفظوا مافى التوراة من الحلال والحرام واعملوا بمافيه وقيل واذكروا مافيه من الثواب والعقاب لكى تتقوا محارمى فتتركوها فتنجوا من العذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة * الآية الخامسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل

في القتل القتل قال الفتل وقيل معنى الحياة بلاقاته من قصاص الآخرة فانه
اذا اقتص منه حي في الآخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة
قاله البغوي وقال الواحدي وقيل جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لاهل السفه
والجهل من الناس فكم من رجل قد هم بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها اي لفعلها
ولكن الله حجز بالقصاص عباده بعضهم عن بعض وهذا قول اكثر اهل التفسير
والنصارى كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة فلما قصروا على الواحد بالواحد
كان في ذلك حياة وقال لا يقتل الا القاتل بجنايته وقال البيضاوي هذا كلام في غاية
الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكرت الحياة
ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم
وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة للقلوب
(يااولي الالباب) ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) في المحافظة على القصاص والحكم والاذعان له
او عن القصاص فتكفوا عن القتل * الآية السادسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا
وهي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب) اي فرض (عليكم الصيام) مصدر صام
كالقيام من قام واصله في اللغة الامساك عن الشيء والترك له ومنه قيل للصمت صوم لانه
امساك عن الكلام قال الله تعالى * فقولي اني نذرت للرحمن صوما * يقال صام النهار اذا
قام قائم الظهيرة وصامت الريح اذا ركدت وصام الفرس اذ قام على غير اعتلاف هذا
اصله في اللغة وفي الشرع يعني هو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية
في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس واجماع المفسرين على ان هذا
الصيام صيام شهر رمضان وكان الفرض في ابتداء الاسلام صوم يوم عاشوراء وثلاثة
ايام من كل شهر فنسخ ذلك بصيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهرين قاله الواحدي
(كما كتب على الذين من قبلكم) يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم
وترغيب في الفعل وتطييب على النفس ذكره البيضاوي وقال البغوي واختلفوا في هذا
التشبيه قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء
الاسلام وقال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى
كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل
من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا
فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فيه فجعل لله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد

فی صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فیه اسبوعا ثم مات ذلك الملك وولیهم ملك آخر فقال اتموه خمسین یوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا زیدوا فی صیامکم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبی لو صمت السنة کلها لافطرت الیوم الذی یشك فیه فیقال من شعبان و یقال من رمضان وذلك ان النصاری فرض علیهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثین یوما و بعدها یوما ثم لم یزل القرن الآخر یستن بسنة القرن الذی قبله حتی صاروا الی خمسین یوما فذلك قوله کما کتب علی الذین من قبلکم (لعلکم تتقون) یعنی الصوم لان الصوم صلة الی التقوی لما فیه من قهر النفس وکسر الشهوات وقیل لعلکم تحذرون عن الشهوات من الاکل و لشرب والجماع وقال الواحدی وقیل لتتقوا المعاصی فان الصیام وصلة الی التقی لانه یکف الانسان عن کثیر مما تطلع الیه النفس من المعاصی وقال الخازن وقیل معناه لعلکم تتقون مافعله النصاری من تغییر الصوم وقیل لعلکم تنتظمون فی زمرة المتقین لان الصوم من شعارهم *الآیة السابعة والثلاثون من سورة البقرة ایضا وهی قوله تعالی (کذلك) ای مثل هذا البیان الذی ذکر (یبین الله آیاته للناس) ای معالم دینه واحکام شریعته (لعلهم یتقون) ای لکی یتقوا ما حرم علیهم فینجوا من العذاب قاله الخازن وقال البیضاوی لعلهم یتقون مخالفة الاوامر والنواهی *الآیة الثامنة والثلاثون من سورة الانعام وهی قوله تعالی (وانذر به) الضمیر لله تعالی وقیل للقرآن وهو الظاهر لان التخویف انما یقع بالقول (الذین یخافون ان یحشروا الی ربهم) قیل هم الکفار لانه صلی الله علیه وسلم کان یخوفهم بالآخرة وقد یقع فی قلوبهم ان ذلك حق ولان المؤمنین یتیقنون الحشر فلا یوصفون بانهم یخافونه وقیل هم المؤمنون لانهم یوقنون بالبعث ویخافون من العذاب منه وقیل یتناول الجمیع لانه صلی الله علیه وسلم مبعوث للجمیع ومأمور بالتبلیغ وخص الذین یخافون لان انتفاعهم به اشد فیحملهم علی عداد الزادله قاله ابن جیل فی التنویر وقال الواحدی یرید المؤمنین یخافون یوم القیمة ومافیها من الاهوال علما بانه سیکون وقال الخازن وقیل معنی یخافون یعلمون والمراد بهم کل معترف بالبعث من مسلم وکتابی وقال البیضاوی هم المؤمنون المفرطون فی العمل او المجوزون الحشر مؤمنا کان او کافرا مقرا به اومترددا فیه فان الانذار ینجع فیهم دون الفارغین عنه الجازمین باستحالته (لیس لهم من دونه) ای من دون الله (ولی) ای قریب ینفعهم (ولاشفیع) یعنی یشفع لهم قاله الخازن وقال ابن جیل فی التنویر فان کانوا یعنی الذین یخافون ان یحشروا هم الکفار فظاهر وان کانوا اهم المؤمنین لم ینافِ مذهبنا فی اثبات الشفاعة لهم لانها انما تکون باذنه فهو فی الحقیقة منه وقال الواحدی لان شفاعة الرسل والملائکة للمؤمنین انما تکون باذن الله (لعلهم یتقون) کی یخافوا فینتهوا عما نهیتهم *الآیة التاسعة والثلاثون من سورة الانعام ایضا وهی قوله تعالی (ذلکم) یعنی عدم

اتباعكم السبل المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية (وصاكم) الله تعالى (به) من لطفه بكم ورأفته (لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق قاله لبيضاوى وقال الخازن يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة وقل ابن جميل فى التنوير اى المعاصى والضلالات *الآية الاربعون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (اعدلوا) يعنى فى اوليائكم واعدائكم قاله البغوى وقل لواحدى اعدلوا فى الولى والعدو (هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب لاتقاء النار وقال الخازن امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو وقال ابن جميل فى التنوير هو اقرب للتقوى اى اقرب للاتقاء من المعاصى اومن عذاب الله واذا كان هذا فى العدل مع الكفار فكيف به مع المؤمنين *الآية الحادية والاربعون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وان تعفوا اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا ومعناه عفو بعضهم عن بعض ادعى الى اتقاء معاصى الله تعالى لان هذا العفو ندب فاذا انتدب اليه علم انه لما كان فرضا اشد استعمالا قاله الواحدى *الآية الثانية والاربعون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر ومايؤثمهم (لمثوبة من عند الله خير) اى لكان ثواب الله اياهم خيرا وقال الواحدى المثوبة كالثواب ومعنى الآية ان ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر وقال البيضاوى ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير* الآية الثالثة والاربعون من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (وان تصبروا) على عداوتهم يعنى المنافقين اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم اوما حرم الله تعالى عليكم (لايضركم كيدهم شيئا) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم قاله البيضاوى وقال الخازن وان تصبروا على اذاهم وقيل على طاعة الله وما نالكم فيها من شدة وتتقوا اى تخافوا ربكم وقيل بما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لايضركم اى لا ينقصكم كيدهم اى عداوتهم ومكرهم شيئا لانكم فى عناية الله وحفظه وقال الواحدى وان تصبروا على ماتسمعون من اذاهم وتتقوا مقاربتهم فى دينهم والمحبة لهم لايضركم كيدهم شيئا ضمن الله للمؤمنين النصر ان صبروا واعلمهم ان عداوتهم وكيدهم غير ضارهم *الآية الرابعة والاربعون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (بلى) تصديق لوعد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب للايمان يعنى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية وهو متعلق بالآيات قبله (ان تصبروا) اى على لقاء عدوكم (وتتقوا) يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) يعنى المشركين قاله الخازن (من فورهم هذا) قال ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد

والضحاك من غضبهم هذا قاله البغوى وقال الواحدى واصل الفور غليان القدر يقال فارت القدر تفور فورا ثم يقال للغضبان فار فاره اذا اشتد غضبه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ماذكر فى الآية قبله من ثلاثة آلاف بل اراد معهم (مسومين) اى معلمين قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو اراد به سوموا خيلهم ومن فتحها اراد به انفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهى العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام والكلبى عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم قاله البغوى وقال الخازن روى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى الفين من الملائكة وكان بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه * الآية الخامسة والاربعون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (وان تصبروا) على الاذى الذى ينالكم (وتتقوا) بترك المعارضة والمعاصى قاله الواحدى وقال الخازن الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التى يجب العزم عليها اومما عزم الله عليه اى امر به و بالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه قاله البيضاوى وقال البغوى من عزم الامور اى من حق الامور وحتمها قال عطاء من حقيقة الايمان وقال الواحدى اى مما يعزم عليه من الامر اظهور رشده وقال الخازن اى من صواب التدبير الذى لاشك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اى الزمتك ان تفعله لامحالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى الزمكم الاخذ به انتهى * الآية السادسة والاربعون من سورة النساء وهى قوله تعالى (وان تصلحوا) بما كنتم تفسدون (وتتقوا) فيما يستقبل (فان الله كان

غفورا رحيما) يغفر لكم ما مضى قاله البيضاوى *الآية السابعة والاربعون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (ولوان اهل الكتاب آمنوا) صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التى عملوها قبل ان تأتيهم والمعنى محونا ذنوبهم التى سلفت بالايمان بك قاله الواحدى وقال البيضاوى آمنوا بمحمد وماجاءبه واتقوا ماعددنا عليهم من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولانؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) وجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم وقال ابن جيل فى التنوير هذا ترغيب فى الانابة وبيان لسعة رحمة الله وانهم لورجعوا لقبلوا ولسعدوا فى الآخرة باسقاط عقابهم المشار اليه بقوله لكفرنا عنهم سيئاتهم و بايصال الثواب المشار اليه بقوله ولادخلناهم جنات النعيم ومعنى واتقوا اتوا بالايمان للتقوى لالغرض آخر كفعل المنافقين*الآية الثامنة والاربعون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ولوان اهل القرى) يعنى القرى المداول عليهابقوله * وماارسلنا فى قرية من نبى*وقيل مكة وما حولها قاله البيضاوى وقال الواحدى فى قوله تعالى * وماارسلنا فى قرية* قال ابن عباس يريد فى مدينة والقرى فى كتاب الله المدائن (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس وحد واواتقوا الشرك وقال الخازن آمنوا بالله ورسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا مانهى الله عنه وحرمه عليهم وقال ابن جيل المعنى ان المهلكين لواتوا بالايمان واتقوا المناهى (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لنالتهم بركات السماء من الامطار والرياح اللواقح وغير ذلك والارض من النبات والحيوان وغير ذلك قاله ابن جيل وقال البيضاوى لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقال الواحدى قال ابن عباس يريد الامطار والخصب وكثرة المواشى والانعام وقال ابو محمد الخازن فبركات السماء المطر و بركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيهما من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات و كل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى اصل البركة المواظبة على الشئ اى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا) يعنى فطلبنابهم ذلك ليؤمنوا فاآمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل (فاخذناهم) يعنى بانواع العذاب (بما كانوا يكسبون) بسبب كسبهم لاعمال الخبيثة وقال الواحدى فاخذناهم بالجدوبة والقحط بما كانوا يكسبون من الكفر

والمعصية * الآية التاسعة والاربعون من سورة الانفال وهى قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) يعنى بطاعته وترك معاصيه قاله الخازن وقال الواحدى باجتناب الخيانة (يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل اونصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين اومخرجا من الشبهات اونجاة عما تحذرون فى الدارين اوظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم من قوله بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح قاله البيضاوى وقال الواحدى فرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من اعدائكم بنصره اياكم عليهم وقيل فرقانا نجاة يعنى يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون والفرقان مصدر لفرق وقال الخازن يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا فى قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من الشبهات وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهيه (ويكفر عنكم سيئاتكم) اى ويسترها (ويغفر لكم ذنوبكم) بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله لهم قاله البيضاوى وقال الواحدى يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم) اى انه يملك الفضل العظيم فاكتفوا بطلب ماعنده دون غيره وقال البيضاوى تنبيه على ان ماوعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل وقال الخازن لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من غيره * الآية الخمسون من سورة النور وهى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به او فى الفرائض والسنن قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس فيما ساءه وسره وقال مقاتل فى امر الحكم (ويخش الله) فى ذنوبه التى عملها (ويتقه) فيما بعد فلم يعص الله والمعنى يتق عذاب الله بطاعته وقال البيضاوى ويخش الله على ماصدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقى من عمره وقال ابن جبل ويخش الله فيما صدر عنه ماضيا ويتقه فى المستقبل وهذه الآية جامعة لكل ماينبغى للمؤمن ان يفعله (فاولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم قاله البيضاوى وقال الخازن اى الناجون * الآية الحادية والخمسون من سورة الطلاق وهى قوله تعالى (ومن يتق الله) فى الحرام والمعصية (يجعل له مخرجا) الى الحلال

والطاعة قاله العز بن عبدالسلام وقال الواحدى قال اكثر المفسرين نزلت فى عوف ابن مالك الاشجعى اسر العدو ابنا له فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وشكى اليه الفاقة ايضا فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه فذلك قوله (و يرزقه من حيث لا يحتسب) وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت هذه الآية وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم وقال ابن مسعود* ومن يتق الله يجعل له مخرجا* هو انه يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا هو انه يعلم انه يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس من كل شدة وقيل مخرجا عن ما نهاه الله عنه قاله الخازن وقال الواحدى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال البيضاوى وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها *الآية الثانية والخمسون من سورة الطلاق ايضا وهى قوله تعالى (ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقها قاله البيضاوى وقال الواحدى فى جميع ما امره به بطاعته (يجعل له من امره يسرا) يسهل عليه امر الدنيا والآخرة وقال البيضاوى يسهل عليه امره ويوفقه للخير * الآية الثالثة والخمسون من سورة الطلاق ايضا وهى قوله تعالى (ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقها ذكره البيضاوى وقال الواحدى يتق الله بطاعته (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة (و يعظم له) فى الآخرة (اجرا) وقال البيضاوى يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات و يعظم له اجرا بالمضاعفة * الآية الرابعة والخمسون من سورة الاحزاب وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده قاله البيضاوى وقال الخازن قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو لا اله الا الله وقال عز الدين بن عبد السلام او صوابا فى شأن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو التوحيد وقيل هو القول الذى يوافق ظاهره باطنه او ما اريد به وجه الله (يصلح لكم اعمالكم) يقبل طاعتكم او يوفقكم لصالح الاعمال وقال الخازن قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال البيضاوى يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها *الآية

الخامسة والخمسون من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح قاله البيضاوى وقال الخازن لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى وقال ابن جبيل التقوى هنا واجب لان الفلاح يتوقف عليه فلولم يتق زال الفلاح *الآية السادسة والخمسون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) اى اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته قاله الواحدى وقال البيضاوى تشكرون ما انعم الله عليكم بتقواكم من نصره اولعلكم ينعم عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه *الآية السابعة والخمسون من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (واتقوا الله) فلاتعصوه ولاتخالفوا امره قاله الخازن وقال البيضاوى اتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم *الآية الثامنة والخمسون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (وتعاونوا) اى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) قيل البر متابعة الامر والتقوى مجنبة النهى وقيل البر الاسلام والتقوى السنة قاله البغوى وقال الخازن يعنى ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة وقال البيضاوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى وقال ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن قيل البر ما وافقك عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى وقيل البر مااطمأن اليه قلبك من غير ان ينكره بجهة ولاسبب وقال بعضهم تعاونوا على البر والتقوى وهو طاعة الاكابر من السادات والمشايخ ولاتضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم وخدمتهم وقال سهل البر الايمان والتقوى السنة *الآية التاسعة والخمسون من سورة العلق وهى قوله تعالى (اوامر بالتقوى) اى تقوى الله قال الواحدى يعنى بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله وقال الخازن يعنى بالاخلاص والتوحيد *الآية الستون من سورة النساء وهى قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة قاله الخازن وقال البغوى يعنى اهل التوراة والانجيل وسائر الامم المتقدمة فى كتبهم وقال البيضاوى من متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) يعنى ووصيناكم يا اهل القرآن فى كتابكم قاله الخازن وقال البيضاوى واياكم عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وقال البغوى اى وحدوا الله واطيعوه وقال الخازن اى بان تتقوا الله وهو ان يعبدوه وتطيعوه وتحذروه ولاتخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم *الآية الحادية والستون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (قال اتقوا الله) يعنى قال عيسى لهم اى للحواريين القائلين له هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة

من السماء الآية اتقوا الله اى اتقوا ان تسألوا اشياء لم تسأله الامم قبلكم قاله الواحدى وقال الخازن يعنى قال عيسى عليه السلام مجيبا للحواريين اتقوا الله (ان كنتم مؤمنين) يعنى اتقوا فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا فى قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوا شيئا لم يسأله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات وقال البيضاوى اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان وقال ابن جميل فى التنوير وقوله لهم اتقوا الله يحتمل لا تطلبوا هذا الطلب لانه تعنت وقد تقدمت معجزات كثيرة ويحتمل استعينوا على هذا بالتقوى كقوله * ومن يتق الله يجعل له مخرجا * فاجعلوا تقواكم وسيلة الى ذلك * الآية الثانية والستون من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه ما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب لا محالة والاجتناب عن المحارم كقوله * فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود ان يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها قاله البيضاوى وقال الواحدى لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة ولم يطيقوا ذلك فانزل الله تعالى على نبيه فاتقوا الله ما استطعتم يقول ما اطقتم فلم يكلف العباد من طاعته وعبادته الا ما استطاعوا فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اوصنى قال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك فى الارض ونور لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال الخازن قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة فى الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمى الدبر ومنا سعد ابن معاذ الذى اهتز العرش له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا اربعة احكموا القرآن ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عز وجل هذه الآية * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته * واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ اولا على وجهين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا

فانزل الله تعالى الناسخ هو قوله تعالى فى سورة التغابن* فاتقوا الله ما ستطعتم * وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى والوجه الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية الشريفة فمن قال انهـا منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد عند خطور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان* الآية الثالثة والستون من سورة التغابن وهى قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ما طقتم وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته* قاله الخازن وقال البيضاوى اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم وقال العز بن عبد السلام ما استطعتم اى بجهدكم وما اطقتم لو بلغه وسعكم وقيل ان يطاع فلا يعصى وقيل فى التطوعات وقيل نسخ هذا قوله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم وتقرحت جباههم اى مقدار طاقتكم (فما من خصلة من خصال الخير اكثر ذكر او ثناء عليها) اى مدحا لها (فى كتاب الله) تعالى (من) خصلة (التقوى) لانهـا كلمة جامعة لكل خير (فتأمل) يا ايها السالك (فيما كتبنا) لك (من الآيات الكريمة) ثم اشار الى ما تقدم ذكره من الآيات فقال (كيف كان المتقى عند الله) تعالى (اكرم) اشارة الى الآية الاولى من قوله تعالى* ان اكرمكم عند الله اتقاكم (و) كان (مقبول الطاعة) اشارة الى الآية الثانية من قوله سبحانه *انما يتقبل الله من المتقين (و) كان (وليه) اى ولى الله تعالى اشارة الى الآية الثالثة والرابعة من قوله تعالى *ان اولياؤه الا المتقون والله ولى المتقين (و) كان (حبيبه) اى حبيب الله تعالى اشارة الى الآية الخامسة من قوله تعالى ان الله يحب المتقين (وكيف كان الله) تعالى (له وليا ومحبا ومزكيا) اى مطهرا من الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة (وناصرا له) فى الدنيا والآخرة اشارة الى الآية السادسة والسابعة من قوله تعالى *فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى واعلموا ان الله مع المتقين (وكيف كان له) اى للمتقى (العاقبة) الحسنة والمنقلب المرضى (والآخرة) الصالحة (وحسن مآب) اى مرجع الى الله تعالى اشارة الى الآية الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشر من قوله سبحانه وتعالى *والعاقبة

للتقوى وقوله تعالى * والعاقبة للمتقين وقوله تعالى * والآخرة عند ربك للمتقين * وقوله تعالى * وان للمتقين لحسن مآب (وكيف اعدت له) اى للمتقى (الجنة واورثت له ايضا (وازلفت) اى قربت (ووعدت به) اى وعده الله تعالى بها (وكانت له دار) اشارة الى الآية الثانية عشر وما بعدها الى الآية الثالثة والعشرين (وكيف كانت التقوى للآخرة زادا ولباسا) اشارة الى الآية الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من قوله تعالى * وتزودوا فان خير الزاد التقوى ولباس التقوى ذلك خير (وكيف اضيفت يعني التقوى (الى الرئيس) على جميع الاعضاء (الاشرف) من غيره وهو القلب (وامتحن) اى ذلك الرئيس (بها) اشارة الى الآية السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من قوله تعالى * اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (وكيف جعلت) اى التقوى (سببا للخيرية) فى كل عمل صالح (وكتابة) اى الزام الله تعالى (الرحمة) لنفسه فى حق عباده اشارة الى الآية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من قوله تعالى * افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون (وكيف خص لها) اي لاجل التقوى (كون كتاب الله) تعالى (هدى وموعظة وذكرى) فانه لولا التقوى فى المتقين ما كان كتاب الله تعالى هدى وموعظة وذكرى لهم اشارة الى الاية الثلاثين والحادية والثلاثين والثانية والثلاثين من قوله تعالى * هدى للمتقين وموعظة للمتقين وذكرى للمتقين (وكيف جعلت) اي التقوى (غاية) اى منتهى مقام (للعبادة والذكر والقصاص والصيام) من العباد (والتبيين) من الله تعالى (والانذار) من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والتوصية) منه تعالى (والعدل والعفو) من العباد اشارة الى الآية الثالثة والثلاثين من قوله تعالى * يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى الآية الحادية والاربعين (وكيف كانت) اى التقوى شرطا (وسببا للتوبة) من عند الله تعالى (ودفع الكيد) من الاعداء (والامداد بالملائكة (وتبيان) اى فعل ما يجب العزم عليه من الامور (و) حصول (للمغفرة) للعباد (والرحمة) لهم (بالوعد الصادق) من الله تعالى (وتكفير) اى تغطية (السيئات) من الذنوب (وادخال الجنة وفتح البركات) من السماء والارض (والتفرقة بين الحق والباطل) فى كل اعتقاد وقول وعمل (والفوز) بالسعادة الابدية (والخروج من المضايق) الدنيوية والاخروية (و) حصول (الرزق) للعبد (من حيث لا يحتسب و) جعل (اليسر) من كل امر عسير (واعظام الاجر) من الله تعالى (واصلاح العمل) فى الظاهر والباطن (و) حصول (الفلاح) فى الدنيا والآخرة (و) حصول (الشكر لله تعالى) وهذا كله اشارة الى الآية الثانية والاربعين من قوله تعالى * ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير الى الآية السادسة والخمسين

(وكيف امر) الله تعالى (بالتعاون عليها) اى على التقوى (ومدح الآمر بها) من الناس (ووصى) بالبناء للمفعول اى وصى الله تعالى (بها) اى بالتقوى (الاولون والآخرون) من سائر الامم (وجعلت) اى التقوى (مقتضى الايمان وهو مشروط بها وامر) بالبناء للمفعول اى امر الله تعالى عبده (بتحصيل حقيقتها) اى التقوى (و) تحصيل (كمالها بقدر الاستطاعة) وهذا اشارة الى الآية السابعة والخمسين من قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى * الى الآية الثالثة والستين (فيا ايها الطالب للآخرة) من اصحاب الهمم العلية (والسالك) فى (طريقها) اى الآخرة دون المتمنى لذلك المنهمك فى شهواته وغفلاته (ان كنت صادقا فى دعواك) الطلب والسلوك (اكبب عليها) اى على التقوى بمعنى لازمها ولاتنفك عنها (وصر عاشقا مستهترا) اى مستدبما (لها) اى للتقوى (بحيث لايعوقك) عنها عائق (من جميع) امورك (اصلا ولو اجتمعت الانس والجن على ذلك) العائق وقصدوا ان يعيقوك به لايقدروا من كثرة حرصك وشدة مواظبتك (ولكن الله) سبحانه لايمنعه مانع عما يريد ولو حرص العبد ابلغ حرص فانه تعالى (يضل) بمحض عدله (من يشاء) من عباده ولو اجتهد فى الهداية ماعسى ان يجتهد (ويهدى) بخالص فضله (من يشاء) من عباده ولو اجتهد فى الضلالة ماعسى ان يجتهد (بيده) سبحانه وتعالى (الخير) المحض الخالص واما الشر فهو بيد النفوس والشر والنفوس بيده جل وعلا فالخير منه بلاواسطة والشر منه ايضا لكن بواسطة وهو معنى قوله تعالى * ماا صابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * ومعلوم ان نفسه من الله فالشر منه تعالى ايضا بواسطة النفس (وهو) سبحانه وتعالى (على كل شئ) محسوس او معقول او غير ذلك مما يعلمه تعالى (قدير) يفعل مايشاء ويحكم مايريد (الاخبار) اى هذا بيان الاخبار يعنى الاحاديث والآثار النبوية الواردة فى بيان فضيلة التقوى وهى سبعة احاديث * الحديث الاول (حد) يعنى روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده (عن ابى ذر) الغفارى (رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له) اى لابى ذر (انظر) يعنى يااباذر (فانك لست بخير من احمر ولا اسود) من الناس كلهم لان الوان الوجوه خمسة الحمرة والبياض والصفرة والسواد والسمرة فالبياض والصفرة من الحمرة لان البشرة البيضاء اذا غلب دمها فهى الحمرة واذا اعتدل فهى الصفرة والسمرة من السواد لان البشرة السوداء اذا غلب دمها كانت سوداء وان اعتدل فهى السمرة فالاحمر والاسود اصلان فى الوان الوجوه الانسانية او الاحمر الانس لغلبة الدم فى الاجسام الترابية والاسود الجن لغلبة النار فى الاجسام الهوائية المحترقة او الاحمر سكان المدن والقرى والاسود سكان البوادى او الاحمر النساء لتنعمهن والاسود الرجال لتعبهم فى المعيشة وتقديره الشخص الاحمر والاسود (الا ان تفضله) اى تصير فاضلا عليه اى على كل واحد من الاحمر والاسود (بالتقوى) اى باتقائك

الاوامر واجتناب النواهي مع الاخلاص كما قال تعالى *ان اكرمكم عند الله اتقاكم* الحديث الثاني (هق) يعني روى البيهقي باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضي الله عنه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق) وهي ثلاثة ايام اليوم الثاني من ايام النحر والثالث والرابع (فقال يا ايها الناس ان ربكم) يعني الذي هو مالك جميع اموركم في ظواهركم وبواطنكم (واحد) لا شريك له فانتم كلكم من حيث انكم مخلوقاته متساوون كما قال سبحانه *ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت (الا) كلمة استفتاح للتنبيه وافادة التحقيق (لا فضل لعربي) اي منسوب الى العرب وهو المتقن المتكلم باللغة العربية بلا تكلف (على عجمي) منسوب الى العجم خلاف العرب ولهذا كان ابراهيم الخليل عجميا وابنه اسماعيل عليهما السلام عربي كما قال العلماء ولا اعتبار في ذلك بالنسب بل باللغة من غير تكلف كما بسطناه في كتابنا المطالب الوفية وفي حسن التنبه للنجم الغزي قال اللسان هو الفارق بين العرب والعجم ومن ثمة ورد في الحديث من تكلم بالعربية فهو عربي (ولا) فضل ايضا (لعجمي على عربي) فان اللسان هو الفارق بين العربي والعجمي وانما يظهر منه الكلام والكلام غير مقصود لذاته بل لما يوصل اليه من رضوان الله تعالى بمعرفة احكامه سبحانه والعمل بها (ولا) فضل ايضا لشخص (احمر على) شخص (اسود ولا) لشخص (اسود على) شخص (احمر) والمعنى لا فضل لانسي على جني ولا لجني على انسي اولساكن المدن والقرى على ساكن البوادي وعكسه اوللنساء على الرجال وبالعكس كما مر (وان اباكم) يا ايها الناس (واحد) وهو آدم عليه السلام ولم يذكر حواء لانها من آدم ايضا كما ان ربكم واحد فكيف يفضل احد على احد (الا بالتقوى) اي الاحتراز من عقاب الله تعالى بامتثال اوامره القطعية والظنية ونواهيه كذلك (ان اكرمكم) اي اكثركم كرما وشرفا ورفعة (عند الله) تعالى في الدنيا والآخرة (اتقاكم) اي اكثركم تقوى (الا) بالتخفيف للاستفتاح (هل بلغت) بالتشديد اي اوصلت اليكم ما امرني الله تعالى بايصاله من بيان الاحكام وهو استفهام تقريري (قالوا) اي الصحابة الحاضرون رضي الله عنهم (بلى يا رسول الله) يعني بلغت ما امرت بابلاغه الينا (قال) صلى الله عليه وسلم (فليبلغ) ان ليوصل الحق من غير كتمان (الشاهد) اي الحاضر عندنا الآن اوالفاهم للحكم الشرعي (الغائب) عنا اوعن فهم الحكم وفيه حث على رواية الحديث وحفظه وضبطه ثم التحدث به لاهله وكذلك العلم الشرعي بعد اتقانه *الحديث الثالث (هق طط صص) يعني روى البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط والصغير باسنادهما (عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة امر الله) تعالى (مناديا) من الملائكة اوغيرهم (ينادي) في عالم المحشر بين الخلائق (الا اني جعلت) بينكم (نسبا وجعلتم) انتم

فيما بينكم (نسبا) آخر غير نسبي الذى جعلته (فجعلت) انا (اكرمكم) اى اشرفكم وارفعكم (اتقاكم) اى اكثركم اتقاء واحترازا من المخالفات بامتثال الطاعات (فابيتم) اى امتنعتم من ذلك الذى جعلته بكونكم لم تعتبروه فى الدنيا (الا ان تقولوا) فى اعتبار نسبكم الذى جعلتموه بينكم فى الدنيا (فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) اى ابن عالم اوشر يف اوولى اوملك عادل اوامير كريم ونحو ذلك (خير من فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) اى ابن من هو ادنى فى الناس وان كان الابنان متساويين فى الجهل اوفى العلم اوالثانى اتقى من الاول او بالعكس من غير اعتبار جانب لتقوى التى اعتبرها الله تعالى (فاليوم) اى يوم القيامة (ارفع نسبى) الذى جعلته فيكم وهو نسب التقوى الذى فيه برأ النبى صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسى من نسب الفرس والحقه بنسب العرب الذى هو نسبه عليه السلام حيث قال سلمان منا آل البيت وفى كتاب التجلى عن جعفر الخالدى رحمه الله تعالى انه قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله العن الحلاج فقال لاالحلاج منا فانظر كيف نسب التقوى الحق الحلاج بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان اختفى نسب تقواه عمن حكم بقتله فان الله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون (واضع) اى اخفض فلا اعتبر (نسبكم) الذى اعتبرتموه انتم فى الدنيا (اين المتقون) اى الموصوفون بالتقوى المنسبون بنسبى الذى جعلته بينكم والتقدير لاجازيهم خير الجزاء اواين هم منكم

الحديث الرابع (حـد) يعنى روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده (عن ابى ذر) الغفارى (رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له (ستة ايام) كل يوم يكرر عليه (اعقل) امر من العقل وهو الفهم والتأمل (ياباذر ما يقال لك بعد) من العلم والحكمة (فلما كان) فى (اليوم السابع قال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اوصيك بتقوى الله) تعالى اى الاحتراز عنه بدوام امتثال امره واجتناب نهيه مع الاخلاص (فى سر) اى خفى (امرك) اى شانك وحالك (وعلانيته) اى علانية امرك يعنى جهره وهو استواء الباطن والظاهر فى التقوى (واذا اسأت) الى احد مطلقا (فاحسن) اى اعقب تلك الاساءة بالاحسان اليه ولاتتركه يسخط عليك فربما يدعو الله فى شان مضرتك فيجيبه (ولاتسألن احدا) اى لاتطلب من احد (شيئا) مطلقا اكتفاء منك بالله لمكفايته فانه تعالى يقول اليس الله بكاف عبده (وان سقط) اى وقع من يدك الى الارض وانت على الدابة (سوطك) وهو مايضرب به الانسان غيره من عصا ونحوها فلايطلب من غيره مناولته له بل ينزل هو فيتناوله بيده اكتفاء بما يجده الله تعالى به من المعونة فى ظاهره و باطنه (ولاتقبض امانة) اى وديعة لاحد فانه يلزمك حينئذ حفظها وربما فرطت فتضمن وهذه كلها امور ندب اليها الشارع صلى الله

تعالى عليه وسلم تعليما للطريق الاقوى فيما فيه تفريغ القلب لمراقبة الرب على كل حال * الحديث الخامس (قش) يعني روى القشيري باسناده (عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه) اى الشان (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال) له (يانبي الله اوصني فقال) له النبي صلى الله عليه وسلم (عليك) اسم فعل بمعنى الزم (بتقوى الله) يقال عليك به اى الزمه ولا تفارقه (فانه) اى فعل التقوى (جماع) اى اجتماع (كل خير) من خيور الدنيا والآخرة * الحديث السادس (مج) يعني روى ابن ماجه باسناده (عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول ما استفاد المرء) اى الانسان رجلا كان اوامرأة (بعدى تقوى الله) سبحانه في الظاهر والباطن (خيرا من زوجة) اى منكوحة بعقد وقد يراد بها مطلق المقارنة له كقوله تعالى * وزوجناهم بحور عين اى قرناهم بهن وقوله * احشروا الذين ظلموا وازواجهم * اى وقرناءهم فتشمل الزوجة هنا المملوكة بملك اليمين (صالحة) اى ممتثلة لما امرها الله تعالى به مجتنبة لما نهاها عنه سبحانه (ان امرها) الرجل (اطاعته) ولا تعصي امره (وان نظر اليها سرته) اى اوقعت السرور في قلبه من كمال حسنها وجمالها (وان اقسم عليها) في شيء (ابرته) اى امضت يمينه ولا تحنثه من كثرة محبتها له (وان غاب عنها) في سفر ونحوه (نصحته) اى حفظته ولم تخنه (في نفسها) بان صانت عرضها ومروءتها (و) في (ماله) فتحرسه ولا تبذر فيه * الحديث السابع (طب) يعني روى الطبراني باسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اقبل نبي الله) محمد (صلى الله عليه وسلم من) سفر (غزاة او من سفر (سرية) وهي قطعة من الجيش يقال خير السرايا اربعمائة رجل كذا في الصحاح (فدعا) ابنته (فاطمة) الزهراء (رضي الله عنها) حتى جاءت (فقال) صلى الله عليه وسلم (يافاطمة اشتري نفسك من الله) اى من عذابه واليم عقابه (فاني لا اغني عنك) اى لا انفعك (من الله) تعالى (شيئا) كما قال تعالى * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (لنسوته) اى نسائه وهن زوجاته عليه السلام (مثل ذلك) يعني اشترين انفسكن من الله فاني لا اغني عنكن من الله شيئا (وقال مثل ذلك) ايضا (لعترته) بالتاء المثناة الفوقية اى ذريته واقاربه وهم الحسن والحسين وحمزة والعباس وعلي وابن عباس رضي الله عنهم (ثم قال) عليه السلام (مابنوا هاشم) وهم اولاد عبد المطلب اعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته وكانت اعمامه اثني عشر عما ولد عبد المطلب وابو عبد الله ثالث عشرهم وهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى اباالحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم وقال الدار قطني بتقديم الحاء وهو المعتمد والحجال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط الغيداق وحجلا وقيل تسعة فاسقط قثم وعبد الكعبة وعماته عليه السلام

بنات عبد المطلب بن هاشم ست عاتكة واميمة والبيضاء وهى ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف فى اروى وعاتكة ذكره القسطلانى فى مواهبه (باولى) اى احق (الناس) ان يدعوهم الناس (بامتى) اى يسمونهم بامة الاجابة لى حيث انى منهم ومن نسلهم وهم اهلى (ان اولى) اى احق (الناس) كلهم ان يدعوا (بامتى) المجيبين لى فيما جئتهم به (المتقون) اى المحترزون من غضب الله تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه (ولا قريش) اسم للقبيلة كلها وهو قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم واصله من القرش وهو دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير فى البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضرب بها فتكسرها وقال المطرزى هى سيدة للدواب البحرية واشدها وكذلك قريش سادات الناس ذكره الدميرى فى حياة الحيوان (باولى) اى احق (الناس) ان يسموا (بامتى) المطيعين لى اذ لا اعتبار لنسب القرابة من غير اتباع (ان اولى الناس) اى احقهم ان يسموا (بامتى) امة الاجابة (المتقون ولا الانصار) وهم اهل اليمن الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم قبيلتان الاوس والخزرج رضى الله عنهم ومنهم اهل الصفة الذين عاتب الله تعالى فيهم نبيه عليه السلام بقوله * ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه * الآية (باولى الناس) اى احقهم ان يسموا (بامتى) المنقادين لدعوتى (ان اولى الناس) اى احقهم (بامتى المتقون انما انتم) خطاب لجميع من ذكر فى هذا الحديث متولدون (من رجل) وهو آدم عليه السلام (وامرأة) وهى حواء عليها السلام (وانتم) يا معشر من ذكر (كجمام) بالضم وهو ما علا (الصاع) من المكيلات كالبر والشعير والعدس ونحوها والصاع ما يسع الفا واربعين درهما من ماش اوعدس والمعنى انكم متساوون كلكم فى المقدار مثل الحبات المساوية التى تدخل فى الكيل فيعرف مقدارها به ولا تحتاج الى الوزن لعدم التفاوت بينها فى الثقل والاكتناز ثم بينه بقوله عليه السلام بعده (ليس لاحد على احد فضل) اى فضيلة (الا بالتقوى) لله تعالى فان الفضائل والمزايا عند الله تعالى معتبرة بها (والاحاديث) الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى هذا الباب) اى باب فضيلة التقوى (كثيرة جدا) مذكورة فى كتب الحديث (و) الاستدلال بنظر (العقل ايضا يدل على افضلية التقوى من غيرها من) سائر (الطاعات) التى هى نوافل العبادات (لان التحلية) بالحاء المهملة وهى التزيين والتحسين (بعد التخلية) بالخاء المعجمة اى الازالة للمانع (والتزيين بعد التطهير) فان الثوب النجس غسله اولى من تجميره (فالاولى) اى التحلية بالمهملة (بدون الثانى) اى التخلية بالخاء المعجمة والتطهير (لا تفيد شيئا اصلا) ولا ينتج غير التعب والنصب كما ان من ابقى الفأرة مثلا الميتة فى البئر ثم نزح جميع مائه فانه لا يطهر ما لم يخرج الواقع اولا ثم ينزح منه عشرين

دلوا فقط فانه يطهر وكذلك من ابقى نجاسات للمعاصى والمخالفات ولم يغسلها بالتوبة ويحافظ على التوقى منها بامتثال الاوامر واجتناب النواهى ماذا تنفعه النوافل من الطاعات والزوائد من المندوبات والمستحبات كمن عليه الديون الكثيرة وهو يكثر من الصدقات (وعكسه) وهو الثانى بدون الأول يعنى التخلية بالمعجمة وهو التطهير بدون التحلية بالمهملة وهو التزيين فانه (يفيد) لوجود الاصل فى مراتب الكمال كمن غسل الثوب اولا فانه اول درجة من درجات كماله فاذا بخره بعد ذلك بالبخور حصلت له درجة اخرى من الكمال وهكذا المتقى يكون اولا فى درجة كمالية اولى فاذا تنفل بالعبادات وتطوع حصل على درجة اخرى (فهى) اى التقوى (الأساس الجميع خصال الخير) الاعتقادية والحالية والقولية والعملية كالخشوع والصبر والذكر والايثار (فخذها) اى التقوى يا ايها السالك يعنى واظب عليها (بقوة) اولا (واوامر) ثانيا ليتعدى نفعك فترقى فى مقام قربك كما قال تعالى * ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * والعالم الربانى المنسوب الى الرب لقيامه به فى كل حال بخلاف العالم النفسانى وهو القائم بنفسه من جهله وغفلته (قومك) الذين انت فيهم (يأخذوا باحسنها) اى بما اشتملت عليه التقوى من احسن الخصال التى كلفوا بالقيام بها (فان فيها) اى فى التقوى (سعادة الدارين) اى الدنيا والآخرة (والفوز) اى الظفر والحصول (بالحياتين) اى الحياة الحسية بالارزاق المعاشيه والحياة المعنوية بالارزاق المعادية اوالحياة الانسانية بالامدادات الربانية والحياة الحيوانية بالامدادات النفسانية اوالحياة الكونية اوالحياة الازلية اوالحياة الدنيويه اوالحياة الاخروية (يسرها) اى التقوى بمعنى جعلها ميسرة (الله) تعالى (لنا واياكم انه) اى الله تعالى (هو البر) بالفتح اى المحسن المتفضل (الرحيم والجواد) من الجود وهو العطاء (الكريم) الذى لا يخيب راجيه ولا يخسر مناجيه (النوع الثانى) من الانواع الثلاثة (فى تفسيرها) اى التقوى وهو بيان معناها لغة وشرعا فقدم معناها اللغوى لانه عام ومعناها الشرعى خاص والعام جزء الخاص والجزء مقدم فقال (هى) اى التقوى (فى اللغة) اى لغة العرب مشتقة (من) قولك (وقاه) وقيا ووقاية صانه كوقاه والتوقية الكلاءة والحفظ واتقيت الشئ وتقيته حذرته والاسم التقوى اصله تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كذا فى مختصر القاموس (فاتقى) يتقى اصله اوتقى يوتقى على افتعل فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وابدلت منها التاء وادغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء من لفظ الحرف فجعلوه اتقى يتقى بفتح التاء فيهما ثم لم يجدوا له مثالا فى الكلام يلحقونه به فقالوا تقى يتقى مثل قضى يقضى كذا فى الصحاح (والوقاية) بالكسر والفتح (فرط) اى كثرة (الصيانة) مصدر صانه صونا وصيانة حفظه (اصلها) اى التقوى (وقيا) بالقصر

مصدر وفا كامر (قلبت واوها) التى هى فاء الكلمة (تاء) مثناه فوقيه (كما) قلبت الواو تاء (فى تكلان) اصله وكلان مصدر وكل الامر الى الله تعالى فوضه اليه (وتجاه) اصله وجاه لانه من المواجهة (و) قلبت (باؤها) اى ياء وفيا (واوا) ايضا فصارت تقوى (كما) قلبت الياء واوا (فى بقوى) بفتح الباء الموحدة قال فى الصحاح ابقيت على فلان اذا رعوبت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقيا وكذلك البقوى بفتح الباء (والفها) اى الف التقوى للتأنيث مثل الف حبلى فهو اسم ممنوع من الصرف بعلة واحدة فيه تقوم مقام علتين وهى الف التأنيث المقصورة وذلك (لقوله تعالى) افمن اسس بنيانه (على تقوى) بالقصر بلا تنوين لانه ممنوع من الصرف (من الله) الى آخر الآية ولو كان مصروفا لكان منونا (و) التقوى (فى) اصطلاح (الشريعة) المحمدية (لها معنيان) المعنى الاول (عام) اى شامل لاكثر مما يشمله المعنى الثانى (وهو الصيانة) اى الحفظ (والاجتناب) اى التباعد (عن كل) امر (مضرفى) الدار (الآخرة فله) اى لهذا المعنى العام الذى للتقوى (عرض) بفتح العين المهملة وسكون الراء سعة وكثرة (عريض) فعيل نعت له مشتق منه اى واسع كليل اليل ومنه قوله تعالى * فذو دعاء عريض (يقبل) ذلك العرض (الزيادة) بحسب المحافظة على الانواع الخيرية (والنقصان) بحسب ترك بعضها فى الناس تقى واتقى بخلاف المعنى الثانى الخاص الآتى فانه لا يقبل الزيادة والنقصان فلصاحبه تقوى ومن نقص شيئا منه كان فاسقا (ادناه) اى اقل ذلك العرض بمعنى الوسع الذى للتقوى بحيث لا ادنى منه (الاجتناب) اى التباعد (عن الشرك) بالله تعالى اى اعتقاد وجود اله آخر مع الله تعالى ومشابهة شئ له تعالى فى ذاته او صفة من صفاته او فعل من افعاله باعتقاد وجود مؤثر فى ملك الله تعالى من دونه سبحانه (المخلد) نعت للشرك اى المقتضى لخلود اى دوام صاحبه الذى مات عليه (فى النار) اى نار جهنم بحكم عدل الله تعالى وصدق وعيده وهذا النوع من الشرك يسمى الشرك الجلى واما الشرك الخفى فهو الغفلة عن الله تعالى باعتقاد نسبة الوجود استقلالا الى الاشياء ونسبة التأثيرات استقلالا الى الاسباب ايضا فهو كفر خفى وليس بظاهر لا لصاحبه ولا لغيره فلا حكم له فى الشرع اذ الشرع انما يحكم على الظاهر فقط من كل امر دون الباطن المغيب الذى لا يعرفه احد ولا يحققه صاحبه ولا غيره وانما حكمه فى حقيقة الشريعة المتلقاة بالالهام فى الكتاب والسنة دون اجتهاد فكرى وتأمل عقلى كما هو معروف عند اهل المعرفة والفتح الربانى مثل حكم الشرك الجلى من غير فرق بينهما كما بينته فى كتاب خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ رسلان (واعلاه) اى اعلى العرض المذكور (التنزه) اى التباعد (عما) اى عن كل شئ (يشغل سره) اى قلب العبد (عن) ظهورات (الحق) تعالى بآثار تجلياته

الجلالية والجمالية (أوالتبتل) اى الانقطاع (اليه) سبحانه وتعالى (بشرلشره) اى بكليته قال فى مختصر القاموس الشر اشر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد (وهو) اى هذا الاعلى من المعنى الخاص للتقوى هو معنى (التقوى الحقيق) فى علم الطريقة المحمدية (المراد بقوله تعالى اتقوا) يامعشرالمكلفين (الله) تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه مع الاخلاص (حق تقاته) بحيث لايصدر منكم فتور فى الخدمة ولاتقصير فى شكر النعمة (و) المعنى الثانى للتقوى (خاص) وهو مالابدمنه فى النجاة من الله تعالى يوم القيامة (وهو) المعنى (المتعارف فى الشرع) المحمدى اى يعرفه العلماء والمتعلمون (المراد) لهم (عندالاطلاق) اى اطلاق لفظ التقوى (وعدم وجود (القرينة) التى تكون فى الكلام فتشير الى ارادة المعنى الاول العام (اعنى) اى اقصد بهذا المعنى الخاص المذكور (صيانة النفس) اى حفظها (عمايستحق) اى تستوجب (به) اى بسببه (العقوبة) من الله تعالى فى يوم القيامة (من فعل) معصية (وترك) طاعة ثم بينه بقوله (فاجتناب الكبائر) من الذنوب امر (لازم) لابد منه (فيه) اى فى هذا المعنى الخاص للتقوى (بالاتفاق) بين العلماء لان مرتكب الكبيرة فاسق والفسق ينافى التقوى (واما) ارتكاب (الصغائر) من الذنوب (فقيل لا) اى ليس بلازم فى هذا المعنى الخاص للتقوى (لانها) اى الصغائر (مكفرة) بصيغة اسم المفعول (عن مجتنب الكبائر) بنص قوله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * ويلزم من اجتناب الكبائر المواظبة على الطاعات وقدورد فى الحديث ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر فيكون اجتناب الكبائر مكفرا للصغائر بسبب هذه الطاعات لانفس الاجتناب وحده هو المكفر ولهذا يجوز عندنا العقاب فى الآخرة على الصغيرة ولومع اجتناب الكبائر خلافا للمعتزلة كامر بيانه فالحديث يشرح الآية (فلايستحق بها) اى بسبب الصغيرة (العقوبة) لتكفيرها عنه بفعل الطاعة فى حالة اجتناب الكبائر (وقيل نعم) اى ارتكاب الكبائر لازم فى هذا المعنى الخاص للتقوى (لان بعض المفسرين) للقرآن المبين (حمل الكبائر) الواقعة (فى الآية الكريمة) وهى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (على انواع الشرك) بالله تعالى لان اكبر الكبائر الشرك فيحمل عليه عند الاطلاق وقدقوبل فيه الجمع بالجمع فاقتضى انقسام الآحاد على الآحاد اى كل واحد من المأمورين بالاجتناب يجتنب كبيرته التى هى الشرك ومعلوم ان الاسلام يجب ماقبله فمن اجتنب شركه وكفره كفرت عنه ذنوبه ولهذا قوبلت الكبائر بالسيئات الشاملة لجميع الذنوب (فلم يتعين التكفير) للصغائر حينئذ باجتناب الكبائر وفى تفسير البغوى واختلفوا فى الكبائر التى جعل الله اجتنابها تكفيرا للصغائر واطال فى تقرير ذلك ثم قال وقيل الكبائر الشرك ومايؤدى

اليه ومادون الشرك فهو من السيئات قال تعالى* ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء* ثم قال نكفر عنكم سيئاتكم اى من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان كما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفى التنوير مختصر التفسير الكبير لابن جبيل التونسى الاكثرون على انه سبحانه لم يميز جملة الكبائر و يعينها قالوا لان تمييزها وتعيينها مع اخباره ان اجتنابها يكفر الصغائر اغراء بالاقدام على الصغائر وذلك قبيح لا يليق بالحكمة اما اذا لم يميزها فتجويز كون المعصية كبيرة زاجر عن الاقدام عليها قالوا وذلك كاخفاء ليلة القدر وساعة الجمعة والصلوات الوسطى ووقت الموت وقد سبق فى الفصل الاول من الباب الثانى ان العقاب على الصغيرة جائز كما قررناه هناك ولو مع اجتناب الكبائر عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فكيف يكون مجرد اجتناب الكبائر هو المكفر الصغائر انما المكفر مع الاجتناب فعل الطاعات كما ذكرنا قال ابن جبيل فى التنوير والمعنى ان اتيتم بجميع الواجبات واجتنبتم جميع الكبائر كفرنا عنكم بقية السيئات ومن المعلوم ان عدم السبب الواحد لا يوجب عدم المسبب بل ههنا سبب آخر سوى السبب الاصلى وهو فضل الله وكرمه ورحمته *قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا* (وايضا لم يثبت تغايرهما) اى الصغائر والكبائر (بالذات) بحيث تميز احدهما عن الآخر بالنص القاطع للخلاف حتى قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى الكبائر ما كان فيه المظالم بينك و بين العباد والصغائر ما كان بينك و بين الله تعالى لان الله كريم يغفر الذنوب واحتج بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى منادى من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله عزوجل قد عفى عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك ابن معول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبار والسيئات مقدماتها مثل القبلة والنظر وتوابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظر واللمسة والقبلة واشباهها قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج او يكذب به وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته كما روى عن انس قال انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر وكنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ذكره البغوى (وعلى التسليم) اى تسليم ثبوت التغاير

بالذات (لم يعلم) بالبناء للمفعول يقينا اى لم يعلم احد على وجه التيقن والتحقق (عدد الكبائر) كم هى حتى (قيل) انها (سبع وقيل سبعون وقيل سبعمائة و) قيل (غير ذلك) كما ذكر البغوى عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ويمين الغموس وعن عبد الرحمن بن ابى بكر عن ابيه قال النبى صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قالوا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا قال الا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل منها شيئا فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بالقدر وفى التنوير مختصر التفسير الكبير وعن ابن عباس كل مانهى عنه من اول النساء الى ثلاث وثلاثين آية فهو كبيرة لقوله عقيبه *ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه* وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام (فيما خرجه ت) يعنى الترمذى (وحسنه) بالتشديد اى قال هو حسن والحديث الحسن دون مرتبة الصحيح هو قسمان احدهما الحديث الذى لا يخلو رجال اسناده من مستور لم يتحقق اهليته غير انه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه ولا هو متهم بالكذب (فى الحديث) اى لم يظهر منه تعمد الكذب فى الحديث ولا سبب آخر مفسق ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بانه روى مثله اونحوه من وجه آخر او اكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله او بماله من شاهد وهو ورود حديث آخر نحوه فيخرج بذلك عن ان يكون شاذا اومنكرا والقسم الثانى ان يكون روايه من المشهورين بالصدق والامانة غير انه لا يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم فى الحفظ والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ماينفرد به من حديثه منكرا ذكره العراقى فى شرح الفيته (و) خرجه ايضا (مج) يعنى ابن ماجه (و) ايضا (حك) يعنى الحاكم (وصححه) اى قال هو صحيح والحديث الصحيح هو ما اتصل سنده وعدلت نقلته وسلم من الشذوذ والعلة القادحة (عن عطية) رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (لا يبلغ) اى يصل (العبد ان يكون من المتقين) لله تعالى فى ظاهره وباطنه (حتى يدع) اى يترك (مالا بأس) اى شدة فى الدين (به) اى بسببه من الامور الجزئية (حذرا) اى لاجل الحذر (عما به بأس) اى شدة دينية من الامور المحظورة فى الشرع (يقول العبد الضعيف) وهو مصنف متن هذا الكتاب (عصمه) اى حفظه (الله تعالى هذا

الحديث) المذكور ها اخيرا (نص) صريح من النبي صلى الله عليه وسلم (في لزوم اجتناب الصغائر) من الذنوب (لانها) اى الصغائر (بعد) حصول (الاغماض) اى الخفاء فيها وعدم الظهور والتميز (ومساعدة الخصم) القائل بذلك كامر فيما قاله (مما لابأس به) لخفة الجناية فيهما بالنسبة الى الكبائر (بل يزيد) يعنى هذا العبد الضعيف (و يقول كلمة ما) الواقعة في قوله عليه السلام كما سبق في الحديث مالابأس به (عامة) شاملة (لكل مافيه احتمال الحرمة) من المشتبهات (و) مافيه (الافضاء) اى الايصال (الى الحرام) ايضا مثل النظر بشهوة ونحوه (لعموم ما الثانية) الواقعة فى الحديث المذكور ايضا ثانيا فى قوله عليه السلام عمابه بأس (الحرام) مفعول المصدر فانه اذاكان مابه بأس هو الحرام القطعى كان مالابأس به هو المشتبه والموصل الى الحرام القطعى (واما الحلال الخالص عن شبهة) من اشتباه حرمة اوايصال اليها (فلايتناوله) اى عموم مالابأس به (عرفا) اى فى عرف الشرع اذلايطلق على الحلال الخالص مالابأس به فى اصطلاح الفقهاء (وان تناوله لغة) اى من حيث صحة الكلام لان الحلال الخالص ماليس به بأس (خرج خم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن النعمان بن بشير) رضى الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال) وهو ضد الحرام لغة وشرعا (بين) اى ظاهر واضح لايخفى حله وهو مانص الله تعالى اورسوله عليه السلام اواجمع المسلمون على تحليله بعينه اوجنسه ومنه مالم يرد فيه منع فى اظهر الاقوال (والحرام بين) اى واضح لايخفى حرمته وهومانص اواجمع على تحريمه بعينه اوجنسه اوعلى ان فيه عقوبة اووعيدا (و بينهما) اى بين الحلال والحرام الواضحين (مشتبهات) اى امور مشتبهة بغيرها لكونها غير واضحة الحل والحرمة لتجاذب الادلة وتنازع المعانى والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرمة والبعض بالعكس ولامرجح لاحدهما الافى خفاء ومن المشتبه معاملة من فى ماله حرام فالورع تركه وان حل ثم الحصر فى الثلاثة صحيح لانه نص اواجماع على الفعل فالحلال اوعلى المنع جزما فالحرام اوسكت اوتعارض فيه نصان ولامرجح * فالمشتبه (لايعلمهن كثير من الناس) اى من حيث الحل والحرمة لخفاء نص اوعدم صراحته اوتعارض نصين وانما يؤخذ من عموم اومفهوم اوقياس اواستصحاب اولاحتمال الامر فيه الوجوب والندب والنهى والكراهة والحرمة اولغيرذلك وماهو كذلك انما يعلمه قليل من الناس وهم الراسخون فان تردد الراسخ فى شئ لم يرد به نص ولااجماع اجتهد بدليل شرعى فيصير مثله وقد يكون دليل غير خال من الاحتمال فيكون الورع تركه كما قال (فمن اتقى) اى احترز من (الشبهات) المذكورة (استبرأ) بالهمز وقد يخفف اى طلب البراءة (لدينه) من الذم الشرعى (وعرضه) بصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع الذى

امريه فهو هنا الحسب اوالنفس لانها التي يتوجه اليها المدح والذم (ومن وقع في الشبهات) اى فعلها وتعودها (وقع في الحرام) اى يوشك ان يقع فيه لانه حام حول حرمه وقال وقع دون يوشك ان يقع كما قال في المشبه به الآتي لان من تعاطى الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده امالاثمه بسبب تقصيره في التحرى اولاعتياده التساهل وتجريه على شبهة بعد اخرى الى ان يقع في الحرام اوتحقيقا لمداناة الوقوع كما يقال من اتبع هواه هلك وسره ان حمى الملوك محسوسة يحترز عنها كل بصير وحمى الله لايدركه الاذووا البصائر ولما كان فيه نوع خفاء ضرب المثل بالمحسوس بقوله (كالراعى) اصله الحافظ لغيره ومنه قيل للوالى راع والعامة رعية وللزوج راع ثم خص عرفا بحافظ الحيوان كما هنا (يرعى حول الحمى) اى المحمى وهو المحظور على غيرمالكه (يوشك) بكسر الشين المعجمة يسرع (ان يقع فيه) اى تأكل ماشيته منه فيعاقب شبه آخذ الشهوات بالراعى والمحارم بالحمى والشبهات بماحوله ثم اكد التحذير من هذا المعنى بقوله (الا) حرف افتتاح قصد به امر السامع بالاصغاء لعظم موقع مابعده (وان لكل ملك) من ملوك الدنيا (حمى) يحميه عن الناس و يتوعد من قرب منه باشد العقوبات (الاوان حمى الله محارمه) اى المحارم التى حرمها واريد به هنا مايشمل المنهيات وترك المأمورات ومن دخل حمى الله بارتكاب شئ منها استحق العقاب ومن قار به يوشك الوقوع فيه فالمحافظ لدينه لايقرب مما يقرب الى الخطيئة والقصد اقامة البرهان على تجنب الشبهات وانه اذا كان حمى الملك يحترز منه خوف عقابه فحمى الحق اولى لكون عذابه اشق ولما كان التورع يميل القلب الى الصلاح وعدمه الى الفجور اردف ذلك بقوله (الا وان في الجسد) اى البدن (مضغة) اى قطعة لحم بقدر مايمضغ لكنها وان صغرت جرما عظمت قدرا ومن ثمه كانت (اذا صلحت) بفتح اللام انشرحت بالهداية (صلح الجسد كله) اى استعملت الجوارح في الطاعات لانها متبوعة له (واذا فسدت) اى اظلمت بالضلالة والجهالة (فسد الجسد كله) باستعماله في المنكرات والمخالفات (الا وهى) اى تلك المضغة (القلب) سمى به لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب اولانه خالص البدن وخالص كل شئ قلبه اولانه وضع في الجسد مقلوبا وذلك لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة اوارادة فاسدة تحرك البدن حركة فاسدة فهو ملك والاعضاء رعيته وهى تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده واوقع هذا عقب قوله الحلال بين اشعارا بان اكل الحلال ينوره ويصلحه والشبه تقسيه ونظله كذا في شرح الجامع الصغير للمناوى (وايضا المعنى اللغوى) للتقوى كامر (مرعى) اى ملاحظ (في) المعنى (الشرعى) لها (ما امكن) اى مقدار الامكان حتى لايخرج الشرع بالكلية عن قانون

اللسان العربي لانه ورد عن الله تعالى مترجمابه (وفرط الصيانة) الذى هو معنى التقوى فى اللغة كما سبق (يقتضى الاجتناب عن الصغائر) من الذنوب (و) عن (الشبهات ايضا) اى كما يقتضى الاجتناب عن الكبائر (لكن الاحتراز عن جميع الشبهات) فى الاعمال وغيرها (لايمكن فى هذا الزمان) لغلبة الشبهات وعسر التجنب عنها (على ماسيجئ) بيانه (ان شاء الله تعالى) فى الفصل الثانى من الباب الثالث آخر الكتاب (فخرج) من لزوم الاجتناب فى التقوى (ماعدا الشبهة القريبة من الحرام) وهى الشبهة التى يرجح فيها الحلال والشبهة التى فيها الحلال والحرام سواء كما بينته مفصلا فى كتاب المطالب الوفية (لان الطاعة) لله تعالى انما تكون (بقدر الطاقة) وعلى حسب الاستطاعة من غير حرج كما قال تعالى *فاتقوا الله ما استطعتم وقال * وما جعل عليكم فى الدين من حرج (فتعين لزوم اجتناب كل حرام و) كل (مكروه تحريما فى تحقق التقوى) للمكلف وماعدا ذلك فلا يلزم اجتنابه ولايطعن وجوده فى التقوى (هذا) المذكور (ما) اى الذى (عندى) فى بيان التقوى (والعلم) الحقيق بمعنى ذلك على مراده سبحانه (عندالله) تعالى (النوع الثالث) بقية الانواع الثلاثة (فى مجاريها) اى مجارى التقوى بمعنى مواضع جريانها من اعضاء المكلف (اعلم) يا ايها السالك (ان التقوى لاتحصل الا باجتناب المنكرات) القطعية والظنية و (المنهى عنها) من قبل الشارع وقيل المكروهة كراهة تحريم (واتيان المعروفات) الاعتقادية والعملية و (المأموربهـا) من الفروض والواجبات وكل ذلك مع الاخلاص واليقين (اذترك المأمور به) من الاعتقاد والعمل (ممايستحق) اى يستوجب العبد (به) اى بسببه من الله تعالى (العقوبة) فى يوم القيامة (ولكن المتبادر) الى الاذهان (منها) اى من التقوى (ومن ذنوب) التى تركها كناية عن التقوى (فى اول السماع) لذلك عند اطلاق الذنوب (الوجوديات) اى المنسوبة الى الوجود اذهى وجود معنى من المعاصى (كالزنا) وهو فى الشرع وطئ مكلف ناطق طايع فى قبل مشتهات خال عن ملك وشبهته فى دار الاسلام اوتمكينه من ذلك اوتمكينها (وشرب الخمر) وهو النئ من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد وحرم قليلها وكثيرها لعينها وهى نجسة نجاسة مغلظة كالبول ويكفر مستحلها ويحد شاربهـا وان لم يسكر منها وشارب غيرها ان سكر ولايؤثر فيها الطبخ كذا فى تنوير الابصار (لا) الذنوب (العدميات) اى المنسوبة الى العدم لانها عدم شئ (مثل ترك الصلاة) (و) ترك (الصوم) ونحو ذلك (فلذا لم يعد) بالبناء للمفعول يعنى الترك للصلاة والصوم وغيرهما (من) جملة (الكبائر) كما سيأتى فى عدها (مع كونه) اى الترك المذكور (من اكبر الكبائر) لانه ترك فروض قطعية (فلنذكر) الآن الذنوب (الوجوديات) ذكرا (مفصلا ثم) نذكر الذنوب (العدميات) بعد ذلك ذكرا (مجملا فنقول) الفصل (الاول)

بصيغة اسم للمفعول اى الذى ينكره الشرع ولا يقر فاعله عليه (اما مخصوص) ظهوره (بعضو معين) من اعضاء المكلف (اولا) خصوص له بعضو دون عضو (والاول) اى المخصوص بعضو معين (فى الغالب) من الناس يكون فى (ثمانية) مواضع اذ قد يكون فى غير الغالب اكثر من ذلك كالظهر فى حل محرم به والجنب فى الميل به عن طاعة الله الاول (قلب) والمراد به اللطيفة الروحانية المنفوخة فى الجسم الصنوبرى المودع فى جانب اليسار من تجويف الصدر الجسمانى من الانسان (و) الثانى (اذن) والمراد بها القوة المودعة فى العصب المفروش فى مقعر الصماخ (و) الثالث (عين) والمراد بها القوة المودعة فى العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فتتأديان الى العينين (و) الرابع (لسان) والمراد به القوة المودعة فى الجرم المتصل بالفم الذى يقرع الهواء الخارج من الجوف فتظهر عنه صوة الحروف (و) الخامس (يد) والمراد بها القوة المودعة فى العضو المعروف للتصرف فيما يمكن بها (و) السادس (بطن) والمراد به القوة المودعة فى الباطن لطبخ الغذاء وتقسيمه فى البدن (و) السابع (فرج) وهو آلة الرجل والمرأة والمراد به القوة المودعة فى ذلك لحصول الجماع (و) الثامن (رجل) والمراد بها القوة المودعة فى العضو المعروف للمشى ونحوه ولا دخل لهذه الاعضاء فى اقتراف الذنوب من دون القوى المنبثة فيها فالعمدة فيها على تلك القوى لا خصوص تلك الاعضاء اذ قد تكون فى الحيوانات فلا يصدر منها شئ من الذنوب لعدم وجود القوى المخصوصة فيها وان كان فيها قوى ايضا ولكن ليست من جنس ما فى الانسان (فعلى السالك) فى طريق الله تعالى (ان يحفظ كل عضو) من اعضائه (من كل معصية) تصدر منه مع المواظبة على ذلك (حتى يكون) ذلك الحفظ له (ملكة) اى قوة راسخة فى نفسه لا يتكلف لها اصلا من كثرة الرياضة والمجاهدة الشرعية (فينخرط) اى فيرسل يقال خرط الابل فى المرعى والدلو فى البئر ارسلهما (فى سلك) اى خيط (المتقين) لله تعالى (فلابد) حينئذ (من) ذكر (تسعة اصناف) ثمانية فى الاعضاء المذكورة الثمانية والتاسع فى جملة البدن من دون عضو مخصوص (الصنف الاول) من الاصناف التسعة (فى) بيان (منكرات القلب) اى ما ينكره الشرع من احواله (وآفاته) اى آفات القلب جمع آفة وهى العاهة المفسدة له (اعلم ان اصلاحه) اى اصلاح القلب بازالة ما يفسده (اهم من كل شئ) ولهذا قدمه على بقية الاعضاء (اذ هو ملك) فى المدينة الانسانية (مطاع) امره ونهيه على كل حال (نافذ الحكم) فى جميع البدن (والاعضاء) كلها (رعيته) تابعة له لا تخالف شيئا من احكامه عليها (وخدم) بالتشديد جمع خادم (له) فى تحصيل مراداته وقضاء حاجاته (فلهذا قال) النبى (صلى الله عليه وسلم) كما ورد فى الحديث السابق (الا وان فى الجسد مضغة) اقرأ (الحديث) الى آخره (واصلاحه) اى

القلب (تخليته) اى تبعيده وتخليصه (عن) جميع (الاوصاف الذميمة) اى المذمومة عقلا وشرعا (وتحليته) اى تزيينه (بالاوصاف الحميدة) اى المحمودة فى العقل والشرع (فلابد) حينئذ (من) ذكر (قسمين) ليتضح منهما بيان ذلك (القسم الاول) من القسمين (فى تفسير) معنى (الخلق) بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح والضم فى الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذى بالفتح بالهيئات والصور المدركة وخص الخلق الذى بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ذكره القسطلانى فى مواهبه (و) فى (بيان منشأه) اى الامر الذى ينشئ منه فى الانسان (و) فى (تقسيمه الى) الخلق (المذموم و) الخلق (الممدوح) و) فى (طريق ازالة الاول) اى الخلق المذموم (و) طريق (علاجه) اى مداواته وتدبيره حتى يرتفع عن صاحبه (اجمالا) اى على وجه الاجمال لا التفصيل لانه يطول (و) فى كيفية (تحصيل الثانى) اى الخلق الممدوح فيمن لم يكن حاصلا له (و) فى كيفية (ابقائه) اى الخلق الممدوح حتى لا يزول عن صاحبه (و) فى (حفظ صحته) اى دوام متانته وصلابته (وتقويته) لينمو ويزداد (اجمالا ايضا) اى بطريق الاجمال على وجه الاختصار (فنقول) فى بيان ذلك (الخلق) بضمة او بضمتين كما مر (ملكة) اى قوة راسخة فى النفس (تصدر عنها) اى عن تلك الملكة (الافعال النفسانية) من اعتقاد او قول او عمل (بسهولة) اى لطف ولين (من غير روية) بالتشديد من روى فى الامر نظر وتفكر والاسم الروية وفى الصحاح الروية التفكر فى الامر جرت فى كلامهم غير مهموزة انتهى وهو تعريف للخلق المذموم والممدوح لان الافعال الانسانية عامة فى الاعتقاد الحق او الباطل والعمل الحق او الباطل (ويمكن تغيره) اى الخلق بان يصير ممدوحا بالمعالجة والرياضة النفسانية بعد ان كان مذموما او يصير مذموما بالتدرج فى السوء ومعاشرة اهل الفساد بعد ما كان ممدوحا (لورود الشرع) المحمدى (به) اى بالتغيير المذكور حيث امر الله تعالى ونهى عباده واغراهم على امور وحذرهم عن امور وما ذلك الا لاكتساب الاخلاق الحميدة والتباعد عن الاخلاق الذميمة ولو لم يمكن التغيير فى الاخلاق ما كان للامر والنهى فائدة (واتفاق العقلاء) من كل ملة على ذلك ولهذا كانت الرياضة والتجريد عن الشواغل الدنيوية والعلائق الجسمانية امرا عظيما عند جميع الملل للتخلى عن الاخلاق الردية والتحلى بالاخلاق الفاضلة المرضية (والتجربة) حاكمة بصحة ذلك ايضا كما هو الواقع عند اهل هذا الشان وفى المواهب اللدنية وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود رضى الله عنه ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون

فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع فى حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى اوحديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما رواه احمد والنسائى وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق ماهو جبلى وما هو مكتسب وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم فى حديث دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من خصال الكمال مالايحيط به حد ولايحصره عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم فقال * وانك لعلى خلق عظيم * وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق مستول عليها (وتختلف الاستعدادات) من الناس (فيه) اى فى تغيير الخلق (بحسب الامزجة) القوية والضعيفة وعلى مقدارا لهم يكون اكتساب الكمال (ومنشاؤه) اى موضع ابتداء منشأ الخلق فى الانسان ممدوحا كان اومذموما (قوى) جمع قوة (النفس) الانسانية (وهى) اى تلك القوى منقسمة الى (ثلاث) قوى القوة الاولى (النطق) الذى به الانسان يفارق جميع الحيوان (وهو قوة الادراك) اى الشعور والاحساس بالاشياء وهو على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال وهى الوسطى كما قيل خير الامور اوساطها ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الافراط والتفريط (فاعتداله) اى النطق هو (الحكمة) اى دال على وجودها فى الانسان (وهى ملكة) اى قوة راسخة (للنفس) الانسانية (تدرك) اى النفس (بها) اى بتلك القوة (الصواب) فى كل شئ من الخطأ كما قال سبحانه وتعالى * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا (وافراطه) اى النطق والافراط تجاوز الحد فى الامر كذا قاله ابن فارس فى مجمل اللغة (الجربزة) بالجيم فالراء فالباء الموحدة فالزاى قال فى الصحاح رجل جربزة بالضم بين الجربزة بالفتح اى خب وهو القربزة ايضا وهما معربان وفى مختصر القاموس جربز الرجل ذهب اوانقبض اواسقط والجربز بالضم الخب الخبيث (وهى) اى الجربزة (ملكة ادراك) اى قوة شعور بالاشياء زائدة (تدعو) اى توصل صاحبها (الى اطلاع) عقله على (مالايمكن) غيره (معرفته) من دقائق العلوم (كالمتشابهات) من الكتاب والسنة (وبحث القدر) بالتحريك اى قدر الله تعالى بمعنى تقديره سبحانه للاشياء مما نصب عليه علامات كونية يمكن ان يتوصل بها الى معرفة ذلك كصفاء الاذهان فى العاقلين والاشارات الفلكية فى المنجمين ونحو ذلك (او يصدر بها) اى بسببها من العبد (افعال) اختيارية اواضطرارية (يتضرر الغير بها) كما هو عادة اهل المكر والدهى

والخديعة من الفجار المتحذقين فى الاحوال الدنيوية (وتفريطه) اى النطق وهو التقصير والتضييع (البــلادة) وهو ضد الذكاء وقد بلد بالضم فهو بليد و بلد تكلف البــلادة وتبلد اى تردد متحيرا كذا فى الصحاح وفى مختصر القاموس والمبلود المعتوه والبليد لاينشطه تحريك (وهى) اى البلادة ملكة يقصر بها اى بسببها (صاحبها عن ادراك الخير والشر) من كل نوع من انواع الاحوال الكونية الدنيوية والاخروية فيلزم من قصوره فى ذلك عدم نشاطه اليه (و) القوة الثانيــة (الغضب) وهو ضد الرضاء (وهو) اى الغضب (حركة النفس) الحيوانيــة (دفعــا) اى لاجل الدفع (للمنافر) فى الحال اوالمآل من جميع الامور وللغضب ايضا اعتدال وافراط وتفريط (فاعتداله الشجاعة وهى ملكة) راسخة فى النفس (بهايقدم) الانسان (على امور) مهولة تسهل عليه وتصعب على غيره (ينبغى) اى يليق بحاله (ان يقدم عليهــا) حيث هو كفؤلها قادر على دفعها (وافراطه) اى الغضب (التهور) وهو الوقوع فى الشئ بقــلة مبالات يقال فلان متهور كذا فى الصحاح (وهو) اى التهور (ملكة بها يقدم) الانسان (على امور) مهولة يصعب عليه الاقدام عليها (لاينبغى) له اى لا يليق بحاله لضعفه عنها (ان يقدم عليها) ولكن حمله على ذلك نقصان حاله بالنسبــة الى الشجاع (وتفريطه) اى الغضب (الجبن) بالضم وهو مصدر الجبــان (وهو هيئة راسخة) فى النفس (بها) اى بسببها (يحجم) احجم عنــه كف ونكص هيبة كذا فى مختصر القاموس وفى المجمــل احجمت عن الشئ اذانكصت عنه وجحم طرفه عن الشئ اذاصرفه (عن مباشرة ما ينبغى) له اى يليق بحاله الاقدام عليه لكفاءته فى ذلك وقدرته عليه (و) القوة الثالثــة (الشهوة وهى حركة النفس) الحيوانيــة (طلبا) اى لاجــل طلبها (للملايم) اى الامر المناسب (لها) مما تجد فيه حظا اعاجلا ولها اعتدال وافراط وتفريط ايضا (فاعتدالها) اى الشهوة (العفــة) بالكسر (وهى ملكة بها ياشر) الانســان اى يفعل الامور (المشتهيات) له بمقتضى نفعــه وطبعه (على وفق) اى موافقة احكام (الشرع) المحمدى من غير مخالفــة فى شئ اصلا (و) على وفق (والمرءة) ايضا قال فى الصحاح المروة الانسانية ولك ان تشدد وفى المجمل المروة مهموزة كمال الرجولية ولافعل له (وافراطها) اى الشهوة (الشره) مصــدر شره كفرح غلب حرصه فهو شره وشرهان كذا فى مختصر القــاموس (والفجور) وهو الكذب والانبعاث فى المعاصى كذا فى المجمل وفى الصحاح فجر فجورا اى فسق وفجر اى كذب واصله الميل والفاجر المائل (وهو) افراط الشهوة المذكورة (ملكة بهايتناول) الانسان انواع (المشتهيات مطلقا) اى سواء كانت حلالا اوحراما من غيــر مبالاة (وتفريطها) اى الشهوة (الخمود) فى طبيعــة النفس (وهو) اى الخمود (ملكة بها يقصر) الانســان لضعف فى البنيــة اوكبر اومرض اوخوف

ونحوه (عن استيفاء ما ينبغي) له (من المشتهيات) المباحة في الشرع بسبب انطفاء نار القوة الشهوانية (والاوساط) وهي الاعتدالات في هذه القوى الثلاث المذكورة وهي الحكمة والشجاعة والعفة (تحصل) في الانسان (باستخدام الاول) وهو النطق (الآخرين) وهما الغضب والشهوة والمراد باستخدامهما قهرهما واذلالهما بحيث لا يبقى لهما اثر اصلا في النفس حتى تمكن القوة النطقية في الحقيقة الانسانية وهي طريقة السالك بالمجاهدة (والاطراف) تحصل في الانسان وهي الجربزة والبلادة والتهور والجبن والشره والخمود (باستخدامهما) اي الآخرين وهما الغضب والشهوة (اياه) اي الاول وهو النطق يعني بقهره واذلاله واستيلائهما عليه بالغلبة (والاطراف) المذكورة (مطلقا) اي على اي وجه كانت حاصلة في الانسان (و) كذلك (الاوساط) المذكورة (المشوب) اي المخلوط (بهاغرض) اي مقصد (فاسد) كما اذا قصد بالحكمة حصول الجاه في الدنيا وبالشجاعة ظهور الصيت او تشفي النفس وبالعفة الكبر او ثناء الناس ونحو ذلك فانها (رذائل) حينئذ لا محامد فصاحبها مذموم بها لا محمود عليها لغرضه الفاسد (فكل خلق مذموم) من الاخلاق الانسانية كالحسد والبغض والحقد والرياء والتكبر ونحوها فانه (ناش) اي منشأ في الحقيقة الانسانية متولد (منها) اي من الاطراف المذكورة (منفردة كانت) موجودة في الانسان تلك الاطراف اي واحد منها (او مجتمعا) فيه (بعضها) كالاثنين منها او الثلاثة (او كلها) وهي الستة المذكورة (وعلاجه) اي الخلق المذموم الناشي في الانسان من الاطراف المذكورة اواحدها (الكلي) اي العام في كل فرد فرد من افراد الانسان الذي يوجد فيه ذلك الخلق المذموم وفي كل فرد فرد من الاخلاق المذمومة (الاجمالي) اي المجمل دون المفصل (معرفة حقايق الامراض) التي هي الاخلاق المذمومة وسماها امراضا لما ذكرلها من العلاج وهو المداواة اذ من لم يعلم حقيقة المرض ماهو لا يمكنه مداواته (و) معرفة (غوائلها) اي الامراض جمع غائلة وهي الشر الباطن فيها والمراد ما تعقبه من النتايج الفاسدة والمهالك المردية (و) معرفة (اسبابها) اي الامراض جمع سبب وهو الموصل اليها (و) معرفة (اضدادها) اي الامراض اي ما يضادها من العافية والصحة المرغوب فيها (وفوائدها) اي الاضداد وهي ما يترتب عليها حصولها من المنافع والكمال (واسبابها) اي الاضداد وهي ما يتوصل به اليها (ثم) بعد ذلك (معرفة وجود الامراض) المذكورة (في نفسه) وتكون باربعة امور الاول (بالتفتيش) عليها وهو الطلب مع البحث يقال فتش الشيء فتشا وفتشه تفتيشا (والتأمل) في احوال النفس بعد التفرغ لذلك عن جميع الشواغل لانه اهم من كل شيء (و) الثاني (اختيار) اي قصد خدمة (من) اي شيخ كامل وعالم عامل (ينبهه) اي يوقظ

الانسان (على عيبه) الذى فيه وهو غير مطلع عليه (من اصدقاء) جمع صديق اى محبين (الصدق) وهو ضد الكذب وهم اهل الشفقة والمرحمة على امة محمد صلى الله عليه وسلم الناصحين لهم الخائفين عليهم من كل سوء (و) الثالث (تفحص) مصدر تفحص قال فى مختصر القاموس فحص عنه كمنع بحث كتفحص وافتحص (قول اعدائه) اى عن قولهم فيه (فانهم ينظرون الى عيوبه) فقط دون محاسنه فيكشفون مايرونه منها (ويذكرونها) اى تلك العيوب بين الناس بقصد تحقيره فيتفحص عن معانى كلامهم فيه ويرجع الى نفسه وينصفهم فى ذلك فانه يعرف الامراض النفسية بهذه الكيفية (و) الرابع (النظر الى الناس) فى اختلاف طبقاتهم الاعلى منهم والادنى والمساوى وتأمل اختلاف احوالهم ليعرف المذموم منها والممدوح (فانهم مرآة) له ينظر نفسه فيهم لانه مثلهم فى الصورة الانسانية كما ورد المرء مرآة اخيه (و) هم ايضا (تذكرة) اى مذكرون باقوالهم واحوالهم الحسنة والقبيحة (لكل طالب) لمعرفة الحق والعمل به (مستبصر) اى راغب فى تحصيل البصيرة المنورة بانوار التوفيق والهداية (ثم) بعد ذلك (تمييز اسبابها) اى الامراض وهى الامور الموصلة الى تلك الامراض (ثم) بعد ذلك (ازالة) تلك (الاسباب) بالكلية لتنقطع مادة الامراض من اصلها (وارتكاب) اى الاتصاف بصفة (الفضيلة المقابلة) لتلك الاسباب المذكورة (والتكلف) اى اتعاب النفس (فى تحصيلها) اى الفضيلة المذكورة (اذ) اى لان (الامراض) البدنية (تعالج) بالبناء للمفعول اى يعالجها الاطباء ويداوونها (بالاضداد) فالحرارة تعالج بالبرودة واليبوسة تعالج بالرطوبة وهكذا فكذلك الامراض النفسانية تعالج باضدادها (كما ان الصحة) البدنية (تحفظ) بالبناء للمفعول على صاحبها (بالانداد) اى الامثال وهى الامور المناسبة لاعتدال الملائمة للخلقة التركيبية المستقيمة (ثم بعد) ذلك (التعنيف) اى اللوم والزجر للنفس (بالتعيير) اى نسبة العار اليها (والتوبيخ) لها اى اللوم والتهديد (فى السر) وهو الخفية (والعلانية) اى ظاهر الحال بصريح المقال (ثم) انه لا ينسى (الرذيلة المقابلة) للفضيلة المذكورة (فليحفظ) عنه (حتى لايتجاوز) عن الفضيلة (الى الطرف الآخر) وهو الرذيلة فان المحفوظ يسهل الاحتراز عنه (ثم) بعد ذلك فعل (الرياضات) جمع رياضة وهى تمرين النفس وتعليمها الامر المشق عليها شيئا فشيئا (الشاقة) صفة للرياضة اى المتعبة (كالنذور) لله تعالى بانواع القربات الكثيرة (والايمان) بالفتح اى الحلف على افعال الطاعات العظيمة (والعهود) اى المواثيق الشديدة (على التزام الاعمال الشاقة) على النفس من قبيل مانقل القشيرى فى رسالته عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه قيل له مالقيت فى سبيل الله فقال مالايمكن وصفه فقيل له ماهون مالقى نفسك منك فقال اما هذا فنعم دعوتها الى شئ

من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال ايضا منذ ثلاثين سنة اصلى واعتقادى فى نفسى كل صلاة اصليها كأنى مجوسى اريدان اقطع زنارى (حتى تذعن) اى النفس بمعنى تذل وتنقاد (الى ماهو اسهل منها) اى من هذه الاشياء الشاقة عليها (بالطيب) اى اللذاذة من قولهم طاب الشئ اذاراق وحسن ومنه الاطيبان الاكل والجماع قال فى الصحاح شئ طياب بالضم اى طيب جدا وتقول هذا شراب مطيبة للنفس اى تطيب النفس اذاشربته (والسهولة) منها فى ذلك من غير نفرة ولاكراهة (و) بعد ذلك (استماع ماورد) من الاخبار النبوية والآثار المروية (فى ذم سوء الخلق اجمالا وتفصيلا) فان فى ذلك تربية النفرة عن الاخلاق السيئة فى النفس ومحبة الاخلاق الحسنة ورؤية الكمال فيها (والثانى) اى ذم سوء الخلق تفصيلا (سيجئ فى القسم الثانى) من هذا البحث الذى هو سوء الخلق ان شاء الله تعالى (واما الاول) اى ذم سوء الخلق اجمالا (فنه) اذهو كثير وارد فى الاخبار النبوية وغيرها (ماخرج) بالتشديد اى روى (صف) يعنى الاصفهانى باسناده (عن ميمون ابن مهران رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذنب) من الذنوب مطلقا (اعظم عند الله) تعالى اى اكبر جرما (من سوء الخلق) اى العادة القبيحة اذا اعتادها العبد وانطبع عليها (وذلك ان صاحبه) اى صاحب سوء الخلق (لايخرج من ذنب) بالتوبة منه والاقلاع عنه (الاوقع فى ذنب) آخر فلايكاد يتخلص من الذنوب (وخرج) اى روى (طط) يعنى الطبرانى فى المعجم الاوسط باسناده (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم) وهو ضد اليمن والبركة ومشاه الشر (سوء الخلق) لانه لايأتى بخير فى الدين ولافى الدنيا (طط صف) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الاوسط والاصفهانى باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن شئ) من المخلوقين (الاله توبة) مقبولة عند الله تعالى من الذنب اذا الم به (الاصاحب سوء الخلق) من الناس ثم بينه بقوله (فانه لايتوب من ذنب) اذنبه (الاعاد) اى رجع (فى) ذنب آخر (شرمنه) بسبب سوء خلقه وقبيح عاداته (طكط هق) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير وفى معجمه الاوسط والبيهقى باسنادهما (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن) من اخلاق الانسان (يذيب) اى يذهب ويمحق (الخطايا) اى الذنوب من الكبائر والصغائر للتوصل به الى نيل اكمل الطاعات وارفع القربات (كما يذيب الماء الجليد) اى الماء الجامد اذاوضع عليه (والخلق السوء يفسد) اى يبطل (الاعمال) الصالحة (كما تفسد الخل) الحامض (العسل) الحلو اذاوضع فوقه (والاوساط) المتقدم ذكرها بين الافراط والتفريط وهى الحكمة والشجاعة والعفة (الحالية) فى استعمالها

(عن الغرض الفاسد) اى القصد السوء (فضائل) يفضل بها الانسان على غيره لارذائل (فكل خلق محمود) فانه (ناشئ) فى الانسان (منها) حال كونها (منفردة) اى متفرقة تظهر فى الانسان واحدة فواحدة فيكون ذلك الخلق المحمود صادرا عن واحدة منها فقط (او مجتمعة بعضها) مع بعض بحيث يصدر ذلك الخلق عن ثنتين منها (اومن مجموعها) اى كلها (المسمى) ذلك المجموع فى الشريعة (بالعداله) وهى استقامة الدين والسيرة وحاصلها كيفية راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وترك البدعة والمعتبر فيها رجحان الدين والعقل على الهوى والشهوة ولما كانت العدالة هيئة خفية نصب لها علامات هى اجتناب اربعة امور وان اثم بمعصية لان فى اعتبار الكل سد باب العدالة الاول الكبائر الثانى الاصرار على الصغائر فقد قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والثالث الصغائر الدالة على خسة النفس كسرقة لقمة والتطفيف بحبة والرابع المباح الدال على ذلك كاللعب بالحمام والاجتماع مع الارذال والاكل والبول على الطريق ونحو ذلك كذا فى مرآة الاصول (فمن حصل له) ذلك الخلق المحمود (بكسب) اى سعى وتحصيل (اوطبع) بان كان مجبولا عليه (فليحفظه) لئلا يتبدل فيه بضده (بملازمة اهله) اى من فيهم ذلك الخلق ليدوم عليه خلقه بسببهم فان الصاحب يقتدى بصاحبه والمجاورة توجب الاشتراك فى المحاورة (و) ملازمة (عدم صحبة الاشرار) البعيدين عن الاخلاق الجيدة فان صحبتهم تزيل عنه ذلك الخلق المحمود وتثبت فيه ضده (واياه) اى ليحذر من حصل له ذلك الخلق المحمود (والاسترسال) اى من المداومة (فى) الامور (الملاهى) اى المشغلة للقلب عن تحصيل الكمال (والمزاح) مصدر مزح كمنع مزحا ومزاحة ومزاحا بضمهما كذا فى مختصر القاموس وفى الصحاح المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا واما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان (والمراء) اى المجادلة مع الغير فى العلم اوالدنيا (وليرض) اى يذلل من راض المهر رياضا ذلله فهو رائض واستراضت النفس طابت وراوضه داراه كذا فى مختصر القاموس (نفسه) اى ذاته ليدوم عليه ذلك الخلق المحمود (بوظائف) اى امور راتبة (علمية) كقراءة العلوم والتدريس فيها ومطالعة ابحاثها وتصنيف مسائلها ونسخ كتبها (و) وظائف (عملية) كالاشتغال بنوافل الصلوات والصيام والحج والصدقات وزيارة الصالحين احياء واموانا وخدمتهم ونحو ذلك ثم بين رياضة نفسه بقوله (فليذكر) اى يتذكر ولا ينسى (جلالته) اى عظمة ذلك الخلق المحمود (ودوامه) اى دوام ذلك الخلق فانه من اشرف الامور (وصفائه) لمن كدر ضده (وحقارة الدنيا) بالنسبة الى الآخرة فانها اى الدنيا لا توازن عند الله تعالى جناح بعوضة (وزوالها) السريع فكانك بها ولم تكن (ونكدها) الكثير اى عسرها وشدتها على اهلها

(وباستماع) معطوف على ملازمة (ما) اى الذى (ورد) من الآيات القرآنية والاخبار النبوية (فى) مدح (حسن الخلق) فانه ينشط للمحافظة على ما حصل له من ذلك الخلق المحمود (اجمالا) اى بطريق الاجمال (وتفصيلا) اى بطريق التفصيل (والثانى) اى ما ورد تفصيلا (سيجئ) بيانه فى هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى ومن الاول) اى مما ورد اجمالا (قوله تعالى) فى حق النبى صلى الله عليه وسلم (وانك) يا محمد والله (لعلى خلق) اى مستعل عليه مالك له لا هو مالك لك وهذا غاية الكمال ان علك المقامات ويكون فيها على حسب ما يريد (عظيم) قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ذكره القسطلانى فى مواهبه وتقدم بسطه فى شرح الديباجة (وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما خرجه) اى رواه (طك) يعنى الطبرانى فى معجمه الكبير (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد) المؤمن (ليبلغ) اى ينال (بحسن خلقه) الذى يتخلق به (عظيم درجات الآخرة) اى مراتبها العالية (وشرف المنازل) فى دار الجنان (و) الحال (انه) اى ذلك العبد (لضعيف العبادة) اى قليلها فلا تضره قلة عبادته لله تعالى مع حسن خلقه (وانه) اى العبد (ليبلغ بسوء خلقه اسفل دركة) وهى واحدة دركات النار منازل اهلها والنار دركات والجنة درجات والقعر الآخر درك ودرك قاله ابن فارس فى المجمل (فى جهنم) ويقابله وان كان كثير العبادة لانه يهدمها فى الحال بسوء خلقه فهيهات ان تبقى لعبادة مع ذلك فان الرياء والسمعة والعجب والغيبة محبطات العمل كما سيأتى بيانها ان شاء الله تعالى وهى من الاخلاق السيئة (حد هق حك) يعنى روى الامام احمد والبيهقى والحاكم رضى الله عنهم باسانيدهم (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعثت) اى بعثنى الله تعالى الى الامة (لاتمم) لهم (مكارم الاخلاق) فان فيهم بعضها كالكرم الذى فى العرب والشجاعة التى فى قريش والرقة التى فى اليمن ونحو ذلك فانه عليه السلام كمل لهم ما كان ناقصا فيهم من انواع الاخلاق الكريمة وزاد فى رواية جابر رضى الله عنه ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال لجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم ادب بالقرآن العظيم كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربى عرفت كل شئ

كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين ذكره القسطلانى فى مواهبه عن الحرالى (طب ز) يعنى روى الطبرانى والبزار باسنادهما (عن انس) بن مالك رضى الله عنه (انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ذهب صاحب حسن الخلق) اى ظفر وفاز (بخير الدنيا والآخرة) لحصوله على ما يتوصل به الى المنافع الدنيوية والاخروية وهو الخلق الحسن اذ به يراعى حقوق الله تعالى عليه وحقوق الناس فيسلم من المطالبة بشئ من ذلك (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما حسن) بالتشديد (الله) تعالى اى جعل حسنا (خلق) بفتح فسكون اى خلقة وصورة (رجل) من الناس (وخلقه) بضمة اوضمتين اى طبيعته وعادته (فيطعمه) اى الله تعالى (النار) فى الآخرة بادخاله فيها وتعذيبه بها اذ حسن خلقته يحببه الى الناس وحسن طبيعته يحببه الى الله تعالى والى الناس فيكمل له محبة الله تعالى له ومحبة الناس له فيسعد فى الدنيا والآخرة فلا يدخل النار نار الدنيا التى هى نار الغضب من الناس عليه مع بقية المخلوقات ونار الآخرة ايضا التى تتسعر بغضب الرحمن (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق) اى خذه والزمه بلا مفارقة (قال) ابو هريرة له عليه السلام (وما حسن الخلق) يعنى اى شئ هو (يا رسول الله قال) له النبى (صلى الله عليه وسلم) حسن الخلق ثلاث خصال الاولى (تصل) اى تواصل وتخالط بالنصح والاخلاص (من قطعك) اى قاطعك وباعدك وهجرك من الناس اذا علمت رغبته فيك مع كراهة بدايتك له بالمودة تكبرا منه او حقدا عليك لتذل له اولتأدب معه لا اذا علمت عدم رغبته فى صحبتك فانه تعريض منك للمجادلة والمماراة او علمت عدم عود المودة بينكما او كان يترتب على ذلك ارتكاب معصية منك او منه فان فى الوصل حينئذ قطعا فى الباطن (و) الثانية (تعفو) اى تصفح (عمن ظلمك) من الناس بمنعك حقك عليه من مال اومنصب شرعى او خدمة او تأدب او نحو ذلك اذا لم يترتب على عفوك عنه تجرئة عليك او على غيرك او كان فى مؤاخذتك له حق الشرع والا كان فى عفوك عنه ظلم له (و) الثالثة (تعطى) مالا او علما او وفاء بعهد (من حرمك) اى منعك من شئ من ذلك اذا لم يكن فيه اعانة على معصية والا كان حرمانا منك له لا اعطاء (فعليك) يا (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بتخلية) اى تفريغ (قلبك عن الرذائل) التى هى الاخلاق المذمومة (وتحليته) اى قلبك (بالفضائل) التى هى الاخلاق المحمودة (فان التصوف عبارة عنهما) اى عبارة عن التخلية والتحلية (الا) اى لانه (قيل فى تعريفه)

عندالله (هوالخروج من كل خلق سنی) ای سافل مذموم (والدخول فی كل خلق سنی) ای عال محمود وهو قول الامام ابی محمد الحریری وقد سئل الجنید رضی الله عنه عن التصوف فقال هو ان یمیتك الحق عنك و یحییك به وسئل عمرو بن عثمان المکی عن التصوف فقال ان یکون العبد فی کل وقت بما هو اولی فی الوقت وقال محمد بن علی القصاب التصوف اخلاق کریمة ظهرت فی زمان کریم من رجل کریم مع قوم کرام وقال معروف الکرخی رضی الله عنه التصوف الاخذ بالحقائق والیأس مما فی ایدی الخلائق ذکره القشیری فی رسالته

﴿ القسم الثانی ﴾

من القسمین اللذین لابد منهما (فی) بیان (الاخلاق الذمیمة) ای المذمومة (وتفسیرها) ای البحث عن معناها (و) ذکر (غوائلها) ای آفاتها ومفاسدها التی تترتب علیها (و) ذکر (علاجها) ای مداواتها (تفصیلا) علی وجه التفصیل (اعلم) یاایها السالك (انی تتبعتها) ای الاخلاق الذمیمة (فوجدتها ستین) خلقا الخلق (الاول) من الاخلاق الستین المذمومة (الکفر بالله تعالی والعیاذ) ای الالتجاء والاحتماء بالله تعالی منه (وهو) ای الکفر (اعظم المهلکات) فی الدنیا والآخرة (علی الاطلاق) اذلا معصیة اقبح منه (فنقول) فی بیانه (وبالله) سبحانه لابغیره (التوفیق) لنا علی ما نشرع فیه (هو) ای الکفر فی اللغة وفی الشرع (عدم الایمان عمن) ای عن عبد (من شانه ان یکون مؤمنا) فلا یوصف به الجماد ونحوه لانه لیس من شأنه عند العقلاء ان یکون مؤمنا فعدم ایمانه لایسمی کفرا وکذلك غیر المکلف من بنی آدم كالصغیر والمجنون لایوصف بالکفر لعدم وصفه بالایمان لانتفاء التمیز (والایمان هو التصدیق بالقلب) ای اعتقاد الصدق علی وجه القطع والجزم (بجمیع ما جاء به محمد صلی الله تعالی علیه وسلم من عندالله) تعالی الی الخلق (والاقرار باللسان به) ای بجمیع ذلك المذکور (عند عدم المانع) من الاقرار (حقیقة) کالخرس (وحکما) کخوف القتل اواتلاف عضو منه فیما اذا اکره علی الکفر وقلبه مطمئن بالایمان (او) عند عدم المانع (حکما فقط) بان کان غیر خائف لواتی بالاقرار بلسانه لکن لایمکنه لوجود المانع الحقیقی وهو الخرس فانه معذور ایضا فی ترك الاقرار حینئذ کما اذا عدم المانع حقیقة فقط فی القادر اذا کان مکرها علی اظهار الکفر بقتل اوقطع عضوله فانه معذور ایضا فی ترك الاقرار (وتفسیر الکفر بالانکار) لشیء مما علم من الدنیا بالضرورة (لیس بجامع لخروج الشك و) لخروج (خلو) ای فراغ (الذهن) ای الخاطر (عنه) ای عن الکفر فان الشك کفر وکذلك خلو الذهن وهو عدم التصدیق والتکذیب معا وبقاء الذهن خالیا عنهما فانه کفر ایضا فی غیر اهل الفترة مع انهما لیسا بانکار (فیحصل) بمقتضی التعریف (الاول) للکفر یکون (بینهما) ای بین الکفر والایمان

(تقابل العدم والملكة) اى القوة الراسخة فان هذا التقابل من جلة المتنافيات وهو عدم الملكة عما من شأنه ان يكون متصفا بها كالعمى والبصر فان بينهما تقابل العدم والملكة اذ العمى عدم البصر عما من شأنه ان يكون متصفا به فلا يقال للجدار اعمى لانه لا يقال له بصير (وعلى) مقتضى التعريف (الثانى) للكفر يكون بين الكفر والايمان (تقابل التضاد) فان الضدين هما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف بحيث لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض ولعل مراد المصنف رحمه الله تعالى هنا بالتضاد مطلق التنافى بين الامرين فيشمل النقيضين كالحركة والسكون ووجود زيد وعدمه فانهما لا يجتمعان ولا يرتفعان والكفر والايمان بالتفسير الثانى كذلك (والكفر) بالله تعالى (ثلاثة انواع) النوع الاول كفر (جهلى) اى منسوب الى الجهل وهو عدم العلم بالحق (وسببه) الموصل اليه (عدم الاصغاء) اى الاستماع لتقرير الدين من ائمة الاسلام (و) عدم (الالتفات) الى ذلك بالتعلم من اهله (و) عدم (التأمل فى الآيات) اى العلامات المنصوبة فى الآفاق وفى الانفس على الحق (و) فى (الدلائل) الشرعية المقررة فى الكتاب والسنة (ككفر) الكافرين من (العوام) المشتغلين بالدنيا المعرضين عن الاشتغال بالدين فلا يعرفون شيئا من العلوم العقلية ولا النقلية (والجهل هو) الخلق (الثانى من) الاخلاق الستين المذمومة التى هى (آفات القلب) اى مهالكه ومفاسده (وهو) اى الجهل (عدم العلم عن) اى عن الشخص الذى (من شأنه ان يكون عالما) فلا يقال للجماد والحيوان جاهل لانه لا يقال له عالم فبينهما تقابل العدم والملكة (وهو) اى الجهل (نوعان) النوع الاول جهل (بسيط) اى غير مركب لان صاحبه يجهل فقط ولا يجهل انه يجهل بل يعلم انه يجهل (واصحابه) اى المتصفون بهذا النوع منه (كالانعام) اى البهائم او الابل والبقر والغنم او الابل فقط وانما شبهوا بهم (لفقدهم ما به يمتاز) اى يفترق (الانسان عنها) اى عن الانعام من العلم والادراك (بل هم) اى اصحاب الجهل البسيط (اضل) اى اكثر ضلالة من الانعام (لتوجهها) اى الانعام (نحو) اى جهة (كمالاتها) بالانقياد الى ما هى مأمورة بان تنقاد له من نوع الانسان وهى مسخرة له تحت ملكه وتصرفه دون الانسان الجاهل فانه غير منقاد لله تعالى الذى هو مأمور بالانقياد اليه (فما وجب) اى افترض على المكلف (علمه مما) اي من العلوم التى (سبق) ذكرها (حرم جهله ومالا) يجب علمه (فلا) يحرم جهله (وعلاجه) اى مداواة الجهل البسيط (بعد معرفة غوائله) اى آفاته ومهالكه (و) معرفة (فوائد العلم مما) اى من الفوائد التى (سبق) ذكرها (فى فضل العلم) المتقدم بيانه (التعلم) اذ لا نفع للجهل من التعلم فان العلم دواؤه المجرب ودرياقه الموصوف له عند المقرب (وقد يحصل) للانسان (بسبب تعارض الادلة العقلية) عنده حين يريد استعمالها لتلفيق قياس عقلى يثبت به مسئلة نظرية او يرد على مبتدع (جهل)

بالامر على ماهو عليه (يسمى) ذلك الجهل (حيرة و) يسمى (شكاو) يسمى (ترددا و) يسمى (توقفا) وذلك لعدم القطع فيه بشئ (فعلاجه) اى مداواته ليزول بالكلية (ممارسة) اى مداناة ومداولة (القوانين العقلية) اى القواعد الكلية وامثلتها (كالمنطق) وسبق الكلام عليه (وغيره) من علم الكلام والحكمة اليونانية وان كان ذلك محذورا عليه فان مراده تحقيق المسئلة النظرية ليعلم حكم العقل فيها او يرد على المبتدعة من جنس كلامهم لا ليعتقد ما انتج له نظره العقلى وقياسه الفكري من ذلك فان الايمان بما تضمنه الكتاب والسنة على حسب ما يعلمه الله تعالى من ذلك ويعلمه رسوله هو مبنى الدين المحمدى و بعد حصوله لاحرج فى مقارعة اهل الاعتزال وغيرهم بالادلة النظرية بنية ردهم الى الطريق الاسلامية (حتى يطلع) ذلك الجاهل المتحير (على) وجود (شرط) كان (اهله) هو (او) كان (اعتبره ولم يكن) عند اصحاب القوانين العقلية (معتبرا فى احد) متعلق بيطلع (الدليلين) المتعارضين عنده (فيزول التعارض) حينئذ واذا زال التعارض (فالحيرة) تزول ايضا وهى هذا النوع من الجهل المذكور (وتعارض الادلة الشرعية) من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الجلى والقياس الخفى المسمى بالاستحسان (قد لا يمكن دفعه) اى ازالة ذلك التعارض بترجيح احد الدليلين على الآخر ولا بد ان يكون الدليلان المتعارضان ظنيين اذ لا يتم التعارض بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين فلا يتصور الترجيح لانه فرع التفاوت فى احتمال النقيض فلا يكون الا بين الظنيين كذا فى مرأة الاصول ثم بين عدم امكان الدفع بقوله (بان لا يعلم التاريخ) اى تقدم زمان وجود احد الدليلين على الآخر اذ لو علم التاريخ لحمل على النسخ كما فى معارضة الكتاب للكتاب او السنة للسنة ولم يعلم التاريخ فان علم حمل على النسخ لامتناع حقيقة التعارض فى الكتاب والسنة لانه انما يتحقق اذا اتحد زمان ورودهما والشارع عن تنزيل دليلين متنافيين فى زمان واحد بل ينزل احدهما سابقا والآخر لاحقا ناسخا للاول لكنا اذا جهلنا التاريخ توهمنا التعارض واذا علمنا التقدم والتأخر حملنا عليه (وامتنع الترجيح بالاسباب المرجحة) لاحد الدليلين على الآخر كوجوه الترجيح الكائنة فى الكتاب كترجيح النص على الظاهر والمفسر على النص والمحكم على المفسر ونحو ذلك والترجيح فى السنة كالترجيح بفقه الراوى والمشهور من الرواية على الآحاد وترجيح المسموع من النبى صلى الله عليه وسلم على ما يحتمل السماع كما اذا قال احدهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح الحظر على الاباحة وما يوافق القياس على ما لا يوافقه والترجيح فى القياس بقطعية حكم اصله و قوة ظنى دلالته الظنية ومشاركة الفرع فى الاصل فى نوع الحكم والعلة ثم فى نوع العلة ثم فى نوع الحكم و بقطعية العلة كالمنصوصة والمجمع عليها وتمامه مفصل فى الاصول وحيث جهل التاريخ وامتنع الترجيح بما ذكر

(فيوجب) التعارض المذكور (الشك والتوقف) في الحكم فلا يقطع فيه بشئ (فلذا توقف بعض المجتهدين) من ائمتنا وغيرهم (في بعض المسائل) الشرعية (كائمتنا الثلاثة) وهم ابوحنيفة وابويوسف ومحمد رضي الله عنهم حيث توقفوا (في سؤر) اي بقية الماء القليل في الاناء ونحوه حيث وقع فيهما (البغل والحمار) ووصل اليهاشئ من لعاب احدهما فان الماء يصير مشكوكا في طهوريته حينئذ وقيل في طهارته وسبب ذلك تعارض الاخبار والآثار وامتناع القياس فقد روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الحمر الاهلية وروى ايضا انه عليه السلام قال كل من سمين مالك انما قال لم يبق من مالي الا هذه الحميرات وروى عبدالله بن ابي اوفى انه عليه السلام حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وروى غالب بن ابجر انه عليه السلام اباحها فاوجب ذلك اشتباها في لحمه ويلزم منه الاشتباه في سؤره لان لعابه متولد منه فاخذ حكمه وتعارض الآثار بقول ابن عمر رضي الله عنهما ان سؤر الحمار نجس وقول ابن عباس رضي الله عنهما انه طاهر وامتناع القياس انه لا يمكن الحاقه بالهرة لانه ليس مثلها في الطواف ولا بالكلب للضرورة ولا الحاق لعابه بلحمه اولبنه في اوضح الروايتين وان روى عن محمد انه طاهر ولا يؤكل لان فيه ضرورة الاختلاط ولا بعرقه الطاهر في ظاهر الرواية لان الضرورة فيه اكثر كذا في مرآة الاصول (و) كتوقف (ابي حنيفة رضي الله عنه في اطفال المشركين) هل هم في الجنة اوفي النار مع آبائهم وقد رأيت في المنام رؤيا تدل على ترجيح القول بانهم خدام اهل الجنة ذكرتها في كتابي النوافح الفايحة بروايح الرؤيا الصالحة (و) توقفه ايضا رضي الله عنه في (وقت الختان) في اي سنة من عمر الصغير (و) توقفه ايضا في (دهر منكر) اي بصيغة التنكير كما اذا حلف لا يكلمه دهرا فالمراد به وفي شرح الدرر قال ابوحنيفة دهر منكر لا ادري ماهو اي باي شئ يقدر من الزمان وعندهما نصف سنة كحين وزمان والدهر معرفا يراد به الابد عرفا انتهى والتوقف في مثل ذلك لا يكون الا من كمال العلم والورع وقد جمع بعضهم المواضع التي توقف فيها الامام ابوحنيفة رضي الله عنه بقوله

من قال لا ادري بما لم يدره * فقد اقتدى في الفقه بالنعمان

في الدهر والخنثى كذاك جوابه * ومحل اطفال ووقت ختان

واوصلها بعضهم الى ثمانية في قوله

ورع الامام الاعظم النعمان * سبب التوقف في جواب ثمان

سؤر الحمار بفاضل جلالة * وثواب جني على الايمان

والدهر والكلب المعلم ثم مع * ذرية الكفار وقت ختان

وذكر الحدادي في شرح القدوري انها اربعة عشر مسئلة وفي خزانة الفتاوى الدهر ومحل الاطفال ووقت الختان واذا بال الخنثى من الفرجين معا وان الملائكة افضل

من الانبياء ومتى يصير الكلب معلما وسؤر الحمار ومتى تطيب الجلالة ومثله في عمدة المفتي ثم قال وتوقفه في هذه المسائل من جلالة قدره وعلو امره في العلم وغاية ورعه في الزهد حيث توقف ولم يجازف والتوقف عند عدم الدليل نوع علم قال الله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ وهذا المقدار في الينابيع ايضا ثم قال وتوقف ابي حنيفة رضي الله عنه في هذه المسائل من غاية معرفته بالاحكام وغاية ورعه في الدين اذ لو لاح له وجه جلي لحكم به ولتلقاه الناس منه بالسمع والطاعة كما تلقوا منه سائر الاحكام واقتدوا به وما من احد من الناس احاط بالعلوم كلها كما نطق به الكتاب بقوله تعالى ﴿وما اوتيتم من العلم الا قليلا﴾ ولان هذا من سيرة الانبياء عليهم السلام الا ترى ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن افضل البقاع قال لا ادري حتى هبط جبريل عليه السلام فاخبره بان افضل البقاع المساجد وكذلك سئل عن اولاد المشركين قال الله اعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم الى غير ذلك مما توقف فيه صلوات الله وسلامه عليه وقال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال محمد كان الامام يقف في اطفال المشركين والمسلمين والمختار ان التوقف في اطفال المسلمين مردود فانهم في الجنة واختار البعض في اطفال المشركين انهم خدام اهل الجنة كذا في البزازية وذكر ايضا والدي رحمه الله تعالى ان اقصى وقت الختان اثنى عشر حولا واما اقل وقته فقال ابو حنيفة لا علم لي به ولم يرد عن ابي يوسف ومحمد فيه شيء واختلف المشايخ فيه بعضهم قالوا سبع سنين وبعضهم تسع سنين وبعضهم عشر سنين وبعضهم لم يوقتوا وقتا بل قالوا اذا كان بحال يطيق الم الختن يختن والا فلا كما في الذخيرة وقال ابو الليث المستحب عندي اذا بلغ سبع سنين يختن فيما بينهما وبين عشر كما في الينابيع ومجمع الفتاوى ويكره الترك الى وقت البلوغ كما في السراج الوهاج (و) النوع الثاني جهل (مركب) من جهل وجهل انه جهل (وهو اعتقاد) بالقلب (غير مطابق) لما هو عليه بان يجهل الامر ويجهل انه يجهل ذلك الامر (وهو شر من) الجهل (الاول) البسيط لكونه جهلين والاول جهل واحد (وهو مرض) من امراض القلوب (مزمن) اي باق على الازمنة الطويلة (قلما يقبل العلاج) اي المداواة كما روى ان عيسى ابن مريم عليه السلام قال داويت الاكمه والابرص واحييت الموتى واما الجهل المركب فقد اعيانى دواؤه (لان صاحبه) اى الجهل المركب (يعتقده) اى الجهل المركب (علم وكمال) فيه (لا) انه (جهل ومرض فلا يطلب ازالته) عنه (و) لا (علاجه) لانكاره انه مرض (الا ان يطلع على فساده) اي كونه فاسدا (بغتة) من تلقاء نفسه اذ لا يسمع كلام احد في ذلك (بعناية الله تعالى) له اي بسبب ذلك ان تداركه الله تعالى والامات على جهله (والنوع الثاني) من انواع الكفر الثلاثة (كفر جحودي) اي منسوب الى الجحود وهو الانكار (وعنادي) اي منسوب الى المعاندة

وهي المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد كذا في مختصر القاموس (وسببه) اى الكفر الجحودى العنادى ثلاثة اشياء الاول (الاستكبار) اى التكبر في النفس (وسيجئ) بيان التكبر في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (ككفر فرعون وملائه) اى قومه فانهم كانوا متكبرين في نفوسهم عن متابعة موسى عليه السلام والانقياد للحق الذى جاء به اليهم فحملهم التكبر على الجحود والعناد مع علمهم بالحق في قصة السحر وغيرها من بقية الآيات البينات (لقوله تعالى) في حقهم (فاستكبروا) اى عن النزول للحق المبين والاذعان له (وكانوا قوما عالين) اى مترفعين متكبرين (فقالوا) من فرط استكبارهم وعنادهم (أنؤمن لبشرين) موسى وهارون عليهما السلام (مثلنا) اى كل واحد منهما متشابه لنا في البشرية (وقومهما) اى والحال ان قومهما وهم بنو اسرائيل (لنا عابدون) اى لنا واحد منا وهو فرعون بناء على زعمهم الوهيته اومطيعون قال ابو عبيدة العرب تسمى كل من دان الملك عابدا له وقال المبرد العابد المطيع والخاضع (وقوله تعالى وجحدوا بها) اى بآيات الله المبصرة (واستيقنتها) اى تحققتها (انفسهم ظلما) اى تجاوزا عن الحد (وعلوا) يعنى استعلاء بالباطل وبما لا يجب من تعدى الحق تجبرا وتكبرا قال المبرد يقال علا فلان اذا ترفع وطغى وتجبا وزومنه قوله تعالى * الا تعلوا على * اى لا تطغوا وتتكبروا ذكره الواحدى في البسيط (و) السبب الثانى (خوف) عطف على الاستكبار اى وسببه ايضا خوف (عدم وصول الرياسة) اليه اى الجاه والرفعة في الحياة الدنيا (او) خوف (زوالها) اى الرياسة (ككفر هرقل) وهو ملك الروم المسمى قيصر فانه كان علم ان نبينا صلى الله عليه وسلم حق ولكن منعه من الاسلام والمتابعة خوفه على زوال ملكه وذهاب رياسته فاختار البقاء على الكفر لاحتمال زوال سلطانه بالانقياد لغيره فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر المدعو بهرقل ملك الروم يوم ذلك ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من ينطلق بكتابى هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يصل يا رسول الله قال وان لم يصل فاخذه دحية بن خليفة الكلبى وتوجه الى مكان فيه هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اسم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون * ولما قرئ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم غضب ابن اخى قيصر غضبا شديدا وقال ادنى الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم فقال له عمه والله انك لضعيف الرأى اتريد ان ارمى كتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر او كلاما هذا معناه وقال ان ارمى بكتاب ولم اعلم ما فيه لئن كان

رسول الله انه لا حق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه ثم امر بانزال دحية واكرامه الى ان كان من امره ما ذكره البخاري في حديثه كذا في المواهب اللدنية وفي صدر الحديث ما يدل على ان دحية رضي الله عنه مبشر بالجنة ايضا كالعشرة المبشرين بها (وحب الرياسة الدنيوية) احتراز عن الاخروية فان طلبها من الخير والصلاح (هو) الخلق (الثالث من امراض القلب) اي من الاخلاق السيئة المذمومة المردية له (وهي) اي الرياسة الدنيوية (ملك) بكسر اللام اي سلطان (القلوب) لتملكها لقلوب الناس وقهرها (وتسمى) اي الرياسة (جاها) من الوجاهة وهي الصدارة والتقدم على الغير (وشرفا) اي رفعة (وصيتا) بالكسر وهو الذكر الحسن والثناء الجميل (ت س) يعني روى الترمذي والنسائي باسنادهما (عن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماذئبان) تثنية ذئب وهو حيوان معروف (جايعان ارسلا) اي دخلا بلا منع احد (في) قطيع (غنم بافسد) اي اكثر فسادا (لها) اي للغنم (من) افساد (حرص المرء) اي شدة محافظته ومكابته واجتهاده (على المال و) على (الشرف) اي الجاه والرفعة (لدينه) فان افساد حرصه على المال وحرصه على الشرف اكثر من افساد الذئبين الجايعين لتلك الغنم (هق) يعني روى البيهقي باسناده (عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسب) بالسكون (امرئ) اي يكفيه (من الشر) والسوء (من الاعصمه) اي حفظه (الله) تعالى من ذلك (ان يشير) اي اشارة (الناس اليه) تعظيما له (بالاصابع) احتشاما عن التصريح باسمه (في دينه) الحق اي بسبب ذلك كقوله عليه السلام دخلت النار امرأة في هرة اي بسببها (و) كذلك في (دنياه) الواسعة وجاهه ومنصبه (ديل) يعني روى ابو منصور الديلمي باسناده (عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الثناء) اي المدحة وجميل الذكر الصادر (من الناس) في مقابلة صفة جيدة منه او فعل حسن (يعمي) العين والقلب عن عيوب النفس ومقابح الطبيعة والخصال الردية (ويصم) عن سماع الحق من الناصحين له (وسببه) اي حب الرياسة (ثلاثة) انواع (احدها التوسل) اي التوصل (بالجاه) الذي يوجب ثناء الناس ومدحهم له (الى ما حرم) اي ما حرمه الله تعالى (من مشتهيات النفس ومراداتها) كالاستطالة على من دونه والترفع على ضعفاء الدنيا ونيل الاموال الكثيرة من غير حلها وايقاع الهيبة والخوف في قلوب الناس ونحو ذلك (وهذا) النوع من حب الرياسة (حرام) لانه وسيلة الى حرام (وثانيها) اي الانواع الثلاثة (التوسل به) اي بحب الرياسة (الى اخذ الحق) الذي له على الغير من الغير اذ من لا جاه له ممتهن في الناس لا يكاد يقدر على الوصول على حقه اذا ترتب له على احد خصوصا في البلاد التي يضعف فيها الانصاف ويقل العدل (و) الى (تحصيل

المرام) اى المقصود (المستحب) كالتمكن بذلك من اظهار نعمة الله تعالى عليه من الاموال ببذل الصدقات وبنيان المساجد والسبلات والطرقات (او المرام (المباح) كالتبسط بانواع المآكل والمشارب والمناكح والمساكن ونحوها (او) الى (دفع الظلم) من الظالمين عنه اوعن غيره (و) دفع (الشواغل) العائقة له (و) تحصيل (التفرغ للعبادة) والطاعة (او) التوسل (الى تنفيذ الحق) اى اظهاره والزام الغير به (واعزاز) اى نصرة (الدين) المحمدى (واصلاح الخلق) اى الناس المرتكبين للمفاسد (بالامر) لهم (بالمعروف والنهى) لهم (عن المنكر) فان الجاه والشرف يعين على قبول القول وتصديق الخبر والمبادرة الى الانقياد (فهذا) النوع من حب الرياسة (ان خلا عن) قصد (المحظور) اى الممنوع شرعا (كالرياء) بان كان صاحبه مخلصا فى ذلك قاصدا وجه الصواب (و) عن (التلبيس) عليه بان لم يلتبس عليه الرياء ونحوه بغيره وعرف نفسه فتحقق منها صدقها فى المقاصد المذكورة (و) عن (ترك الواجب والسنة) بان خلا من ذلك ولم يترتب عليه شئ منه (جائز) لاحرمة فيه (بل مستحب) حينئذ لايصاله الى فعل المستحب (قال الله تعالى حكاية) عن العباد الصالحين (واجعلنا للمتقين) من بعدنا (اماما) يقتدون بنا فيافيه التقوى فان منصب الامامة رياسة وجاه ورفعة وحيث خلا من قصد فاسد كان طاعة فصح طلبه وساغ لهم دعاء الله تعالى فى تحصيله ومنه قول سليمان عليه السلام رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى (والا) اى وان لم يكن كذلك (فلا) يجوز لانه يكون حينئذ لغرض محظور او تلبيس حاله عليه او ترك طاعة فيكون حراما او مكروها والقصد الحسن مع ذلك لاتأثير له (لان النية) الحسنة لاتؤثر فى المحرمات (و) لافى (المكروهات) بحيث تجعلها طاعات (وثالثها) اى الانواع (التلذذ به) اى بحب الرياسة (نفسه) تأكيد له احترازعن التلذذ بعوارضه اللازمة له من قضاء الاغراض والمقاصد النفسانية (وظنه) اى حب الرياسة (كالا) وهذا النوع المذكور (كحب المال) الكثير (للتنعم) بصرفه فى وجوه الاغراض النفسانية (والتلذذ به) اى بالمال (فان خلا) اى التلذذ بحب الثناء وبحب المال (عن المحظور) اى المنهى عنه (فليس بحرام) لعدام ترتب حرام عليه (ولكنه مذموم) فى رتبة الكمال لاخلاله بها (لكون صاحبه مقصور الهم) اى العزم والهمة (على مراعاة) خواطر (الخلق و) لاجل (خوف تأديته) اى ايصال ذلك النوع المذكور من حب الرياسة (الى المراءاة) التصنعات (لاجلهم) اى الخلق (والى النفاق) لهم (باظهار ماليس فيه من) انواع (الكمالات لاقتناص) اى صيد شوارد (القلوب) من الخلق (والتلبيس) عليهم فى الاقوال والاحوال (والخدعة) لهم فى التوصل الى مقصده منهم (والكذب) عليهم فى الامور التى تجبهم منه (والعجب) بنفسه (ونحوها) من الحسد والبغض والحقد (وعلاجه)

اى حب الرياسة (ان يعلم) العبد (انه ليس بكمال حقيق) بل الكمال ان كان فيه كنوع السحب فانه بالعرض لابالذات (لفنائه) اى سرعة زواله (وكدورته) اى عدم صفائه لاحد اصلافان جميع القلوب لاتجتمع على الثناء على احد من غير طعن فيه اصلا كما بسطته فى خاتمة كتابى ارد المتين (ومزرعة غوائله) اى آفاته ومفاسده (المذكورة) من مراعاة الخلق ومراآتهم ونفاقهم (وان يعمل مايسقط الجاه) وارفعته له (عن قلوب الخلق من الامور الخسيسة) غير الشريفة (المباحة) غير المحرمة ولاالمكروهة ليستربها من عيون الناس فيسلم من اقبالهم عليه (كما روى ان بعض الملوك) المتقدمين (قصد زيارة (بعض الزهاد) من اهل السلوك فى طريق الله تعالى (فلما علم) ذلك الزاهد (بقربه) اى الملك (منه استدعى) اى طلب لنفسه (طعاما وبقلا واخذ يأكل) ذلك (بشره) اى نهمة وتكالب (و يعظم اللقمة) اى يضعها فى فمه كبيرة ليستتر بذلك عن عين الملك فيزل اعتقاده به فيصقول وقته من اكدار اعتقادات الغافلين وسوء اقتراحات المحجوبين (فلما نظر اليه الملك) وهو يفعل ذلك الامر المباح (سقط) ذلك الزاهد (من عينه) اى الملك (وانصرف) الملك عنه وتركه على حاله (فقال الزاهد) بلسانه او بقلبه (الحمد لله الذى صرفك عنى) حيث اراحه الله تعالى عنه ومن تشهيه عليه بقلبه الغافل وبصيرته المطموسة وجاء من رق جماله وفتنة لمودته قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى شرح الوصية اليوسفية فى معنى تستر الولى والصورة التى ظهر فيها هذا الولى من احواله ايضا فاظهر بخلاف احواله وانما ظهر بخلاف الحال الذى تعتقده العامة فى الولى انه حال له ولا يخفى ولى حاله عن الناس الابدخوله مداخلهم فى عاداتهم مما لاتنتهك فيه حرمة شرعية فلا يرى العامة من هذا الولى الاما اعتادته من العامة فلايميز لهم حال الولى المتوهم فى نفوسهم فيكون ستر لهم على هذا الحال المتوهم فالستر ايضا الابحالة فان استتر بامر فى الظاهر عندهم انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لافى نفس الامر ويبعد ان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ولامن صاحب حال لشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلايقوم له خاطر فى الستر ولا فى الظهور وانما هو بحكم مايصرفه فيه حاله وانما يقع الستر من الاكابر بالمباحات والعادات التى لايقدح الشرع فيها خاصة فان تفق ان يظهر عند الناظر ان ذلك فيه انتهاك حرمة مشروعة فاهو مقصود لذلك الولى وانه جار على عادته فى ذلك مع الله تعالى وان شغله فى ذلك الوقت مع الله بحكم ما اعتادته لامع الخلق فيضل الاجنبى ان ذلك الولى قصد الستر بما جرى منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فانما اى هذا الولى الا امر صحيح محفوظ فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر فى ضوء الحاضر لعله بخمرية ذلك الكاس وهو يشرب ماء وزناه شربه ولا يعلم ذلك

الحضر حتى يناوله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيشر به الاجنبي شرابا حلالا فالاجنبي الذى لا يعلم محمود عنده فى انكاره موف لمقامه والولى محمود فى فعله اذا لم يقصد التستر فان قصد التستر بمثل هذا فهو مذموم فى الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولى فى العموم وقد يقع من ولى فى الخصوص من اصحابه اختبارا منه لصدق دعواهم فى التسليم له هذا مالا تمنعه وعلى هذا يكون تجلى الحق تعالى بتجلى يوم القيامة فى الصورة المنكرة اختبارا للادباء المحققين بالامانة هل يعاملونه فى ذلك الموطن بالمعاملة التى يستحقها الاله او يسكتوا عن ذلك فلا ينكرون وكذلك يفعلون كما فعل قضيب البان مع احمد البزاز حين ظهر له فى صور مختلفة والصورة واحدة واحمد يتعجب فلما اكمل شهوده بحسب ما اراده قضيب البان قال له يا احمد من هو قضيب البان الذى لا يصلى ويترك ما فرض الله عليه والله يا احمد ما تركت فريضة تعينت لله على وانما الامر كما رأيت اخبرنى بذلك احمد بالموصل فى الموضع الذى ابصر منه ذلك وهو عند باب تربة جرجيس النبى عليه السلام فلهذا قلنا قد يظهر الولى لبعض اخوانه بشئ من ذلك تعليما واختبارا ولم يقصد قضيب البان بما يظهر للعامة منه التستر عنهم وانما الحال اعطاه ذلك فلم يكن يبالى بما تعتقده الناس فيه (واقوى الطرق) اى الحجج العلاج (فى قطع الجاه) وازالته بالكلية (الاعتزال) اى الانفراد وحده (عن الناس الى موضع الخمول) اى نسيان ذكره وانصراف شهرته كالقرى البعيدة عن الامصار ورؤس الجبال ومنقطعات القفار فيقنع بالقليل مما تنبته الارض والثمار المباحة واقل امر فى ذلك ان يلازم بيته فلا يخرج الا مقدار الضرورة كالجمعة والعيدين كما روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين انامله فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير والذى ينبغى للعاقل الموفق فى هذا الزمان ان يعمل بهذا الحديث بل من المتعين عليه ذلك ليسلم له دينه ودنياه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (واما الجاه) الحاصل للعبد (بلا حب) منه (له ولا حرص) منه (عليه للذة العاجلة) وهى لذة الدنيا بان لم يكن غرضه ذلك (فليس) هو (بمذموم) شرعا وعقلا وعرفا لانه من اقامة الله تعالى العبد فيما اراده سبحانه (فاى جاه) كان فى الدنيا (اعظم من جاه الانبياء) عليهم السلام (و) جاه (الخلفاء الراشدين) وهم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين فان جاههم كان اعظم جاه ورفعتهم ذا كل رفعة ومقامهم فى الناس اعلى مقام ولكن من غير حب لذلك ولا حرص على حصوله لاجل اللذة الدنيوية ولا فرح به وانما كان ذلك لهم معونة فى نشر الدعوة الى الله تعالى

ونصرة الدين وحماية الاسلام (والسبب الثالث للكفر الجحودي خوف الذم) من الناس (والتعيير) اى الحاق العار منهم بصاحبه (ككفر ابى طالب) ابى الامام على كرم الله وجهه وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ان قريشا اجتمعوا الى ابى طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال فى ذلك ابو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذارى سبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فان كفره كان كفر جحود مخافة الذم والتعيير من قومه كما تشير اليه هذه الابيات من شعره (وهو) اى خوف الذم والتعيير من الخلق (الرابع) من الاخلاق الستين المذمومة (من) جملة (منكرات القلب) اى اخلاقه المذمومة (و) الخلق (الخامس) من الاخلاق الستين المذمومة (حب المدح) من الناس (والثناء) منهم (وهما) اى خوف الذم والتعيير وحب المدح والثناء (كحب الرياسة) السابق بيانه (سببا) اى من جهة السبب فان اسباب حب الرياسة ثلاثة كما مر فكذلك هى ايضا اسباب خوف الذم والتعيير وحب المدح والثناء (وحكما) اى من جهة الحكم فان احكام حب الرياسة ثلاثة ايضا الحرمة والجواز وخلاف الاولى وهما كذلك (وعلاجا) اى من جهة العلاج فان علاج حب الرياسة ثلاثة اشياء ايضا كما مر وعلاجهما مثل ذلك ايضا (غير ان السببين الاولين) من اسباب حب الرياسة كما مر وهما التوسل بالجاه الى المحرمات والتوسل به الى اخذ الحق (فى الاول) اى فى خوف الذم والتعيير (عدم التوسل) بالجاه الى المحرمات وعدم التوسل بذلك الى اخذ الحق مخافة ان يكون التوسل المذكور داعيا الى الذم والتعيير واما فى الثانى الذى هو حب المدح والثناء فالسببان الاولان فيه على بابهما (و) السبب (الثالث) فى الاول الذى هو خوف الذم والتعيير (التألم) اى وجود الالم (بشعور) اى ادراك (النقصان) فى النفس بان يجد فى حاله نقصا فيخاف الذم بذلك والتعيير به (وعدم) معطوف على التألم (ملك القلوب) اى قلوب الناس يعنى دخولها تحت طاعته (و) عدم ملك (الحشمة) اى الهيبة (فيها) اى فى القلوب فيحمله ذلك على خوف الذم والتعيير فلو شعر من نفسه بالكمال وملك القلوب بالرياسة و الاجلال ووقعت له الهيبة فى قلوب الرجال ما خاف الذم والتعيير (وعلاجه) اى علاج خوف الذم والتعيير (ان تحضر فى قلبك) اى خاطرك بان تقول لنفسك (ان الذام) لى اى الذى يذمنى من الناس (ان كان صادقا) فى ذمه لى (فقد عرفنى) بنقصان نفسى

(وذكرني) مقابحها (ونبهني على عيبي) لاحذر منه (فان كان) ذلك العيب (ممكن الزوال) بالمجاهدة والرياضة (فاجتهد) ياايهــا المذموم (في ازالته عنك فهو) اي ذمه لك (نعمة) انعمهاالله تعالى عليك اذنبهك على عيبك اخوك المسلم غيرة عليك (توجب) تلك النعمة (الفرح) منك بها (و) توجب (الحب) منك له (والثناء) عليه (والمكافاة) اي المجازات بالخير (لمعطيهــا) وهو الذي ذمك (ولو) وصلية (اراد) ذلك الذام لي (قدحي) اي شتمي (وطعني) اي انتقاصي بين الناس (اذ) اي لان (نيته) ذلك (لاتوثر) تلك النية منه (فيها) اي في تلك النعمة المذكورة اي لا تمنعهــا ولا ترفعها (و) لا (تخرجها) اي النعمة (من ان تنفع لي) في الدنيا والآخرة ونظيرهذا ماقاله الشيخ اكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنــه في شرح الوصية اليوسفيــة ان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى كان يقول له ياولدي ماارى في العالم الاوليا لله تعالى بالنظر الى فانه لايخلو من يعرفني ان يكون حامدا لما انا عليه اوذاما فان حمدني فاقول هذا ولي مارآني الابصورته مماهو عليه والحمد لله الذي اراني وليا من اوليائه وان ذمني اقول هذا رجل قدكشف الله له عن عيبي ولايكاشف الاولي وهذا رجل بسمى بماينسب الي ويذكرني حتى اتحفظ من هذه الصفة فانصح عبــاد الله الاولي هذا كان اعتقاده في الخلق كلهم رحمه الله تعالى ورضي عنه (بل تزيد) تلك النعمة على نفعي (لصيرورة ذمه) لي (حينئذ) اي حين اذ اراد قدحي وطعني (لمزا) اي استهزاء علي وسخرية بي (وغيبة) لي (فيكون مهديا الي بعض حسناته اومنقذا لي) اي منجيا (من بعض ذنوبي) كما ورد ان من اغتــاب غيره من الناس ذهبت حسنــاته الى صحائف ذلك الغير حتى لاتبقى له حسنة ثم تكتب سيئات الغير في صحيفته انتهى وذكر القشيري في رسالته ان مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا يغتاب واحدا خراسانيــا وآخر حجازيا وآخر تركيا فيفرق حسناته فيقوم ولاشيء معه وقيل يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ولايرى فيه حسنة فيقول اين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقــال ذهب عملك كله باغتيابك النــاس وقيل من اغتيب بغيبة غفرالله نصف ذنوبه وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس وانت لاتشعر وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقــال لو كنت مغتابا لاغتبت والدي لانهما احق بحسناتي وقيل للحسن البصري ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبق حلوى وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فكافأتك (فتضاعف) اي تتزايد (النعمة) المذكورة بسبب اهداء بعض الحسنات والانقاذ من السيئات فتصير نعمة اخرى (فان الالم) الداعي الى حب المدح والثناء فانه يرتفع حينئذ (وان لم يكن زواله) اي ذلك العيب بالمجاهدة بان صار امرا ضروريا (تحصل لي النعمة الثانية) وهي نعمة اهداء الحسنات والانقاذ من السيئات (وان كان) ذلك الذام لي (كاذبا)

فى ذمه لى (فقد بهتنى) اى اتى بما يبهتنى اى يجعلنى حائرا متفكرا عند سماعه مما انا برئ منه وهو البهتان اقبح من الغيبة (واضر نفسا) بما اتى به فى حقى (وحصل لى) من الذم (النعمة الثانية) اى اهداء حسناته اوالانقاذ من سيئاتى حصولا (اكثر) فى الاهداء (واعظم) فى الانقاذ (من) القسم (الاول) الذى كان فيه صادقا (فالالم) الحاصل الانسان (من الذم) الذى ناله من غيره (انما يحصل لمن قصر نظره) اى التفاته (على) طلب (الدنيا) فقط فيخاف ان يذهب عنه بذلك جاهه فيها (واما طالب) الدار (الآخرة) والمراتب العالية فيها (فالحاصل له) بذلك الذم من الغير (الفرح والنشاط) لاعانته بذلك فيما هو بصدده من انزواء الدنيا عنه وقطع العلائق والعوائق وحثه على كراهة البقاء فى دار الفناء وتكثير حنينه واشتياقه الى دار الانصاف والاسعاف والانعام والدوام مع اخوان الصفاء وخلان المودة والوفاء المعترفين بالكمال والمنصفين على كل حال (والسبب الثانى فى حب المدح) والثناء شيئان الاول (التلذذ بشعور) اى ادراك (النفس الكمال) فيها (بتعريف المادح) لها والمثنى عليها اذا لم تكن النفس شاعرة بذلك (اوتذكيره) اى المادح بذلك اذ كانت النفس ناسية ذلك الكمال (فى) المدح (الصدق) اى المطابق للواقع واما الكذب فلا تعريف فيه ولا تذكير وانما فيه مجرد التغرير (و) الثانى التلذذ (بشعورها) اى النفس (ملك قلب المادح) اى انقياده اليها واطاعته لها (وسببيته) اى سببية ملك قلب المادح (لملك قلوب الآخرين) اى الباقين من الناس (و) لملك (حشمتها) اى حياء قلوب الآخرين وانقباضها منه تواضعا وانكسارا (وعلاج الشئ) (الثانى) من الشيئين اللذين هما السبب الثالث المذكور لحب المدح والثناء وهو التلذذ بشعور النفس ملك قلب المادح وسببية ذلك الملك بقية القلوب (سبق) بيانه فى علاج خوف الذم والتعيير وذلك ان تحضر قلبك ان الذام ان كان صادقا فقد عرفنى الى آخره (و) علاج الشئ (الاول) الذى هو التلذذ بشعور النفس الكمال بتعريف المادح اوتذكيره فى الصدق كما مر (ان كان الكمال) الذى شعرت به النفس (دنيويا) اى منسوبا الى الدنيا بان كان من احوالها كالجاه والرفعة وكثرة الاموال والخدم (فكالثانى) اى فعلاجه كعلاج الثانى وهو علاج خوف الذم والتعيير السابق بيانه (وان) كان الكمال (اخرويا) اى منسوبا الى الآخرة (فالعلم) اى فعلاجه العلم النافع وهو علم الشريعة والدين المحمدى والعمل به (فقط) مع الاخلاص والورع فانه بذلك يكشف عن عيوب نفسه فلا يشعر بكمال فيهما اصلا (وخيريتهما) اى العلم والعمل يعنى كونهما خيرا لاشرا (ونفعهما) لصاحبهما وهذا جواب عن سؤال مقدر تقديره انا نجد العلم والعمل فى اناس فى زماننا ولا يكونان فيهم علاجا لحب المدح والثناء فاجاب بذلك (موقوفة على استجماع الشرائط) لهما (كالاخلاص) لله تعالى فيهما فان العلم

بغير اخلاص شر محض لاخير فيه وضرر خالص لا نفع فيه وكذلك العمل بلااخلاص شر وضرر (والعمل) الدائم في امتثال الاوامر واجتناب النواهي (وعدم) اى مع عدم (الاحباط) اى بطلان ذلك (بالكفر) بالله تعالى (الى الموت) على ذلك اذ من حبط عمله لاانتفاع له به وان كان مخلصا فيه (والا) وان لم يكن العلم والعمل كذلك (فينقلبان) اى العلم والعمل (شرا وضرا) على صاحبهما (فيوجبان) له (الما) اى وجعا (وحزنا) اى غما وكربا في الدنيا والآخرة (وهى) اى الشرائط المذكورة (مجهولة) من صاحب العلم والعمل (مشكوكة) يحتمل ان تكون موجودة فيه وان تكون معدومة (بل غير مظنونة) في احد من الناس (غالبا) اى في غالب الناس ممن يدعى العلم والعمل (لان النفس الامارة بالسوء) في غالب الناس (وشياطين الانس والجن) الذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (صارفة عنها) اى عن الشروط المذكورة (فسببيتهما) اى العلم والعمل (للخشية) من الله تعالى (والوجل) اى الخوف منه سبحانه (اولى) اى احرى واحق (واقرب) الى الصواب (منها) اى من سببيتهما اى سببية العلم والعمل (للفرح) بهداية الله تعالى وعنايته (والامن) منه سبحانه (عند سالك طريق الآخرة) وهو العبد المفتقر الى الله تعالى في سره وجهره فانه تعالى يقول * ان الله لايحب الفرحين * وقال تعالى * فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * فالفرح والامن تبعيد عن طريق الحق بخلاف الخشية والوجل (فلذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) به سبحانه فالخشية من اوصاف العلماء بالله تعالى فالعلم سبب الخشية (وفسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا) اى يفعلون ما يفعلونه (و) الحال ان (قلوبهم وجلة) اى خائفة (بالذين يعملون) الاعمال (الصالحات) فالعمل سبب الوجل (وسيجئ) بيان (ضرر المدح) والثناء مفصلا (في) ذكر (آفات اللسان) ان شاء الله تعالى النوع (الثالث) من انواع الكفر (كفر حكمي) اى منسوب الى الحكم لانه انما كان كفرا بحكم الظاهر فقط لدلالته عليه (وهو) اى الكفر الحكمي (ما) اى قول اوفعل (جعله) اى حكم به من حيث فهمه عنه (الشارع) اى من شرع الاحكام يعني بينها وهو الله تعالى كما قال سبحانه * شرع لكم من الدين * الآية اوالنبي صلى الله عليه وسلم لانه المبلغ ذلك الينا عنه تعالى كما قال عزوجل * يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (امارة) اى علامة على (التكذيب) عما يجب التصديق به من الحق (كاستخفاف) اى استهانة واحتقار (ما يجب تعظيمه) على المكلفين (من الله تعالى) بيان لما فان من اتى بما هو استخفاف به سبحانه من قول اوفعل كفر ان لم يحتمل التأويل (وكتبه) تعالى كالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وبقية الصحائف المنزلة على الانبياء عليهم السلام (وملائكته) سبحانه كعزرائيل وغيره (ورسله) من الانبياء ومن الملائكة

عليهم الصلاة والسلام (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة (وما فيه) من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار وغيرها (والشريعة) المحمدية (وعلومها) كعلم التوحيد والمعرفة والفقه والتفسير والحديث فان هذا كله جعله الشرع عبارة عن التكذيب بفن اى بشئ من ذلك فقد حكم الشرع بكفره ان لم يحتمل اتيانه بذلك تأويلا غير الاستخفاف وان احتمل فلا كفر كما سبق بيانه (والرضا بكفر نفسه) فانه كفر (مطلقا) سواء ظهر منه ما يدل على استحسانه اولا قال ابو منصور الماتريدى رحمه الله تعالى انما يكون الرضا بالكفر كفرا اذ رضى بكفر نفسه لا بكفر غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (و) الرضاء (بكفر غيره) مسلما كان الغير او كافرا اصليا او مرتدا (استحسانا) اى على وجه الاستحسان (له) اى لذلك الكفر (بالاتفاق) لان استحسان ما قبحه الشرع تكذيب للشرع (و) الرضا بكفر غيره (مطلقا) اى سواء استحسنه اولا كفر (عند البعض) اى بعض العلماء قال فى شرح الدرر والرضاء بكفر نفسه كفر بالاتفاق واما الرضاء بكفر غيره فقد اختلفوا فيه وذكر شيخ الاسلام خواهر زاده فى شرح السير ان الرضاء بكفر الغير انما يكون كفرا اذا كان يستجيز الكفر او يستحسنه اما اذا لم يكن كذلك ولكن احب الموت او القتل على الكفر لمن كان شريرا مؤذيا بطبعه حتى ينتقم الله تعالى منه فهذا لا يكون كفرا ومن تأمل قوله تعالى * ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا * الآية يظهر له صحة ما ادعينا وعلى هذا اذا دعا على ظالم وقال اماتك الله على الكفر او سلب عنك الايمان ونحوه فلا يضره ان كان مراده ان ينتقم الله منه على ظلمه وايذائه الخلق قال صاحب الذخيرة وقد عثرنا على الرواية عن ابى حنيفة ان الرضاء بكفر الغير كفر من غير تفصيل وذكر والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال وفى السير الكبير مسئلة تدل على ان الرضاء بكفر غيره ليس بكفر وصورتها المسلمون اذا اخذوا كافرا أسيرا وخافوا ان يسلم فكروه اى سدوا فمه بشئ كى لا يسلم اوضربوه حتى يشتغل بالضرب فلم يسلم فقد اساؤا فى ذلك ولم يقل فقد كفروا واشار شمس الائمة السرخسى الى ان هذه المسئلة لا تصلح دليلا لان تأويلها ان المسلمين لا يعلمون انه يسلم حقيقة ولكن يظهر الاسلام تقية لينجو من شر القتل فلا يكون هذا رضى منهم بكفر غيرهم كذا فى الفصول العمادية وجامع الفصولين لكن اجيب عنه بانا مكلفون باتباع الظاهر قال الله تعالى * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * وقال عليه السلام لمن انكر كونه آتيا بكلمة الاخلاص بقلبه هلا شققت قلبه فالحكم ظاهر فى دفع الايمان محقق ومع ذلك لم يجعله كفرا وقد قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ومعلوم ان الايمان بعد معاينة العذاب لا يقبل وقد قصه الله تعالى من غير انكار فهل هذا الا دعاء بالكفر الى الموت والانسان الكامل انما يحب ويطلب ... يرعى ... يدل على الرضاء بكفر غيره اذا كان

مستقبحا للكفر لايكون كفرا كما فى البزازية وفيها ايضا و يجوز ان يكون كلام المشايخ الرضا بالكفر كفر محمولا على هذا وهو الصحيح كما فى جامع الفتاوى ومنية المفتى (والتكلم بما يوجبه) اى الكفر من غير احتمال اصلا ولو بوجه ضعيف (طايعا) بلا اكراه (من غير سبق اللسان) الى ذلك (عالما بانه كفر) لصحة القصد الى ماينافى الايمان فانه كفر (بالاتفاق و) اما اذا كان (جاهلا به) اى بالكفر وقد تكلم به كما ذكر فهو كفر ايضا (عند عامة العلماء) اى اكثرهم باعتبار الحكم الظاهر لا بالنظر الى ما عند الله تعالى فتبنى عليه الاحكام فى الظاهر والله يتولى السرائر (وكذا الفعل) الذى يوجب الكفر اذا فعله عمدا عالما بانه كفر فهو كفر بالاتفاق وان كان جاهلا بانه كفر عند عامتهم دون البعض (ولو) كان (هزلا ومزاحا) بضم الميم اى لعبا (بلا اعتقاد مدلوله) اى ما دل ذلك الفعل عليه (بل مع اعتقاد خلافه) اى خلاف مدلوله بقلبه (فانه يكفر) به اى بذلك الفعل (عند الله تعالى ايضا) كما يكفر به عندنا (فلا يفيده) فى عدم الكفر (اعتقاد الحق) بقلبه لان ذلك الفعل جعل كفرا فى الشرع فلا تعمل النية فى تغييره وفى الاشباه والنظائر واما الكفر فيشترط له النية لقولهم ان كفر المكره غير صحيح واما قولهم اذا تكلم بكلمة الكفر هازلا يكفر انما هو باعتبار ان عينه كفر كما علم فى الاصول من بحث الهزل (وسببه) اى سبب التكلم بما يوجب الكفر وفعل ما يوجبه (قصد اظهار الظرافة) فى الكلام قال فى مختصر القاموس الظرف الكياسة ظرف ككرم ظرفا وظرافة فهو ظريف او الظرف انما هو فى اللسان او هو حسن الوجه والهيئة او يكون فى الوجه واللسان او البراعة وذكاء القلب او الحذق اولا يوصف به الا الفتيان الازوال اى الشجعان والفتيات الزولات لا الشيوخ (و) اظهار (البلاغة) فى العبارات وهى الفصاحة فيها مع مطابقتها لمقتضى الحال قال فى مختصر القاموس البليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره (و) قصد (اتيان) اى فعل (الامر الغريب) ليعجب منه الناس (وتطييب المجلس) اى جعله طيبا لشرح الصدور والامتلاء بالسرو (واضحاك الحاضرين) فى ذلك المجلس (بالهزل) اى اللعب (والهزء) اى السخرية (والمزاح) ليتقرب بذلك الى محبة المغرورين من ابناء الدنيا و يحظى عندهم بالاقبال عليه منهم (او) سببه (شدة الغضب) منه على احد من الناس (و) شدة (الضجر) اى القلق والجزع على فوات حظه بالحقد على الغير المحظوظ فيحاكيه ويسخر منه ويضحك عليه عدوه وغير عدوه (وبالجملة) السبب فى ذلك (الخفة) فى العقل (والشره) اى الحرص (على الكلام) فى كل شئ (والمحاكات) للغير (وعدم حفظ اللسان) اى امساكه عن كل ما يريد التكلم فيه (و) عدم حفظ (الاعضاء) من الحركات الغير المنتظمة شرعا (وعدم المبالاة) اى الاعتناء والاحتفال (فى امر الدين) بالتساهل فى ذلك (وعلاجه) اى دواء التكلم بما يوجب الكفر وفعل ما يوجبه

(ان يعرف) العبد (اولا) اى فى ابتداء الامر (آفات الكفر بعد الايمان) اى ما يترتب عليه من المفاسد (من حبط) اى بطلان (الطاعات) اى العبادات (كلها) البدنية والمالية والمتركبة منهما (وذهاب) عقد (النكاح) على امرأته اى بطلان ذلك وانفساخه (وحل دمه) اى اباحة قتله (وحرمة) اكل (ذبيحته) اى ماذبحه من الحيوان المأكول اللحم (والعذاب المخلد) الى الابد (فى النار) يوم القيامة (لومات) مصرا عليه (بدون التوبة) منه (و) ان يعرف (ثانيا آفات اللسان) اى مفاسده ومضاره (ماسيجئ) بيانه (ان شاء الله تعالى) فى محله (ثم) بعد ذلك (ملازمة الصمت) اى السكوت عن الكلام (و) ملازمة (السكون) اى عدم الحركة (وحفظ اللسان) عما لايعنى من الكلام (و) حفظ (الاعضاء) عن الحركات الخارجة عن قانون الانتظام الشرعى (و) دوام (الجد) فى كل الامور (وترك الهزل) (اى اللعب (و) ترك (الهزء) اى السخرية (ونحو ذلك من الاسباب) المؤدية الى سخافة العقل وقلة المروءة وعدم الاهتمام بالمحافظة على حدود الشريعة كالجلوس فى الاسواق ومخالطة الفساق والمتابعة لاهل السفه فى الاقوال والاعمال والاخلاق (و) بعد ذلك (الدعاء) اى الطلب بالافتقار والانكسار (والتضرع) اى التوسل (لله) تعالى فى (ان يحفظه) فى ظاهره وباطنه (من الكفر) الموجب للشقاء الابدى (خصوصا الدعاء الذى رواه ابو موسى الاشعرى) رضى الله عنه كما (اخرجه حدطب) يعنى الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى والطبرانى باسنادهما (قال) ابوموسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه (خطبنا) اى خطب فينا (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال) فى خطبته (يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك) اى احترزوا منه وتباعدوا عنه واشار اليه لكمال معرفته به واطلاعه عليه وتوقيه له فكأنه محسوس يشار اليه (فانه اخفى) عند النفوس المشتغلة بغير الله تعالى (من دبيب النمل) وفى رواية الجامع الصغير للاسيوطى الشرك فى امتى اخفى من دبيب النمل على الصفا وقال الشارح المناوى وفى رواية النملة بالافراد لانهم ينظرون الى الاسباب كالمطر غافلين عن المسبب ومن وقف مع الاسباب فقد اتخذ من دون الله اولياء فلا يخرج عنه المؤمن الا بهتك حجب الاسباب و مشاهدة الكل من رب الارباب واشار بقوله على الصفا الى انهم وان ابتلوا به لكنه متلاش فيهم لفضل يقينهم فانه وان خطر لهم فهو خطور خفى لا يؤثر فى نفوسهم كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا بل اذا عرض لهم خطرات الاسباب ردتها صلابة قلوبهم بالله (فقال له) اى للنبى صلى الله عليه وسلم (من) اى انسان اوالذى (شاء الله) تعالى له (ان يقول) وقوله هو (وكيف نتقيه) اى الشرك الخفى يعنى نحترز منه (وهو اخفى من دبيب النمل يارسول الله) فان الاحتراز منه امر صعب جدا وهو اصعب انواع مجاهدة النفس (قال) رسول الله صلى الله عليه

وسلم (قولوا) متوسلين الى الله تعالى فى دفع ذلك عنكم فانه لايدفع العظيم الا المعظم (اللهم) اى يا الله (انا نعوذ) اى نلجئ ونحتمي (بك ان نشرك بك شيئا نعلمه) من الاشياء المحسوسة والمعقولة وهو الشرك الجلي (ونستغفرك) اى نطلب منك المغفرة (لما) اى للشئ الذى (لا نعلمه) من الاشياء المجعولة اسبابا شرعية اوعادية اوعقلية وهو الشرك الخفى ولنا كلام على الشرك الجلي والخفى ذكرناه فى كتابنا خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ ارسلان (واخرجه) ايضا (يعلى) يعنى ابا يعلى باسناده (من حديث حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (وزاد) فيه (يقول كل يوم ثلاث مرات) اللهم الى آخره (و غائلة) وآفة ومفسدة (الكفر العظمى حرمان دخول الجنان والعذاب المؤبد) اى الذى لا نهاية له (فى النيران) جزاء على نيته انه لو بقى فى الدنيا الى الابد كان كافرا فجزاء الابدى ابدى مثله جزاء وفاقا (و سبب الايمان) فى مقابلة سبب الكفر الحكمى كما مر (النظر) اى الفكر المرتب فى النفس على وجه يوصل الى معرفة المقصود (والتأمل فى الآيات) اى العلامات (الدالة على وجود البارى) تعالى كما قال سبحانه * ومن آياته الليل والنهار ومن آياته الشمس والقمر ومن آياته اختلاف السنتكم والوانكم * الى غير ذلك (و) الدلالة على (اتصافه) سبحانه وتعالى (باوصاف الكمال) كالقدرة و الارادة و العلم وغيرها (و) على (تنزهه) اى تباعده سبحانه (عن صفات النقصان) كالعجز والاكراه والجهل ونحو ذلك (و) الدلالة ايضا (على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) وهى المعجزات فانها من آيات الله تعالى ايضا (و) سبب الايمان ايضا (تيقن) اى تحقق ثبوت (التأبد) اى الخلود الى الابد (فى) عذاب (النار) للعبد (ان مات على الكفر) بالله تعالى (و) مات على (الانكار) اى الجحود) لشئ مما وجب الايمان به (و) سببه ايضا (رجاء) اى طمع العبد فى (دخول الجنة دار القرار) اى التى لا خروج لمن دخلها منها اصلا فالخوف والرجاء سببان للايمان لان الخوف يقدم به على المطلوب والرجاء يرغبه فى جناب المحبوب (وفائدته) اى الايمان (العظمى النجاة من التأبيد المذكور) اى الخلود فى النار (والفوز) الظفر (بالدخول المزبور) اى المكتوب من الزبر وهو الكتابة يعنى دخول الجنة دار القرار (رزقنا واياكم) وتقديره هذه الفائدة المذكورة وحذف المفعول للعلم به (الكريم) وهو الله تعالى الموصوف بالكرم (الغفور) اى الموصوف بالمغفرة (و) الخلق (السادس) من الاخلاق الستين المذمومة (اعتقاد البدعة) اى الاعتقاد الذى هو بدعة كاعتقاد الفسق المضالة ما لبس بحق انه حق اذا لم يكن موجبا للكفر والا كان كفرا فيدخل فى الكفر (وسببه) اى اعتقاد البدعة (اتباع الهوى) اى الانقياد مع خاطر النفس كيف ما طلبت من غير التفات الى امر الله تعالى (والاعتماد على العقل) ولهذا استعمله الحكماء الفلاسفة علم المنطق ليضبطوا قواعد المعقولات لان اعتمادهم على العقل

ولم يحتج الشرعيون الى تلك القواعد المنطقية لاتباعهم للشرع دون العقل (والاعجاب بالرأى) اى رؤية ماتوصل اليه بحذقه وعقله اعظم ممايتوصل اليه غيره بحذقه وعقله (والتقليد) لغيره من غير نظر ولابصيرة وهى اربعة اسباب موصلة الى اعتقاد البدعة وقد اوصلت المبتدعة الى اعتقاداتهم الفاسدة فخالفوا بها اهل السنة والجماعة (فاما اتباع الهوى فهو) الخلق (السابع) من الاخلاق الستين المذمومة (من) جملة (آفات) اى مفاسد (القلب) الانسانى (قال الله تعالى فلا تتبعوا الهوى) اى الميل النفسانى (ان تعدلوا) اى لان تعدلوا عن الحق اوكراهة ان تعدلوا من العدل ذكره البيضاوى وقال تعالى (ولاتتبع الهوى فيضلك) اى الهوى يعنى يوقعك فى الحيرة والزيغ (عن سبيل) اى طريق (الله) تعالى المستقيم وقال تعالى (واما من خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس) اى نفسه (عن الهوى) لعلمه بانه مردود الى الله (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها مأوى اى مسكن وقال تعالى (أرأيت من اتخذ) اى جعل (الهه) اى الذى يعبده بحق وهو الله تعالى (هواه) اى على مقتضى هوى نفسه وميله فاعتقد فيه ماسولته له نفسه وذهب اليه وهمه ممالايليق به سبحانه وهى اعتقادات اهل البدع وقال تعالى (واتبع هواه) اى ميله النفسانى بمقتضى غرضه العاجل (فمثله كمثل الكلب) اى صورته فى تلك الحالة كصورة الكلب (ان تحمل عليه) اى تزجره (يلهث) من لهث كمنع لهثا ولهاثا بالضم اخرج لسانه عطشا اوتعبا داعيا كانتهب و اللهثة بالضم العطش كذا فى مختصر القاموس (اوتتركه) من غير حمل عليه ولازجر له عن هذه الفعلة (يلهث) ايضا فهو يلهث على كل حال وكذلك من اتبع هواه يلهث على غرض نفسه اى يتعطش الى الدنيا والى الحظ العاجل منها ولايلتفت الى وعظك ولا الى عدمه وقال تعالى (واتبع هواه) اى غرض نفسه من شهوته العاجلة (وكان امره) اى شانه وحاله (فرطا) اى مضيعا من فرط فى الشئ ضيعه وذلك لاهماله نفسه بلا اشتغال لها فيما طلب منه وتفويت الاوقات التى يمكنه فيها تحصيل الكمال باشتغالها بالحظوظ الفانية واللذائذ الزائلة وقال تعالى (بل اتبع الذين ظلموا) حق ربهم منعوه بالكفر اوالفسق (اهواءهم) اى مقتضيات نفوسهم فى حظوظهم العاجلة (بغير علم) عندهم بما هو المراد منهم فى حكم الله تعالى عليهم (ومن اضل) اى اكثر ضلالا (ممن اتبع هواه) فانه بالغ من الضلال ابلغ مايكون (وخرج) اى روى (ز) يعنى البزار باسناده (عن انس) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى آخر حديث طويل) رواه انس عن النبى صلى الله عليه وسلم (واما المهلكات) فى الدين بحيث يفوت صاحبها النجاة يوم القيامة من عذاب الله تعالى وربما اوصلته فى الدنيا الى الكفر (فشح) اى بخل (مطاع) اى انطبعت عليه النفس فهولا تتكلفه (وهوى) اى ميل نفسانى (متبع) اى موجود فى احد وهو يعمل على مقتضاه (واعجاب المرء)

اى الانسان ذكراكان او انثى (بنفسه) بحيث لايعجبه الارأى نفسه وان كان رأى غيره حسنا لانه لايراه حسنا (واخرج دنيا) يعنى ابن ابى الدنيا باسناده (عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اشد ماخاف عليكم) يامعشر الامة (خصلتان) الخصلة الاولى (اتباع الهوى) وهو الانقياد لحظوظ النفس وترك الشرع (و) الثانية (طول الامل) اى الجزم بالبقاء فى الدنيا ونسيان الموت (فامااتباع الهوى فانه يعدل) اى يميل (بك عن) اتباع (الحق) وهوالشريعة المحمدية (واماطول الامل) بالحياة فى الدنيا (فانه يحبب اليك الدنيا) اى يجعلها محبوبة عندك فلاتقدران تفارقها (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس) بالتشديد خلاف الاحمق (من دان) اى غلب وقهر (نفسه) بالمخالفة لهواها (وعمل لمابعد الموت) من العالم الباقى والنعيم المقيم الابدى (والعاجز من اتبع نفسه هواها) بان انقاد لكل مااستحسنه من الامور وترك احكام الله تعالى (وتمنى على الله) اى ترجى مع متابعة هوى نفسه ان يدخله الله تعالى الجنة ويرفع درجته فيها ويعطيه المنازل العالية فى الآخرة (فالهوى) بالقصر (مصدر) قولك (هويه يهواه من باب علم اى احبه واشتهاه) وفى مختصر القاموس الهوى بالقصر العشق يكون فى الخير والشر وارادة النفس وفى الصحاح الهوى مقصورا هوى النفس والجمع الاهواء وهوى بالكسر يهوى هوى اذا احب (والنفس) من كل انسان (بالطبع) من دون تكلف (ميالة) اى كثيرة الميل (الى الشر) وهو مايضرها (امارة) اى كثيرة الامر (بالسوء) اى بمالايرضى به الله تعالى (فاتباع) النفس (هواها) اى كل ماتهواه (يردى) لهااى يوقع فى الردى (ويهلك) فى الدنيا والآخرة (لامحالة) اى لاتحول ولاتغير لذلك بل هو واقع حاصل (اما) اتباع هوى النفس (فى غير) الامور (المباحات) كالمحرمات والمكروهات (فظاهر) كونه مرديا ومهلكا (واما فيها) اى فى المباحات (فبعد كونه) اى هوى النفس (صفة بهيمية) اى من صفات البهائم واخلاقها (و) كونه (ركونا الى الدنيا) اى اعتمادا عليها (الدنية) اى الخسيسة ذات القدر الحقير كما ورد فى الحديث لوان الدنيا تزن عندالله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء (و) كونه (شغلا شاغلا) للنفس (عن الطاعة) اى طاعة الله تعالى (و) عن (زاد) وهو الطعام المتخذ للسفر وزوده اتخذ زادا (الاخرة) خلاف الدنيا (مفض) اى موصل يعنى هوى النفس فى المباحات (الى المحظور) اى الممنوع عنه فى الشرع من الاعمال وغيرها (وجار) بالتشديد اى سائق (الى) تعاطى (الشرور) جمع شر ضد الخير (ومؤد الى الفجور) وهو الفسق والانبعاث فى المعاصى (وحمى) من حيته حماية اى دفعت عنه وهذا شئ حمى على فعل او محظور لايقرب واحيت

المكان جعلته حمى وفى الحديث لاحمى الالله ورسوله كذا فى الصحاح (الحرام) اى المحرم شرعا فمن اقتحم ذلك الحمى قارب الحرام ودنى منه واوشك ان يقع فيه (ومأوى) اى مكان (للآلام) اى الاوجاع الدنيوية والاخروية (والآثام) اى الذنوب لان متبع هوى النفس فى المباحات كلما فقد شهوته تألم فاقتحم المخالفات وزادت تسخطاته على الاقدار فكثرت معاصيه (وصاحبه) اى صاحب هوى النفس فى المباحات (خسيس دنى) اى خبيث البطن والفرج ماجن كذا فى مختصر القاموس (لئيم) من اللؤم ضد الكرم لؤم ككرم فهو لئيم وجمعه لئام (رذيل) اى حقير (بل هو لخنزير للشهوة) اى لشهوته التى هى كشهوة الخنزير (خادم مطيع) لايخالف ولايمانع (وعبد ذليل) كلما ظهرت له شهوة فى شئ استملكت عقله واسرت لبه وقادته بازمة الطمع اليها حتى توردها عليها (وانشدوا) اى اهل الهوى فى ذلك مما يناسب هذا قول الشاعر (نون الهوان) اى الحقارة والذل (من الهوى) اى المحبة للاشياء والميل النفسانى اليها (مسروقة) يعنى اصل الهوى الهوان فاخذت النون منه ووضعت فى الهوان (فصريع) اى مصروع وهو المطروح على الارض (كل هوى) اى ميل الى شئ مطلقا (صريع) اى مطروح (هوان) اى حقارة وذل لانه اسير ذلك الشئ الذى يهواه والاسير مهان على كل حال (ومقابله) اى مقابل اتباع الهوى بمعنى خلافه وضده (المجاهدة) فى طريق الله تعالى (وهى) اى المجاهدة (فطم) فطمه يفطمه فطمه والصبى فطمته عن ارضاع فهو مفطوم وفطيم وانفطم عنه انتهى كذا فى مختصر القاموس (النفس) اى قطعها عن جميع المالوفات اى ما اعتادت عليه فاستلذت به من كل امر دنيوى (وحملها) اى النفس يعنى اقهارها واجبارها (على خلاف هواها) اى مرادها العاجل (فى عموم الاوقات فهى) اى المجاهدة (بضاعة) وهى اسم لطائفة من مال الرجل واستبضعت الشئ جعلته بضاعة كذا فى المجمل (العباد) جمع عابد يعنى ملكهم الذى يتاجرون به فيكتسبون خيرى الدنيا والآخرة (ورأس مال الزهاد) جمع زاهد وهو المعرض بقلبه عن الدنيا ومافيها (ومدار) اى مايدور عليه امر (صلاح النفوس) البشرية (وتذليلها) اى جعلها ذليلة منقادة لصاحبها (وملاك تقوية الارواح) ملاك الامر وملاكه بالفتح والكسر مايقوم به ويقال القلب ملاك الجسد يعنى ان المجاهدة تتقوى بها الارواح على التجرد من ظلمة الاشباح (و) ملاك (تصفيتها) اى الارواح من اكدار الطبيعة واوساخ القطيعة (و) ملاك (وصولها) الى حضرة ذى الجلال والاكرام (فعليك) اى الزم (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالتشمر) اى المبادرة والمسارعة (فى منع النفس عن الهوى وحملها) اى اجبارها (على المجاهدة) المذكورة (ان شئت) اى اردت (من الله) تعالى حصول (الهدى) لك اى الوصول الى جنابه عزوجل والتمتع بلذيذ مناجاته وخطابه (قال الله

قوله ماجن اى صاحب ما جون و هو اللهو بالباطل الزائل

تعالى والذين جاهدوا فينا) اى لاجلنا كما وردای فی الحديث دخلت النار امرأة فی هرة
فی للسببية (لنهدينهم سبلنا) ای طرقنا الموصلة الینا بمعنی نفتح لهم ابواب حضراتنا حتی
يدخلوا منها الينا وقال تعالى (ومن جاهد) فی نفسه بحملها على مشقات التكليف (فانما
يجاهد لنفسه) اى لاجل نفسه حتى تتصلح بذلك (ان الله) سبحنه (لغنی عن العالمين)
كلهم فلا يحتاج الى مجاهدة احد (ثم اعلم ان المذموم فی اتباع الهوى فی) الامور
(المباحات) كما ذكر (الاصرار) الدوام والاستمرار (عليه) اى على اتباع الهوى
فی المباحات واما اتباع الهوى فی الباحات احيانا بلا مواظبة عليه فما هو بمذموم
(اذ طبع البشر) الذی جبل عليه (لايحتمل المخالفة) لحظوظ نفسه (الكلية)
بحيث لا يبقى له حظ نفس فی شیء اصلا فانه خروج عن البشرية والتحاق بالملكية
وهو امر لايدوم للبشر وهو ممتنع عليه شرعا وفساده البنية العنصرية المادية (ولانه
يؤدی الى الغلو) فی الدين (والافراط) ای المبالغة فيه قال تعالى * ياأهل الكتاب
لاتغلوا فی دينكم (وقدمر فی فصل الاقتصاد) فی العمل (ولانه يورث الملالة
والسآمة) ای التكاسل والتقصير (المؤدية) ای الموصلة بعد ذلك (الى عدم المداومة)
على الطاعة (المذموم) ذلك العدم (جدا) ای ذما قويا (فی العبادة) شرعا (ولهذا
قال) النبی (صلی الله عليه وسلم ياايها الناس خذوا) ای اعملوا (من الاعمال) الصالحة
(ماتطيقون) ای تقدرون على المداومة عليه بلا تكلف ومشقة (فان الله) تعالى (لايمل)
ای لايسأم من مجازاتكم واثابتكم على طاعتكم (حتى تملوا) ای تسأموا من كثرة
الاعمال فتفعلوا منها وتتركوها فيقلل لكم الثواب اويتركه مجازاة لكم قال الكلاباذی
فی شرح الآثار الملال تكره يعرض للانسان من عمل يعلمه واذی يلحقه منه وتعب
يصيبه فيصبر عليه ويحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل
استثقالا ويرفضه تضجرا منه وسآمة وهو شیء يعرض للطبع بعد ايثاره للشیء ورغبته فيه
وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغيرة
متنافرة والله عزوجل يجل عن هذه الاوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة
له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة
للانسان المطبوع الذی يضعف عن تحمل مايعرض له ويثقل عليه ويؤوده الشیء
ويؤذيه فمعنى قول النبی صلی الله تعالى عليه وسلم ان الله لايمل حتى تملوا ليس على الغاية
والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة فی وقت اوعند امر بل هو على النفی
عنه والتبرئة له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا ای لايمل
وتملون ولايمل بل تملون كانه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذ تكلفتم
الاعمال واكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم مايلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه
فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا

لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها و بغضا لها فلا تعودوا اليها والله تعالى جده لانصيبه هذه الافات ولانعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم و بينها كراهة لها واستثقالا منه اياها و بغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى و يجوز ان يكون معنى قوله ان الله لا يمل حتى تملوا اى لا يترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين فيها مالم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول ان الله عزوجل يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته و يقبل يسير اعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنيا تكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم منها وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها (وان احب الاعمال) اى الطاعات (الى الله) تعالى (ما) اى عمل اوالعمل الذى (دام) اى واظب عليه صاحبه (وان قل) اى كان قليلا (خرجه) اى هذا الحديث (خم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها وفى رواية) اخرى (لمسلم) فى صحيحه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خذوا من العمل ما تطيقون) اى تقدرون على القيام به بلا مشقة ليدوم لكم (فوالله) اقسم عليه السلام تأكيدا للكلام (لا يسأم الله) سبحانه وتعالى (حتى تسأموا) اى لا يمل حتى تملوا ومر مافيه (وعن على رضى الله عنه انه) اى على كرم الله وجهه (قال) وهو موقوف عليه فاما حديث محذوف الاسناد اواثر من آثار على رضى الله عنه المستنبطة من حكمه الباهرة (روحوا) من الترويح والارتياح وهو النشاط قال فى الصحاح اراحه الله فاستراح واراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء (القلوب) يعنى ابعثوا فيها النشاط بعاطاة ما يلايم النفوس فى بعض الاحيان من التخفيف عليها من العبادة واعطاء بعض الغرض المباح (فانها) اى القلوب (اذا اكرهت) بالبناء للمفعول اى قهرت وجبرت على الاعمال (عميت) اى تعبت واستثقلت الاعمال وابغضتها (وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال انى لاستجم) بالجيم (نفسى) اى اطلب لها الراحة والنشاط قال فى المجمل الجمام الراحة (باللهو) المباح كانشاد الشعر والغناء لنفسه لاذهاب الوحشة به عنها والمزاح والمداعبة فى بعض الاوقات بما لا كذب فيه (ليكون) ذلك (عونا) اى معينا لى (على) النشاط فى الاقدام على العمل (الحق) وعن ابن الانبارى فى الوقف عن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا مرة وفى هذا مرة يعنى القرآن والشعر ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وذكر المناوى فى شرحه قال يشير به الى انه ينبغى للطالب عند وقوف ذهنه

ترويحه بنحو شعر اوحكايات فان الفكر اذا اغلق ذهل عن تصور لمعنى وذلك لايسلم منه احد ولايقدر انسان على مكابدة ذهنه على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وفى الاثر ان القلب اذا اكره عمى ولكن يعمل على دفع ماطرأ عليه بترويحه بشعر اونحوه من الادب يستجيب له القلب مطيعا قال الشاعر

وليس بمغن فى المودة شافع * اذا لم يكن بين الضلوع شفيع

وقال الحكماء ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد فى التعليم والتوسط فى التقويم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها وهذا يسمى عندهم بالتحميض وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لاصحابه اذا داموا فى الدرس احمضوا اى ميلوا الى الفاكهة وهاتوا من اشعاركم فان النفس تمل كما تمل الابدان وفى صحف ابراهيم عليه السلام على العبد ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلى فيها بين نفسه ولذاته فيما يحل ولا يحرم (فحينئذ) اى حين اذ كان ترويح النفوس امرا مطلوبا فى الشرع (لابد احيانا) اى فى بعض الاوقات من غير مداومة (ان يتناول) العبد (من المشتهيات المباحات) كالأكل اللذيذ والمشرب ونحو ذلك (استراحة من التعب) الحاصل للنفوس من مشقة التكليف (وتحرزا) اى امتناعا (عن) الحوق (السآمة) اى الملل والكسل (وتحريكا) اى توصلا (للنشاط على العبادة) خصوصا من ابتلى بالوسواس فان علاجه الشهوات المباحة قال فى شجون المسجون للشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره الشهوة تطفئ نار الفكرة الردية كما تطفئ نور الفكرة الصالحة فاجتنبها داء واستعملها دواء (فلهذا) اى لاجل ماذكر (قال الامام حجة الاسلام) ابو محمد الغزالى رضى الله عنه (لوسكن نشاطه) اى العابد (وضعفت رغبته فى العبادة (وعلم) من نفسه (ان الترفه) اى الراحة والتنعم قال فى مختصر القاموس الرفاهة والرفاهية مخففة والرفاهية رغد الخصب ولين العيش رفه عيشه ككرم وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح متنعم ورفه الرجل لان عيشه (بالنوم اوالحديث) اى الكلام المباح (اوالمزاح) اى المداعبة (فى ساعة) من الزمان (يرد نشاطه) الذى صعب عليه رجوعه (فذلك افضل له) عند الله تعالى فى شريعته (من اداء الصلاة مع الملال) اى الكسل كما قيل لسفيان بن عيينة رضى الله عنه المزاح سبة فقال بل سنة ولكن من يحسنه ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (فى الحقيقة هذا الاتباع) هو الاتباع (للشرع) المحمدى (لا للهوى) النفسانى (المحض) اى الخالص فاراحة الجسد بالنوم متعينة على من لم يمكنه اداء الصلاة من غلبة النعاس عليه قال فى تنوير الابصار ولو اشتبه على مريض اعداد الركعات والسجدات لنعاس يلحقه لايلزمه الاداء وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر وقال لو غلبه النوم تكره له التراويح كذا فى جامع الفتاوى والمجتبى والخانية والمفتاح بل ينصرف حتى يستيقظ لان فى الصلاة

مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ويكره للمقتدى ان يقعد فى التراويح فاذا اراد ان يركع يقوم لان فيه اظهار التكاسل بالصلاة والتشبه بالمنافقين قال الله تعالى * واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى * ويكره عد الآيات والركعات والتراويح لما فيه من اظهار الملالة وكذا يكره ان يقولوا عند الجوع والعطش ليت هذا لم يكتب علينا كذا فى الخانية وقال تعالى * يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال البيضاوى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم اوخمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم وقال البغوى قال الضحاك بن مزاحم اراد به سكرا لنوم نهى عن الصلاة عند غلبة النوم كما روى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقال ابن جميل التونسى فى مختصر تفسير الرازى وقيل هو سكر النوم قاله الضحاك لان اللفظ يحتمله لان السكر سد الطريق ولا شك ان عند النوم تمتلئ مجارى الروح من الابخرة الغليظة فلا ينفذ الروح الباصر واذا احتمله اللفظ فقوله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه يدل عليه (والعجب) يعنى الاعجاب بالرأى المذكور فيما مر (سيجئ) بيانه فى محله من هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى واما التقليد) المذكور فيما سبق (فهو) الخلق (الثامن) من الاخلاق الستين المذمومة (من آفات) اى مفاسد (القلب) ومهالكه (وهو) اى التقليد (الاقتداء بالغير) اى المتابعة لغيره فى العمل او القول او الاعتقاد (بمجرد حسن الظن) بذلك الغير (من غير حجة) اى دليل و برهان عنده على صحة ذلك من الغير (و) من غير (تحقيق) فى نفسه اى بصيرة كاشفة عن صدق ذلك الغير فيما قلده فيه ومتى وجد فى العبد دليل او كشف قلبى على صحة ما فيه الغير من المعاملة فتبعه فيها فهو على بصيرة من امره لا مقلد لغيره بل مرافق لذلك الغير فى السير فى طريق الله تعالى كما ورد الرفيق قبل الطريق (وذا) اى التقليد (لا يجوز) اى يحرم وقيل لا يصح على خلاف فى ذلك مفصل فى شرح المقدمة السنوسية للمصنف (فى العقائد) اى الاعتقادات الدينية (بل لابد) فى ذلك (من نظر) اى تأمل بالبصيرة (واستدلال) بالعقل على كل مسئلة من ذلك (ولو على طريق الاجمال) من غير تفصيل كما بيناه فى كتابنا المطالب الوفية (قال الله تعالى) إثباتا لدليل وجوب النظر والاستدلال (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) اى تأملوا ما وضعه الله تعالى فيهما من العلامات الواضحات على كماله تعالى وبديع صفاته واستدلوا بذلك عليه سبحانه (والآيات فيه) اى فى وجوب النظر والاستدلال (وفى ذم المقلدين) لغيرهم (فى الاعتقاد كثيرة جدا والاجماع منعقد عليه)

اى على وجوب النظر والاستدلال وسبق الكلام فى الا كتفاء شرعا بمجرد الايمان والتصديق من غير نظر ولااستدلال وقد ذكرناه فى كتابنا فتح المعيدى المبد (والمقلد فى الاعتقاد آثم) لترك الواجب عليه وهو النظر والاستدلال كما سبق (وان كان ايمانه التقليدى (صحيحا) نافعاله فى الشرع (عندنا) خلافا لمن قال المقلد كافر (واما التقليد للغير (فى الاعمال) البدنية (فجائز) بالاجماع فيقلد المكلف (لمن كان عدلا) غير فاسق (مجتهدا) فى الدين غير مقلد فيه ولايلزمه ان يقلد مجتهدا مخصوصا بل يجوز له تقليد من شاء من الأئمة الاربعة فى كل حادثة تقع له من غير تلفيق لتواتر مذاهبهم الآن لاماسواها من مذاهب السلف رضى الله عنهم كما بيناه فى خلاصة التحقيق فى بيان التقليد والتلفيق (ولكن لما انقطع الاجتهاد) المطلق من العلماء (مذ زمان طويل) لضعف الهمم فى جمع شروط الاجتهاد واما الاجتهاد المقيد بتخريج المسائل او تصحيحها الذى هو اجتهاد القضاء والفتوى فهو موجود ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة قال فى شرح مرقاة الاصول وشرط مطلقه اى الاجتهاد ان يحوى علم الكتاب بمعانيه لغة وشرعا واقسامه وعلم السنة بمتنها وسندها وموارد الاجماع ووجوه القياس بشرائطها واحكامها واقسامها والمقبول والمردود منها وقال فى المجتهد المطلق هو المستقل بالمذهب كابى حنيفة والشافعى ومالك واحمد وفى المجتهد المقيد يكفى الاطلاق على اصول مقلده لان استنباطه على حسبها (انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد) المطلق (المقلد) بصيغة اسم المفعول الذى يقلده غيره (فى نقل كتاب معتبر) من كتب مذهب ذلك المجتهد المطلق اى تعتبره علماء ذلك المذهب (متداول) اى مستعمل مقروء (بين العلماء الثقاة) اى العدول المعتمد عليهم فى ذلك المذهب (صحيح) ذلك الكتاب من تحريف النساخ وغلطهم (لمن قدر على مطالعته) اى ذلك الكتاب المعتبر (واستخراجه) اى استكشاف خفايا مسائله ودقائق فوائده (و) فى (اخبار عدل) واحد (موثوق به) عند الناس (فى علمه وعمله) فيخبر بمذهب ذلك المجتهد فى خصوص مسئلة او اكثر او صحة ما فى كتاب جامع لمسائل ذلك المذهب وحيث انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد فيما ذكر (فلا يجوز) لاحد من المكلفين (العمل بكل كتاب) فى نفسه وفى الفتوى والقضاء لغيره لعدم اعتبار ذلك الكتاب اولعدم تداوله بين العلماء الثقاة والجهل بحال مصنفه لايضر اذا اعتبره العلماء وتداولوه بينهم (و) لا يجوز العمل ايضا (بقول كل من تزيى بزى) بالكسر اى هيئة (العلماء) فان فيهم الجاهلين القائلين من العلم بمجرد الرأى وفيهم الفاسقون الذين لايبالون بالكذب وغيره فلا بد مع العلم من التقوى (ومقابل اعتقاد البدعة) المذكور (اعتقاد اهل السنة والجماعة) المتقدم بيانه (وسببه) اى اعتقاد اهل السنة والجماعة (التمسك بالسنة) المحمدية وهى الاقوال والافعال والاحوال الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما) كانت (عليه الصحابة)

رضي الله عنهم من السيرة الحسنة (واجماع الامة) من التابعين وتابعي التابعين والعلماء العاملين في كل زمان الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى (و) سببه ايضا (ترك الهوى) اي الميل النفساني اي الحظوظ العاجلة (و) ترك (الاعجاب بالرأي) اي رأي نفسه (مع النظر) اي الفكر المرتب في النفس (والاستدلال) اي اقامة الدليل على المطلوب (والتقليد) في الاعتقاد (لصاحبه) اي صاحب النظر والاستدلال (ولو مع اثم) اي حرمة في التقليد لترك النظر والاستدلال كما مر (و) الخلق (التاسع) من الاخلاق الستين المذمومة (الرياء وفيه) اي في الرياء (سبعة مباحث) يتحقق بها القصد في بيانه المبحث الاول في تعريفه لضبطه النفس فتحترز منه اذ ما لا يعرف لا يمكن الاجتناب عنه (و) في (تقسيمه) اي بيان اقسامه (هو) اي الرياء (ارادة نفع) العبد نفسه في (الدنيا) فيتوصل الى ذلك النفع (بعمل) الاعمال التي توصل الى (الآخرة او) بتعلم (دليله) اي دليل عمل الآخرة وهو العلم الذي يبحث فيه عن العمل الصالح (او اعلامه) اي تعليمه يعني تعليم عمل الآخرة (احدا من الناس) فيكون الرياء بثلاثة اشياء اجمالا بعمل الآخرة و بتعلمه وبتعليمه للغير وسيأتي تفصيل ذلك بالخمسة التي بها الرياء في المبحث الثاني (من غير اكراه) اي اضطرار (ملجئ) اي موصل بالضرورة والقهر الى ارادة نفع الدنيا بشيء من الثلاثة المذكورة (باعث) ذلك الاكراه (على نفسه) اي نفس ما ذكر هنا في تعريف الرياء كالمضطر الى الطعام او الشراب في حال المخمصة اذا علم انه ان عمل اعمال الآخرة او تعلم من احد اعمال الآخرة او علم ذلك لاحد حصل له من متاع الدنيا ما يسد جوعته ويدفع عنه الهلاك فاتى بواحد من الثلاثة لارادة نفع الدنيا على الوجه المذكور فانه ليس برياء لا مكانه احياء مهجته بهذا المقدار فهو واجب عليه وفي كتاب الرعاية لابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي قال الرياء ارادة العبد العباد بطاعة الله عزوجل والدليل على ذلك قول الله عزوجل *من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون* الى قوله و باطل ما كانوا يعملون فروى عن معاوية بن ابي سفيان ومجاهد في هذه الآية فالاهم اهل الرياء وقوله عزوجل* والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور* قال مجاهدهم اهل الرياء ووصف الله عزوجل قلوب المخلصين ان الرياء ارادة لغير الله رفضوها لله عزوجل وقصدوا اليه بها فقال* ويطعمون الطعام الى قوله *لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا* وقال تعالى* فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا* فاخبر الله تبارك وتعالى بقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها من اراد بعمله الحياة الدنيا وزينتها حبط عمله الذي يريد به الدنيا والزينة عند اهلها والآيات في ذلك كثيرة واما السنة فقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل فقيل له يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا تعمل

بطاعة الله تريد بها الناس وروى ابوهريرة فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والقارئ للقرآن والمتصدق بماله ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لكل واحد منهم لما قال قتلت فى سبيلك وقال الآخر قرأت كتابك وقال الآخر تصدقت فيقول الله عز وجل كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم قارئ ويقال للآخر بل اردت ان يقال فلان شجاع ويقال للآخر بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاولئك اول ثلاثة يدخلون النار فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل برياثهم احبط اعمالهم وان الرياء ارادة الناس بطاعة الله تعالى (وضده) اى الرياء (الاخلاص) بالعمل لله تعالى (وهو) اى الاخلاص (تجريد قصد العبد (التقرب الى الله تعالى بالطاعة) التى يفعلها (عن) قصد (نفع الدنيا) بها (والاعلام) معطوف على طاعة الله (السابق) اى وباعلام احد من الناس طاعة الله تعالى كما سبق فى الرياء (وثمر) اى الاخلاص (الاحسان) فى العمل (وهو) اى الاحسان (ان تعبد الله) تعالى (كأنك) اى وانت فى حالة تشبه حالة انك (تراه) سبحانه وتعالى فتكون عبادتك على الكشف والشهود لا على الغفلة كما ورد فى حديث جبريل الثابت فى الصحيحين الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال القرطبى فى شرح مسلم الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال على معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك احسنت كذا وفى كذا اذا احسنته وكلمته وهو منقول بالهمزة من حسن الشئ وثانيهما متعد بحرف جر كقولك احسنت الى كذا اى اوصلت اليه ما ينتفع به وهو فى هذا الحديث بالمعنى الاول لا بالمعنى الثانى اذ حاصله راجع الى اتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها وارباب القلوب فى هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه ولعل النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عينى فى عبادة ربى وثانيهما لا ينتهى الى هذه الحالة لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه وتعالى مطلع عليه ومشاهده واليه الاشارة بقوله تعالى * الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وبقوله تعالى * وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه * وهاتان الحالتان ثمرة معرفة الله تعالى وخشيته ولذلك فسر الاحسان فى حديث ابى هريرة بقوله ان تخشى الله كأنك تراه فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا (وقد يطلق الرياء) فى عرف الشرع (على حب) العبد (المنزلة) العالية (وقصدها) اى المنزلة (فى قلوب الناس) ليحمدوه ويعظموه على كمالك (باعمال الدنيا) فيرائى العبد ببدنه وبزيه وبقوله وبعمله وبغيره من الصحابة والتربية فيرائى بالطاعة بهذه الخمسة اشياء وكذلك اهل الدنيا يراؤن بالدنيا بهذه الخمسة

الخمس الان ذلك ايسر من الرياء بالطاعة قاله المحاسبي في الرعاية (وهذا رياء اهل الدنيا) وهو مذموم ايضا لانه يجر الى الرياء بالدين فلا يزال العبد يلبس الثياب الفاخرة ليظهر لغيره انه غني و يكثر التملق للاخوان حتى تقبل عليه ليظهر للغير انه كريم له اصدقاء كثيرون ونحو ذلك مما لا دخل فيه للدين وانما هو رياء بالدنيا للدنيا حتى يصير بعد ذلك يرائ بدينه في الدنيا وهو الشرك الاصغر (و) الرياء (الاول) وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة كامن (بقسميه) الآتيين (رياء اهل الدين) لانه رياء بالدين وهو ارادة المخلوقين بطاعة الله تعالى ثم بين القسمين بقوله (فالقسم الاول) وهو ارادة غير الله تعالى بالطاعة (ان لم تقارنه ارادة نفع الآخرة) بان كان ارادة نفع الدنيا فقط (فرياء محض) اى خالص (وان قارنته) اى ارادة نفع الآخرة فكان مجموع ارادة نفع الدنيا وارادة نفع الآخرة (فرياء تخليط) وهو ثلاثة اقسام (اما) ارادة نفع الدنيا (غالب) على ارادة نفع الآخرة وهو القسم الاول (او) ارادة نفع الدنيا (مساو) لارادة نفع الآخرة وهو القسم الثاني (او) ارادة نفع الدنيا (مغلوب) بارادة نفع الآخرة وهو القسم الثالث (فالجملة) من اقسام الرياء (خمسة) هذه الثلاثة والقسمان الاولان الرياء المحض ورياء اهل الدنيا (والمراد منه) اى الرياء بجميع اقسامه الخمسة حصول (نفع الدنيا) فقط اومع نفع الآخرة (والذي يراد منه ذلك اما خالق اومخلوق ونفع الدنيا) الذي عليه مدار الرياء (اماجاه) يحصل له من غيره كمنصب ونحوه (اومال) من اى نوع كان (اوقضاء شهوة) من مأكل اوغيره من حلال اوغيره (اودفع ضرر) عنه اوعن احد اتباعه بقرابة اوغيرها (يسير) لان الضرر لوكان كثيرا كان مضطرا اليه فلا يكون رياء (وكل) اى كل واحد (منها) اى من هذه الاشياء المذكورة (اما) ان يأتي به العبد (للتوسل الى عمل الآخرة) فقط (اولا) بل الى عمل الدنيا فقط اواليهما معا (والاول) وهو ارادة نفع الدنيا للتوسل به الى عمل الآخرة اذا كان رياء (من الخالق) سبحانه وتعالى فانه (ليس برياء) يأثم عليه صاحبه والا فهو داخل في تعريف الرياء السابق بيانه (لورود صلاة الاستسقاء) اى طلب السقيا يعني المطر فان ذلك ارادة نفع الدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة لكن للتوسل بذلك المطر الى عمل الآخرة كالوضوء والاغتسال بالماء واحياء النبات للاقتيات ونحو ذلك (و) صلاة (الاستخارة) فان فيهما ارادة نفع الدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة ولكن للتوسل بذلك الى عمل الآخرة من تيسير مؤنة المعيشة لتسهل عليه الطاعة اوالاحتراز عن الشر ليتوقى المخالفات الشرعية اونحوها (و) صلاة (الحاجة) يريد بها نفع الدنيا بعمل الآخرة لكنه يتوسل بذلك الى انقطاع تشوقه الى امور الدنيا بحصول حاجته (ونحوها) من مواظبة ارباب الوظائف الشرعية كالامامة والخطابة على وظيفتهم لاجل نفع الدنيا وكذلك تعليم القرآن للاطفال بقصد نفع الدنيا اذا كان يتوسل بذلك النفع

الدنيوى الى عمل الآخرة كالانفاق على نفسه لاعفافهـا عن السؤال فى العاجز عن الكسب وتفريغ القلب لعبادة الله تعالى عن ظلمة الاكتساب ونحو ذلك (وغيره) اى غير مايتوسل به الى عمل الآخرة مماذكروهو مايتوسل به الى عمل الدنيافقط اواليهما معـا (كله) بجميع اقسامه المفهومة مماذكر (رياء) يأثم فاعله (وان كان) قصد العامل (اعلام الغير) بعمله (باعثا) لذلك العامل (على مجرد الاظهار) اى اظهـار عمله لذلك الغير (للاقتداء) اى متابعة الغيرله فى ذلك العمل (ونحوه من النية الصالحة) كقصد الشكر لله تعالى اوالردعلى المخالفين لهبغية نصرة الحق (لا) باعثا (على نفس العمل) ليمدحه عليه ذلك الغير (فليس) ذلك الاعلام (برياء) بل هوطاعة لله تعالى يثاب عليهاقال الامام المحاسبي فى الرعاية اظهار العمل ليقتدى به كفعل الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لمارواه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه فهل تجرى الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره اماالصدقة فان الناس فيها متقاربون فى القدوة لانهـا عطف ورحمـة واعانة الملهوف فاذا اظهر العبـد ذلك لغيره كان فيه حض لغيره وترغيب فى الصدقة الاانه لاينبغى لعبدان يتعرض لاظهارها حتى يعلم انه قداراد الله عزوجل بذلك وانه لايجزع من ان اسرها ولااحب اظهارهـا لقلة القنوع بعلم الله عزوجل ومحبة منه ان يعلم النـاس بصدقتـه ولكن جزعا ان يفوته عظيم الاجران يصيبه فى غيره مع اجره على صدقته فلم يقنع لله عزوجل باجر الصدقة وحدهـا حتى احب ان يحض بفعله عليها غيره ليؤجر فيهامع اجره على صدقته وفى الصدقة معنى خاصة سرها خيرمن القدوة به اذا كان المتصدق عليه يؤذيه ذلك ويكرهه فترك اذى المؤمن افضل وقداختلف فى قوله تعالى ﴿بالمن والاذى﴾ فقال قوم هو ان تحدث بماتصدقت به عليه فيبلغه فيؤذيه وقال اكثر العلماء هوان تؤذيه بفعلك وفى الصوم والصلاة والحج والغزو لااحب لاحدولم اجدعامة الناس يفعلونه الاالرجل القوى الصادق الارادة القوى على الخطرات فى العمل وبعد مايفرغ من العمل لاامن عليه ان يتبعه ابليس بخطرة فى حال غفلته فيصرعه فلا بأس باظهاره للقدوة ويحذر الغفلة والسهو ولايظهر ذلك الالمن يقتدى به ويضعه موضع القدوة والذى آمر به الناس ان يخفوا ذلك مااستطاعوا لان النفس خدوع والشيطان مرصد بمكيدته وقدقال الرجل يرفع صوته ليحرك بعض جيرانه فى جوف الليل وذلك اذاقوى عزمه وهان عليه حمد من سمعه وليس له رغبة فى علمهم به اكثرمن ثواب الله ان يصيبه فى تحريكه اياهم على طاعة ربهم عزوجل واما الغزو فذلك على ظاهر فالمسـارعة فيه للقدوة افضل اذاقوى العزم ان يشد الرجل قبل القوم فيحض على القتال ويحث من معه على الشد معه فذلك افضل الاانه لم يخرج من سر الى علانية وانما خرج من علانية الى علانية لان مقامه فذلك علانية فكلمـا

حض غيره بفعله كان افضل ولو حض له الشد والكر على العدو كان ممن وهب الله عزوجل له القوة على نفى الخطرات وهو من المعروفين عند من حضره ممن يقتدى به ويحركهم فعله كان افضل ان يظهر ذلك ولا يخفيه ليحض على قتال العدو ولينصر الله عزوجل بذلك على الاعداء ويعزبه الدين ثم ايهما افضل عمل العلانية للقدوة ام عمل السر وقد اختلف فى ذلك فقالت فرقة من اهل العلم عمل السر افضل من عمل العلانية للقدوة وغيرها وعمل العلانية للقدوة افضل من عمل العلانية لغير القدوة وقالت فرقة عمل السر افضل من عمل العلانية لغير القدوة وعمل العلانية للقدوة افضل من عمل السر ولولا ان عمل القدوة افضل ما حض النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وانما حضهم ليفعلوا ما يستن به وذلك لا يكون الاعلانية وحضهم على عمل العلانية لهذا المعنى واخبرهم ان لهم اجرهم واجر من اتبعهم فذلك دليل على ان اجرهم بالحض والترغيب من عمل السر الى عمل العلانية واخبرهم ان لهم اجرهم واجر غيرهم وقد علموا من قبل ان عامل السر له اجره وحده فذلك يبين ان عمل القدوة افضل من عمل السر وقد روى فى بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا (والمبحث الثانى) من المباحث السبعة (فيما) اى فى الامر الذى يحصل (به الرياء) من العبد (وهو) اى الذى به الرياء (خمسة) اشياء (الاول البدن) اى بدن العبد (وذلك) اى حصول الرياء به يكون (باظهار النحول) اى الضعف والسقم عليه (ليدل) ذلك منه (على قلة الاكل و) على شدة (الاجتهاد) والمكابدة (فى العبادة و) على (غلبة خوف) القلب من اهوال (الآخرة واظهار) معطوف على اظهار الاول (الاصفرار) فى لون الوجه والاعضاء (ليدل) ذلك الاصفرار منه (على سهر الليل و) على (كثرة الحزن) من التقصير (فى) تكاليف (الدين) المحمدى (و) اظهار (ذبول) ذبل البقل يذبل ذبلا وذبولا اى ذوى وكذلك ذبل بالضم واذبله الحر كذا فى الصحاح والمراد هنا الارتخاء واليبوسة فى (الشفتين و) كذلك اظهار (خفض الصوت ليدل) ذلك منه (على) وجود (الصوم) وكثرته (و) على (ضعف) صوته من (الجوع و) على وجود (وقار) اى تعظيم (الشرع) المحمدى عنده (و) مثل ذلك فى حصول الرياء بالبدن (حلق الشارب) ليظهر المواظبة على السنة (واطراق) اى طأطأة (الرأس) فى حالة المشى والجلوس ليظهر اعراضه عن الناس وكفه عن رؤية عيوبهم وعن تتبع عوراتهم (والهدو) اى السكون فى اعضائه (فى) حالة وجود (الحركة) منه بمشى والنزول (ونحو ذلك) من غض بصره وسد اذنيه ليظهر انه محترز من محارم الله تعالى (ورياء اهل الدنيا) بالبدن حاصل (باظهار السمن) فيه (و) اظهار (صفاء اللون) اى عدم تغيره وكدورته (واعتدال) اى استقامة (القامة) بلا اعوجاج فيها (وحسن الوجه) اى نضارته واشراقه

(ونظافة البدن) من الوسخ (ونحوها) كاظهار القوة والصلابة فى الامور من غير مبالاة فى حمل شئ او مصارعة احد ليتقرب بذلك الى حصول الدنيا والذكر الجميل (و) الشئ (الثانى) مما يكون به الرياء (الزى) بالكسر الهيئة (كلبس الصوف) فى التشبه بالصوفية (وتشميره) اى الصوف يعنى جعله مرتفعا (الى قريب من نصف الساق) كما ورد فى الحديث ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه (و) لبس (غليظ الثياب) اى الثخين منها (و) لبس (المرقع) اى الموضوع فيه رقعة اى قطعة على رقعة (و) لبس (الطيلسان) بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء فى الجمع للعجمة لانه فارسى معرب كذا فى الصحاح وهو رداء مدور يوضع على الرأس والمنكبين (ليظهر) بذلك للغير (انه متبع للسنة) النبوية عامل بها (ولتنصرف اليه الاعين) من الناس اى تميل عن الميل الى غيره (بسبب تميزه) عن غيره بذلك (و) كذلك (لبس الثياب المخرقة) اى البالية المنقطعة (و) الثياب (الوسخة) اى التى فيها الوسخ ولم تغسل منه (ليدل غيره (به) اى بما ذكر (على استغراق) قلبه (الهم) اى الاهتمام والاعتناء (بالدين) الاسلامى ومهمات احكامه (و) على (عدم التفرغ) من الاشتغال بالمهمات الدينية (للخياطة) فى المخرق (والغسل) فى الوسخ (او) ليدل بذلك (على التواضع و) على (كسر النفس والفقر والزهد) فى الدنيا الفانية (و) هو بحيث (لو كلف) بالبناء للمفعول اى كلفه احد (ان يلبس ثوبا وسطا) لا اعلى قيمة ولا ادنى (نظيفا) اى خاليا من الوسخ (لكان) ذلك (عنده بمنزلة الذبح) له (لخوف) اى لاجل خوفه (ان يقول الناس) عنه اذا رأوه كذلك قد (رغب فى الدنيا) اى اقبل عليها (ورجع عن الزهد) فتسقط منزلته عندهم ويقل اعتباره (ومنهم) اى من المرائين بالزى (من يريد القبول عند اهل الدنيا من الملوك والاغنياء) من الامراء والقضاة وغيرهم (وعند اهل الصلاح) ايضا (فلو لبس) الثياب (الخلقة) اى المخرقة البالية (و) الثياب (الوسخة) لاجل مقابلة اهل الصلاح بها (ازدرته) اى احتقرته واستهانت به (اهل الدنيا) ممن ذكر (ولو لبس) الثياب (الفاخرة) الغالية الاثمان لاجل مقابلة اهل الدنيا بها (ردته اهل الدين والصلاح) ولا يقبلونه (ولا يعلم) عندهم (زهده وصلاحه) ومراده ان يعلم عند الفريقين (فيطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية) جمع كساء وهو ما يكتسيه الانسان اى يلبسه (الرفيعة) ضد الغليظة (عاقيمتها قيمة ثياب الاغنياء وهيئتها هيئة ثياب الصلحاء) ونظير هذا ما ذكره الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس قال باجماع من القوم ان الموت الاخضر الفاسى عندهم طرح الرقاع بعضها على بعض وذلك شعارهم رضى الله عنهم فقام هؤلاء وقالوا اتمانا اسم مرقعة خاصة ولم يحفظوا ما اراد بها فتأنقوا فى الثياب المطرحة للاعلام المشهرة وخاطوها على وزن معلوم وترك معلوم

تساوى مالا وافسدوا عليها ثيابا وسموها مرقعة (فيلتمسون) اى يطلبون بذلك الفعل (القبول) والحظوة (عند الفريقين) فريق اهل الصلاح وفريق اهل الدنيا (ولو كلفوا) اى كلفهما احد (لبس) ثوب (خشن) اى غليظ النسج (او) ثوب (وسخ لكان) ذلك (عندهم كالذبح) للواحد منهم (خوفا من السقوط من اعين الملوك و) اعين (الاغنياء) الذين يرونهم بعيون المهابة والاجلال (ولو كلفوا لبس مايلبسه الاغنياء) من الثياب الغالية الاثمان (لعظم عليهم) ذلك (خوفا من ان يقال) اى يقول عنهم الناس قد (رغبوا فى الدنيا) بعد زهدهم فيها (و) مخافة (ان لا يعلم) اى يعلمهم احد (انهم من اهل الدين) المحمدى (والصلاح والزهد) فى متاع الدنيا (ورياء اهل الدنيا) فى الزى والهيئة انما يكون (بالثياب النفيسة) اى الغالية الاثمان (والمراكب) جمع مركب وهو كل ما يركب من فرس ونحوها (الرفيعة) اى العالية القدر عند اهل الدنيا (والمساكن) اى البيوت ونحوها (الواسعة) ليعظمهم بسبب ذلك الملوك والاغنياء وتهابهم الفقراء والمساكين (وهم) مع ذلك (يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ولا يخرجون بهـا) الى الناس (و) الشئ (الثـالث) مما به الرياء (القول) اى الكلام باللسان (كالوعظ) للناس بذكر مايصلحهم فى امور دينهم (والنطق بالحكمة) اى التكلم بالمعارف والاسرار والحقائق الالهية (و) النطق بالوارد من (الآثار والاخبار) عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم (اظهـارا) منه (لغزارة) اى كثرة (العلم ودلالة على شدة العنـاية) اى الاعتناء (باحوال السلف) الصـالحين (وتحريك) معطوف على النطق بالحكمة اى كتحريك (الشفتين) العليا والسفلى (بالذكر) لله تعـالى (والامر) اى وكالامر (بالمعروف) للنـاس (والنهى) لهم (عن المنكر بمشهـد) من (الخلق) اى بحيث يشهده الناس ويرونه (واظهار) اى وكاظهـار (الغضب للمنكرات) التى يفعلها الناس اى لاجلها (واظهار الاسف) اى الحزن الشديد (على مقارفة) اى اقتراف بمعنى اكتساب (الناس للمعـاصى وترقيق الصوت) اى تليينه وتحزينه (بقراءة القرآن ليدل بذلك) كله (عـلى الحزن) من تضييع الحقوق الشرعية الواجبة عليه (و) على (الخوف) من الله تعـالى بسبب ذلك (وادعاء) معطوف على ترقيق الصوت (حفظ القرآن) اى قوله فى النـاس انى احفظ القرآن (و) احفظ (الحديث) النبوى ليعظمه الناس (و) ادعاء (لقاء الشيوخ) المشهورين افتخارا بهم (وذكر مافعله من الطاعات) ولم تعلم به الناس فيعلمهم بذلك وهو السمعة لترتفع مرتبة عندهم فينال غرضه من الدنيا (والرد على من يروى) اى ينقل (الحديث) النبوى (ببيان خلل فى نقله) ذلك بنحو نقصان فى الرواية او احد الرواة (او) ببيان خلل فى (صحته) اى الحديث (او) فى (لفظه) بنحو تصحيف (ليعرف انه

يصير) اى عالم محقق (بالاحاديث) النبوية فيصير مرجعا فيها فينال غرضه من الدنيا (وكالمجادلة) اى المناظرة بجدال وخصام فى الابحاث العلمية (على قصد الخام) اى الزام (الخصم ليظهر للناس قوته) اى تحقيقه ومتانته (فى العلم و) فى (الدين) المحمدى (و نحو ذلك) مما يكون بالقول من الامور الدينية التى يريد بها الدنيا كرد غيبة احد بقصد التقرب الى محبته ونيل غرضه منه بذلك والخطابة فى الجمع والاعياد بقصد اظهار الفضيلة (ورياء اهل الدنيا) بالقول يكون (بالاشعار) جمع شعر وهو الكلام الموزون المقفى يعنى بانشائه او بانشاده (و) بايراد (الامثال) جمع مثل بالتحريك وهو الشبه (واظهار البلاغة والفصاحة) فى المخاطبات والرسائل لاظهار المزية على الغير (و) الشئ (الرابع) مما به الرياء (العمل) بالجوارح (كتطويل المصلى القيام) فى الصلاة (والركوع) فيها (والسجود) فيها فى السهو والتلاوة (و تعديل الاركان) وهو الطمانينة بقدر تسبيحة فى القيام والركوع والسجود والقعود (واطراق) اى طأطأة (الرأس) فى الصلاة (وترك الالتفات) فيها بوجهه (و اظهار الهدو والسكون) بلا اضطراب ولا حركة لاظهار الخشوع فى الصلاة (وتسوية القدمين) فى القيام من غير تقديم ولا تأخير فيهما (و) تسوية (البدن) بلا اعوجاج فى الوقوف (فى محضر) اى موضع حضور (الناس) ليروه كذلك فيمدحوه و يعظموه (دون الخلوة) يعنى يترك ذلك فى حالة الخلوة لعدم احتياجه اليه حينئذ (وقس) انت يا ايها السالك (عليها) اى على ما ذكر من اعمال الصلاة (سائر العبادات) كاعطاء الزكاة واداء الحج والعمرة وغير ذلك (ورياء اهل الدنيا) بالعمل بالاعضاء (بالتبختر) ويقال البخترة وهى مشية حسنة فيها هز المنكبين (والاختيال) وهو الخيلاء و الخيلاء بالضم والكسر بمعنى الكبر تقول منه اختال فهو ذو خيلاء اى ذو كبر (وتقريب الخطا) جمع خطوة فى المشى (والاخذ باطراف الذيل) لاظهار الترف والخفة والنشاط (ونحوه) كوضع اطراف القدم والاصابع على الارض فى المشى ورفع الرأس وابداء الصدر فى السير بين الناس اظهارا للظرافة والفخر والرياسة (و) الشئ (الخامس) مما به الرياء (الاصحاب) الذين يختلط بهم و يجالسهم (والزائرون) له النازلون عليه فى نحو قرية او بلدة (كمن يفرح بكثرتهم) ليكبر جاهه عند الناس و يعظم قدره (ومشيهم) اى الاصحاب (خلفه عند ذهابه الى الجمعة) او العيدين او لمكان الدرس او الذكر (او الدعوة) اى الضيافة (و يباهى) غيره (بهم) اى يفاخره لتعظم منزلته عند الغير فينال غرضه من الدنيا (ولا يذهب الى شئ من ذلك (وحده ليقال انه مرشد) الى طريق الله تعالى (كامل) فى مرتبة الارشاد (له اتباع كثيرة) فتقبل عليه الناس و يعظمونه (ورياء اهل الدنيا) بالاصحاب والزائرين (ليقال) عنه (انه ذو قدرة) على تحصيل كل ما يريد

من المصالح والنتائج الدنيوية والمناصب والوظائف (و) انه ذو (ثروة) وهى كثرة العدد من الناس و المال كذا فى مختصر القاموس (و) ذو (عبيد و) ذو (خدم كثيرة) فتنصرف اليه النفوس بالاجلال والتعظيم (المبحث الثالث) من المباحث السبعة (فيماله) اى لاجله يكون (الرياء) من العبد (وهو) اى مالاجله الرياء (الجاه) اى القدر والمنزلة عند الناس (واستمالة القلوب) الى محبته وتعظيمه ومدحه والثناء عليه (امالذاته) اى ذات ماذكر بان كان يحب نفس الجاه واستمالة القلوب (واماللتوسل به) اى بما ذكر (الى) فعل (معصية) كشرب خمر اوزنا اوغصب اورشوة ونحو ذلك (اومباح) كنكاح امرأة اوشراء دارا ولذيذ ما كل اومشرب (اوطاعة فى اعتقاده) بان كان غيره ينكر عليه فعلا من الافعال هو طاعة لله تعالى فى مذهبه (وقد تكون هذه الثلاثة) المذكورة (اغراضا) مقصودة (من الرياء بغير توسط) قصد (جاه) اولا ثم هى ثانيا (فتلك) اى جملة مالاجله يكون الرياء (اربعة) اقسام ذات الجاه واستمالة القلوب والثلاثة الباقية (ولكل) اى لاجل كل واحد منها (يقع) للعبد (الرياآن) اى رياء اهل الدين ورياء اهل الدنيا (اما) القسم (الاول) اى الرياء لذات الجاه واستمالة القلوب رياء اهل الدين (فكمن يقصد بعبادته) من صلاة ونحوها (ان يشتهر) بين (الناس بالزهد (فى الدنيا) والارشاد للمتعلمين (وكثرة المريدين و) كثرة (الاحباء) له والاصدقاء (وكمن يمشى) فى الاسواق ونحوها (فيطلع عليه الناس فيترك العجلة) فى المشى (كى لايقال) عنه (انه من اهل اللهو) اى الغفلة والاشتغال بزخارف الدنيا (والسهو) عن ادراك خفايا الامور (لامن اهل الوقار) اى الحشمة والهيبة ومنهم (اى من اهل الرياء بذات الجاه فى الدين) (من اذا سمع هذا) اى قول الناس انه من اهل اللهو والسهو (استحيى) من الناس (ان يخالف مشيته فى الخلوة) اى اذا كان وحده (مشيته بمرأى من الناس) اى فى موضع تراه الناس مخافة ان يعلم الناس انه متصنع لهم (فيكلف نفسه المشية الحسنة) بالتؤدة والوقار (فى الخلوة ايضا) اى كما يكلف نفسه ذلك بين الناس (حتى اذا رآه الناس) بغتة من غير تصنع منه (لم يفتقر الى التغير) فى مشيته (و يظن انه تخلص به) اى بهذا الصنيع (من الرياء و) الحال انه (قد تضاعف) اى تكثر (به رياؤه فانه انما يحسن مشيته فى خلوته ليكون كذلك) اى حسن المشية (فى الملاء) اى بين الناس (لالحياء) عنده (من الله تعالى) حتى ينتفى الرياء حينئذ (وكذلك من يسبق منه الضحك) قهرا عنه لسماع كلام مضحك اورؤية شئ مضحك (او يبدو) اى يظهر (منه المزاح) اى اللعب (فيخاف ان ينظر) بالبناء للمفعول اى ينظر اليه) الناس (بعين الاحتقار) له (فيتبع ذلك الضحك بالاستغفار) اى طلب المغفرة من الله تعالى عن ذلك (و) باظهار (تنفس الصعداء) بالضم والمد تنفس ممدود كذا فى الصحاح (و يقول) فى اثناء ذلك (ما اعظم غفلة الآدمى عن) مراقبة

احوال (نفسه) ومراعاة آدابها (والله تعالى يعلم منه انه لوكان فى خلوة) بحيث لا يراه احد (لما كان يغلب عليه ذلك) الضحك (وانما يخاف ان ينظر) أى ينظر (اليه) الناس (لابعين التوقير) اى التعظيم والاجلال (وكالذى يرى جماعة) من الناس (يتهجدون) اى يصلون بالليل بعد النوم فالتهجد اخص من صلاة الليل لانه القاء الهجوع الذى هو النوم (او يصومون) صيام النفل (او يتصدقون) صدقة النافلة (فيوافقهم) فى فعلهم ذلك (خيفة ان ينسب) عندهم اوعند غيرهم (الى الكسل) فى طاعة الله تعالى (او يلحق بالعوام) الذين لازيادة عمل لهم (ولوخلا بنفسه لكان لايفعل شيئا منه) اى من ذلك كله (وكالذى يعطش يوم عرفة) وهو تاسع ذى الحجة (او يوم (عاشوراء) وهوعاشر المحرم (فلايشرب) ذلك اليوم الماء اصلا ولايأكل شيئا الى آخر النهار (خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم) فى ذلك اليوم فان صومه مستحب (وان اضطر اليه) الى انه غير صائم بان سأله احد ولايمكنه الكذب خوفا على سقوط منزلته عند السائل (ذكر لنفسه عذرا) يمهد له اولونيه افطاره ذلك اليوم (تصريحا) اى بطريق الصريح من غير كناية (اوتعريضا) بالعذر اى اشارة اليه (بان يتعلل بمرض) هوفيه (اقتضى) ذلك المرض (فرط العطش) بحمله على الافطار ذلك اليوم (او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان) ويذكر صديقا له اواستاذا اواباونحوذلك (وقدلايذكرذلك) العذر (متصلا بشربه الماء كى لايظن) بالبناء للمفعول اى يظنه احد (انه يعتذر رياء) وينكشف امره فى ذلك (ولكنه يصبر) على ظهور عدم الصوم منه للناس ذلك اليوم (ثم يذكر عذره) بعد ذلك (فى معرض) اى مناسبة (حكاية) يحكيها عن غيره (مثل ان يقول ان فلانا) ويذكر احد الكرماء والكبراء (محب للاخوان شديد الرغبة فى ان يأكل الانسان من طعامه) ولايرضى ان احدا يحضر سفرته ولايأكل منها (وقدالح اليوم على) واكثر فى الطلب منى ان افطر (ولم اجد بدا) اى عوضا قال فى الصحاح وقولهم لابد من كذا كانه قال لافراق منه ويقال البد العوض (من تطييب قلبه) بافطارى فافطرت (ومثل ان يقول) فى اعتذاره عن الافطار ذلك اليوم ان (امى ضعيفة) اى رقيقة (القلب مشفقة على) اذارأتنى فى ادنى مشقة بحيث (تظن انى لوصمت يوما مرضت) من ذلك (فلاتدعنى) اى فلاتتركنى (ان اصوم) فلذلك افطرت (واما المخلص) فى ذلك (فلايبالى كيف نظر الخلق اليه) اى على اى وجه كان نظرهم اليه (فان لم يكن له رغبة فى الصوم) ذلك اليوم (وقدعلم الله) تعالى (ذلك) اى عدم رغبته (منه فلايريد) هو (ان يعتقد غيره) منه (مايخالف علم الله) تعالى (فيكون) حينئذ (ملبسا) على ذلك الغير (وان كان له رغبة فى الصوم) طمعا فى ثواب الله تعالى عليه (قنع بعلم الله) تعالى ذلك منه (ولم يشرك فيه) اى فى الله تعالى (غيره) فلم يكن

حريصا على اطلاع غيرالله تعالى عليه (الا ان يخطرله ان في اظهاره) اى الصوم واطلاع غيرالله تعالى عليه (اقتداء) اى متابعة (غيره) له فيه (فيظهر) صومه حينئذ بنية اقتداء الغير به ليكون له مثل ثواب ذلك الغير زيادة على ثوابه هو بصومه (و) اما الرياء لذات الجاه واستمالة القلوب رياء اهل الدنيا فهو (كمن يريد باظهار الشجاعة) للناس والاقدام في الحرب (وحسن التدبير) في احوال الجنود (الامارة) مفعول يريد يعنى ان يصير اميرا (والوزارة) بان يصير وزيرا (ونحوهما) من بقية المناصب (واما) القسم (الثانى) وهو الرياء للتوسل به الى معصية رياء اهل الدين (كمن رأى بعبادته) من صلاة اونحوها (ويظهر) للناس (التقوى) اى الاحتراز عن المعاصى (و) يظهر (الورع) وهو التدقيق في امتثال الامر واجتناب النهى (والامتناع من اكل الشبهات) جمع شبهة وهى مايشبه الحرام وليس بحرام (ليعرف) بالبناء للمفعول اى يعرفه الناس (بالامانة) ومراعات الحقوق من غير تضييع شئ منها (فيولى) بالبناء للمفعول اى يوليه الامام (القضاء) على الناس (او) النظر فى (الاوقاف او) النظر فى (مال الايتام اويودع) بالبناء للمفعول اى يودع الناس عنده (الودائع فيأخذها) بلاحق (ويجحدها) على اهلها ولايعترف لهم بها (وكمن يظهر) للناس (زى) اى هيئة (التصوف) من التعمم بالصوف ولبس المرقعات واخذ العكاز ونحو ذلك (و) يظهر (هيئة الخشوع) كطأطأة الرأس واخفاء الصوت وغض البصر وعدم الالتفات الى شئ ونحو ذلك (و) يظهر (كلام الحكمة) كعلوم التوحيد والمعرفة (على سبيل الوعظ) للناس (والتذكير) لهم (ليتحبب) بذلك (الى امرأة) فتصير تحبه فيجتمع معها (او) الى (غلام) فيصير يحبه ويجتمع معه (لاجل الفجور) بتلك المرأة اوذلك الغلام (وكمن يحضر مجلس العلم) اويشرع فى قراءة العلم على المشايخ (و) كذلك من يحضر (خلق) جمع حلقة (الذكر) التى للصوفية (بملاحظة) اى بسبب نظره الى (النسوان والصبيان) الحسان الذين يحضرون هناك فينظر بنظر شهوة وميل الى مماسة ونحوها واما النظر المجرد عن ذلك فليس بمعصية قال الغزالى رحمه الله تعالى ان المحبة قد تكون لذات الشئ لا لقضاء الشهوة منه وقضاء الشهوة لذة اخرى والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة والالوان الحسنة حتى ان الانسان ليتفرج عنه الهم والغم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر كذا ذكره الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير عند الكلام على حديث كان يعجبه صلى الله تعالى عليه وسلم النظر الى الخضرة والماء الجارى اى كان يحب مجرد النظر اليهما ويلتذبه فليس اعجابه بهما ليأكل الخضرة او يشرب الماء اولينال منهما حظا سوى نفس الرؤية انتهى وكذلك هنا النظر المجرد عن قصد المعصية ليس

بمعصية (و) اما رياء اهل الدنيا فهو (كمن يظهر) للناس (الشجاعة) باقدامه في الحروب والمخاصمات (وحسن السياسة) بتدبيره ونظره السديد (و) حسن (الضبط) بعدم تضييع شيء من امور الدنيا واتقان الحساب (ليصل) بذلك (الى ولاية) منصب من مناصب الدنيا (اووصاية) على مال ايتام (اونحوها) كوكالة عن احد اوخدمة كبير من اهل الدنيا (فيتمكن) بسبب ذلك (من) اتيان (المحرمات المشتهيات) له كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك (واما) القسم (الثالث) وهو الرياء للتوسل به الى مباح (فكمن يرائي بعبادته) غيره من الناس (ليبذل له) ذلك الغير (الاموال) حيث يراه مستحقا لها روى ابوطالب المكي في القوت عن عبيد بن ابي واقد عن عثمان بن ابي سليمان قال كان رجل يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله وفقده موسى عليه السلام دهرا فجعل موسى عليه السلام يسأل عنه فلا يحس منه اثرا حتى جاء رجل ذات يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل اسود فقال له موسى عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب اسألك ان ترده الى حاله الاول حتى اسأله عما اصابه هذا فاوحى الله اليه لودعوتني بالذي دعاني آدم فمن دونه ماأجبتك فيه ولكني اخبرك انما صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين كذا ذكره النجم الغزي في حسن التنبه ولو كان المسخ في هذه الامة كما كان في الامم السابقة رأيت ممن يطلب الدنيا بالدين خنازير كثيرا ولكن المسخ الآن واقع في القلوب لا في الصور الظاهرة (ورغب في نكاحه) اي تزوجه (النساء) رؤيتهن كمال عبادته (ويسارع في خدمته و) قضاء (حاجته الناس) حين يرونه اهلا للخدمة والتبرك به (وكمن يخفف الصلاة ويترك التعديل) للاركان (و) يترك (الآداب) المطلوبة للصلاة (في) حالة (الخلوة ويطيلها) اي الصلاة (ويراعي التعديل) لاركانها (و) يحفظ (الادب) فيها على وجه الاتقان لها (في الملاء) اي في جماعة الناس (فرارا) بذلك الفعل وتباعدا (عن ايذاء الناس) اي عن ان يؤذيهم (بعذمته وغيبته) بالكسر اي ذكره بسوء في غير حضرته (لاطلبا) بذلك (للمدح منهم) اي من الناس (ولاثوابا) اي من جهة الثواب على ذلك (من الله) تعالى وقد وجدنا طائفة ممن يزعمون العلم يتباعدون عن المعاصي مخافة ذم الناس لهم والوقوع في غيبتهم وهم يصرحون بذلك ويعتقدون أن تباعدهم عن المعاصي بذلك القصد طاعة منهم لله تعالى حتى انهم اذا توهموا من احد معصية اوردوا له قولهم رحم الله امرأ جب الغيبة عن نفسه على وجه الاحتجاج بهذا القول زاعمين انه حديث وان معناه صحيح ويحثون الناس على ماهم فيه من اجتناب المعاصي مخافة الغيبة والمذمة ويعلمون الناس الرياء ويحملونهم عليه بلا نكير منهم على ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وان سلمنا انه حديث وان معناه صحيح فان معناه رحم الله امرأ ترك المعصية [illegible]

سببا منه الى حب اى قطع الغيبة عنه لانه ترك المعصية لاجل حب الغيبة عند ابى قطعها من الناس (وكمن يصلي) صلاة (او يقرأ) شيئا من القرآن (او يهلل) رفع صوته (لاخذ المال) من غيره بان يقصد ان يراه الغير اهلا لاعطائه الصدقة ومستحقا لها لانقياده على الطاعة (والتلذذ به) اى بالمال الذى اخذ بتصرفه فى مشتهيات نفسه (وكالمثال الاخير للثانى) من اقسام الرياء المذكور فيما مر وهو ان يظهر اشجاعة وحسن السياسة والضبط ليصل الى ولاية ووصاية اونحوهما (ثم ليصل) بما يحصل له من ذلك (الى المشتهيات) النفسانية (من المباحات واما) القسم (الرابع) وهو الرياء ليتوسل به الى طاعة فى اعتقاده (فكالمثال الثانى للثالث) من اقسام الرياء السابق ذكره وهو ان يخفف الصلاة ويترك التعديل والآداب فى الخلوة ويطيلها ويراعى التعديل والادب فى الملأ (اذا كان غرضه) بذلك (صيانة) اى حفظ (الناس عن المعصية) وهى الوقوع فيه (بالغيبة والذم) فان صيانتهم عن ذلك طاعة فى اعتقاده لا فى اعتقادهم لانهم مستحلون غيبته ومصرون عليها (وكالتلميذ يرائى) معلمه (بطاعته) لله تعالى كصلاته وصيامه (لينال) بذلك (عند المعلم) له (رتبة) اى مزية عظيمة (فيتعلم منه) اى من معلمه (علما نافعا) له فى اعتقاده هو وربما كان مضرا له فى اعتقاد معلمه لعدم استعداده له بالتقوى (وكالولد يرائى بعمله) ابويه (ليميل اليه قلب ابويه) ويشفقان عليه (فيكون بارا) اى محسنا (لهما) ولو اطلعا على ريائه فى ذلك لسخطا عليه حيث لم يبلغا مرادهما منه (وكمن يرائى) بعبادته (عند الاغنياء) من التجار وغيرهم (لينال منهم مالا ويجعله عدة) عنده (للعبادة) يستعين به فيها (او يرائى) بعبادته (عند الامراء والوزراء) من اكابر الدولة (و) عند (القضاة) واهل الحل والعقد من ولاة المناصب (لينال) بذلك (منهم جاها) فى الدنيا بين الناس (ومنصبا عاليا (ليتفرغ به) اى بسبب ذلك الجاه والمنصب (للعبادة) والطاعة (ودفع الشواغل) الدنيوية عنه (و) دفع (الظلم) عن المظلومين بالشفاعة والموعظة (اوليقبل) اى بالجاه والمنصب عند الناس (قوله) الحق (فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) فيسمعون منه ذلك ويقبلونه (وكمن تعطى) بالبناء للمفعول اى يعطى الناظر (له دراهم مسماة) فى كل سنة اوشهر اوجمعة اويوم (عينها واقف) من المسلمين (اوغيره) اى غير واقف كاحد من الناس (ليقرأ جزأ من كلام الله) تعالى (كل يوم) فى الجامع الفلانى اوله رسة الفلانية اوالمدفن الفلانى اوفى اى مكان كان من غير تعيين مكان (او) حتى (يصلى كذا ركعة) عشرة اومائة (اويسبح) كذا تسبيحة (او يهلل اويكبر) كذلك (اويصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اويدرس فى العلم اوتعليم القرآن (ويعطى ثوابه) الحاصل له بسبب ذلك (للمعطى) من الواقف اوغيره (اولاحد ابويه) اى المعطى المذكور (فيفعل ذلك المسكين) الذى اقدم على شرط هذا الوقف

الفاسد والصدقة الفاسدة بقصد تحصيل ذلك المبلغ من الدنيا المعين له (تلك العبادات) المذكورة ويجتهد في عملها (طمعا) منه (للمال) المذكور (ليجعله عدة) له (وقوة للعبادة) والطاعة (ويظن) من جهله (انه) اي ذلك المال المذكور (حلال) له (وان ثوابه) على ذلك (يصل الى الامر) المذكور (وانه في طاعة) مع انه في رياء وما عبدالله تعالى بتلك العبادات الا لاجل المال المذكور وهو في معصية ظاهرة واثم قبيح فاى ثواب له حتى يجعله لغيره واما الاوقاف الآن والصدقات الجارية على قراءة الاجزاء القرآنية واجزاء صحيح البخاري ومسلم ومعلومات المؤذنين والمدرسين في الجوامع والمدارس ونحوها فهي موقوفة على كل من يفعل هذه العبادات في هذه المواضع المخصوصة لا بشرط ان يكون ثوابها للواقف والمتصدق بذلك بل يكون للواقف والمتصدق ثواب الصدقة بذلك على القائمين بهذه العبادات وثواب اعمالهم على ذلك كله لهم لا للواقف والمتصدق وانما هذه الوظائف اعانة لهم على طاعة الله تعالى فقط فليست من هذا القبيل الذي اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى الا اذا شرط الواقف او المتصدق ان ثواب هذه العبادات يكون له في مقابلة ما عينه من المال فهو امر باطل حينئذ وفعله حرام بهذه النية (وكمن يصلي او يهلل) او يفعل نوعا من الطاعة (في الملأ) بين الناس (لمجرد اراءة الناس) ذلك (ليقتدوه) اى يتابعوه (ويتعلموا منه كيفية العمل) الصالح ويحثهم على ذلك (ويصير سببا لطاعتهم) لله تعالى (ولولم يره الناس لم يفعل) شيئا من ذلك (وهذا) الفعل (ايضا) كالذى قبله (رياء) مذموم (بخلاف مالو كان قصد الاقتداء باعثا على مجرد الاظهار) اى اظهار العمل ليقتدى به غيره (لا) على (الاحداث) اى احداث العمل ليقتدي به غيره وكان بحيث لوانفرد وحده ولم يطلع عليه غيره لم يعمل (فانه) اى قصد الاقتداء الباعث على مجرد الاظهار حينئذ (ليس برياء) لان العمل لولا قصد الاقتداء كان موجودا منه (بل هو مستحب) حينئذ لان فيه عملا وتعليما فهو افضل من العمل فقط (ورياء اهل الدنيا) في هذا القسم يكون (باظهار الشجاعة ونحوها) كالكرم والبشاشة (ليصل) بذلك (الى حصول ولاية) اى منصب دنيوى (لينفذ احكام الشرع) باقواله وافعاله (ويصلح الناس) بتقويم اعوجاجهم (ويرفع الظلم) عنهم (والمنكرات) من بينهم (المبحث الرابع) من المباحث السبعة (في) بيان (الرياء الخفي) عن صاحبه الذى هو فيه فلا يتنبه اليه الا بتدقيق النظر والتأمل في احوال نفسه (و) في ذكر (علاماته) ليتوصل بها العبد الى معرفة نفسه فلا يشتبه عليه الحال (اعلم ان الرياء قد يكون) جليا واضحا وقد سبق ذكره وقد يكون (خفيا) دقيقا يصل من الخفاء والدقة (الى ان يكون اخفى من دبيب النملة) اى حركة مشيها على حجر ونحوه (فيحتاج) هذا الرياء الخفي حينئذ (في معرفته) عند العبد (الى علامات) يعرف بها وهي كثيرة (منها ان يسر)

العبد اى يحصل له السرور والفرح (باطلاع الناس على طاعته) وثنائهم (ومدحهم له) فتنبسط نفسه لذلك وتنشط به (من غير ان يلاحظ) فى حال سروره بذلك (اقتداء غيره به) اى متابعته له فى تلك الطاعة التى فعلها فيكون سروره لحصول طاعة الغير (او) يلاحظ حصول (اطاعتهم لله تعالى فى مدحهم) له حيث نشروا فضيلة المسلم وانصفوا فى كماله ورؤية مرتبته والفرح بخصوصيته التى اختصه الله تعالى بها وتركوا حسدهم له فيها وجاهدوا انفسهم فى الاعتراف له بذلك مع ان النفوس مجبولة على حب الترفع على الاقران (و) فى (محبتهم للمطيع) لله تعالى فانها طاعة منهم (او يستدل به) اى باطلاع الناس على طاعته ومدحهم له (على حسن صنع الله تعالى) معه (و) حسن (نظره) سبحانه (له حيث ستر) عنه (القبيح) من الاعمال (واظهر الجميل) منها لغيره (فيكون فرحه) حينئذ (بجميل نظر الله تعالى له لا بحمد الناس) لاعماله والثناء منهم على افعاله (وقيام المنزلة) له (فى قلوبهم) ورفعة شانه عندهم (وقد قال الله تعالى قل بفضل الله) اى احسانه واكرامه بالعناية والتوفيق للعلم والعمل (وبرحمته) سبحانه التى صار بها العبد اهلا لفيض الكمال عليه (فبذلك فليفرحوا) لان الفرح بذلك طاعة وقال تعالى بعده (هو خير مما يجمعون) اى من جميع ما فى نفوسهم من الاغراض الفاسدة وفى ايديهم من متاع الدنيا (او يستدل باظهار الله تعالى الفعل (الجميل) له (وستر) الفعل (القبيح) عليه (فى الدنيا انه) تعالى (كذلك يفعل به) اى بالعبد (فى الآخرة كما جاء فى الخبر) عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث قتادة عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما انا امشى مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما آخذ بيده اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال له ياعبدى انى لم استرها عليك فى الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وعن شيبة الحضرمى انه شهد عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث اشهد عليهن والرابعة لو شهدت رجوت ان لا آثم لا يجعل الله تبارك وتعالى من له سهم فى الاسلام كمن لا سهم له وسهام الاسلام الصلاة والصيام والصدقة ولا يتولى الله تبارك وتعالى عبدا فى الدنيا فيوليه غيره فى الآخرة ولا يحب قوما احد الا جاء معهم يوم القيامة والرابعة لا يستر الله تبارك وتعالى على عبد فى الدنيا الا ستر الله تبارك وتعالى عليه فى الآخرة ذكره الخرائطى فى مكارم الاخلاق (فان السرور) اى سرور العبد (باحد هذه الاربعة) التى هى

ملاحظة اقتداء غيره به وملاحظة اطاعتهم لله تعالى فى مدحهم للمطيع ومحبتهم له والاستدلال بذلك على حسن صنع الله تعالى به ونظره اليه والاستدلال باظهار الجميل وستر القبيح عليه فى الدنيا انه يعامله فى الآخرة كذلك (حق) لاشبهة فيه (لايدل) شئ من ذلك (على الرياء ولكن كثيرا ما) اى فى اكثر الاوقات (يداخله تلبيس) فيشتبه الامر فى ذلك عليه (فليكن على بصيرة) من حاله (ومنهـا) اى من علامات الرياء الخفى (ان يحب ان يوقره النـاس) اى يعظموه (و يثنوا عليه) بما فيه من الاوصاف الجميلة و بماليس فيه من ذلك (و) يحب (ان ينشطوا) اى يسارعوا (فى قضاء حوائجه) بلا تأخر منهم (و) يحب (ان يسـامحوه) اى النـاس (فى البيع والشراء و) يحب (ان يوسعوا له فى المكان) اذا دخـل عليهم فيه (فان قصر فيه) اى فى شئ من ذلك (مقصر ثقـل) ذلك التقصير (على قلبه) وعظم عليه (ووجد لذلك) التقصير (استبعادا) فى نفسه واستيحاشا كليـا (كان نفسه تتقاضى) اى تقبض شيئا فشيئـا وتطلب (الاحترام) والتعظيم من الناس (على الطاعة) والاعمال الصـالحة (التى اخفاها) عن الناس (ولو لم يكن سبقت منه تلك الطاعة) التى فعلهـا خفية عنهم (لما كان يستبعد ذلك) التقصير منهم فى حقه (ومهما لم يكن وجود العبـادة) عنده (كعدمها) على حد سواء (فيما يتعلق بالخلق) اى المخلوقات (لم يكن) وجود العبادة (خاليا عن شوب) اى اختلاط (خفى) لايكاد يتنبه له صاحبه (من الرياء ومهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان) من بنى آدم بحيث يعقل ذلك ويعرفه له (وبهيمة) من البهائم لاتعقل ذلك ولاتعرفه له (ففيه) اى فى عمله (شعبة) اى نوع (من الرياء) ولكنها خفية عنه (الاان تقارنه) اى تقارن فرقه بين الاطلاعين المذكورين (الملاحظـة) لاقتداء غيره به اوطاعة غيره لله تعالى فى مدحه ومحبته له (اوالاستدلال) بذلك على حسن صنع الله تعالى به واظهار الجميل عنه وستر القبيح (السابقان) قريبـا (وقليل ماهم) اى اهل الملاحظة والاستدلال المذكورين (فليكن) العبد (على بصيرة) فى ذلك (وحذر من التلبيس عليه) فى احواله واعماله (فان النـاقد) للاحوال والاعمال الظاهرة والباطنة (بصير) كما قال تعالى * والله بكل شئ بصير (لايخفى عليه) سبحـانه (قليـل) من ذلك (ولا كثير) كما قال سبحانه * الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (ومنها) اى من علامات الرياء الخفى (انه لوكان له) اى للانسان (صاحبان) احدهما (غنى و) الآخر (فقير ووجد عند اقبال) صـاحبه (الغنى) عليه (زيادة هزة) اى نشاط وارتيـاح وسرور واستبشار (فى نفسه لاكرامه) والاحتفال بقدومه عليه (الااذا كان فى) صـاحبه (الغنى زيادة علم) ليس فى صاحبه الفقير فاحتفل به لاجلهـا (او) زيادة (ورع اوصداقة سابقة) بينهما (اونحوها) من رغبة فى توبته من بدعة اوفسق [illegible]

شفاعة عنده فى دفع مظلمة اوخوفه منه (فمن كان اسرّ واحه) اى بيله واقباله (الى مشاهدة الاغنياء اكثر) من الفقراء (بدون ماذكر) من احد الوجوه (فهو مرائى) ومافعله رياء (ومن العلامات) على وجود الرياء الخفى (المختصة بالواعظ) الذى يذكر الناس امور المعاد ويحثهم ويزجرهم بالترغيب والترهيب (والعالم) الذى يعلمهم الاحكام الاعتقادية والعملية (والشيخ) الذى يربيهم فى سلوك طريق الله تعالى بالتقوى وبيان ذلك (انه) اى كل واحد ممن ذكر (لوظهر) له من الناس (من هو احسن منه وعظا) من طلاقة اللسان وكمال الحفظ والتصحيح التام (واغزر) اى اكثر (علما) بزيادة اطلاع على العلوم الشرعية واعرف بالتربية فى مقام السلوك (و) وجد (الناس اشدله) اى لذلك الظاهر الاحسن منه (قبولا) واعتناء به ووجدهم تركوه وذهبوا الى ذلك الاحسن منه (ساءه) اى احزنه فعلهم ذلك اواحزنه هو ذلك الاحسن (وحسده) على كماله فان هذا دليل على كونه مرائى ولكن رياؤه خفى عنه (نعم لا بأس بالغبطة) فى الحسد وهى ان يتمنى مثل النعمة التى وجدها على غيره من دون زوالها عنه وفيه اشارة الى ان الاولى ترك الغبطة ايضا لئلا تتعود النفس الحسد قال الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه فى كتابه مالا يعول عليه فى النصائح الحسد فى الخير لا يعول عليه لئلا يعتاده الطبع (ومنها) اى من العلامات على الرياء الخفى المختصة بمن ذكر (ان الاكابر) من الناس كاهل المناصب والتجار (اذا حضروا مجلسه يغير) فى الحال (كلامه عما كان عليه) قبل ذلك (تصنعا) منه لهم (واستمالة لقلوبهم) بذكر ما يناسبهم من الكلام (نعم لوزاد) على كلامه الاول (ما يتعلق باصلاحهم) من بيان النصائح والمواعظ والاحكام (بلطف) منه فى خطابهم (ورفق) ولين (ليستدرجهم) من اصرارهم وفسقهم (الى التوبة) من ذنوبهم (والصلاح) من فسادهم (لحسن ذلك) الفعل منه ولكل موقعه (ولكن ذلك محل تلبس) على النفوس فليحترز الموفق منه (فان اشتبه) الامر (عليه) واشكل الحال (فلينظر الى الخلق كلهم) (بعين واحدة) فلا يميز غنيا لغناه من فقير لفقره ولا كبيرا من صغير ويعامل الكل معاملة واحدة فانه يسلم من الرياء الخفى ان شاء الله سبحانه وتعالى واعلم ان هذه العلامات المذكورة هنا للرياء الخفى انما هى علامات للسالك فى حق نفسه لا فى حق غيره ولهذا علقها بالمقاصد القلبية التى لا يعلمها غير صاحبها وقد صرح بذلك المحاسبى فى الرعاية فلا يجوز اعتبار تلك العلامات فى حق الغير لانها قد تتخلف فى البعض لان مقاصد القلوب لا تحصى وظن السوء بالمسلم حرام وكذلك التجسس عنه والاستكشاف عن عوراته وتتبع العلامات لفضيحته بها كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

﴿ المبحث الخامس ﴾

من المباحث السبعة (فى) بيان (احكام الرياء) وماهو مذموم منه شرعا وماهو غيرمذموم (اعلم ان الرياء بعمل الدنيا) على حسب ماسبق بيانه (لايحرم) فعله على المكلف (ان خلا عن التلبيس) على الناس فى امر الدين (والتزوير) عليهم فيه (ولم يتوسل) اى يتوصل ذلك المرائى (به) اى بعمل الدنيا (الى) فعل (المنهى عنه) نهى تحريم اوكراهة (ولكن ان كان) ذلك الرياء بعمل الدنيا (لحظ) اى النصيب الذى تطلبه النفس (العاجل) قبل يوم القيامة (فذموم) شرعا كما قال تعالى فى حق الكافرين * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * وقال ايضا * ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا * (والا) اى وان لم يكن للحظ العاجل (فمستحب يثاب عليه (لماينا) فيما مر (فى حب الرياسة) من ان التوسل به الى اخذ الحق وتحصيل المرام المستحب اوالمباح اودفع الظلم والشواغل والتفرغ للعبادة اوالى تنفيذ الحق واعزاز الدين واصلاح الخلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ان خلا عن المحظور كالرياء والتلبيس وترك الواجب والسنة فجائز بل مستحب وقدسبق شرحه (واما الرياء بالعبادة) وطاعة الله تعالى (فحرام كله) اجماعا (بل ان كان) الرياء (فى اصل العبادة) اى وجودها لافى تحسينها (كمن يصلى الفرض عندالناس) اذا كان بينهم (ولايصلى) اصلا اذاكان وحده (فى الخلوة فكفر) اى ذلك الرياء (عندالبعض) من العلماء لانه عبادة غيرالله تعالى (قال فى) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (وفى) كتاب (الينابيع) شرح القدورى (قال ابراهيم بن يوسف لوصلى) الانسان (رياء) اى لاجل ان يراه غيره من الناس (فلااجر) اى لاثواب (له) على تلك الصلاة (وعليه الوزر) اى الاثم لانه فعل معصية لاطاعة (وقال بعضهم) اى بعض العلماء (يكفر) لعبادته غيرالله تعالى (انتهى) مانقله عن التاتار خانية (وممن قال بكفره) اى كفر من صلى رياء (الفقيه ابوالليث) السمرقندى رحمه الله تعالى (ذكره) اى هذا القول (فى) كتابه (تنبيه الغافلين واغلظ) اى شدد (فيه) اى فى المرائى بصلاته (حيث جعله منافقا تاما) اى كاملا فى نفاقه يكون يوم القيامة (فى الدرك) وهو اقصى قعر الشئ (الاسفل) صفة له كاشفة (من النار) اى نار الآخرة (مع آل) اى اتباع (فرعون وهامان) وزير فرعون وهو فرعون موسى قال ابن الجوزى والفراعنة ثلاثة فرعون الخليل واسمه سنان وفرعون يوسف واسمه الريان وفرعون موسى واسمه الوليد ابن مصعب ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وكون غرضه) اى المرائى بالعبادة (منه) اى من الرياء حصول الطاعة لله تعالى المترتبة على ريائه بتلك العبادة (كصيانة الناس) اى حفظهم (عن الغيبة) اى الوقوع فى حقه بالسوء فى غيبته (و) كقصد (تحصيل العلم النافع) بسبب ذلك الرياء بالتقرب الى من تعلم ذلك (و)

(برالوالدين) اى اطاعتهما والاحسان اليهما (و) كتحصيل (المال عدة للعبادة)
اى استعانة به فيها (وقوة) به (عليها وتفرغالها) عن اشغال الدنيا (ودفعا لمانعها)
اى مانع العبادة من الكسب وغيره (و) كتحصيل (الجاه) اى رفعة الشان والقدر
بالمناصب الدنيوية (كذلك) اى عدة للعبادة وقوة عليها وتفرغالها ودفعا لمانعها (فبعد
تسليم صدقه) اى المرائى فيماذكر (لايفيد) غرضه المذكور شيئا (ولايجعله)
اى الرياء بالعبادة (حلالا لانه) اى غرضه المذكور (تلبيس) عليه (وكذب) فى احواله
(فعلى) اى منسوب الى الفعل وهو عدم مطابقة الفعل للواقع لاكذب قولى (وصورة
استهانة) اى تهاون (واستهزاء) اى سخرية (لله تعالى) من حيث انه عبد غيرالله
تعالى ثم صرف ذلك الى الله تعالى فكان فيه صورة المستهين والمستهزئ بالله تعالى لاحقيقة
ذلك اذحقيقته كفر لامحالة (بخلاف مالوكان قصده من عبادته) التى عبدالله تعالى
بها (و) من (طلبه بها) اى بتلك العبادة حصول (المال والجاه المذكورين)
اللذين يستعين بهما على العبادة (ابتداء) اى فى ابتداء الامر (من الله) تعالى بدون قصد
غيره تعالى بذلك ثم قصده تعالى بما يحصل من ذلك الغير (ولم يرد) بذلك (اراءة الناس)
بان يروه (واسماعهم) بان يسمعوابه (فانه) اى هذا القصد من العبادة (حلال)
له حينئذ (لارياء كما سبق) اى مثل ما سبق فيمن اراد اراءة الناس وغرضه بذلك صيانة الناس
عن غيبته ونحوماذكر (لانه) اى قصد عبادة الله تعالى ابتداء (ليس فيه تلبيس و)
لا (صورة استهانة) كما فى الاول (نعم لوكان مقصوده) اى المرائى بعبادته (منهما)
اى من المال والجاه (الحظ العاجل) اى الغرض النفسانى فى الحياة الدنيا (فرياء)
حينئذ حيث لم يقصد بهما الاستعانة على طاعة الله تعالى ونحوماسبق (لايحل)
فعله (لانه جعل عبادة الله تعالى آلة) للتوصل الى غرض نفسه (وشبكة للدنيا)
يصيدبها الحطام العاجل (وقد وضعها) اى العبادة (الله تعالى لنفع الآخرة)
لالنفع الدنيا (وفيه) اى فى طلب نفع الدنيا بها (قلب) اى عكس (الموضوع)
الذى وضعه الله تعالى حيث حكم به فى الشرع (فلا يفيد) فى انتفاء الرياء (كون ارادته)
المال والجاه (من الله) تبارك وتعالى (لامن الخلق) حيث قصدبها تحصيل غرضه
الدنيوى من حظه العاجل (قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا) الحرث الكسب
وجمع المال كذا فى مختصر القاموس وفى الصحاح الحرث كسب المال وجمعه وفى الحديث
احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا (نؤته منها) اى من الدنيا (وماله فى الآخرة من نصيب)
حيث تعجل نصيبه فى الدنيا بطلب منه ولاينفى نصيبه من الآخرة الابذنب سبق
منه فى الدنيا وهو طلبه للدنيا من الله تعالى بعمل الآخرة (واما بيان تأثيره) اى الرياء
(فى الطاعة) وعبادة الله تعالى (فالمغلوب) من رياء التخليط كما سبق اى الذى غلب
فيه قصد عبادة الله تعالى على قصد غير ذلك فكان قصد الغير مغلوبا بقصد

عبادة الله تعالى (ينقص اجرها) اى ثواب الطاعة فلا يبقى كاملا فى الآخرة (ولا يبطلها) اى لطاعة (و) الرياء (المساوى) اى ما تساوى فيه قصد عبادة الله تعالى مع قصد غير ذلك (و) الرياء (الغالب) اى ما غلب فيه ارادة غير الله تعالى بعبادته على ارادة الله تعالى (و) الرياء (المحض) اى الذى فيه ارادة غير الله تعالى فقط بالعبادة (يبطلها) اى الطاعة (لعدم) وجود (النية) فيها حيث قصد بفعلها غير وجه الله تعالى (وهى) اى النية (شرط فى) صحة كل عبادة (من حيث انها) اى تلك العبادة (عبادة) وهى الصحة الشرعية احتراز عن الصحة بمعنى وجود الافعال فى الحس والعرف كالوضوء بلانية فانه ليس بعبادة وان صحت به الصلاة لانه شرط لها والشروط يراعى حصولها لا تحصيلها كالغسل وستر العورة وغسل النجاسة المانعة ونحو ذلك قال فى الاشباه والنظائر وفى بعض الكتب ان الوضوء الذى ليس بمنوى ليس بمأمور به لكنه مفتاح للصلاة ونقل ابن امير حاج فى شرح منية المصلى عن الخلاصة انه يجزئ الوضوء والغسل بغير نية الا ان الكرخى اشار فى كتابه الى ان الوضوء بغير نية ليس الوضوء الذى امر به الشرع واذا لم ينو فقد اساء واخطأ وخالف السنة وهكذا قال المتقدمون من اصحابنا لا يثاب ولا يصير مقيما للوضوء المأمور به قال وفى هذا اشارة الى ان المراد به غير مأمور به فى الصورة المذكورة كونه غير مأمور به على وجه الاستنان لا وجه الايجاب والا لم يكن الوضوء العارى عن النية مجزيا بحيث تصح الصلاة به والغرض خلافه وليس ببدع كون المأمور به يراد به هذا المعنى فان الامر بالشئ كما يكون على سبيل الايجاب يكون على سبيل الاستحباب وبه يندفع ما لعله يقال قد ثبت باعترافكم انه لا يكون آتيا بالوضوء المأمور به الا بالنية افتراض النية له لان الوضوء المبيح للصلاة ونحوها انما هو الوضوء المأمور به لا غير المأمور به لان المراد بالوضوء المأمور به الذى تتوقف الاباحة عليه وتمامه هناك (لقوله) اى النبى (صلى الله عليه وسلم انما الاعمال) معتبرة شرعا (بالنيات) اى مقاصد القلوب (ولكل امرئ) اى انسان (ما نوى) لا ما عمل بلا نية (رواه) اى هذا الحديث (عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخطب به عمر وقدمه البخارى فى اول صحيحه وتكلم عليه شراحه بما يطول ذكره (وهذا حديث مشهور) وهو دون المتواتر قريب منه عند ابى حنيفة ومتواتر عند ابى يوسف واحاد حكما عند محمد ذكره والدى رحمه الله تعالى فى اوائل شرحه على شرح الدرر والمشهور ما رواه واحد عن واحد فى القرن الاول ثم اشتهر فى القرن الثانى والثالث فصار يرويه جماعة عن جماعة والمتواتر ما رواه جماعة عن جماعة فى القرون الثلاث والآحاد ما رواه واحد عن واحد فى القرون الثلاث والخلاف فى مقدار عدد التواتر يفيد معرفة الاحاد لانه ما عداه على ما ذكر فى موضعه من علم اصطلاح الحديث (خرجه) اى هذا الحديث (الائمة الستة) البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والبيهقى وابن حبان

كل امام منهم خرجه في صحيحه (الامالكا) بن انس رضي الله عنه فانه لم يذكره في كتابه الموطأ وفي الاشباه والنظائر قال قرروا حديث انما الاعمال بالنيات انه من باب المقتضى اذلا يصح بدون تقدير لكثرة وجود الاعمال بدونها فقدروا مضافا اي حكم الاعمال وهونوعان اخروى وهوالثواب واستحقاق العقاب ودنيوى وهوالصحة والفساد وقداريد الاخروى بالاجماع للاجماع على انه لاثواب ولاعقاب الابالنية فانتفى الاخران يكون مراداامالانه مشترك ولاعموم له اولاندفاع الضرورة به من صحة الكلام به فلاحاجة الى الآخر والثاني اوجه لان الاول لايسلمه الخصم لانه قائل بعموم المشترك فحينئذ لايدل على اشتراطها في الوسائل للصحة ولاعلى المقاصد ايضا وانما اشترطت في العبادات بالاجماع او بآية * ومامروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين * والاول اوجه لان لعبادة فيها بمعنى التوحيد بقرينة عطف الصلاة والزكاة (والنية) في اللغة مطلق القصد نوى لشيء بنويه قصده وفي الشريعة هي (ارادة المسلم المميز العالم بالنوى) فلا يصح نية الكافر ولاالصبي غيرالمميز ولا المجنون والجاهل بفرضية الصلاة كما بسطه في الاشباه والنظائر (التقرب) الى الله تعالى (بالعمل) المشروع فعله فرضا كان اوغيره (الباعثة) نعت للارادة اي التي تبعث اي تحث وتحض (عليه) اي على التقرب بالعمل (المتصلة) تلك الارادة (باوله) اي العمل (حقيقة) كمقارنة نية الصلاة بالقلب مع التكبير باللسان (او حكما) كمن نوى الصلاة مع الامام في بيته ثم مشى الى المسجد ولم يشتغل بعمل يدل على الاعراض عن الصلاة حتى كبر خلف الامام ولم يستحضر النية ثانيا كفته النية الاولى وكانت مقارنة لتكبيره حكما وكنية الزكاة اذا كانت في وقت عزل ما وجب عليه ثم عند ادائها الى الفقراء لم يستحضر النية كانت النية السابقة مقارنة للاداء حكما فصح اداؤه وكنية صوم الغد اذا كانت بعد غروب الشمس فاذا طلع الفجر وامسك بلانية كفته نيته من الليل فهي مقارنة للامساك حكما (و) قوله (الارادة) احتراز عن مجرد التلفظ باللسان) من غير قصد القلب ولايلزم التلفظ مع قصد القلب قال في الاشباه والنظائر لايشترط مع نية القلب التلفظ في جميع العبادات ولذا قال في المجمع ولا معتبر في اللسان وهل يستحب التلفظ اويسن او يكره اقوال اختار في الهداية الاول لمن لم تجتمع عزيمته وفي فتح القدير لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه التلفظ بالنية لافي حديث صحيح ولاضعيف وزاد ابن اميرحاج انه لم ينقل عن الائمة الاربعة وفي المفيد كره بعض مشايخنا النطق باللسان ورآه الآخرون سنة انتهى وعلل الكراهة ابن امير حاج بان النية عمل القلب والله مطلع على الضمائر فالافصاح في حقه غير مفيد وفي الاشباه والنظائر محل النية القلب في كل موضع ولا يكفي التلفظ باللسان دونه وفي القنية والمجتبى من لايقدر ان يحضر قلبه لينوي بقلبه او يشك في النية يكفيه التكلم بلسانه * لايكلف الله نفسا الا وسعها * وقال ابن اميرحاج في شرح منية المصلي والعبد الضعيف له في هذا

نظرا لان اقامة فعل اللسان فى هذا مقام عمل القلب عند العجز عنه بدلا منه لايكون بمجرد الرأى لان الابدال لاتنصب بالرأى وقد يسقط الشرط عند عدم القدرة عليه الى بدل وقد يسقط المشروط بواسطة عدم القدرة على شرطه فاثبات احد هذه الاحتمالات دون الباقى يحتاج الى دليل واين الدليل هنا على اقامة فعل اللسان مقام فعل القلب فى خصوص هذا الامر من الشارع فليتأمل (و) احتراز (عن حديث النفس) فانه ليس بارادة لانه مجرد عرض المعنى على القلب والارادة ميل الى الفعل فهى رجحان المعنى المعروض (و) قوله (التقرب) احتراز (عن الرياء المحض) فانه لا تقرب فيه الى الله تعالى اصلا (و) قوله (الباعثة) احتراز (عن القصد) للتقرب الى طاعة الله سبحانه وتعالى (المساوى) للقصد الى غيره (و) عن القصد التقرب الى الله سبحانه وتعالى (المغلوب) بالقصد الى غيره سبحانه (و) قوله (المتصلة) باوله احتراز (عن الامل) اى ترجى الفعل (ونحوه) كالوعد ا فار من اراد جزما) اى قطعا بلا تردد (صلاة الظهر) مثلا (غدا اونحوها) كالعصر والمغرب (فامل) اى ذوامل اى ترج ان يصلى الظهر فى غد لانه ناو ذلك (وان) اراد ذلك جزما ايضا (بشرط الصلاح) له بوجود بقية الشروط كالطهارة ودخول الوقت واستقبال القبلة (و) شرط (الاستثناء) اى بان قال ان شاء الله تعالى (فغير آمل) لتلك العبادة ان تكون فى الوقت الذى عينه (وغير ناو) لها (ايضا حتى لايجوز) اى لايصح (شئ مما ذكر بتلك الارادة) السابقة مع الفاصل القاطع الدال على الاعراض عن العبادة المرادة (وكذا) لايجوز بارادة (بعد الشروع) فى العبادة لعدم وجود الاتصال المشروط وقوله حقيقة (اوحكما) يعنى الارادة المتصلة باول العمل اتصالا حقيقيا او اتصالا حكميا هى النية كما ذكر (ليدخل فيه) اى فى تعريف النية (نية الزكاة) كما قدمناه (عند العزل) اى عزل ماوجب قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر اونية مقارنة لعزل ماوجب عليه اداؤه من المال فانه اذا عزل من النصاب قدر الواجب ناويا للزكاة وتصدق الى الفقير بلا نية سقط زكاته عنه لان الاصل وان كان الاقتران بالاداء كسائر العبادات الا ان الدفع يتفرق فيحرج باستحضار النية عند كل دفع فاكتفى بوجودها حالة العزل دفعا للحرج كتقديم النية فى الصوم وهذا لان العزل فعل منه فجازت النية عنده بخلاف ما اذا نوى ان يؤدى الزكاة ولم يعزل شيئا فجعل يتصدق شيئا فشيئا الى آخر الصدقة ولم تحضره النية حيث لم يجزه عن الزكاة لان نيته لم تقترن بفعل ما فلا تعتبر كذا فى التبيين (و) نية (الصوم بعد الغروب) اى غروب الشمس كما سبق (الى نصف النهار) وفى شرح الدرر الى الضحوة الكبرى لا عندها فان النهار الشرعى من الصبح الى الغروب والضحوة الكبرى منتصفه فوجب ان توجد النية قبلها لتكون موجودة فى اكثر النهار فتكون موجودة فى كله حكما وهذا هو الاصح لا ما قيل الى الزوال لانه

متصف نهارا اعتبر من طلوع الشمس الى غروبها (فى) اداء صوم شهر (رمضان و)
صوم (النذر المعين) بزمان مخصوص (و) صوم (النفل) والاصل فى النية المقارنة
للاداء وانما جاز التقديم للضرورة والضرورة موجودة فى حق يوم الشك وفى حق المجنون
والمغمى عليه اذا افاق نهارا وفى حق المسافر اذا قدم نهارا ولا تندفع هذه الضرورة
الا بجواز النية المتأخرة ولا فرق فى ذلك بين المسافر والمقيم والصحيح والسقيم (و)
بعد الغروب (الى طلوع الفجر) اى اول طلوعه (فى غيرها) اى غير الثلاثة المذكورة
وهى ثلاثة اخرى صوم قضاء رمضان وصوم النذر المطلق وصوم الكفارات وهو انواع
كفارة اليمين والظهار والافطار والقتل خطأ وجزاء الصيد وفدية الاذى فى الاحرام
(و) تأخيرنية (الصلاة الى) حد (الركوع عند) الامام (الكرخى) رحمه الله
تعالى (على وجه) اى فى رواية ضعيفة قال فى الاشباه والنظائر عن الخلاصة اجمع
اصحابنا ان الافضل فى النية ان تكون مقارنة للشروع ولا يكون شارعا بمتأخرة لان
ما مضى لا يقع عبادة لعدم النية فكذا الباقى لعدم التجزى ونقل ابن وهبان اختلافا
بين المشايخ خارجا عن المذهب موافقا لما نقله عن الكرخى من جواز التأخير عن التحريمة
فقيل الى الثناء وقيل الى التعوذ وقيل الى الركوع والكل ضعيف والمعتمد انه لابد
من القرآن حقيقة او حكما وفى الجوهرة لا معتبر بقول الكرخى (والامل) الرجاء يقال امل خيره
يأمله املا وكذا التأميل كذا فى الصحاح (وهو) اى الامل الخلق (العاشر) من الاخلاق
الستين (من آفات القلب) المفسدة له وتعريفه انه (ارادة) اى الرغبة فى (الحياة)
الدنيا بالبقاء فيها (للوقت المتراخى) اى المتطاول المدة (بالحكم) الالهى
و هو القضاء السابق بمقدار العمر فى الدنيا (اعنى) اى اقصد ذلك (بلا استثناء)
اى قول انشاء الله تعالى فانه يصير دعاء حينئذ (ولا شرط صلاح) اى نية فعل خير
فى المستقبل ولهذا قال ابن الجوزى الامل مذموم الا للعلماء فلولاه ما صنفوا ذكره
المناوى فى شرح الجامع الصغير (وغوائله) اى الامل يعنى آفاته ومفاسده اربعة
اشياء الاول (الكسل فى الطاعة) اى طاعة الله تعالى بالتثاقل من الفرائض
والواجبات والتقاعس عن السنن والمستحبات والتكره فى اجتناب المحرمات
والمكروهات (وتأخيرها) اى تأخير الطاعة بان يخرجها عن الوقت المستحب
او وقت ادائها ولا يهتم بها ولا يحتفل بفعلها فتكون مؤخرة عنده عن اشغال الدنيا
فلا يأتى بها الا بعد الفراغ من مصالحه (و) الثانى (تسويف) اى مطل قال
سيبويه سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد الا ترى انك تقول سوفته اذا قلت له
مرة بعد مرة سوف افعل ولا يفصل بينها و بين تفعل لانها بمنزلة السين فى سنفعل
وقولهم فلان يقتات السوف اى يعيش بالامانى والتسويف المطل كذا فى الصحاح
(التوبة) من الذنوب بان يؤخرها عن وقت الامكان (وتركها) اى التوبة رأسا

(و) الثالث (قسوة القلب) اى صلابته وشدته (بعدم ذكر الموت و) عدم ذكر (مابعده) اى الموت من اهوال النزع والقبر والقيامة (و) الرابع (الحرص) اى الرغبة والطمع والمكابدة (على جمع الدنيا) من انواع الاموال (والاشتغال بها) اى بالدنيا (عن الآخرة فلايزال الامل) اى ذوالامل (يشتغل) ظاهره وباطنه طول عمره (بجمع الدنيا وتكثيرها) اى زيادتها وتنميتها (خوفا من) ضعف (الشيخوخة و) مقاساة (المرض ونحوهما) كمكابدة الفقر والحاجة وفاقة اولاده بعده (فمنهم) اى من المؤملين (من يهيئ) اى يدخر لنفسه وعياله (كفاية عشرسنين) من النفقة (ومنهم) من يدخر كفاية (خمسين سنة ومنهم) من يدخر (اكثر) من ذلك (ومنهم اقل) منه حتى ار بعض الناس بدمشق الشام سمعت انه فى سنة الغلاء ادخر لنفسه وعياله من جميع انواع مايؤكل شيئا كثيرا ثم قال قداسترحنا الآن من مؤنة المآكل واطمئن قلبه فاتفق انه مات بعدايام فاستخرج كلما ادخره لتلك السنة وبيع فى تركته ولم يأكل هو منه شيئا (قال مشايخ الصوفية) اهل العلم والعمل (من اعد) من القوت والنفقة (كفاية سنة لعياله) ولنفسه (لايلام) شرعا ولاعرفا وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغيران من مذهب ابى ذرالغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال وفى حياة الحيوان وعن سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى انه قال ليس شئ يخبأ قوته الا الانسان والعقعق والنمل والفار وبه جزم فى الاحياء فى كتاب التوكل وعن بعضهم ان البلبل يحتكر ويقال للعقعق مخابى الا انه ينساها (ولايخرج) الانسان الذى اعد كفاية سنة (عن التوكل) على الله تعالى بذلك الاعداد والادخار (لماروى فى الخبر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادخر لازواجه) رضى الله عنهن (قوت سنة فلذا) اى لاجل ذلك (قال بعض الفقهاء) من الشافعية اوغيرهم (انه) اى الادخار (من الحوائج الاصلية) للانسان التى لابدله منها (وذلك) القدر المدخر (لايعتبر من الغنى) المانع من اخذ الزكاة ونحوه وقد اشار الى هذا الامام نجم الدين ابن احمد بن الرفعة الشافعى فى شرح التنبيه فى مذهب الشافعية حيث قال الذى يملك عشرين دينارا لوكان يتجر ودخله من الربح لايفى بخرجه فهو من المساكين فى الحال وان كان مافى يده يكفيه لسنة فالمرعى ان يتمول مقدارا ينتظم له منه دخل يفى بخرجه على ممر الزمان وان كان لايحسن تصرفا فالاقرب فى ذلك ان يملك مايكفيه فى العمر الغالب والظاهر عندى ان لايزاد على نفقة سنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدخر لاهله قوت سنة وان المجاعة اذاعظمت لايدخر الانسان لنفسه وعائلته الاقوت سنة فيجب التعويل على هذا (وان كان الاصح) عندنا (انما زاد على قوت شهر) من المال المدخر (يعتبر فى)

حصول (الغنى) فلا يجوز له اخذ الزكاة ونحوها قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر رجل اشترى طعاما للقوت بمقدار ما يكفيه شهرا يساوي مائتي درهم فصاعدا لابأس ان يعطى له من الزكاة لانه مستحق لحاجته وان كان اكثر من الشهر لايعطى لان الشهر هو الوسط فيما يدخر الناس لا نفسهم قوتا فكان مشغولا بحاجته (واما من لاعيال له) اى زوجة واولادا وكل من يمونهم و ينفق عليهم لزوما اوتبرعا (فله ان يدخر) لنفسه (قوت اربعين يوما) وان كان اقل مدة الاحتكار المكروه اربعين يوما لقوله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يطلب القحط فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا فالصرف النفل والعدل الفرض ولايكره احتكار الشخص غلة ارضه لان حق العامة لايتعلق بها الاترى ان له ان لايزرع فكذا له ان لايبيع كذا ذكره الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر فيكون ذلك في معنى الادخار اربعين يوما لا بمعنى الاحتكار وان لم يكن من غلة ارضه ولا من مجلوبه ومعلوم ان المدخر لنفسه لم يقصد الاحتكار فلا كراهة فيه قال الوالد رحمه الله تعالى وفي الكفاية هذا اذا كان على قصد الاحتكار وتربص الغلاء وقصد الاضرار بالناس اما اذا لم يكن شئ من ذلك فهو محمود لان الكاسب صديق الله (وان ادخر) زمانا (زائدا عليه) اى على الاربعين يوما لم يكن ذلك احتكارا كما ذكرنا ولكنه (خرج من التوكل) على الله تعالى (اقول) يعني مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى يقول (مرادهم) بالتوكل الذى خرج عنه (التوكل الكامل) الذى هو من اوصاف الكاملين من اهل الله الصالحين (النفل) اى المستحب الذى هو ورع في الدين (لااصل التوكل الفرض) الذى يأثم بتركه (لمابينا في فضل العلم) كما سبق من انه يفترض عليه علم احوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضاء فانه واقع في جميع الاحوال وتقدم الكلام على ذلك (واما ارادة) الانسان (طول الحياة) اى البقاء في الدنيا (بالاستثناء) اى قوله ان شاء الله تعالى (و) بانضمام (شرط الصلاح) اى قصد الخير في المستقبل (لزيادة العبادة) اى الاكثار منها (فليس) ذلك (بامل مذموم) و كيف يكون مذموما وحكمة خلود المؤمن في الجنة بلانهاية مع ان اعماله متناهية في الدنيا فيجازى بغير متناه على متناه باعتبار قصده انه يعيش كثيرا في الدنيا و يعبد الله تعالى على مقدار ما بقى فيها ونيته انه لو بقى فيها الى مالانهاية له لعبد الله تعالى الى مالانهاية له فيجازيه الله تعالى بغير متناه فعلا على غير متناه حكما جزاء وفاقا والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى و نظيره خلود الكافر في النار يوم القيامة (بل هو) اى هذا الامل (مندوب اليه) يثاب عليه في الآخرة (ت) يعني روى الترمذى باسناده (عن ابي بكرة) رضى الله عنه (ان رجلا قال يارسول الله اى الناس خير) اى اكثر

فضيلة عندالله تعالى واعظم اجرا (قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره) اى مدة بقائه فى الدنيا (و) مع طول عمره (حسن عمله) فى طاعة الله تعالى فان طول العمر فى طاعة الله تعالى من خلع النبيين والمرسلين واكبر منة يمن الله تعالى بها على عباده المؤمنين ثم (قال) ذلك الرجل (فاى الناس شر) اى اكثر نقيصة عندالله تعالى واعظم وزرا (قال) صلى الله عليه وسلم (من طال عمره و) مع ذلك (ساء) اى قبح وخبث (عمله) فى معاصى الله تعالى ومخالفاته فان طول العمر فى غضب الله تعالى وسخطه من خلع ابليس والشياطين والعياذ بالله تعالى وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه قال روى الامام احمد باسناد صحيح وابن حبان والبيهقى عن ابى هريرة والحاكم وصححه عن جابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخيركم قالوا نعم قال خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم اعمالا وروى ابو يعلى باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال خياركم اطولكم اعمارا اذسددوا (حدهق) يعنى روى الامام احمد والبيهقى باسنادهما (عن جابر) رضى الله عنه (انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتمنوا الموت) لانفسكم من نكد معيشة اوقلة منصف (فان هول المطلع) بالتشديد وصيغة اسم المفعول قال فى المجمل المطلع المأتى يقال اين مطلع هذا الامر اى مأتاه وفى مختصر القاموس يقال اطلع على باطنه ظهر وعرف وقول عمر رضى الله عنه لافتديت به من هول المطلع تشبيها لما يشرف عليه من امر الآخرة بذلك (شديد) لااشد منه قال ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه فى كتابه الرعاية لحقوق الله عز وجل وقدروى ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان ذلك كله انما يولم البدن بالروح فاذا كان الروح هو المباشر بالاخذ والجذب والنزع فذلك آلم واشد وانما صار المضروب بالسيف وغيره يستغيث ويصيح لان القوى بعد فيه واللسان مطلق وانما انقطع صوت الميت لان الالم والكرب قدبالغ فيه وتصاعد وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وكسر كل جارحة وتغشى العقل وقلص اللسان اوابكمه فان فضلت فيه فضل قوة سمعت له خوار الجذب روحه وعلزا وانينا روحه وغرغرة روحه فى حلقه قدتغيرلذلك لونه حتى ظهر عليه اصل لونه الذى منه خلق وعليه طبع فرأيت كالتراب على وجهه وجذب كل عرق منه على حياله حتى ترتفع الحدقتان الى الجفون وتقلص اللسان الى اصله وجفت الشفتان وقلصتا وارتفعت الانثيان الى الحالبين ومن المرأة الثديان حتى لايبقى الاقلهما وجفت الاعصاب ويبست فلا تسل عن بدن يجدل يجذب عروقه واعضاوه وبشرته حتى يموت عضوا عضوا كل عضو على حاله يجد العضو الباقى الم العضو الميت الماضى فتخضر انامله واظفاره ثم تبرد ساقاه ثم فخذاه مع سكرات وكرب تغشاه كرب بعدكرب

وسكرة بعد سكرة مع نزعة وجذبة حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك تنقطع المعرفة عن الدنيا واهلها وتبدوله صفحة وجه ملك الموت فلا تسئل عن طعم مرارة الموت وكربه حين تبالغت فيه الكرب واجتمعت فيه السكرات وبين ذلك ماروى عن جابر ابن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض الحديث ان نفرا من بنى اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لودعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا نسئلونه فدعوا الله عز وجل فاذاهم برجل خلاسى يعنى اختلط بياض شيبه بالسواد بين عينيه اثر السجود وقد خرج من قبر من تلك القبور فقال ياقوم ماذا اردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما ما سكنت من قلبى حرارة الموت وروى مكحول عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لوان الم شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا جميعا لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت ولا يحل بشئ الامات وروى ايضا لوان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان الله عزوجل قال لابراهيم عليه السلام لما مات ياخليلى مت قال ياخليلى مت فقال ثلاثا ويرددها عليه ثلاثا فقال وهو اعلم به ياخليلى كيف وجدت الموت قال ياخليلى كسفود محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب قال اما انا قدهوناه عليك وروى ان موسى عليه السلام لما صار روحه الى الله عزوجل قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى وهو لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وعنه ايضا انه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن عيسى ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقد خفت الموت مخافة اوقفتنى مخافة الموت على الموت (وان من السعادة ان يطول عمر العبد) فى الحياة الدنيا (ويرزقه الله) تعالى مع ذلك (الانابة) اى الرجوع عن حظوظ نفسه الى طاعة الله تعالى بامتثال الامر واجتناب النهى فاذا مات بعد ذلك جاءته البشرى من الله تعالى ان قدرضى عنه وان له الجنة البهيا منقلبه فلا تسئل عن فرح قلبه حينئذ وسرور نفسه وتحقيق رجائه وحسن ظنه بربه وامنه على بدنه من العذاب بعد طول مخافته له واشفاقه وامنه مما بين يديه من اهوال مبعثه وموقفه ولذلك يقول عز من قائل *ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون* فقيل فى التفسير ان ذلك عند الموت تقول له الملائكة لا تخف ما امامك من الاهوال ولا تحزن ماخلفت وابشر بالجنة التى كنتم توعدون فيا له من قلب ما افرحه حين يسمع البشرى بالجنة من ملائكة ربه عز وجل فهذا يوم راحته وفوزه وسروره ولها كان يعمل وروى انه قيل لبعض العباد على ما تعمل قال على راحة الموت وروى عن الحسن انه قال ليس للمؤمن راحة دون الموت الا فى لقاء ربه عزوجل فكان قدوم الموت عليه هو يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه

ذكره المحاسبي في الرعاية (ت) يعني روى الترمذي باسناده (عن عمرو بن عنبسة) رضي الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شاب شيبة في الاسلام) اي ابيضت شعرة واحدة من شعر بدنه وهو مسلم (كانت له) تلك الشعرة (نورا) يضيء (يوم القيامة) (د) يعني روى ابوداوود باسناده (عن عبيد بن خالد انه) اي الشان (آخى) يقال آخاه مواخاة واخاء والعامة تقول واخاه وتآخيا على تفاعلا وتآخيت اخاء اي اتخذت اخا كذا في الصحاح (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين) من الصحابة رضي الله عنهم (في الغزوة) ليكونا متعاونين على البر والتقوى ونصرة الحق (فقتل احدهما) في تلك الغزوة (ومات الآخر) بلا قتل (بعده بجمعة او نحوها فصلينا عليه) اي على الذي مات (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قلتم) يعني في صلاتكم عليه (فقالوا دعونا) لله تعالى (له وقلنا) في ذلك (اللهم) اي يا الله (اغفر له) ذنوبه (والحقه بصاحبه) في مرتبة الشهادة التي حصلت لصاحبه دونه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين صلاته) يعني صلاة الذي مات (بعد صلاته) اي صلاة الذي قتل فان الذي مات قد عاش بعد الذي قتل بجمعة فاين صلاته التي زادت على صلاة المقتول بجمعة (و) اين (صومه) الذي صامه الميت فرضا ان كان في رمضان اونفلا في غيره (بعد صومه) اي صوم المقتول (شك شعبة) رحمه الله تعالى (في) قوله (وصومه) بعد صومه هل هي من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او من زيادة الراوي (و) اين (عمله) اي الذي مات (بعد عمله) اي المقتول (فان بينهما) اي بين الميت الزائد عملا والمقتول الانقص منه او بين الصلاتين والصومين والعملين من التفاوت (ما بين السماء والارض) من الرفعة والانخفاض فدل الحديث على ان طول العمر ولو بجمعة او بيوم افضل من قصره بنحو ذلك لكثرة الاعمال الصالحة فيه (وسبب الامل) اي الموصل اليه المقتضي له ثلاثة امور الاول (حب الدنيا) فان من احبها استلذ بذكرها ومرورها في خاطره فينسي الموت ويصير قاطعا بدوام البقاء ولو مدة يسيرة وذلك هو الامل (و) الثاني (الغفلة) والذهول (عن قرب الموت) ودنوه منه لاستغراق القلب بشهواته (و) الثالث (الاغترار) من غره يغره غرا وغرورا وغرة بالكسر خدعه واطمعه بالباطل كذا في مختصر القاموس (بالصحة) اي العافية والقوة (والشباب) وهو الحداثة وكذلك الشبيبة وهو خلاف الشيب يقال شب الغلام يشب بالكسر شبابا وشبيبة واشبه الله كذا في الصحاح (وعلاجه) اي دواء الامل (ازالة اسبابه) الثلاثة المذكورة فبزوا لها كلها عن العبد يزول الامل ويتهيأ للموت في كل نفس (اما حب الدنيا فسيجيء) بيانه (ان شاء الله تعالى) في محله من هذا الكتاب (واما البواقي) وقياسه الباقيان ولكن لما اشتمل كل منهما على انواع من ذلك سماه بصيغة الجمع فالغفلة جزئية وكلية وضعيفة وقوية والاغترار كذلك

(فبالمداومة على ذكر الموت) من غير فتور عنه (و) ذكر (قربه) من العبد (و) ذكر (مجيئه بغتة) البغت ان يفجأك الشئ تقول بغته اى فجأه ولقيته بغتة اى فجأة كذا فى الصحاح (على) حين (غفلة) منه وفى الرعاية للمحاسبى فى مباشرة القلب بذكر الموت قال تفرغ قلبك حين تذكره من ذكر كل شئ الامن ذكره فاذا ذكرته كذلك باشر ذكره اذ لاشئ فيه غيره ولن تلبث اى يتبين ذلك على بدنك كما وصف الله عز وجل قلب ام موسى حين فرغ من كل شئ الامن ذكر موسى فقال تعالى * واصبح فؤاد ام موسى فارغا * قال فارغا من كل شئ الامن ذكر موسى ثم قال ان كادت لتبدى به قال تقول وا ابناه فاخبر ان فؤادها لما فرغ من كل شئ الامن ذكر موسى كادت ان تبدى به فيكون فى ذلك ما تحاذر وما يهلكه فكيف لا يظهر ولا يتبين على من فرغ قلبه الامن ذكر الموت وما بعده منه وفيه نجاته فمن فرغ قلبه من ذكر كل شئ الامن ذكر الموت غلب على قلبه من الهم والحزن والغم ما يكاد يجد طعم الموت منه كما روى عن عيسى عليه السلام انه قال لقد خفت الموت خوفا اوقفنى خوفى من الموت على الموت فمن باشر ذكر الموت قلبه انكسر عن الدنيا فؤاده وقل فيها سروره وفرحه وندم كما قال ابو الدرداء من باشر ذكر الموت قلبه قل فى الدنيا حسده وسروره وفرحه (و) بالمداومة على (ان الصحة) من الاسقام (والشباب) اى حداثة السن (لا يمنعه) اى الموت (بل موت الشباب اكثر) فى بعض الاحيان (من موت الشيوخ) خصوصا بمرض الطاعون ونحوه من الامراض الدموية الثائرة فى الشباب اكثر من الشيوخ (كما ان موت الصبيان) فى بعض الازمان ايضا (اكثر من موتهما) اى الشباب والشيوخ قال النجم الغزى رحمه الله تعالى فى حسن التنبه فى التشبه فعلى الشاب ان يغتنم ايام الشباب والصحة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك صححه الحاكم من حديث ابن عباس على شرط الشيخين ومهما حصلت من الشباب زلة فلا ينبغى له التمادى فى الضلال وتأخير التوبة بل يبادر اليها فانه ربما اخذ على غرة فجأة وليعتبر بمن يموت شابا وليس كل الاموات شيوخا بل اكثرهم غير الشيوخ ولاشك ان من اهل النار شيوخا ومنهم شبانا (وكم من صحيح) فى بدنه (يموت) فجأة او بمرض سريع (ويبقى المريض) الذى اشرف على الموت حيا (بعده) اى بعد ذلك الصحيح الذى (مات سنين) كثيرة وهو معروف واقع بين الناس (ومن اقوى علاجه) اى الامل (استماع) بقرائته او قراءة غيره (ما ورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى مدح ذكر ذكر الموت و) فى (ذم طول الامل) وقد ذكرهما المصنف رحمه الله تعالى حيث قال هذا (مدح ذكر الموت) وفيه خمسة احاديث الاول (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت) اى تذكره او النطق به (فانه) اى ذكر الموت (يمحص الذنوب) اى يمحوها

ويزيلها باعتبار مايوجب من الخوف والندم والفرار الى الله تعالى والتوبة والاستغفار (ويزهد) الناس اى يحملهم على الزهد (فى الدنيا) اى الاعراض عنهـا بالقلب *الحديث الثانى (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن البراء) بن عازب رضى الله عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى) تشييع (جنازة) لبعض الصحابة رضى الله عنهم (فجلس) النبى صلى الله عليه وسلم (على شفير) اى حافة (القبر) وفى مختصر القاموس الشفير ناحية الوادى من اعلاه وفى المجمل شفير كل شئ حرفه كالنهر وغيره (فبكى) صلى الله عليه وسلم بكاء شديدا (حتى بل الثرى) اى التراب من دموعه مقابلة منه صلى الله عليه وسلم بكمال الحزن لما كشف له من تلك الحضرة التى تجلى عليه الحق تعالى بها فى مقام الموت والقبر لاعطاء كل حضرة الهية ماتقتضيه من الحقوق لانه الانسان الكامل صلى الله عليه وسلم وليس بكاؤه حزنا من الموت واشفاقا على نفسه وتأسفا على مفارقة الدنيا فان هذا الامر بعيد من احوال الكاملين (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ياخوانى لمثل هذا) يعنى الموت ومايكشف لمن حل به من الامور الالهية والتجليات الربانية (فاعدوا) اى تهيأوا واستحضروا ولا تتهاونوا فيه * الحديث الثالث (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن عمار رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كفى بالموت واعظا) اى حسب الموت ان يكون واعظا للانسان يأمره بالطاعات لمولاه الباقى وينهاه عن معاصيه وفى كتاب شجون المسجون للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال اذا اشتبه عليك امر فلم تعلم هل هو مما يجب ان ترغب فيه اوعنه فاخطر ببالك حضور باعث الموت اذ لامحيص عنه ولامهلة فان كان ذلك الامر مما يبقى معك فى ذلك الآن فابق معه اومما يفارقك ففارقه انتهى فالموت كاشف لك عن مشكلات الدين فهو واعظ لك ناصح على كل حال (وكفى باليقين) بالله تعالى انه حافظ رازق هاد الى غير ذلك من اسمائه تعالى الجارية على مقتضى حاجات النفوس (غنى) لافقر معه الى غير ذلك كما قال الله تعالى *اليس الله بكاف عبده* الحديث الرابع (حب) يعنى روى ابن حبان باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا) يامعشر المؤمنين (ذكر) اى تذكر اوالنطق بلفظ (هاذم) بالذال المعجمة اى قاطع قال فى المجمل الهذم القطع ويقال سيف مهذم مثل محذم وهذام اى قاطع (اللذات) جمع لذة والمراد بها الشهوة الحاصلة بسبب الحياة الدنيا من شهوة مأكل ومشرب وملبس ومركب ومنكح ومسكن ونحو ذلك فان الموت يقطعهـا كلها ويستأنف لذات اخرى غيرها لمن كان من اهل السعادة اويبدلها بالآلام والاوجاع لمن كان من اهل الشقاوة (يعنى الموت) تفسير من الراوى (فانه) اى الموت (ماذكره احد) وهو (فى ضيق) من امور الدنيا ومصائبها (الاوسعه) بالتشديد اى جعل ذلك الضيق واسعا بحيث يذهب عنه وينشرح له

الصدر وينبدل الحال القبيح بالحال الحسن (ولاذكره) احدوهو (فى سعة) من احوال الدنيـا وشهواتها العاجلة ولذائذها الفانية (الاضيقها) اى جعل تلك السعة ضيقا وذلك البسط قبضا وتلك الافراح اتراحا (عليه) اى على ذاكر ذلك *الحديث الخامس (دنياطص) يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى فى المعجم الصغير (عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم) حال كونى (عاشر) رجال (عشرة) اى واحد من عشرة (فقام رجل من الانصـار) رضى الله عنهم (فقال يارسول الله من اكيس الناس) اى اكثرهم كياسة والكيس خلاف الحمق يقال رجل كيس ورجال اكياس كذا فى المجمل والمراد به المسرع النشيط الى تحصيل ما ينفعه عندالله تعـالى وعند الخلق (و) من (احزم النـاس) من الحزم وهو جودة الرأى وفى مختصر القاموس الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كالحزامة (قال) صلى الله عليه وسلم (اكثرهم) اى اكثر النـاس (ذكرا للموت) بايفاء الحقوق الواجبة عليه للحق والخلق واستبراء الذمم منهم فى كل ماظلمهم وتحسين السريرة والعلانية على طبق ما يرضى به الله تعالى واتخاذ الكفن والقبر لنفسه قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر ومن حفر لنفسه قبرا قبل موته فلا بأس به ويؤجر عليـه هكذا عمل عمر بن عبدالعزيز والربيع بن خيثم وغيرهما كذا فى التاتارخانية لكن فى جامع الفتاوى ان عمر رضى الله عنه رأى رجلا عنده مسحاة يريد ان يحفر قبرا لنفسه فقال رضى الله عنه لا تعد قبرا لنفسك واعد نفسك للقبر انتهى ولعل وجهه معارضة قوله تعالى *وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت (اولئك) اى المذكورون هم (الاكياس) جمع كيس اى الناشطون الى العمل الصالح المسرعون الى راحة الآخرة بالتقوى (ذهبوا) اى فازوا وظفروا (بشرف الدنيا) من جهة عزهم بتقواهم فيها ومن اعانتهم مرضات ربهم (وكرامة الآخرة) اى مراتبهم العالية فيها مع النعيم المقيم انتهى (هذا نم) اى تقبيح وتخبيث (طول الامل) فى الحياة الدنيا للعبد المؤمن وهو مشتمل على ثلاثة احاديث *الاول (دنياهق) يعنى روى ابن ابى الدنيا والبيهقى باسنادهما (عن ام المنذر انه اطلع) اى ظهر (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية) قال الجوهرى فى الصحاح واما قولهم ذات مرة وذو صباح فهو من ظروف الزمان التى لا تتمكن تقول لقيته ذات يوم وذات ليلة وذات غداة وذات العشاء وذات مرة وذات الزمين وذات العويم بالتصغير فى الزمان والعام وذات صباح وذات مساء وذات صبوح وذات غبوق فهذه الاربعة للاربعة بغيرها وانما سمع فى هذه الاوقات ولم يقولوا ذات شهر ولا ذات سنة (الى الناس فقال يا ايها الناس الا تستحيون من الله) سبحانه وتعالى اى يأخذكم الحياء وهو انقباض النفس منه سبحانه (قالوا) اى الناس (وماذلك) اى عدم الاستحياء من الله تعـالى (يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم (تجمعون) من الاموال الكثيرة (مالا تأكلون

وتأملون) اى تمنون وتترجون من مناصب الدنيا وشهواتهـا (مالاتدركون) لعدم نهاية ماتأملونه فكل واحد يأمل ماهواعلى مماهوفيه فاذا ادرك ذلك واطمأنت نفسه به امل ايضـا ماهو اعلى مماهوفيه وهكذا فلايدرك مايؤمله لعدم الانحصار فى امر واحد (وتبنون) من البيوت والقصور (مالاتسكنون) مماهوزائد على حاجتكم الضرورية وماتموتون وتتركونه لغيركم وهذا كله ان كان من مال حلال بقصد مباح فان كان من مال حرام او بقصد معاطاة حرام فيه فلاشبهة فى الحرمة وشؤم ذلك على صاحبه قال الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى الحديث اتقوا الحجر الحرام فى البنيان فانه اساس الخراب والمراد خراب الدين او الدنيا بقلة البركة وشؤم البيت المبنى به اواساس خراب البناء نفسه بان يسرع اليه الخراب فى امدقريب ولولم يبن به لم يخرب سر يعابل يطول بقاؤه لينتفع بغلته بعد بانيه قال الزمخشرى مكتوب فى الانجيل الحجر الواحد فى الحـائط من الحرام عربون الخراب وقال وهب ابن منبه وجدت فى بعض كتب الانبياء عليهم السلام من استغنى باموال الفقراء جعلت عاقبته الفقر واى دار بنيت بالضعفاء جعلت عاقبتهـا الخراب وورد فى غيرما اثر البنـاء اذا كان من حرام لم يطل تمتع صاحبه به بل فى خبر رواه الحاكم من حديث اميرالمؤمنين على المرتضى ان الله عزوجل بقاعا تسمى المنتقمات فاذا كسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء و الطين ثم لايمتعه به و ذهب بعضهم الى ان المراد بالبنيان كل امر اسسه و بناه من دينه ودنياه اذا كان امداده وانفاقه من حرام قال الله تعالى *فمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن بنيانه على شفا جرف هارفانهار به فى نارجهنم* الحديث الثانى (دنياطب نعم هق) يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى وابو نعيم والبيهقى باسنادهم (عن ابى سعيد) الخدرى رضى الله عنه (انه) اى الشان (اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت رضى الله عنهما وليدة) اى جارية وجمعها ولائد (بمائة دينـار) من ذهب مؤجلة عليه (الى) مضى (شهر) قال ابوسعيد رضى الله عنه (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاتعجبون من اسـامة) بن زيد (المشترى) تلك الجارية (الى شهر ان اسامة لطويل الامل) فى الحياة الدنيا (والذى نفسى بيـده) قسم منه صلى الله عليه وسلم بربه (ماطرفت عيناى) يقـال طرف بصره يطرفه طرفا اذا اطبق احد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة يقال اسرع من طرفة عين كذا فى الصحـاح (الاظننت ان شفرى) تثنية شفر بالضم اصل منبت الشعر فى الجفن كذا فى مختصر القاموس (لايلتقيان) بحيث ينطبقـان على العين (حتى يقبض الله) تعـالى (روحى) فاموت فى مقدار طرفة عـين (ولارفعت طرفى) الى الاعلى والطرف هوالعين ولايجمع لانه فى الاصل مصدر يكون واحـدا ويكون جماعة قال تعالى *لايرتد اليهم طرفهم* كذا فى الصحاح (وظننت انى واضعه) الى الاسفل

(حتى اقبض) بالبناء للمفعول اى يقبض الله تعالى روحى فاموت فى الحال (ولا لقيت) اى وضعت فى فمى (لقمة) من المآكل (الا ظننت انى لا اسيغها) ساغ الشراب سوغا سهل مدخله وسغته اسيغه لازما ومتعدا كذا فى مختصر القاموس (حتى اغص بها) اى اشرق ولا ادخلها فى حلقى (من) سرعة ملاقاة (الموت) لى وهجومه على (ثم قال) النبى صلى الله عليه وسلم (يابنى آدم ان كنتم تعقلون) اى ان كنتم من اهل العقل (فعدوا) اى احسبوا وافرضوا (انفسكم من) جملة (الموتى) الذين تقدموا عليكم لانكم صائرون الى ما هم فيه وذائقون من الموت ما ذاقوا (و) حق (الذى نفسى بيده) يقلبها كيف شاء وهو الله تعالى (انما توعدون) بالبناء للمفعول اى يعدكم الله تعالى من وقوع الموت بكم فى قوله سبحانه * قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم * وغير ذلك ايضا من الوعد والوعيد (لآت) اى حاضر لكم مهيأ لايراده عليكم (وما انتم) فى وقوع ذلك بكم (بمعجزين) اى بممتنعين عنه قال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة * وفى الرعاية للامام المحاسبى روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ان ابراهيم صلى الله عليه كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فاغلقه ذات يوم وخرج ثم رجع فاذا هو برجل فى جوف البيت فقال من ادخلك دارى فقال ادخلنيها ربها قال انا ربها قال ادخلنيها من هو املك بها منى ومنك قال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال ياملك الموت اتستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها نفس المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض عنه ابراهيم ثم التفت اليه فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه قال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ذلك ثم قال ياملك الموت اتستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها نفس الفاجر والكافر قال لا تطيق ذلك يا ابراهيم قال بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو باسود قائم الشعر اسود الثياب منتن الرائحة يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاخرى فقال ابراهيم ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك هذه كان حسبه ذلك وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داؤد عليه السلام كان رجلا غيورا فكان اذا خرج غلق الابواب وغلق الابواب ذات يوم وخرج فاشرفت امرأة من نسائه فاذا هى برجل فى الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داؤد ليلقين منه عنتا فجاء داود فرآه فقال من انت قال انا الذى لا اهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب قال فانت اذا والله ملك الموت قال فزمل داود عليه السلام مكانه وروى ان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمى باذن الله فقالت ياروح الله انا ملك زمان كذا اى كذا بينا انا جالس فى ملكى على تاجى على سرير ملكى حولى جنودى وحشمى اذ بدا لى ملك الموت فزال

كل عضو منى على حياله ثم خرجت لنفسى اليه فيـاليت ماكان من تلك الجموع كانت فرقة و ياليت ماكان من ذلك الانس كان وحشة * الحديث الثالث (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا) عن الحسن رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلكم) الهمزة للاستفهـام (يحب ان يدخل الجنة) فى يوم القيـامة (قالوا نعم يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم (قصروا الامل) اى اجعلوه قصيرا ولا تطيلوه فى الحياة الدنيا (واجعلوا آجالكم) اى اوقات موتكم (بين أبصاركم) بحيث لا تغفلون عنها فان اعمالكم تزكوا حينئذ فتصلحون لدخول الجنة (واستحيوا من الله) تعالى (حق الحياء)اى الحياء التام وهو مراقبة الله تعالى فى الاعمال كلها وشهوده تعالى على كل حال واما حكم الامل فى الشريعة فقد اشار اليه بقوله (فالامل)المذكور(ان كان للتلذذ) اى تلذذ النفوس (بالمحرمات) كالزنا وشرب الخمر واستماع الملاهى على ذلك والظلم (فحرام) على كل مكلف (والا) بان كان لاجل التلذذ بالمباحات (فليس بحرام ولكنه مذموم جدا) اى ذما قويا (ولو) وصلية (كان) الامل (لتكثير الطاعات) والعبادات بان امل حصول الدنيا ليستغنى فيتصدق و يفعل الخيرات (للآفات) وهى الغوائل الاربعة (السابقة) فى اوائل بحث الامل الكسل فى الطاعة وتأخيرها وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب بعدم ذكر الموت ومابعده والحرص على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة (ولانه) اى الامل (يستلزم الطمع المذموم) فى الشرع وهو الطمع فى الدنيا وشهواتها بخلاف الطمع فى الدين والتقوى وتحصيل الخيرات فانه لاقناعة فى الاعمال الصـالحة (وهو) اى الطمع المذموم معنـاه (ارادة الحرام) من كل شئ (الملذ) اى الذى فيه لذة للنفس (او) ارادة (الشئ المخاطر) بصيغة اسم الفاعل اى الموقع فى الخطر لجره الى الخطر وهو بالتحريك الاشراف عـلى الهلاك (اعنى) اى اقصد بالشئ المخاطر (النوافل) من العبادات اذا كانت موصلة الى العجب والتكبر فيمن لم يوفق (والمبـاحات) من امور الدنيا لايصالهـا الى نسيان الآخرة (وهو) اى الطمع المذموم *الخلق (الحادى عشر) من الاخلاق السيئة (من آفات القلب) اى مفاسده التى تهلكه (هق حك) يعنى روى البيهقى والحاكم باسنادهمـا (عن سعد بن ابى وقاص) رضى الله عنه (انه) اى الشان (جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله اوصنى قال عليك بالاياس) اى الزهد وهو القنوط وقطع الامل (مما) اى من الاموال التى (فى ايدى الناس) فلا ترتجى منهم ان يعطوك شيئا منهمـا (واياك والطمع) اى احذر منه وتباعد عنه (فانه) اى الطمع (الفقر) اى الاحتياج النفسـانى والاضطرار المقلق الحيوانى (الحاضر) اى المهيأ المعجل (وصل) فى كل ماشرعت من الصلوات المفروضة وغيرها (صلاة) انسان (مودع) الصلاة اى موقن بمفارقتها وعدم العود اليهـا فان من كان كذلك فانه يتقن الصلاة غاية ما فى جهده

لانها آخر صلاته (واياك وما) اى القول اوالفعل الذى (يعتذر) بالبناء للمفعول اى يحتاج الانسان ان يأتى بالعذر (منه) لغيره اذا صدر بسببه من الانسان فى حق ذلك الغير نقص اوهضم جانب اواساءة ادب اى تباعد عن اتيان مثل ذلك فانك تحتاج الى الاعتذار عنه لغيرك بعد وقوعه فربما يقبل ذلك الغير عذرك وربما لا يقبله وقد اشار الى حكم الطمع بقوله (فطمع) الانسان فى الشئ (الحرام) عليه (حرام) عليه ذلك الطمع فيه (وطمع) الانسان فى الشئ (المخاطر) اى الموصل الى الخطر من النوافل والمباحات (ليس بحرام) لان ماطمع فيه ليس بحرام بل ربما اوصل الى الحرام لأن صاحبه على خطر الحرام (ولكنه) اى الطمع فى الشئ المخاطر (مذموم جدا) اى ذما قويا فربما اوقع فى الحرام (واقبح) انواع (الطمع) المذموم (الطمع) فى تحصيل شئ (من الناس وهو) اى الطمع المذكور (ذل) اى حقارة وهوان فى نفس الانسان اذاقابل المطموع فيه من الاغنياء اوالاكابر (ينشأ) ذلك الذل اى يتولد فى الانسان (من) شدة (الحرص) اى المحافظة بالقلب عن طلب الدنيا (و) من (البطالة) اى عدم اشتغال القلب بخدمة الرب سبحانه (و) من (الجهل) اى عدم العلم (بحكمة الله) تعالى الكائنة (فى الحاجة) اى احتياج الانسان (الى التعاون) من الناس فى بعضهم بعضا فان الله تعالى بعظيم حكمته قسم الناس الى خادم ومخدوم والمخدوم ايضا خادم من وجه والخادم مخدوم من وجه ايضا فالخادم ارباب الصنائع يخدم بعضهم بعضا بصنايعهم ويخدمون من لاصنعة له ايضا والعساكر يخدمون الامراء والاعداء بتبليغهم الحق والرعايا بالمقاتلة عنهم والمخدوم الاكابر والاعيان فى كل طبقة من طبقات الناس وهم يخدمون الخادمين ايضا كالملوك يخدمون الرعايا بالتدبير والحماية والقضاة والامراء يخدمون الناس بفصل القضايا والعلماء يخدمون الناس ببيان الاحكام والنصيحة فمن علم حكمة الله تعالى فى احتياج الناس الى التعاون بعضهم بعضا ترك الطمع فيما عند غيره من الناس لعلمه بحاجة الغير اليه كما هو محتاج الى الغير (وضد الطمع) المذموم (التفويض) الى الله تعالى (وهو ارادة ان يحفظ الله تعالى عليك مصالحك) كلها الدنيوية والاخروية (فيما) اى فى الامر الذى (لا تأمن فيه الخطر) اى الاشراف على الهلاك لوجود ذلك فيه (اعنى النوافل والمباحات) المشتملة على ذلك (فان كان فيه) اى فى التفويض (صلاحك) فى الامور (يسرك الله) تعالى معه اى سهل عليك كل خير (والا) بان كان لاصلاح لك فيه (منعك) الله تعالى معه من كل خير فاذا فوضت امرك الى الله تعالى. وكان فى التفويض اليه صلاح احوالك عنده سهل الله تعالى عليك ويسرك لكل خير واذا لم يكن صلاحك فى التفويض منعك الله تعالى به من كل خير (قال الله تعالى) حكاية عن مؤمن آل فرعون وهو اسرائيلى اوغريب موحد وقيل موسى كما اشار اليه البيضاوى (وافوض

امری) ای شانی کله (الی الله) لیعصمنی من کل سوء (ان الله بصیر بالعباد) فیحرسهم ویعطیهم ما یرید (فوقاه الله سیئات ما مکروا) ای آل فرعون والمکر الخدیعة (انظر) یاایها الانسان (کیف عقب الله) تعالی فی کلامه القدیم (التفویض) الیه سبحانه (بالوقایة) حیث کان فی الکلام فاء التعقیب (وهو) ای التفویض (مقام) یقام فیه العبد بتوفیق الله تعالی وحسن عنایته (شریف) لصاحبه مزیة علی غیره (یدل علی حسنه النقل) کما ورد فی الآیات والاحادیث (والعقل ایضا) فان العبد العاجز عن التأثیر فی کل شیء لایلیق به الا التسلیم وایکال الامور کلها الی مولاه القادر المؤثر فی کل شیء (المبحث السادس) من المباحث السبعة (فی) بیان (امور مترددة بین الریاء والاخلاص) الذی هو ضده (او) مترددة بین الریاء و (الحیاء) ای الاستحیاء من الله تعالی (یدخل فی کلا الجانبین) ای جانب الریاء اوجانب الاخلاص وکذلک فی جانب الریاء اوجانب الحیاء (تلبیس) ای تخلیط وتدلیس (ابلیس) وهو الشیطان قال فی مختصر القاموس ابلس یئس وتحیر ومنه ابلیس (فلنقدم) علی بیان التباس هذه الثلاثة بعضها ببعض (مقدمة) لها (فی) بیان کیفیة (دفع) شر (الشیطان) الموکل بکل انسان (و) ابطال (حیله تشتد الیها) ای الی هذه المقدمة (الحاجة) ای حاجة کل مکلف (فی) امر (التقوی) لله تعالی (فی جمیع مجاریها) ای التقوی (خصوصا فی الاخلاص) فی الاعمال (فنقول) فی بیان ذلک (وبالله) تعالی لابغیره (التوفیق) الی سلوک طریق التحقیق (المذهب المختار) عند ائمة السلوک فی الصراط المستقیم (فیه) ای فی دفع شر الشیطان وحیله (الجمع بین الاستعاذة) بالله تعالی من شره باللسان (والمحاربة) له بالقلب (فنستعیذ) ای نطلب الاستعاذة بمعنی الحمایة والحفظ (بالله) تعالی (اولا) ای قبل المحاربة (من شره) المتعدی الینا بالوسوسة (کما امر الله تعالی به) حیث قال سبحانه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشیطان الرجیم (فان الشیطان کلب سلط) ای سلطه الله تعالی (علینا) لیستفزز من استطاع منا بصوته ویجلب علینا بخیله ورجله (فعلینا) ای نلزم (الرجوع) ای الالتجاء (الی ربه) الذی خلقه واضله لیجعله سببا لاضلال غیره (لیصرفه عنا) کما سلطه علینا فانه بیده یقلبه کیف شاء (ثم) نحاربه ثانیا حیث (نستخف)ای نتهاون (بدعوته) لنا الی السوء ولانلتفت الیها (وننفیها) من خاطرنا ای نجحدها وننکرها (کما وردت) منه علینا (ولانشتغل بالمحاربة) له بقلوبنا اولا (والجواب) عن دعوته ووسوسته (فانه) ای الشیطان (بمنزلة الکلب النابح) من النباح وهو صوت الکلاب (کلما اقبلت علیه) لتزجره عن نباحه (ولع بک) کولج ولعا محرکة استخف واولع به اغراه به کذا فی مختصر القاموس (ولج) ای استطال بالنباح علیک (وان اعرضت عنه) وتشاغلت عن الالتفات الیه (سکت) عنک (فان) اعرضنا عن الشیطان وتشاغلنا بغیره و (لم یسکت) عنا

وعن الولوع بتلك الوسوسة (بل تغلب علينا) بالنسي بل والوسواس (علمنا انه) اى الشيطان (ابتلاء) اى امتحان (من الله تعالى) لنا (ليرى) بالبناء للمفعول اى يرى الله تعالى الناس (صدق مجاهدتنا) فى انفسنا الجهاد الاكبر (وقوتنا) على دفع شر عدونا الشيطان (كما ان الله تعالى سلط علينا) اعداءنا (الكفار) المحاربين لنا (مع قدرته) تعالى (على كفاية امرهم و) دفع (شرهم) عنا من غير مخاصمة منا ولا محاربة ولا مجادلة ولكن انما فعل ذلك سبحانه (ليكون لنا حظ) اى نصيب (من الجهاد) الاصغر (و) من (الصبر) على مقاساة كيد الكفار ومعاناة حرب الاشرار (قال الله تعالى ام حسبتم) يا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) التي وعدكم ربكم (و) الحال انه (لما) اى لم ولكن نفي لما متصل بالحال ولم نفيها منقطع (يعلم الله) عندنا اى بالنسبة الى ظهوره لنا فى شهودنا له وهو سبحانه عالم من الازل ولكن بالنسبة اليه تعالى من حيث رتبته الغيبية (الذين جاهدوا) الجهاد الاكبر او الجهاد الاصغر (منكم) يا معشر المؤمنين (ويعلم الصابرين) على مقاساة كيد نفوسهم التي هي اعداؤهم الباطنة وكيد الكافرين الذين هم اعداؤهم الظاهرة (وايضا) كما ان الشيطان بمنزلة الكلب التابع فلا نشتغل بالمحاربة والجواب له فقط من دون الاستعاذة اولا وهي ذكر الله تعالى فانه (قد يشتبه علينا خاطر) يخطر فى بالنا (لا ندرى انه شر من الشيطان) القائل لنا (او خير من غيره) اى غير الشيطان كالملك والرب والشيخ فان الخاطر الربانى والخاطر الملكى وخاطر الشيخ كلها خير (فعلينا المحاربة) بالاحتجاج والمدافعة فى ذلك الخاطر (والقهر) للنفس فى كفها عنه وتباعدها منه (والدوام) اى المداومة (على ذكر الله تعالى باللسان) فى اى ذكر كان كالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد فيأتى من ذلك بما يجد نفسه تتأثر به وتخشع له (والقلب) باجراء ذلك عليه او الكفر فى جلال الله تعالى (ومعرفة وساوسه) اى الشيطان اى ما يوسوس به من الشر الذى يلبسه بالخير والخير الذى يريد به الشر (و) معرفة (مكائده) اى ما يكيد به الانسان من زخرفة الاشياء فى عينه وتزيين الباطل لنفسه (فلا بد اولا) اى قبل الشروع فى شئ من ذلك المذكور (من معرفة منشأ) اى موضع انشاء (الخواطر) فيه (و) من (تمييز خيرها) اى الخواطر (من شرها) فيفرق بين ما هو الخير منها وما هو الشر اما الخواطر نفسها (فهي آثار) جمع اثر (يحدثها الله) تعالى (فى قلب العبد) المكلف وغيره (تبعثه) اى تحمله باختياره (على الافعال و) على (التروك) فى الخير والشر وهي جمع ترك بمعنى الكف وهو فعل فى المعنى ولهذا كلف به و يثاب عليه بخلاف الترك بمعنى العدم فانه غير مكلف به فلا ثواب فيه قال فى الاشباه والنظائر ترك المنهى عنه لا يحتاج الى نية الخروج عن عهدة النهي واما الحصول الثواب بان كان كفا وهو ان تدعوه النفس اليه قادرا على فعله فيكف نفسه عنه خوفا من ربه فهو مثاب والا فلا ثواب على تركه فلا يثاب

على ترك الزنا وهو يصلي ولا يثاب العنين على ترك الزنا ولا الاعمى على ترك النظر المحرم (اما الاول) اى من غير واسطة شئ مطلقا (فيقال له الخاطر فقط) اى لا اسم له غير ذلك وهو مشتق من خطر اذا امر بسرعة وانقضى (وعلامته) اى الخاطر (كونه قويا) لا ضعف فيه (مصمما) من التصميم وهو المضى فى الامر يعنى من غير تردد فيه (و) كونه (فى الاصول) اى اصول الدين وما تبنى عليه الشرائع من قطعيات الاعتقادات (و) فى (الاعمال الباطنة) كالزهد وضده والصبر وضده وكذلك التوكل والتفويض ونحو ذلك مع اضدادها (و) علامته ايضا (ان يكون خيرا) اذا كان (عقيب اجتهاد) اى بذل جهده فى رضاء ربه (و) عقيب (طاعة) صدرت منه لربه سبحانه (اكراما) من الله تعالى له بذلك (فيسمى) ذلك الخاطر حينئذ (هداية) من الله تعالى للعبد (وتوفيقا) له (ولطفا) به (وعناية) اى اعتناء به (قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا) اى بذلوا جهدهم فى امتثال اوامرنا واجتناب نواهينا (لنهدينهم سبلنا) اى طرقنا الموصلة الينا وذلك بان يعقب ذلك خواطر هداية وتوفيق ولطف وعناية فيعلمهم كيف الوصول اليه ويدلهم به عليه فيكشف لهم عما استتر على غيرهم فيعرفونه ذوقا وشهودا ويستغنون عن حكايته وقال تعالى (والذين اهتدوا) اى عملوا بطاعته وامتثلوا احكام شرعه (زادهم هدى) بان اعقب ذلك فيهم خواطر حسنة تدلهم على كيفية القرب اليه سبحانه وتوصلهم الى شهوده ذوقا وكشفا (او) ان يكون ذلك الخاطر (شرا) اذا كان (عقيب ذنب) صدر من ذلك العبد كبيرة كان او صغيرة (اهانة) لذلك العبد من الله تعالى واحتقارا له (وعقوبة) عاجلة فى الدنيا (فيسمى) ذلك الخاطر حينئذ (خذلانا) والخذلان ترك العون وهو ضد التوفيق (واضلالا) اى اضاعة وتحييرا وفى كتاب شجون المسجون للشيخ الاكبر محى الدين بن العربى قدس الله سره قال اعلم ان الخواطر تعرض على القلب وتنجلى بسرعة فهى مما يخص القلب ومما هو خارج عن قدرة الانسان فالخاطر هو ما لا يثبت الا ان يربطه الانسان والراتب هو من الرواتب التى تلزم القلب لزوما راتبا لا تكاد تقلع عنه والعقائب هى ما تعقب فعالا من الانسان فالخواطر اذ مدت بالفكر تأدت الى الرواتب واذا مدت بالعزم تأدت الى العقائب فان اعرض عن الخواطر مرت كما تمر الريح فلا يكون لها اثر فالعقائب قد تحدث على سبيل الجزاء لانها تحدث بعقب الرواتب التى ربطها الفكر ولقد كانت اولا خواطر وهذا يعطى وجوب ملازمة القلب لانه باب الهدى والضلال وصاحب الكسب قال الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم * ولما كان ابتداء كل شئ انما هو من جهة القلب وهو من جهة هذا الخاطر المتقلب الذى من اجله سمى القلب قلبا وان انضاف ذلك الى غيره فى سبب التسمية (واما) ان يكون ذلك (بواسطة ملك) من الملائكة (موكل من الله تعالى على ابن آدم جاثم) يقال جثم الانسان والطائر والنعام والخشف واليربوع

يجثم جثما وجثوما فهو جاثم وجثوم لزم مكانه فلم يبرح او وقع على صدره او تلبد بالارض كذا فى مختصر القاموس وفى المجمل الجاثم اللاطئ بالارض (على اذن قلبه اليمنى) واذنا القلب قطعتان زائد تان فى اعلاه (يقال له) اى لذلك الملك (الملهم و) يقال (لدعوته) تلك اى ما يدعوبه الانسان فى باطنه (الالهام ولا تكون) تلك الدعوة منه (الا الى خير) محض لانه من امر الله تعالى وتنزله بامر الله وامر الله كله خير (وعلامته) اى خاطر الملك وهو الالهام (كونه مترددا) لانه يرد من الملك على الانسان كالناصح له يدله على الخير برفق ولين من غير قهر ولا اجبار (و) كونه (فى الفروع) اى فروع الشريعة دون اصولها (و) فى (الاعمال الظاهرة) التى بالجوارح (وبلا سبق) اى تقدم (طاعة) من العبد لله تعالى (او معصية) من العبد له تعالى (فى) الحال (الاغلب لدعوتها) اى المعصية متعلق بالاغلب اى فيما اذا غلبت الدعوة الى المعصية فى باطن العبد فالخواطر حينئذ تسمى عقائب لا خاطر ملك (او) كان ذلك (بواسطة طبيعة) مجبول عليها ذلك العبد (مائلة الى الشهوات) العاجلة (يقال لها) اى لتلك الطبيعة (النفس) الحيوانية (ولدعوتها الى) ما هى مائلة اليه من الشهوات (هوى) بالقصر وجمعه اهواء كما ان الهواء ممدود ما بين السماء والارض وجمعه اهوية ذكره فى الصحاح (ولا تكون) دعوة النفس (الا الى شر) لانها طبيعة ظلمانية لا يصدر منها الا ما هو من جنسها وهو الظلمة (وعلامته) اى خاطر النفس (كونه مصمما) اى قاطعا بالامر من غير تردد (راتبا) اى متكررا بالامثال لانه عرض لا بقاء له (على حالة واحدة) يشبه الجامد وليس بجامد (وان لا يضعف) لشدته وصلابته (ولا يقل بذكر الله) تعالى بل يبقى كما هو عليه (او) يكون ذلك (بواسطة شيطان) من الجن (مسلط) من الله تعالى (على ابن آدم) يجرى فيه مجرى الدم (جاثم) اى لاطئ (على اذن قلبه) اى قطعته الزائدة (اليسرى يقال له) اى لذلك الشيطان المذكور (الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه كذا فى تفسير البيضاوى (و) يقال (لدعوته) اى لما يلقيه فى صدور الناس (الوسوسة) وهى حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير كالوسواس كذا فى مختصر القاموس (وعلامته) اى علامة خاطر الشيطان (كونه مترددا) فى الامر غير قاطع به (ومضطربا) فيه (و) كونه (بلا سبق ذنب) من العبد (فى الاكثر) من احوال الناس وربما كان جزاء على ذنب سبق منه (وان يقل) ذلك الخاطر (ويضعف بذكر الله تعالى) لان بالذكر يشرق القلب فتنطرد ظلمة الوسوسة الشيطانية (ويكون) خاطر الشيطان (شرا فى الاغلب) من الاحوال (وقد يكون خيرا مفضولا) اى ادنى من غيره يأمره به الشيطان تلبيسا عليه (ليمنعه)

بذلك (عن) الخير (الفاضل) اى الاعلى من الاول فيحرمه الفضيلة التامة (او بجره) بذلك (الى) اقتراف (ذنب عظيم) من حيث لايشعر (وعلامته) اى خاطر الشيطان الذى يكون خيرا مفضولا لمنع الفاضل اوجر الذنب العظيم (ان يكون قلبك فيه) اى فى ذلك الخاطر المذكور (مع نشاط) اى رغبة فيه (لامع خشية) اى خوف منه ان يترتب عليه شر (ومع عجلة) فى انفاذ مقتضاه (لامع تأن) وتمهل فى ذلك (ومع امن) من ان يكون خديعة (لامع خوف) من ذلك (ومع عمى) القلب عن (العاقبة) التى تعقبه مما يترتب على العمل بمقتضاه (لامع بصيرة) فى حال عاقبة ذلك وفى شجون المسجون للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال من الخواطر مايعرض من جهة المزاج ميلا الى مايوافق فهذا اذا تمكن سمى شهوة وضده نفرة ومنه مايعرض لنيل رتبة فاذا تمكن سمى همة ومنه مايعرض باعثا على الفعل فاذا تمكن سمى مشيئة ومنه مايعرض باستعجال اللقاء فاذا تمكن سمى شوقا ومنه مايعرض بتثبت حكم اوشئ على ماهو عليه فاذا تمكن سمى علما وان كان مترددا سمى شكا فان عرض بذكر مالا حقيقة له على سبيل الثبات سمى جهلا وجميع الاخلاق والخصال خواطر متى تمكنت سميت باسماء تخصها واعلم ان منزلة الخاطر منزلة سماع صوت يقرع سمعك ويمر وتمر عنه فكما لايلزمك سماع مايكون من كذب اومحال اثما ولا يلحقك فى ذلك لوما ولو كان ذلك بالعكس فانه لايفيدك بمجرد سماعك اياه اجرا اذلم تقصد لشئ من ذلك فكذلك الخواطر اذالم تتبعها بالك ولم تعد راتبة لايعقبها شئ وانما يجتهد الصديقون فيما يقوى فيهم خواطر الخير ويقطع عنهم خواطر الشر لانها ازمة القلوب وفواتح الاعمال قال تعالى *ان الذين اتقوا اذامسهم طائف من الشيطان تذكروا* اى اقتدوا بالذكر وهو القرآن فاذاهم مبصرون اى فاذا ابصروا نهوا انفسهم والطيف اول النزغة مثل مايعرض منه بالطيف الذى هو خيال يرى فى النوم لاحقيقة له ينسب الى المحبوب صورة مافافهم هذا جيدا (س ت) يعنى روى النسائى والترمذى باسنادهما (عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فى القلب) اى قلب العبد (لمتان) تثنية لمة يقال اصابته من الجن لمة اى مس كذا فى مختصر القاموس ثم فسرهما بقوله عليه السلام (لمة) اى مسة (من الملك) واحد الملائكة (بايعاد بالخير) عاجلا وآجلا وهو حسن الرجاء بالله تعالى (وتصديق بالحق) من مذهب اهل السنة والجماعة (ولمة) اى مسة (من العدو) الذى هو الشيطان (بايعاد بالشر) مما يؤدى الى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى (وتكذيب بالحق) كعقائد اهل الضلال والبدع ونهى عن الخير من الاعمال الصالحة والعقائد الصحيحة والاقوال المستقيمة (دنيا) يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده (عن انس رضى الله عنه انه) اى النبى (عليه الصلاة والسلام قال ان الشيطان) يعنى الموكل بالانسان (واضع خرطومه) الخرطوم

كزنبور الانف اومقدمه اوما ضمت عليه الحنكين كالخرطم كذا فى مختصر القاموس (على قلب ابن آدم) من ذكر وانثى وخنثى (فان ذكر) ابن آدم (الله تعالى خنس) الشيطان يقال خنس عنه يخنس تأخر وفى المجمل الشيطان خناس لانه يخنس اذاذكر الله عزوجل والخنس الذهاب فى خفية وخنس الرجل تأخروا خنسته انا (وان نسى) ابن آدم (الله تعالى التقم) الشيطان (قلبه) اى صار قلبه لقمة فى فم الشيطان فهو متمكن من الوسوسة له بحيث لامحيص له عنها (واماعلامة) وقوع (خاطر الشر) فى القلب (مطلقا) اى سواء كان من قبل النفس اوالشيطان (وعلامة) وقوع (خاطر الخير) فيه ايضا (كذلك) اى مطلقا سواء كان من قبل الرب سبحانه اوالملك (فلمعرفتهما) وادراك التمييز بينهما (اربعة موازين مرتبة) فلايعدل الى الثانى الااذاتعسر عليه الاول وهكذا الثالث والرابع الميزان (الاول عرضه) اى الخاطر (على الشرع) المحمدى بمقتضى مذهب من المذاهب الاربعة الآن فقط اوغيرها من مذاهب السلف لمن ثبت ذلك بشروطه عنده (فان وافق جنسه) اى جنس الشرع بان كان جزئيا من جزئيات مسئلة كلية من مسائل الاحكام الشرعية (فخير) لموافقته للحق (وان) كان (ضده) اى غير موافق لذلك (فشر) لانه باطل (و) الميزان (الثانى عرضه) اى الخاطر (على عالم من علماء الآخرة) وهم علماء الشرايع والاحكام اصولا وفروعا العاملون بعلومهم ظاهرا وباطنا لاعلماء الدنيا الذين يعلمون الشرايع والاحكام اصولا وفروعا ليتوصلوا بذلك الى جمع الاموال من الناس واخذ الوظائف والمدارس وتولية القضاء والمناصب وقصدهم الترفع على الناس والتكبر على الجاهلين يتعلمون العلم النافع ولايعملون به فينقلب عليهم مضرا ويصير سببا لهلاكهم وهوحجة عليهم بين يدى الله تعالى فكلما ازدادوا علما ازدادوا مقتا عندالله تعالى وغضبا وسخطا منه تعالى عليهم فعلومهم نافعة فى نفسها وهم متضررون بها فتخبث منهم وهى طيبة فى نفسها وهى عليهم عمى فكلما تعلموها وعلموها كانوا فى معصية يتقلبون وهم لايشعرون لقصدهم بذلك غير وجه الله تعالى فمثالهم مثال من يصلى صلاة بغير طهارة فيخشع فى صلاته ويطيل فيها الركوع والسجود وقراءة القرآن مع غاية الاتقان فان صلاته تلك كلها معصية من اولها الى آخرها لانها بغير طهارة مع القدرة على الطهارة والتقصير عنها وكذلك هم جميع اشتغالهم بالعلوم النافعة وغيرها من تعلم وتعليم معاصى وذنوب وخطايا وآثام يقترفونها بالليل والنهار حيث لم يقصدوابذلك وجه الله تعالى بل كان قصدهم ماذكرنا وهم قاطعون ان ماهم فيه طاعة مثابون عليها فهم يتقربون الى الله تعالى بمعاصيه يستحلون ماهم فيه من الرياء والعجب والتكبر فعليهم من الله تعالى مايستحقون وماا كثر وجودهم فى هذا الزمان ولانعرف احدامنهم بلساننا ولاقلبنا والله يعلم المفسد من المصلح فمن عرض خاطره

على احد منهم اضلوه بضلالهم وكذلك من اطاعهم فيما يقولونه وينصحون به الامة على زعمهم فهم الغافلون المغفلون لغيرهم قال تعالى * ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا (و) على (مرشد) الى السلوك فى طريق الله تعالى (كامل) فى صفة الارشاد بان كان يعلم الشرايع المحمدية مع الحقائق الالهية (ان وجد) ذلك المرشد الكامل والمراد ان ظفر به ذلك الانسان والا فهو موجود فى الارض الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ولا تخلو البلاد منه اصلا ولكن المحروم من الاعتقاد شيطانه الذى يبغضه الى العباد فهو بحجابه المتين على قلوب الغافلين (فان قال) ذلك العالم من علماء الآخرة والمرشد الكامل هو (خير فخير وان) قال هو (شر فشر) لانه امين الله تعالى على الاحكام والاحرى ببيان الحلال والحرام فان علمه محيط بالظاهر والباطن وهو المحقق المعتبر قوله فى جميع المواطن (و) الميزان (الثالث عرضه) اى عرض الخاطر (على الصالحين) من عباد الله وهم القائمون بما امرهم الله تعالى به المنتهون عما نهاهم عنه مع الاخلاص والزهد والورع توفيقا لهم من الله تعالى ولم يتوصلوا الى ذلك بدراسة علم ولا تعمل نفسانى بل بسلامة الصدر وفراغ السريرة من كل دنس وعيب ولا شعور لهم من انفسهم بما هم فيه من الكمال والتقوى (فان كان فى فعله) الذى خطر له ان يفعله (اقتداء بهم) اى متابعة لهم (فخير) حيث وافق فيه فعل اهل العناية والتوفيق (وان) لم يكن فى فعله الذى خطر له ان يفعله اقتداء بهم بل (بالطالحين) جمع طالح وهو خلاف الصالح كذا فى الصحاح وفى مختصر القاموس الطلاح ضد الصلاح (فشر) لانهم مخذولون فمن اقتدى بهم كان مخذولا منهم (و) الميزان (الرابع عرضه) اى عرض الخاطر (على النفس) اى نفسه (والهوى) اى هوى نفسه وهو الميل الى الشهوات والحياة الدنيا والحظ العاجل (فان) وجد نفسه (تنفر عنه) اى عن مقتضى ذلك الخاطر (نفرة طبع) اى بمقتضى طبيعتها من غير تكلف منها فى ذلك (لا نفرة خشية) اى خوف (من الله سبحانه وتعالى) عرضت لها من سماع الوعظ او تذكر الوعيد او رؤية العبرة (فخير) لانها مجبولة على السوء والشر فاذا نفرت من شئ كان ذلك الشئ غير مجانس لها فيكون خيرا لا محالة (وان مالت) اى النفس (اليه) اى الى مقتضى ذلك الخاطر (ميل طبع) اى هوى وشهوة فانها مجبولة على ذلك بلا تكلف (لا ميل رجاء من الله تعالى) لان ميل الرجاء عرضى فيها لانه لا يكون الا من سماعها باللذائذ الاخروية وتذكر الوعد بالجنة ومطالعتها سعة كرم الله تعالى والامر العرضى ليس فى الجبلة فلا كشف له عن شئ لانه لا يغيرها عما طبعت عليه من السوء (فشر) ذلك الامر الذى مالت اليه (اذ النفس اذا خليت) اى تركت (وطبعها) اى مع طبعها من غير ما يعرض لها (لامارة) باللام الموطئة للقسم اى كثيرة الامر لصاحبها (بالسوء) والشر كما قال تعالى

* ان النفس لامارة بالسوء (واماحيل) جمع حيلة (الشيطان) اى شيطان كل انسان الموكل به من الله تعالى ليظهر كماله بالمخالفة ونقصانه بالمطاوعة كما قال تعالى * وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين ايديهم وماخلفهم * وقال تعالى فى حق قرين المؤمن * فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين (ومخادعاته) جمع مخادعة من خدعه كمنعه ختله واراد به المكروه من حيث لا يعلم والاسم الخديعة والخداع ككتاب المنع والحيلة كذا فى مختصر القاموس (فى الطاعة) اى فى طاعة الانسان لله تعالى (فمن سبعة اوجه اولها ان ينهاه) اى الشيطان (عنها) اى عن طاعة الله تعالى (فان عصمه) اى الانسان (الله تعالى) بمعنى حفظه وحماه من كيد الشيطان (رده) اى رد الانسان نهى الشيطان عن الطاعة فى باطنه فيخاطب نفسه بنفسه فان الشيطان لا يكلم الانسان الا بنفس الانسان فنفس الانسان لباس الشيطان وهى حجابه وهى مظهره لانه من ورائها يوسوس لها حيث هو قرينها من اصل الخلقة ولا ينفك عنها الا بالموت ولهذا كانت امارة بالسوء وليست هى هو كما ان القارورة من الزجاج الصافى اذا وضع فيها مداد اسود تكون سوداء بسبب ماوراءها وهى بيضاء فى نفسها بحيث لوزال منها المداد الاسود وغسلت رجعت الى بياضها وصفائها وهى غير المداد الموضوع فيها فكذلك حال النفس وشيطانها وصورة الرد (بان قال) الانسان لشيطانه (انى محتاج الى ذلك) اى الى طاعة الله تعالى (جدا) اى احتياجا قويا كثيرا (اذ لا بد من التزود) اى اخذ الزاد وهو طعام المسافر والمراد به هنا العمل الصالح اشارة الى عدم بقاء الانسان فى الدنيا لانه فى مرحلة من مراحل السير الى الله تعالى فهو فى سفر حتى يصل اليه تعالى كما قال سبحانه * وان الى ربك المنتهى (من هذه الدنيا الفانية) اى الزائلة المضمحلة (للآخرة) الباقية (التى لا انقضاء لها) فان سمع الشيطان هذا القول الحق من الانسان لا يمكنه رده ولا الطعن فيه فيتركه الشيطان ويعدل الى امر غيره اشار اليه المص بقوله (ثم يأمره) اى يأمر الانسان شيطانه (بالتسويف) اى المطل فى اخذ الزاد من الدنيا الى الآخرة فيقول له لا تعجل فى اخذ ذلك فانه لا يفوتك لانك فى اول عمرك و ينسيه احتمال الموت فى كل نفس بتنفسه فى الليل والنهار (فان عصمه الله تعالى) اى حفظ تعالى الانسان من شيطانه وحماه من كيده ومخادعته (رده) اى رد ذلك التسويف (بان قال) للشيطان (ليس اجلى) اى وقت انقضاء عمرى فى الحياة الدنيا (بيدى) بل بيد الله تعالى فلا اقدر ان اطيله ولا ان اقصره ولا اعلم متى يكون ايضا فيحتمل ان يكون قريبا ولا شعور لى بذلك وكم من انسان مات بلا مرض على غرة من الحياة (على انى) ايضا (ان سوفت) اى مطلت (عمل اليوم) الذى انا مكلف به (الى غد فعمل الغد) المتوجه على فى غد (متى) اى فى اى يوم (اعمله فان لكل يوم) من ايام عمرى (عملا) مخصوصا به

لايسقط عنى بعمل يوم غيره فان شيطانه ينكف عنه بذلك القول (ثم) يلتفت اليه من وجه آخر فيحثه و (يأمره بالعجلة) اى الاستعجال فى اتمام الاعمال حيث لم يمكنه ان يحمله على تركها ولا على تسويفه فيها (فيقول له) اى للانسان فى نفسه (عجل) فى صلاتك ونحوها من الاعمال (لتتفرغ لكذا وكذا) من امور الدنيا وشهواتها (فان عصمه الله تعالى) من شره (رده) عما آمره به (بان قال) له (قليل العمل) من الطاعة والعباده (مع) وجود (التمام) فيه (خير) عند الله تعالى (من كثيره) اى كثير العمل مصحوبا (بالنقصان) فيه كما ورد فى الحديث صل صلاة مودع (ثم) اذا انكف عنه من هذا الوجه (يأمره) اى يأمر الشيطان لذلك الانسان (باتمام العمل) الذى شرع فيه على وجه الكمال (مع المراءات) اى الرياء فيه بمعنى الافتخار بان يقول له فى نفسه اتقن عملك حتى يراك الناس فيحمدونك على المحافظة فى العبادة و ينسبون اليك الورع والتقوى فيرتفع جاهك عندهم (فان عصمه) اى حفظه (الله تعالى) من ذلك (رده بان قال) لشيطانه (الناس لايقدرون) من قبل انفسهم (على نفع ولا) على (ضر) كما قال تعالى *ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا* واذا لم يملكوا ذلك لانفسهم فلا يملكونه لغيرهم بالاولى واذا صدر منهم شئ من ذلك لم يكن من قبل انفسهم وانما هم فيه اسباب لاتأثير لهم كالميزاب يجرى فيه ماء المطر وهو من عند الله عزوجل كما قال تعالى *قل كل من عند الله (افلا يكفينى رؤية الله تعالى) اى اعتقاد انه سبحانه هو (النافع) لمن يشاء بمن يشاء (الضار) لمن يشاء بمن يشاء وحده لاشريك معه فى شئ من ذلك اصلا (ثم) يظهر له من وجه آخر اذا راى الوجه الاول انسد عليه فيخدعه و (يوقعه فى العجب) بنفسه وسيأتى بيان العجب ان شاء الله تعالى (فيقول) له (ما ايقظك) اى ما اشد يقظتك واقوى فطنتك (و) ما (اعقلك) اى ما اكثر عقلك حيث (تنبهت) من نوم الغفله (لما لم يتنبه له غيرك) من الناس فعرفت ما لم يعرفوا وفهمت ما لم يفهموا وارتقيت ما لم يرتقوا اليه (فان عصمه الله تعالى) من شر ذلك (رده) فى الحال (بان قال) له (المنة) اى الاحسان والجميل على (الله) تعالى وحده (فى) جميع (ذلك دونى) اذ ما هو فى من الكمال انعام من الله تعالى على واكرامه منه سبحانه لى فليس ذلك فى منى ومن تحصيلى (فهو) سبحانه (الذى خصنى بتوفيقه) دون غيرى (وجعل لعملى) عنده (قيمة عظيمة بفضله) واحسانه لاباستحقاق لذلك (ولولا فضله) سبحانه على واحسانه الى (لما كان له) اى لعملى (قيمة) اصلا (فى جنب) اى ناحية (نعمة الله تعالى) على (وجنب معصيتى) اى مخالفتى (له) سبحانه وتعالى عن عمد فاذا استحق عليه تعالى مع ذلك (ثم يقول) للانسان شيطانه اذا يئس منه من تلك الوجوه (اجتهد انت) يا ايها الانسان فى طاعة الله تعالى وعبادته (فى حالة السر) حيث لايراك احد (فان الله تعالى سيظهره)

اى يظهر ذلك الاجتهاد منك للناس فيرونه (و يجعلك) سبحانه (شريفا خطيرا) اى لك شرف وخطر بالتحريك اى رفعة وهيبة (بين الناس واراد) الشيطان (بذلك القول الذى وسوسه اليك (ضربا) اى نوعا (من) انواع (الرياء الخفى) الذى لا ينتبه اليه كثير من الناس كما سبق بيانه (فان عصمه الله تعالى) من ذلك الوسواس (رده بأن قال) لشيطانه (انما انا عبدالله) تعالى (وهو) سبحانه (سيدى) ومولاى وله التصرف فى شأنى كله دون ارادتى وامرى جميعه بيده (ان شاء اظهر) حالى للناس وما انا عليه من الاعمال (وان شاء اخفى) عنهم ذلك واراهم ما انا فيه من المساوى والقبائح والعيوب (وان شاء جعلنى) عندهم (خطيرا) اى ذا خطر اى رفعة وهيبة وجاه ورياسة (وان شاء جعلنى) بينهم (حقيرا) ذليلا ملوما مذموما (وذلك) موكول (اليه تعالى) لانه القادر عليه دونى (ولا أبالى) انا اى لا التفت ولا اعبأ (ان كان) تعالى (يظهر ذلك للناس) ويكشفه لهم (اولم يظهره) بان ستره على واخفاه (فليس بايديهم) اى الناس (شئ) مما انا طالبه من النفع ولا مما حاذره من الضر (ثم يقول) للانسان شيطانه (آخرا) اى فى آخر الامر (لا حاجة لك الى هذا العمل) الذى انت تعبان فى تحصيله (لانك ان خلقت) اى خلقك الله تعالى (سعيدا) من الازل فى حضرة علمه القديم فان ذلك كائن لا محالة فاذا لم تعمل (لم يضرك ترك العمل) لانه لا يرفع سعادتك المقدرة لك عندالله تعالى (وان خلقت) اى خلقك الله تعالى (شقيا) من الازل كان ذلك لا محالة ايضا فاذا عملت (لم ينفعك العمل) ولا يدفع عنك الشقاوة المقدرة عليك (ففيم) اصلها فى ما اى فى اى شئ فحذفت الف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها كقوله تعالى * عم يتساءلون وبم يرجع المرسلون (تجتهد) اى فى تحصيل اى شئ والامر ليس تمامه اليك ولا تصرف لك فيه والحكم لله تعالى عليك من الازل لا يتغير ولا يتبدل فكيف تتعب فى امر لا يتم بتعبك (و) كيف (تترك راحتك) اى الراحة التى تقدر على الظفر بها فى الحياة الدنيا (وتضر نفسك) بالمشقة والتعب والنصب فى العبادات والطاعات (فان عصمه) اى عصم (الله تعالى) ذلك الانسان من شيطانه (رده) اى رد عليه ما قاله له (بان قال) الانسان فى رده على شيطانه (انما انا عبد) لله تعالى (و) الواجب (على العبد امتثال امر سيده) فعلا للمأمورات وكفا عن المنهيات (وارب) سبحانه وتعالى اى المالك لجميع العبيد المربى لهم ليوصلهم الى ما خلقهم له من خير وشر ونفع وضر (اعلم بربوبيته) التى هى ملكه لهم وتصرفه فيه من الازل حيث لم يكونوا شيئا مذكورا فانه سبحانه (يحكم) عليهم (ما يشاء) من شقاوة وسعادة (ويفعل) بهم (ما يريد) من خير وشر وعطاء وحرمان * لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * والله يحكم لا معقب لحكمه وناسب هذا ما ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير عن الماوردى من الاجوبة المسكتة اى القاطعة للحجة ان ابليس ظهر لعيسى عليه السلام فقال الست تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله لك قال نعم

قال فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة سلمت قال يا ملعون ان الله تعالى ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه (ولا لي ينفعني العمل) الصالح يوم القيامة عند الله تعالى ينفع الله تعالى به لا ينفع العمل لي بنفسه (كيفما) اى على اى حالة (كنت) فى آخر عمرى اوفى حضرة علمه سبحانه وتقديره الازلى وفى شرح المناوى على الجامع الصغير وقد اختلف السلف فمنهم من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم الخاتمة وجعلها نصب عينه قيل والاول اولى لانه تعالى سبق فى علمه الازلى سعيد العالم وشقيه ثم رتب على هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل وفساده عندها وعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها (ان كنت سعيدا احتجت اليه) اى الى العمل الصالح (لزيادة الثواب) عند الله تعالى يوم القيامة فان الزيادة مطلوبة للنفوس مرغوب فيها (وان كنت شقيا فكذلك) احتجت الى العمل الصالح ايضا وان لم انتفع به (لئلا الوم نفسى) يوم القيامة على تركه له ولهذا سمى الله تعالى يوم القيامة يوم الحسرة ويوم التغابن لتحسر الناس فيه على التقصير فى العمل وغبن بعضهم بعضا فى ذلك اى مخادعتهم فيه (على ان الله تعالى) ايضا (لا يعاقبنى على) فعل (الطاعة) والعبادة (بكل حال و) العمل ان لم ينفعنى (لا يضرنى) مثل ترك العمل فانه ان لم يضرنى لا ينفعنى واذا استويا عندى فكيف اختار الترك على الفعل ولا مخاطرة فى الفعل وانما المخاطرة فى الترك والعاقل يترك مافيه المخاطرة ويأتى مالا مخاطرة فيه (على انى) ايضا (ان دخلت النار) فى يوم القيامة بناء على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى (وانا) اليوم (مطيع) لله تعالى كان ذلك (احب الى من ان ادخلها) اى النار بسبب الختم بالكفر (وانا الآن (عاص) له سبحانه وتعالى وهذا اشارة من قبيل قول القائل * منى ان تكن حقا تكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا (فكيف) ادخلها وانا مطيع الآن (ووعده) سبحانه (حق) لمن اطاعه بدخول الجنة والنعيم المقيم (وقوله صدق) كما قال سبحانه وتعالى * ومن اصدق من الله قيلا (وقد وعد) جل وعلا عباده المؤمنين (على) فعلهم (الطاعات بالثواب) فى الآخرة كما هو صريح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية (فمن لقى الله تعالى) من عباده اى مات (على الايمان) الصحيح (والطاعات) المقبولة فى الشرع (لن يدخل النار) فى القيامة (البتة) اى قطعا بلا شبهة (ويدخل الجنة) التى اعدها الله له فى الآخرة (لوعده) تعالى (الصادق) الذى وعده اياه والله لا يخلف الميعاد وان كان ذهاب الايمان قبيل الموت وتبدله بالكفر امرا ممكنا ولكن ليس كل ممكن واقعا والاصل بقاء ما كان على ما كان واليقين المحقق الآن لا يزول بالشك والاحتمال قبيل الموت (ولذا) اى لكون وعده سبحانه صادقا لا ريب فيه (قال الله تعالى) حكاية عن اهل الجنة (وقالوا الحمد لله) اى الشكر له (الذى صدقنا

وعده) الذى وعدنا اياه بدخول الجنة (و) ايضا (ان الله تعالى مسبب) اى واضع (الاسباب) بحيث تترتب عليها افعاله سبحانه من خير وشر ونفع وضر فان لكل واحد منها سببا موضوعا بوضع الالهي الرباني بحيث لايكاد ينخرم اصلا (وقد جرت عادته) سبحانه وتعالى (فى) عالم (الدنيا و) فى عالم (الآخرة على ربط) حصول (الاشياء باسباب) وضعها لها (ظاهرة) معروفة عند الناس (كالغيث) اى المطر سبب موضوع (للنبات) من الارض (والجماع) من الذكر سبب موضوع (للولد) من الانثى من كل نوع من انواع الحيوان (و) فصل (الصيف) وهو احد فصول السنة سبب موضوع (لينع) اى استواء وانضاج ينع الثمر كمنع حان قطافه كلمنع (الثمار) جمع ثمرة محركة وهو حمل الشجر (وقد قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها) اى اورثكم الله تعالى اياها عن خالفكم فى دينكم الحق ممن ماتوا على الكفر والعياذ بالله تعالى كما ورثهم النار عنكم حيث متم على الايمان فان لكل واحد من الفريقين مقعدا فى الجنة ومقعدا فى النار فيتوارثان فى مقاعدهما (بما) اى بسبب الذى اوشئ (كنتم) فى الحياة الدنيا (تعملون) اى تعملونه من الطاعات والعبادات وقال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار) اى انحكم على من اتقى ربه بالعمل الصالح وعلى من فجر بمخالفة امر ربه بحكم واحد فان هذا ممتنع منا لان كلا السببين من التقوى والفجور يقتضى ماهوله من النعمة والنقمة (فان لم تزل) اى فان لم ترتفع (هذه الوسوسة) المذكورة الحاصلة للانسان من شيطانه (بامثال هذه الاجوبة) التى ذكرها المصنف (و يعود) الوسواس من الشيطان ايضا لصاحبه من وجه آخر (بان يقول) له (ان الاعمال) من العبادات او الطاعات (ايضا مقدرة) علينا من الله تعالى (فلا نقدر) نحن (على مخالفة تقدير الله تعالى) الذى قدره علينا من الازل لانه نافذ فينا لا محالة ان شئنا وان ابينا (فان قدر الله تعالى) (لنا الاعمال الصالحة) وحكم بايجادها لنا من الازل ان تكون فى اوقاتها المعلومة (و) قدر لنا (السعى لها) اى الاجتهاد فى تحصيلها (والقصد اليها) بالاهتمام فيها (حصلت) تلك الاعمال منا فى اوقاتها المقدرة فيها من الازل وظهرت منا بالسعى فى تحصيلها والقصد الى الاتيان بها على طبق ماهو مقدر علينا من ذلك (لامحالة) ولاشبهة ولاتردد اصلا (وان لم يقدر) الله تعالى علينا ذلك من الازل (استحال) اى امتنع عقلا وشرعا (وجودها) اى الاعمال المذكورة اذ لاخالق الا الله تعالى ولامقدر غيره سبحانه ولامحيص لنا عن قضائه وتقديره (فنحن مجبورون) اى مضطرون مقهورون (على العمل) ان كان التقدير السابق بالعمل (و) على (الترك) اى ترك العمل ان كان التقدير سبق بالترك (فلا يفيد) احدا مع ذلك (القيل والقال) وهما اسمان لقول الخير وقول الشر قال فى القاموس القول

فى الخير والقال والقالة فى الشر (فقل) ياايها الانسان لشيطانك الذى وسوس اليك هذه المقالة (ان الله تعالى وان كان خالق افعال العباد كلها) من خير وشر ونفع وضر (وغيرها) اى غير الافعال ايضا كذوات العباد وصفاتهم (لا خالق) لكل شئ (غيره) سبحانه (لكن) مع ذلك (للعباد اختيارات) جمع اختيارة وهى فعل مرة من الاختيار وهو ايثار احد الشيئين على الآخر (جزئية) اى متشخصة فيهم ويعبر عنه جزأ اختياريا لكونه من جملة اجزاء الانسانية داخل فى حقيقة الانسان الكاملة كاليد والرجل للبدن فلولم يخلقه الله تعالى للانسان نقص الانسان فيسقط عنه التكليف اذ لا تكليف الا بالجزء الاختيارى مع ان ذلك الجزء لا تأثير له فى شئ اصلا ولكن به تتم الخلقة فيتوجه التكليف (وارادات) جمع ارادة (قلبية) اى منسوبة الى القلب (قابلة) اى تلك الاختيارات والارادات (للتعلق) بان يعلقها الله تعالى (بكل) واحد (من الضدين الطاعات والمعاصى) فاذا علقها الله تعالى بالطاعات سمى توفيقا وهداية واذا علقها بالمعاصى سمى خذلانا وضلالة والله يفعل مايشاء ويحكم مايريد لا يسئل عما يفعل فلا يقال له لم علقت هذا الاختيار وهذه الارادة من هذا العبد بالطاعة وعلقت هذا الاختيار وهذه الارادة من العبد الآخر بالمعصية وهم يسئلون عن كل ماصدر عن اختيارهم وارادتهم من الطاعة والمعصية لكونهم غير مجبورين عليها ولا مضطرين اليها (وليس لها) اى للطاعات والمعاصى التى تتعلق تلك الاختيارات والارادات بكل منها (وجود فى الخارج) عن الذهن حالة تعلقها بها (حتى يحتاج) ذلك الوجود (الى الخلق) اى الايجاد (ويتعلق) الخلق (بهما) اى يتعلق بالطاعات والمعاصى (اذ الخلق ايجاد المعدوم فما) اى الذى او شئ (لا يوجد) فى حال الاختيار والارادة (لا يكون مخلوقا) بهما (فلا يكون مريدها) اى الطاعات والمعاصى (خالقها) اى موجدها من العدم بمجرد اختياره وارادته لها اذ لا وجود لها فى الخارج حتى يكون خالقها خلافا للقدرية مجوس هذه الامة القائلين بان الانسان خالق لافعال نفسه (وقد جعلها) اى اختيارات العباد وارادتهم (الله تعالى شرطا عاديا) اى بحسب جريان عادته بين عباده (لخلقه) سبحانه وتعالى اى لكونه خالقا (افعال العباد) فلا تخلق العباد افعالهم بل الله تعالى يخلقها لهم ويخلق فيهم اختيارات لها وارادات ليكلفهم بذلك بمنزلة الاسباب العادية كالسكين للقطع والنار للحرق (وكون افعال العباد بعلم الله تعالى وارادته سبحانه (وتقديره وكتبه) اى كتابته (فى اللوح) المحفوظ (لا يستلزم) ذلك (كون صدورها) اى تلك الافعال (من العباد بالجبر) اى القهر لهم فى ذلك (كما اذا علم زيد جميع ما يفعله عمرو يوما من الايام فاراده) اى اراد زيد ما يفعله عمرو (وكتبه فى قرطاس فهل يكون عمرو) المذكور (فى فعله) ذلك (مجبورا مرغما)

ارادله زيد ان يفعل ماأراد هوفعله وكتبه زيد فى قرطاسه وهل ارادة زيد وكتابته لمافعله عمر وجابرة لعمرو على ذلك الفعل (وهل يكون له) اى لعمرو (ان يقول لزيد فعلت) انا (ما) اى الذى (فعلت) من ذلك الفعل (لعلمك) اى لاجل علمك بذلك (وارادتك) له (وكتبت اياه) عندك يعنى حملنى على مافعلت علمك وارادتك وكتابتك ومعلوم انه ليس له ان يقول ذلك لزيد ولاحمله على الفعل علم زيد وارادته وكتابته (فان عمرا فعله) اى فعل ذلك الفعل (باختياره) لابجبره ولاباضطراره (وارادته) لااكراه له من غيره والفاعل بالاختيار والارادة غير مجبور ولامكره على الفعل (لا) ان عمرا فعل ذلك (لاجل علم زيد) بانه يفعل ذلك (وارادته) لذلك (وكتبه) له عنده واذا كان كذلك (فلا يتصور فيه) اى فى علم زيد وكتبه وارادته (الجبر) لعمرو على ذلك الفعل (فكذا) القول (فيما نحن فيه) من ان علم الله تعالى بما يفعله العبد وارادته لذلك وكتبه له فى اللوح المحفوظ ليس بجبر للعبد على فعله ذلك الذى فعله العبد باختياره وارادته وعلى وفق هذا ماروى عن عمر رضى الله عنه انه اتى بسارق فقال ماحملك على السرقة فقال قضاء الله وقدره فقطع يده وحسمت ثم اتى به فجلد فقال قطعت يدك لسرقتك وجلدتك لكذبك على الله تعالى وذلك لان علم الله تعالى وتقديره لايخرجان العبد الى حيز الاضطرار ولايسلبان عنه الاختيار كما روى ان شيخا من اهل الشام حضر صفين مع على رضى الله عنه فقال له اخبرنا يا امير المومنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله تعالى وقدره فقال له نعم يااخا اهل الشام والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ولاهبطنا واديا ولاعلونا تلعة الابقضاء من الله تعالى وقدر فقال الشامى فعند الله تعالى احتسب عنائى ياامير المؤمنين وماأظن ان لى اجرا فى سعيى اذا كان الله تعالى قضاه على وقدره فقال على رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى قد اعظم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا فى شئ من حالاتكم مكرهين ولااليها مضطرين ولاعليها مجبورين فقال الشامى وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال على رضى الله عنه ويحك يااخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء حتما لازما وقدرا حتما جازما لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله تعالى والنهى وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسئ ولا المسئ بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتاب عبثا ولاخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامى فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وكان مسيرنا بهما وعنهما فقال على رضى الله تعالى عنه الامر من الله تعالى بذلك

ثم تلا وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع من المقال وقال فرجت عني يا امير المؤمنين فرج الله عنك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل سأله عن القدر فقال الله تعالى لا يطالب بما قضى وقدر وانما يطالب بما نهى وامر وهذه الاشارة على طبق قول علي رضي الله عنه الامر من الله تعالى بذلك كذا ذكره ابن كمال باشا رحمه الله تعالى في رسالته في القضاء والقدر ثم بسط الكلام في هذا المقام (فتدبر) ماذكر هنا من التبيين (وكن من الشاكرين) على ذلك (وهذا الجواب) المذكور في المتن (هو) الجواب (الحاسم) اى القاطع من حسمه يحسمه فانحسم قطعه فانقطع ثم كواه لئلا يسيل دمه وحسم فلانا الشيء منعه اياه كذا في مختصر القاموس (لهذه الوسوسة) الشيطانية المذكورة (و) هو (معنى قول السلف) الماضين رضي الله عنهم اجمعين في مسئلة افعال العباد انها (لاجبر) اى لا قهر على العبد فيها من الله تعالى كما هو مذهب الجبرية (ولا تفويض) فيها ايضا للعبد من الله تعالى بحيث يستقل بالافعال كما هو مذهب القدرية (ولكن) فيها للعبد (امر) اى شان من الله تعالى وهو تكوين ازلي قديم للفعل في وقت وجوده من غير مشاركة للعبد في ذلك اصلا مع ايجاد اختيار وارادة في العبد لذلك الفعل هما شرط تكليفه بذلك الفعل في الخير والشر (بين امرين) هما جبره على اختيار ذلك الفعل وارادته له وتفويض ذلك الفعل اليه بحيث يستقل به حيث خلقه الله تعالى له على طبق اختياره وارادته والحاصل ان هذا القول معناه ان الله تعالى خالق افعال العباد وحده لا شريك له في ذلك أصلا ولكن يخلقها للعباد مقارنة لاختيارات العباد وارادتهم لها قبل وجودها بحيث هي صادرة منهم بخلق الله تعالى وحده لا باختياراتهم وارادتهم وهو قول الماتريدية لان اختياراتهم وارادتهم لها حاصلة منهم قبلها فلا تكون صادرة منهم بها (واما على) مقتضى (قول) الامام ابي الحسن (الاشعري) رحمه الله تعالى (القائل) في مسئلة افعال العباد (بالجبر المتوسط) بين الجبر الضعيف الذي في قول الماتريدية المذكور فانه جبر في الاختيار فقط وليس الفعل بالاختيار حتى يكون فيه جبر بل بقدرة الله تعالى وحده فلا جبر في الفعل الا من جهة الاختيار فقط وبين الجبر المحض الذي هو قول الفرقة الجبرية من المعتزلة وقال النجم الغزي في حسن التنبه واما الجبرية فهم الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والمعتزلة في طرفي نقيض فالمعتزلة يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان كل ما يجري من افعال العبد فهو فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا واهل السنة وسط بين الطرفين لا تفريط ولا افراط ويعتقدون ان الله تعالى خالق العبد وما يعمل ويثبتون للعبد قدرة ويثبتون لقدرته اثرا ما في الفعل ويسموا ذلك الفعل كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد اخطأ المعتزلة في تسميتهم اهل

السنة مجبرة ثم الجبرية منهم خالصة لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا ومتوسطة يثبتون للعبد قدرة غيرمؤثرة اصلا انتهى يعني لابطريق الحقيقة كالقدرية ولا السببية كاهل السنة (اعني) اي اقصد بالجبر المتوسط على قول الاشعري (كون افعال العباد) صادرة منهم (باختيارهم) اي بواسطة اختيارهم وان لم يكن لاختيارهم تأثير في ذلك بخلاف مذهب الماتريدية فان عندهم افعال العباد صادرة منهم بقدرة الله تعالى مقارنة لاختيارهم لا بواسطة اختيارهم لان اختيارهم فيهم قبل ان يخلق الله تعالى لهم الافعال فقد يوجد الاختيار ولا يخلق الله تعالى لهم الافعال وقد يخلق الافعال ولا اختيار فيهم ولاينا في كون الاستطاعة مع الفعل فان الاختيار اذا كان سابقا صالحا للتعلق بالضدين لايكون استطاعة حتى يتعلق وتعلقه مقارن للفعل فالاستطاعة مع الفعل (لا) صادرة منهم (بالاضطرار كما تقول) الفرقة (الجبرية) من المعتزلة (فانه) اي قول الاشعري رحمه الله تعالى المذكور (جبر محض) حيث كانت افعال العباد بواسطة اختيارهم (ولكن الاختيار) الذي فيهم (من الله تعالى بالجبر والاضطرار لهم فافعالهم خلقها الله تعالى لهم بواسطة اختيارهم الذي هم مجبورون فيه فافعالهم هم مجبورون فيها واما على قول الماتريدية فانهم وان كانوا ايضا مجبورين في اختيارهم ولكن افعالهم ليست مخلوقة فيهم الله تعالى بواسطة اختيارهم حتى يكون ذلك جبرا لهم في افعالهم بل مخلوقة فيهم من الله تعالى ابتداء بلا واسطة شئ ولايصح القول بانهم مجبورون فيها لسبق خلق الاختيار فيهم من الله تعالى لها فهم في حال خلقها مختارون اذ الاختيار سابق عليها باق بتكرر الامثال لانه عرض متكرر الى وقت خلقها لا مجبورون بخلاف مذهب الاشعري فان الاختيار عنده مقارن لخلق الافعال اذ هو واسطة عنده في خلق الافعال وهو مجبور في الاختيار فيلزم ان يكون مجبورا في الافعال كذلك عنده (فنحن) عنده (مختارون في) وقت (افعالنا) لخلق الله تعالى الافعال لنا بواسطة مقارنة خلق الاختيار للافعال فينا (مضطرون) مجبورون (في اختيارنا) الذي به وجدت افعالنا فافعالنا موجودة بالجبر والاضطرار (فهذا معنى الجبر المتوسط) الذي عند الاشعري رحمه الله تعالى (فلا محيص) اي لافرار (من هذه الوسوسة) الشيطانية المذكورة فيما سبق على قول الاشعري بل هو مما يزيدها و يؤكدها اذ فيه الرجوع الى الجبر (وهو) اي قول الاشعري (مخالف لقول السلف) الذي مر ذكره لانه لاجبر ولا تفويض ولكنه امر بين امرين (اذ لا فرق بينه) اي بين قول الامام الاشعري (وبين الجبر المحض في الحقيقة) وان كان الفرق بينهما بثبوت الاختيار بين الجبر فيه والجبر في الافعال فهو اختيار بين جبرين ولنا في تخريج قول الاشعري رحمه الله تعالى كلام كثير ذكرناه في المطالب الوفية وفي رسالتنا تحريك سلسلة الوداد في مسئلة خلق افعال العباد (فاي نفع) للعبد (في وجود اختيار) له (اضطراري)

فيه فانه لا يزيل عن العبد اسم المجبور المضطر فى حقيقة الامر وان كان فى الظاهر يزيله لان الموصوف بالاختيار لا يكون موصوفا بالجبر من جهة كونه موصوفا بالاختيار وانما قد يكون موصوفا بالجبر من جهة نفس اختياره ان كان اختياره فيه بطريق الجبر كما هنا (واما قوله) يعنى الاشعرى رحمه الله تعالى فى كون الاختيار عنده بطريق الجبر من الله تعالى فى العبد انه لو كان اختيار العبد فيه باختيار ايضا (فيلزم ان يكون للاختيار اختيار فيدور) اى يرجع الاختيار الثانى الى الاول او الى اكثر من ذلك ثم يرجع الى الاول ايضا (او يتسلسل) بان يتوقف الاختيار على اختيار آخر والآخر على آخر الى ما لا نهاية له والدور والتسلسل باطلان (فنقوض) هذا القول منه (باختيار الله تعالى) للاشياء فانه اختيار وليس موجودا عن اختيار ايضا لان الله تعالى يختار الاشياء ولا يختار ان يختار حتى يلزم الدور او التسلسل (فجوابه) اى جواب ما الزمه الاشعرى من لزوم الدور او التسلسل فى اختيار العبد هو (جوابه) اى جواب ما لزم من الدور والتسلسل فى اختيار الله تعالى (وحله) اى حل الاشكال فى لزوم الدور او التسلسل فى اختيار الله تعالى (ان) الفاعل (المختار) اى المتصف بالاختيار للاشياء (ان كان) فاعلا مختارا (قصدا) اى يقصد ان يكون فاعلا مختارا (واصالة) اى بطريق الاصالة فى وصف كونه كذلك (فلا بد له) اى لذلك المختار المتصف بالاختيار (من اختيار) آخر يكون به فاعلا مختارا باختيار ان يكون كذلك وهكذا فيدور او يتسلسل (مغاير) ذلك الاختيار (له) اى لاختياره الذى كان به فاعلا مختارا (سابق) ذلك الاختيار الاول (عليه) اى على اختياره الثانى (بالضرورة) اذ لا يكون متأخرا عنه لانه فاعل مختار باختيار ان يكون كذلك فلا بد ان يكون اختياره كذلك متقدما على كونه كذلك (واما ان كان) لفاعل المختار المتصف بالاختيار متصفا بكونه فاعلا مختارا (ضمنا) اى فى ضمن كونه فاعلا مختارا لا يقصد ان يكون كذلك (وتبعا) لكونه فاعلا مختارا فان الفاعل المختار يتصف باختيار كونه فاعلا مختارا فى ضمن كونه فاعلا مختارا او تبعا له (فلا) يلزم ان يكون للاختيار اختيار فلا دور ولا تسلسل وكذلك الله تعالى فاعل مختار لكل شئ وفى ضمن ذلك موصوف باختيار كونه فاعلا مختارا لكل شئ والا لزم ان يكون مجبورا فى اختياره فيدخل اختياره تحت الجبر فلا يكون اختيارا حقيقيا وهو محال لانه يلزم منه حدوث القديم (بل يكون اختيار) الله تعالى للشئ (المقصود اختيارا) او وصفا بصفة الاختيار (لنفسه ضمنا) اى فى ضمن اختيار الشئ المقصود (والتزاما) اذ يلزم من اختياره شيئا ان يكون اتصف بكونه اختيار ان يختار ذلك الشئ والا كان مجبورا فى اتصاف كونه اختار ذلك الشئ والجبر على الله تعالى محال لعدم الجابر فى حقه سبحانه ببرهان الوحدانية (كما يشهد له) اى لما ذكر (الوجدان) اى الادراك والذوق من كل انسان قال الخيالى فى حاشية شرح العقائد الاختيار بمعنى الارادة صفة من شانها ان تتعلق بكل من الطرفين بلا داع

ومرجح فيكون الاختيار من الله تعالى لا يستلزم الجبر كما ان صدور ارادته تعالى عن ذاته بالايجاب لا ينافي كونه تعالى فاعلا مختارا بالاتفاق انتهى وفي الفتوحات المكية للشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره اقول بالحكم الارادي لكني لا اقول بالاختيار فان الخطاب بالاختيار الوارد انما ورد من حيث النظر الى الممكن معرى عن علته وسببيته وقال في الباب السابع عشر واما العلم بكونه مختارا فان الاختيار تعارضه احدية المشيئة فنسبته الى الحق اذا وصف به انما ذلك من حيث الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى * ولكن حق القول مني * وقال تعالى * افمن حقت عليه كلمة العذاب وقال ما يبدل القول لدي * وما احسن ما تمم به هذه الآية وما انا بظلام للعبيد وهنا نبه على سر القدر وبه كانت الحجة البالغة على خلقه وهذا هو الذي يليق بجناب الحق والذي يرجع الى الكون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فاشاء ولكن استدراك للتوصل فان الممكن قابل للهداية والضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم وفي نفس الامر ليس لله فيه الا امر واحد هو معلوم عند الله من جهة حال الممكن انتهى فالاختيار على هذا في حق الله تعالى معناه الارادة الجازمة باحد طرفي الممكن من غير تردد اصلا كما هو في اختيار العبد كذلك ولا يلزم من ذلك الجبر لانتفاء الاباءة قال في الفتوحات المكية الجبر لا يصح عند المحقق لكونه لا ينافي صحة الفعل للعبد فان الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الاباءة من الممكن والجماد ليس بمجبور لانه لا يتصور منه فعل دلالة عقل عادي فالممكن ليس بمجبور لانه لا يتصور منه فعل دلالة عقل محقق مع ظهور الآثار منه وقال في الباب الثالث والسبعين المجبور في اختياره لا ينبني عليه بالاختيار الامع رفع العلم عنه بالجبر في ذلك الاختيار سر الان الاختيار يناقض الجبر فيعلم الانسان عند ذلك ما هو المراد بالاختيار و يرى انه ما ثمه في الموجود الا الجبر من غير اكراه فهو مجبور غير مكره انتهى وهذا لا ينافي الاول لانه مبني على عدم اشتراط الاباءة في معنى الجبر بخلاف الاول ومعنى الاباءة مراعى ولو تقديرا فيعتبر تارة موجود افلا جبر في الممكن والواجب ولا يعتبر اخرى فالجبر في الممكن على كل حال دون الواجب لامتناع الجابر في حقه ولما لزم من كون المختار مختارا لنفسه ان يكون اختياره فيه ترجيحا بلا مرجح حيث لم يكن اختياره باختيار منه ايضا دفعه بقوله (والترجيح) في الشيء (بلا مرجح) له من غيره (جائز ابلا امتناع (عند المتكلمين) اي علماء الكلام (في) حق (الفاعل المختار) فاختياره كاف في الترجيح اذ هو من صفات ذاته فلا يحتاج الى سبق مثله (وانما الممتنع) عند المتكلمين (الترجح) اي كون الشيء راجحا بنفسه (بلا مرجح) له من غيره (فيجوز) اي يصح من غير امتناع (ان تتعلق الارادة) من الفاعل المختار (بشيء) من الاشياء و يترجح بها احد طرفي الممكن (بلا مرجح) له غير تلك الارادة ولا تحتاج الارادة الى مرجح يرجح مقتضاها على

غيره لاقتضائها ذلك الترجيح لذاتها (و) بلا (داع) من الغير يدعو الى ترجيح ذلك الشئ سوى تلك الارادة (فلا يرد) على كون المختار مريدا لما اختاره بنفسه لامرجح كما ذكر (ان تعلق الارادة) بترجيح احد طرفي الممكن (لابد له) اى لذلك التعلق (من مرجح) من الغير ثم ينقل الكلام الى ذلك المرجح (فان كان من خارج) عن ذلك التعلق (يلزم) منه (الايجاب) بان يكون ترجيحا بطريق الايجاب من موجب له غير ممكن فتنتفي الارادة والاختيار عن الفاعل المريد المختار (وان كان) المرجح (من نفس المريد) بان كان هو رجح مقتضى ارادته بنفسه (فننقل الكلام عليه) اى على كون المرجح من نفسه (انه) لايخلو اما ان يكون الترجيح (بالاختيار او بالاضطرار فيلزم) على ذلك (اما الدور او التسلسل) حيث يلزم ان يكون الاختيار مرجحا بالاختيار وهكذا الى مالانهاية له اوعائد الى الاول او يكون الاضطرار مرجحا بالاضطرار كذلك بطريق الدور اوالتسلسل وذلك محال (او) يلزم منه (الايجاب) ونفي الارادة والاختيار وجوابه ماسبق بيانه (فاذا تمهد) اى تقرر وتحرر لك ايها الانسان (هذه المقدمة) المذكورة في دفع الشيطان وحيله (فلنشرع) الآن (في) بيان (المقصود) من الامور المترددة بين الرياء والاخلاص اوالرياء والحياء (فنقول) بمعونة الله تعالى (من) جملة الامور (المترددات بين الرياء والاخلاص ان الرجل) اى الانسان فيشمل الذكر والانثى والخنثى مع امثالهما (قد يبيت مع قوم) اى رجال او اعم من ذلك (فيقومون للتهجد) اى القاء الهجود وهو الصلاة بعد النوم اخص من صلاة الليل لانها تكون قبل النوم وبعده (كل) اى في كل (الليل او بعضه) اى الليل (وهو) اى ذلك الرجل (ممن) اى من بعض الناس (لايقوم) ذلك البعض (اصلا) اى ليس عادته الصلاة بالليل عجزا اوكسلا (او) ممن (يقوم قليلا من قيامهم) اى قيام ذلك القوم بان كان عادته الصلاة في بعض الليل (فاذا رآهم) اى رأى ذلك القوم (انبعث) اى ظهر (نشاطه) بالصلاة ليلا او بكثرة ذلك (للموافقة) لذلك القوم الذين كان معهم فرآهم كذلك (حتى يزيد على معتاده) من اصل القيام ومن كثرته (وكذلك) اى مثل ذلك في التردد بين الرياء والاخلاص (قد يقع) للانسان (في موضع يصوم اهله تطوعا) اى نفلا او يكثرون من ذلك (فينبعث نشاطه) اى تحرك همته (في) موافقتهم على (الصوم) المذكور فيفعل مثلهم ولم يكن ذلك من عادته (فربما يظن انه) اى نشاطه لما ذكر من الصلاة والصوم (رياء وان الواجب) عليه (ترك الموافقة) حيث لم يكن ذلك من عادته وقد اتى به موافقة لهم (وليس) الامر (كذلك) اى كما يظن (على الاطلاق بل له تفصيل) يظهر منه الفرق بين الرياء والاخلاص ينبغي بيانه وهو قوله (فان كان نشاطه) ذلك في موافقتهم في الصلاة والصوم (لزوال الغفلة) عن قلبه اى لاجل ذلك (بمشاهدة) اى بسبب معاينة (الغير) الذي

رآهم نشطوا للتهجد والصوم (وقد اقبلوا على الله) تعالى مخلصين له الدين (واعرضوا عن النوم) بالتهجد (و) عن (الاكل) بالصيام (او) كان نشاطه (لاجل اندفاع العوائق) عنه من استجلاء الشهوات والانهماك فى المخالفات (و) لاجل اندفاع (الاشغال) الدنيوية التى فى بيته مثل تمكنه اى استراحته وتمدده (على فراش وثير) اى موطأ من وثر يثر اى اوطأ وقدوثر ككرم (اوتمكنه من التمتع بزوجته متى شاء (اوامته) اى جاريته (اوالمحادثة) اى المكالمة والمنادمة (باهله) اى معاهله (واقاربه والاشتغال باولاده) تربية وانفاقا (وحساب معاملته) مع الغير كالبيوع والمداينات (او) نشاطه (لمفارقة النوم) فاركه السهر والقلق (لاستنكاره الموضع) الذى اعتاد النوم فيه فاستوحش لمخالفة عادته (او) كان نشاطه (بسبب آخر) غير ماذكر كانشراح صدره لذلك حبا فى مساواة غيره ورغبة فى اتباع الاصحاب والاخوان (فيغتنم) لاجل ذلك (زوال النوم) عنه للقيام الى التهجد (و) اذا كان (فى منزله ربما يغلبه النوم) فلايقدر على القيام بالليل اويكسل عن ذلك و يشتغل عنه بامر آخر فى مهمات بيته (وقديعسر عليه الصوم) اذا كان (فى منزله) بين اهله (ومعه اطايب) جمع طيب بمعنى لذيذ (الاطعمة) جمع طعام وهو مايؤكل (فاذا اعوزته) اعوزه الشئ احتاج اليه (تلك الاطعمة) الطيبة التى فى منزله (لم يشق عليه) اى لايتعبه الصوم (فهذه) الامور المذكورة فى التهجد والصوم (وامثالها) فى بقية العبادات (ليست برياء) لعدم قصد غيرالله تعالى بها وان كان الداعى اليها والمنشط لها غيرالله تعالى (فعليه) اى يتعين عليه (الموافقة) للغير فى ذلك (والعمل) مثله ولايلتفت لوسواس الشيطان له ليثبطه عنه (والشيطان عند ذلك) الحال المذكور (ربما يصد) الانسان بوسواسه (عن العمل) بمقتضى ما نشط اليه (ويقول) له (لاتعمل) عند الناس (ما) اى العمل الذى (لاتعمل فى بيتك) فانك ان عملت ذلك (فتكون مرائيا) فيترك الانسان عمله لذلك فلاينبغى له ان يلتفت الى هذا الوسواس الموجب للحرمان من العمل الصالح (وان كان نشاطه) الحاصل له بمشاهدة الغير (طلب) منه بذلك (لمحمدتهم) اى محمدة الغير من الناس الذين رآهم يفعلون كذلك (اوخوفا من ذمهم) له حيث نشطوا للعبادة ولم ينشط هو لها (و) خوفا من (نسبتهم اياه الى الكسل) فى طاعة مولاه (لاسيما) اى خصوصا (اذا كانوا يظنون انه يقوم بالليل او يصوم تطوعا) لله تعالى (فلا تسمح نفسه) اى لاترضى (ان تسقط هى (من اعينهم) فيرون حالها دون احوالهم (فيريد) بذلك (ان يحفظ منزلته فى قلوبهم) ليها بوه و يعظموه بينهم (وعند ذلك قديقول) له (الشيطان) فى نفسه (صل) اوصم (فانك مخلص) فى كل ماتعمل من الطاعات (وانما كنت لاتصلى فى بيتك) ولاتصوم ولاتكثر من العبادات (لكثرة العوائق) لك عن ذلك

والشواغل الدنيوية فان ذلك رياء (فلا يجوز له ان يزيد) عند الغير (على معتاده) من ذلك اذا كان في بيته (لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس) على عبادة ربه (اودفع ذمهم) عنه بذلك (و) دفع (سقوط منزلته عندهم بطاعة لله) تعالى (لانه) اى هذا الصنع منه (رياء) في عبادة الله تعالى (محظور) اى ممنوع منه شرعا (والعلامة الفارقة بينهما) اى بين الرياء وعدمه في العمل (ان يعرض) الانسان (على نفسه انها) اى نفسه (لورات هؤلاء) الذين تبعتهم في عملهم (يصلون و يصومون من حيث لا يرونه) بان كان يراهم هو (من وراء حجاب) بينه و بينهم (هل كانت تسخو) اى تسمح نفسه (بالصلاة والصوم) فان كان تسخو بذلك (فاخلاص) عمله لا رياء فيه فحينئذ (يوافقهم) اى الجماعة الذين رآهم يفعلون ذلك فيعمل مثلهم ولا يبالي (او) كانت نفسه (لا تسخو) بشيء من ذلك (و يثقل) عليها العمل (لعدم اطلاعهم) اى تلك الجماعة (عليها فرياء) عمله و حينئذ (لا يزيد) من العمل (على المعتاد) الذي كان يفعله في منزله لانه يزيد رياء لا اخلاصا والرياء معصية يجب تركها (ومن ذلك) المذكور الذي فيه تفصيل فتارة يكون اخلاصا وتارة يكون رياء بالقصد والنية (الاستغفار) بان يقول بلسانه استغفر الله ونحو ذلك (والاستعاذة) نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم و كذلك قوله الحمد لله رب العالمين وسبحان الله والله اكبر الى غير ذلك من الاذكار (عند الناس) بحيث يسمعونه (فقد يكون) قال ذلك (لخاطر خوف) من الله تعالى خطر في نفسه (و) لاجل (تذكر ذنب) فعله (و) لاجل (تندم عليه) اى على ذلك الذنب وهذا طاعة لانه توبة واقلاع ورجوع (وقد يكون) ذلك القول منه (للمراءات) اى بقصد ان يراه الغير مستغفرا او مستعيذا و نحو ذلك فيكون معصية يجب اجتنابها (فراقب) يا ايها الانسان (قلبك) اى احرسه واحفظه (وميز بينهما) اى بين الرياء والاخلاص (بالعلامة السابقة) المذكورة (و امثالها) من علامات اخرى غير ذلك ربما كشفت لك وعرفك الله تعالى بها في نفسك مثل كونك لو ذموك على ذلك العمل بقيت عليه اولو علمت عدم رضائهم به فعلته و نحو ذلك (فان كان) عملك (لله) اى لاجل الله تعالى (فامضه) اى افعله (والا) اى وان لم يكن لله بان كان لغير الله (فاحذر) منه ولا تفعله فانك ان فعلته فعلت معصية لا طاعة كالصلاة بلا طهارة فانها معصية والاخلاص للعبادات كالطهارة للصلاة اجماعا كما قال تعالى * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * الاية (ومن ذلك) المذكور ايضا (اظهار الطاعة) للناس ليروها (فان الباعث عليه) اى على الاظهار (قد يكون قصد الاقتداء) به اذا رأوه هامته (فيكون) اظهارها بقصد ان يروها منه فيقتدون به (افضل) عند الله تعالى (من الاخفاء) لها (حق) يعني روى البيهقي باسناده (عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل السر)

اى العمل الذى يعمله الانسان من طاعة الله تعالى سرا (افضل) اى اكثر ثوابا عند الله تعالى (من عمل العلانية) اى من العمل الذى يعمله علانية اى ظاهرا بحيث يراه الناس حيث لانية له زائدة على قصد مجرد العمل لله تعالى فان السر ابعد من الرياء واقطع لتشوق المحمدة من الناس واقوى للنفس على الاخلاص وانفى للعجب والسمعة اذ ربما ينسأ فلا يبقى فى باله فيكون ممن رفع عمله الى حضرة ربه فلا يرى نفسه الا مقصرة مذنبة والاعلان بالعمل ضد ذلك فربما يبقى عمله نصب عينه لعدم رفعه حيث يضرب به وجهه كالمسئ فى صلاته على ماورد فى الحديث فتفتخر نفسه به وتتكبر على غيرها ويترتب على ذلك مفاسد كثيرة (و) عمل (العلانية) بحيث يراه الناس (افضل) عند الله تعالى من عمل السر بحيث لايراه احد (لمن اراد الاقتداء) اى ان يقتدى به غيره فيكون اظهار العمل الصالح حينئذ اكثر ثوابا من اخفائه لان فيه النفع المتعدى الى الغير وهو اقتداء الغير به فله ثوابه وثواب من عمل به الى يوم القيامة وفى هذا الحديث اشارة الى ان ماورد فى الحديث الآخر من ان من سن سنة حسنة فله ثواب من عمل بها الى يوم القيامة زيادة على ثواب عمله هو بها وكذلك فى السنة السيئة عليه وزر من عمل بها زيادة على وزره هو محله اذا كان فى وقت عملها مريدا الاقتداء به فى ذلك والا فله ثواب عمله فقط وعليه وزره فقط كما بحثناه فيما سبق (وهذا) اى كون عمل العلانية افضل لمريد الاقتداء به (لايكون الا فى) حق الانسان (المقتدى به) بصيغة اسم المفعول كالفقيه والمحدث والواعظ وكذلك العامى المعروف بين العامة بحفظ المسائل من العلماء ونحو ذلك واما غير المقتدى به من العامة فعمل السر فى حقه افضل (وقد يكون الباعث) للانسان على اظهار الطاعة قصد (الرياء) اى ليراه الناس فيمدحونه على ذلك فيكون الاخفاء متعينا على كل حال (ولابليس) اللعين (تلبيس) اى تخليط على الانسان (فى كلا الجانبين) اى جانب الاخلاص وجانب الرياء بحيث لايكاد يتميز كال التميز احدهما من الآخر (فعليك) اى الزم (التيقظ) وهو ضد الغفلة (فان اشتبه عليك) الامر اى دخل فى اشتباهه فلم يتبين لك انك مخلص او مرائى (فعليك) اى الزم (الاخفاء) للاعمال الصالحة (فانه لاضرر) عليك (فيه) اى فى الاخفاء (البتة) اى قطعا من غير شبهة بخلاف الاظهار فانه يحتمل ان يكون فيه ضرر بقصد الرياء وقد التبس عليك (الا ان يكون الاظهار) فى العمل الصالح (واجبا) عليك (اوسنة مثل) الصلاة مع (الجماعة) فى الصلوات الخمس وكذلك الجمعة والعيدين والاذان والاقامة والامامة ونحو ذلك وفى شرح الوصية اليوسفية للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال كان الشيخ ابو مدين رضى الله عنه يقول لاصحابه اظهروا خرق العادات لعلة الطاعات منكم واشهروها كان العصاة فى هذا الزمان يتظاهرون بالمخالفات فاجعلوا كلمة الله هى

العليا ولا تطفئوا نور الله بالاخفاء اغير الله تدعون ان كنتم صادقين وكان رضي الله عنه لا يقرأ عليه كتابان كتاب الرياء وكتاب السماع فكان يقول في كتاب الرياء انه يولد الرياء والتدقيق فيه يحكمه في قلب العامل ولا عامل الا الله فان الله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون فبماذا ترائي والعمل ليس لك وكذلك اظهروا في العامة وتحدثوا بما يعطيكم الله تعالى من الكرامات في بواطنكم وظواهركم تكونون في ذلك ممن اطاع امر الله تعالى فان ذلك من اكرم النعم على العبد والله يقول الحق واما بنعمة ربك فحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر فكما تحدث العامة بنقيض ذلك فخالفوهم ونبهوهم ان جميع ما يتقلبون فيه انما هو من الله تعالى نعم وان كانت رزايا فهي طريق الى الاجور التي تحصل لهم فهي طريق الى النعم محققة وان كانت غير رزايا فهي نعم معجلة ينبغي الشكر عليها فان الله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم فعلى كل حال اظهار الدين اعلى من اخفائه فاشرع الله الصلاة في مساجد الجماعات والنداء في الصوامع والحج وامر بالاهلال فيه كل ذلك الا ليظهر دين الله تعالى وتعلو كلمة الله تعالى وحسن هذه الافعال كلها اذا فعلتها لامرين الواحد لامر الله تعالى لك بتحسين اعمالك والثاني ليقتدي بك من يراك ممن لا يعلم او يتنبه الغافل الذي يعلم وتتذكر ولكن في عبادتك في السر والعلن على السواء وهذه الطريقة طريقة الاكابر (ومن ذلك) الامر المذكور ايضا (التحديث) بين الناس (بما فعله من الطاعات بعد الفراغ) منها فانه يحتمل الاخلاص ويحتمل الرياء (وحكمه) اي التحديث (حكم اظهار نفسه) اي نفس ما فعله من الطاعات في انه ان قصد الاقتداء به فيه كان افضل من ترك التحديث وان قصد طلب المحمدة عند الناس والثناء عليه كان معصية (الا انه) اي التحديث (اذا تطرق) اي توصل (اليه الرياء) بان تحدث بقصد الرياء (لم يؤثر) ذلك الرياء (في افساد العبادة الماضية) التي تحدث بها (بل يكون تحديثه معصية جديدة) تجددت بعد مضي الطاعة على الاخلاص فيأثم بها وقال المحاسبي في رعايته حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى الناس راى الله به ومن سمع الناس سمع الله به وروى ابن عباس وجندب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك انتهى وهو يقتضي انه لا فرق بين الرياء والسمعة فكما ان الرياء عمل لغير الله تعالى مفسد فكذلك السمعة مفسدة للعمل السابق ولكن ربما يقال بان الرياء قارن العمل فافسده والسمعة بعد تمام العمل فلا تفسده لمضيه على الصحة وكذلك العجب بالعمل معصية جديدة ايضا وان قارنت العمل فلا تفسده وسيأتي العجب في محله ان شاء الله تعالى (وبالجملة الاخفاء في العبادات التي لا يلزم اظهارها) اي لا يضطر المؤمن الى اظهارها في الشرع (افضل) اي اكثر فضيلة عند الله تعالى (من الاظهار) لبعد ذلك عن المفاسد المترتبة على الاظهار (الا عند التيقن) بلا شك منه (بقصد التعليم) اي ارادة الانسان بذلك الاظهار تعليم الغير كيفية العبادة (و) قصد (الاقتداء به) اي المتابعة له في تلك العبادة (فالاظهار)

لتلك العبادة بحيث يراها الغير منه (حينئذ افضل) من اخفائها (وقس) يا ايها الانسان (على هذه) المسائل (امثالها) من العبادات المتردة بالقصد بين الاخلاص والرياء (ومن) جملة (مكائد الشيطان) اللعين للانسان (ان الرجل قد يكون له ورد) بكسر الواو اسم للجزء من القرآن ثم اطلق عند العلماء على كل جزء من ذكر الله تعالى او الصلاة او القرآن او العلم ونحو ذلك لانه يرد به على القلب ما يرد من الفيض ولا رتواء القلب به من عطش الغفلة عن الله تعالى (معين) عنده من تلقين شيخ او تعليم عالم (كصلاة الضحى) كل يوم (و) صلاة (التهجد) كل ليلة (فيقع) ذلك الرجل (فى) جملة (قوم) من الناس (لا يفعلونهما) اى صلاة الضحى والتهجد (فيتركهما) اى الصلاتين (خوفا) على نفسه (من) دخول (الرياء) عليهما (فهذا) الفعل (غلط) منه (ومتابعة للشيطان) حيث يريد ان يقطعه عن عبادة الله تعالى (اذ) اى لان (مداومته) على ورده المعين (السابقة) منه قبل ان يدخل فى القوم (دليل على) وجود (الاخلاص) منه فى ذلك الورد (فمجرد وقوع خاطر الرياء فى القلب) حالة اجتماعه بالقوم (بلا اختيار) منه لذلك (و) لا (قبول) له (ليس بضار) له شيئا (ولا فيه) نوع (رياء ولا) هو بأمر (مخل بالاخلاص) الذى له فى العمل وحده (فترك العمل) بين القوم الذين يرونه (لاجله) اى لاجل ما ذكر (موافقة للشيطان) فى ان ذلك رياء (وتحصيل لغرضه) اى الشيطان فان غرضه قطع العبد عن عبادة الرب (نعم) الواجب (عليه) اى على ذلك الانسان (ان لا يزيد) بين القوم (على عمله المعتاد) له وهو فى منزله وحده (ان لم يجد) من القوم (باعثا) على الزيادة (دينيا) اى من جهة الدين كزيادة عملهم على عمله المعتاد فاراد مجالستهم او فى ذلك تنشيط لهم الى العمل الصالح اذا كان لهم فتور عنه (وقد يتركهما) اى صلاة الضحى والتهجد (لا خوفا من) وقوعه فى (الرياء بل خوفا) من (ان ينسب) بين الناس (الى الرياء و) خوف ان (يقال) عنه (انه مرائى) اى صاحب رياء (وهذا) الصنع منه (عين الرياء) اذ تركه ذلك من اجل الناس لا من اجل الله تعالى (لانه ترك) صلاة الضحى والتهجد (خوفا من سقوط منزلته عندهم) اى القوم الذين يرونه (وفيه) اى فى هذا القصد منه (ايضا) زيادة على المراآة بالترك لاجلهم (سوء الظن) منه (بالمسلمين) من اهل القبلة وسوء الظن معصية كما سيأتى فى محله (وقد يوقع الشيطان) بالوسوسة (فى قلبه) اى قلب الانسان (ان تركه) اى العمل (لاجل صيانتهم) اى القوم الذين يرونه وحفظهم (عن معصية الغيبة) منهم له على ذلك العمل انه ما فعله الا رياء لاجلهم (لا للفرار) اى الهروب (عن ذمهم) له (وسقوط منزلته عندهم وهذا) القصد منه (ايضا سوء الظن بهم) اى بذلك القوم وسوء الظن حرام (و) ايضا (صيانة الغير عن فعل (المعصية انما تحسن) من الانسان (فى ترك) الامور (المباحات) التى هو مخير

فيها بين الفعل والترك فلا ثواب فيها ولا عقاب (لا) ترك (المستحبات) التي يثاب بفعلها ولا يكره تركها (والسنن) التي يثاب بفعلها ويكره تركها فان صيانة الغير عن المعصية بتركها اى بترك السنن لا يحسن شرعا من المكلف لفوات الثواب في حقه وارتكاب المكروه والغير مكلف بردع نفسه عن الغيبة والدخول فيما لا يعلمه ويحرم عليه الظن والتجسس عن عورة غيره وكل واحد مكلف بما حكم الله تعالى به عليه لا بما حكم به على غيره (ومن هذا القبيل) اى من جملة هذه المسائل المجانسة والقبيل في الاصل اسم الجماعة من الثلاثة فصاعدا من قرى شتى وربما كانوا من اب واحد كذا في مختصر القاموس (ترك) الانسان (السواك) في الوضوء وغيره من المواضع المطلوب فيهما شرعا (و) ترك (لبس الطيلسان) بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب كذا في الصحاح وهو رداء يوضع على الرأس ويرسل من الاطراف (و) ترك (المشي حافيا) كما هو صنيع السلف رضي الله عنهم (و) ترك (ركوب الحمار) الوارد في فعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين (ونحوها) من امور السلف المأثورة عنهم وكان تركه لشيء من ذلك (صيانة) لالسنة الناس (عن) وقوعهم في (الغيبة) في حقه لعلمه منهم انهم يحملون ذلك منه على المرآة وانه فعل ذلك من اجلهم فيغتابونه من اجل ذلك فيتركه حفظا عليهم من غيبتهم فلا يحسن منه ذلك لان فيه الالتفات الى الناس في حال عبادة ربه (وفيه ترك السنة) المأثورة من السواك والطيلسان وركوب الحمار وغيرها (و) فيه (سوء الظن) منه بالمسلمين انهم يغتابونه في ذلك (وعدم الندامة على ترك السنة بل استحسانه) اى الترك (وعدها) اى السنة (عيبا) منه في ذلك الوقت (ونقصانا) في دينه محافظة على دين غيره (وهذه الاشياء) المذكورة من المفاسد المترتبة على صيانة الغير عن الغيبة (تكفي زجر) الانسان (العاقل) عن الصيانة المذكورة (مع ان الاغلب) على الانسان بحسب المعروف من العادة البشرية (ان تركه) اى ترك ما ذكر (ناش من) لحوق (ارياء) له خصوصا النفوس الغافلة عن شهود الله تعالى القاصرة عن معرفته سبحانه فان ما عندها الا المعاصي في صور الطاعات وهي لا تشعر بذلك لعدم البصيرة الصحيحة (وقوله) اى التارك المذكور بانه ترك خوفا على الناس من الوقوع في حقه بالغيبة (كذب) منه (ونفاق) اى ابطان خلاف ما اظهره في حق الناس (فنعوذ بالله) تعالى (منها) اى من هذه الاشياء المذكورة (وقد يتردد) الامر الواحد (بين الثلاث الرياء والاخلاص والحياء) وفي رعاية المحاسبي قد اكثر الناس في الحياء فكل مداهن ومرائي يدعي الحياء والصادق يدعي الحياء والحياء كله خير قال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال ان الله عز وجل يحب الحي الحليم فالحياء خلق من الطبيعة الكريمة يخص الله عز وجل بها من يشاء من خلقه تنفع العاصي والمطيع اما المطيع فهو زائل عن كل خلق دني

واما لفاسق فلم يجمع مع فسقه فسوقا وتهتكا فالحياء عن غريزة كريمة فعندها يجد العدو والدعاء الى الرياء فان اطاعه العبد اعتقد الرياء واعتل بالحياء وصدق قد اهاجه اولا الحياء ثم خطر العدو بالرياء فقبله فكان مرائيا اذا انتقل من الحياء الى الرياء وقد يهيجه ان يريد الله عزوجل فيضم الى الحياء الاخلاص لله عزوجل فان فعله للحياء اوتركه لغير ذكر اخلاص ولارياء ولا كان يكون ذلك فهو خير لقول النبي صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله ولقوله صلى الله عليه وسلم لا يأتي الا بخير وانه شعبة من الايمان مالم يكن شيئا ولى به فيه الحياء من الله عزوجل بالحياء من كل خلق دنى في دين اودنيا ومثاله (كرجل يطلب منه صديقه قرضا) اى مالا يستقرضه منه (و) ذلك الرجل (لايسخوا) اى لاتسمح نفسه (باقراضه) شيئا (الا انه يستحيي من رده) اى من التصريح له بانه لايقرضه مراعاة لصداقته (ويعلم) ذلك الرجل (انه لوارسله) اى ذلك المستقرض (على لسان غيره) من الناس ليقرضه (لايستحيي) منه ذلك الغير (ولايقرض ذلك الرجل) معطوف على لايسخو (رياء) اى على وجه الرياء (ولايطلب) باقراضه (الثواب) من الله تعالى ايضا حتى يكون على وجه الاخلاص (فله) اى هو مخير (عند ذلك) بين ثلاثة اشياء اما (ان يشافه) صديقه (بالرد الصريح) ويقول له لااقرضك (فينسب) عند صديقه وعند الناس (الى قلة الحياء اويتعلل) في عدم اقراضه (بكذب) بان يقول له ليس معي مال ونحوه (او) بنوع (تعريض) بان يقول ليس في يدي شئ ويقصد حقيقة اليد لاالملك اوليس عندي مال ويقصد من النوع الفلاني (فيأثم) بالكذب لانه حرام (او يسيء) اى لايحسن في معاملته مع صديقه حيث احتال عليه بالتعاريض في الكذب (الا ان توجد حاجة) اى يلجئه الامر (الى التعريض) بالكذب لعله بعض صديقه اوبطمعه في ماله وعدم وفائه حقه ونحو ذلك (فيباح) التعريض له بالكذب حينئذ (اويعطي) معطوف على ان يشافه اى يقرض صديقه ماطلبه منه (لمجرد الحياء) اى لايحمله على القرض الا الحياء منه فقط بلارياء ولااخلاص (او) يعطي له القرض (لهيجان خاطر الرياء) في قلبه وذلك بان يقول في نفسه (انه) اى صديقك (ينبغي ان يعطي) بالبناء للمفعول القرض (حتى يثني عليك) بين الناس (ويحمدك) عندهم (وينشر اسمك) بينهم (بالسخاء) اى الكرم والسماحة (اوحتى لايذمك) صديقك على ترك اقراضه (وينسبك الى البخل) وسوء المعاملة معه (او) يعطي (لهيجان باعث الاخلاص) في القلب يعني طلب الثواب من الله تعالى (و) ذلك الباعث (هو ان الصدقة) اذا كانت منه انما تكون (بواحدة) اي بقطعة واحدة مثلا من الفضة (والقرض) يكون (بثمانية عشر) درهما مثلا (ففيه) اى في القرض (اجر) اى ثواب عند الله تعالى (عظيم) حيث انتفع منه المستقرض بما هو اكثر من انتفاعه بما قل من الصدقة فان النفوس في الغالب

تسمح بثمانية عشر قرضا ولا تسمح بدرهم صدقة فثواب القرض اكثر من ثواب الصدقة لقضاء حاجة اخيه (و) فيه ايضا (ادخال سرور) عظيم (على قلب صديق) مضطر الى ذلك (وقد يجتمع هذه) الاشياء (الثلاثة) الرياء والاخلاص والحياء في غير مسئلة القرض ايضا (او) يجتمع (اثنان) من الاشياء الثلاثة كالرياء والاخلاص اوالرياء والحياء اوالاخلاص والحياء (وحكم التساوى) عنده بين الاشياء الثلاثة اذا اجتمعت في امر واحد في انه مخير بين ان يأتي بواحد منها فيكون اختار مقتضاه من الاثم اوغيره (و) حكم (الطرفين) اى الشيئين من الاشياء الثلاثة اذا اجتمعا في امر واحد (قد بينا) في مسئلة القرض المذكورة (ومن ذلك) اى مما اجتمعت فيه الاشياء الثلاثة ايضا (ترك) المكلف (الذنوب الحالية) اى المنسوبة الى حاله هو في نفسه احترازا عن الذنوب المتعلقة بغيره كالغيبة والنميمة والظلم ونحو ذلك لانها قد تكون لغرض التقرب الى غيره من الناس اوخوفا منه فيتصور فيها اكثر مما ذكر وقد يراد بالحالية الذنوب التي في الحال لا الماضية والمستقبلة فان ترك ذلك كناية عن الندم والعزم على عدم العود (فانه) اى ترك الذنوب المتعلقة بحاله هو فقط كترك شرب الخمر وترك تناول الحرام المبذول له ونحو ذلك اوالذنوب التي في الحال (قد يكون) ذلك الترك (لله) تعالى اى لاجله سبحانه فيكون على وجه الاخلاص (وعلامته) اى الترك لله تعالى (تركها) اى الذنوب المذكورة (في) وقت (الخلوة) اى الانفراد بنفسه عن الناس (ايضا) كالترك بين الناس (وقد يكون) ذلك الترك (للحياء) اى الانقباض (من الناس) اذا رأوه فاعلا لتلك الذنوب (وقد يكون) ذلك الترك (لئلا يقتدى به) اى يتابعه (غيره) من الناس في فعل تلك الذنوب (فيعظم اثمه) عند الله تعالى بسبب ذلك لان من فعل معصية فاقتدى به غيره فعليه اثمه و اثم من فعل تلك المعصية الى يوم القيامة كما سبق بيانه (ولئلا يصغر في عينه) اى عين غيره من الناس (فلا يقتدى) ذلك الغير (به ولا يقبل) ذلك الغير (قوله) الذي يقوله في العلم والنصيحة والوعظ (فيحرم) بالبناء للمفعول اى يحرمه الله تعالى بسبب ذلك (عن ثواب الاصلاح) للناس الوارد فيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت اخرجه السيوطي في الجامع الصغير من رواية الطبراني عن ابي رافع (وقد يكون لئلا يقصد) بالبناء للمفعول اى يقصده الناس (بشر) وهو ضد الخير يعني لئلا يؤذوه بسبب رؤيتهم ذلك منه (اولئلا يذم) اى يسبه ويشتمه (الناس فيعصون) الله تعالى بسبب ذلك (وعلامته) اى علامة كراهة ذمهم له (ان يكره ذمهم) اى الناس (لغيره) اذا سمعه منهم (ايضا) اى كما يكره ذمهم له (اولئلا يتأذى) اى يتضرر (طبعه بذم الناس) له فربما يتكلم فيهم من الذم ما لا يريد ان يتكلمه (فان فيه) اى في تأذي طبعه بذلك (الشعور) من نفسه (بالنقصان) فيها

وذلك يؤدى الى اطالة اللسان فى حق الغير (وتألم القلب بالذم) من النـاس له (ليس بحرام) عليه (وانما يحرم) عليه تألم القلب بالذم (اذا دعاه) اى اوصله (الى ما لا يجوز) له قوله ولافعله من اذية الغير قال المحاسبى فى الرعاية ينبغى للمسلم ان يكره ذم المسلمين له وقد يكرهه عـلى وجوه فيكره ذمهم خشية ان يكون ذلك دليلا عـلى ذم الله عزوجل له لقول النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم انتم شهودا لله فى الارض هذا مالم يعتدوا ويظلموا فى ذمهم ويكذبوا ولكراهة ان يغروا قلبـه فيشغلوه عن ربه عزوجل او يجئ منه اليهم ما لا يحل له فيعصى الله عزوجل فيهم بقلبه او بجوارحه واشفاقا عليهم ان يعصوا الله عزوجل فيه والذى هو اقل ذلك وهو مباح ان يكره ان يغتم بما يسمع ويشق عليه لانه مخالف للطبع فلا يكاد ان يمتنع ان يهيج الغم بسمعه مايكره من القول فيه فليس عليـه فى ذلك جناح ان يكره مايشق عليه فيما يهيج من فعل طبعه وان لا يحب ان يغتم وان ذموه فاغتم لما هاج من الطبع فلا بأس به مالم يكن انما يكره الذم او يغتم له جزعا ان يزول عنه الحمد بالطاعة ومحبـة ان يثنوا عليه بالورع ويبروه على الورع و يأكل بدينه فلا يحب ان يقولوا عليه غير ذلك فيزول عنه الثناء بعمله والبر على طاعته فاذا كان ذلك فقد نقص فى دينه لانه وان لم يرائى فى طـاعة الله عزوجل فى ذلك ولم يجزع من ذلك ان لا يتم له الثناء على طاعة الله عزوجل وسلم من ذلك وشغله مع السلامة من الرياء غم ذمهم اذا كا وا صـادقين فيه عن الغم لله فقد نقص وغبن بل ما يرضى كثير من النـاس بالغم بزوال الثناء بالدين حتى يبتدئ اعمالا اخر لم يكن يعملهـا يزيل ذلك الذم عنه والخروج الى الاعتذار بالكذب والتصنع جزعا من زوال الثناء والمؤمن لا يطلب بطـاعة الله عزوجل حمدا من المخلوقين ولا يكتسب ذمهم ولا يحبه لان فيه شغل عقله ومحنة له لعله ان يخرج الى ما لا يحل له ويكره عصيان المسلمين فيه بالطاعة يريد الله عزوجل بها ولا يريد بها العباد وذم العباد لا يحبه ولا يكتسبه ولا يطلبه ويحبه ان لا يعصوا الله عزوجل فيه ولا يشغلوه عن ربه عزوجل وان يسلم فى دينه ويسلم عليهم (نعم كمال الصدق) من العبد (فى ان يزول) اى يبعد (عن رؤية الخلق) بحيث لا ينظر اليهم اصـلا (فيستوى عنده ذامه) منهم (ومادحه) فلا يبغض ذمهم ولا يحب مدحهم (لعلمه) يقينا (ان الضار) له ولغيره (و) كذلك (النافع) فى الدنيا والآخرة (هو الله تعالى) وحده لا شريك له (و) لعلمه (ان العباد كلهم عاجزون) من انفسهم عن الضر والنفع فى كل حال (وذلك) اى كمال الصدق المذكور (قليل) وجوده فى الناس (جدا) بحيث هو فى البعض النادر من الناس وفى الرعاية للمحاسبى رحمه الله تعالى قال ومعنى حتى يكون حامده وذامه فى الحق سواء ان يستوى حامده وذامه لنفسه للاخلاص والصدق لله عز وجل والزهد فى حمد من لا يضره ولا ينفعه لان الخلق كلهم عبيد لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم اولى ان لا يملكوا له ضرا

ولا نفعا فزهد فى حمدهم ولم يبال بذمهم واستوى ذلك عنده لنفسه اذ الامر فى المنفعة والمضرة واحد وذمهم لا يوجب ضررا وحمدهم لا يوجب منفعة كما يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل وهو شاعر بنى تميم يارسول الله ان حمدى زين وان ذمى شين قال كذبت ذلك الله عز وجل فلما استيقن المؤمن وعلم وصدق ان الله عز وجل اله واحد وكل ما سواه مألوه مربوب مدبر مصنوع لا يقدر ان يحدث فى ملك مولاه مالا يريد ولا يكون الا ما اراد خلع من قلبه رجاء من لا يملك له ضرا ولا نفعا وخوفه واستوى عنده حمد المخلوقين وذمهم اذا كانوا بهذه المنزلة ولم يستو عنده حمد الخالق وذمه اذ الملك له كله والمنفعة والمضرة من تدبيره وصنعه فما حمده عليه الهه من الفعل امل فيه الثواب فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة وذلك اعظم المنفعة وما ذمه عليه الهه من الفعل عظم عليه وخاف عقابه فى الدنيا والآخرة اذ لا مالك لهما غير مولاه والهه الجليل وما حمده الخلق اوذموه يستوى عنده اذ لا ملك لهم فى المنفعة ولا فى المضرة فى الدنيا ولا فى الآخرة مما لم يرد مولاه ولم يشأ (او) يترك الذنوب المذكورة (لئلا يشغل قلبه الفارغ) من السوء (بذمهم) اى الناس له اذا راوه فاعلا للذنوب واذا اشتغل قلبه بذمهم (فلا يتفرغ لبعض العبادات) من صلاة وصوم ونحوهما ويبقى قلبه مشغولا بالذم حينئذ وهو لا يريد ذلك فيترك الذنوب لاجل هذا (فان بعض الناس) ممن استلذ بعبادة الله سبحانه وتعالى (قد نفعل بعض الذنوب) احيانا (ولا يترك بعض الطاعات) اى لا يسهل عنده ترك ذلك (وان كان) بعض الطاعات (نفلا) غير فرض ولا واجب فكيف لا يترك الذنوب اذا كان ذلك الترك لا يشغل قلبه عن بعض الطاعات بذم الناس له على فعل الذنوب (وقد يكون) ترك الذنوب (لئلا تظهر) منه (المعصية) للناس (فتضعف) عنه ويستخفون بها فيكثر منهم ارتكابها (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا) يعنى قال فيه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بلا واسطة (كل امتى) يعنى امة الاجابة وهم المؤمنون به صلى الله عليه وسلم (معافى) بصيغة اسم المفعول اى ذلك الكل عافاهم الله تعالى من البلاء النازل والعذاب العاجل (الا المجاهرين) منهم بالمعاصى والمخالفات فان الله تعالى مبتليهم بالبلاء والعذاب والمحن والفتن (او) يترك الذنوب (لئلا يهتك) اى يكشف (ستر الله) تعالى بعدم احترامه سبحانه فان المعظم اذا خولف فى امره ونهيه سهلت مخالفته وزال احترامه من القلوب (فيخاف ان يهتك) الله تعالى (ستره) بين عباده (فى) الدنيا وفى (يوم القيامة) يعنى روى مسلم فى صحيحه باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ماستر الله) تعالى (على عبد فى الدنيا) يعنى معصيته ولم يصرح بها لارادة العموم فيهما وفى كل عيب (الا ستر) الله تعالى (عليه فى الآخرة) ذلك الذنب وذلك العيب الذى ستره عليه فى الدنيا

ومفهومه انه اذا فضحه فى الدنيا فضحه فى الآخرة وفضيحة الزانى فى الدنيا اذا اقيم عليه الحد بحضور جماعة من المسلمين كما قال تعالى * وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * فضيحة فى الآخرة ايضا ولكن بالتوبة والتطهير اذ الفضيحة لم تقع الا بذلك فى الدنيا لا بالجبائة والتعيير ولا يلزم من ستر المعصية فى الآخرة انتفاء العذاب عليها فمن ستره الله تعالى فى الدنيا وكان يزنى او يشرب الخمر او يسرق خفية بستره فى الآخرة كذلك فيعذبه خفية ان شاء سبحانه وتعالى ومن هتكه فى الدنيا بهتكه فى الآخرة ايضا فيعذبه على رؤس الاشهاد بمقتضى مفهوم النقيض من هذا الحديث (وقد يكون) ترك العبد للذنوب (ليرى الناس) اى يحملهم على رؤية (انه ورع) اى متصف بالورع وهو اجتناب المشتبهات من الامور فضلا عن المحرمات وانه (خائف من الله) تعالى (وليس) هو فى نفس الامر (كذلك) بل لا ورع عنده ولا خوف له من الله تعالى ولكن له طمع وخوف من الناس (فهذا) الوجه من القصد (رياء محظور) اى ممنوع منه شرعا محرم عليه يأثم به (وجميع) ما قبله كله (من تلك الوجوه المذكورة امر (جائز وليس برياء) ولا بمحظور (وحكم) الرياء (الممتزج) بالاخلاص فى مسئلة ترك الذنوب ان استويا او غلب الرياء او غلب الاخلاص (معلوم مما سبق) من الكلام فى اوائل مبحث الرياء (وستر) العبد لما فعله من (الذنوب الماضية) عن الناس لئلا يعلوا بها (وعدم ذكرها) للغير لو ذكرها فى نفسه مخرج (على هذه الوجوه) المذكورة فقد يكون لله تعالى من قبيل قول الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدس الله سره قرأت ليلة قل اعوذ برب الناس فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك افعالك السيئة وينسيك الطاعة الحسنة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذرك هذا الباب فقد اخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد واهل الطاعة والسداد وقد يكون للحياء من الناس وقد يكون لئلا يقتدى به غيره فيعظم اثمه الى آخر ما تقدم من الوجوه وقد يكون رياء وقد يكون ممتزجا (ومن) امثلة الامر (المتردد بين الرياء) بقصد مدحة الناس له (والحياء) من الناس بان احتمل واحدا منهما (ان يمشى رجل) بين الناس (على) حالة (العجلة) اى الاستعجال (فيرى واحدا من الكبراء) جمع كبير وهو ذو الجاه والعز والمنصب فى الدنيا (فيعود) من عجلته فى المشى (الى الهدو) اى السكون فيه والطمانينة (او يضحك) رجل بين الناس فيرى واحدا من الكبراء (فيرجع الى الانقباض) ويترك الضحك فى الحال (والاغلب) من الحالين (فيهما) اى فى هاتين المسئلتين (الرياء) للناس دون الحياء منهم (لان الحياء فى الاكثر) انما يكون (من) فعل (القبائح والذنوب وهو) اى الحياء (فيهما) اى فى مسئلة سرعة المشى والضحك (محمود ولو) كان الحياء (من الناس) لا من الله تعالى فان الحياء خير كله (وسيجئ) بيان ذلك فى بحث الوقاحة والحياء ان شاء الله تعالى (واما الحياء من) فعل الامور

(المندوبات) اى المستحبات (والسنن والواجبات فذموم) فى الشرع (جدا) اى ذما قويا لانه استحياء من الحق والله لا يستحيي من الحق وانما يكون الاستحياء من الباطل (ويسمى) ذلك الحياء (عجزا) ينافى القدرة (وضعفا) ينافى القوة (وخوارا) بفتح الخاء المعجمة والواو لينا وتقصيرا فى الشدة والاقدام على الامور العظام (كمن يستحيي) اى يدركه الحياء (من الوعظ) لغيره اى الترغيب فى الطاعات والترهيب من المخالفات (و) من (الامر) للغير بالمعروف (والنهى) للغير (عن المنكر) من (الامامة و) من (الاذان ونحوها) كقراءة القرآن وتعلم العلم والذكر والتسبيح (فالقوى) فى امر دينه (يؤثر) اى يقدم (الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس) فلا يترك لاجل الحياء من الناس شيئا من الطاعات المذكورة وغيرها قال المحاسبي فى الرعاية قد يترك التعلم لما يحتاج اليه ولا يسئل عنه كراهة ان يسأل عن امر فيقال هذا لا يحسن مثل هذا فيدع الحق ان يطلبه والحرام ان يسأل عنه وهو يعلم انه محتاج اليه ثم توهمه نفسه ان ذلك منه حياء وانما هو منه رياء ولو كان حياء كان من الله عز وجل احق ان يستحيي زعم انه يستحيي من الناس ان يطلب الحق فيعلموا بذلك فيفطنوا لجهله ولا يستحيي من الله وقد علم ان الله يعلم انه يدع الحق ان يتعلمه ويطلبه وهذه الاخلاق كلها تتشعب من الكبر والعجب وغيره وقد تهيج عن الرياء كما روى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تطلبوا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجروا ابصار الناس اليكم وقال كعب يأتى على الناس زمان يتغايرون فيه على العلم كما يتغاير فيه على النساء فذلك حظهم

﴿ المبحث السابع ﴾

آخر ابحاث بالرياء السبعة (فى علاج) اى معالجة ومداواة (الرياء) ليزول عن العبد الذى ابتلاه الله به (وذلك) العلاج (يتوقف على معرفة اسبابه) اى اسباب الرياء جمع سبب وهو ما يوصل الى الرياء (و) معرفة (غوائله) اى آفاته ومفاسده ومضراته (ومعرفة اسباب ضده) اى ضد الرياء وهو الاخلاص (و) معرفة (فوائده) اى فوائد ذلك الضد فاسبابه اوائله وغوائله اواخره وكذلك اسباب الاخلاص اوائله وفوائده اواخره ولا علاج الا بعد معرفة اوائل الداء واواخره واوائل العافية واواخرها فاضطر الامر فى المعالجة الى معرفة ذلك كله (اما اسباب الرياء فقد عرف مما) اى من الكلام الذى (سبق) فى المبحث الثالث وبيان ذلك (انها) اى اسباب الرياء (حب الجاه) اى العز والرفعة (و) حب (المنزلة) اى المرتبة العالية (فى قلوب الناس حتى يمدحونه) بما فعله وما لم يفعله من الخير (ولا يذمونه) على ما يفعله من السوء (اما) ذلك المدح وترك الذم (لذاته) اى لاجل ذات ما ذكر لكونه يحب مدح نفسه وترك ذمها (او للتوصل) اى التوصل (به) اى بذلك المدح وترك الذم (الى غيره) اى غير ذلك من الحظوظ النفسانية والمراتب الدنيوية (والطمع) معطوف على حب الجاه (فى ما فى ايدى الناس)

من الاموال والاملاك اي يرجو ان يحصل له شئ منهـا (و) كذلك (الفرار) اي الهروب والتباعد (عن الم الذم) الذي يدركه من كلام الناس (و) الم (الجهل) الذي يقاسيه في عدم معرفته بالعلوم النافعة (واما غوائله) اي الرياء (فقد قال الله تعالى)* فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا (ولايشرك بعبادة ربه احدا) فقد سمى الله تعـالى الرياء شركا والمرائي اشرك في عبـادة ربه مافصده من تلك الامور النفسـانية (يعلى) يعني روى ابو يعلى باسناده (عن ابن مسعود رضي الله عنه انه) اي النبي (صلى الله عليه وسلم قال من احسن) اي اتقن (الصلاة) المفروضة او النافلة (حيث يراه الناس) اي فيما بين النـاس وهم يرونه (واساءها) اي لم يتقنها ولم يكمل اركانها وسننها ومستحباتهـا (حين يخلو) بنفسه في مكان ليس فيه احد (فتلك) الحالة منه (استهانة) اي اذلال وتحقير (استهان بها ربه تبارك وتعالى) حيث لم يعتبره سبحانه فلم يتقن عبادته بحيث لايراه غيره تعالى واعتبر الناس فاتقن العبـادة بحيث يرونه وهو رياء محض مالم يكن انما اتقنهـا بين الناس بقصد تعليم كيفية الاتقـان للغير مع قصد وجه الله في ذلك و كان فارغا عن الاشغـال في المكان الذي يراه الناس فيتفرغ للاتقان واذا كان في مكان خلوته اشتغل بنوع آخر من العبـادة كالعلم ونحوه او الكد على عائلته (حد) يعني روى الامام احمـد بن حنبل باسنـاده (عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف) اي اكثر خوفا مضافا لي (ما) اي خوفي الذي (اخاف عليكم الشرك) بالله تعالى (الاصغر) بالنسبة الى الشرك الاكبر الذي هو عبادة الاوثان ونحوه (قالوا) يعني الصحـابة الحاضرين عنده عليه السلام (وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء) اي اداء العبادة لغير وجه الله تعالى بقصد ان يراه غيره فيحمده على ذلك (يقـول الله عز وجل) في يوم القيامة للمرائين (اذا جزى الناس) اي ادى الجزاء اليهم (باعمالهم اذهبوا) ايها المراؤن (الى) الناس (الذين كنتم تراؤن) اي تعملون عبـادتي بحيث يرونكم (في الدنيـا فانظروا هل تجدون عنـد هم جزاء) لكم على اعمـالكم لاجلهم ومعلوم انهم لايقدرون على جزائهم كما قال تعالى * يوم لايغني مولى عن مولى شيئا يوم لاتملك نفس لنفس شيئـا والامر يومئذ لله * ففي هذا الصنع كمال التبري منهم والتوبيخ لهم والتقريع عليهم (دنيا) يعني روى ابن ابي الدنيا باسناده (عن جبلة اليحصبي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المرائي) اي الذي يعمل العبادات ليراه الناس فيحمدونه على ذلك (ينادى) بالبناء للمفعول اي يناديه الله تعالى وملك من الملائكة او يناديه المخلص في عمله (يوم القيامة) على رؤس الاشهاد بين الخلائق (يافاجر) من الفجور وهو الامعان في المعـاصي وفجر فسق و كذب وكذب وخالف كذا في مختصر القاموس (ياغادر) من الغدر ضد الوفاء (ياكافر) من الكفر ضد الايمان او الكفران ضد الشكر

(ياخاسر) من الخسران وهو ضد الربح خسر كفرح وضرب خسرا وخسرانا (ضل) اى ضاع وذهب (عملك) الذى عملته فى الدنيا وقصدت به غير وجه الله تعالى (وحبط) اى بطل (اجرك) الذى ترجوه على عملك من الله تعالى (اذهب فخذ اجرك) على عملك (ممن كنت) فى الدنيا (تعمل) عبادة الله تعالى (له) اى لاجله من الناس رغبة فى مدحهم وحبا فى ثنائهم عليك (ز) يعنى روى البزاز باسناده (عن الضحاك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا خير شريك) يعنى اكثر خيرا من شريك اشرك معى عبدى فى ملكى (فمن اشرك) اى جعل بزعمه ودعواه الباطلة اذ فى الحقيقة لاشريك له سبحانه (معى) فى تدبير شئ ما (شريكا) فاعتقد انه يؤثر فى نفع او ضر (فهو) اى ذلك المشرك منسوب يوم القيامة (لشريكى) على انه الهه يعبده من دون الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من حكاية قول الله تعالى (يا ايها الناس) اى المكلفون بامر الله تعالى ونهيه (اخلصوا اعمالكم) اى اجعلوها خالصة لوجه الله تعالى ولا تعملوها لاجل غيره سبحانه (فان الله تعالى لا يقبل من الاعمال) التى يعملها العبد (الا ما خلص له) سبحانه وتعالى اى عمل لاجله تعالى بلا قصد مخلوق اصلا (ولا تقولوا هذا) اى فعل الصدقة على الاقارب او الصلة لهم بنحو تحية وسلام وهدية وكلام (لله) تعالى اى تقربا اليه سبحانه (وللرحم) اى القرابة ايضا (فانها) اى تلك الصدقة والصلة انما هى (للرحم) فقط (وليس لله) تعالى (منها شئ) اذ وقع الشركة فيها بين ارادة وجه الله تعالى وارادة صلة الرحم لاجل المخلوق فلا اخلاص فى ذلك لله تعالى (ولا تقولوا هذا الفعل الجميل من الطاعة) لله تعالى (ولوجوهكم) وجه القوم كبيرهم والمعنى لمراعاة خواطر بعضكم (فانها) اى الطاعة التى اتيتم بها (لوجوهكم) اى لاجل اكابركم (وليس لله) تعالى (فيها) اى فى تلك الطاعة (شئ) لشركة غيره معه سبحانه فيها وفى رعاية للامام المحاسبى رحمه الله تعالى قال الرياء على وجهين احدهما اعظم واشد والآخر هو اهون وايسر وكلاهما رياء فاما الوجه الذى هو اشد الرياء واعظمه فارادة العبد العباد بطاعة الله لا يريد الله بذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ان لا تعمل بطاعة الله تريد الناس وكما قال فى الثلاثة الذين قال الله عز وجل لهم انما اردتم ان يقال وهم المقتولون فى سبيل الله والقارئ للقرآن والمتصدق بماله فقال انهم ارادوا العباد ولم يذكر انهم ارادوا الله عز وجل مع ارادتهم لخلقه وذلك عند الله عظيم وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الثلاثة وخط على فخذ ابى هريرة وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيمة فذلك اعظم الرياء عند الله عز وجل وروى شداد بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف

على امتي الرياء وروى عنه ايضا انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال امر تخوفته على امتي الشرك اما نهم لايعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن باعمالهم فكان اخوف ما خاف عليهم صلى الله عليه وسلم الرياء واما الوجه الآخر الذي هو ادناه وايسره فارادة العباد بطاعة الله عزوجل وارادة ثواب الله يجتمع في القلب الارادتان ارادة المخلوقين وارادة ثواب الخالق فهو ادنى الرياء وهو الشرك بالارادة في العمل لان الاول اراد الناس ولم يرد الله عز وجل وهذا اراد الله عزوجل والناس بعمله فاشرك في عمله بطلب محمدة الناس وطلب حمد الله عزوجل وكذلك روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريئ وهو للذى اشركه وقال طاووس ومكحول ومجاهد وعبد الكريم بن ابى المخارق ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يحب ان يتصدق ويحب ان يؤجر ويحمد وقال بعضهم الرجل يقاتل ليؤجر ويحمد فلم يرد عليه صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا * فانزلها الله عز وجل جوابا لقول السائل اذا سأل عمن اراد الله واراد حمد المخلوقين وروى القاسم بن مخيمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايقبل الله عزوجل عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء وقال عمر رضى الله عنه لمعاذ بن جبل ورآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر سمعته يقول ان ادنى الرياء شرك وحديث يروى ان ايسر الرياء شرك وقال ابن ابى مغيث او غيره سعيد بن المسيب قال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يؤجر ويحمد فقال له ابن المسيب اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عز وجل عملا فاخلصه وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله عزوجل ومحمدة المؤمنين قال لا شيئ لك حتى سأله ثلاث مرات كل ذلك يقول له لا شيئ لك ثم قال له في الثالثة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك فيه معي شريكا تركت نصيبي لشريكي وذكر الله عزوجل قول من رضى عنه من المؤمنين لا نريد منكم جزاء ولاشكورا فنفوا عن قلوبهم ان يريدوا الله عزوجل وخلقه وقال الضحاك لا يقول احدكم هذا لله ولوجهك ولايقول هذا لله وللرحم فان الله عز وجل لاشريك له وضرب عمر رضى الله عنه رجلا بالدرة ثم قال له اقتص قال لابل ادعها لله ولك فقال عمر ماصنعت شيئا اما ان تدعها لى فاعرف ذلك واما ان تدعها لله وحده فقال تركتها لله وحده قال فنعم اذا فدلت هذه الآثار على ان اعظم الرياء ارادة العباد بطاعة الله وان ادناه ارادة المخلوقين وارادة

ثواب الله عز وجل فتعالى الله عما يشركون (والآيات) القرآنية (والاحاديث) النبوية (فى ذم الرياء) بنوعيه الاعلى والادنى (كثيرة جدا لاحاجة) لنا (الى ذكرها جميعا) اى جميعها فالتنوين عوض عن المضاف اليه (ههنا) اى فى هذا الكتاب (وفيما ذكرنا) فى هذا المحل من ذلك (كفاية) اى مايكفى (للمسلم العاقل) المقبل على آخرته واصلاح حاله (بل العقل) بمجرده (يهتدى) اى يتوصل (اليه) اى الى ذم الرياء تأكيدا للذم الوارد فى الشرع وتأييداله (بقليل التفات) اى نظر وتأمل منه فى ذم الرياء (اذ) اى لان (معنى الرياء) فى الشرع (جعل) العبد المكلف (عبادة الله) تعالى الواجبة عليه اوالمندوبة له فعلا وتركا (الموضوعة) شرعا (لتعظيمه) اى الله تعالى (والتقرب اليه) سبحانه (وسيلة) مفعول الجعل اى موصلة (الى غيرهما) اى غير التعظيم والتقرب من الاغراض النفسانية والحظوظ الشهوانية (وفيه) اى فى ذلك الجعل المذكور (قلب الموضوع) فى الشرع لعبادة الله تعالى (وعكس المشروع) اى المبين فى ملة الاسلام (وتلبيس) اى تغطية وايهام على الغير (باعلام الناس انه يقصد بالعبادة) التى يفعلها (تعظيم الله) تعالى (والقربة اليه) سبحانه (مع انه) فى حقيقة الامر (ليس) حاله (كذلك بل) انما (يقصد بها) اى بعبادة الله تعالى (التقرب اليهم) اى الى الناس (والتحبب لهم) اى ليحبوه ويعظموه ولينال منهم غرضه من الدنيا والجاه والرياسة (فلو) ان الناس (علموا نيته) اى قصده من عبادة الله تعالى (لمقتوه) اى ابغضوه ونفروا منه (وهجروه) وربما علموا بذلك فى زماننا هذا فى بعض الاشخاص ممن يواظب على العبادة والطاعة بقصدهم ويمقتونه ويهجرونه. اوالبعض منهم ولايعلم السبب فى ذلك ونحن نجد الآن فى بلاد نادمشق الشام بان الرجل الصالح الولى يقدم علينا وهو ظاهر الصلاح حسن السيرة والسريرة فربما يخرج للقائه غالب الناس ممن يعتقد الصالحين والاولياء ويعظمونه و يتبركون به ويقبلون عليه ويهدون اليه الهدايا العظيمة و يحتفلون به فى مدة قليلة او كثيرة فيرى نفسه على خلاف ماكان عليه من قبل ذلك اذ غالب القادمين لم يكونوا من اهل النعم ولاممن تبسط فى المعيشة فيعجبه اقبال الناس عليه واحتفالهم به فيركن الى ذلك ويميل قلبه فيفسد عليه حاله الذى كان فيه ويتبدل حسن نيته وقصده بضد ذلك فتتركه الناس ويعرضون عنه ازوينهم اياه بخلاف حالته الاولى وعلى التقيض من صلاح قلبه اما باحساس يلقيه الله تعالى فى قلوبهم اوبرؤية بعض العلامات فى الظاهر فربما يغضب على الناس ويقول اهل هذه البلاد لاحقيقة عندهم ولاتمام مودة فيهم ولايحفظون العهد لاحد وربما قال ذلك غيره لمارآه من اعراضهم عنه بعد اقبالهم الكثير عليه وليس الامر كذلك وانما لو راجع ذلك الرجل نفسه وانصف لوجد قلبه تغير فغير الله تعالى عليه قلوب الناس وهذه محنة شديدة للقادمين على بلادنا من الصالحين وفتنة كبيرة لهم وكم رأينا من صالح فسد حاله

فى اقل من قليل بالسبب المذكور ومن ذلك ماهوواقع الآن من علماء زماننا انهم يتعلمون العلم الظاهر ويبالغون فى ادراك ابحاثه وتحقيق مسائله وتحصيل كتبه ثم يسافرون الى بلاد السلطان يقصدون بذلك تحصيل الوظائف واخذ المدارس وربما يعاكس الله تعالى عليهم الامور فلا يوصلهم الى اغراضهم من ذلك فيذمون حاشية السلطان ويقدحون فى ولاة الامور ويقولون عنهم انهم لا يحبون العلماء ولا يعظمون الصلحاء ويقولون لا يروج فى هذا الزمان الا الدرهم والدينار وان العلم غير معتبر والدين محتقروهم فى حقيقة الامر انما طردوهم ولم يعتبروهم لسوء ما جاؤا به من قصد غير وجه الله تعالى بعلومهم التى هى من اشرف العبادات واكمل الطاعات وربما صرحوا بذلك فقالوا انا ما تغربنا وتركنا اوطاننا وسافرنا الى بلاد الغير الا لقصد اخذ الوظيفة الفلانية والمدرسة الفلانية بعلمنا ونحن العلماء والمحققون ولم يعتبرونا ولا التفتوا الينا وحرمونا من قصدنا ومرادنا ونحن لاى شئ تعلمنا العلم فالتجارة اولى بنا حينئذ وجزى الله تعالى كل خير لمن كان سببا لحرمان امثال هؤلاء العلماء صورة الفسقة حقيقة الذين جعلوا علومهم مصيدة للحكام وشبكة لاقتناص الحلال والحرام ولا اثاب الله تعالى من سعى لهم فى اعطاء وظيفة اوتولية اومدرسة وسلطهم على اضلال الامة بتعليم الناس علوم القال والقيل من غير عمل ولانية صالحة وتعليم الناس بحالهم وافعالهم الغرور والتكبر والحسد والبغض والحقد والتعصب وتأسيس الغفلة فى قلوب العوام وتأكيدها وازالة الخشوع من القلوب ورؤية الغير حقيرا ذليلا بسبب ماهم فيه من الخيل المسومة والبيوت المزخرفة والخدم والحشم وهذا فى زماننا كثير فى كل بلاد وربما تعودت طلبتهم وتلامذتهم السير على سيرهم ليصلوا الى ما وصلوا اليه فتسلسل فسادهم فى الجيل بعد الجيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (والله) سبحانه وتعالى (عالم بها) اى بنيتهم وقصدهم (فهو) سبحانه (بالمقت) اى البغض والغضب لذلك المرائى (اولى) من مقت الناس العالمين بذلك باعلام الله تعالى لهم ببعض العلامات وان كان الذى ينبغى للناس حمل مثل هؤلاء على المحامل الحسنة وعدم مقتهم ولكن لما كثر منهم هم عدم حمل الناس الا على السوء وعدم التأويل لفهم سوء من قول احد وفعله سلط الله تعالى عليهم الناس يعاملونهم بجنس ماهم فيه مما يعاملون الناس به والامر كله لله (وفيه) اى فى الجعل المذكور الذى هو معنى الرياء (استهانة) اى تحقير واذلال وازدراء (بالله) تعالى حيث لم يجدوا الله تعالى اهلا لاخلاص العبادة له سبحانه دون قصد غيره بها فكانما غيره بيده نفع اوضر زعم ايمانهم بان النافع الضار هو الله تعالى وحده (العياذ بالله تعالى منها) اى من تلك الاستهانة المذكورة (واقل ما فى الرياء) من القبائح (انه صورة تلبيس) وتزوير على الناس (وعبادة لغير الله) تعالى بمنزلة الشرك معه سبحانه فى الالوهية (فهذا) المعنى المذكور (كاف فى التحريم) اى لو لم يكن فى الرياء غيره لكان يكفى

فى ثبوت حرمة الرياء فان التلبيس من المؤمن على غيره قبيح جدا وناهيك بقبح الشرك بالله تعالى وخباثته شرعا وعقلا (فلذا حرم) اى الرياء (كله) اى بجميع انواعه (وان تفاوت آحاده) اى وقع الفرق بين اقسامه (فى غلظة التحريم وخفته) اى التحريم على ماسبق فى المبحث الخامس فى بيان احكام الرياء (فغائلة الرياء) اى مفسدته وضرره (استحقاق العذاب الاليم) اى الموجع فى الآخرة من الله تعالى ولم يقطع بالعذاب وانما قال استحقاقه لاحتمال العفو عنه فان اصحاب الكبائر عذابهم غير مقطوع بوقوعه عند اهل السنة وانما هم مرجون الى امر الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ماعدا الكفر كما قال تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وقد سبق هذا فى فصل الاعتقاد (وابطال العمل) فى الدنيا (اونقص اجره) اى ثوابه على ماتقدم بيانه فى المبحث الخامس (واما سبب الاخلاص لذى هو ضد الرياء) اى المعنى الموصل الى حصوله (فالايمان بالله تعالى انه هو الخالق الرازق المحيى المميت النافع الضار وحده لاشريك له (ووجوبه) اى الايمان اوالاخلاص فان اعتقاد الوجوب سبب حصول الاخلاص حيث انه لامحيص للمكلف عنه فى كل عمل (وتوقف قبول كل عمل عليه) اى على الاخلاص عند الله تعالى لانه التقوى القلبية كما قال الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين (واما فوائده) اى الاخلاص فمنها موافقة كيفية امر الله تعالى له فى جميع العبادات (فقد قال الله تعالى وماامروا) اى المكلفون من بنى آدم (الاليعبدوا الله) فى جميع انواع عباداتهم التى كلفوا بها فى الشرع (مخلصين) فى تلك العبادات (له) سبحانه وتعالى وحده لالغيره (الدين) اى الانقياد والامتثال بان يكون انقيادهم له تعالى وامتثالهم لامره ونهيه من اجله سبحانه وتعالى لامن اجله ومن اجل غيره اومن اجل غيره فقط وان كان نفس العبادة له تعالى لالغيره ومنها ان الانقياد الخالص والامتثال المقصود منه وجه الله تعالى لاغير فى كل عبادة فعلية اوتركية كالصلاة وترك شرب الخمر لايكون الالله تعالى وحده دون غيره كما قال تعالى (الالله) اى لالغيره (الدين) اى الانقياد فى كل طاعة (الخالص) من شائبة قصد الغير ومنها حصول رضوان الله تعالى (حب حك) يعنى روى ابن حبان والحاكم باسنادهما (عن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الدنيا) اى مات (على الاخلاص) فى جميع اعماله الظاهرة والباطنة (لله) تعالى (وحده لاشريك له واقام الصلاة) اى اتى بها مستقيمة بجميع كمالاتها (وآتى الزكاة) على وجه الاخلاص فى ذلك كله وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر دون الصوم والحج وغيرهما من العبادات مع دخول ذلك فى مقتضى ذكر الاخلاص اذ لااخلاص الافى عمل اهتماما بالصلاة المتكررة فى كل يوم وليلة وبالزكاة التى هى مالية محضة فتشق على النفوس اكثر من الحج اذ يمكن فى الحج قضاء غرض نفسانى كالتجارة والنزهة فيخف على النفس

دون الزكاة فانها ثقيلة وان فسر الاخلاص بالايمان اقتضى نفي شركة الغير في العبادات ايضا (فارقها) اى الدنيا يعنى مات (والله تعالى عنه راض) ومن رضي الله عنه عفى عنه وادخله الجنة (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال حين بعث) بالبناء للمفعول اى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم حاكما (الى) بلاد (اليمن يارسول الله اوصنى) اى اذكر لي وصية احفظها عنك واعمل بها (قال) له النبي صلى الله عليه وسلم (اخلص دينك) اى انقيادك وامتثالك لاوامر الله تعالى ونواهيه فلا تعمل عملا الا لوجه الله تعالى لا لغيره (يكفيك) في حصول الزلفى لديه سبحانه ورفع درجتك عنده (العمل القليل) ولا تحتاج مع ذلك الاخلاص الى كثرة عمل (هق) يعنى روى البيهقي باسناده (عن ثوبان) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طوبى) بالضم فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك بالياء وطوبى اسم شجرة في الجنة كذا في الصحاح وفي الاتقان للاسيوطي اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال طوبى اسم الجنة بالحبشية واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية (للمخلصين) في طاعة الله تعالى (اولئك مصابيح) جمع مصباح وهو شعلة القنديل (الهدى) ضد الضلال وهم العلماء العاملون بعلومهم يهدون الامة باقوالهم وافعالهم الى رضوان الله تعالى وغير المخلصين بخلاف ذلك فهم دعاة الضلال يوصلون الامة باقوالهم وافعالهم الى غضب الله تعالى وسخطه لعدم عملهم بعلمهم فتراهم يعلمون الحق ولا يعملونه به ويعلمون الحرام و يفعلونه ويدعون الناس الى الاقتداء بهم والى اتباع آرائهم المستخلصة من عصارات الافكار الدنسة بمخالفة امر الله تعالى ونهيه فهم الائمة الضالون المضلون قالوا بل كل الوبال على من وافقهم ولو في امر مشروع فانهم لا يفعلونه على وجهه المشروع لعدم الاخلاص والكمال كل الكمال لمن وافق العلماء العاملين المخلصين فانهم انوار الله تعالى في ارضه لنفع خلقه (بتجلى) اى ينكشف (عنهم كل فتنة) اى محنة وبلية (ظلماء) اى مظلمة فكلما اظلمت ليالي الفتن و المحن في الناس اشرقت انوارهم وتلألأت شموسهم واقمارهم حفظوا الله تعالى في الرخاء فحفظهم في الشدة وكانوا له مراقبين على كل حال فالعناية الالهية تحفهم وتشملهم وغيرهم ممن لم يعمل بعلمه من علماء القيل والقال تستهوى بهم الفتن وتوقعهم في الشكوك والاوهام و تستولى عليهم المحن والبلايا فلا تتسع لها صدورهم فيبقون في الهموم والغموم والتسخط على الله تعالى والغضب من الله تعالى عليهم والمكالبة على الدنيا والتحاسد فيها والتباغض والغرور والغفلة وكل خلق سوء فهم اضر الناس على الامة (طب) يعنى روى الطبراني باسناده (عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا) في حقيقتها

قولان للمتكلمين احدهما ماعلى الارض مع الهواء والجو والثانى كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووى هو الاظهر ذكره العينى فى شرح البخارى ولعل المراد بالدنيا هنا جوف فلك القمر فقط مع العناصر الاربعة الارض والماء والهواء والنار بقرينة قوله بعده مافيها (ملعونة) اى مطرودة عن مشابهة الله تعالى وكذلك كل شئ لقوله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فتدخل الآخرة كذلك ولكن لما كانت الآخرة غير ساترة لوجه الله تعالى الذى كل شئ هالك الاوجهه لم تكن ملعونة والدنيا سترت وجه الحق تعالى بها وبما فيهما فهى ملعونة هى وما فيها ثم قال عليه السلام (ملعون مافيها) اى مما على وجه الارض وفى الماء والهواء والنار من المواليد لعدم مشابهة شئ منها لله تعالى فهى مبعودة عنه تعالى لستر هاله وايقاع القاصرين فى الشرك مع الله تعالى والتشبيه له والتجسيم والحكم عليه سبحانه بما هو حكم عليهما من نسبة المكان والزمان والجهات والصور والكيفيات كل ذلك صدر من طرف الدنيا فى حق اهل الغفلة عنه سبحانه وتعالى فكيف لاتكون الدنيا ملعونة ملعون مافيها ومالقى الناس فى الكفر والشرك والضلال والزيغ والمعاصى والمخالفات والبدع الاالدنيا ومافيها مما تولد منها (الاما) اى الشئ الذى (ابتغى) بالبناء للمفعول اى طلب وقصد (به) اى بسببه او بمصاحبته (وجه الله) تعالى القديم الذى قال سبحانه كل شئ هالك الاوجهه فان كل شئ طلب به وقصد تحقيق معرفة الوجه الالهى فانه وان كان من جملة الدنيا ولكنه غير ملعون لعدم ايصاله الى شئ من المفاسد المذكورة وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه شرح الوصية اليوسفية واعلم ان الدنيا نعمت مطية المؤمن العارف عليها يبلغ الخير كله وبها ينجو من الشر كله وهى من جملة مااختبر الله تعالى بها عباده المدعين فمن تعشق بوجه الحق منها فيه وقبلها على حد ما أعلمناه فقد فاز فوزا عظيما مافازبه خاصة اهل الله ومن تعشق بها من غير رؤية ذلك الوجه خيف عليه ان يترك معها وكذلك الكون كله اذا عرض عليك الدنيا والآخرة ومحموده ومذمومه فما من صورة تظهر فى العالم محسوسة او متخيله بالخيالين المتصل والمنفصل او معلومة الاولها روح هو حياة تلك الصورة وذلك الروح هو المعبر عنه بوجه الحق منها وليس الغرض الا العلم بذلك الوجه دنيا وآخرة وحسا وعلما وخيالا وقال الكلاباذى فى شرح الآثار عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاما كان منها لله عزوجل يجوز ان يكون معنى الدنيا فى هذا الحديث ملاذ النفوس وشهواتها وجمع حطامها وزهرتها وماذكر الله عزوجل فى قوله * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث * وحب البقاء فيها فتكون هذه الاشياء هى الملعونة اذكانت للنفوس وشهواتها ولذة الطبع

﴿ والتلهى ﴾

والتلهي بهـا والشغل فيها والحب لهـا ولم تكن لله تعالى ولا فيـه لان الدنيا في الحقيقة هي الحياة الاولى التي يليهـا الموت والفناء والآخرة هي الحياة البـاقية التي ليس لها زوال ولا فناء فيجوز ان يكون معنى قوله الدنيـا ملعونة اي متروكة مرفوضة وما فيها اي ما في الحياة الاولى من هـذه الشهوات والملاذ والحطـام وما ذكر في الحديث معلون اي متروك يجب تركها ورفضها والاعراض عنها فان الله تعالى على هذا حث واليه ندب وفيه رغب وعنها زهد فقال * انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء * وقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو وقال فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقال ليبلوكم ايكم احسن عملا * روى عن ابن عباس ايكم احسن للدنيا تركا وعنهـا اعراضا الا ما كان منها الله وهو ما كان عدة للطـاعة لله وعونا على اقامة ما امر الله به ويجوز ان يكون معـنى متروكة اي هي متروكة الانبيـاء والاوليـاء والا فاضل من الناس فانهم تركوها ورفضوها واعرضوا عنهـا فقد قال النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم ان لهم الدنيا ولنـا الآخرة وما انا والدنيا وما مثلي ومثل الدنيـا الا مثل راكب نزل تحت شجرة ثم سار وتركها (هق حك) يعني روى البيهقي والحاكم باسنادهما (عن ابي ذر) الغفاري (رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم قال قد افلح) اي اصاب الفلاح وهو الفوز والنجاة والبقاء في الخير (من اخلص قلبه) اي فرغه عن كل ما في الدنيا والآخرة (للايمان) بالله تعالى اي التصديق به والاذعان والانقيـاد اليه بالكلية (وجعل قلبه) بالتكلف اولا حتى يزول التكلف ويبقى ذلك سهلا عليه (سليمـا) من الحسد والحقد والبغض والغرور والغفـلة والامن من الله تعالى واليأس من رحمته وظن السوء به او باحد من الناس (و) جعل (لسانه صادقا) فلا يحدث بكذب اصلا (و) جعل (نفسه مطمئنة) اي ساكنة غير مضطرب بوعد الله تعالى ويجزيل ثوابه من غير شك عندها ولا تردد في حكم من احكام الله تعالى اصلا (و) جعل (خليقته) اي طبيعته وعادته (مستقيمة) على صراط الله المستقيم من غير اعوجاج ولا ميل مع الهوى اصلا (و) جعل (اذنه مستمعة) للقول الحق من كل من قاله كائنا من كان كما روى عن علي رضي الله عنه انه كان يقول انا نعرف الرجال بالحق لا نعرف الحق بالرجال ومن كلام بعضهم اسمع لما قال ولا تسمع لمن قال (و) جعل (عينه ناظرة) الى آيات الله تعـالى التي في الآفاق وفي الانفس لا تنظر الا نظر الاعتبار في كل شئ (فاما الاذن فقمع) بكسر القـاف وفتح الميم وهو الذي يصب فيه الدهن ويجوز فيه كسر القاف وسكون الميم ذكره الفارابي في ديوان الادب وقال ابن فارس في المجمل القمع معروف يقال قمع وقمع وفي الحديث ويل لاقماع القول وهم الذي يستمعون القول ولا يعون فتكون آذانهم كالاقماع التي لا يبقى فيها شئ انتهى فمعنى كون الاذن قمعا انها فارغة تقبل ان تعي كل شئ يلقى اليهـا من الغير من شر

اوخبر (والعين مقرة) اى معترفة مصرحة (عما يوعى القلب) اى يحفظ و يجمع من الخير والشر (وقد افلح) اى فاز بالسعادة الابدية والدولة السرمدية (من جعل قلبه واعيا) اى حافظا مراقبا لجناب الحق تعالى (ففائدة الاخلاص) المستفادة من هذه الاخبار امور (رضاء الله تعالى) عن العبد المخلص (وقبول العمل) منه (والنجاة) من كل هول (والفلاح) اى الفوز (يوم القيامة) وكذلك الحماية من الشيطان فى الدنيا كما قال تعالى حاكيا عنه *لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين* وغير ذلك من الفوائد العظيمة والنتائج الجسيمة (فاذا تمهد) اى تقرر وتحرر لك (هذا) الكلام فى بيان اسباب الرياء وغوائله واسباب ضده الذى هو الاخلاص وفوائده (فعلاج) اى مداواة مرض (الرياء) يكون (على ضربين) اى قسمين القسم الاول (قطع عروقه) اى الرياء كناية عن ازالة اطرافه وجوانبه (واستيصال) اى استقصاء (اصوله) بالقطع بحيث لايبقى له اصل ولافرع بالكلية (وذلك) القطع والاستيصال يكون (بازالة اسبابه) اى الرياء المذكورة فيما تقدم (وتحصيل ضده) وهو الاخلاص (واصل اسبابه) ى اسباب الرياء المتقدم ذكرها (حب الدنيا) فان من احب شيئا سعى فى اسباب تحصيله فاذا وجد عمل العبادة من جملة اسباب تحصيله توصل بذلك الى تحصيله (و) حب (اللذة) اى الشهوة (العاجلة) بحيث يستملكه الميل اليها فلا يجد له محيصا عن التوجه الى اسباب تحصيلها (وترجيحها) اى الدنيا (على الآخرة) من جهة انها حاضرة والآخرة غائبة والنفس مشغوفة بحب العاجل (وهذا) الصنيع من العبد المكلف (غاية الحماقة) اى قلة العقل (ونهاية البلادة) اى العته وعدم النشاط (فان الدنيا كدرة) من الكدر ضد الصفا وذلك لما هو ممزوج فيها من الخير والشر والنفع والضر والالم واللذة والفرح والحزن والعز والذل والموت والحياة الى غير ذلك مما يعترى الخلق ولايبقى فكل واحد من هذه المتقابلات يكدر صفوا الآخر حتى يزيله و يرفعه ثم يزول هو بضده من اول حياة العبد الى مماته سواء كان العبد ملكا اوغيره غنيا اوفقيرا كبيرا اوصغيرا (سريعة الزوال) اى الانقضاء والاضمحلال فليس فيها شئ يبقى اصلا (والآخرة صافية) فاهل الجنة فى نعيم فقط لايكدرهم شئ ولايمتزج عليهم حالهم بضده واهل النار فى عذاب دائم لايشوبه نعيم اصلا فلامزج عليهم ايضا (باقية) لازوال لنعيمها ولالعذابها (والخلق) المكلفون وغيرهم (كلهم عاجزون) عن التأثير فى كل شئ (لايقدرون على) التأثير فى (شئ) اصلا وان كانت افعالهم الاختيارية منسوبة اليهم شرعا فهى كنسبة اعضائهم اليهم (ولايملكون) لانفسهم ولالغيرهم (نفعا ولاضرا) بل النافع الضار هو الله تعالى وحده بهم وبغيرهم لهم ولغيرهم (فعليك ايها العاقل) اى الواجب عليك (ان تقنع) اى تكتفى (بعلم الله) تعالى (عبادتك) اى اطلاعه عليها (وتطلب) نفع ذلك

(علم غيره) تعالى بهـا من سائر المخلوقين فانه لافائدة لذلك فان المخلوق لاينفع ولايضر والله تعالى هوالنافع الضار والعاقل لايطلب الاعلم النافع الضار واطلاعه عليه دون علم العـاجز الحقير الذى لاقدرةله على نفع ولاضر فان اطلاعه لايجدى شيئا قال الله تعالى (اليس الله بكاف عبده) ايجادا وامدادا ولايحسن بالمولى ايكال عبده الى غيره مالم يتكل العبد بنفسه فيكون مغضبـا لمولاه متعرضا لطرده وهو العبد الآبق عن باب مولاه (و) عليك ايها العاقل ايضا (ان تذكر وتكرر على قلبك) بتأمل وتفهم (غوائل الرياء) اى آفاته ومفاسده (وفوائد الاخلاص المذكورتين) اى الغوائل والفوائد (والعـلاج) اى المداواة للرياء (العملى) اى المنسوب الى العمل فى مقـابلة ماذكر من العلاج القلبى بمجـاهدة النفس فى استحضـار المعانى المذكورة (اخفاء العمل) بحيث لايراه احد (واغلاق الباب) كباب خلوته او بيته حتى يقطع عن مخالطة الناس بالكلية فلايمكن احدا التوصل الى الاجتماع به (الامالزم اظهاره) كالصلاة مع الجمـاعة وحضور الجمعة والعيدين والحج ونحوذلك (والضرب) اى القسم (الثانى) من علاج الرياء (دفع مايخطر) فى باله (من الرياء فى الحال) قبل ان يشيع الخاطر فى النفس فيصعب عليه رفعه باستحكامه (ودفع مايعرض منه) اى من خاطر الرياء (فى اثناء العبادة) كالصلاة ونحوها (فعليك) ايها العاقل (فى اول كل عبادة) اى طـاعة لله تعالى امتثالا كانت اواجتنابا (ان تفتش قلبك) لتكون فى تلك العبادة على حالة حسنة (وتخرج عنه) اى عن قلبك (خواطر الرياء) بالكلية (وتقرره) اى القلب بمعنى تثبته من القرار وهو الثبـات (على الاخلاص) لله تعالى فى تلك العبادة (وتعزم عليه) اى على الاخلاص من غير تردد منك فيه من اول تلك العبادة (الى ان تتم) اى تفرغ تلك العبادة وفى كتاب الاشباه والنظـائر قال ومن الغريب مافى المجتبى ولابد من نية العبادة وهى التذلل والخضوع على ابلغ الوجـوه ونية الطـاعة وهى فعل ماارادالله تعالى منه ونية القربة وهى طلب الثواب بالمشقة فى فعلهـا وينوى انه يفعلهـا مصلحةله فى دينه بان تكون اقرب الى ماوجب عنده من الفعل واداء الامانة وابعد عما حرم عليه من الظلم وكفران النعمة ثم هذه النيات من اول الصلاة الى آخرها خصوصا عند الانتقال من ركن الى ركن ولابد من نية العبادة فى كل ركن والنفل كالفرض فيها الافى وجه وهوان ينوى فى النوافل انهالطف فى الفرائض وتسهيل لها انتهى وهذه النيات هى الاخلاص من اول العبادة الى آخرها (لكن الشيطان) المقارن لك (لايتركك) بلاوسواس يفسدبه عليك عملك لانه عدومبين (بل يعارضك) كلماقصدت خواطرا لاخلاص (بخطرات الرياء) فى قلبك (وهى) اى خواطر الرياء (ثلاثة) خواطر (مرتبـة) واحدا بعد واحد على الترتيب المذكور هنا الخـاطر الاول (العـلم) اى علمك (باطلاع الخلق على العمل) الذى تعمـله (اورجاؤه)

اى رجاؤك اطلاع الخلق عليك (ثم) الخاطر الثانى (الرغبة) اى رغبتك (فى حمدهم) اى مدحهم لك (و) فى (حصول المنزلة) العالية لك (عندهم) بحيث يشيرون اليك بالانامل ويراجعونك فى مهماتهم (ثم) الخاطر الثالث (قبول النفس) اى نفسك (له) اى للرياء بسبب مافيه من لذة اطلاع الخلق والمدح وحصول المنزلة (والركون) اى الاعتماد بالقلب (اليه) بحيث لايكاد يفارقه ولاينفك عنه (وعقد) اى ربط (الضمير) اى القلب (على تحقيقه) اى اثبات حقيقته فى النفس (فعليك) ياايها العاقل (رد كل منها) اى من هذه الخواطر الثلاثة (اما) رد الخاطر (الاول فبأن قال) من خطر له هذا الخاطر الاول (ما) يعنى اى شئ (لك وللخلق) يعنى اى نفع يحصل لك منهم واى ضرر يندفع عنك بهم والنافع والضار هو الله تعالى وحده. (علموا) اى الخلق بما انت فيه من الطاعة لله تعالى (اولم يعلموا) بذلك (ان الله) تعالى (عالم بحالك) كيف ما كنت وهو الخالق لكل شئ لا خالق سواه (فاى فائدة) تحصل لك (فى علم غيره) بحالك وكل احد غيره سبحانه عاجز لايقدر على شئ وهو تعالى القادر على كل شئ (واما) رد الخاطر (الثانى فبتذكر آفات) اى مفاسد (الرياء) المتقدم ذكرها (و) تذكر (تعرضه) اى تعرض العبد بسبب ذلك (لمقت) اى بغض (الله تعالى) له (فيثير) اى يهيج ذلك التذكر فى قلب العبد (كراهية الرياء) اى نفرة منه (فى مقابلة الرغبة) منه فيه (تدعو) تلك الكراهية (الى الاباء) اى الامتناع منه (فى مقابلة القبول) له وهو الخاطر الثالث فيندفع الخاطر الثالث بما اندفع به الخاطر الثانى (والنفس) من عادتها (لامحالة) انها دائما (تطاوع اقوى) الشيئين (المتقابلين) فى الخير والشر فمتى تقوى عندها خاطر الخير اطاعته اوتقوى خاطر الشر اطاعته (فلابد من خواطر الرياء) الثلثة المذكورة (من ثلاثة امور) كل امر فى مقابلة خاطر (المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله فى مقابلة العلم باطلاع الخلق (والكراهية) لمدحهم فى مقابلة الرغبة فى ذلك (والاباء) عن قبول الرياء فى مقابلة قبول النفس له (وقد يشرع العبد المؤمن (فى) فعل (العبادة على عزم الاخلاص) لله تعالى من غير قصد شئ مما سواه (ثم يرد) على قلبه (خاطر الرياء فيقبله) ورودا (بغتة) اى على حين غفلة (ولايحضره) فى ذلك الوقت (واحد من وجوه الرد) الثلاثة المذكورة (بسبب امتلاء القلب) قبل ذلك (بحب الحمد) من الناس له (وخوف الذم) منهم (واستيلاء الحرص) فى حب الدنيا (عليه فتعزب) اى تبعد وتغيب حينئذ (عن القلب آفات) اى مفاسد (الرياء) المتقدم ذكرها (فينساها) ولايتذكر شيئا منها حتى يكون رادعا له عن الرياء (فلم تظهر) منه (الكراهية) للرياء التى هى احد اسباب الردع المذكورة (لانها) اى الكراهية (ثمرة المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله فهو مكتف بعلم الله وحده (وقد يتذكر) آفات الرياء (فيعلم ان) الخاطر (الذى خطر له) بسبب حب الحمد وخوف الذم واستيلاء

﴿ الحرص ﴾

الحرص عليه هو (خاطر الرياء اوانه) اى خاطر الرياء (يعرضه) بالتشديد اى يجعله عرضة اى معروضا (لسخط الله) تعالى وغضبه (ولكن لا تحصل) له (الكراهية) للرياء ايضا (لشدة شهوته) لشئ من الدنيا (فيغلب هواء عقله) اى يصير هواه غالبا على عقله (ولا يقدر على ترك لذة الحال) اى الحاضرة فى ذلك الوقت (فيستلذ بالشهوة) التى عرضت له فى وقته ذلك وهى لذة محرمة (فيسوف) اى يعطل بالتوبة منها ولا يقلع عنها فى الحال من استحكام سلطانها على قلبه (او يتشاغل عن الفكر فى ذلك) اى فى شئ من آفات الرياء (لشدة) استيلاء (الشهوة) عليه فيدخل الرياء فى اعماله فى كل ذلك وهو لا يشعر به (فكم من عالم) بكثير من العلوم مشهور بها عند الخاص والعام لم يكن مهذب النفس بالرياضة الشرعية سالكا مسالك السادة الائمة الصوفية المتصفين بالاخلاق المحمدية المتباعدين عن الاخلاق الشيطانية والبهيمية يحضره) اى يخطر له فى نفسه (كلام) فيقوله فى مجلس علمه بين الناس او على كرسى وعظه ويكون (لا يدعوا الى قوله) اى قول ذلك الرجل فى ذلك الموضع (الا الرياء) ليقال عنه انه عالم محقق او عامل بعلمه او صالح زاهد متعفف او نحو ذلك (وهو يعلم ذلك) اى ان قصده الرياء بقوله (ولكنه يستمر عليه) مصرا مستكبرا فى نفسه عن تركه (ولا يكرهه) اصلا كما قال الشيخ العارف الكامل ابو الحسن الشاذلى قدس الله سره من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر انتهى ولا شك ان الرياء من جملة الكبائر فاى عالم من العلماء مات ولم يتوغل فى علوم الصوفية بحيث يعرفها ويسلك فيها بنفسه على منهج الاستقامة مات وهو مصر على الكبائر من رياء وحسد وتكبر وعجب ومكر وخديعة وغير ذلك (فتكون الحجة) اى حجة الله تعالى يوم القيامة (عليه) اى على ذلك العالم (اوكد) من الحجة على الجاهل (اذ) اى لانه (قبل داعى الرياء) اى خاطر الرياء الذى خطر له ولم يكرهه (مع علمه به) اى بانه خاطر رياء (و) علمه (بغائلته) اى مفسدته وما يترتب عليه من القبائح (وقد تحضر) فى نفس العبد (المعرفة) بان الله تعالى عالم بحاله كيف كان (والكراهية) له ايضا (معا) فى وقت واحد بحيث يتخيلهما (ولكن لا يحصل) له (الاباء) اى الامتناع عن خاطر الرياء (بل يقبل داعى الرياء) ولا يمنعه من قبول معرفته به وكراهيته له (ويعمل به) الاعمال التى هى فى الظاهر طاعات الله تعالى وعباداته (لكون الكراهية) للرياء (ضعيفة) لا قوة فيها (بالاضافة) وفى نسخة بالنسبة (الى قوة الشهوة) الغالبة عليه شئ من امور الدنيا (و) لقوة (الرغبة) الداعية له الى الاسترسال مع هوى نفسه كما هو الغالب فى زماننا على اكثر علماء الوقت المتصدرين لافادة الطلبة فضلا عن غيرهم الا من حفظه الله تعالى بتهذيب نفسه بآداب الصوفية اهل العلم النافع والعمل الرافع (وهذا) العبد الذى هذا وصفه (ايضا لا ينتفع) فى دينه (بكراهيته) للرياء (اذ)

اى لان (الغرض منها) اى من الكراهية للرياء (صرفه) اى العبد او الرياء (من الفعل) اى فعل الرياء اوفعل الطاعة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ حيث كان الامر كذلك (لافائدة) لاحد (الافى اجتماع) الامور (الثلاثة) المتقدم ذكرها فى رد خواطر الرياء وهى المعرفة بعلم الله تعالى به والكراهية للرياء والاباء اى الامتناع منه (فاذا اجتمعت هذه) الامور (الثلاثة) فى احد من الناس (فقدبرئ من الرياء) ومتى تخلف واحد منها فقد بقى الرياء ولايزول فلايكون لما وجد منها فائدة اصلا (ومجرد خطور خاطر (الرياء) فى قلب العبد (وميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته) اى مخاصمته ومدافعته (اباه) بحيث كلما خطرله دفعه وازاله فيخطرله كذلك وهكذا يبقى فى منازعته وتحت ترداده من غير قبوله (لايضر) ذلك العبد اصلا (اذالم يكن منه قبول) له (وركون) اى اعتماد عليه (بالاختيار) اى القصد منه والارادة (اذليس فى وسع) اى ليس فى قدرة (العبد) المكلف (منع الشيطان) الموكل به (عن نزغاته) بالغين المعجمة اى القاء الوساوس اليه (ولا) فى وسعه (قمع) اى قهر واذلال (الطبع) اى الطبيعة وهى السجية التى جبل عليها الانسان من الاخلاق التى لاتزايله (حتى) يترتب على ذلك المنع والقمع انه (لايميل الى الشهوات ولاينزع) بالعين المهملة اى يشتاق من نزع نزوعا اشتاق (اليها) اى الى الشهوات (وانما غايته) اى العبد المكلف (ان يقابل شهوته) الثائرة فيه (بكراهية) منه لها (واباء) اى امتناع عنها بمقدار طاقته (وعدم اجابة) لها (استفادها) اى الكراهية والاباء وعدم الاجابة (من علم الدين) المحمدى الذى هو عالم به (فاذا فعل) العبد (ذلك) الفعل المذكور الذى هو كناية عن هذه الامور الثلاثة (فهو) الفعل الذى هو (الغاية) اى غاية ماعكنه (فى اداء ماكلف) اى كلفه الله تعالى (به ثم اذا فرغ) ذلك العبد من عمله الذى خلصه من الرياء واكمله طاعة لله تعالى (فعليه) بعد ذلك (ان لايحدث به) عند احد من الناس (ولايظهره) لاحد اصلا (الا اذا امن) على نفسه (من لحوق (الرياء) له (وقصد) بالتحدث والاظهار (اقتداء الغير) من الناس (به فى) موضع (مظنة) اى مظنة الاقتداء به بان كان عالما كبيرا او زاهدا شهيرا من رآه قلده واقتدى به او كان السامع له والرائى ممن يقتدى بغيره ويتابع غيره فى الصلاح والدين (و) مع ذلك (يكون) فى حال التحدث والاظهار (وجلا) اى محترزا محذرا (من عمله) ذلك ان يكون سببا لهلاكه فى الآخرة بين يدى الله تعالى (خائفا ان يدخله) اى عمله (من الرياء الخفى) الذى سبق بيانه (ما) اى نوع ما منه (لم يقف عليه) اى لم يعرفه (فيكون) عمله ذلك (مردودا) عليه غير مقبول منه (ممقوتا) اى مبغوضا بسببه (لله سبحانه وتعالى) والعياذ بالله من ذلك (ويكون) ايضا (هذا الخوف) المذكور (فى دوام) اى مدة وجود (عمله)

ذلك (و بعده) اى بعد عمله ذلك (لا فى ابتداء العمل) فقط ثم زال ذلك الخوف عنه فى وقت العمل وبعده (بل ينبغى) للعبد المكلف (ان يكون متيقنا) اى قاطعا جازما (فى الابتداء) اى فى ابتداء عمله (انه مخلص) لله تعالى فى ذلك العمل (ما يريد بعمله الاوجه الله تعالى) اى الا التقرب اليه سبحانه بعمله حتى ينكشف له وجه الله تعالى الى كل شئ فيزول الشئ الهالك من عين بصيرته ويظهر له وجه الحق تعالى فيشهد الله تعالى فى كل شئ من حكم قوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * وقوله سبحانه * فاينما تولوا فثم وجه الله وهو اخلاص الصوفية المشتق لهم هذا الاسم من اهل الصفة الذين هم الانصار حيث اخبر تعالى عنهم بقوله * يريدون وجهه * وعاتب نبيه عليه السلام فى حقهم بقوله سبحانه * ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه * الآية (حتى توجد) منه (النية) المطلوبة فى الطاعة والعبادة (اذ) اى لان (هى) اى النية معناها (العزم) اى القصد الجازم على ايقاع الفعل (المصمم) اى القاطع (الباعث) اى الموصل الى وجود الفعل (فلا تجتمع) النية المذكورة (مع الشك) اى التردد فى الفعل (والاحتمال) اى امكان وجود الفعل وعدم وجوده فلابد من الايقان بالطاعة وانه يعملها لوجه الله تعالى (فاذا شرع) فى الطاعة (على اليقين) من الاخلاص فيها (ومضت) عليه (لحظة) من الزمان (يمكن فيها) ان تعرض له (الغفلة) عن الاخلاص (والنسيان) له (جاء الخوف) عليه فى تلك اللحظة (من شائبة) اى مخالطة (خفية) غير ظاهرة له (من الرياء والعجب) فتفسد عليه اخلاصه فى عمله (واما اولوية) اى كون الاولى فى حق العبد المكلف (غلبة الخوف) من الله تعالى ان يكون فى عمله رياء (على الرجاء) منه تعالى بعدم الرياء (او العكس) هو الاولى بغلبة الرجاء على الخوف (فقد اختلف اقوال المشايخ) من العلماء (فيها) اى فى الاولوية من ذلك المذكور حتى (قال بعضهم ينبغى ان يغلب) بالتشديد اى يجعل غالبا (الرجاء) على الخوف (لانه) اى العبد المكلف الداخل فى العبادة (استيقن) اى تحقق يقينا (انه دخل) فى عبادته (باخلاص) لله تعالى فى ذلك (و لكنه (شك) اى تردد بعد ذلك (فى زواله) اى فى زوال الاخلاص (ومن) جملة (قواعد الشرع) كما ذكرها فى كتاب الاشباه والنظائر وغيره (ان اليقين لا يزول بالشك) والشك لا يرفع حكم اليقين والاخلاص عند اليقين فلا يزول بالشك فيه فالرجاء غالب على الخوف اذ هو مقتضى امر متيقن به وهو الاخلاص و الخوف مقتضاء امر مشكوك فيه وهو الرياء (فبذلك) اى بسبب التيقن بالاخلاص (تعظم لذاته) اى العبد المكلف (فى المناجاة) بينه وبين الله تعالى (و) فى (الطاعات) التى يفعلها لله تعالى (وخوفه) اى العبد يعنى الخوف الحاصل عنده (لاجل ذلك الشك) فى لحوق الرياء له (جدير) اى اولى واحق (بان يكفر) اى يستر (خاطر الرياء

ان كان) ذلك الخاطر (قدسبق منه وهوغافل عنـه) لايشعر به وفي الرعاية لابي
الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى لايجوز ان يدخل في العمل ولايدري مايريد فعليه
ان يكون متيقنا بانه قداراد الله عزوجل بذلك العمل والا لم يدخله فاذا علم انه
قداخلص واراد الله عزوجل دخل في العمل على ذلك فاذا مضى عليه من الاوقات
ولوكطرف العين ممايمكن المخلوق فيه النسيان والسهوفالخوف اولى به لانه لايدري
لعله قدخطرت بقلبه خطرة رياء اوعجب اوكبراوغيره فقبلها وهوناس لايذكر انها رياء
فيكون مشفقا خائفا فاذا كان شاكا في عمله فكيف يرجو على الشك ويؤمل الرضى من الله
عزوجل اما الشك في انه لايدري دخل العمل بالاخلاص ام لا فلايجوز في ذلك الشك
اذقدعلم انه قددخل وقداراد الله عزوجل وحده واما الشك خوفا من ان يكون
قداحصى الله عزوجل عليه قبول خطرة نسيها هوولم يفطن لها فنعم والخوف
على عمله والوجل والاشفاق من اجل ذلك والرجاء والخوف على العمل ان يكون
عمله لله او لغيرالله ويستويان فامله في الله عزوجل ضعيف فكيف ينعم بطاعة الله ويجد
حلاوتها بل الامل والرجاء اغلب واكثرلانه قدا ستيقن انه قددخله بالاخلاص لله
عزوجل ولم يستيقن انه راءى بشيء منه فالاخلاص عنده يقين والرياء هومنه في شك
فخوفه ان كان خالطه رياء كان ذلك الخوف ممايرجو به ان يصفيه الله عزوجل له
لاشفاقه على مالايعلم فبذلك يعظم رجاؤه وان لم يكن خالطه رياء فذلك زيادة على عمله
وعبادة منه وكلما اشفق ازداد يقينا بالطاعة واملا في الله عزوجل اذايقن انه دخله
بالاخلاص وختمه بالاشفاق والوجل من علم الله تعالى فبذلك يعظم رجاؤه وامله
وينعم بطاعة ربه عزوجل (والمنقول عن اكثرالمشايخ) من الصوفية وغيرهم ان الاولى
(غلبة الخوف) على العبد ان يكون مقصرا في اعماله والرياء فيها (حتى نقل عن
السيدة العارفة بالله تعالى (رابعة) العدوية رضي الله عنها (حين قيل لها بم) اى
باى شيء واصلها ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر فحذفت الفها كقوله تعالى
بم يرجع المرسلون وقوله عم يتساءلون (ترجين) اى باى سبب يحصل لك الرجاء من الله تعالى
(انها قالت) في الجواب (بيأسي) اى قنوطي من الانتفاع بشيء (من جل) اى اعظم
(عملي) فيأسي من الانتفاع باعظم اعمالي سبب لرجائي من الله تعالى ان ينفعني
اكمل الانتفاع مع انها رضي الله عنها كانت تقول ماعبدتك خوفا من نارك ولارغبة
في جنتك وانما عبدتك تقربا الى وجهك الكريم فعملها هذا الذي كانت تخلص فيه
كانت تخاف ان يكون قدداخله الرياء فكانت تيأس من الانتفاع به في الآخرة ويعظم
بذلك رجاؤها في الله تعالى وقال المصنف لهذا الكتاب كتاب الطريقة المحمدية رحمه الله
تعالى (والذي عندي من العلم) في هذه المسئلة ان (اختلاف ذلك) اى اولوية
ترجيح الخوف اوالرجاء معتبر (باختلاف الاشخاص) واختلاف (الاحوال) ايضا

(فان المبتدى) من السالكين (و) كل (من فيه) اى فى نفسه (بقية من آثار العجب) باعماله (والا من) من لحوق المكر به (و الغرور) عما يفعله من الطاعات اعتمادا عليها (و البطالة) اى ترك الاشتغال بخدمة مولاه (ينبغى لهما) اى للمبتدى ولمن فيه تلك البقية المذكورة (غلبة الخوف) على قلبه ان يكون الرياء فى عمله وانه غير مقبول عندالله تعالى (و) ينبغى (لغيرهما) اى غير من ذكر وهو العارف المنتهى ومن لابقية عنده من الاخلاق الذميمة (غلبة الرجاء) من الله تعالى ان يكون خلا عمله من الرياء وقبل عندالله تعالى (او المساواة) بين الخوف والرجاء فى ذلك (والعلم عندالله) تعالى فيما هو الاولى من غير قطع بشيء من ذلك ومن غلبة الخوف ما نقل عن حضرة الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال اى كرامة اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجه الارض انتهى والخلق (الثانى عشر من) الاخلاق الستين المذمومة التى هى (آفات القلب) ومفاسده (الكبر) بكسر الكاف وسكون الموحدة وهو العظمة و التجبر (وفيه) اى فى الكبر (خمسة مباحث) سنأتى مفصلة ان شاء الله تعالى

﴿ المبحث الاول ﴾

من المباحث الخمسة (فى تفسيره) الكبر (و) تفسير (ضده) وضد الكبر التواضع وكسر النفس (ومناسبهما) اى مناسب الكبر وضده الذى هو التوضع (وحكمهما) اى حكم الكبر وضده والمناسب لهما اما (الكبر) فمعناه (هو الاسترواح) اى طلب الراحة و تحصيل النشاط (والركون) اى الاعتماد و الميل (الى روءية النفس) فى مرتبة (فوق) مرتبة الشخص (المتكبر عليه فلابدله) اى للكبر (منه) اى من المتكبر عليه حتى يسمى كبرا (بخلاف العجب) فانه لا يحتاج الى من يعجب عليه حتى يسمى عجبا بل متى اعجبته نفسه كان عجبا (والكبر حرام) بالاجماع (ورذيلة عظيمة) اى نقيصة وخصلة دنية (من العباد) المخلوقين واما الكبر من الله الخالق فهو صفة كمال فهو الخالق البارئ المتكبر (وضده) اى ضد الكبر (الضعة) بمعنى التواضع (وهى) اى الضعة (الركون الى روءية النفس) اى نفسه فى مرتبة (دون) مرتبة (غيره) من الناس (وهى فضيلة) مثاب عليها عندالله تعالى (عظيمة) حيث كانت صادرة (من المخلوق واظهار الكبر) من النفس على الغير سواء كان ذلك الكبر (موجودا) فى النفس حقيقة وقد اظهره منها (اومعدوما) اى ليس موجودا فى النفس ولكنه اظهره منها وسواء كان ذلك الكبر (حقا) بان كان من الله تعالى او من العبد على المتكبرين (او) كان (باطلا) وسواء كان (بقول) صريح او اشارة (او فعل) فهو (تكبر) اى تفعل ومعناه تكلف الكبر وفى الله تعالى الاتصاف به من الازل (والاستكبار يختص بالباطل فلذا) اى لكونه يختص بالباطل (لا يوصف الله تعالى به) وانما يوصف به

المخلوق لان تكبره تعالى بحق دون ماعداه (بخلاف التكبر) فان الله تعالى يوصف به على معنى المتصف بالكبرياء قال النجم الغزى فى حسن التنبه المتكبر هو الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يرى الكبرياء الالنفسه فاذا كانت الرؤية صادقة كان التكبر حقا ولا يتصور ذلك على الاطلاق لغير الله تعالى وان كانت الرؤية كاذبة كان التكبر باطلا وهو التكبر المذموم (والتكبر) من المخلوق (حرام) لانه عظيم الآفات عنه تتشعب اكثر البليات يستوجب به من الله تعالى سرعة العقوبة والغضب لان الكبر لايحق الالله عز وجل ولايليق ولايصلح لمن دونه اذ كل شئ سواه عبد مملوك وهو الملك الاله القادر فعظم عند الله تعالى الكبر ذنبا اذ كان لايليق بغيره واذا فعل العبد مالايليق الابالمولى سبحانه اشتد غضب المولى تعالى عليه كذا فى رعاية المحاسبى (الاعلى المتكبر) من الناس (فانه قد ورد فيه) اى فى التكبر على المتكبر (انه صدقة) من الانسان على المتكبر ليكشف له عن قبيح صنعه ويعامله من جنس عمله وفى حسن التنبه للنجم الغزى قال وقد يكون التكبر من العبد بقصد تنبيه المتكبر عليه لابقصد رفعة الناس فيكون محمودا كالتكبر على الجهلاء والاغنياء قال يحيى بن معاذ الرازى التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع (والا) التكبر على المشركين (عند القتال) بنصر كلمة الله تعالى واعزاز الملة الاسلامية (و) الا التكبر (عند الصدقة) على الفقراء زكاة كانت اوغيرها اظهار اللاستغناء عما احتاجت اليه الفقراء حتى لايظهر للفقراء بقاء تعلق القلب منه بما دفع اليهم من المال (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول فاما الخيلاء) اى التبختر فى المشى والتكبر والتعاظم (التى يحب الله تعالى) اى الخصلة التى يحبها الله تعالى (فاختيال الرجل نفسه) اى اعجابه بها وهزه المنكبين فى مشيته (عند القتال) مع اهل الحرب (واختياله عند) اداء (الصدقة) الى الفقراء قال المصنف رحمه الله تعالى (ولعل المراد بالاختيال) اى التكبر (عند) اداء (الصدقة اظهار الغناء) من المعطى للفقراء (و) اظهار (عدم الالتفات) منه (الى) ما اعطاهم من (المال و) اظهار (استصغاره) اى المال (واستقلاله) اى رؤيته حقيرا قليلا (ليقصده) اى المال اوالمعطى (الفقراء) ويرغبون فى تناوله (بنشاط) منهم (وامن) يحصل لهم (من المن) اى من المعطى لهم عليهم وهو تعداد النعمة والتذكير بها (و) من (الاذى) من المعطى لهم بتوبيخهم على تناول الصدقة والاحتياج اليها والاهانة والاذلال بسبب ذلك (والا التكبر) الحاصل (بالمرايات) اى بسبب الرياء (باسباب الدنيا) وامتعتها اى باظهار ذلك للناس فقط (بدون الكبر) فى النفس (فانه ليس بحرام وان كان مذموما) لانه نوع من التكبر (وقدمر) فى الكلام على الرياء (وسيجئ ان شاء الله) قريبا فى اقسام الكبر والتكبر (واظهار الضعة) اى انخفاض الجانب والتذلل للناس (بمادون مرتبته قليلا) حيث هواعلى رتبة

من حالته تلك التي اظهرها (تواضع محمود) في الشرع (وان) كان اظهار الضعة بما دون مرتبته (كبرا) بان ترك الاحتشام اصلا وهو من اهل الاحتشام (فتملق) اى فـذلك تملق (مذموم) شرعا لان فيه اذلال النفس واهانتهـا بلا فائدة دينية (الا في طلب العلم) اذا تملق لشيخه الذي يتعلم منه العلم النافع للعمل به مع الاخلاص فيه (عدى) يعني روى ابن عدي باسناده (عن معاذ) بن جبل (و) عن (ابي امامة رضي الله عنهما مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ليس) معدودا (من اخلاق المؤمن التملق) وهو كثرة التواضع والمبالغة فيه (الا في طلب العلم) فانه مطلوب من المؤمن لينال غرضه من العلم كما قيل لاينـال العلم مستحيي ولا متكبر (وفي) كتاب (تعليم المتعلم التملق مذموم) من كل احد مع كل احد (لا في طلب العلم فانه ينبغي) لطالب العلم (ان يتملق لاستاذه) الذي يتعلم منه (و) لجميع (شركائه) عند ذلك الاستـاذ وهم المتعلمون فلا يتكبر على احدمنهم (ليستفيد منهم) ما هو بصدد تحصيله من العلم لانه قد يكون منهم عند ذلك الاستـاذ من هو اسبق منهم او افهم منه ولا يتكبر فيمقتوه فيحرم الفائدة (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (وان كثر) ذلك التملق منه (فتذلل) من الذل وهو الاهانة والحقارة بسببه فهو (حرام) عليه فعله (الا لضرورة) دعته الى ذلك بان خاف من ظالم او سارق او داعر ونحو ذلك فتملق له وتذلل بين يديه لكف اذاه عنه فهو جائز (وهو) اى التذلل للمخلوق هو الخلق (الثالث عشر من) الاخلاق السيئة المذمومة التي هي (آفات القلب) ومثال ذلك (كالعالم) من علماء المسلمين (اذا دخل عليه) رجل (اسكاف) اى صنعته عمل النعال (فتنحى) اى تحول ذلك العالم (له) اى لاجل دخول ذلك الاسكاف عليه (عن مجلسه) الذي كان جالسا فيه تعظيما له (واجلسه) اى العالم لذلك الاسكاف (فيه) اى في موضعه (ثم تقدم) ذلك العـالم (وسوى) اى وضـع مستويا (له) اى للاسكاف (نعله) الذي يمشي به (وعدا) اى اسرع ذلك العـالم (الى باب الدار) اى داره (خلفه) اى خلف ذلك الاسكاف ليشيعه ويوانسه ويوادعه وليس لذلك الاسكاف مزية من علم ولا صلاح ولا زهد ولا خصلة عظيمة من خصال الدين (فقد تخاسس) ذلك العالم اى فعل ما فيه الخسة في النفس والدناءة في الهمة والنقصان في المروءة (وتذلل) باهانة نفسه مع المهان وتحقيرها مع الحقير (وانما تواضعه) اى العالم (له) اى للاسكاف انمـا يكون (بالقيام) لاجله (و) اظهار (البشر) عند لقائه والاقبال عليه (والرفق) به (في) وقت (السؤال) اى سؤاله حاجته من ذلك العالم (واجابة دعوته) حتى لا يرده خائبا منها (والسعي) اى المبادرة والمسارعة (في) قضاء (حاجته وان لا يرى نفسه خيرا منه) لان الامور بخواتيمها ولا يدري احد بما ذا يختم الله تعالى له فرب عالم يختم له بسوء ورب جاهل يختم له بخير ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا (ولا يحقره) اى لا ينظر اليه بعين الاحتقار لكون ذلك

اسكافا وكونه هوعالما (ولايستصغره) و يستعظم هونفسه بالنسبة اليه (ومنه) اى من التذلل المذموم (السؤال) اى الطلب من الناس (لمن له) فى ملكه (قوت يومه) اى مقدار مايقيته فى ذلك اليوم ويكفيه وفيه اشارة بذكر القوت الى انه لايشترط ان يكون له مقدار مالا بد من شهوات نفسه وانما الشرط ان يكون عنده مايدفع به الهلاك ويقيم بنيته من القوت من اى طعام كان (لنفسه) اى السؤال لاجل نفسه وكذلك لاجل عياله اذالم يكن قادرا على الاكتساب واما لوقدر عليه فلا يسأل ولولم يكن له قوت يومه (وسيجئ) بيان هذه المسئلة (ان شاء الله تعالى فى آفات اللسان ومن) جملة (السؤال) الذى هو من التذلل (اهداء قليل) من الهدية (لاخذ) شئ (كثير) من الهدية فى مقابلة ذلك (كما يفعل) بالبناء للمفعول اى يفعله الناس (فى دعوة) اى ضيافة (العروس و) دعوة اى ضيافة (الختان) للاولاد فان العادة جرت فى بعض البلاد باهداء شئ قليل والمقصود منه دفع شئ كثير عوض عنه من مال المهدى له (وكن يريد اتخاذ غنم أو نحل) فلعل العادة فى ذلك جرت فى بعض القرى بعمل ضيافة واهداء شئ اليه (قيل) اى قال بعض المفسرين (فيه) اى فى هذا الاهداء المذكور والاستهداء (نزل قوله تعالى) نهيا عن ذلك (ولا تمنن) باهداء شئ لاحد اوعمل ضيافة له (تستكثر) بذلك مايقابله من العوض (ومنه) اى من التذلل (الذهاب الى الضيافة) اى ضيافة كانت (و) الى (وصية الميت) اى ما اوصى به ان يتخذ بعد موته للفقراء وغيرهم (بلا دعوة) اى طلب منهم لك الى الحضور وهو التطفل بلا استيذان (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى) بالبناء للمفعول اى دعاه احد لضيافة العرس (فلم يجب) بان يأتى الى حيث دعى (فقد عصى الله) تعالى (و) عصى (رسوله) صلى الله عليه وسلم ايضا لان ضيافة العرس تعمل لاظهار الفرح بمقتضى احلال الله تعالى ما جرمه من الفروج قال فى شرعة الاسلام وشرحها ومن حقوق الاسلام القديمة اجابة الدعوة حتى قال بعضهم انها واجبة وفى الحديث من لم يجب بضم حرف المضارعة وكسر الجيم الدعوة فقد عصى الله تعالى ورسوله فهى سنة مؤكدة قريبة من الواجب اذا كانت الدعوة دعوة النكاح وقل هى واجبة وغيرها مستحبة اذا كانت موافقة لما تسمع آنفا ثم ذكر بعد ذلك انه لايجيب الى طعام البخيل وفى الحديث طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء اى مرض ولا الى طعام صنع رياء وسمعة ولا الى مائدة يدار عليها الخمر او بعدها ولا الى طعام الفاسق فلا يرد احد دعوة اخيه حذرا عن العصيان اوترك الاستحباب والافضل ان يجيب اذا كانت وليمة يدعى فيها الغنى والفقير لان النبى عليه السلام قال لودعيت الى كراع لاجبت ولواهدى الى ذراع لقبلت (ومن دخل) الى بيت الضيافة (على غير دعوة دخل سارقا) فاياكله حرام لانه بلااذن صاحب الضيافة (وخرج

مغيرا) اى غاصبا اسم فاعل من الاغارة فمن يعطيه شيئا كأنه يعطى السارق والمغير واما اعطاء اهل الدعوة بعضهم بعضا فمبنى على العادة ولا بأس به كذا فى شرح الشرعة (ومنه) اى من التذلل (الاختلاف) اى كثرة التردد و الذهاب (الى) مجالس (القضاة والامراء) جمع قاض وامير فالقاضى حاكم الشرع والامير حاكم السياسة (والعمال) اى عمال القضاة والامراء وهم النواب فى المناصب الدينية والدنيوية (والاغنياء) كالتجار ونحوهم (طمعا) اى لاجل الطمع (لما فى ايديهم) من الاموال (بلاضرورة) داعية الى ذلك التردد والذهاب اليهم (ومنه) اى من التذلل (السجود) الى حد الارض (والركوع) خفض الظهر مع الرأس مقدار ركوع الصلاة (والانحناء) الانخفاض القليل بالظهر والرأس (للكبراء) جمع كبير وهو صاحب الجاه والرياسة (عند الملاقاة) اى الاجتماع بهم (و) عند (السلام) عليهم (و) عند (رده) اى رد السلام اذا سلموا هم عليه وفى الاشباه والنظائر ان سجد للسلطان ان كان قصده التحية والتعظيم دون الصلاة لا يكفر اصله امر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وسجود اخوة يوسف عليه السلام ولو اكره على السجود للملك بالقتل فان امروه به على وجه العبادة فالافضل الصبر كمن اكره على الكفر وان كان للتحية فالافضل السجود انتهى ومعلوم ان من لقى احدا من الاكابر فحنى له رأسه او ظهره ولو بالغ فى ذلك فمراده التحية والتعظيم دون العبادة له فلا يكفر بهذا الصنيع وحال المسلم مشعر بذلك على كل حال واما العبادة فلا يقصدها الا كافر اصلى فى الغالب ولكن التملق الموصل الى هذ المقدار من التذلل مذموم ولهذا جعله المصنف رحمه الله تعالى من التذلل الحرام ولم يجعله كفرا واذا كان الاكابر يتضررون بترك ذلك لهم ممن يلقاهم على وجه التحية والتعظيم فربما يصلون الى مضرة من تركه لهم عند لقائهم ويتأذى التارك من قبلهم بنوع من الاذى جاز فعله كما قال الشيخ احمد بن حجر المكى فى فتاواه والانحناء البالغ حد الركوع لا يفعل لاحد كالسجود ولا بأس بما نقص من حد الركوع لمن يكرم من اهل الاسلام واذا تأذى مسلم بترك القيام فالاولى ان يقام له فان تأذيه بذلك مؤد الى العداوة والبغضاء وكذلك التلقيب بما لا يسر به من الالقاب والاصل فى ندب القيام لاهل الفضل قوله صلى الله عليه وسلم حين قدم سيد الانصار سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم والخطاب للانصار او للكل وقد صنف النووى رحمه الله تعالى جزأ فيه وذكر الاحاديث الواردة فيه واحكامها وما يتعلق بها قال ابن عبد السلام وغيره وقد صار تركه فى هذه الازمنة مؤديا الى التباغض والتقاطع والتحاسد فينبغى ان يفعل لهذا المحذور وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله فهو اى القيام للاخوان لا يؤمر به بعينه بل يكون تركه صار وسيلة الى هذه المفاسد فى هذا الوقت ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لان تركه صار اهانة واحتقارا

لمن اعتيد القيام له ولله تعالى احكام تحدث عند حدوث اسباب لم تكن موجودة
فى الصدر الاول وعلى القيام ومحبته للتعاظم والكبر حمل قوله صلى الله عليه وسلم
من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار اعاذنا الله من ذلك (و)
كذلك (القيام) اى الوقوف (بين يدى الظلمة) فانه من جملة التذلل الحرام فلا يجوز
الالضرورة دعته الى ذلك كخوفه منهم ان لم يفعل ذلك بين يديهم (و) كذلك
(تقبيل ايديهم و) تقبيل (ثيابهم) من جملة التذلل الحرام فلا يباح لمن لم يخف
من ايذائهم ان يفعل ذلك معهم (وليس منه) اى من التذلل (مباشرة) الانسان
(اعمال البيت) اى بيته وان كان له خدمة يخدمونه (وحاجاته) اى البيت (ككنس
البيت وطبخ الطعام وحمل المتاع) بيده (من السوق الى البيت ولبس الخشن) من الثياب
(والخلق) اى البالى المتقطع منها (و) الثوب (المرقع والمشى حافيا) بلا نعلين (ولعق
الاصابع) بعد الاكل (و) لعق (القصعة واكل ماسقط على الارض من الطعام)
كفتات المائدة (والتقاط دقاق الخبز ونحوه) من دقاق بقية الاطعمة (من) وسط
(السفرة) المبسوطة على الارض لوضع الطعام عليها اومن جوانبها (و) من فوق
(الحصير) والبساط (والارض ومجالسة المساكين ومخالطتهم) قال ابن رجب
رحمه الله تعالى فى رسالة شرح حديث اختصام الملاء الاعلى وحب المساكين
قدوصى به النبى صلى الله عليه وسلم غيرواحد من اصحابه قال ابوذروصانى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان احب المساكين وان ادنو منهم خرجه الامام احمد وخرج الترمذى
عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها ياعائشة احبى المساكين وقربيهم فان الله
يقربك يوم القيامة وروى ان داود عليه السلام كان يجالس المساكين ويقول يارب
مسكين بين مساكين ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين كتب سفيان
الثورى الى بعض اخوانه عليك بحب الفقراء والمساكين والدنو منهم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه حب المساكين (و) معاطاة (انواع الكسب) بنفسه
(من البيع والشراء واجارة نفسه للاعمال المباحة) يخدم فيها (كرعى الغنم وسقى
البستان والكرم وعمل الطين والبناء) فى البيوت ونحوها (وحمل الحطب) للناس بالاجرة
(على ظهره) اوظهر دابته اوالاحتطاب من اشجار البادية ثم بيع ذلك فى السوق (فان كل
ذلك وامثاله تواضع) محمود فى الشرع وليس بتذلل مذموم وقد (فعله الانبياء عليهم السلام
و) فعله (الاولياء) ايضا (رحمهم الله تعالى واكثره) اى اكثر التواضع فى مثل ذلك (صدر
عن سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اجمعين وصحابته المكرمين رضوان الله
عليهم اجمعين) وفى كتاب الشرعة فقد كان ادريس عليه السلام خياطا يخيط الثياب
وكان داود عليه السلام يعمل الدروع من الحديد وكان الخليل ابراهيم عليه السلام يحرث
ويحرث له وكان يتجر فى اللبن ايضا واول من نسج اثوابا ابونا آدم عليه السلام وكان عيسى
عليه السلام يخصف النعل ويرقعه وكان نوح عليه السلام نجارا وصالح عليه السلام

كان ينسج الاكسية بيده وكان رعى الغنم من دأب الانبياء عليهم السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم لاهل مكة على قراريط قبل الوحي وفي الرعاية للمحاسبي وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل العنز والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وفي الحديث انه من حمل لاهله الفاكهة والشيء فقد برئ من الكبر والحديث عن ابي سنان انه قال له رجل مات حتى احمل عنك اللحم فقال لا ثم قرأ ان الله لا يحب المستكبرين وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير عن ابن القيم ان النبي صلى الله عليه وسلم باع واشترى وشراؤه اكثر وآجر واستأجر وايجاره اكثر وضارب وشارك ووكل وتوكل وتوكيله اكثر واهدى واهدى له ووهب واتهب واستدان واستعار وضمن عاما وخاصا ووقف وشفع فقبل تارة ورد اخرى فلم يغضب ولا عتب وحلف واستحلف ومضى في يمينه تارة وكفر اخرى ومازح وورى ولم يقل الا حقا وهو صلى الله عليه وسلم القدوة والاسوة (والتجنب) اى الاحتراز والتباعد (منه) اى من التواضع المذكور (والتأنف) اى التنزه (عنه) والترفع (كبر من اخلاق الجبارين) مذموم شرعا واما اذا لم تجر عادته بذلك وكان يستوحش من مباشرة شيء منه لا لمعنى التكبر عنه في نفسه وانما الحياء يلحقه منه ومشقة فهو في فسحة من تركه وليس هو في حقه من اخلاق الجبارين حينئذ (ولكن كثيرا من الناس بجهلهم) اى بسبب جهلهم حسن المباشرة لتلك الاشياء (يعكسون الامر) فيرون مباشرتها هي الحال المذموم ومن يتعاطاها بنفسه فهو بينهم الملوم اصلحنا الله واياهم ووفقنا لما هو المطلوب منا من الاعمال والعلوم ﴿ المبحث الثاني ﴾ من المباحث الخمسة (في اقسام الكبر) الذي هو صفة مذمومة (و) اقسام (التكبر الذي هو اظهار تلك الصفة المذمومة للغير (وآفاتهما) اى مفاسدهما وما يترتب على وجودهما في الانسان (فمنه) اى من هذا المبحث (يعرف العلاج) اى مداواة الكبر والتكبر (الجلي) الذي هو على وجه الاجمال دون التفصيل (قد عرفت) في المبحث الاول (انه لا بد للكبر والتكبر من) احد (متكبر) بصفة اسم المفعول (عليه) فهو وصف اضافي (وهو) اى المتكبر عليه (اما الله تعالى وهو افحش انواع الكبر) ان يتكبر الانسان على ربه (مثل نمرود) المدعي الالوهية من دون الله تعالى وقد ارسل الله تعالى اليه ابراهيم الخليل عليه السلام فكذبه وهم باحراقه حتى انجاه الله تعالى منه (حيث حدث نفسه) من كمال تكبره على الله تعالى (ان يقاتل رب السماء عز وجل) فاتخذ النسور وطار بها في جو السماء فكان اذا رمى السهم نحو السماء يعود اليه مخضبا بالدم فظن انه قتل رب السماء جهلا منه وعنادا وكفرا حتى ارسل الله تعالى اليه البعوضة فهلك بها (ومثل فرعون) المدعي الربوبية من دون الله تعالى (حيث قال انا ربكم الاعلى) وقد ارسل الله تبارك وتعالى اليه موسى وهارون عليهما السلام فكذبهما حتى اغرقه الله تعالى مع قومه في البحر

(واما رسوله) محمد (عليه الصلاة والسلام) وقد تكبر عليه جبارون كثيرون (كبعض الكفرة) من قومه (حيث قالوا) في حقه كما قصه الله تعالى علينا (أهذا الذى بعث الله رسولا) على وجه الاستحقار له والتكبر عليه وقالوا ايضا (لولا نزل هذا القرآن الذى قد جاءبه من عند ربه (على رجل من القريتين) مكة والطائف (عظيم) غير هذا النبي استحقارا له عليه السلام واستصغارا لشانه تكبرا منهم عليه قال الواحدى يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف (واما سائر الخلق) اى المخلوقات فالمتكبرون والمتكبر عليهم منهم كثيرون رجالا ونساء (وغائلة) اى آفة ومفسدة (الكبر والتكبر منازعة العبد المملوك العاجز الضعيف الذى لا يقدر على شئ) مما كسب مطلقا (لله) في مقابلة العبد (المالك) في مقابلة المملوك (القهار القادر) في مقابلة العاجز (القوى) في مقابلة الضعيف (على كل شئ) في مقابلة الذى لا يقدر على شئ (في صفة) متعلق بالمنازعة (لا تليق) تلك الصفة (الا بجلاله تعالى) وهى صفة الكبر والتكبر (والتأدية) معطوف على منازعة العبد اى الايصال (الى مخالفته تعالى في اوامره) سبحانه (ونواهيه) التى كلف بها عباده (كابليس) اللعين حين امر بالسجود لآدم عليه السلام فابى واستكبر وجحد فضيلة آدم عليه (قال أأسجد لمن خلقت طينا) وقال ايضا (انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وظن لعنه الله ان النار لارتفاعها ولطافتها وسرعة حركتها افضل من الماء والتراب وما علم ان الله تعالى فضل الماء والتراب وحكم بان الطهارة لا تكون الا بهما بالماء اولا واذا لم يوجد فبالتراب فبذلك تحصل الطهارة من الاحداث والاخباث (فاذا سمع) المتكبر (الحق من المتكبر عليه استنكف) اى انف وامتنع واستكبر (من قبوله) لان قبوله منه يقتضى ضد ما هو فاعله من التكبر فيدعوه الى الاعتراف بفضيلته عليه والتكبر مقتضى نفى تلك الفضيلة (وتشمر) اى تهيأ واستعد (لجحده) اى انكاره وابطاله (ويكفيك) يا ايها العبد المصنف (فيه) اى في حق المتكبر (قوله تعالى ساصرف) اى بعد تحقق التكبر منهم (عن) شهود (آياتى) جمع آية وهى العلامة الواضحة الدالة على الله تعالى اوعن معانى آياتى القرآنية (الذين يتكبرون) اى يظهرون الكبر على بعضهم بعضا فلا يقبلون الحق من بعضهم بعضا (في الارض) من بنى آدم وغيرهم كالجن والشياطين (بغير الحق) بل بالباطل الذى في نفوسهم وهو الجهل والغرور وحظ النفس والحسد والبغض والحقد ونحو ذلك واما ذا تكبروا بالحق الذى عندهم على من لم يقبله منهم من المغرورين فهو تكبر على متكبر فهو صدقة كما مر وقال تعالى (كذلك يطبع الله) اى يختم ويربط فلا يكاد يغيره الله بعدله سبحانه (على كل قلب متكبر جبار) من الجبر بمعنى القهر فاذا ختم سبحانه وتعالى على القلب يطبعه فلا يكاد ينفتح لموعظة واعظ ولا تلج فيه العبرة والنصيحة ولا يرعوى للحق ولا يعرف الصواب من الخطأ وقال تعالى عن ابليس اللعين

(ابى) اى متنع من السجود لآدم عليه السلام (واستكبر) اى تكبر بالباطل (وكان من) جمله (الكافرين د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء) وهوالرفعة فى الشرف (ردائى) اسم لمايوضع على الظهر والكتفين والصدر (والعظمة) اى الهيبة والجلال (ازارى) اسم لمايكون من السترة الى ماتحت الركبة والسر فى هذا ان الكبرياء ضد التواضع ووصف الكبرياء ساتر للرب سبحانه وتعالى وحاجب له عن علم عبده به سترا وحجبا من قبل العبد لامن قبل الرب سبحانه لانه تعالى لايستره شئ ولايحجبه شئ من كمال عظمته والله تعالى منه مايمكن ان يعرف وهومقدار استعداد العباد فى تجليه على كل شئ ومنه مالايمكن ان يعرف وهوادراك كنه ذاته وكنه صفاته جل وعلا فالكبرياء ساتر له سبحانه جميعه عن علم عبده كما يستر الرداء لابسه على التنزيه المطلق فى حقه تعالى ليستر مايمكن ان يعرف منه تعالى ومالايمكن ان يعرف والعظمة ساترة لمالايمكن ان يعرف منه سبحانه فكأنه محل العورة وماستر محل العورة من الانسان يسمى ازارا فاذا ارتفع حجاب الكبرياء عن العبد وهوتكبر العبد على الرب بدعواه وجود نفسه مع وجود ربه مع ان وجوده فى وجود ربه عدم صرف لانه الوجود المخلوق بمعنى المفروض المقدر ووجود ربه هوالوجود الخالق بمعنى الفارض المقدر ودعواه الصفات والاسماء مع صفات ربه واسمائه مع ان صفاته واسماءه فى صفات ربه واسمائه عدم صرف كذلك ودعواه الافعال كذلك فاذا تواضع العبد للرب زال مالم يكن من بصيرة العبد وهو وجود العبد واضمحلت صفاته واسماؤه فظهر له وجود الرب سبحانه وتعالى وظهرت صفاته تعالى واسماؤه فارتفع رداء الكبرياء عن الله تعالى بسبب تواضع العبد لله تعالى وبقى ازار العظمة لايرتفع الاللوارث الواحد المحمدى الجامع وهوصاحب مقام الذات الراجع الى البقاء بعد الفناء فالكبرياء رداء ساتر للظهور فى عالم الملاء الاعلى والعظمة ازار ساتر للظهور فى عالم الملأ الاسفل وهومحل التناسخ ومستقر الجنة والنار (فمن نازعنى) اى خاصمنى وجادلنى (فى) دعوى (واحدمنهما) اى الكبرياء اوالعظمة (قذفته فى النار ولاابالى) بمافعلته معه فهو فى نار البعد والطرد عن شهوده تعالى فى الدنيا ونار العقوبة فى الآخرة (م ت) يعنى روى مسلم والترمذى باسنادهما (عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة) اى هذا القدر اليسير (من كبر) عن قبول الحق الواجب قبوله فهو وعيد للكافر لعدم قبوله الايمان بان يجحد شيئا مما يجب الايمان به اى شئ كان اوالمراد تكبر الفاسق بنفسه على ابناء جنسه فكونه لايدخل الجنة يعنى مع السابقين الاولين بدون العذاب فى النار اوالمراد من تكبر متشبها بالله تعالى وهومعنى المنازعة لله تعالى فى ذلك فيكفر بذلك لدعواه الالوهية فلايدخل الجنة (فقال رجل) من الصحابة رضى الله عنهم ممن كان حاضرا (ان الرجل) منا (يحب ان يكون ثوبه حسنا) اى

من احسن الثياب (ونعله حسنا) اى من احسن النعال وتقديره فهل ذلك من الكبر (قال) صلى الله عليه وسلم (ان الله جميل) اى موصوف بالجمال المطلق (يحب الجمال) فى كل شئ فاذا احب الرجل ان تكون جميع اموره حسنة كان متخلقا بخلق من اخلاق الله تعالى وهو امر ممدوح لا مذموم واستعمل الحسن فى الرجل والجمال فى الله للفرق بينهما فان الحسن بالعرض والجمال بالذات وكل حسن له جمال دون العكس فما بالعرض الظاهر يراه الرجل فيحبه وما بالذات الباطن يراه الله تعالى فيحبه وكل شئ له جمال بالذات فالله يحبه ولهذا اوجده ودبره وقد يكون له حسن بالعرض الظاهر فيحبه الرجل ايضا وقد لا يكون له حسن فلا يحبه الرجل ثم قال صلى الله عليه وسلم (الكبر بطر الحق) ضد الباطل اوالرب سبحانه والبطر محركة قلة احتمال النعمة و الطغيان فيها وكراهة الشئ من غير ان يستحق الكراهة وبطر الحق ان يتكبر عليه فلا يقبله كذا فى مختصر القاموس (وغمط الناس) بالغين المعجمة والطاء المهملة وفعله غمط كضرب وسمع استحقرهم وغمط العافية لم يشكرها والنعمة بطرها وحقرها كما فى مختصر القاموس (ت) يعني روى الترمذى باسناده (عن ثوبان رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو برئ من الكبر) فى ظاهره و باطنه (و) من (الغلول) اى الخيانة يقال غل واغل خان اوخاص بالفئ (و) من (الدين) بفتح الدال المهملة القرض وفى شرح الجامع الصغير للمناوى الدين بفتح الدال المشددة قال ابن للعربى الدين عبارة عن كل معين يثبت فى ذمة الغير للغير مؤجل اوحال (دخل الجنة) اما براءته من الكبر ومن الغلول فلانهما حرامان عليه واما براءته من الدين فلخلوص ذمته من حقوق العباد فان نفسه تحبس عن دخول الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات و قد اخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن ابى نعيم فى المعرفة عن مالك بن يخامر الفضاعى عن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدين شين الدين فالاول بالفتح والثانى بالكسر يعنى يعيب الدين و ينقصه واخرج الاسيوطى ايضا عن الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لدين راية الله فى الارض فاذا اراد ان يذل عبد وضعها فى عنقه وفى شرح المناوى قال وذلك بايقاعه فى الاستدانة اى اخذه الدين و يترتب عليها لذل والهوان ولهذا تكرر فى عدة احاديث استعاذة المصطفى صلى الله عليه وسلم منه فان قيل اذا كان الدين كذلك فكيف استدان المصطفى صلى الله عليه وسلم قيل انما دان فى ضرورة ولا خلاف فى عدم ذمه للضرورة فان قيل لا ضرورة لان الله تعالى خيره ان تكون بطحاء مكة له ذهبا اجيب بانه خيره فاختار الاقلال والقنع وما عدل عنه زهدا فيه لا يرجع اليه فالضرورة لازمة واخرج الاسيوطى ايضا عن البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدين دينان فمن مات وهو ينوى قضاءه فانا وليه ومن مات

ولا ينوى قضاءه فذاك الذى يؤخذ من حسناته ليس يومئذ دينار ولا درهم ومن هذا ما نقله فى البزازية اوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لا يؤاخذ به يوم القيامة لانه لم يتحقق المطل واخرج الاسيوطى ايضا عن الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدين هم بالليل ومذلة بالنهار واخرج ايضا فى مسند الفردوس عن عائشة قال عليه السلام الدين ينقص من الدين والحسب وفى شرح المناوى قال فانه ربما جر الى التسخط بالقضاء او الى الاحتيال بتحصيل شئ من غير حله ليرضى به رب الدين المطالب له ونحو ذلك كله حط من الديانة ومن الحسب بالتحريك اى انه مزر به وهذا وما قبله مسوق للتنفير من الاستدانة والزجر عن مفارقة ما يؤدى اليها وقال المناوى ايضا والقصد بهذه الاخبار الاعلام بان الدين مكروه لما فيه من تعريض النفس للمذلة فان دعت اليه ضرورة فلا كراهة بل قد يجب ولا لوم على فاعله واما بالنسبة الى معطيه فمندوب لانه من الاعانة على الخير (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى النار توابيت) جمع تابوت واصله تابوه ولغة الانصار بالهاء كذا فى مختصر القاموس وفى صحاح الجوهرى التابوت اصله تابوه مثل ترقوة وهو فعلوه فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء قال القاسم بن معن لم تختلف لغة قريش والانصار فى شئ من القرآن الا فى التابوت فلغة قريش بالتاء ولغة الانصار بالهاء (جعل) بالبناء للمفعول والجاعل هو الله سبحانه وتعالى حقيقة وملائكة العذاب مجازا (فيه) اى فى كل واحد من تلك التوابيت (المتكبرون) اى كل واحد من المتكبرين يجعل فى واحد من تلك التوابيت (فيقفل عليهم) كل تابوت منها فيكونون فى غم التوابيت زيادة على غم جهنم (طب) يعنى روى الطبرانى رحمه الله باسناده (عن عبدالله بن سلام انه مر بالسوق وعليه) اى على ظهره (حزمة حطب) يحملها الى بيته (فقيل له) اى قال له بعض من رآه (ما يحملك على هذا) الفعل اى يلجئك اليه ويضطرك له (و) الحال انه قد اغناك الله تعالى من هذا الفعل (قال) فى الجواب (اردت ان ادفع) بهذا الفعل (الكبر) عن نفسى (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من كان فى قلبه خردلة من الكبر) لفسقه بارتكابه ذلك فيحرمه الله تعالى دخول الجنة مع السابقين الاولين (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيامة) يعنى نظر رحمة ولطف وانعام واحسان والا فلا يغيب عن نظر الله تعالى احد مطلقا (ولا يزكيهم) اى لا يحمدهم ولا يثنى عليهم بصالح لاعمال بين الخلائق يوم الحشر او لا يطهرهم من اوساخ ذنوبهم وما ثمهم (ولهم) عنده (عذاب اليم) اى مؤلم موجع لاول

(شيخ) اى كبير فى السن ومع ذلك هو (زان) اى يفعل الزنا مع كبر سنه وضعف شهوته وقلة رغبة طبيعته فى جماع النساء بالنسبة الى الشاب القوى الشهوة الزائد الرغبة فى جماع النساء فان الشاب اخف اثما فى الزنا بالنسبة الى الشيخ المذكور كما قال السبكى رحمه الله تعالى من قصيدته النونية

﴿ هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها * ماعذر أشيب يستهويه شيطان ﴾

(و) الثانى (ملك) اى سلطان كلامه نافذ فى رعيته على كل حال ومع ذلك هو (كذاب) اى كثير الكذب يخبر عن الامر على خلاف ماهو عليه فان احد الرعية ذا كذب ربما كان الحامل له على ذلك رغبته فى امر اوتوصله الى غرض فذنبه فى ذلك اخف من ذنب من هو موفر الدواعى حاصل قادر على جميع اغراضه (و) الثالث (عائل) اى فقير صاحب عيال محتاج الى التواضع بين الناس لمحبة الناس فيحسنون اليه و يحظى عندهم و مع ذلك هو (مستكبر) اى متكبر عليهم (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن طارق رضى الله عنه انه خرج عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) اى سافر (الى) بلاد (الشام) وكان فى زمان خلافته رضى الله عنه وطارق معه قال طارق (ومعنا ابو عبيدة) ابن الجراح احد العشرة المبشرة بالجنة (فأتوا) فى طريقهم بقرب الشام (الى مخاضة) من الماء والطين (وعمر) رضى الله عنه (على ناقة له فنزل) عن ناقته (وخلع خفيه) من رجليه (فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض) فى تلك المخاضة حتى قطعها (وقال) له (ابو عبيدة رضى الله عنه ياامير المؤمنين انت تفعل هذا) يعنى مرورك فى المخاضة حافيا وخفاك على عاتقك وزمام ناقتك بيدك مع انك امير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (مايسرنى) اى مايفرحنى هذا الصنع منك (ان اهل البلد) اى بلد الشام وكانت يومئذ مع الكفار قبل فتحها (استشرفوك) اى اشرفوا عليك من حصونهم وقصورهم وهم يرونك على هذه الحالة (فقال له) عمر رضى الله عنه (اوه) كجير وحيث واين يعنى مثلثة الهاء مع سكون الواو ويجوز فيها ايضا آه واوه بكسر الهاء والواو المشددة واو بحذف الهاء واوه بفتح المشددة واو وه بضم الواو وآه بكسر الهاء منونة واو بكسر الواو منونة وغير منونة كلمة تقال عند الشكاية اوالتوجع كذا فى مختصر القاموس (ولم يقل ذا) اى هذا الكلام الذى قلته احد (غيرك) من الاصحاب (ياابا عبيدة جعلته) اى هذا الكلام الذى قلته لى (نكالا) اى عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة تنكل الناظر من فعل ماجعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع واصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون انكالا كذا فى تفسير البغوى (لامة محمد) عليه السلام (اناكنا) من قبل مانحن فيه الآن (اذل قوم) بسبب الكفر وعبادة الاصنام وتعاطى المفاسد فى الجاهلية (فاعزنا الله تعالى بالاسلام) ولا عز اعز

﴿ من ﴾

من عن الاسلام (فهما) اى فكلما (تطلب العز بغير ما اعزنا الله) تعالى (به اذلنا الله) تعالى اخبار اودعاء (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن عمر بن شعيب عن ابيه) شعيب (عن جده ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحشر المتكبرون) اى يحشرهم الله تعالى يعنى يجمعهم فى ارض المحشر (يوم القيامة امثال الذر) اى على مقادير الذر وهى اصغار من النمل (فى صور الرجال) وكذلك فى صور النساء ايضا فى مقابلة ما صغروا الناس فى الدنيا بتكبرهم عليهم (يغشاهم) اى يشملهم و يغطيهم (الذل) اى المهانة والحقارة (من كل مكان) يتوجهون اليه (يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس) بضم الباء وفتح اللام كذا فى القاموس (يعلوهم نار الانيار) اى نار النيران كذا فى النهاية لابن لاثير وفى القاموس النار تجمع على انيار (يسقون) بالبناء للمفعول (من عصارة اهل النار طينة الخبال) كسحاب صديد اهل النار والسم القاتل والهلاك والعناء والتعب (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن محمد بن زياد انه قال كان ابوهريرة رضى الله عنه يستخلف) بابناء للمفعول اى يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا (على المدينة) فى غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم (فيأتى بحزمة الحطب) الى بيته يحملها (على ظهره فيشق السوق) اى يمر بها بين الناس وهم يفسحون له يمينا وشمالا (وهو يقول) عن نفسه (جاء الامير) يعلمهم بمكانته بينهم ليتنبه له ذو حاجة فيقضيها له بسرعة فيمضى فى مهماته من امور الناس اونحو ذلك (وفى رواية) اخرى يقول لهم (طرقوا) اى خلوا الطريق فلا تضيقوه وافسحوا فيه (للامير) عن نفسه (حتى ينظر الناس اليه) عند تلك المقالة متعجبين من صدور تلك الحالة (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم) يعنى من الامم الماضية (يجر ازاره) على الارض (من الخيلاء) اى التكبر (خسف به) اى خسف الله تعالى به فى الارض من سوء عمله ذلك (فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة) قال ابن الاهيل اى يتحرك فيها اى فى الارض والجلجلة حركة مع صوت اى يسوخ فيها حين الخسف به ذكره الهروى فى الغريبين (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن جبير بن مطعم انه قال يقولون) اى الناس (فى) بالتشديد اى مجموع فى ذاتى (التيه) بالكسر الصلف والتكبر تاء يتيه تكبر فهو تائه وتيهان (و) الحال انى (قد ركبت الحمار) وما انفت من ركوبه (ولبست الشملة) وهى كساء يؤتزر به كذا فى المجمل (وحلبت الشاة) بيدى من غير استنابة احد فى ذلك (و) الحال انه (قد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فعل هذا) الفعل بان اتى بهذه الامور الثلاثة (فليس فيه من الكبر شئ) حيث فعل ما يفعله ادنى الناس ولم يترفع عن شئ من ذلك ولعل الشملة متخذة من الصوف كما ورد

فى حديث الجامع الصغير من رواية ابى نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برآءة من الكبر لبس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز وقال المناوى فى شرح هذا الحديث ولفظ رواية البيهقى لباس الصوف يعنى بقصد صالح لا لاظهارا للتزهد وابهاما لمزيد التعبد ومجالسة فقراء المؤمنين بقصد ايناسهم والتواضع معهم ونحو ركوب الحمار وركوب برذون حقير واعتقال العنز وفى رواية البعير يعنى اعتقاله ليحلب لبنه والمراد ان فعل هذه الاشياء بنية صالحة تبعد صاحبها عن الكبر

﴿ المبحث الثالث ﴾ من المباحث الخمسة (فى اسباب) وجود (الكبر) فى النفس (والتكبر) الذى هو اظهاره للغير (اعنى) اى اقصد بالاسباب (ما) اى الامر الذى يحصل (به الكبر والتكبر) فى (العلاج) اى المداواة للكبر والتكبر (لتفصيلى) نعت للعلاج (وهى) اى الاسباب المذكورة (سبعة) اسباب للكبر والتكبر وانما هى اسباب (باعتبار الجهل) لغالب فى الانسان (المقارن) بصيغة اسم المفعول نعت للجهل يعنى الجهل الذى قارنه الانسان (بها) اى بتلك الاسباب (لانها) اى تلك الاسباب (فى انفسها اسباب) بلا جهل قرنه الانسان بها (تامة) غير محتاجة فى السببية الى غيرها (وعلل موجبة) للكبر والتكبر من غير انضمام شئ آخر اليها (فسببيتها) اى تلك الاسباب المذكورة (فى الحقيقة) اى فى باطن الامر (راجعة الى الجهل) فقط لا الى تلك الاسباب التى قرن الانسان بها جهله (فعلاجها) اى مداواة تلك الاسباب المذكورة (ازالته) اى الجهل (وسنبينه) اى علاج اسباب الكبر والتكبر قريبا (ان شاء الله تعالى) السبب (الاول) للكبر والتكبر (العلم) مطلقا سواء كان بالمعقولات او بالمنقولات (وهو اعظم الاسباب) الداعية للكبر والتكبر والمراد ما عدا العلم النافع وهو المقرون بالعمل الصالح مع الاخلاص فانه ليس من اسباب الكبر والتكبر بل من اسباب الضعة والتواضع وهو الممدوح شرعا الذى ينصرف اليه اسم العلم عند الاطلاق والفضيلة الواردة فى الآيات والاحاديث انما هى له اى للعلم النافع دون الاول المذموم فانه العلم المضر الذى استعاذ منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وهو حجة على صاحبه ولو لم يورثه الا الكبر والتكبر لكفاه ذما فى الشرع وهو حرام تعلمه من جهة انه موصل الى الحرام الذى هو الكبر والتكبر والعلم المطلوب تعلمه شرعا هو العلم النافع لا غير (واشدها) اى الاسباب (واصعبها) على النفوس (علاجا) اى مداواة (لان قدر العلم) من حيث هو مع قطع النظر عن متعلقه (عظيم عند الله تعالى) كما قال تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال تعالى * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (وعند الناس) ايضا فان جاه العلم مشهور بينهم ورياسة قائمة على كل حال (وقد سمعت) فى الفصل الثانى من الباب

الثاني (ماورد) من الآيات والاحاديث (في فضله) اى العلم (و) فى (الحث) اى الحض والامر بازعاج (على تعلمه وكونه فرضا) على العين اوالكفاية كما سبق تفصيله (فلا مجال لقلمه) اى العلم (من اصله) اى لاينبغ الانسان ان ينهى عنه مطلقا بل ينهى عن الوصول به الى الكبر والتكبر (و) لامجال للحث على (ترك تعلمه) لان فائدته عظيمة فى معرفة القيام بخدمة الرب سبحانه ان ساعده التوفيق بخلق القدرة على الطاعة وعلى التجنب عن المخالفة وان صحبه الخذلان والعياذ بالله تعالى كان صاحبه من اشق الخلق وقال المحاسبي فى كتاب الرعاية العلم كما قال وهب كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فتزداد المرة مرارة وتزداد الحلوة حلاوة ويكثر ماؤها بالحلاوة ويكثر ماء المرة بالمرارة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد مايتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل جاهلا وهو يخاف من الله عزوجل ويعلم ان حجة الله تعالى له لازمة وان كان جاهلا فاذا حفظ العلم وفهمه ازداد خوفا ووجعا كما قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا فاذا ازداد وجعا لعظم الحجة عليه لما علمه الله عزوجل ازداد ذلا وتواضعا واشفاقا وخوفا واذا كانت همته وهواه الدنيا والتعظم ازداد بالعلم كبرا وانفا وحقرية لمن دونه فازداد على من هومثله ومن فوقه كبرا وانفا وحبا الغلبة (فانما علاجه) اى العلم الذى هو اعظم اسباب الكبر والتكبر (بمعرفتين) لشئين عظيمين احدهما (معرفة ان فضله) اى العلم (انما هو) اى ذلك الفضل (بمقارنة النية الصالحة) فى ابتداء تعلمه بان لايقصد بتعلمه تحصيل الوظائف والمدارس ولا اقبال الناس عليه وسوق الدنيا اليه ولاتحصيل المعيشه به والا كان يأكل بدينه ولا ان يمدح بالعلم وينتشر ذكره به وانما يقصد بذلك التقرب الى الله تعالى وتخليص نفسه من غائلة الجهل ومضرة الهوى ومفسدة الشيطان وغرور الدنيا (و) فضله ايضا بالمواظبة على (العمل به) مع الاخلاص وان لم يعمل به مخلصا فلا فضيلة لعلمه بل هو اخس من الجاهل واحقر منه (و) بالرغبة فى (نشره) اى العلم بتعليمه للمتعلمين وافادته للسائلين (لله) تعالى (بلا طمع) منه فى حصول (نفع) له (من الناس) ولادفع ضرر عنه بذلك (و) لاطمع (اخذ مال) من احد (عليه) اى على العلم ونشره وتعليمه (والا) اى وان لم يكن الامر كذلك (فينقلب) العلم وبالا (عليه) ولايكون له نفعا (فيصير) بسببه حينئذ (اخس) اى احقر (مرتبة من الجاهل) الذى لايعلم شيئا (واشد عذابا منه) يوم القيامة لاقتحامه المعاصى عن علم بها والجاهل يقتحمها عن جهل فانتهاك العالم لحرمات الله تعالى اذا عصاه سبحانه ابلغ من انتهاك الجاهل لها (على القول

الاصح) فى ان عذاب العالم على المعصية اشد من عذاب الجاهل كما ان ثوابه على الطاعة اعظم من ثواب الجاهل (فكيف يليق) بالعالم الذى علمه ينقلب وبالا عليه لفساد نيته وخبث طويته وسوء حالته فيوجب له زيادة العذاب على المعصية اكثر من عذاب الجاهل عليها (ان يتكبر به) اى بعلمه ذلك الذى هو به خاسر لا كاسب (عليه) اى على الجاهل (ويدل على هذا) المعنى (ما خرج) بالتشديد اى اسند (ت) يعنى الترمذى (عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما) اى علم كان من علوم المعقول والمنقول (لغير الله) تعالى اى لاجل التوصل به الى غيره سبحانه (او) تعلمه لاجل الله تعالى ثم (اراد به غير الله) تعالى بعد ذلك (فليتبوأ مقعده) اى موضع قعوده (من النار) اى نار الآخرة بوأه الله تعالى منزلا اى الزمه اياه واسكنه اياه وتبوأ من الجنة حيث نشاء اى نتخذ منها منازل ومنه الحديث فليتبوأ مقعده من النار اى لينزل منزله منها ذكره الهروى فى الغريبين واما قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله فقد ذكر ابن عطاء الله فى لطائف المنن قال وقد تجاربت الكلام انا وبعض من يشتغل بالعلم فى انه ينبغى اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت له الذى يقرء العلم لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده وربما غر العاقل من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس فى قول هذا القائل مايستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل عن امر من به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى المعا اعياء علاجه وضاق منه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا تستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين انفسهم الى التهلكة كما قيل * ليس المغرر محمودا وان سلما (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما) عقليا اونقليا من شان ذلك العلم انه (يبتغى) بالبناء للمفعول اى يطلب (به) اى بذلك العلم (وجه الله) تعالى بان كان علما موصلا الى معرفة الله تعالى من العلوم الشرعية الذاتية والمادية (لا يتعلمه) ذلك المتعلم له (الا ليصيب) اى يدرك (به غرضا) اى مقصدا وحظا نفسانيا (فى) الحياة (الدنيا) يعنى كانت نيته ذلك فى حال تعلمه (لم يجد عرف) بفتح العين المهملة وسكون الراء (الجنة يوم القيامة) حين تجلبه عرفها المخلصون (يعنى) بعرفها (ريحها) . وفى المجمل العرف الارج الطيب وفى مختصر القاموس العرف الريح طيبة او منتنة واكثر استعماله فى الطيب (طك) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الكبير باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

علماء هذه الامة رجلان) اى تنقسم العلماء كلهم الذين هم موجودون فى هذه الملة الاسلامية الى يوم القيامة الى قسمين القسم الاول (رجل آتاه الله) تعالى (علما فبذله) اى دفعه (للناس) بان علمه لهم ونصحهم به (ولم يأخذ عليه) اى على ذلك العلم شيئا منهم (طمعا) اى من جهة الطمع فى اموالهم وماتملكه ايديهم بان كان مخلصا لوجه الله تعالى فى تعليمه لهم ووعظهم وتذكيرهم فان اهدوا اليه شيئا عن طيب نفس منهم قبله ولا يرده عليهم وان لم يصبه منهم شئ لايعتب عليهم ولا يطلب منهم شيئا اصلا (ولم يشتر به) اى بذلك العلم (ثمنا) شريت المتاع اشريه اذا اخذته بثمن او اعطيته بثمن فهو من الاضداد وانما ساغ ان يكون الشراء من الاضداد لان المتبايعين تبايعا الثمن والمثمن وكل من العوضين مبيع من جانب ومشرى من جانب كذا فى المصباح المنير والمعنى هنا ولم يبعه بثمن من اثمان الدنيا واموالها بل طلب بذلك الجزاء من الله تعالى يوم القيامة (فذلك) الرجل هو الذى (يستغفر) اى يطلب المغفرة من الله تعالى (له) من جميع ذنوبه التى يفعلها (حيتان) جمع حوت قال فى المصباح الحوت العظيم من السمك وهو مذكر وفى التنزيل * فالتقمه الحوت * والجمع حيتان وفى مختصر القاموس الحوت السمك وجمعه احوات وفى الصحاح الحوت السمكة والجمع الحيتان انتهى فقد اطلق فى السمك والسمكة ولم يقل العظيم ولا العظيمة فيشمل الكبير والصغير من السمك وفى المجمل كما فى المصباح من التقييد بالعظيم والمناسب هنا فى الحديث الاطلاق (البحر) وفى معناه حيتان النهر ايضا والحوض ولعل ذكر البحر للجرى على الغالب فى وجود الحيتان (ودواب البر) وهو خلاف البحر وهى انواع الوحوش (والطير فى جو السماء) وهو مابينها وبين الارض والطير جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور واطيار وقال ابو عبيد وقطرب ويقع الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتأنيثها اكثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقل مايقال للانثى طائرة كذا فى المصباح وفى حديث الجامع الصغير للاسيوطى من رواية ابن عبد البر فى العلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وان طالب العلم يستغفر له كل شى حتى الحيتان فى البحر قال المناوى فى شرحه لهذا الحديث عن الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يؤذى ولا يقتل الا لاكله ولا يذبح مالا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا ظمأ ولا يجلس فى حر ولا برد لا يطيقه وان اقرار نينان البحر فى الماء اذا لم تكن اليها حاجة واجب وانه لايجوز التلهى باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها بالبر من غير قصد اكلها واذا صيدت للاكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز ضربها بعصى او حجر الى غير ذلك

(و) القسم الثانى (رجل آتاه الله) سبحانه (علما فبخل به عن عباد الله) تعالى الطالبين له منه ولم يبذله لاحد من الناس بل كتمه فى وقت الحاجة اليه (واخذ عليه) من الناس شيئا من المال (طمعا) اى على وجه الطمع لا على وجه العفة كما سبق (وشرى) اى باع (به ثمنا) بان دفعه واخذ المال من الناس فى مقابلته ولم يجعله لوجه الله تعالى (فذلك) الرجل هو الذى (يلجم) بالبناء للمفعول اى يلجمه الله تعالى (يوم القيامة بلجام من نار) اللجام للفرس قيل عربى وقيل معرب والجمع لجم مثل كتاب وكتب والجمت الفرس الجاما جعلت اللجام فى فيه كذا فى المصباح (وينادى مناد) يوم القيامة على رؤس الخلائق زيادة فضيحة له والمنادى ملك من ملائكة الله تعالى (هذا) الرجل (الذى آتاه) تعالى (علما فبخل به عن عباده) اى الله تعالى ولم يسمح به لهم لا بتقرير ولا بتحرير (واخذ عليه) المال (طمعا) فى الدنيا (وشرى به ثمنا) قليلا بمقابلته بالدنيا وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى فى لطائف المنن اما علم يكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهات والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه * ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة اى الغائط بملعقة من ياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطهارة وجود الصلاة (وذلك) اى الالجام المذكور يوم القيامة ومنادات المنادى من حين الشروع فى حسابه (حتى يفرغ من الحساب) الذى يحاسبه الله تعالى اياه ويحتمل ان يكون المعنى حتى يفرغ الله تعالى من حساب الخلائق كلهم (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن اسامة بن زيد) رضى الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق) اندلق السيف من غمده خرج من غير ان يسل واندلق السيل اقبل بقوة كذا فى المصباح (اقتاب بطنه) الاقتاب الامعاء واحدها قتب وقد يؤنث الواحد بالهاء فيقال قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى (كما فى المصباح فيدور بها) اى فى النار (كما يدور الحمار فى الرحا)

اى حول الطاحون ليديرها بقوة دورانه (فيجتمع اليه اهل النار) المعذبون فيها (فيقولون) له (يافلان) ويذكرون اسمه (ما) يعني اى امر (لك) اى اصابك من الامور العظيمة حتى تفعل هكذا (الم تكن تأمر) الناس (بالمعروف وتنهى) الناس (عن المنكر) في الحياة الدنيا وتقدر به فكيف وقعت فى منكر اوصلك الى هذا الحال (فيقول) لهم (بلى كنت آمر بالمعروف) للناس (ولا آتيه) اى لاافعل انا المعروف الذى آمر به (وانهى) الغير (عن المنكر وآتيه) اى افعل المنكر الذى كنت انهى غيرى عنه (وزاد) على ذلك (فى رواية مسلم قال) يعنى اسامة بن زيد رضى الله عنه راوى هذا الحديث (وانى سمعته) اى النبي (عليه الصلاة والسلام يقول مررت) فى (ليلة اسرى) اى اسرى الله تعالى (بى باقوام) من امتى (تقرض اى تقطع شفاههم) جمع شفة وهى غطاء الفم (بمقاريض) جمع مقراض بكسر الميم من القرض وهو القطع (من نار) فى جهنم (قلت من هؤلاء) اى الذين اراهم كذلك (يا جبريل قال خطباء) جمع خطيب يقال خطيب القوم لمن كان هو المتكلم عليهم والمراد علماء (امتك الذين يقولون) للناس (مالا يفعلون) هم بانفسهم من الاحكام والمواعظ (طب نعم) يعنى روى الطبرانى وابو نعيم باسنادهما (عن انس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزبانية) من زبنت الشئ زبنا اذا دفعته فانا زبون وقيل للمشترى زبون لانه يدفع غيره عن اخذ المبيع ومنه الزبانية لانهم يدفعون اهل النار اليها كذا فى المصباح (اسرع) اى اكثر مسارعة (الى) اخذ (فسقة) جمع فاسق وهو المصر على فعل الحرام من (القراء) جمع قارئ وهو الذى يقرأ القرآن (منهم) اى من الزبانية انفسهم (الى) اخذ (عبدة) جمع عابد كطلبة جمع طالب (الاوثان) اى الاصنام (فيقولون) اى فسقة القراء (يبدأ) بالبناء للمفعول (بنا قبل) اخذ (عبدة الاوثان) وهم كفار ونحن مسلمون ونقرأ القرآن (فيقال لهم) تغليظ الجناية عليكم بسبب انكم علمتم الحق وما عملتم به وعباد الاصنام لم يعلموا الحق (ليس) ذنب (من يعلم كمن) اى كالذى اذنب وهو (لا يعلم) فان من لا يعلم ذنبه اخف من ذنب من يعلم قال الله تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء) بالشريعة المحمدية اعتقادا وعملا (امناء) جمع امين (الرسل) اى رسل الله عليهم الصلاة والسلام (على) نصح (العباد) اى عباد الله تعالى (مالم يخالطوا) اى فى مدة عدم مخالطتهم (السلطان) اى من له سلطنة على الناس ملك او امير اووزير ونحوهم والقضاة والنواب والمفتون فى زماننا هذا فى معنى السلطان لمشاركتهم الامراء وحكام السياسة فى احوال التامة (و) مالم يدخلوا فى) امور (الدنيا فاذا دخلوا فى) امور (الدنيا) وتنازعوا مع الناس فى تناول الدرهم والدينار زيادة على قدر الحاجة (وخالطوا السلطان) وكذلك كل حاكم

كما ذكرنا (فقد خانوا الرسل) عليهم السلام الذين آمنوهم على نصح عباد الله تعالى واذا خانوا الرسل فقد خانوا الله تعالى المرسل للرسل الذى آمن الرسل عليهم السلام على نصح عباده فآمنوا اهم العلماء على ذلك (فاعتزلوهم) ياايها المكلفون ولا تخالطوهم لئلا يعلو كم الخيانة فى الدين التى هى وصفهم وتسرى حالتهم فيكم فاذا تعلمتم العلم منهم كنتم مثلهم علماء خائنين للرسل فى اماناتهم ولهذا نرى غالب الطلبة الذين يقرأون العلم على العلماء الذين هذا الوصف المذكور وصفهم احوالهم كاحوالهم واقوالهم كاقوالهم وهم مضمرون فى نفوسهم اذا تعلموا العلم ان يكونوا كمشايخهم فى مخالطة السلطان ومداهنة حكام الزمان وجمع الدنيا من اى وجه كان ولا كمال فى عيونهم الا لهذه الحالة فهى مناهم فى سائر الاحيان فانصح نفسك ياايها المكلف واياك والقراءة على احد منهم واعتزلهم كما مر نبيك بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تشتغل بقراءة العلم الا على العلماء العاملين اهل الورع والدين وان كانوا اقل علما من الاولين فان البركة فى علومهم والنفع فيها لكافة المسلمين (ز) يعنى روى البزار باسناده (عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال تعرضت اوتصديت) الشك من راوى (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى قصدت اسأله (وهو يطوف بالبيت) فى مكة المشرفة (فقلت له يارسول الله اى الناس شر) اى اكثر شرا (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم) يعنى ياالله (غفرا) اى اغفرلنا ولمن سأل هذا السؤال غفرا حيث كان السؤال يتضمن التجسس عن الناس وذكر مساويهم وسوء الظن بهم ونسبة الشر اليهم وان لم يكن السؤال عن احد بعينه منهم (سل عن الخير) اى اكثر الناس خيرا (ولا تسل عن الشر) ثم قال صلى الله عليه السلام فى جوابه بعد تعليمه كيفية السؤال الحسن وانما اجابه لان فى سؤاله فوائد مهمة ومقاصد جمة وفى حسن التنبه للنجم الغزى رحمه الله تعالى قال حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه كان الناس يسئلون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لايسبقنى وفى رواية عنه فعلمت ان من لايعرف الشر لايعرف الخير (شرار الناس) فى كل زمان (شرار العلماء) اى الشرار من العلماء فان العلماء بهم صلاح الناس وارشاد شرارهم الى التقوى والدين وازالة الفساد منهم فاذا فسدت العلماء المصلحون للناس كانوا شرار الناس كالملح الذى به اصلاح الاطعمة اذا فسد فسدت الاطعمة بفساده وكان فساده اشر فساد لان فساد الاطعمة ينصلح بالملح واما الملح فلا ينصلح فساده اصلا (طص هق) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الصغير والبيهقى باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة) فى نار جهنم (عالم) بالشريعة المحمدية (لم ينفعه علمه) بان كان لايعمل به ولا تخشع له جوارحه فتحرك للاقبال على الآخرة

ولايستحيي من الله تعالى ان يصف الدواء النافع لعباده. وهو بينهم مريض مدنف (حدهق) يعني روى الامام احمد بن حنبل والبيهقي باسنادهما (عن منصور بن زادان انه قال نبئت) بالبناء للمفعول اي انبأني يعني اخبرني بعض من ينقل ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان مثل هذا لايعلم الا بالوحي وهو مخصوص بالانبياء عليهم السلام (ان بعض من يلقى) بالبناء للمفعول اي يلقيه الله تعالى (في النار) يوم القيامة (يتأذى اهل النار) اي يصيبهم اذى (بريحه) المنتن الذي يفوح منه (فيقال له) والقائل بعض اهل النار (ويلك) من الويل وهو حلول الشر وتفجيع يقال ويله وويلك وويلي في الندبة وويل كلمة عذاب وواد في جهنم او بئر اوباب كذا في مختصر القاموس (ما) يعني اي شيء (كنت تعمل) في الحياة الدنيا حتى استوجبت هذا العذاب الذي يصيبنا منه ضرر (اما يكفينا ما) اي الذي (نحن فيه) من العذاب (حتى ابتليتنا) اي ابتلانا الله تعالى (بك وبنتن ريحك) يفوح علينا فنجد منه الالم الشديد زيادة على عذابنا (فيقول) لهم (كنت) في الحياة الدنيا (عالما) اعلم الناس العلوم الشرعية ولا اعمل انا بذلك الذي اعلمه للغير (فلم انتفع بعلمي) شيئا (هق حب) يعني روى البيهقي وابن حبان باسنادهما (عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال لايكون المرء) اي الرجل بفتح الميم وضمها لغة فان لم تأت بالالف واللام قلت امرء وامرآن والجمع رجال من غير لفظه والانثى امرأة بهمزة وصل وفيها لغة اخرى مرأة وزان تمرة ويجوز نقل حركة هذه الهمزة الى الراء فتحذف فتبقى مرء وزان سنة كذا في المصباح (عالما) اي لايسمى بهذا الاسم في اصطلاح الشرع حيث ورد اسم العالم اوذو العلم في الكتاب اوالسنة كما كان ذلك معروفا في الصدر الاول (حتى يكون) ذلك العالم (بعلمه عاملا) وان لم يكن عاملا بعلمه فهو جاهل لاعالم لغلبة احكام الهوى والنفس عليه ولهذا اسم العالم الوارد في الآيات والاحاديث المقتضي للمدح والثناء لايشمل ابليس اللعين مع انه كثير العلم بجميع الشرايع والاديان بل بالمذاهب والخلافات كما صرح بذلك الشعراوي في بعض كتبه لعدم عمله بشيء من ذلك اصلا لكفره بالله تعالى فكذلك لايشمل كل عالم غير عامل بعلمه (حك) يعني روى الحاكم باسناده (عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون) اي يوجد (في آخر الزمان عباد) بالتشديد جمع عابد وهو الذي يفعل عبادة الله تعالى اي امتثال امره واجتناب نهيه (جهال) جمع جاهل من الجهل ضد العلم يعني يعبدون الله تعالى على زعمهم ذلك من غير علم بالعبادة فلا يعلمون الاوامر الالهية ولاالنواهي ويزعمون انهم يعملون على مقتضى ذلك من غير علم به فيبتدعون ماليس في الدين من الزيادة والنقصان استحسانا بعقولهم وهم يظنون ان ذلك

شرع الله تعالى وانهم لايحتاجون الى التعلم فيضلون انفسهم وغيرهم (وعلماء) جمع عالم وهو العرف باحكام الله تعالى اعتقادا وعملا (فساق) اى يرتكبون المحرمات و يصرون على المعاصي والمخالفات ولايعملون بمقتضى علمهم المشتمل على بيان الفرائض والواجبات والمحللات والمحرمات على طبق الآيات البينات والاحاديث النبويات واقوال الائمة الثقات (مج) يعني روى ابن ماجه باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما) وكان ذلك العلم (مما) اى من اى نوع من العلوم (ينفع الله) تعالى (به) عباده (فى امر الدين) المحمدى كعلم التوحيد اوالفقه اونحو ذلك بخلاف العلوم التى لانفع بها فى الدين كالقدر الزائد على الحاجة من علوم العربية (الجم) اى الجمه الله تعالى (يوم القيامة بلجام من نار) بان يدخل فى فمه ذلك اللجام ليتعذب به فى موضع جنايته وهو فمه ويمنعه من النطق عقوبة له من الله تعالى على كتمانه الحق فى محل الاحتياج اليه (ز طط) يعنى روى البزار والطبرانى فى المعجم الاوسط (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر الاسلام) اى سوف يشتهر ويتضح وينتشر هذا الدين المحمدى فى اقطار الارض من الطول الى العرض ويغلب على سائر الاديان وفى المصباح ظهر الشئ يظهر ظهورا برز بعد الخفاء ومنه يقال ظهر فى رأى اذاعلمت مالم يكن علمته ظهرت عليه اطلعت وظهرت على الحائط علوت و منه قيل ظهر على عدوه اذاغلبه (حتى يختلف)اى يتردد (التجار) فيأتون ويذهبون ومنه قوله تعالى *وهوالذى جعل الليل والنهار خلفة *اى يجئ هذا فى اثر هذا(فى البحر) فيسافرون باموالهم ويؤثرون السفر فيه على السفر فى البر من كثرة الامن بظهور الاسلام وانتصارا هله واخماد الكفار حتى يصيروا ذمة للمسلمين فلايقدرون ان يخيفوا طريق البحر (وحتى يخوض) اى يدخل يقال خاض فى الامر دخل فيه (الخيل) معروفة وهى مؤنثة ولاواحد لهـا من لفظها والجمع خيول قال بعضهم و يطلق الخيل على العراب وعلى البراذين وعلى الفرسان وسميت خيلا لاختيالهـا وهو اعجا بها بنفسها مرحا ومنه يقال اختال الرجل وبه خيلاء و هوالكبر والاعجاب كذا فى المصباح (فى سبيل) اى طريق (الله) تعالى يعنى فى مرضاته سبحانه والمعنى يكثر تردد الخيل والفرسان فى غمرات الحروب لكثرة الجهاد فى اعداء الله تعالى وهو سبب كثرة الامن المذكور (ثم يظهر) اى يتبين بعد الخفاء او يغلب بعد الذل والحقارة وهو اخبار عن تحول الحال الاول فى الاسلام الى ضده وقد اتى بثم الدالة على الترتيب والتراخى فى المدة للاشارة الى تأخر الحال الثانى عن الاول فى الزمان (قوم) اى جماعة (يقرؤن القرآن) و يالتون فى تجويد حروفه و تصحيح كلماته شاردين عن معانيه المقصودة وعن العمل باحكامه والاتعاظ بمواعظه و الانتباه لحكمه

واسراره الكثيرة المعدودة ولهذا (يقولون) من كثرة جهلهم بالحق وآداب الدين وتكبرهم على المسلمين (من اقرأ) اى احسن قراءة للقرآن العظيم (منا) يريدون بذلك الازراء على الناس والتهكم بمن لم يتقن قراءة القرآن مثل ما اتقنواهم وهذه الحالة التى اتقنوها هم وصرفوا فى تحصيلها غالب اوقاتهم ليست بامر مفروض عليهم وقد وقعوا بسببه فى احتقار المسلمين وسوء الظنون فيهم فان الواجب على القارئ ان يتعلم من علم التجويد للقرآن المجيد مقدار ما يمتنع به من اللحن الجلى المخل بالمعنى المفسد للمبنى واما مازاد على ذلك من الترقيق والتفخيم والمدود والادغام فهو امر مستحب كما صرح بذلك الشيخ على القارئ الحنفى المكى فى شرح منظومة ابن الجزرى فى علم التجويد حيث قال القرآن وصل الينا من الاله متواترا من اللوح المحفوظ على لسان جبريل عليه السلام وبيان النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم وتعلم التابعين ثم اتباعهم منهم وهلم جرا الى مشايخنا رحمهم الله تعالى متواترا هكذا بوصف التنزيل المشتمل على التجويد والتحسين وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وسائر متعلقاتها التى هى معتبرة فى لغة العرب الذى نزل القرآن العظيم بلسانهم لقوله تعالى *وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه* فينبغى ان يراعى جميع قواعدهم وجوبا فيما يغير المبنى ويفسد المعنى واستحبابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الاداء وانما قلنا بالاستحباب فى هذا النوع لان اللحن الخفى لايعرفه الا مهرة القراء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات فى غير محلها وترقيق الراآت فى غير موضعها لايتصور ان يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعله لما فيه من حرج عظيم وقد قال تعالى *وما جعل عليكم فى الدين من حرج* وقال تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* وقال الشيخ جلال الدين الاسيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن التحقيق وهو اعطاء كل حرف حقه من اشباع المد وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة من الوقف بلا قصر ولا اختلاس ولا اسكان محرك ولا ادغامه وهو يكون برياضة الالسن وتقويم الالفاظ ويستحب الاخذ به على المتعلمين من غير ان يجاوز فيه الى حد الافراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراآت وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة فى الكيفيات كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ فى ذلك اما علمت ان ما فوق البياض برص وما فوق الجعودة قطط وما فوق القراءة ليس بقراءة انتهى ولا يغرنك قول ابن الجزرى فى منظومته اذ واجب عليهم محتم الى آخره فان على القارئ رحمه الله تعالى يقول فى شرحه ثم الوجوب الشرعى ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والعرفى ما لا بد منه فى فعله ولايستحسن تركه فيجب حمل كلام المصنف يعنى ابن الجزرى رحمه الله تعالى على المعنى الاصطلاحى وهو لاينا فى

الوجوب الشرعى فى بعض الصور ولايجوز حمله على المعنى الشرعى لان معرفة جميع ما فى هــذه المقدمة ليس من هذا القبيل الا اذا حمل على وجوب الكفاية ولايفرك ايضا قول ابن الجزرى * والاخذ بالتجويد حتم لازم * قال على القارئ فى شرحــه فالاظهر ان المراد بالحتم هنا ايضــا الوجوب الاصطلاحى المشتمل على بعض افراد من الوجوب الشرعى لا الجمع بين الحقــيقة والمجاز اواستعمــال المعنيين بالاشــتراك كماذهب اليه الشراح يعنى لمقدمة ابن الجزرى من الشافعية فان اللحن على نوعــين جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى والاعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما سواء تغير المعــنى به املا والخفى خطأ يخل بالعرف كترك الاخفاء والاقلاب والاظهار والادغام والغنة وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولاشك ان هذا النوع مماليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانمافيه خوف العقاب والتهديد واما تخصيص الوجوب بقراءة الفاتحة كماذكره بعض الشراح يعنى لكلام ابن الجزرى فليس ممايناسب المرام فى هذا المقام وقال ابن الجزرى * من لم يجود القرآن آثم * قال على القارئ فى شرحه اى من لم يصحح كما فى نسخة صحيحة بان يقرأه قراءة مخلة بالمعنى اوالاعراب كماصرح به الشيخ زكريا خلافالما اخذه بعض الشراح يعنى للجزرية منهم ابن المصنف عــلى وجه العموم الشامل للحن الخفى فانه لايصح كمالايخفى وفى شرح عــلى القارئ المذكور كلام آخر فى مواضع منه صريحة بماذكر وفى كتاب لطــائف الاشارات فى علم القرآآت للامام القسطــلانى رحمه الله تعالى قال اعلم ان طلب حفظ القرآن العظيم وسرعة سرده والاجتهاد فى تحرير النطق بلفظه والبحث عن مخارج حروفه وصفاتها والرغبة فى تحسين الصوت به وان كان مطلوبا حسنا ولكن فوقه ماهوا هم منه وتم واولى وهو فهم معانيه والتفكر فيه والعمــل بمقتضاه والوقوف عنــد حدوده وقد روينا فى فضــائل القرآن لابى عبيد القاسم ابن سلام عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة فى قوله تعالى * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته * قال يتبعونه حق اتباعه وعن الشعبى فى قوله تعالى * فنبذوه وراء ظهورهم * قال اما نه كان بين ايديهم ولكنهم نبذوا العمل به قال الغزالى اكــثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب سدلها على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها قال وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله تعالى فلايزال يحملهم عــلى ترديد الحرف يخيــل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعانى واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثــل هذا التلبيس ثم قال وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب

الانعاظ والتأثر والانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل ينزجر والقلب يتعظ وقال حذيفة رضي الله عنه ان اقرأ الناس النافق الذى لايدع واوا ولا الفا يلفت بلسانه كما تلفت البقرة الخلاء بلسانها لايجاوز ترقوته وقال صاحب الغريبين فى الحديث هلك المتنطعون هم المتعمقون الغالون الذين يتكلمون باقصى حلوقهم مأخوذ من النطع كنب وهو الغار الاعلى من الفم قال وفى حديث حذيفة من اقرأ الناس منافق لايدع منه واوا ولاالفا يلفت بلسانه كما تلفت البقرة بلسانها الخلاء اى يلو به يقال لفته وفتله اى لواه والخلاء الرطب من الكلاء وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه قال روى الامام احمد بن حنبل والطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر والبيهقى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر منافقى امتى قراؤها وروى الفيريابى عن عمر رضى الله عنه قال ان اخوف ما اخاف عليكم ثلاثة منافق يقرأ القرآن لايخطئ فيه واوا ولا الفا يجادل الناس انه اعلم منهم ليضلهم عن الهدى وزلة عالم وائمة مضلون و يقولون ايضا (من) يعنى اى انسان (اعلم) اى اكثر علما (منا من) يعنى اى انسان (افقه) اى اكثر فقها اى فهما فى الدين (منا) وهذا القول منهم اما بصريح اللسان اوهم مضمرون له فى نفوسهم ولهذا تراهم لايثبتون لاحد غيرهم فضيلة وكلما ذكرت فضيلة لاحد من الناس اخذوا فى ردها وذم ذلك الرجل وذكر عيوبه ليبطلوا ان يكون له فضيلة فى العلم فيشاركهم فى فضيلتهم وهم مرادهم الانفراد بذلك وحدهم بلامشاركة احد لهم فى ذلك (اولئك منكم) اى مسلمون ليسوا من اليهود ولامن النصارى (من هذه الامة) اى ليسوا من الامم الماضية (واولئك هم وقود) بالفتح وهو الحطب (النار) اى نار جهنم (طب) يعنى روى الطبرانى عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما انه) اى ابن عمر (قال لااعلمه) اى هذا الحديث (الاعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال من) يعنى اى انسان (قال انى عالم) وصرح بنسبة العلم اليه بلسانه (فهو جاهل) لايعلم ما العلم فهو يحفظ بعض المسائل فيظن انه صار عالما بها والعلم هو النور الذى يقذفه الله تعالى فى القلب فيكشف العبد به عن كل شئ ولايخفى عليه بسببه امر من الامور مطلقا و يكشف به عن نفسه فيراها جاهلة قاصرة عاجزة مذنبة حقيرة فلايدعى لنفسه علما وانما العلم عند الله كما قال تعالى * والله يعلم وانتم لاتعلمون وفى الحديث المؤمن ينظر بنور الله وقال المصنف رحمه الله تعالى (ولااري عالما منصفا) يعنى من علماء زمانه (اذا نظر وتأمل فى احواله) اى احوال نفسه (واعماله) التى يعملها فى اليوم والليلة (يحكم لنفسه انها بريئة) اى مبرئة (من هذه الآفات) اى المفاسد المذكورة فى هذه الاحاديث والاخبار المأثورة (بل الظن) الغالب عندنا (ان يحكم) ذلك العالم (عليها) اى على نفسه (بها) اى بهذه الآفات (او) يحكم على نفسه

(بعضها) اى بعض تلك الآفات (فتكبره) اى ذلك العالم على غيره حينئذ (بالعلم) الذى يعلمه (جهل) منه (محض) اى خالص (وثانى المعرفتين) فى علاج العلم الذى هو اعظم اسباب الكبر والتكبر ان يعرف الانسان (ان الكبر) فى النفس الصادر (من العباد) المخلوقين على بعضهم بعضا (حرام) بالاجماع (وانه) اى الكبر (لايليق الا بالله تعالى) لانه سبحانه هو الكبير الحقيق الذى لايشبه كبره كبر شئ محسوس ولامعقول فليس من قبيل الاجسام ولامن قبيل الاعراض (وانه) اى الكبر (صفة قديمة (مختصة به) اى بالله (تعالى) لايشاركه فيه غيره اصلا (ولوعلم) بالبناء للمفعول (ان العالم) الذى يتكبر بعلمه على غيره (برئ من الآفات) اى المفاسد (المذكورة) للعلم فى الاحاديث والاخبار السابقة (وان لعلمه) الذى يتكبر به (فضلا) اى مزية ورفعة على علم غيره (فعلمه) انما (يورث) له (خشية) اى خوف اجلال لاخوف عقوبة (من الله تعالى) فكيف يمكنه ان يتكبر به على غيره (قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) به سبحانه وهم العارفون المحققون كما سبق بيانه (و) يورث (تواضعا) اى انخفاضا لعباد الله تعالى (لا) يورث (جراءة) اى سلطة (على الله تعالى) مع عدم حياء منه سبحانه (و) لايورث (امنا) بلاخوف (منه) تعالى ان يسلبه مااعطاه كما قال سبحانه *فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (و) لايورث (كبرا على عباده) اى عباد الله تعالى (وعجبا) اى اعجابا عليهم (فلذا) اى فلكون الامر كذلك (صار الانبياء عليهم الصلاة والسلام متواضعين) لعباد الله تعالى غير متكبرين عليهم (خاشعين) لله تعالى من غير جراءة عليه سبحانه ولاامن منه وعلمهم به تعالى اورثهم الخشية منه والهيبة له والعظمة عندهم لجلاله (لم يكن) اى لم يوجد (فيهم كبر) على احد من عباد الله تعالى (ولاعجب) اى ترفع وتكبر يقال اعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول اذا ترفع وتكبر كذا فى المصباح المنير (فحق العبد) المخلوق (ان لايتكبر على احد) من العبيد المخلوقين مثله لانهم كلهم عبيد مولى واحد وهو خالق لهم (فان نظر) العبد (الى جاهل يقول هذا عصى الله تعالى بجهل) منه (وانا عصيته) سبحانه وتعالى (بعلم فهذا) الجاهل (اعذر) اى اكثر عذرا (منى) فهو افضل منى واكرم على الله تعالى *كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم* ولم يقل تعالى ان اكرمكم عند الله اعلمكم (وان نظر الى عالم) من علماء المسلمين (يقول) هو فى نفسه (هذا علم) من علوم الدين المحمدى وآلاته الشرعية (مالم اعلم) انا (فكيف اكون) انا (مثله) فى العلم فضلا عن الزيادة عليه (وان نظر الى) احد (اكبر منه سنا) اى عمرا (يقول) فى نفسه (انه اطاع الله تعالى قبلى) فقد سبقنى بالايمان والعمل الصالح (وان نظر الى) انسان (صغير) يعنى اصغر منه فى السن (يقول انى عصيت الله تعالى قبله)

فهو اعلى منى حيث لم تصدر منه المعصية فى وقت صدورها منى (وان نظر الى مساويه) اى الى احد يساويه (سنا) اى عمرا (يقول) فى نفسه (انا اعلم بحالى) من غيرى (ولا اعلم حاله) اى حال هذا المساوى لى فى السن (والمعلوم اولى بالتحقير) على المعاصى التى صدرت منه (من المجهول) الذى لا تعلم معاصيه ومما يناسب هذا ماذكره المحاسبى فى الرعاية قال اعلم ان الناس عندك فرقتان فرقة مستورة لا تعرف منها سوءا ولا جرما فتلك الفرقة افضل منك عندك اذ لم يذنبن منها مكروها والفرقة الثانية مختلفون فى ذلك فمنهم من هو عندك مهتوك فى ذنب او ذنبين او اكثر من ذلك الا انه اقل فيما يتبين لك من نفسك من الذنوب فى طول عمرك فهؤلاء ايضا افضل منك عندك اذ كنت تعرف من نفسك اكثر مما تعرف منهم وفرقة قد ظهر لك منها الذنوب اكثر واعظم مما ظهر لك من نفسك فاما الكثرة فلا تقدر ان تحصيها من غيرك كما تعرفها من نفسك لانك خال بنفسك فى كل حال فى عمرك كله ولا تقدر ان تصحب غيرك فى طول عمرك فلا تفارقه كما لا تقدر ان تفارق نفسك ولا تطلع على سرائره وضميره كاطلاعك على سرائر نفسك وضميرها فذنوبك عندك اكثر من ذنوب غيرك واما العظم فقد يظهر لك من غيرك كالقتل والسرقة والزنا وغيره من غيرك فقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه ليس عنده من المعرفة والعلم ما عندك فالحجة عليك اعظم منها عليه والحساب عليك فى سؤال القيام بالعلم اشد فانت تخاف على نفسك العذاب على قدر تضييعك مع العلم والمعرفة فتنفى عنك الكبر بذلك وقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه له من العلم مالك واكثر وقد ظهر لك منه من الذنوب اعظم مما اتيت فهو لله جل جلاله اعظم عصيانا منك فالذى عليك فيه ان تعرف نعمة الله عزوجل عليك اذ عصمك من مثل عمله وتغضب عليه لله عزوجل وتجانبه وتحقره غضبا لربك ولا تنس الخوف على نفسك حتى ترى انك ناج وانه هالك دونك وانت لا تدرى بما يختم لك ولا بما يختم له وانما وكلت بالخوف على نفسك من ذنبك ولم توكل بالخوف عليه من ذنبه الا من طريق الاشفاق عليه فاما ما ندبت اليه ووجب عليك فهو ان تخاف الله عزوجل وترهبه وتتوب اليه وتخاف ان لا يقبل منك صالح عملك لما سلف من ذنوبك ولما تخاف ان يكون قد دخل عليك فى عملك من الآفات التى تفسده وان تخاف من سوء عواقب الخاتمة وسابق العلم فيك فانما امرت ووجب الخوف على نفسك لانك المأخوذ بذنبك لا بذنب غيرك الا تسمع الله عزوجل يقول ولا تزر وازرة وزر اخرى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ولا تكسب كل نفس الا عليها فانت لا تدرى لعل الله عزوجل ان يكون قد غضب عليك وانت عندك شغل من الخوف على غيرك ولا تدرى بما يختم لك وكم من قد رأيته راحما لغيره من المسرفين على انفسهم قد رجع الى المعاصى وتاب المرحوم عنده ورجع هو حتى مات على شر احواله ومات الآخر على الطاعة والتشمير لان الله عزوجل قد غيب علم عواقب

الامور واعمال العباد عنهم فلايدرى احد منهم الاالرسل الذين بين لهم فلايدرى العبد على مايموت وباى حال يختم له بها فالخوف على نفسك اولى بك من الخوف على غيرك واذا نظرت الى الغير بعين الازدراء والحقر به وقد غلب على قلبك انك الناجي وانك خير منه على كل حال لاتذكر ماسلف من ذنوبك ولا بما يختم لك فحينئذ تجمع بين غضب الله عزوجل والكبر وانفت ان تقبل منه حقا وتؤدى اليه حقا وجبه الله عزوجل له عليك وقد قطع قلبك عليه بالهلاك وغلب عليه النجاة لك فحينئذ قد تكبرت عليه فاعجبت بنفسك وقدروى عن وهب بن منبه انه قال ما تم عقل امرئ حتى تكون فيه عشر خصال فعدتسع خصال حتى بلغ العاشرة فقال والعاشرة وما العاشرة التى ساد بها مجده وعلا بها ذكره انه يرى الناس كلهم خيرا منه وانه شر منهم حالا فقال يرى ولم يقطع ثم فسر ذلك فقال وانما الناس عنده فرقتان اورجلان ففرقة هى افضل منه وارفع وفرقة هى شر منه وادنى فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه شكره وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه خائفا من العاقبة ثم قال ولعل بر هذا باطن فذلك خيرله لايدرى لعل عنده خلقا كريما بينه وبين ربه عزوجل يشكره له فيرحمه به فيتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ثم قال ويرى انا ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن ان لايكون سلم فيما اظهر من الطاعة ان يكون قد دخلها من الآفات مايحبطها ثم قال فحينئذ كمل العقل وساد اهل زمانه (وان نظر) ذلك العبد الصالح (الى) رجل (مبتدع) اى مرتكب بدعة فى العمل اوفى الاعتقاد كالقدرى والجبرى والمعتزلى (او) الى رجل (كافر) يهودى اونصرانى لايتكبر بنفسه على احد منهما اصلا (ويقول) فى نفسه (ما) يعنى اى شئ (يدريني) من ادراه اذا اعلمه (لعله) اى ذلك المبتدع اوالكافر (يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن) من البدعة والكفر فلايتكبر على واحد منهما مع البغض لهما والغضب عليهما لله تعالى لالحظ النفس وفى كتاب رعاية المحاسبى قد تبين لى كيف اجانب الكبر على اهل المعاصى من المسلمين فاخبرنى من اثق به عن اهل البدع الذين يتدينون بغير السنة ويضلون العباد عن الله عزوجل اعداء سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم همتهم اطفاء نورها واحياء الضلالة ومذلة اهل الحق واعزاز اهل الكذب والافتراء بالتأويل على الله عزوجل وعلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اهل البدع يجب عليك البغض لهم والمجانبة الا من وجب عليك حق تؤديه اليه فتؤديه اليه وقلبك له مبغض ومنه نافر كائنا من كان الا ان قلبك لاينسى ماورطت فى رقبتك من الذنوب وماتقدم فيك من علم علام الغيوب بالشقاء اوالسعادة اوسوء الخاتمة وتعلم مع ذلك ان الله عزوجل قد فضلك عليهم بما عصمك منه من التدين باديانهم غير غافل حتى تقطع انك خير منهم فى الآخرة ترى انك ناج وهم الهالكون

وقد غيب الله عزوجل عنك العلم فيك وفيهم من ترى منهم على اى حال يموت وعلى اى حال تموت ولعله لايغفرلك ولاله فتدخلان النار جميعا فان كان عاقبة امرك دخول النار فعندك شغل عن استصغاره والظن فى نفسك انك خير منه. فاذا دنت لله عزوجل ببغضه وخالفته وعلمت مامن الله عزوجل به عليك مما عصمك مما يدين به ولم يغفل قلبك حتى يغلب عليه انك ناج وهو هالك فقد تكبرت فى نفسك فاغتررت برأيك فان قلت ان اهل البدع وان كانوا ضلالا فانهم معتقدون للتوحيد ولكن ارأيت من لاشك فيه انه عدو لله عزوجل كافر به ان مات على كفره فهو فى النار لايرحمه الله عزوجل ابدا افلا يمتنع قلبى من ان اعلم انى خير منه وانه هالك لامحالة وانه ليس عنده من الخير ما يرضى الله عزوجل به مثقال خردلة قال هو كما ذكرت الا ان يمن الله عزوجل عليه بالتوبة قبل الموت فان من عليه بذلك فالله احق بالتفضل عليه والافهو الظالم الخاسر فاما الكبر على احد من الناس فلا يجوز لك فانت لاعلم لك لعله ان يموت اعبد اهل زمانه وتموت انت اكفر اهل زمانك فكن لذلك مخوفا ومايدلك على ذلك ان الله عزوجل ابتعث نبيه صلى الله عليه وسلم فاجابه اول مادعا الى توحيده قوم وتأخر عن الاجابة آخرون فكان ممن اجابه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعلى وبلال وغيرهم وعمر وغيره كفار فقد كان من اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمرو بن عتبه وبلال وغيره ينظرون الى عمرو يعرفون انه ضال كافر ولايدرون بما يختم له فوهب الله عزوجل له الاسلام حتى فاق كل من اسلم قبله الا ابابكر وحده فلم يكونوا يعلمون مايكرمه الله عزوجل به وكانوا مؤمنين وكان هو كافرا ثم اسلم ففضلهم وكذلك غيره ممن تقدم اسلامه وتأخر اسلام آخر بعده الى عصرنا هذا فقد ارتد قوم اسلموا على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلوا كفارا يوم قتال اهل الردة واسلم من كان كافرا وهم مؤمنون فحسن اسلامهم ثم قتلوا مؤمنين شهداء فاذا كنت مخوفا على نفسك الخاتمة والعاقبة لايغلب على قلبك نجاتها البتة وانك لعلك ميت على كفره فقد نفيت الكبر ولم تغتر ولم تأمن على نفسك من التغير وزوال الذين يورثانك العذاب والعقاب ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وان نظر) ذلك العبد الصالح (الى كلب او) الى (خنزير او) الى (حية او) الى (عقرب اونحوها) من جميع المؤذيات (يقول) فى نفسه (هذا لم يعص الله تعالى فلا عتاب) اى لاملامة فى الآخرة عليه (ولا عقاب عليه) فيها ايضا (و) اما (انا) فقد (عصيته) اى عصيت الله تعالى (فانا مستحق لهما) اى للعتاب وللعقاب من الله تعالى فهذه الاشياء خير منى وذكر القشيرى فى رسالته فى ترجمة حمدون القصار انه قال من ظن ان نفسه خير من نفس فرعون فقد اظهر الكبر والحاصل انه ينبغى للعبد الصالح ان لايرى نفسه خيرا من غيره اى غير كان كما ذكر (فيكون) بسبب ذلك (مصروف

الهم) ى الهمة (الى) تهذيب (نفسه مشغول القلب) فى جميع اوقاته (بعيبه لخوفه لعاقبته) ان تكون شرا (عن عيب غيره) من الناس فلا يتفرغ من نفسه حتى يصرف همته الى اصلاح غيره و يشغل قلبه بعيوب الناس (فان قلت) سؤال نشأ من عدم التكبر على المبتدع والكافر كما سبق (فكيف ابغض المبتدع) فى الدين المحمدى (والكافر) بغضا كائنا (فى الله تعالى) اى فى سبيله لافى سبيل النفس والغرض العاجل والهوى (وقد امرت) بالبناء للمفعول اى امرنى الله تعالى (به) اى بالبغض المذكور كما قال تعالى * لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * الآية وقال تعالى * يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة * الآية (وكيف انهاهما) اى المبتدع والكافر (عن المنكر) الذين هما مرتكبان له وهو البدعة فى الدين والكفر بالله تعالى ورسله (مع) مصاحبة (رؤية نفسى دونهما) حتى لا اكون متكبرا عليهما (قلت) فى الجواب عن ذلك (تبغض) يا ايها المكلف المبتدع والكافر (وتنهى) كل واحد منهما عن منكره (لمولاك) اى لاجل امر ربك (اذ) اى لانه (امرك) مولاك وهو الله تعالى (بهما) اى بالبغض والنهى لهما (لالنفسك) اى لا لاجل غرض نفسك وارتفاعها عليهما بسبب اتباعها السنة وايمانها بالله تعالى و رسله (و) الحال انك (انت فيهما) اى فى وقت البغض والنهى المذكورين (لا ترى نفسك ناجيا) من الهلاك عند الله تعالى لانك لاتدرى ماعنده تعالى من احوالك المستقبلة (و) ترى (صاحبك) المبتدع اوالكافر الذى تبغضه وتنهاه (هالكا) عند ربه لعدم علمك باحواله المستقبلة (بل يكون خوفك على نفسك بما) اى بسبب الذى (علم الله تعالى من خفايا ذنوبك) التى لا تعلمها انت وهو العالم بها سبحانه (اكثر من خوفك عليهما) اى على المبتدع والكافر (مع الجهل) عندك (بالخاتمة) اى خاتمة امرك وخاتمة امرهما ايضا فربما كانت خاتمتك على الشقاء وخاتمتهما على السعادة وانت لاتدرى بذلك (فتكون) انت فى حال بغضهما ونهيهما (كغلام) اى عبد (ملك) اى سلطان (امره) ذلك الملك (بمراقبة) اى حفظ (ولده) اى ولد الملك (و) امره باظهار (الغضب عليه وضرب به) اى الولد (مهما اساء) اى فعل السوء (فيغضب) ذلك الغلام (عليه) اى على ولد الملك (و يضرب به عند) فعل ذلك الولد (الاساءة امتثالا) اى على وجه الامتثال (لامر مولاه) الذى هو ذلك الملك (وتقربا) من الغلام (له) اى لذلك الملك (به) اى بالامتثال المذكور (بلا تكبر) من الغلام (عليه) اى على ولد الملك (بل هو) اى الغلام (متواضع له) اى لولد الملك (يرى قدره) اى قدر ولد الملك (عند مولاه) الذى هو ذلك الملك (فوق قدر نفسه فكذلك) انت يا ايها السيد الصالح يجب (عليك ان تنظر

الى المبتدع و) الى (الكافر وتقول) فى نفسك (ربما كان قدره) اى قدر كل واحد منهما (عند الله تعالى اعظم) من قدرى (لما سبق) فى علم الله تعالى وتقديره وقضائه (لهما) اى للمبتدع والكافر (من حسن العاقبة) بالموت على الطاعة الالهية والسنة النبوية (فى) سابق (الازل ولما سبق لى من سوء العاقبة) والعياذ بالله تعالى (فيه) اى فى الازل (وانا غافل عنه) اى عن سوء العاقبة (فتغضب) على المبتدع والكافر (وتنهى) كل واحد منهما عن منكره (لحكم الامر) الالهى لك بذلك (محبة) اى على وجه المحبة (لمولاك) سبحانه وتعالى الذى لايسئل عما يفعل (اذ) اى لانه (جرى) اى وقع وصدر من المبتدع والكافر (مايكرهه) سبحانه وتعالى (مع) وجود (التواضع) منك (لمن يجوز ان يكون اقرب) الى الله تعالى (منك عنده فى الآخرة) وهو المبتدع والكافر (و) السبب (الثانى) للكبر والتكبر (العبادة) لله تعالى (والورع) وهو الاحتراز عن الشبهات وفضول الحلال (فان) الرجل (العابد) لله تعالى (الورع) فى احواله ظاهرا وباطنا (قد يتكبر) فى نفسه (على) الرجل (الفاسق) وهو تارك العبادة والمرتكب للحرام (بل) قد يتكبر ايضا (على من لايعمل مثل عمله من النوافل) الزائدة (و) من (الاحتراز عن) تعاطى (الشبهات) وهى ماشبه الحرام وليس بحرام (و) الاحتراز عن (فضول الحلال) وان كان عابدا ورعا ولكن دون عبادته وورعه (وهذا) التكبر (ايضا من الجهل) الغالب على الانسان اذ قد يكون العمل القليل افضل من الكثير باعتبار العامل كما ورد فى الحديث ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من جاهل بالله اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير فقد يكون الذى عمله قليل اعلم بالله منه فثوابه على عمله القليل خير من ثواب الاول على عمله الكثير (فعلاجه) اى علاج هذا التكبر بالعبادة والورع (ايضا) اى مثل علاج السبب الاول الذى هو العلم كما مر (معرفتان) الاولى (معرفة ان فضل العبادة والورع انما يكون باستجماعهما) اى العبادة والورع (الشرائط) التى ذكرها الفقهاء فى صحة العبادة وذكرت للورع فى كتب العلماء للفرق بين الورع والوسوسة (و) استجماع (الاركان) المذكورة للعبادة فى كتب الفقه وللورع فى كتب الغزالى وغيرها (ومجانبتهما) اى مباعدة العبادة والورع (المفسدات) للعبادة مماذكره الفقهاء وللورع ممايخرجه الى الوسوسة قال الامام العينى فى شرح صحيح البخارى عند حديث الحلال بين واما مايخرج الى باب الوسوسة من تجويز الامر البعيد فهذا ليس من الشبهات والمطلوب اجتنابها يعنى فى باب الورع وقد ذكر العلماء له امثلة قالوا هوما يقتضيه تجويز امر بعيد كترك النكاح من نساء بلد كثير خوفا ان يكون له فيها محرم وترك استعمال ماء فى فلاة لجواز عروض النجاسة اوغسل ثوب مخافة

لحوق نجاسة عليه لم يشاهدها الى غير ذلك مما يشبهه فهذا ليس من الورع وقال القرطبي بل الورع فى مثل هذا وسوسة شيطانية اذ ليس فيه من معنى الشبهة شئ وسبب الوقوع فى ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية وسيأتى بيان الوسوسة فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (و) مجانبتهما ايضا (المكروهات) التحريمية والتنزيهية المذكورة فى الفقه (ومقارنتهما) اى العبادة والورع (النية الصادقة) لله تعالى من غير باعث دنيوى يبعث على فعلهما (والاخلاص) وهو تخليصهما من غرض نفسانى دنيوى اواخروى (والتقوى) فى فعلهما اى الاحتراز عن الخطرات النفسانية والتوقى من ايقاعهما على وجه الشهوة الخفية او الجلية (وصونهما) اى حفظ العبادة والورع (عن) جميع (المحبطات) للثواب (والمبطلات) للصحة على حسب ما هو مفصل فى علم الفقه مما يبطل كل عبادة (وحصول هذه) الامور (بأسرها) اى جميعها فى العبادة والورع (من امثالنا) المقصرين الذين كلما ارادت همتهم ان تلحق بالسابقين فى عباداتهم وورعهم اقعدتها فتورات اهل الكسل المخالطين لنا وربطتها عن المسير على سير الاوائل عادات اهل الزمان التى تدعوا بها هم اهل الدنيا بالصريح والكناية ولقد كنت فى بداية الامر منقطعا عن الامثال من كثرة الاشتغال بالعبادة والزهد فقال لى يوما بعض المغرورين بالعلم فى بلادنا ما هذه المكابدة على العبادة الا دليل على وجود الزيغ والبدع فان اهل السنة والجماعة متوسطون فى العمل واراد بذلك تثبيطى عما انا فيه وكان بعضهم يعيب على حالتى ويقول لى صنيع الرهبان كثرة العبادة وابا متحمل جميع ذلك حتى من الله تعالى بالتوفيق (متعسرة) لا يكاد يمضى فيها الا الموفق (بل متعذرة) من كثرة الموانع من الناس (لا سيما الاخلاص) لله تعالى وحده فى العبادة والورع بلا غرض دنيوى ولا اخروى (والتقوى) فى الظاهر والباطن (فلذا) اى لتعسر ذلك وتعذره (قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم) اى لا تمدحوها بانها ازكى من غيرها اى اشرف واطهر (هو) سبحانه وتعالى (اعلم) منكم بل لا علم لكم انتم اصلا الا بما علمكم كما يريد تعالى (بمن اتقى) ظاهرا وباطنا التقوى المشروعة حال كون الله تعالى (مشيرا) للمكلفين (بان تزكية) اى مدح (النفس) بالنفس (انما تكون بالتقوى) كما قال تعالى * ان اكرمكم عند الله اتقاكم (وانها) اى التقوى (لا يعلم كنهها وحقيقتها) الموجودة فى العبد (الا الله تعالى) والعبد لا علم له بكنه ما فيه وحقيقته وانما يظن ان وجدت فيه وان لم توجد واهل اليقين بالله اشتغلوا بما يقينهم به عن حالتهم التى هم فيها فهم يعلمون كنه نفوسهم وحقيقتها ولا يعلمون احوالها السنية الموصلة لهم الى معرفة كنهها وحقيقتها فلا يرون احوالها ليتكبروا بها (والمعرفة الثانية مثل ما) اى المعرفة الثانية التى (سبقت) فى سبب العلم (فتذكرها) وهى ان يعرف العبد ان الكبر من العباد حرام وانه لا يليق الا بالله تعالى وانه صفة

مختصة به تعالى الى آخر ماتقدم ذكره وهنا علاجان آخران للتكبر بالعلم والعبادة الاول علمه بعصيانه اذا فعل ذلك والثانى علمه بالنصوص المفيحة لذلك الفعل وبيانه ماذكر فى الرعاية للمحاسبى قال يعترض للعامل اذا كان عالما اولم يكن عالما انه يحتقر من دونه ممن لايعمل مثل عمله كان اعلم منه اواجهل منه ان كان اجهل منه قال فى نفسه مضيع جاهل وان كان اعلم منه قال فى نفسه الحجة عليه عظيمة وهو مضيع للعمل فيحتقر من دونه فى العمل وينظر اليهم بعين الازدراء ويتعظم عليهم وينقبض عنهم ليبدؤه بالسلام ولايبدأهم ويبروه ولايبرهم ويزوروه ولايزورهم ويعودوه ولايعودهم يريدان يأخذ بفضله عليهم وينهرهم ويستخدم من خالطه منهم ويسخره ويأنف ان وعظوه لانه فوقهم فى العمل وهم مضيعون مفرطون فان بدأ احدمنهم بالسلام اوردعليه اوقاومه اوداخله اواجابه الى دعوته رأى انه قدصنع اليهم معروفا وانه قدفعل بهم مالايستحقونه عنده عن مثله ولكن يفعل ذلك عنده لفضله عليهم فقد تفضل عليهم بذلك عند نفسه وينظر اليهم بالاستصغار والى نفسه بالتعظيم ويرجو لنفسه اكثرمما يرجولهم ويخاف عليهم اكثرمما يخاف على نفسه بل لايكاد اذا رآهم اوذكرهم ان يذكر الخوف على نفسه ولايذكر الاالخوف عليهم يرى انهم هالكون كأنه قداتاه من الله تعالى الامان بانه لايعذبه وذلك هوالهلاك منه الاترى الى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذاسمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكم يرويه عنه ابوهريرة وصدق صلى الله عليه وسلم لانه متكبرمزدر بخلق الله مغتربالله عزوجل امن غير خائف فاخرجه كبره وحقريته الى هذه الاخلاق المذمومة عندالله تعالى وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالرجل من الشر ان يحقر اخاه المسلم لان الحقرية لهم اخرجته الى هذا كله فاذانظر اليهم بالاستصغار وخاف عليهم اكثرها ولم يخف على نفسه الااقلها ورجالنفسه اكثر مما يرجولهم ونظروا اليه بالتعظيم والى انفسهم بالاستصغار وخافوا على انفسهم اكثر مما يخافون عليه بل يظنون انه ناج وانهم هالكون ورجواله اكثرمما يرجون لهم كانوا هم لله عزوجل اعبد واطوع فيه منه فيهم فقد تعرض للمقت من الله عزوجل وحبط الاجر فى الآخرة وان يسلبه الله عزوجل ماتكبر به عليهم من العمل وقد تعرضوا هم للرحمة من الله عزوجل بتواضعهم وحبهم له واستصغارهم انفسهم وتعظيمهم له لانه يأنف من مجالستهم والكينونة معهم وهم يتقربون الى الله عزوجل بقربه والدنو منه ولولاحب الله عزوجل وتعظيمه ماحبوه ولاعظموه فقد عظموه واحبوه لحب الله عزوجل ورجاء القربة من الله عزوجل به فقد تعرضوا للرحمة والمغفرة وان ينقلهم الله عزوجل الى مقامه فى العبادة والاشهاد وتعرض هو لحبط عمله وان ينقله الله عزوجل الى شر الاحوال اذتكبربما من الله عزوجل به عليه من العمل وحقر عباده وانف منهم واغتربالله عزوجل وجعل الخوف منه عليهم ونسى نفسه ان يكون عليها اشفق واخوف فلايؤمن

ذلك عليه كما يروى ان رجلا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرنا لك فقال انى ارى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسألك بالله حدثت نفسك انه ليس فى القوم افضل منك فقال اللهم نعم فيرى كأنه الناجي من بينهم لفضله عليهم مشمئزا ينقبض عنهم كأنه يمن عليهم بعمله كما قال الحارث بن جرير الزبيرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طلق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله فى المسلمين مثل هذا ولو كان الله عز وجل يرضى هذا من احد ماقال للنبي صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال عز وجل * فبما رحمة الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك * ووصف اولياءه الذين يحبهم ويحبونه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فلا قدر عند الله تعالى لمن تكبر على عباده عابدا كان او عالما ومن العباد قوم ضلال قد جمعوا مع الضلال الكبر لا يرون احدا يقول بالحق على الله عز وجل غيرهم وانه لامهتد فى الارض غيرهم جهلا بالله عز وجل واغترارا وتكبرا على عباده كما روى العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وحناجرهم وفى حديث آخر يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة واولئك هم وقود النار (و) السبب (الثالث) للكبر والتكبر (النسب) واحد الانساب وانتسب الى ابيه اى اعتزى (والحسب) بالتحريك مايعده الانسان من مفاخر آبائه ويقال حسبه دينه ويقال ماله والرجل حسيب وقد حسب بالضم حسابة مثل خطب خطابة قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان فى الرجل وان لم يكن له آباء لهم شرف قال والشرف والجد لا يكونان الا بالآباء كذا فى الصحاح وفى المصباح المنير والحسب بفتحتين مايعد من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف شرفا وكرم كرما وقال الازهرى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه انتهى ومما يشهد لقول ابن السكيت المذكور قول الشاعر

* ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن * له حسب كان اللئيم المذمما *

فجعل الحسب فعال الشخص مثل الشجاعة وحسن الخلق والجود (والكبر بهما) اى بالنسب والحسب (ناش عن الجهل) بنفسه وبما ينبغى ان يكون فيه من الاخلاق وبربه وبادبه مع ربه عز وجل وبامثاله من جميع المخلوقين وانهم مساوون له لان الخالق واحد (ايضا) كما نشأ السببان المتقدمان عن الجهل (لانه) اى المتكبر بالنسب والحسب (تعزز) فى نفسه على امثاله من الناس (بكمال غيره) من آبائه واجداده ومآثرهم ومحامدهم لا بكمال نفسه ومآثرها ومحامدها (ولذا قيل) اى قال الشاعر (لئن فخرت)

يقال فخرت به فخرا من باب نفع وافتخرت مثله والاسم الفخار مثل كلام وهو المباهات بالكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرذلك امافى المتكلم اوفى آبائه كذا فى المصباح (بآباء) جمع آب (ذوى) جمع ذى بمعنى صاحب (شرف) بالتحريك وهو العلو وشرف فهو شريف وقوم شرفاء واشراف (لقد صدقت) فى ان لهم شرفا وهم شرفاء (ولكن بئس) هى كلمة ذم ونعم كلمة مدح يقال بئس الرجل بئس زيد وبئست المراة هند وهما فعلان ماضيان لايتصرفان لانهما ازيلا عن موضعهما فنعم منقول من قولك نعم فلان اذا اصاب نعمة وبئس منقول من بئس فلان اذا اصاب بؤسا فنقلا الى المدح والذم فشابهما الحروف فلم يتصرفا كذا فى الصحاح (ما) اى الذى ولم يقل من لزيادة الذم بقلة العقل فان ما لما لايعقل ومن لمن يعقل (ولدوا) اى الآباء المذكورون (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اخرجه) اى رواه عنه (م) اى مسلم فى صحيحه باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه من ابطأ) اى تأخر يقال ابطأ الرجل اى تأخر يقال ابطأ الرجل اى تأخر مجيئه وبطئ مجيئه بطأ من باب قرب وبطاءة بالفتح والمد فهو بطئ فعيل كذا فى المصباح (به عمله) بحيث لم يلحق باصحاب الهمم السابقين الى الهدى وتباع طريق الامم (لم يسرع به) الى ادراكهم (نسبه) الشريف من قبل آبائه (انظر) ياايها المفتخر بنسبه (الى ابن آدم قابيل) وكان ابنه لصلبه وهو الذى قتل اخاه هابيل (و) الى (ابن نوح عليهما) اى على آدم ونوح (السلام) من الله تعالى (كنعان) وهو اسم ابن نوح وقيل انه كان ابن زوجته وفى الاتقان للاسيوطى ان ابن نوح اسمه يام (هل نفعهما) عندالله تعالى (نسبهما) حيث هما من اولاد الانبياء (ثم انظر) ياايها المتكبر بالنسب (الى نسبك الحقيقى) الذى هو سبب لوجودك فى الدنيا (فان اباك القريب) اليك باستيلاده لك من امك وهو الباقى بالحياة ان كان حيا (نطفة) اى قطرة منى من ابيه الذى هو جدك (مذرة) بالذال المعجمة اى فاسدة يقال مذرت البيضة والمعدة مذرا فهى مذر من باب تعب فسدت وامذرتها الدجاجة افسدتها كذا فى المصباح (وجدك) اى ابو ابيك (البعيد) اى الذى بعد عنك وهو الجد الاعلى الذى قدمات اوآدم عليه السلام لانه تعالى * خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * (تراب) لفنائه وتفرق اجزائه فى قبره (ذليل) بعد ذهاب عزه الذى كان له وانت الآن تفتخر به (فكيف يليق بك) مع ذلك (التكبر) على امثالك (بالنسب) والكل بنوا آدم وحوى (و) السبب (الرابع) للكبر والتكبر (الجمال) يقال جمل الرجل بالضم والكسر جمالا فهو جميل وامرأة جميلة قال سيبويه الجمال رقة الحسن والاصل جمالة بالهاء مثل صبح صباحة لكنهم حذفوا الهاء تخفيفا لكثرة الاستعمال كذا فى المصباح وفى المجمل الجمال ضد القبح ورجل جميل وجمال (وذلك) اى الجمال (اكثر

ما يجرى) اى يوجد (فى النساء) وقد يكون فى الرجال ايضا وانجذاب القلوب اليه فى النساء هو الاصل لانه فيهن لحكمة التناسل واذا انجذبت القلوب الى الغلمان الحسار كان ذلك لشهههم بالنساء فيه وكان مذموما لخلوه عن حكمة التناسل (وهذا) التكبر بالجمال (ايضا) كالتكبر بالنسب (جهل) محض (اذهو) اى الجمال (فان) اى مضمحل كل يوم شيئا فشيئا (سريع الزاول) لانه عرض ذاهب (لاتنظر) يا ايها المتكبر بالجمال (الى ظاهرك) المزخرف بزينة الحياة الدنيا ونضارة الشباب وترف العيش (نظر) اى مثل نظر (البهائم) التى لاتعقل نفسها ولاغيرها وهى جمع بهيمة والبهيمة كل ذات اربع قوائم ولو فى الماء اوكل حى لايميز كذا فى مختصر القاموس (وانظر) اى مع نظرك الى الظاهر (الى باطنك) ايضا الذى هو نفسك وما اشتملت عليه من الاخلاق الحسنة او السيئة (نظر العقلاء) اى مثل نظرهم فانهم يتأملون احوالهم ظاهرا او باطنا ويتفكرون فى امورهم التى هم عليها (اولك) اى مبدأ وجودك يا ابن آدم (نطفة مذرة) اى فاسدة منتنة مستقذرة كما قال تعالى * الم نخلقكم من ماء مهين (اخرجت) تلك النطفة (من مجرى البول) وهو ذكر ابيك الذى يجرى فيه بوله (ودخلت) تلك النطفة (فى) مجرى (آخر) وهو فرج امك (واختلطت) تلك النطفة بنطفة (اخرى) وهى نطفة امك (و) اختلطت ايضا بما فى امك من (دم الحيض ثم خرجت) تلك النطفة (منه) اى من مجرى البول الآخر وهو فرج الام (مرة اخرى) كما خرجت من مجرى بول ابيك وهو ذكره (وآخرك) يا ابن آدم وهو منتهى حالك اذا مت وخرجت من الدنيا ودفنت فى قبرك (جيفة) وهى الميتة من الدواب والمواشى اذا انتنت والجمع جيف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما فى جوفها كذا فى المصباح (قذرة) من القذر بالذال المعجمة وهو الوسخ وقد يطلق القذر على النجس كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلع نعليه اخبرنى جبريل ان بهما قذرا كما فى المصباح (وانت بينهما) اى بين اولك وآخرك وهو حال حياتك الدنيا (حمال العذرة) وزان كلمة وهى الخرء والغائط (فى امعائك) جمع معاء وهو المصرن وقصره اشهر من المد وجمعه امعاء مثل عنب وجمع الممدود امعية مثل حمار واحمرة كذا فى المصباح (والبول فى مثانتك) وهى بالثاء المثلثة مستقر البول من الانسان والحيوان وموضعها من الرجل فوق المعاء المستقيم ومن المرأة فوق الرحم والرحم فوق المعاء المستقيم كما فى المصباح (والمخاط فى انفك) جامد وسائل (والبزاق) ويقال بالسين والصاد المهملتين ايضا (فى فيك) اى فمك (والوسخ) المنتن (فى اذنك والدم فى عروقك والصديد) وهو الدم المختلط بالقيح الذى كأنه الماء فى رقته والدم فى شكله وزاد بعضهم فقال اذا خثر فهو مدة واصد الجرح بالالف صار ذا صديد كذا فى المصباح (تحت بشرتك) اى ظاهر جلدك (والصنان) بالضم قال فى المصباح هو الذفر تحت

الابط وغيره واصن الشئ بالالف صار له صنان (تحت ابطك) كلما عرقت تحركت رائحته المنتنة (وتغسل الغائط) والبول الخارجين منك (كل يوم دفعة او دفعتين بعدك وتتردد الى الخلاء) وهو ممدود المتوضأ والخلاء ايضا المكان الذى لا شئ به كذا فى الصحاح (كل يوم) لاجل قضاء حاجتك (مرة او مرتين) او اكثرا (وكل هذا) المذكور (سبب الضعة) بفتح الضاد المعجمة وكسرها اسم من وضع فى حسبه بالبناء للمفعول فهو وضيع اى ساقط لاقدرله كذا فى الصحاح (والذل والحياء فضلا عن) ان يكون من اسباب (الكبر والخيلاء) وفى الرعاية للمحاسبى قال لقمان لابنه يابنى ماللفقراء والكبر وصدق رحمه الله تعالى من كان اصله ممايداس بالاقدام ومع ذلك انه خمر طينته حتى صار حمأ مسنونا وكيف يتكبر واصله دنى وضيع عند الخلق لانه اذا اراد الرجل ان يصغر بقدر غيره قال لانت اهون على من التراب الذى اطأه بقدمي ولانت انتن من الحمأة فاصل ابن آدم من التراب الذى يوطأ بالاقدام حمأ مسنون فداس اى انتن ثم صار بعد الاصل نطفة قدرة ومنها فصه واذا عبر الرجل الرجل واراد ان يصغر قدره قال لااصل لك ولافصل والاصل عند العرب الجد والفصل الاب فمن كان اصله التراب وفصله النطفة لان جده من تراب وابا من نطفة وهو بعد ابيه من نطفة فالاصل يوطأ بالاقدام والنطفة تغسل منها الاجساد والثياب فخلق من دناءة وضعف واقذار الا تسمع الى قول الله عز وجل *قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه* وقال* وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ايعجز نى ابن آدم وانما خلقته من مثل هذه وبزق النبي صلى الله عليه وسلم فى كفه فخلق الانسان من اقذار وسكن فى اقذار وخرج من اقذار لانه خرج من صلب ثم من ذكر مجرى البول الى رحم خرج منه من مخرج القذر كما قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه قال انس بن مالك كان ابو بكر يخطبنا فيقول فى خطبته خرج احدكم من مخرج البول مرتين حتى يقذر الى احدنا نفسه فاول ابن آدم تراب ثم نطفة موات ثم علقة موات ثم مضغة موات ثم جسم موات لايسمع ولايبصر ولاينطق ولايعقل ولايتحرك لما به من الذلة والمهانة ثم نفخ فيه الروح ثم اخرج الى الدنيا بعد مانقله الله من هذه الاحوال فاخرجه حيا ضعيفا صغيرا قليلا ثم وكل به الاقذار الرجيع فى بطنه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فمه والوسخ فى اذنيه ثم النتن والاقذار تسرع اليه ان تهاون نفسه ان يغسلها وينظفها صار انتن من الدواب ووكلت به الامراض والاسقام والطبائع المختلفة المتضادة لاتفارقه من المرة الصفراء والسوداء والبلغم والريح والدم وهو مع ذلك عبد ذليل امره الى غيره يجوع كرها مقهورا ويعطش كرها مقهورا ويغلبه النوم كرها مقهورا لايملك لنفسه فى ذلك ضرا ولانفعا يقلب فى المكروهات يريد من نفسه مالايقدر عليه يريد

ان لا يجوع ولا يظمأ ولا يمرض فيزل به من ذلك خلاف مراده ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ فيذكره ثم هو مع ذلك لا يأمن ان يكون تلفه فيما يريد ويحب ولعله ان يكون تلفه في شبعة اونومة فلا يقوم منها عبد مملوك ذليل يقلبه غيره لا يأمن في ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وجميع جوارحه او بعض ذلك حتى يرد الى بعض احواله في بدايته من العمى او الصمم او البكم او الجهل حتى يذهب عقله وقد رد الله عز وجل فعل ذلك بكثير من خلقه ثم هو مع ذلك لا يضمر بقلبه ولا يحرك جارحة من جوارحه ولا يكتسب ولا ينفق ولا يأكل ولا يشرب الا وعليه من يحصى ذلك عليه كله حتى يحاسب به وينظر فيه ثم هو مع ذلك لا يأمن ان يسلب ملكه فعليه في ملكه مالك وليس لنفسه بمالك ولا على ما اراد فيها بقادر وهو مع ذلك مخالف لمالكه ومولاه غير شاكر وناس له غير ذاكر فقد ركب كثيرا مما نهاه الله عز وجل عنه وضيع كثيرا مما امره به وقد استوجب بذلك من العذاب ما ان لم يعف عنه كانت الخنازير والكلاب خيرا منه وافضل وانظف واطهر واطيب وارفع لان الخنازير تصير ترابا وهو يصير معذبا ابدا لو وجد الخلائق نتن ريحه لماتوا من نتنه ولو رأوه لصعقوا من وحشة خلقته ولو قطرت قطرة من شرابه الذى يشربه ويفزع اليه ليسكن به عطشه على جبال الدنيا لاذابتها مخلد في غاية الذل والخضوع والمسكنة والهوان والعذاب فمن هو في الدنيا بهذا الوصف واعظم منه قد وجب في رقبته واستحقه وحكم عليه به كيف يكون ذله وتواضعه كيف ينبغى لمن كان هذا الوصف قد وجب عليه ان ينقلب بين العباد هل يمتنع هذا ان عقل ان يكون في نفسه ذليلا مهينا (و) السبب (الخامس) الكبر والتكبر (القوة) في البدن (وشدة البطش) وهو الاخذ بعنف وبطشت اليد اذا عملت فهي باطشة كذا في المصباح (والتكبر بهما) اى بالقوة والشدة (جهل ايضا) من الانسان كالتكبر بالاسباب المذكورة (اذ الحمار والبقر والجمل والفيل كل ذلك اقوى من الانسان) اى اشد قوة منه وصلابة في الاعضاء (واى افتخار) للانسان (في صفة تسبقك البهائم) المذكورة وغيرها (فيها ثم انها) اى تلك القوة (تزول بحمى يوم) والحمى فعلى غير منصرفة لالف التأنيث والجمع حميات وحمه الله بالالف من الحمى فهو بالبناء للمفعول وهو محموم كذا في المصباح وفى حديث الجامع الصغير للاسيوطى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة قال المناوى في شرحه مجرمة بضم الميم وفتح الجيم وشد الراء يقال سنة مجرمة بالجيم اى تامة كذا في مسند الفردوس وذلك لانها تهد قوة سنة فقد قال بعض الاطباء من حم يوما لم تساوده قوته الى سنة فجعلت مثوبته على قدر وجعه وقيل لان للانسان ثلاثمائة وستين مفصلا وهى تدخل في المكل فيكفر بعدد كل

مفصل ذنوب يوم وقيل لانهما تؤثر في البدن تأثيرا لا يزول بالكلية الا الى سنة (ونحوها) اى الحمى كيفية الامراض (فلا تقدر) انت ياايها الانسان المتكبر بهما (على حفظها) اى حفظ القوة الذاهبة عنك (ولا على تحصيلهما) اذا كانت غير حاصلة لك (بل هى) اى القوة فيك (كظل زائل) اى منقض شيئا فشيئا او بالاضافة اى كظل شئ زائل من طير يطير فى الهوى فيظهر ظله زائل مثله ونحو ذلك (ونوم نائم) اى انسان او غيره نام ثم انقضى نومه وتسرى عنه فاستيقظ كأنه لم ينم (و) السبب (السادس) للكبر والتكبر (المال) وهو معروف ويذكر ويؤنث هو المال وهى المال ويقال مال الرجل يمال مالا اذا كثر ماله فهو مال وامرأة مالة وتمول اتخذ مالا ومولة غيره والمال عند اهل البادية النعم كذا فى المصباح (والتلذذ بمتاع الدنيا) والمتاع فى اللغة كل ماينتفع به كالطعام وغيره واثاث البيت واصل المتاع مايتبلغ به من الزاد وهو اسم من متعته بالتثقيل اذا اعطيته ذلك والجمع امتعة كما فى المصباح (و) السبب (السابع) للكبر والتكبر (الاتباع) جمع تبع بالتحريك قال فى المصباح تبع زيد عمرا تبعا من باب تعب مشى خلفه اومر به فمضى معه والمصلى تبع لامامه والناس تبع له يكون واحدا وجمعا ويجوز جمعه على اتباع مثل سبب واسباب (من البنين) بيان للاتباع وهو جمع ابن (والاقارب) جمع قريب يقال زيد قريبى وهند قريبى وهم الاقرباء والاقارب والاقربون وهن القرائب كما فى المصباح (والغلمان) جمع غلام وهو الابن الصغير ويطلق على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا اسم مايؤل اليه ويراد به هنا الخادم (والجوارى) جمع جارية وهى الامة (والتلامذة) جمع تلميذ وهو الطالب للتعليم (والتقرب من السلطان و) من (ولاته) وهم الوزراء والامراء (وقضاته) جمع قاض ونحوهم (وهذان) اى المال والاتباع (اقبح انواع اسباب الكبر لانه) اى التكبر بسببهما (تكبر بما هو خارج عن ذات الانسان) غير جزء منه ولا صفة له كالاسباب المتقدمة (سريع الزوال) عن صاحبه ولهذا قالوا انما سمى المال مالا لانه يميل بسرعة عن صاحبه الى غيره بالتصرف فيه (و) سريع (الانقلاب) عنه الى غيره فقد تنفر عنه الاتباع لفتنة اوفقرا وموت (يشترك فيه) اى فى ذلك الذى تكبر به (اليهود والنصارى) وهم كافرون فلا يوجب ذلك رفعتهم فى الناس فكم من كافر له مال كثير واتباع كثيرون (لوهلك ماله) اى مال ذلك المتكبر به (او اتباعه) الذين تكبر بهم (او عزل) بالبناء للمفعول (او مات سنده) اى من يستند اليه من السلطان او الوالى او القاضى (كان) ذلك المتكبر حينئذ (اذل الخلق) اى المخلوقات (واحقرهم) بين الناس (فاف) بالتشديد يقال افا له وافة له اى قذرا له والتنوين للتنكير وافة وتفة وقد افف تأفيفا اذا قال اف قال الله تعالى * فلا تقل لهما اف

وفيه ست لغات حكاها الاحفش كذ في الصحاح وفي مختصر القاموس ولغاتها اربعون (لشرف) يتكبر به الانسان (يسبقك) يا يها المسلم (به اليهود) فيكون عندهم اعظم مما يكون عندك وهو المال والاتباع (واف لشرف باخذه السارق) من صاحبه (في لحظة) وهو المال (ثم ان التكبر فقط) من حيث هو تكبر في نفسه مع قطع النظر عما يوجبه في الظاهر من الاسباب المذكورة (ثلاثة اسباب اخر) غير السبعة المذكورة خفية لاتكون الا في نفس المتكبر تدعوا الى التكبر بالاسباب السبعة المذكورة لايكاد يطلع عليها غير صاحبها الذي هي فيه السبب الاول (الحقد) بالكسر قال في المصباح هو الانطواء على العداوة والبغضاء وحقد عليه من باب ضرب وفيه لغة من باب تعب والجمع احقاد (كالذي يتكبر على من يرى) في بصيرته (انه مثله) في العلم اوالصلاح اوالدنيا (اوفوقه) اى اعلى منه في شئ من ذلك ونحوه (ولكن قد غضب عليه بسبب) من الاسباب (سبق منه) في حقه كالايذاء له بكلمة ونحوها (فاورثه) ذلك السبب (حقدا) عليه (ورسخ في قلبه بغضه) بذلك السبب ولا بد ان يكون دنيويا اذ لو كان دينيا كامره له بمعصية اونهيه عن طاعة كان محمودا في تكبره عليه بذلك وحقده عليه (فلا تطاوعه نفسه) مع ذلك (ان يتواضع له) اصلا (ويحمله) ذلك الحقد (على رد الحق) والصواب (اذ جاءه من جهته) اى من جهة المحقود عليه (و) يحمله (على الانفة) اى على الامتناع والتباعد (من قبول نصحه) اى نصح المحقود عليه (و) يحمله (على ان يجتهد) اى يبذل قدرته (في) تحصيل (التقدم عليه) اى على المحقود عليه فيما علم انه مثله فيه اوفوقه مماذكر وغيره كالاخلاق والصنائع (و) السبب الثاني (الحسد) للغير وسيأتي بيانه (فانه) اى الحسد (يدعو) اى يوصل (الى جحد) اى انكار (الحق و) الى (التكبر على المحسود مع معرفته) اى معرفة الحاسد (بفضله) اى بفضل المحسود (عليه) اى على الحاسد (وعلاج) اى مداواة (التكبر) على الغير (بهذين) السببين (ازالتهما) اى الحقد والحسد (وسيجئ) بعد هذا بيان ذلك (ان شاء الله تعالى) مفصلا في بحث الحقد والحسد (و) السبب الثالث (الرياء) وسيبق بيانه (حتى ان الرجل ليناظر) اى يباحث في العلم (من الناس من يعلم انه افضل منه) بعلامة لاتخفى على الفاضل (و) مع ذلك (ليس بينهما معرفة) سابقة ليكون عنده بسبب ذلك ما يقتضي تكبره عليه (ولا) بينهما (حقد ولا حسد) ايضا (ولكن يمتنع) ذلك الرجل (من قبول الحق) من غيره (ويتكبر عليه خيفة ان يقول الناس) اذا رأوه يناظره ويعترف له بالحق (انه) اى ذلك الغير (افضل منه) اى من الرجل المناظر (ولو خلا) ذلك الرجل (معه) اى مع ذلك الغير (بنفسه) حيث لا احد مطلع عليهما (لكان لايتكبر عليه) بل يتواضع له

ويقبل منه الحق (وقد يكون الباعث على التكبر المرآة باسباب الدنيا كمن يلبس في بيته) اذا كان خاليا من الناس (ما لا يلبس) من ثياب (عند الناس) تكبرا عليهم (و) قد (يستنكف) اي يمتنع انفة واستكبارا (من حمل حوائجه) من ملبس ومأكل ومشرب ونحو ذلك اذا كان (بين الناس و يحمله) جميع ذلك اذا كان وحده (في الليل وحيث لا يراه الناس) فيكون فعله ذلك تكبرا على غيره ﴿ البحث الرابع ﴾ من المباحث الخمسة (في علامات الكبر والتكبر) التي يستدل بها على وجوده في الانسان بالنظر اليه ليعرف ذلك هو من نفسه او يعرفه غيره منه غالبا (اعلم ان الكبر قد يخفى على صاحبه) الذي هو موجود فيه (حتى يظن) صاحبه (انه برئ منه) اي من الكبر (فلا بد من بيان اخلاق) اي عادات (المتكبرين) على غيرهم (حتى يعرض كل سالك) من الناس (نفسه عليها) اي على الاخلاق المذكورة (فيميز) السالك الامر (الخبيث من) الامر (الطيب فلا يغره) اي يخبره ويضله (الغرور) من الشيطان او الهوى او الدنيا وهي اخلاق كثيرة ولهذا لم يعدها لامكان الزيادة على ما ذكر ولكنه قال (فمنها) اي من اخلاق المتكبرين (ان يحب قيام الناس له) ليظهر شانه بذلك عند غيره في مجامع الناس وغيرها وقد يحب قيام لغيره لما اعتاده من صغره حيث كان من اولاد الاكابر فيستوحش اذا ترك احد القيام له ولا يخطر التكبر في باله وقد يحب القيام له لبرغم انف من يخالفه في الدين اذا رأوا الناس يقومون له ويعظمونه وقد يحب القيام له ليظهر تعظيمه عند القاصرين فيمتثلون قوله في نصحهم في الدين وليس ذلك حينئذ من اخلاق المتكبرين والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ولا يعلم ما في القلوب غير علام الغيوب (او) يحب قيام الناس (بين يديه) وان لا يساووه في الجلوس (تعظيما) منهم (لنفسه) واظهارا لشرفه عليهم بين الناس واما لو اوجب ذلك تعظيما منهم لشرف العلم المشتمل عليه فليس ذلك بمذموم كما ذكر العيني رحمه الله تعالى في شرح البخاري عن اسحاق السعيدي انه قال كنت ارى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند الى اصل منارة مسجده فيقف بين يديه علي بن المديني والشاذكوني وعمرو بن علي واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسئلونه عن الحديث وهم قيام على ارجلهم الى ان يجيء صلاة المغرب ولا يقول لاحد منهم اجلس ولا يجلسون هيبة له ولد سنة عشرين ومائة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة (بلا وجدان كراهة من نفسه) لا تكلف له فيها (لهذا الحب) المذكور من حب قيام الغير له وقيامهم بين يديه (بل) كان ذلك الحب منه (بقبول وركون اليه) في نفسه فهو من اخلاق المتكبرين حينئذ (فان وجد كراهة) لحب ذلك (وعدم اجابة) للحب المذكور (في نفسه فميل طبيعي) بسبب اعتياده على ذلك (او وسوسة) منه او جبتهما خفة عقله (لا يضران) اي الميل والوسوسة اذ لا تكبر فيهما حينئذ (كما ذكرنا في) الكلام السابق على (الرياء) حيث ان منه ما لا ضرر فيه (ومنها)

اى من اخلاق المتكبرين (ان لا يمشى) الانسان (الا ومعه غيره) من عبده او تلميذه اوصاحبه (يمشى خلفه) او محاذيا له لئلا يراه الناس وحده فيحتقرونه ولا يعظم فى اعينهم وقد يكون ذلك على سبيل العادة منه بحيث يجد الوحشة اذا مشى وحده لانطباعه على المشى مع الغير فلا يكون تكبرا وقد يكون خوفا على نفسه من عدو او داعر او سفيه ينتهك حرمته ويؤذيه اذا وجده وحده فلا يكون تكبرا (ايضا دليل حديث) يعنى روى الديلمى والامام احمد بن حنبل وابن ماجه باسانيدهم (عن ابى امامة انه) اى النبى (عليه الصلاة والسلام خرج) يوما من الايام (يمشى الى البقيع) وهو فى الاصل المكان المتسع و يقال الموضع الذى فيه شجر وبقيع الفرقد بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم كان ذا شجر وزال وبقى الاسم وهو الآن مقبرة و بالمدينة ايضا موضع يقال له بقيع الزبير كذا فى المصباح والمراد هنا المقبرة المعروفة (فتبعه اصحابه) اى بعضهم (فوقف) فى الطريق (وامرهم ان يتقدموا) عليه فى المشى (ومشى) هو (خلفهم فسئل) اى سأله سائل منهم او من غيرهم (عن) سبب (ذلك) الوقوف وامره لهم بالتقدم عليه (فقال) عليه الصلاة والسلام (انى سمعت خفق نعالكم) يعنى خلفه ليحفوا به فى مشيهم فيذهبوا معه حيث ذهب وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى خلفه ليراهم لاحقين به وانما استدل على ذلك بسماعه خفق نعالهم من خلفه لانه عليه الصلاة والسلام كان اذا التفت التفت جميعا كما نقل فى شمائله النبوية عليه السلام (فاشفقت) اى حذرت واحترزت قال فى المصباح اشفقت من كذا بالالف اى حذرت (ان يقع فى نفسى شئ من الكبر) حيث يجد نفسه متقدما عليهم وهم متأخرون عنه مع انه عليه السلام متقدم عليهم كلهم ظاهرا وباطنا على كل حال لانه معلم الخير والدال على سبيل الهدى ولكن اراد تعليم التواضع وكيفية الاحتراز من الكبر لامته صلى الله عليه وسلم ارشادا لهم وهداية كما كان فى دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور كما رواه الخطيب فى التاريخ عن ام معبد الخزاعية اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وكثير مثل هذا تعليما منه صلى الله عليه وسلم لامته كيف يدعون الى الله تعالى ويسترشدون الى سبيل الهدى وان كان هو عليه السلام معصوما من النفاق والرياء والكذب والخيانة بالاجماع (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان لا يزور غيره) من الناس لعظمة هو فى نفسه وحقارة الغير عنده (وان كان يحصل من زيارته) هو لذلك الغير (خير) كثير (له) بالتماس البركة من الغير او تحصيل الفوائد العلمية او الدنيوية منه (او) خير كثير (لغيره من تعليم التواضع) لذلك الغير ونحوه هذا فانه تكبر على الغير واما لو لم يزر غيره لاشتغاله هو فى نفسه بعلم او عبادة او مخافة الوقوع فى غيبة او مداهنة او لئلا يثقل ذلك على الغير او نحو ذلك فليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف)

اى يمتنع ويتباعد فى نفسه (من جلوس غيره) من الناس (بالقرب منه) مخافة ان يساويه فى المجلس وهوعند نفسه اكبرمنه ولا يرضى فى نفسه (الا ان يجلس) ذلك الغير (بين يديه) متأدبا معه كان الادب فهوتكبر واما لواراد ذلك من الغير ليكمل امدادالغير من الله باحترام المشايخ وتأديبهم فى حضرتهم وكان هومن المشايخ النافعين للناس بتعليم العلم اوالتسليك فى طريق الهدى فلا يتكبر فى ذلك (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يتوقى) اى يحترز و يجتنب (مجالسة المرضى) جمع مريض (والمعلولين) اى من فيهم علة من العلل لنقصانهم عنده وارتفاعه عليهم بالعافية مما ابتلاهم الله تعالى به (ويتحاشى) اى يتباعد (عنهم) فلا يقربهم ولا يقبلهم و يعرض عنهم كلما رآهم استكبارا واستعظاما ومثل ذلك الاستنكاف عن مجالسة الفقراء والمساكين كماذكره الشيخ عبدالرحمن بن رجب رحمه الله فى كتابه اختيار الاولى فى شرح حديث اختصام الملأ الاعلى قال فان المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين حتى ان بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة فى جماعة خشية ان تزاحمه المساكين فى الصف و يمتنع بسبب هذا الكبر خير كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم يقع فيهما كثيرا مجالسة المساكين فانهم اكثراهل هذه المجالس فيمتنع المستكبر من هذه المجالس بتكبره وربما كان المسموع منه الذكروالعلم من جملة المساكين فيأنف اهل الكبر من التردد الى مجلسه لذلك فيفوتهم خير كثير وقداخبرالله تعالى عن المشركين انهم *قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم* يشيرون الى عظماء مكة والطائف كعتبة بن ربيعة واخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش وثقيف ذوى الاموال والشرف فيهم ممن كان اكثرمالا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واعظم رياسة عندهم ورد عليهم سبحانه بانه يقسم رحمته كما يشاء وانه كما رفع درجات بعضهم على بعض فى الدنيا فكذلك يرفعها فى الآخرة وان رحمته بالنبوة والعلم والايمان خير مما يجمعون من الاموال التى تفنى فهو سبحانه يخص بهذه الرحمة الدينية من يشاء و يرفعه على اهل النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بمالم يشاركه فيه غيره من هذه النعم كما قال تعالى له *وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما* وقد كان على بن الحسين يجلس فى مجلس زيد بن اسلم فيعاتب على ذلك فيقول انما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع اوكما قال يشير الى انه ينتفع بسماع مايسمعه من العلم والحكمة وزيد بن اسلم ابوه مولى لعمر وعلى بن الحسين سيد بنى هاشم وشريفهم ولما اجتمع الزهرى وابوحازم الزاهد بالمدينة عند بعض بنى امية لما حج وسمع الزهرى كلام ابى حازم وحكمته اعجبه ذلك وقال هو جارى منذ كذا وكذا وماجالسته ولا عرفت ان هذا عنده فقال له ابوحازم اجل انى من المساكين ولوكنت من الاغنياء لعرفتنى فوبخه بذلك وفى رواية عنه انه قال له

لو احببت الله احببتني ولكنك نسيت الله فنسبتني يشير الى ان من احب الله تعالى احب المساكين من اهل العلم والحكمة لاجل محبته الله تعالى ومن غفل عن الله تعالى غفل عن اوليائه من المساكين فلم يرفع بهم رأسا ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التي لاتوجد عند غيرهم من اهل الدنيا وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن اهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا ويدعون اهل الرياسة والولايات فلا يأخذون عنهم ماعندهم من العلم بالكلية (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان لايتعاطى بيده شغلا) من اشغال الدنيا (في بيته) اصلا استعظاما واستكبارا في نفسه عن مفارقة ذلك ومساواة الناس فيه فيكل ذلك كله الى خدمه وغلمانه واما لو ترك ذلك عجزا منه لمرضه اولكبر سنه اولاعتياده على عدم اتقان العمل بنفسه ونحو ذلك فليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان لايحمل متاعه) من السوق (الى بيته) بنفسه بل يتخذله من يحمل ذلك (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل هذه المنفيات) اى التي امتنع منها المتكبر فلم يفعلها اخرج الاسيوطي في الجامع الصغير باسناده الى الحاكم عن عائشة انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل مايعمل الرجال في بيوتهم وباسناده الى ابن عساكر عن ايوب كان صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع (عن لبس الدون) اى القليل القيمة (من الثياب) مخافة ان تنقص عظمته من قلوب الناس وتقل هيبته عندهم الا اذا كان يحافظ بذلك على مروءة امثاله حتى لايستخف به خصوصا من نفعه متعدى الى غيره (وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اخرجه) اى رواه (د) يعني ابا داود باسناده (عن ابي امامة رضي الله عنه البذاذة) وهي التواضع في اللباس والبذاذة القهل ورثاثة الهيئة يقال رجل باذ الهيئة وفي هيئته بذاذة وهي ترك مداومة التزلق والزينة كذا ذكره الهروي في الغريبين (من الايمان بالله تعالى) اى محسوبة منه لان مقتضاها تعليم النفس التصديق بما قدره الله تعالى وقضاه من حسب الحال والرضاء عنه تعالى بما قسمه من الرزق مساواة للفقراء والمساكين لئلا يتميز عنهم وقد يصل الى حالتهم بعد حين فيكون متهيأ للفقر والمسكنة برثاثة الهيئة (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع ويتجنب (عن دعوة) اى ضيافة (الفقير) من الناس (لا عن دعوة) اى ضيافة (الغنى) منهم (والشريف) اى صاحب الشرف فان الفقراء افضل من الاغنياء وفي طعامهم البركة وجبر قلوبهم وفي اجابة دعوتهم كسر صولة النفس الامارة بالسوء من نفوس الاغنياء كما قال ابن رجب في كتابه اختيار الاولى ان مجالسة المساكين توجب رضاه من مجالسهم برزق الله عز وجل وتعظم عنده نعمة الله

تعالى يغلبه بنظره فى الدنيا الى من هو دونه ومجالسة الاغنياء توجب التسخط بالرزق ومد العين الى زينتهم وماهم فيه من زخارف الدنيا وقدنهى الله عز وجل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تعالى * ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم وقال ابوذر وصانى رسول الله صلى الله تعالى وسلم ان انظر الى من دونى ولاانظر الى من فوقى ووصانى ان احب المساكين وادنو منهم وكان عون بن عبد الله ابن عتبه بن مسعود يجالس الاغنياء فلايزال فى غم لانه لايزال يرى من هو احسن منه لباسا ومركبا ومسكنا وطعاما فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك وقدروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عائشة رضى الله عنها عن مخالطة الاغنياء وقال عمر رضى الله عنه اياكم والدخول على اهل السعة فانه مسخطة الرزق وذكر ابن رجب قبل ذلك فى فضيلة الفقراء قال وكذلك قال هرقل لابى سفيان لماسأله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهل يتبعه اشراف الناس اوضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم قال هرقل هم اتباع الرسل وهم افضل من الاغنياء عند كثير من العلماء اواكثرهم وقد دل على ذلك ادلة كثيرة منها قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين مر به الغنى والمسكين فى المسجد هذا يعنى المسكين خير من ملاء الارض من مثل هذا يعنى الغنى وقد خرجه البخارى (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يستنكف) اى يمتنع (عن قضاء حاجة الاقرباء) له (والرفقاء) اى الاصحاب (فى السوق) تعظما فى نفسه عن مثل ذلك (خصوصا شراء الاشياء الخسيسة) اى الدنية القليلة القيمة (كالصابون) للغسل به (والكبد والكرش) من الغنم والبقر والابل وغيرها لا كلها (والحناء) للاختضاب بها (والنورة والمصطكى والمشط) للانتفاع بذلك واما اذا كان لايحسن شراء ذلك بنفسه بان كان من اهل البيوت نشأ على ان لايباشر ذلك بنفسه فلو باشرها وجد فى نفسه مشقة عظيمة غير مخافة سقوط جاهه عند من يراه فذلك امر طبيعى وليس بتكبر (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (ان يثقل عليه) فى نفسه (تقدم الاقران) اى المماثلين له فى العلم اوالدين اوالجاه اوالمنصب اوالحرفة ونحوه عليه (فى المشى والجلوس) فلايرضى ان يكون (بحيث اذا مشى اوجلس) مقترنا (باحدهم) اى احد الاقران (يمشى) هو (خلفه) اى خلف ذلك المماثل له (ويجلس تحته متصلا به) اى لاصقا بجانبه لرؤيته فى ذلك كمال الحقارة له وكمال التعظيم لذلك القرين ولاتسمح نفسه بهذا الامر (فان اتفق) له (مثل ذلك) فى مشى اوجلوس (فامان يذهب) وحده (اويفارق) ذلك المجلس (فلايمشى) مع القرين المماثل له اصلا (ولايجلس) معه (اويبعد

عنه) اى عن قرينه (فى المشى و) فى (الجلوس بحيث يكون بينهما اشخاص) كثيرون فاضلون (ممن) بيان للاشخاص (يعلم كل احد) من الناس (انهم) اى تلك الاشخاص (ادون منه) فى المرتبة والمزية (ليظهر) للناس (انه اختار التواضع على التكبر (اذلوكان متصلا) بقرينه المماثل له ومع ذلك (مؤخرا عنه) فى المشى والجلوس (الظن) بالبناء للمفعول اى ظن الناس (انه ادون منه) فى الرتبة وهو عند نفسه انه اعلى منه (ومنها) اى من اخلاق المتكبرين (عدم قبول الحق عند مناظرة) اى مباحثة ومجادلة (الاقران) اى الامثال فى العلم (من صاحبه) وان علم ان قوله هو الحق وان الذى قاله هو بنفسه باطل (وعدم الاعتراف) لصاحبه (بخطائه) اذا ظهر له (و) عدم (الشكر) منه اى المدح والثناء (له) اى لصاحبه المناظر معه اذا ظهر له ان الحق مع صاحبه (اما لعدم الاصغاء) اى الاستماع (و) عدم (التأمل فى كلامه) اى كلام صاحبه (احتقارا) منه لصاحبه ان يستمع لكلامه و يتأمله (واستصغارا له) اى لصاحبه حيث هو يرى نفسه اعظم قدرا من صاحبه (اوعنادا) اى اصرارا على الباطل بلا رجوع عنه (ومكابرة) اى نصرة للباطل وتقوية له مع العلم به (فكل هذه) الاخلاق المذكورة (ان كان) شئ منها (فى الملأ) اى بين الناس (فقط فرياء) حيث يحب ان يظهر للناس الكمال و يغطى عنهم النقصان فيحلى بمالبس فيه (وان) كان ذلك (فيه) اى فى الملأ (وفى الخلوة) ايضا اذا كان هو وصاحبه فقط (فكبر) اى استنكاف عن قبول الحق وللاعتراف وهو المذموم ﴿ المبحث الخامس ﴾ تمام مباحث الكبر والتكبر (فى) بيان (اسباب الضعة) بالفتح والكسر كما مر وهو سقوط المنزلة عند الناس (والتواضع) اى فيما يوصل الى ذلك حتى ينتفى الكبر والتكبر (و) فى (فوائد هما) اى الضعة والتواضع (اما الاول) وهى الاسباب الموصلة الى ذلك (فهى) جملة امور منها (معرفة نفسه من اين) خلقت (الى اين) يكون مصيرها فان اوله ابن آدم تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جسم جماد ثم نفخ فيه الروح ووكلت به الامراض والطبايع الى ان كان آخره الموت والبلاء وتفريق الاجزاء والاعصاب واذا كان فى عمل غير صالح كان فى عذاب واهانة وقال المحاسبى فى الرعاية ارأيت من وجب عليه حكم الف سوط وهو فى سجن ينتظر العرض ان يخرج فيمضى فيه من الضرب ما قد حكم عليه به كيف ذلته فى السجن وتوقعه فى كل وقت ان يخرج الى العرض فيمضى فيه الحكم افليس هو فى الدنيا وهى السجن وقد وجب عليه العذاب لايدرى متى يخرج من الدنيا الى العرض فيحكم عليه بالعذاب الا ان يعفو الكريم فهو مع ماقد وجب عليه يتوقع الموت فالموت خاتمة عيشه لانه قد علم ان آخر حياته الى الموت فيعاد كما كان بدو خلقه ميتا بعد ان كان حيا

الم تسمع الى قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى كنا امواتا فى اصلاب آبائنا ثم احييتنا ثم امتنا بعد الحياة فيصير ميتا كما بدأ الله خلقه فيعمى بعد البصر ويصم بعد السمع ويبكم بعد النطق وتقطع اوصاله ويصير جيفة تقذره الدواب والخلائق ثم يبلى فيتخر عظمه ويصير ترابا الاعجب ذنبه كما قال النبي صلى الله عليه يبلى من ابن آدم كل شئ الا عجب ذنبه فيصير معدوما بعد ان كان موجودا ثم يحييه الله تعالى بعد طول البلاء فيخرجه الى اهوال القيامة فتحدق به كلها من سماء ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منتشرة وشمس وقمر مطموسين وزفير جهنم فى سمعه وركوب الصراط لابد له ان يركبه بضعفه ثم يعرض على مولاه فيسأله عن كل اعماله فيصرفه الى عذاب لاينقطع فى غاية الهوان والذل والخضوع فاذا تذكر العبد وتفكر كيف كان بدؤه وما اصله وفصله وما يصير اليه من الموت والبلاء وما بعد الموت مما يعاين من الاهوال وما يخاف ان يصير اليه من العذاب زال عنه الكبر ولزمه الخضوع والذلة والتواضع للمولى والشكر للمنعم والانكسار للخوف من العذاب ومثال ذلك كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم اخبره بذلك والده وكذب فى خبره فكانت نخوة الهاشمية فى نفسه متعظم متكبر بحسبه يحقر من دونه ويفتخر عليه لانه لايشك ان الذى حدثه به والده عن اصله وحسبه قد صدقه فيه فبينا هو فى نخوته وكبره وتعظمه اذا اتاه رجلان اوعدة رجال ممن يثق بهم ولا يشك فى صدقهم اصدق عنده من ابيه وابر عن علم يخبرونه لكبر اسنانهم وقديم معرفتهم باصله فاخبروه بينهم وبينه انه من الخزر اوالنبط او السند فصدقهم ولم يشك فى قولهم وان اباه قد كذبه واخبره بالباطل هل كان يمتنع ان يذل فى نفسه وتنكسر تلك النخوة من قلبه وان اظهر غير ذلك اذا ايقن انه على خلاف ما كان يرى ويظن فكذلك ابن آدم يتكبر ويتعظم حتى كأنه ليس اصله من التراب والنطفة والضعف والمهانة والذلة والمسكنة واذا تفكر وصدق فى نفسه لم يمتنع ان يذل فى نفسه وينكسر عن نخوته وكبره ومثل حياته وصحته وما يتقلب فيه من ملكه وغناه مثل رجل كان عند نفسه حرا لايشك فيه مات والداه واورثاه مالا كثيرا فكان يتعظم ويتكبر بشبابه وحسن حسبه وهيئته وغناه وملكه وهو مع ذلك فى سعة من المنازل والنظافة والطيب والمنعة والحرز والامن فبينا هو كذلك متكبر متعظم فى نفسه اذ قدم عليه قادم من بعض البلدان فاخذه فاقام عليه البينة العادلة بان ابويه كانا مملوكين له وان ما كان فى ايديهما من مال فهو له فحكم عليه الحاكم بذلك وعلم هذا ايضا صدق ذلك واطمأن قلبه الى ماشهدت به الشهود هل كان يمتنع فى نفسه ان تزول عنه نخوته وكبره اذ قد علم انه مملوك ليس لنفسه بمالك ولا لما فى يديه من المال وان مولاه ان اراد ان يأخذه اخذه منه وانه لايقدر ان يفعل شيئا الا باذنه وارادته فكذلك ابن آدم

اذا تكبر وتعظم وهو ناس لحالته التي وضع بها (و) منها (معرفة عبودية) اي الانسان (و) معرفة (غوائل) اي مفاسد وآفات (الكبر و) معرفة (فوائد التواضع وفضائله) اي التواضع (من) بيان للفضائل (كونه) اي التواضع (من اخلاق) اي طبائع وعادات (الانبياء عليهم الصلاة والسلام و) من اخلاق (الاولياء والعلماء والصالحين) رضي الله عنهم اجمعين (و) كونه (محمودا عندالله تعالى) فان الله تعالى يحب التواضع من العبد و يكره التكبر من العبد (و) كونه (سببا لرفعة الدرجات) للعبد المتواضع (في اعلى عليين) اسم منزلة من منازل الجنة كما اخرج الاسيوطي عن ابي نعيم في الحلية باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه (وكان القياس)الذي ينبغي فعله لكل انسان (ان ينزل العبد نفسه منزلته) التي هو فيها باقامة الله تعالى (لادونها) بان يحتقر نفسه (ولافوقها) بان يعظم نفسه و يحلها (كالشجاعة) من شجع بالضم قوي قلبه واستهان الحروب جراءة واقداما فهو شجيع وشجاع كذا في المصباح فانها حالة متوسطة (بين التهور) من تهور الرجل في الامر وقع بقلة مبالاة كما في مختصر القاموس (والجبن) من جبن وزان قرب فهو جبان اي ضعيف القلب وامرأة جبان ايضا وربما قيل جبانة كذا في المصباح (و) كذلك (العفة) بالكسر من عف عن الشيء يعف من باب ضرب امتنع عنه فهو عفيف كذا في المصباح فانها حالة متوسطة ايضا (بين الشره)بالهاء من شره على الطعام شرها فهو شره من باب تعب حرص اشد الحرص كما في المصباح (والخمود) من خمدت النار ماتت فلم يبق شيء منها وقيل سكن لهبها وبقي جمرها كذا في المصباح والمعنى موت الشهوة وسكون لهبها في النفس بالكلية (و) كذلك (السخاء) بالمد الجود والكرم وفي فعله ثلاث لغات سخا وسخت نفسه فهو ساخ من باب علا والثانية سخي يسخي من باب تعب فهو سخي منقوص والثالثة سخو يسخو مثل قرب يقرب سخاوة فهو سخي كذا في المصباح فانه حالة متوسطة ايضا (بين البخل) وهو في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده كما في الاصباح (والاسراف) مصدر اسرف اذا جاوز القصد والسرف بفتحتين اسم منه (فان خير الامور اوساطها) فالطرف العالي مذموم والسائل مذموم والوسط محمود ولهذا كان القلب من كل شيء خيرا من الطرفين لانه في الوسط وهو الاصل ومنه الصلاح والفساد في الطرفين (لكن لما كانت النفس) من الانسان (مائلة بالطبع) من غير تكلف (الى العلو) اي الارتفاع على الغير والتكبر عليه (كان الاحوط) اي الاولى والاحق (والانسب) اي الاكثر مناسبة ولياقة (حطها) اي النفس (عن مرتبتها) التي اقامها الله تعالى فيها حطا (قليلا) بحيث اذا التفت بنظرها الى احوالها وجدتها قاصرة ووجدت حظها من طاعة الله تعالى ناقصا (اذ ربما لايدري) الانسان (مرتبتها) اي النفس لاشتغاله

بقضاء شهواتها وتنفيذ مراداتها (فيزل نفسه فوقها) اى فوق مرتبتها (غفلة) منه عنها (وحبا) منه (للعلو) اى الارتفاع والشموخ على الاقران (اذحب الشئ يعمى) من ذلك الشئ ولايدع البصر يرى عيوب ذلك الشئ (ويصم) الاذن فلايدعها تسمع بعيوب ذلك الشئ من احد (هذا) الكلام كله (فى) اسباب (التواضع) قدمها لطول الكلام فى اسباب الضعة (واما) الكلام (فى) اسباب (الضعة فالاولى) اى الاحق والاحرى (ان يرى نفسه) فى كل وقت (ادنى من كل مخلوق) مخافة ان تشمخ عليه نفسه فلايقدر ان يردها عن التكبر على احد من الخلق (وهذا) الصنيع (دأب) اى عادة السلف (الصالحين) من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين والصوفية العارفين رضى الله عنهم اجمعين (حتى قال) الشيخ ابو بكر (الشبلى) رضى الله عنه (عطل ذلى) اى تحقيرى نفسى بنفسى (ذل اليهود) فلم يترك لليهود ذلا بالنسبة الى ذلى وهو عدم رؤية نفسه خيرا من احد مطلقا كما تقدم ذكره (وقال) الشيخ (ابو سليمان الدارانى) رضى الله عنه (لو ازاد جميع الخلق ان يضعونى ادنى) اى اقل (مما فى نفسى من الضعة) اى الذل والهوان (ماقدروا عليه) اى على وضعى كذلك لوضعه نفسه ادنى من كل احد ورؤيته ذاته احقر من كل حقير (فان اختلج) اى اضطرب وتحرك (فى قلبك) ياايها الانسان (انه كيف يتصور ان يرى الانسان نفسه) المؤمنة بالله تعالى (ادنى من فرعون وابليس) الكافرين به سبحانه (فقل ان الله تعالى خذلهما) بعدله اى اقدرهما على فعل الكفر والغى (واضلهما) اى حيرهما ولم يهدهما (فوقعا) اى فرعون وابليس (فيما وقعا فيه) من الكفر والضلال والاكفار للغير والاضلال له (ووفقنى) اى اقدرنى بفضله (وهدانى) اى دلنى وارشدنى (للايمان) به وبرسله وانبيائه وماجاؤا به الى الخلق (والطاعة) اى العمل الصالح (فلو) انه سبحانه وتعالى (عكس) الحال بان خذلنى واضلنى ووفق فرعون وابليس وهداهما (لعكس) بالبناء للمفعول اى لكان يمكن ذلك من غير امتناع على الله تعالى ولانقصان فى ملكه (وليس اجتناب نفسى) اى تباعدها (مما فعلاه) اى فرعون وابليس (من) جهة (ذاتها) حتى تكون محمودة على ذلك يليق بها ان تتكبر به على غيرها (بل) ذلك الاجتناب (من) محض (عناية الله تعالى) بها وخالص فضله عليها واحسانه اليها كما قال تعالى * ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا * الآية (وانا اعلم من نفسى من الخبائث الكثيرة) فى الاحوال والاقوال والافعال (والعيوب العظيمة) فى الظاهر والباطن (مالااعلم منهما) اى من فرعون وابليس لغيبتهما عنى وبعدهما منى ومعرفتى بنفسى وحضورها عندى اقرب الى من كل شئ لاتفارقنى اصلا (والمعلوم) خبائثه وعيوبه (ادنى) منزلة (من المشكوك) فى كثرة خبائثه وعظم عيوبه (و) من (المجهول) فى كل وقت حاله على اى امر هو من شدة الخبث وغزارة العيب

(ولا اعلم كيف اموت) لان ذلك موكول الى الله تعالى (ويحتمل والعياذ بالله تعالى ان اموت على الكفر) به سبحانه او بشئ مما وجب الايمان به (فاشاركهما) اى فرعون وابليس (فى العذاب المخلد) فى جهنم الى ابد الآبدين انتهى (ولنذكر) الآن (ماورد) من الاحاديث النبوية والاخبار (فى فضائل التواضع) ليكون ذلك من جملة الاسباب الموجبة له (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابن عباس) رضى الله عنهما (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى) بواسطة الملك او بلا واسطة كما قال تعالى *فاوحى الى عبده ما اوحى* ولعل الاطلاق وعدم ذكر الملك لانه كان وحيا بلا واسطة (ان تواضعوا) يامعشر المكلفين اى لايرى احدكم نفسه اكبر من غيره (حتى لايبغى) اى يتعدى (احد) منكم (على احد ولايفخر) اى يتعاظم ويتفاخم (احد) منكم (على احد) وفى حديث الجامع الصغير برواية البيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفخم فى الدنيا فهو يتفخم فى النار يعنى من تعظم على غيره فهو واقع فى نار الآخرة بتعظمه ذلك وهو لايشعر به لغفلة نفسه عنه واشتغالها بحظها منه فاذا مات على تلك الحالة وجد نفسه فى النار (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ركب المصرى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طوبى) قيل من الطيب ومعنى طوبى لهم ان لهم العيش الطيب وقيل خير لهم واصلها طيب فقلبت الياء واوا لمجانسة الضمة كذا فى المصباح (لمن تواضع) اى خفض جناحه ولين جانبه لكل احد (فى غير منقصة) تكون منه تنقصه فى دينه ومروته (وذل) اى خضع (فى نفسه) لكل من رآه (من غير مسئلة) اى طلب وتأمل شئ من احد (وانفق مالا جمعه) من وجوه الحل (فى غير معصية) الله تعالى واما من جمع المال من الحرام على حسب مايعلم هو لمباشرته ذلك فانه لايقدر ان ينفقه فى طاعة اصلا الا بحسب مايظهر له انها طاعة فيترتب على انفاقه من المال الحرام فى طاعة الله تعالى اذا تصدق به انه يطلب بذلك الثواب منه سبحانه فيكفر على ماقاله ابن وهبان فى منظومته وغيره والاثم لاشبهة فيه ولعل السر فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اوحى الله الى داود ان قل للظلمة لايذكرونى فانى اذكر من يذكرنى وان ذكرى اياهم ان العنهم اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير برواية ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما فان ذكر الله تعالى يكون بالقول وبالفعل كالصدقات والمبرات والظلمة مأمورون بارضاء خصومهم فى الدنيا فان دفع درهم حرام الى صاحبه الذى اخذه منه بلاحق شرعى فرض عين عليه فهو افضل من الصدقة بالف درهم او اكثر فاذا عدل عن ذلك الى الصدقة لم تقبل منه فان الله تعالى لايقبل الصدقة من الحرام كما قال سبحانه *انما يتقبل الله من المتقين* وليس هذا الامر فى حق الظلمة مخصوصا بالحكام والقضاة فى زماننا فقط بل كذلك العلماء اذا اكلوا اوقاف المدارس [illegible]

لمن عينها لهم الواقف والتجار واهل الاسواق اذا خا وا احدا ممن يشترى منهم بدرهم ولم يدفعوه اليه بان البسوا عليه سلعة ولم يذكروا له عيبها حتى اشتراها بازيد مما كان يشتريها لو ذكروا له العيب ونحو ذلك فهم ظلمة ايضا لو تصدقوا بما علموا انه حرام لعنوا لذكرهم الله تعالى بما هو معصية قال المناوى رحمه الله تعالى فى شرح هذا الحديث من الجامع الصغير قال حجة الاسلام رحمه الله هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ورحم اهل الذل والمسكنة) من الفقراء والمساكين فلم يتجبر عليهم ولم يتكبر وبش فى وجوههم وقضى حوائجهم واحسن اليهم (وخالط اهل الفقه) فى الدين (و) اهل (الحكمة) الالهية وهم العلماء بعلم الظاهر وعلم الباطن يعنى العارفين باحكام الشريعة وسر رها العاملين بعلمهم مع الاخلاص اهل الكشف الروحانى والقلب النورانى لا من علمهم فى ألسنتهم فقط من علماء الاحكام الشرعية بلا عمل بغالبها المتكبين على حطام الدنيا لا يفرقون بين حلالها وحرامها مع علمهم بالحلال والحرام فكان الحلال عندهم ما حل فى ايديهم والحرام ما حرموا منه فان مخالطة هؤلاء مفسدة فى الدين وجالبة للضلال فى جميع المسلمين (طوبى لمن طاب) اى حسن على الوجه الشرعى (كسبه) اى ماله الذى يكسبه فى دنياه من حرفة ونحوها (وصلحت) اى لم تفسد (سريرته) وهى ما يكتمه فى باطنه ويقال سره ايضا كما قال الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (وكرمت) من كرم الشئ نفس وعز فهو كريم (علانيته) اى ظاهر حاله بان كانت الطاعة فى ظاهره كما هى فى باطنه ولم يتدنس ظاهره بشئ من الخصال الذميمة فكان ظاهره نفيسا عزيزا (وعزل) اى رفع واذهب (عن الناس) من المسلمين والمعاهدين من اهل الكفر (شره) فلم يؤذ احدا بلسانه ولا بيده مع قدرته على ذلك والا كان عجزا لا كفا فلا ثواب له عليه كما قالوا فى العنين لا يثاب على ترك الزنا والاعمى لا يثاب على تركه النظر المحرم كذا بينه فى الاشباه والنظائر (طوبى لمن عمل بعلمه) الذى علمه الله تعالى اياه اما من حيث الاعتقاد فهو بصدق النفس فيما تعتقده ومجانبة الكذب كمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله مثلا او يعتقد ذلك بقلبه وحوله وقوته بنفسه لا بربه من كثرة غفلته عن ربه فهو غير عامل بعلمه من حيث الاعتقاد وكذلك اذا قال لا مؤثر الا الله تعالى او اعتقد ذلك وهو غافل عما قال واعتقد من غير ان يشهد ذلك فى نفسه فيبنى اموره على كثرة المؤثرين غير الله تعالى لاستيلاء الغفلة عليه فهو غير عامل بعلمه ايضا من حيث الاعتقاد واما من حيث الاعمال بالجوارح فعدم العمل بالعلم ظاهر فى ذلك لا يخفى على كل احد (وانفق) على الفقراء والمساكين (الفضل) اى ما زاد على حاجته (من ماله)

الحلال اذالحرام هو مشغول الذمة به فلاخير فى انفاقه بل الفرض عليه اعطاؤه لصاحبه (واسك الفضل) اى مازاد على قدر الحاجة (من قوله) اى كلامه فلم يتكلم بفضول الكلام كما ورد فى الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (حب) يعنى روى ابن حبان باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله تعالى) بان امتثل امره واجتنب نهيه فى ظاهره وشهد قيومية الله تعالى عليه بما كسبت نفسه فى باطنه (درجة) بان كان فى مرتبة من مراتب الصالحين ومقام من مقاماتهم كمقام الزاهد اوالتوكل اوالورع اوالصبر اوالشكر اوالرضاء من حيث الباطن و فى طاعة من الطاعات القولية اوالفعلية من حيث الظاهر (رفعه الله تعالى) عنده فى حضرة القرب لديه (درجة) اى منزلة من منازل الصديقين وحالا من احوال اهل المعرفة واليقين شيئا فشيئا (حتى يجعله) سبحانه وتعالى (فى اعلى) اى ارفع (عليين ومن تكبر على الله تعالى) بمجانبة امره ومقاربة نهيه والغفلة فى الباطن عن شهود قيوميته سبحانه (درجة) بان اتى بابا من ابواب المعاصى والشرور واقتحم معرك الغفلات والضلالات (يضعه الله تعالى) اى يخفض قدره عنده سبحانه فلا يبالى باى شئ يقابله من السوء فى الدنيا والآخرة (درجة) اى حالة من احوال اهل الضلال والعقوبة (حتى يجعله الله سبحانه وتعالى فى آخر امره (فى اسفل سافلين) منازل النار فى الآخرة والتكبر على الغير من ابناء جنسه والتواضع لهم من جملة نهى الله تعالى وامره فهو داخل فيما ذكرناه ولاجله سيق الكلام فى هذا المقام (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لاخيه المسلم) اى اخيه فى الاسلام وان لم يكن فى النسب يعنى خضع له وذل فى طرق مرضاته الشرعية (رفعه الله تعالى) اى جعله مرتفعا عنده تعالى وعند الناس واعزه فى الدارين واعلى قدره عند الثقلين (ومن ارتفع) اى تكبر (عليه) اى على اخيه المسلم والمراد تكبره عليه بالباطل واما لو كان ارتفاعه اى تكبره عليه بحق كما ورد ان التكبر على المتكبر صدقة فتكبره عليه لتكبره هو من قبل فليس هذا بمذموم (وضعه الله تعالى) اى جعله وضيعا فى الناس حقيرا ذليلا (وقد يكون سبب التواضع) للناس (السخرية)اى الاستهزاء به بان يكثر من المزح معهم حتى يسخروا منه فيصير له بذلك تواضع فى نفسه وهو مذموم لانه اذلال النفس بغير مقتض شرعى وهو حرام كما مر بيانه (والنفاق) اى اضمار العداوة للغير واظهار الصداقة بان يصير ذلك سببا لتواضعه له فى نفسه (والرياء) اى اظهار الخير والصلاح للناس مع اضمار الشر والفساد فان الانسان قد يتوصل بذلك الى حصول التواضع فى نفسه للغير وهو مذموم ايضا (والطمع) فى مال الغير فقد يوصل الى التواضع ايضا وهو مذموم كذلك

(والخوف) من الغير فيدعو الى التواضع له (فيكون) اى التواضع الحاصل بسبب من هذه الاسباب (رذيلة) اى منقصة ومهانة (بحسب العارض) وهو الامر المذكور من سخرية ونفاق ورياء وطمع وخوف (و) حسب (الكيف) اى الكيفية لا بحسب الذات فان التواضع فى ذاته صفة محمودة ولكن اذا اعرض له شئ من هذه العوارض وتكيف بواحدة من هذه الكيفيات فكان مسببا عن واحد من الاسباب المذكورة فهو ذل للنفس واهانة لها فى غير امر مشروع فهو من الخباثة المستكنة فى النفس الامارة بالسوء (فعليك) اى فخذ والزم نفسك يا ايها العبد المؤمن (بصيانته) اى صيانة التواضع (عنها) اى عن هذه الاسباب الخسيسة الرذيلة * والخلق (الرابع عشر) من الاخلاق السيئة المذمومة (العجب) بضم العين المهملة وسكون الجيم قال فى الصحاح قد عجب فلان بنفسه يعنى بالبناء للمفعول فهو معجب برأيه و بنفسه والاسم العجب بالضم وقولهم ما عجبه برأيه شاذ لا يقاس عليه وفى المصباح واعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول اذا ترفع وتكبر (وهو) اى العجب (استعظام العمل الصالح) الذى عمله يعنى رؤيته عظيما (وذكر) باللسان او بالقلب بمعنى استحضار (حصول شرفه) اى شرف ذلك العمل الصالح على غيره من الاعمال شرفا حاصلا (بشئ) اى بسبب شئ (دون الله تعالى من النفس) العاملة له (او) من (المعينين لها فى عمله وقد يطلق) اى العجب (على مطلق استعظام النعمة) التى انعم الله تعالى بها على العبد من فعل طاعة وترك معصية وفق الله تعالى العبد اليها فاستعظمها ذلك العبد وكذلك نعمة العطية من الدنيا الحلال ونعمة العافية ونحو ذلك (والركون) اى الاعتماد بالقلب (اليها) اى الى تلك النعمة (مع نسيان) العبد (اضافتها) اى غفلته عن نسبة تلك النعمة (الى) حضرة (المنعم) الحقيقى وهو الله تعالى فان الاشتغال بالنعمة عن المنعم عجب مذموم وغفلة صاحبها ملوم (وضده) اى ضد العجب (ذكر) باللسان او بالقلب (المنة) اى النعمة من الله تعالى على العبد (وهو) اى ذكر المنة (ان يذكر) بلسانه او بقلبه (انه) اى ذلك العبد (نال بتوفيق الله تعالى) فى فعل كل طاعة وترك كل معصية (وانه) اى الله تعالى هو (الذى شرفه) اى شرف ذلك العبد بخلق العمل الصالح له ومن عليه به (وعظم) سبحانه بمحض فضله عليه (ثوابه) فى الآخرة (وقدره) اى جاهه ومنزلته (وهذا الذكر) لمنة الله تعالى (فرض) عين عليه (عند) تحرك (دواعى) اى موجبات ومقتضيات (العجب) فى نفسه (وسبب العجب) اى الامر الداعى اليه (فى الحقيقة) لا فى ظاهر الحال (الجهل) بربه وبنفسه (المحض) اى الخالص (والغفلة) عن الله تعالى (والذهول) عن شهوده بايثار الحياة الدنيا (فعلاجه) اى دواؤه (الجلى) اى بطريق الاجمال دون التفصيل (معرفة ان كل شئ بخلق الله

تعالى وارادته) سبحانه حتى افعال المكلفين يخلقها الله تعالى عند جزئهم الاختيارى لابه ولا فيه ولا تأثير لهم اصلا فى خير ولا شر (وان كل نعمة) انعمها الله تعالى على العبد

(من عقل وعلم وعمل وجاه ومال وغيرها) كعافية وامن وحفظ ونصرة (من الله تعالى وحده) لا من غيره ولا منه تعالى بمعونة غيره اصلا قال المحاسبي فى كتاب الرعاية يروى عن ابن ابى الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس انه قال ما اصاب داود عليه السلام الذنب الا باعجاب اعجبه من نفسه ان قال يارب ما يأتى من ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتى من يوم الا وانسان من آل داود صائم وفى حديث حجاج ما تمر ساعة من ليل اونهار الا وعبد من آل داود يعبدك امايصلى واما يصوم واما يذكرك فاضاف العمل بالليل والنهار الى آل داود وهو كان اولهم فى ذلك واقومهم به وداعيهم اليه ومقومهم عليه فاستعظم ذلك لان قوله ما تأتى ليلة مستعظم لذلك لان العرب لاتعرف فى لغتها مثل هذا الا لاستعظام الشئ من نفسه فاضاف العمل اليها وحمدها عليه وقول الله عز وجل له يدل على ذلك قال ابن عباس فاوحى الله عزوجل اليه ياداود ان ذلك لم يكن الابى ولولا عونى اياك ماقويت على ذلك وسأكلك الى نفسك وفى حديث آخر وعزتى وجلالى لاكلنك الى نفسك فلو كان ذاكرا للنعمة التى كان لها ناسيا ووكله الى نفسه التى اضاف العمل اليها وحمدها عليه فكان بعملها معجبا وسماه ابن عباس معجبا من نفسه واخبرانه اصاب الذنب من اجل عجبه بطاعة الله عزوجل انتهى قول المحاسبي رحمه الله تعالى وعجب داود عليه السلام بالطاعة وهوانه فعلها بنفسه ولم يكن ذاكرا للنعمة انه فعلها بمعونة ربه وتقويته له عليها لم يكن مثل عجب غيره ممن ليس بنبى فانه عليه السلام اعجب بطاعته وطاعته فعلها بنفسه ونفسه فى شهوده انها قائمة بربه لانه برئ من الشرك الخفى لعصمته عليه السلام فكان هذا عجب المعصومين واما عجب غيرهم فهو فعلهم الطاعة بنفوسهم ونفوسهم مستقلة عندهم فى زعمهم حال فعلهم بها فهو من قبيل قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين وفى الرعاية ومن ذلك ماقال الله سبحانه فى يوم حنين لاعجاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم خير عصابة على الارض بل لاعصابة تعبدالله عزوجل غيرهم ومن تبعهم غضاب لله عزوجل ينصرون دين الله تعالى مستجمعون لقتال اعداء الله عزوجل فقال الله عزوجل *ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بمارحبت ثم وليتم مدبرين* وذلك ان قائلا قال منهم لن نغلب اليوم من قلة فلما اعجبوا بكثرتهم واتكلوا على قوتهم ونسوا الله تعالى فى ذلك رفع فى ذلك الوقت النصر عنهم ليعلمهم ان كثرتهم لن تغنى عنهم شيئا وان الله عزوجل هو الناصر الغالب لهم عدوهم ثم عطف الله عزوجل عليهم بالنصر اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهم ونصرا لدينه فانزل بذلك قرآنا يعرفهم به ما كان منهم

وماقال من قال منهم وروى عن ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال آلهى انى ابتليتنى بهذا البلاء وماورد على امر الا آثرت هواك على هو اى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت ياايوب انى ذلك اى من اين لك ذلك فأخذ رمادا فوضعه على رأسه وقال منك يارب افلاترى رجوعه عما قال وعن نسيانه ان يضيف نعمة العمل الى ربه عز وجل ففزع الى الذكر بالذل والاستكانة والاقرار بالنعمة انها من الله عز وجل فقال منك يارب (و) علاجه الجلى ايضا (التنبه والتيقظ بذكره) اى بذكر الله تعالى (واحضاره) سبحانه وتعالى (بالبال) اى فى الخاطر من حيث انه تعالى هو الخالق لذلك العبد ولجميع اعماله ظاهرا وباطنا (و) اما سبب العجب (فى الظاهر) فهو (اسباب الكبر السبعة السابقة) ذكرا وتبيينا (والعلاج) للعجب (التفصيلى يعرف) بالبناء للمفعول اى يعرفه كل احد (مماسبق) من الكلام فى علاج الكبر (فعلى السالك) فى طريق الله تعالى اى الواجب عليه (الشكر) برؤية المنعم والاشتغال به دون رؤية النعمة والاشتغال بها (على كل ماوجد فيه من النعم) التى انعمها الله تعالى عليه (من علم وعمل وغيرهما) الشكر (على توفيق الله تعالى) له الى فعل تلك النعم واتمامها من غير وجود مفسد لها (وعونه) فيها (ونصره) على وسواس لئلا يخالطها فيشككه فيها او ينقص ثوابها اوعلى القواطع لها من امور الدنيا ومقتضيات الهوى والنفس (وخلقه) اى ايجاده سبحانه لجميع ذلك الموجود فى العبد من الخير (واعطائه) تعالى (اياه) اى للعبد بمحض فضله واحسانه (ومن اقوى العلاج) فى نفى العجب (معرفة آفاته) اى آفات العجب (وهى كثيرة ويكفيك) ياايها السالك (انه) اى العجب (سبب الكبر) فى النفس على الغير قال المحاسبى فى الرعاية رأيت اكثر العلماء يسمى من تكبر معجبا ويصف العجب بصفة الكبر فان بدو الكبر العجب فمن العجب يكون اكثر الكبر فمن ثم سمى بالكبر ولايكاد المعجب ان ينجو من الكبر فلما كان العجب هو الذى اخرج الى الكبر وعنه كان سمى به ودلت اخلاق الكبر عليه لانه قد يستعظم مااعطى من دين اودنيا ولا يستعظم به على احد فذلك العجب اذا نسى منة الله تعالى بذلك فاذا تعظم به على غيره وانف منه وحقره فقد تكبر لانه اذا اعجب بنفسه ثم نظر الى غيره فقال فى نفسه انا خير منه محتقرا له من رؤيته سمى حينئذ الكبر عجبا من اجل انه هو اهاجه على الكبر وليس الكبر هو العجب (و) سبب (نسيان الذنوب) والمخالفات (و) نسيان (نعم الله تعالى) على ذلك العبد الحاصل له (بالتوفيق) لها من الله تعالى (والتمكين) له من الاتيان بهامع عجز امثاله عنها وعدم توفيقهم وتمكينهم من بعضها (و) سبب (الامن) اى عدم الخوف (من مكر الله تعالى) بالعبد من حيث لايشعر اومن حيث يشعر (و) من (عذابه) سبحانه (و) سبب (ان يرى) اى رؤية (ان له) اى لذلك العبد (عند الله تعالى منة) عليه تعالى (وحقا) مستوجبا لكمال الجزاء من الله تعالى (باعماله) اى باعمال العبد

(اى هى نعمة) عليه (من نعمة) سبحانه وتعالى (وعطية) للعبد (من عطاياه) عزوجل (ويدعو) اى العجب (الى ان يزكى) اى العبد (نفسه) اى يمدحها و يثنى عليها وذلك معصية بقوله تعالى *فلاتزكوا انفسكم هواعلم بمن اتقى (و يمنعه) اى العجب يمنع العبد (من الاستفادة) من غيره (و) من (الاستشارة) المطلوبة شرعا فى كل امر منهم فيوجب ذلك بقاء جهله وفساد امور. ولولم يكن فى المشورة حكمة عظيمة وسر باهر ماقال الله تعالى *للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة *فقال الملائكة ماقالوا من بقية الآية حتى قال البيضاوى وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة انتهى وقدامر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بها فى قوله سبحانه وتعالى *وشاورهم فى الامر *فالمشورة سنة الله ورسوله فمن تركها ندم ولم ينجح امره فى الغالب (زهق) يعنى روى البزار والبيهقى باسنادهما (عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث) اى من الخصال التى تعترى الانسان فيجاهد نفسه فيها و يتوقاها اويهمل نفسه فتوقعه ولهذا قال (مهلكات) اى موصلة الى الهلاك فى الآخرة الاولى (شح) اى بخل بالواجب عليه وهو الزكاة اوالفطرة اوالاضحية اونفقة الزوجة والقريب والرفيق وذى الحاجة المضطر (مطاع) اى ذلك الشح اطاعته النفس واطمأنت اليه وانقادت على مقتضاه ولم تخالفه فان خالفته فلاضرر فى منازعته لها باطنا (و) الثانية (هوى) اى ميل نفسانى الى الحظوظ العاجلة من الغفلات والشهوات فى حل اوحرمة (متبع) اى ذلك الهوى اتبعته النفس على حسب مادعاها اليه واستسلمت له ولم تتعاص عليه فان اعرضت عنه لايضرها منازعته لها فى الباطن (و) الثالثة (اعجاب المرء) اى الانسان رجلا كان اوامرأة (بنفسه) اى من جهة علم اوعمل اورأى اوعقل اواتقان حرفة اوجاه اوشجاعة وقوة وعافية ونحوذلك فمتى اعجب الانسان بشئ من ذلك هلك وكان مااعجب به سبب دماره وخسارته (وعنه) اى عن انس رضى الله عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لولم تذنبوا) اى تفعلوا الذنوب باختياركم (لخشيت عليكم ماهو اكبر من ذلك) اى من الذنوب كلها (العجب العجب) بتكرار اللفظ للتاكيد فان حكمة تقدير الذنوب على العبد المطيع لله تعالى حتى تنكسر بها نفسه من اعجابها باعمالها الصالحة و ينتفى عنه التكبر بها على غيره (واقبح) انواع (العجب) الذى يصدر من العبد (العجب بالرأى) اى العقل والتدبير ورجل ذورأى اى بصيرة وحذق فى الامور كذا فى المصباح (الخطاء) ضد الصواب (فيفرح به ويصر) اى يداوم و يلازم (عليه) اى على ذلك الرأى الخطاء ولايتركه مع ان له كمال الضرر فى الدنيا والدين ولاشعور له بذلك من حماقته وزيادة جهله (ولايسمع) فى تركه (نصح ناصح) له من الناس (بل ينظر الى غيره) من الناصحين وغيرهم (بعين الاستجهال) اى النسبة الى الجهل وانهم كلهم جاهلون وماتنبه احدغيره لذلك الرأى

اصلا (قال الله تعالى افمن زين) بالبناء للمفعول اى زين الله تعالى (له) حقيقة اوالشيطان مجازا (سوء عمله) من كل امر منكر شرعا وعرفا (فرآه حسنا) بان اراه الله تعالى ذلك السوء حسنا لانه لايملك السمع والابصار والافئدة الا الله تعالى لاغيره كما قال تعالى *امن يملك السمع والابصار والافئدة* الآية وقال تعالى (وهم يحسبون) اى يظنون من انطماس بصائرهم وعمى قلوبهم (انهم يحسنون صنعا) اى ان مايصنعونه من الاعمال حسن وهو قبيح ولكنهم لايشعرون (وجميع اهل البدع والضلال) من المسلمين (انما اصروا عليها) اى على بدعهم (لعجبهم بآرائهم) التى رأوها حقا من مذاهبهم الفاسدة وفى كتاب الرعاية للمحاسبي والعجب بالرأى الخطأ بلاء وخذلان فما كان فى الضلال والبدع فبلية وخذلان وما كان فى الاحكام فقد يكون خذلانا واثما وقد يكون نقصا فى الدين دون الاثم فاذا كان الرأى على غير الكتاب والسنة والاجماع فمن العجب كان وهو الذى اهلك عامة العباد حتى ضلوا وكفروا وابتدعوا واخطأوا فى دين الله عز وجل وقد ذمه النبى صلى الله عليه وسلم واخبرانه يغلب على آخر هذه الامة وعنده يكونون قد عموا وصموا فلا ينتفعون بموعظة قال ابو ثعلبة الخشنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم قال ياابا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك فاخبر ان معنى هذا اذا غلب على اهل الدنيا ايثار الدنيا والعجب برأيهم وذم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم العجب بالرأى والعلماء بعدهم واخبروا ان فيه الهلكة الاترى الى ماوصف الله عز وجل من قال عليه بغير الحق وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا* وقال تعالى *افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا* فاخبران القوم معجبون بما يتدينون به من الضلال والكفر والكذب على الله عز وجل وكذلك جميع اهل البدع لولا انهم معجبون برأيهم مااعتقدوا البدع ولااقاموا عليها فبالاعجاب بالرأى الخطأ هلك عامة الكفار واهل البدع من اهل الاسلام واهل الخطأ فى الفتوى لانهم تأولوا فاعجبوا بتأويلهم وظنوا انه الحق اليقين وقاسوا على غير القياس فاعجبوا بقياسهم وظنوا انهم قد اصابوا الحق وقد تركوه ودانوا بغيره وخالفوا (وعلاج هذا) النوع من (العجب) وهو العجب بالرأى (اعسر) على الانسان (واصعب) عليه من علاج بقية الانواع (اذ صاحبه) اى صاحب هذا النوع (يظنه) اى يظن رأيه الخطأ (علما) صحيحا (لاجهلا) فجهله مركب لانه يجهل ويجهل انه يجهل لاجهله بسيط والجهل المركب لادواء له (و) يظنه (نعمة) عليه من الله تعالى يشكر الله تعالى عليها (لا) يظنه (نقمة) من الله تعالى حتى يرجع عنه (و) يظنه (صحة) فى بصيرته وكمالا فى حالته (لامرضا) فى قلبه يتداوى منه (فلا يطلب العلاج) منه (ولايصغى) اى يستمع (الى الاطباء) الروحانيين الذين يعلمون امراض القلوب ويداوونها ولايقبل

منهم اقوالهم فيه ولايصدقهم (وهم علماء اهل السنة والجماعة) نصر الله تعالى
كلهم الى قيام الساعة وفى كتاب الرعاية للمحاسبى وينفى العبد العجب بالرأى الخطأ
بتهمته نفسه وتركه الاستحسان لشئ من رأيه الا بدليل بين وحجة واضحة من الكتاب
والسنة اوقياس عليهما فى تأويل واستنباط حكم فى نازلة وتهمتها بمعرفة ماثبت عليه
فى الخلقة ان من شانها السهو والغفلة ولماجرب منها من كثرة غلطها وكثرة ولهها وسوء
تأويلها مالايحصى مرارا كثيرة فى كل ذلك يرى انه مصيب ثم تبين له انه قد غفل وغلط
وكان استحسانه من قبل الهوى وتزيين الشيطان ولولم يبعثه على تهمتها الاما يعرف
من عامة الخلق من غلطهم وقولهم فى دين الله بغير الحق وكلهم يقصدون الحق وقد علم
ان النفوس طبعها قريب من بعض والمزين لهم واحد وهو الشيطان فاذا ثبت فى قلبه
هذه المعرفة بنفسه اتهمها فاذا اتهمها لم يعجل بما يستحسن دون النظر فى كتاب الله
عزوجل والسنة ومسألة اهل البصيرة ولم يزل ذلك شان الصالحين العارفين بانفسهم
لم يزالوا متهمين رأيهم خائفين من انفسهم منهم ابن مسعود اختلفوا شهرا اليه فى امرأة
مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يسم لها صداقا فلم يجبهم مخافة الخطأ فى اجابتهم
عما سألوه ثم لما لم يجدوا بدا من القول فيها قال اقول برأيى فان كان صوابا فمن الله عزوجل
وان كان خطأ فمن نفسى وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مثل ذلك
قال عمر رضى الله عنه ان الرأى كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم صوابا لان الله
عزوجل كان يريه وهو منا الظن والتكلف وقال ابوسعيد قال الله عزوجل لهم وهم
اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم لويطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فكيف بمن دونهم
من الناس وقال قتادة فى قوله تعالى لويطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانتم اطيش
احلاما فاتهم رجل رأيه وانتصح كتاب ربه عزوجل وقال ابن مسعود ايها الناس
اتهموا الرأى فلقد رأيتنى وانا اهم ان اضرب بسيفى فى معصية الله عزوجل ومعصية رسوله
وقال سهل بن حنيف ايها الناس اتهموا رأيكم وقال عمر رضى الله عنه اتهم رجل رأيه
فلقد رأيتنى يوم ابى جندل ولواقدر رددت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى يوم
صلح النبى صلى الله عليه وسلم لقريش يوم الحديبية والاحاديث فى ذلك كثيرة * الخلق
﴿الخامس عشر﴾ من الاخلاق الستين المذمومة (الحسد وفيه) ليتبين على وجه
الكمال (اربعة مباحث المبحث الاول) من المباحث الاربعة (فى تفسيره) اى تفسير الحسد
(و) ذكر (ضده) اى ضد الحسد (و) ذكر (مناسبهما) اى مناسب الحسد وضده
(وحكمهما) اما تفسيره فهو ان يقال (الحسد ارادة زوال نعمة الله تعالى) من علم
اوجاه اومال اوعمل اوعافية ونحو ذلك (عن احد) من الناس (مما) بيان للنعمة
اى من امر (له) اى لذلك الاحد (فيه) اى فى ذلك الامر (صلاح دينى) كالعلم
والعمل ونحوهما (او) صلاح (دنيوى) كالمال والجاه ونحوهما (من غير ضرر)

﴿ فى ذلك ﴾
﴿ وما ﴾

فى ذلك الامر يلحق ذلك الاحد (فى الآخرة) ليخرج من الحسد ما لو رأى احدا فى معصية يراها صاحبها نعمة عليه فاراد زوالها عنه لضرر هاله فى الآخرة (او) ارادة (عدم وصولها) اى تلك النعمة (اليه) اى الى ذلك الاحد اذا لم تكن موجودة عنده فلا يريد وجودها له فان ذلك حسد ايضا (وحبه) معطوف على ارادة زوال نعمة الله يعنى الحسد ايضا حبه اى حب الحسد (من غير انكار له) بالقلب كمن رأى احدا يحسد احدا على شئ فاحب ذلك الحسد ولم ينكره فانه حاسد ايضا (ولو وقع) اى الحسد (فى قلبك) ايها العبد (من غير اختيار) منك به (ووجدت الانكار) منك (لوقوعه) اى وقوع الحسد (فيه) اى فى قلبك من غير ان تقصد ذلك الانكار (فلا بأس به) اى بالحسد حينئذ (بالاتفاق) من العلماء لانك لا تملك ما يقع فى قلبك ان لا يقع فيه وتملك ان لا تعتبره ولا تجرى على مقتضاه فتكلف بذلك فى جميع المعاصى ما الحسد منها (فان لم تجد) فى قلبك الانكار لوقوعه (او وقع) اى الحسد فى قلبك (باختيار) منك (وارادة زوال) النعمة الله تعالى عن احد (او) ارادة (عدم وصول) نعمة الله تعالى الى الغير (فان عملت بمقتضاه) اى بمقتضى الحسد بان سعيت فى زوال نعمة غيرك عنه او فى عدم وصولها اليه (او اظهر اثره) اى اثر الحسد (فى بعض الجوارح) اى الاعضاء منك من لسانك او غمز عينك او اشارة يدك او نحو ذلك (فحسد حرام) عليك (بالاتفاق) من دون خلاف (وان لم تجد انكاره ووقع باختيارك ولكن (لم تعمل بمقتضاه ولم يظهر) عليك (اثره اصلا) فى جارحة من جوارحك (وكان الموجود فى القلب) منك (نفسه) اى الحسد (فقط) من غير زيادة اثر فحينئذ (اختلفوا) اى العلماء (فى حرمته) عليك (وكون صاحبه) الذى هو فى قلبه (آثما) يستحق العقوبة من الله تعالى عليه فى الآخرة (ومختار الامام) حجة الاسلام محمد (الغزالى) رحمه الله تعالى (حرمته) اى حرمة الحسد وان لم يكن ظاهرا اثره ولا عاملا بمقتضاه حيث هو موجود فى القلب لانه من الذنوب القلبية فلا يحتاج الى انضمام فعل بالجوارح اليه فى الاثم به قال المحاسبى فى كتاب الرعاية فى باب الرد على من قال ان الحسد بالجوارح وانه لا يضر اذا كان فى القلب ما لم يبد بفعل جارحة معنى قول الحسن وسئل عن الحسد فقال غمة فانه لا يضرك ما لم تبده فمعنى ذلك صحيح لانه اذا غمه ولم يبده فلم يدع ابداءه الا من كراهية له فالكراهية منعته ان يبديه فيستعمله بلسان او جارحة ولو انه لم يبال ان يبديه ولم يمنعه كما قال الحسن ولكن لم يجد له موضعا ولا احدا يبديه اليه وقد يكره ويسوءه ما انعم الله به عليه ويحب زوال ذلك عنه لكان حاسدا لان الحسد انما هو بالقلب وان لم يستعمله باللسان واليد كان اعظم لانه كما فعل اخوة يوسف يوسف فاذا استعمله بالكذب عليه والغيبة له او الكلام او او قيعة فيه عند من يقبل منه فيحرمه

الخير من علم يعلمه اوصلة يصله بها او معونة يعينه بهـا اوالدعاء عليه اوالايذاء له بالجوارح وذلك كله ليس بالحسـد ولكن عمل عن الحسد بعث عليـه الحسد حتى استعمل جوارحه بما يكره الله عزوجل فيمن حسده ولوكان هذا هو الحسد لكان هذا الفعل من العباد لرغبة اوخوف اوطلب دنيا حسدا كله فكان جميع اساءة العباد بعضهم لبعض حسدا وكانت معاصي العباد بعضهم في بعض حسد افلم يعص احد في احد الا بحسده وهذا ما لا يقول به احد يعلم اويعقل فالحسد بالقلب ولذلك وصفه الله عزوجل من الحاسدين فقال* ان تمسسكم حسنة تسؤهم *وقال تعالى* مايود الذين كفروا من اهل الكتاب * الآية وقال تعالى * ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم و ما يضلون الا انفسهم ومايشعرون* وقال تعالى *ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم * فوصف الحسد بكراهة القلوب للحسنات التي يمن بها على المؤمنين من نصر اوفتح اوخير و حب ان يزول عنهم ايمانهم فاضاف الله عز وجل الحسد الى فعل القلب ووصفه به وهو بالقلب دون الجوارح (وظن) اى لم يقطع ادبا منه في الدين وجريا على طريقة المتقين (هذا الفقير) يعنى مصنف هذا الكتاب (عدمها) اى الحرمة خلاف ما اختاره الغزالي رحمه الله تعالى (لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث) من الخصـال المذمومة (لاينجو) اى لايسلم (منهن احد) من الناس اصلا الاولى (الظن) في الغير انه فاعل شرا (و) الثانية (الطيرة) وزان عنبة وهي التشاؤم اسم من تطير من الشئ والتطير منه كذا في المصباح (و) الثـالثة (الحسد وسأحدثكم بالمخرج) اى الامر الذى تخرجون به (من ذلك) الذى لايسلم منه احد اصلا اذا عملتم بمقتضاه (اذا ظننت) اى وقع الظن الذى لابد ان يقع في قلبك (فلا تحقق) اى فلا تتبعه وتصدقه في الغير وتجرى عـلى حسبه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير (واذا تطيرت) اى تشاءمت في شئ (فامض) في امرك ولا تلتفت الى ماتطيرت به (واذا حسدت) اى احدا (فلا تبغ) عليه اى لاتأت بفعل من افعـال جوارحك ومقتضى الكلام اذا وقع الحسد في قلبك فاجهد نفسك في ازالته ولاتبغ على المحسود بابقائه في قلبك فتأثم بذلك (خرجه) اى هذا الحديث (دنيا)يعنى ابن ابي الدنيا (وحمل الامام الغزالي) رحمه الله تعالى (هذا) الحسد الوارد في الحديث (على حب الطبع لزوال نعمة العـدو) يعنى مايقع في القلب بدون اختيار فان الطبع يقتضى محبة زوال النعمة عن عدوه (مع الكراهة) له (من جهة الدين والعقل) حتى لايكون بغيا باستحكامه في القلب(غيرموجه) اى مذكور له وجه للصحة (اذا الحسد حقيقة) موجود (في الارادة التي هي ضد الكراهة فلايجامعها) اى الكراهة يعنى لايجتمع معهـا لان الضدين لايجتمعان الا اذا اريد بالكراهة محـاولة

نفي الارادة لاجتماعها معها حيث كانت لارادة بمقتضى الطبع فيتم كلام الغزالي حينئذ (كما لا يجامع الشهوة) اعني حب الطبع المذكور (ضدها) اي ضد الشهوة (الذي هو النفرة) الا اذا اريد بالنفرة نفي الشهوة لاكونها معها فيتوجه قول الغزالي رحمه الله (بخلاف كل) اي كل واحدة (من) الحالتين (الاوليين) في العبارة السابقة اللتين هما عدم العمل بمقتضاه وعدم اظهار اثره اصلا (فانه) اي كل واحدة منهما (يجامع كلا من) الحالتين (الاخريين) اللتين هما حب الطبع لزوال نعمة العدو والكراهة لذلك من جهة الدين والعقل (والاوليان) اللتان هما عدم العمل بمقتضاه وعدم اظهار اثره اصل (اختياريتان) اذ للعبد تصرف فيهما يمكن ان يعمل بمقتضى ما في قلبه من الحسد وان يظهر اثره و يمكنه ان لايعمل ولايظهر اثر الحسد اصلا (والاخريان) اللتان هما حب الطبع لزوال نعمة العدو والكراهة لذلك من جهة الدين والعقل (اضطراريتان) لايدخلان تحت اختيار العبد وتصرفه فلايمكنه ان يرفع حب طبعه ولا ان يكره ذلك باختياره (لا توصفان) هاتان الاضطراريتان (بالحل والحرمة) لانهما ليستا من كسب العبد ولا مما كلفه الله تعالى بهما (وقوله عليه الصلاة والسلام فلاتبغ) مشتق (من البغي الذي هو فعل الجوارح) لا القلب يقال بغى على الناس بغيا ظلم واعتدى فهو باغ والجمع بغاة كذا في المصباح (وسئل الحسن) البصري رحمه الله تعالى (عن) معنى (الحسد فقال) هو (غمة) اي حيرة ولبس والجمع غمم (لاتضرك) ياايها المؤمن شيئا مادامت في قلبك مخفية (مالم تبد) اي تظهر يعني بقول اوفعل و يمكن ان يكون معناه لاتضرك ضررا ظاهرا بان ترتب عليك قصاصا اوحد قذف او تعزير اونحوها بان تحملك على قتل المحسود اوقذفه اوشتمه وعلى معنى مافسره به الامام المحاسبي رحمه الله تعالى في الرعاية كما قدمناه لاتضرك مادامت في قلبك وكرهتها فلم تظهرها بقول اوفعل فعدم اظهارها دليل على كراهتها فاذا كرهها لاتضره نظير جميع الخواطر السيئة اذا وقعت في القلب فكرهها القلب فانها لاتضره ومثل ذلك الكفر والشرك بالله تعالى اذا خطر في النفس فكرهته النفس فانه لايضرها فلادليل في قول الحسن رضي الله عنه على المدعى وقال الامام المحاسبي رحمه الله تعالى في آخر مبحثه في هذه المسئلة وانما فسرت ذلك لان طائفة تقول ان الحسد انما يضر اذا استعمله العبد بجوارحه وتحتج بحديث الحسن هذا فذهب قولها ان الحسد بالجوارح لابالقلب وقد دلنا الله تعالى عليه انه بالقلب واستعماله بالجوارح عملا عنه الاترى ان الله عز وجل يقول* ولايجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا *فدلك بذلك ان الحسد في النفس دون الجوارح واستعماله بالجوارح عمل عن الحسد لاالحسد بنفسه انتهى كلامه والمحاسبي إمام جليل من رجال الرسالة القشيرية وهو متقدم على الامام الغزالي رحمهما الله

تعالى ولعل مأخذ الغزالي منه ومتابعته له (ولقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتي) اي سامحها فلم يكتب عليها عفوا منه ورحمة (عما) اى عن الخاطر الفاسد الذي (حدثت به انفسها مالم تكلم) بحذف احدى التائين تخفيفا (اوتعمل به) اى يجرى على مقتضاه بالجوارح وتظهر اثره عليها فيؤاخذها به حينئذ قلت لوحمل هذا الحديث على مقتضى ظاهره لكان الكفر والشرك والتكبر والعجب ونحو ذلك من الذنوب التي تتم بمجرد القلب ولاتحتاج الى القول ولا العمل قد تجاوز الله تعالى عنها للامة وهو باطل فلا بد ان يكون معناه ماحدثت به انفسها مما يقع فى القلب بلا اختيار من الانسان فان كان يتم بمجرد القلب من اخلاق القلب الستين المذمومة المذكورة فى هذا الكتاب لاياثم الا بقبولها بالقلب اوالجريان على مقتضاها بالظاهر وان كان لا يتم بمجرد القلب كالزنا والسرقة والشتم والقذف ففى ذلك يقال مالم تكلم اوتعمل به كما ورد فى الحديث (خرجه) اى هذا الحديث (خ م) يعنى البخارى ومسلم باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة قال الانصارى الحلبي فى مختصر شرح الامام النووى على صحيح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ماحدثت به انفسها ضبطوا انفسها بالنصب والرفع وهما ظاهران والنصب اظهر لقوله فى الحديث ان احدنا يحدث نفسه ومن رفع يريد بغير اختياره كما قال تعالى * ونعلم ما توسوس به نفسه * وفى المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها روايتنا نصب انفسها على انه مفعول حدثت وفى حدثت ضمير فاعل عائد على الامة واهل اللغة يقولون انفسها بالرفع على انه فاعل حدثت يريدون بغير اختيار قاله الطحاوى رحمه الله تعالى والمعنى بذلك ان الذى لامؤاخذة به هو الاحاديث الطارية التى لا ثبات لها ولا استقرار فى النفس ولاركون اليها وهذا نحو مما قاله القاضى ابو بكر فى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل اذاهم عبدى بحسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعمل فاذا عملها فانا اكتبها له عشرا واذاهم بسيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له سيئة واحدة قال القاضى ان الهم هنا مايمر بالفكر من غير استقرار ولاتوطين فلو استمر ووطن قلبه عليه لكان ذلك هو العزم المؤاخذ به اوالمثاب عليه بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ولايقال فهذه المؤاخذة هنا انما كانت لانه قد عمل بما استقر فى قلبه من حمل السلاح عليه لابمجرد فرض القلب لانانقول هذا فاسد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قدنص على ماوقعت المؤاخذة به واعرض عن غيره فقال انه كان حريصا على

فتل صاحبه فلو كان حمل السلاح هو العلة للمؤاخذة وجزؤها لما سكت عنه وعلق المؤاحذة على غيره لان ذلك خلاف البيان الواجب عند الحاجة اليه والذى صار اليه القاضى وهو الذى عليه عامة السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ولايلتفت الى من خالفهم فى ذلك فزعم ان مايهم به الانسان وان وطن عليه لايؤاخذ به متمسكا فى ذلك بقوله سبحانه وتعالى * ولقد همت به وهم بها * و بقوله صلى الله عليه وسلم مالم يعمل او يتكلم به ومن لم يعمل بما عزم عليه ولانطق به فلايؤاخذ به وهو متجاوز عنه والجواب عن الآية ان من الهم مايؤاخذ به وهو مااستقروا ستوطن ومنه مايكون احاديث لاتستقر فلايؤاخذ بها كما شهد به الحديث وما فى الآية من القسم الثانى لاالاول وفى الآية تأويلات هذا احدها و به يحصل الانفصال عن قوله مالم يعمل اذ توطن النفس عليه عمل فيؤاخذ به (وحمله) اى هذا الحديث وهو قوله عليه السلام ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها مالم تكلم او تعمل به (من الامام) حجة الاسلام (الغزالى) رحمه الله تعالى (على ميل الطبع بلااختيار) وهى الخواطر السيئة التى تقع فى النفس من غير قصد فانها غير مؤاخذ بها العبد (مردود) هذا الحمل (من اربعة اوجه) على حسب ماظهر للمصنف رحمه الله تعالى الوجه (الاول ان غير الاختيارى) من الافعال والاقوال والاحوال (لايدخل تحت التكليف) به فى الشرع لافعلا ولاتركا (فلاذنب فيه فلاعفو) عنه (و) قوله فى الحديث (تجاوز مع) قوله (عن) يعنى عما حدثت (بمعنى عفا) ولاشك ان غير الاختيارى وان لم يقع التكليف به بدليل هذا الحديث وامثاله فانه يجوز التكليف به بدليل قوله تعالى * وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله * وقال القرطبى فى شرح مسلم ماعامة فتتناول كل مايقع فى نفس الانسان من الخواطر ماطيق رفعه منها ومالايطاق ولذلك اشفقت الصحابة رضى الله عنهم من محاسبتهم على جميع ذلك ومؤاخذتهم به فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم كلفنا ما نطيق الصلاة والصيام وهذه الآية لانطيقها ففيه دليل على ان موضوع ماللعموم وانه معمول به فيما طريقه الاعتقاد لامعمول به فيما طريقه العمل وانه لايجب التوقف فيه الى البحث على المخصص بل يبادر الى اعتقاد الاستغراق فيه وان جاز التخصيص وهذه المسائل اختلف فيها ولما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم اجابهم بان قال اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فاقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على مافهموه وبين لهم ان الله تعالى ان يكلف عباده بما يطيقونه ومالايطيقونه ونهاهم عن ان يقع لهم شئ مما وقع لضلال اهل الكتاب من المخالفة وامرهم بالسمع والطاعة والتسليم لامر الله تعالى على مافهموه فسلم القوم لذلك واذعنوا ووطنوا انفسهم على انهم كلفوا فى الآية بمالايطيقونه واعتقدوا ذلك فقد عمل بمقتضى ذلك العموم وثبت و يرد فان قدر رافع

لشيء منه فذلك الرفع نسخ لا تخصيص وعلى هذا فقول الصحابي رضي الله عنه فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى على حقيقة النسخ لا على جهة التخصيص وقال القرطبي ايضا بعد ذلك في قوله تعالى * ولا تحملنا ما لا طاقة لنا * التكليف الزام ما في فعله كلفة وهي النصب والمشقة والطاقة الوسع وهذه الآية تدل على ان الله سبحانه وتعالى ان يكلف عباده ما يطيقونه وما لا يطيقونه ممكنا كان او غير ممكن لكنه تعالى تفضل بانه لم يكلفنا الا ما نطيقه وما يمكننا ايقاعه وكمل علينا بفضله رفع الاصر والمشقات التي كلفها غيرنا وقال البيضاوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه وقال في قوله تعالى * ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا * اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة منه وفضلا وقال في قوله تعالى * ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه (و) الوجه (الثاني ان غير الاختياري) من امور المكلف (لا تؤاخذ به امة من الامم) الماضية (فلا وجه للتخصيص حينئذ) في الحديث (بقوله) عليه السلام (امتي) ويمكن ان يكون تقديره ان الله تجاوز لامتي كما تجاوز للامم الماضية وذكر الشيء لا ينافي ما عداه خصوصا وليس في الحديث ما يفيد الحصر كما في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ولا دلالة فيه على ان الامم الماضية لم يكن مرفوعا عنهم ذلك فان الامم الماضية لم يكن فيهم الا الاصر الذي قال الله تعالى * ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا * قال البيضاوي عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة قال والمراد ما كلف به بني اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة وما اصابهم من الشدائد والمحن انتهى وليس في ذلك تكليف بمقتضى خطأ ولا نسيان ولا ما لا اختيار فيه (و) الوجه (الثالث ان ذلك الحمل) اي الذي قاله الامام الغزالي رحمه الله تعالى في ارادة ميل الطبع بلا اختيار (انما يصح على رواية رفع) قوله في الحديث (انفسها) بانه فاعل حدثت (واما على رواية نصبها) اي حدثت الامة به انفسها على انه مفعول حدثت (فلا) اي فلا يصح الحمل المذكور (اذا رفع) اي رفع انفسها (دال على) وجود ذلك الحديث بطريق (الاضطرار والنصب) في انفسها دال (على) ان ذلك بطريق (الاختيار) وهما روايتان صحيحتان كما قدمناه ويمكن ان الامة تحدث انفسها بحديث هي مضطرة فيه اذ هو ليس حديث باللسان حتى يلزم الاختيار فيكون في الحديث الاضطرار

على كلا الروايتين قال فى مختصر شرح النووى على صحيح مسلم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به انفسها مالم يتكلموا او يعملوا به وفى الحديث الآخر اذا هم عبدى قال المازرى رحمه الله تعالى مذهب القاضى ابى بكر ان من عزم على معصية بقلبه ووطن نفسه عليها اثم فى عزمه ويحمل ما وقع فى هذه الاحاديث على ان ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وانما مر بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم وخالف القاضى كثير من الفقهاء والمحدثين قال القاضى عياض عامة السلف واهل العلم على ماذهب اليه القاضى ابو بكر لظواهر النصوص من الكتاب والسنة الدالين على المؤاخذة باعمال القلوب كقوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا * الآية وقوله تعالى * اجتنبوا كثيرا من الظن * والآيات كثيرة كيف وقد اجمع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وارادة المكروه بهم وغير ذلك من اعمال القلوب انتهى ما فى شرح صحيح مسلم وهو الحق الذى لاريب فيه كما قال سبحانه وتعالى * ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون * (و) الوجه (الرابع ان آخر الحديث المذكور) وهو قوله عليه السلام ان الله تجاوز لامتى وآخره قوله مالم تكلم او تعمل به (ينافى ذلك الجمل) اى الذى قاله الامام الغزالى رحمه الله تعالى (لانه) اى آخر الحديث (يفيد معنى الغاية) وهى انتهاء التجاوز (فتقدير) معنى (الحديث عفا الله تعالى عن امتى كل ما حدثت به انفسها الى ان يظهر (اثره) اى اثر ما حدثت به (على الجوارح) من الامة (اما بالتكلم) باللسان (او بالعمل) بالاركان التى هى الاعضاء الظاهرة واذا كان الامر كذلك (فيدخل فى العفو) الذى هو معنى التجاوز الوارد فى الحديث (الهم والعزم بالقلب) على المعصية (بعد ميل الطبع) اليها فلا يكون العبد مؤاخذ بميل طبعه الى المعصية ولا بالهم والعزم عليها بقلبه ايضا (اذا لم يتكلم ولم يعمل به) اى بالهم والعزم بان كان مجرد هم وعزم بقلبه من دون قول ولا عمل (والمراد بالتكلم تكلم هو اثر من آثاره) اى آثار الهم والعزم بالقلب (ومقتضى من مقتضياته) لا مطلق التكلم بشئ لا مناسبة له بذلك الهم والعزم (كالغيبة) بذكر مساوى الغير ونشر مقابحه (والقدح) اى الطعن (والسب) اى الشتم (فى الحسد) للغير بالقلب (و) فى (سوء الظن) بالغير (وكذلك المراد بالعمل) عمل هو من آثار ذلك الهم والعزم كالسعى فى اضراره وسلب نعمته وضربه واهانته (فان قلت ان مجرد اعتقاد الكفر والبدعة) بالقلب (حرام لا يعفى) عنه (فلم لا يكون مجرد سوء الظن والحسد) بالقلب (ونحوهما) من الحقد والبغض (كذلك) اى حرام لا يعفى عنه (مع ان كلا منهما) اى من اعتقاد الكفر والبدعة وسوء الظن والحسد بالقلب (فعل قلبى) منسوب الى القلب وفيه اعتراف منه بان الحسد فعل قلبى اى مما يتم بالقلب وهو خلاف مدعا (فالفرق بينهما)

حيث حرم الاولان بمجرد القلب ويشترط مع الآخرين فعل للسان اوالجوارح (قلت الاولان) اى اعتقاد الكفر واعتقاد البدعة (قبحهما وحرمتهما لذاتهما وقبح مانحن فيه) من سوء الظن والحسد (وحرمته لسببية العمل القبيح) اى لان العمل القبيح مسبب عن ذلك وهذا فرق بما هو المحل المتنازع فيه فان اشتراط انضمام العمل القبيح الى فعل القلب هوالذى فيه النزاع فلا يصلح وجها للفرق بين اعتقاد الكفر والبدعة ومجرد سوء الظن والحسد بالقلب فى حرمة الاولين واباحة الآخرين بل الكل حرام من غير شرط زائد كما قدمناه خصوصا والمصنف رحمه الله تعالى فى صدد بيان الامراض القلبية والاخلاق السيئة المذمومة التى تعترى القلب واشتراط العمل بالجوارح فى بعضها يخرج ذلك عن كونه مما يعترى القلب بل فعل الجوارح عمل آخر مذموم كما لا يخفى على الفطن اللبيب وقال المحاسبى فى الرعاية فالحسد كما اخبرتك بالقلب واستعماله بالجوارح عمل عنه ولو كان استعماله بالجوارح حسدا لكانت الغيبة حسدا والكذب حسدا والضرب حسدا والقتل حسدا والسرقة حسدا وذلك كله معاص وقد تكون عن الحسد وعن الكبر وعن الرياء وعن حب الدنيا وعن خوف الفقر فقد اخطأ من تأول ذلك وخرج من معقول الدين (فاذا تجرد) اى سوء الظن والحسد (عنه) اى عن العمل القبيح باللسان او بالجوارح (ولم يفض) اى يوصل (اليه) اى الى العمل القبيح (لا يبعدان ترتفع عنه الحرمة) والاثم وهذا اشارة منه الى عدم القطع به كما يرشد لى ذلك قوله فى صدر هذا البحث وظن هذا الفقير عدمها (لاسيما) اى خصوصا (فى امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) التى هى (خير الامم) بنص قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس (التشريف) علة للخيرية (حبيبه) اى حبيب الله تعالى (وتكريم صفته) تعالى اى صفوته من خلقه وهذا الامر كله مسلم فى المعصية التى لا تتم بمجرد الهم والعزم بالقلب بل لابد فيها من عمل الجوارح واما ما يتم بمجرد ذلك فاذا عمل بجوارحه كان عمله معصية اخرى والمعصية بالقلب على حالها فيسقط اعتبار القلب فى الشر مطلقا ويبقى قوله تعالى * ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم * لا معنى له الا بتأويل بعيد وكذلك قوله تعالى * الا من اتى الله بقلب سليم * وقوله * اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم * حيث كانت طهارة القلب ونجاسته سواء وكان الكفر نجاسة فكذلك المعصية وفى الاشباه والنظائر وحاصل ماقالوه ان الذى يقع فى النفس من قصد المعصية على خمس مراتب الهاجس وهو ما يلقى فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل اولا ثم الهم وهو ترجح قصد الفعل ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به فالهاجس لا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعله وانما هو شئ ورد عليه لا قدرة له على دفعه ولا صنعه والخاطر الذى بعده كان قادرا على دفعه بصرف الهاجس اوله ولكن

هو ومابعده من حديث النفس مرفوعان بالحديث الصحيح واذا ارتفع حديث النفس ارتفع ماقبله بالاولى وهذه الثلاث لوكانت فى الحسنات لم يكتب له بهـا اجر لعدم القصد واما الهم فقد بين فى الحديث الصحيح ان الهم بالحسنـة يكتب حسنة والهم بالسيئة لايكتب سيئة وينتظر فان تركها لله كتبت حسنة وان فعلها كتبت سيئـة واحدة والاصح فى معناه انه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وان الهم مرفوع وفى البزازية من كتاب الكراهية هم بمعصية لاياثم ان لم يصمم عزمه عليه وان عزم يأثم اثم العزم لااثم العمـل بالجوارح الاان يكون امرا يتم بمجرد العزم كالكفر انتهى ومقتضاه ان يكون كالكفر الحسد وسوء الظن والحقد والبغض والتكبر ونحو ذلك فيأثم فيهـا بالعزم من دون فعل الجوارح (نعم قصد المعصية وهمها لاسيما العزم المصمم) على الفعل (قلمايوجد) ذلك (بدون الاثر على الجوارح) وهذا مسلم فى القصد المضاف الى المعصية على انه غيرها مما لايتم بمجرد العزم بالقلب واما القصد الذى هو المعصية كالحسد ونحوه فلووجد معه اثر بالجوارح كان معصية اخرى غيره ولايتوقف وجود معصية على وجود معصية اخرى (ولاكلام ايضا ان الكمال) المطلوب شرعا وعقلا (ان يخلى) اى يفرغ (الانسـان قلبه عن) جميع (العزائم) اى المقاصد المصممـة (الفاسدة والصفات الخبيثة) الرذيلة (ويحليه) اى يحلى القلب يعنى يزينه (بالنيات الصالحة والصفات الحميدة واما الرياء) بالقلب (بطاعته) التى عملها اودليلهـا وهو العلم بها الموصل اليها وان كان امرا محرما يتم بالقلب (فلاينفك عن عمل بمقتضاه) ولذلك سمى رياء ليراه الغير وعمل القلب وحده لايراه الغير فلابد من عمل ظاهر يراه غيره (فان الاجتناب عن بعض الشبهات) وكان الغرض فى ذلك (ليرى النـاس انه ورع) اى صاحب تورع (كف) خبر ان اى امساك (الجوارح) الظـاهرة (عنها) اى عن الشبهات (وهو عملها) اى عمل الجوارح (والذكر القلبى) وهو قصد ان يراه الناس (والتفكر) فى ذلك (عمل قلبى او كلاهما عمل بمقتضى الرياء) اما القصد القلبى انه عمل بمقتضى الرياء فظاهر لانه هو الرياء وحده كما تقدم بيانه من المصنف رحمه الله تعـالى فى الكلام على الرياء واما كف الجوارح فكونه يسمى رياء غير ظاهر اذ لو كان مخلصـا فيه بقلبه فلا يسمى رياء بظاهره بل هو عمل دائر بين ان يكون صاحبـه مخلصـا فيكون طاعة اومرائيا فيكون معصية اخرى غير الرياء والرياء معصية اخرى غيره ولهذا يقال صلى رياء فالصلاة عمل بالجوارح والرياء عمل بالقلب وان كان الرياء لابدله من عمل يقصد به غير وجه الله تعالى فذلك العمل غير داخل فى مسمى الرياء والاثم والعقاب فى الآخرة واقع على عمل القلب الذى هو الرياء بالاستقلال وعلى صورة الطاعة الخالية من الاخلاص كالصلاة بلا طهارة حتى ان الرياء قد يكون بغيره كالرياء بالاصحاب

والزائرين كما تقدم بيانه من المصنف رحمه الله تعالى ولا اقترانه بعمل منه اصلا (واما كف الحسود الجوارح) عن الجريان على مقتضى حسده من ايذاء المحسود باللسان وغيره (فليس عمل بمقتضى حسده بل عمل بضد مقتضاه) لان في تلك سلامة المحسود منه فهو مخرج للحسد عن الاثم والذم على مقتضى ماذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وان كان فيه تسهيل عظيم للامة ولكنه يصادم النصوص القطعية فلا يكون صحيحا (واما الكبر والعجب) الحاصلان بالقلب فقط (فمن قبيل اعتقاد الكفر والبدعة في انهما قبيحان لذاتهما وحرمتهما لذاتهما ومن تأمل الحسد وجده مثلهما فانه قبيح لذاته وحرمته لذاته لانه متولد من الكبر والعجب قال المحاسبي في كتاب الرعاية الحسد المحرم يكون من الكبر والعجب والحقد للعداوة والبغضاء والرياء وحب المنزلة والرياسة ان لايعلوه غيره وشح النفس بالخير على الغير (والله تعالى اعلم) تفويض من المصنف رحمه الله تعالى الامر الى علم الله تعالى وانصاف منه في الدين وسلوك في سبيل المتقين (وان لم ترد) يا ايها الانسان (زوال النعمة) عن الغير (ولكن اردت لنفسك) نعمة اخرى (مثلها) ونعمة الغير تبقى على الغير (فهو) حسد (غبطة ومنافسة ليست بحرام) عليك قال في المصباح المنير الغبطة حسن الحال وهي اسم من غبطته غبطا من باب ضرب اذا تمنيت مثل ماناله من غير ان تريد زواله عنه لما اعجبك منه وعظم عندك وفي الحديث اقوم مقاما يغبطني فيه الاولون والآخرون وهذا جائز فانه ليس بحسد فان تمنيت زواله فهو الحسد وقال الامام المحاسبي في كتاب الرعاية الحسد الذي ليس بمحرم المنافسة لقول الله عز وجل * وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * وقال سبحانه وتعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة * ولا تكون المسابقة من العبد الا ان يسابق غيره وقال علي رضي الله عنه وذكر العامل لله تعالى فقال و يباهي العباد بعبادة ربه عز وجل يعني ينافسهم كما ترى العبدين من عبيد اهل الدنيا يتباهيان عند مولاهما اي لايحظى احدهما قبل الآخر جزعا ان يسبقه الى محبة مولاه ويقصر هو عنها فتكون منزلته عند مولاه احسن من منزلة الآخر نفاسة ان يسبقه الى الحظوة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين ينهى عن الحسد ويخبر انه لايجوز عند الله الا فيهما فقوله الا في اثنتين يعني ان الحسد فيهما جائز رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر في حديث ابي كبشة الانصاري رضي الله عنه كيف ذلك الحسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله عز وجل مالا ولم يؤته علما ورجل آتاه الله عز وجل علما ولم يؤته مالا فيقول رب العلم لو ان لي مثل مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء ويقول رب المال لو ان لي مثل علم فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فذلك هو الحسد الذي هو منافسة جدير الى ان يلحق به وغمه ان يكون دونه ولم يحب له شرا

وقد تسمى العرب الحسد المحرم منافسة لانهما جميعا فى اللغة حسد فيقول الرجل للرجل نفست على اى حسدتنى وقال قثم بن العباس والمطلب بن ربيعة بن الحارث لما اراد ان يأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فيسئلانه ان يؤمرهما على الصدقة لعلى رضى الله عنهم حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لايؤمر كما عليها فقا لا ما ذا الا نفاسة منك والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اى هذا منك حسد وماحسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة فى اللغه مشتقة من النفاسة (بل) هذا النوع من الحسد (مندوب) اليه (فى) الامر (الدينى) بل قد يكون فرضا كما قال المحاسبى فى كتاب الرعاية فان كان الذى رأى بغيره من النعم قياما بفرض الله تعالى وانتهاء عما حرم الله عز وجل فحسده على ذلك واحب ان يكون مثله وتمنى ذلك وسأل الله عز وجل كان ذلك عليه فرضا واجبا ان يحاسده على ذلك ليؤدى فرض الله عز وجل لانه ان لم يغتم ويحزن لتخلفه عمن قام بفرض الله عز وجل عليه واجتنب مانهى عنه ولم يحب ان يكون مثله كان عاصيا مقيما على تضييع الفرائض وركوب المحارم ولايغتم بتركها ولايحب ان يطيع الله عز وجل كما اطاعه الورعون فى القيام بحقه وان كان ماراى لغيره من نعم الدين فضلا تطوعا فاغتم ان يقصر عن منزلته واحب ان يلحق به ويكون مثله وذلك فضل منه وتطوع ذا احب ان يتقرب الى الله عز وجل كما تقرب غيره واغتم ان يقصر عن القربة الى الله عز وجل بما يحب من طاعته (و) هو (حرص) على الدنيا (مذموم) شرعا (فى) الامر (الدنيوى وسيجئ) بيانه فى الحرص (ان شاء الله تعالى) قال المحاسبى فى كتاب الرعاية وان كان ماراى بغيره من النعم مباحا له فيما يتقلب فيه من لذته ونعيمه بالفضول فيما احل له فاغتم ان لايكون مثله واحب ان يلحق به فيوسع عليه كما وسع على من نافسه وان يلحق به فيكون متنعما مثله فذلك مباح له وليس بحرم عليه الا انه نقص عن الفضل ومن الزهد الا ان يخرج الى السخط على الله عز وجل فيكون السخط على الله عز وجل لايحل له لان السخط منافسة لانه يحب السعة والتنعم بحلال الله عز وجل وليس محبته تلك بسخط وان كان محبته نقصا من الفضل وان كان مايرى من غيره محرما لايحل له كاكتساب الحرام وانفاقه المال فيما لايحل والعمل بالمعاصى فى التلذذ بها فاغتم ان لا يكون مثله واحب ان يكون مثله فذلك منه لايجوز له ولم يحسده الحسد المحرم من قبل الغش ولكنه حسده حسد منافسة فى الحرام الذى لوكان ما نافسه فيه حلالا اوطاعة لجاز ذلك الحسد له وانما اتى مالايجوز له من قبل محبته للحرام (وان لم يكن فى النعمة) التى حسدته عليها (صلاح لصاحبها بل) فيها (فساد) له (ومعصية فاردت زوالها عنه) اى عن صاحبها (او) اردت (عدم وصولها) اى تلك النعمة (اليه) اى الى صاحبها (فذلك) امر حسن وليس بحسد بل هو (ناش من غيرة) بفتح الغين المعجمة اى انفة وامتناع (المؤمن

الله تعالى) اى لاجله سبحانه (مندوب اليه) شرعا (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار وان المؤمن يغار وان غيرة الله ان يأتى المؤمن ماحرم الله تعالى) عليه من الافعال والاقوال والاحوال وقال النووى فى شرح مسلم والغيرة بفتح الغين وهى فى حقنا الانفة واما فى حق الله سبحانه وتعالى فقد فسرها بقوله صلى الله عليه وسلم وغيرة الله ان يأتى المؤمن ماحرم الله تعالى عليه اى غيرة الله تعالى منعه وتحريمه (والغيرة فى الاصل) قبل استعمالها فى حق الله تعالى (كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه) سبحانه (عبيده) المكلفين (من الاقدام على الفواحش) جمع فاحشة وهى كل فعلة بالغ فاعلها فى قبحها (لان فيه) اى فى الاقدام المذكور (مشاركة الله تعالى بان يفعل) ذلك العبد (مايريد من غير تعبد) اى تذلل (وتقيد بامر ونهى) من غيره كما ان الله تعالى كذلك لايتقيد بامر غيره ولانهيه (وغيرة المؤمن لنفسه) اى لاجلها (هيجان) اى حركة واضطراب (وانزعاج من قلبه يحمله) ذلك الهيجان والانزعاج (على منع الحريم) اى الاهل من الزوجة والبنات والبنين والاخوة والاخوات ونحوهم واصله ماحول الشئ من الحقوق والمرافق التابعة له قال فى المصباح حريم الشئ ماحوله من حقوقه ومرافقه سمى بذلك لانه يحرم على غير مالكه ان يستبد بالانتفاع به (من) مقارفة (الفواحش ومقدماتها) اى مايوصل اليها من قول اوعمل (لان فيه) اى فى الهيجان والانزعاج المذكور (كراهية الاشتراك) مع الاهل فى الغير بفاحشة اومقدماتها (وهذه) الغيرة من المؤمن على اهله (واجبة) عليه شرعا لصيانة الاهل بها وبقاء المروة وحفظ العرض من الطرفين طرفه وطرف اهله (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال سعد بن عبادة رضى الله عنه لو وجدت مع اهلى) اى زوجتى اوبنتى اواختى ونحوها من محارمه (رجلا) اجنبيا منها (لم امسه) اى لاادخل عليه سوءا بقول اوفعل (حتى اتى) الحاكم الشرعى فى حقه (باربعة شهداء) يشهدون عليه بالزنا كما قرر فى موضعه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم) اى الامر الشرعى كما قلت (قال) سعد رضى الله عنه (كلا) اصلها الزجر والردع ومضاها فى هذا المحل توكيد الكلام وتقويته (والذى بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف) اى اسارع اليه به (قبل ذلك) اى قبل ان آتى بالشهداء الاربعة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لجماعة الانصار رضى الله عنهم (اسمعوا الى مايقول سيدكم) اى من له السيادة عليكم كما قال عنه فى حديث آخر قوموا لسيدكم (انه لغيور) اى كثير الغيرة اى الحماية والامتناع من الامور الدنية المقتضية لقلة المروة وهى صفة حميدة فى موضعها (وانا اغير) اى اكثر غيرة (منه) اى من سعد رضى الله عنه

﴿ والله ﴾

(والله تعالى اغير) اى اكثر غيرة (منى) وفى شرح الكلا باذى عن المغيرة بن شعبة قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان سعد بن عبادة يقول لو وجدت مع امرأتى رجلا لضربته بالسيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد فوالله لانا اغير من سعد والله اغير مني ومن غيرة الله انه حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ولاشخص اغير من الله ولاشخص احب اليه العذر من الله فمن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولاشخص احب اليه المدح من الله ولذلك وعد الجنة يجوز ان يكون معنى قوله عليه السلام لاشخص اغير من الله لاينبغى لشخص ان يكون اغير من الله اى لايكون العباد الذين هم اشخاص اغير من الله الذى ليس بشخص لان الله تعالى لايوصف بالشخص تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويجوز ان يكون كأنه يقول ليس من حق من يترفع و يعظم قدره وتشرف مرتبته ان يكون اغير من الله والله تعالى على جلالته وكبريائه وشدة غيرته يمهل عباده فى مواقعتهم الفواحش ولايعاجلهم بالعقوبة عليها ولاينبغى لعبد ان يترفع عن الامهال وترك معاجلة العقوبة لغيرته فيقتل من يواقع الفاحشة و يأتيها ولكن يمهل الى ان يطلق له الامر من الله تعالى فى قتله فان اطلق له الامر والا امهل وتربص وان كان شديد الغيرة وذلك ان سعدا كان سيد قومه وشريف الخزرج وسيدها وارفع القدر فيها ومن كان كذلك فهو اقدر على معاجلة العقوبة اذلا يكاد يخاف تبعتها والشخص ماارتفع ونما وتزايد فكأنه يقول من كانت رفعته وشرفه وجلالة قدره بالتزايد والنمو والارتفاع من حالة الانخفاض فلاينبغى ان يجاوز الذى حده والوقت الذى يجوز له ان يواقع بالعقوبة مواقع الفاحشة فان الله تعالى اجل واعظم واعلا وغيرته اشد وهو مع هذا يمهل مواقع الفاحشة ولايعاجله فالشخص اولى بترك معاجلة العقوبة والدليل على هذا التأويل رواية ابى هريرة رضى الله عنه وذكر الحديث الاول عن سعد بن عبادة رضى الله عنه ثم قال فدل هذا الحديث على انه اراد معاجلة العقوبة قبل وقتها الغيرته ولم يخف التبعة فيها لشرفه فى قومه فكأن النبى صلى الله عليه وسلم اخبر انه اغير من سعد واشرف وابلغ سوددا منه وهو ينتهى الى الحد فى الغيرة ولايعاجل بالعقوبة مواقع الفاحشة قبل وقته والله اغير مني واعلا واجل وهو لايعاجل بالعقوبة (وفى رواية خ) يعني البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه) اى من سعد (والله تعالى اغير مني لا احد اغير من الله تعالى ومن اجل ذلك) اى من اجل كثرة غيرته سبحانه (حرم الفواحش) على عباده المكلفين (ماظهر منها ومابطن) شفقة عليهم ورحمة بهم ان يقارفوها فيقعوا فى النار فغار عليهم من ذلك فحرمها (وقد تطلق الغيرة على كراهية المرأة اشتراك الغير) من زوجة اخرى اوامة (فى بعلها) اى زوجها (وهذه) الغيرة (مذمومة م) يعني روى مسلم باسناده (عن عائشة

رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها ليلا) قالت (فغرت) اى اخذتني الغيرة (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون خرج الى احد زوجاته (فجاء فرأى مااصنع) اى الذى اصنعه من الغيرة اى مقتضياتها من الكلام ونحوه وفى شرح مسلم للنووى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها انى لاعلم اذا كنت عنى راضية واذا كنت على غضبى الى قولها والله يارسول الله مااهجر الااسمك قال القاضى مغاضبة عائشة رضى الله عنها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التى عفى عنهـا للنساء فى كثير من الاحكام لعدم انفكاكهن عنها حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة يسقط عنها الحد اذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة قال واحتج بماروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ماتدرى الغيراء اعلى الوادى من اسفله ولولا ذلك لكان على عائشة رضى الله عنها من الحرج مافيه لان الغضب عـلى النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم وهجره عظيمة كبيرة ولهذا قالت مااهجر الااسمك فدل على ان قلبها وحبها كما كان وانما الغيرة فى النساء لفرط المحبـة (فقال) صلى الله عليه وسلم (مالك ياعائشة اغرت) بهمزة الاستفهام (فقالت ومالى لايغـار مثلى) محبة لك كمال المحبة (على مثلك) محبوب من اعظم المحبوبين (فقال عليه الصلاة والسلام لقدجاءك شيطانك) اى المقارن لك (قالت يارسول الله اومعى شيطان) يقارننى (قال) صلى الله تعـالى عليه وسلم (نعم) اى معك شيطان (قلت) اى قالت عائشة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعك) ايضا شيطـان يارسول الله (قال نعم) اى معى شيطان (ولكن اعانني الله تعالى عليه حتى اسلم) بفتح الميم اى صار مسلما وفى كتاب آكام المرجان فى احكام الجان لابى عبدالله محمد بن عبدالله الشبلى الحنفى رحمه الله تعالى قال روى مسلم واحمد وغيرهما من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه قال فجاء فرأى مااصنع فقال مالك ياعائشة اغرت فقلت ومالى لايغار مثلى على مثلك فقـال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افاخذك شيطانك قالت يارسول الله اومعى شيطـان قال نعم ومع كل انسـان قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى عزوجل اعاننى عليه حتى اسلم وفى لفظ آخر اعاننى عليه فاسلم قال ابو سليمان الخطابى عامة الرواة يقولون فاسلم على مذهب الماضى يريدون ان الشيطان قد اسلم الا سفيان بن عيينة فانه يقول فاسلم من شره وكان يقول لايسلم قال ابو الفرج ابن الجوزى وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر اثر المجاهدة لمخالفة الشيطان الا ان حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة وهو مارواه احمد بن حنبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مامنكم من احد الا وقد وكل به قرينـه من الجن وقرينـه من الملائكة قالوا واياك يارسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فلا يأمرنى الا بحق وفى رواية مامن احد الا وقد وكل به

قرينة من الجن قالوا وانت يارسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فليس يأمرني الابخير انفرد باخراجه مسلم قال ابن الجوزى وظاهره اسلام الشيطان ويحتمل القول الآخر قلت وقدورد اسلام القرين النبوى صريحا لايحتمل التأويل فروى الحافظ ابونعيم فى كتاب الدلائل قال حدثنا ابراهيم بن محمد يحيى النيسابورى وابراهيم ابن عبدالله قالا حدثنا محمد بن حمويه بن عادوحدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا عبدالله بن محمد ابن الفرج قالا حدثنا محمد بن الوليد بن ابان ابوجعفر بمكة حدثنا ابراهيم بن صرمة حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا اعاننى الله حتى اسلم وكن ازواجى عونالى وكان شيطان آدم كافرا وزوجته عونا على خطيئته فهذا صريح فى اسلام قرين النبي صلى الله عليه وسلم وان هذا خاص بقرين النبي صلى الله عليه وسلم وحديث ابى الازهر الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اخذ مضجعه من الليل قال بسم الله وضعت جنبى اللهم اني اعوذبك من واجس شيطانى وفك رهانى وثقل ميزانى واجعلنى فى الندى الاعلى وهذا عندنا والله اعلم كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اسلام شيطانه وقال النووى فى شرح مسلم فاسلم بفتح الميم ورفعها وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه اسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال ان القرين اسلم من الاسلام وصار مؤمنا فلا يأمرنى الابخير واختلفوا فى الارجح منهما فقال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح وهو المختار لقوله فلا يأمرنى الابخير واختلفوا على رواية الفتح قيل اسلم بمعنى استسلم وانقاد وقدجاء هكذا فى غير صحيح مسلم فاستسلم وقيل معناه صار مسلما مؤمنا وهذا هو الظاهر (وغيرة المؤمن لله تعالى كراهية المعصية) ان تقع من نفسه اومن غيره (و) كراهية (مالايحبه الله تعالى) يكاد يريدانه يعصى الله تعالى ولاغيره اصلا (وهذه) غيرة (واجبة) عليه (وضدالحسد) الذى تقدم بيانه (النصح والنصيحة) للغير يقال نصحت زيد انصح له نصحا ونصيحة هذه اللغة الفصيحة وعليها قوله تعالى *ان اردت ان انصح لكم* وفى لغة يتعدى بنفسه فيقال نصحته وهو الاخلاص والصدق فى المشورة والعمل والفاعل ناصح ونصيح والجمع نصحاء وتنصح تشبه بالنصحاء كذا فى المصباح (وهى) اى النصيحة (ارادة بقاء نعمة الله تعالى على) كل (احد مما له فيها صلاح) اى منفعة فى دينه اودنياه الحلال (او) ارادة (حدوثها) اى النعمة المذكورة للغير (وان شئت قلت) فى معنى النصيحة هي (ارادة الخير للغير) اى غير كان من اصدقائه اواعدائه مؤمنا كان اوكافرا (وهي) نصيحة (واجبة) على العبد لا ن ضدها الحسد المحرم (م) يعنى روى مسلم (عن تميم الدارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدين) المعهود بانه دين الحق هو (النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال)

هو النصيحة (لله) بإرادة ما يرتضيه تعالى من امتثال اوامره واجتناب نواهيه قطعا وظنا (ولكتابه) بالوقوف عند احكامه والاعتبار بحكمه ومواعظه وقصصه (ولرسوله) بقبول جميع ماجاء به من الحق واتباع سنته والاهتداء بهديه (ولائمة المسلمين) جمع امام وهو المقتدى به كالصحابة والتابعين والمجتهدين بمحبتهم وموالاتهم والاقتداء بهم اوالملوك والسلاطين والامراء والقضاة باطاعتهم فيما يوافق الدين المحمدى (وعامتهم) اى عامة المسلمين بامتثال اقوال العلماء منهم والناقلين الينا كلام المجتهدين من غير زيادة ولانقصان وبالمحافظة على تربية العوام بالتعليم والموعظة وتبيين الحق باللسان والكتابة بالتصنيف ونسخ تصنيف الغير وفى جامع الآثار للكلاباذى عن القعقاع عن ابى صالح عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين ولعامتهم قال ابوالحسن بن ابى ذر النصح فى الجملة عندى هو فعل الشئ الذى به الصلاحة والسلامة مأخوذ من النصاحة وهى السلوك التى يخاط بها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قميص منصوح اى مخيط ونصحته نصحا اذا خطته وانما اختلف النصح فى الاشياء لاختلاف احوال الاشياء فالنصح لله عز وجل هو وصفه بماهو اهله وتنزيهه عما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العاصين الى طاعته قولا وفعلا وارادة والنصيحة لكتابه اقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا واحياء سنته بالطلب واحياء طريقته فى بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ماتكلفوا القيام به فى تنبيههم عند الغفلة وتقويمهم عند الهفوة وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم فى جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتفريج كربهم والسعى فيما يعود نفعه عليهم فى الآجل ودعوتهم الى مايسعدهم وتوقى مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم وان كان فى نفسه حقا وحسنا ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة بدنه ونفسه وحوائجه عنهم (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن حذيفة رضى الله عنه) انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لايهتم) اى يعتبر فى همته ويشغل نفسه (بامر المسلمين) ارشادا وتعليما وحماية وفصلا بين خصومهم بالقضاء تبرعا وتأديبا لسفهائهم سياسة (فليس منهم) اى فليس من المسلمين لانه اما فاش لهم اوساع فى حظوظ نفسه اوغير مبال باحكام الله ورسوله وليست هذه صفات المسلمين (ومن لم يصبح ويمسى) اى من لم يدم ليلا

ونهارا (ناصحا) بالقلب والقول والعمل (لله) تعالى (ولرسوله ولكتابه ولائمته) اى الذى يقتدى به من عالم او حاكم (ولعامة المسلمين) اى جميعهم (فليس منهم) اى فليس من المسلمين بل هو خارج عنهم فاسق عاص ﴿ المبحث الثانى ﴾ من المباحث الاربعة (فى) بيان (غوائل الحسد) جمع غائلة من غاله غولا من باب قال اهلكه واغتاله قتله على غرة والاسم الغيلة بالكسر والغائلة الفساد والشر وغائلة العبد فجوره وابائه ونحو ذلك والجمع الغوائل وقال الكسائى الغوائل الدواهى كذا فى المصباح (ومنه) اى من هذا المبحث الثانى (يعرف) بالبناء للمجهول اى يعرف الانسان (العلاج) اى المداواة لداء الحسد (الاجمالى) اى بطريق الاجمال (وهى) اى غوائل الحسد (ثمانية) امور الامر (الاول افساد الطاعات) بجميع انواعها على المكلف بعد صحتها كما ورد فى ظاهر الاحاديث (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد) اى احذروا منه واحترزوا من دخوله فى قلوبكم (فان الحسد) والقياس فانه ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشانه فى الضرر وتقبيحا لمفسدته كقوله تعالى * حتى اذا أتيا اهل قرية استطعما اهلها * والقياس استطعماهم تشنيعا لحال اهل تلك القرية (يأكل الحسنات) اى يذهبها ويفسدها (كما تأكل النار الحطب) اليابس (او قال) عليه السلام (العشب) وهو الكلا فان النار تحرق ذلك بحرارتها ومثله الحاسد يحرق حسناته بحرارة نار حسده التى اشتعلت فى قلبه (والمراد) بأكل الحسد للحسنات (اكل الاضعاف) جمع ضعف بالكسر وهى الزيادات التى يزيدها الله تعالى للعامل المخلص على ثوابه المعين فى حق الكل كما قال تعالى * والله يضاعف لمن يشاء * لا نفس الحسنات التى وعد العاملين بها (اذ لا حبط) للاعمال (بالمعاصى عند اهل السنة) خلافا لمن حكم بالكفر بالعاصى من المعتزلة فاوجب بذلك احباط العمل ويمكن ان يراد ان الحسد يأكل الحسنات فيفسدها ولا يفسد الاعمال فتبقى لعبادات صحيحة موجبة لسقوط الفرض عن ذمة المكلف ولكن يبطل ثوابها وفى الاعمال المسنونة فاعلها متبع للسنة الا انه لا ثواب له عليها (او) المراد (تأديته) اى الحسد (الى الكفر) باعتقاد انه حلال او الاستخفاف به وعدم المبالاة بحرمته وعدم الخوف فيه من الله تعالى ونظيره من ترك الصلاة متعمدا غير ناو للقضاء وغير خائف من العقوبة فانه يكفر كما فى البحر شرح الكنز والكفر محبط للعمل قطعا بلا اشكال (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن الزبير) ابن العوام (رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دب) اى سرى ووصل (اليكم) ايها الامة (داء) اى مرض (الامم قبلكم) وهو (الحسد) الغير على النعمة (والبغضاء) لبعضكم بعضا (وهى) اى هذه الخصلة (الحالقة) بالحاء المهملة (اما) بالتخفيف مركبة من همزة الاستفهام وما النافية

لافادة التحقيق مثل الا قال الاسيوطي في الاتقان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفي افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر (انى لااقول) هي (تحلق) اي تمحق وترفع (الشعر) كما يقال حلق رأسه بحلقه (ولكن تحلق) اى تمحق وترفع (الدين) فتوصل الى اذهاب الدين بالكفر والاعتراض على الله تعالى في القلب اوفي اللسان فان الحسد والبغضاء اذا استحكم كل واحد منهما في العبد يحمله من كثرة الغيظ على المحسود والمبغوض على استحلال الدم والعرض والمال الا ان يتداركه العناية من الله تعالى قال المناوى في شرح الجامع الصغير قال في المناهج ولاحيلة في دفع الحسد حتى اعرف بعض الناس بذل جهده في استجلاب دواعي التألف واسباب كف الشر مع شخص من اقرانه فلم يجد ولم يفد (والذى نفسى بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا) بالله تعالى وبكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره منه تعالى (ولاتؤمنوا) بشئ من ذلك (حتى تحابوا) فلاينبغي بعضكم على بعض وتجروا في المعاملة بينكم على مقتضى ايمانكم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وتقدير الخير والشر منه تعالى فترضوا بما قسم الله لكم وماقدر عليكم من جميع احوالكم (الاادلكم على ماتحابون) اى تحابكم اوالذى تحابون به من الخصال الجيدة (افشوا) اي اعلنوا ولاتسروا (السلام) باللسان عند اللقاء (بينكم) ايها المسلمون فلا يمتنع كبير من السلام على صغير ولايحقر نفسه الصغير من السلام على الكبير وافشوا الامان والسلامة من الغدر والخيانة والسوء وكل مانهى عنه الشارع من بعضكم في حق بعض ظاهرا و باطنا فيما بينكم لانكم اهل ملة واحدة هي الاسلام فلايليق بكم شئ من السوء في حق بعضكم بعضا ومن قال بلسانه السلام عليكم وليس في قلبه الامان لهم من كل سوء فهي تحية في الظاهر دون الباطن (و) الامر (الثاني الافضاء) اى الايصال (الى فعل المعاصي) فان الحسد موصل اليها في حق المحسود (اذ لايخلو الحاسد عن الغيبة) للمحسود (اوالكذب) عليه (والسب) له (والشماتة) به (عادة) اى بحسب العادة الجارية بين الناس قال المحاسبي في كتاب الرعاية يكون من الحسد على الرياسة والمنزلة عند الناس بالعلم فيورث رد الحق وتركه على علم كما تفرق اهل الكتاب حسدا بينهم ان يعلوا بعض على بعض في العلم كل واحد يحسد صاحبه على الرياسة ان تكون له دونه وكذلك المنزلة عند الناس فرد الحق ان يقبله وابتدع فقال بغير الحق ليتبعه الناس على ماهو خلاف قول من يحسده وخطاه فيما يقول وان كان حقا واظهر ان الحق في غيره ليصد الناس عنه ويطفئ نوره حسدا ان ترفع منزلته اوتخضع له فيكون عليه رئيسا كما كفرت علماء اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون انه قد جاء بالحق من عند الله عز وجل حسدا ان يرئسوه عليهم وتذهب رياستهم في اليهود فيكونوا اتباعا بعد ما كانوا متبوعين وكذلك في العبادة

بكره ان يرئس بها فوقه و يعظم عليه فيقع العالم في العالم والعابد في العابد خوفا ان يرأس عليه او يكون فوقه ويعظمه الناس و يحب ان يهتك الله عز وجل ستره وان يعصي الله عز وجل فيفتضح بذلك وان يخطئ على الله عز وجل في دينه و يقول عليه بغير الحق لئلا تثبت له رياسة ولا تقوم له منزلة فيحب ان ينزل به كل ما فيه زوال للرياسة عنه والتعظيم من الناس وكذلك في الرياسة والمنزلة في عين العامة بتحاسد الصاحبان في الحب والمنزلة عند من يصحبانه فيحب احدهما ان لا يفضله عليه في عمل ولا علم ولا يرفعه عليه و يخطئه فيما يقول و يحب ان يهتك ستره عند صاحبه و يقع فيه و يفطنه الى سوء الظن و يضع امره لا يكون احب اليه منه وان يكون الحب والمنزلة له عنده دون صاحبه وكذلك الشجيعان في الحرب يجبن احدهما الآخر و يقع فيه لئلا يعلو في المنزلة عند من يعرفهما فيعظم بذلك دونه فيقع فيه حسدا و يبغضه الى غيره و يجبنه عند اللقاء في الحرب وقد يكون الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء فهو اشد الحسد وذلك ما وصفه الله عز وجل عن الكفار وعداوتهم و بغضهم للمؤمنين فقال * واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها * فالمبغض لا يحب ان يرى لمن يبغضه نعمة عليه من الله عز وجل و يحب ان يراه باسوء الحال في الدين والدنيا فاذا نزلت به نعمة ساءته وكرهها ولو قدر ان يزيلها عنه لازالها فيتمنى لمن يعاديه البلايا ويكره ما به من النعم ويحب ان تزول عنه و يفرح بما نزل به من بلاء وضر والمبغض المعادي لا ينفك من الحسد والشماتة الا من عصمه الله عز وجل وقد يكون عن الحسد الذي عن العداوة والبغضاء القتل واخذ المال والسعاية بمن يحسده وهتك ستره وغير ذلك فالمبغض حسده اعظم الحسد واشده (طب) يعني روى الطبراني باسناده (عن ضمرة ابن ثعلبة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير) اي آمنين على انفسهم واموالهم واديانهم واعراضهم واهلهم واولادهم (ما لم يتحاسدوا) اي يقع الحسد من بعضهم في البعض ويبغي بعضهم على بعض بسبب الحسد وربما يفضي بهم ذلك الى ان يقتل بعضهم بعضا و يأخذ بعضهم مال بعض و يخوض بعضهم في اديان البعض الآخر واعراضهم و يسري ذلك الى انتهاك حرمات بعضهم بعضا في الاهل والاولاد ويدفع المحسودون على انفسهم ضرر الحاسدين فيزول الامن من بينهم وتقع العداوات والفتن والمحن والمخاصمات والمنازعات وتنفر قلوب بعضهم عن البعض بسبب الحسد فيكون ذلك سببا لهلاكهم ودمارهم في الدنيا والآخرة (و) الامر (الثالث الشفاعة) من النبي صلى الله عليه وسلم للحاسد يوم القيامة (طب) يعني روى الطبراني باسناده (عن عبد الله بن بشر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس مني) اي ليس من اهل سنتي (ذو) اي صاحب (حسد) لغيره (ولا) ذو (نميمة)

اى نقل الكلام السوء بين الناس من بعضهم فى حق بعض للاضرار (ولا) ذو (كهانه) اى سحر وتنجيم (ولاانامنه) ايضا اى انابرئ من حالتـه وسيرته وذلك لان من هذا وصفه ساع فى الناس بالفساد والدمار وايقـاع الناس فى البلايا والمصائب والتحريش بينهم بالسوء وحالة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته وسنته كانت الاصلاح بين الناس وتأليف القلوب النافرة وجمعها على الهدى فلاشك ان احدى الحالتين مباينة للاخرى مباينة كلية فلاجرم كان كل واحد منهما برئ من الآخر وحالته مباينة لحالة الآخر وذلك يوجب حرمان الشفاعة فى القيـامة لقوله عليه الصلاة والسلام من ترك سنتى اى سيرتى وحالتى التى كنت عليها لم تنله شفاعتى وان كان الايمان باقيا عليه ولكن مبتدع بترك السنة النبوية والسيرة المحمدية (ثم تلا) اى قرأ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد قوله ذلك المذكور قوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين الآية) منصوب بتقدير اقرأوا كل الآية وذلك قوله تعالى *والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا* وهو وعيد شديد فى حق من يؤذى المؤمنين بايقاع السوء بينهم وحسدهم والبغى عليهم وتحريش العداوة بينهم وذكرهم بمالس فيهم من الشرور والمعـايب (و) الامر (الرابع دخول النار) من غير حساب مع اول داخل اليهـا زيادة على عقوبتهم لفظـاعة جرمهم وقبح معصيتهم بحيث اربت حالتهم الشنيعة وازدادت خبثا على احوال كل من يستحق دخول النـار من العصاة نظير السبعين الفا الذين يدخلون الجنـة من غير حساب مع السـابقين الاولين زيادة فى ثوابهم لشرف احوالهم وعظم اعمالهم الصـالحة بالنسبة الى بقية اهل الجنة وذلك مأخوذ من هذا الحديث الذى هو (ديلم) يعنى روى الديلمى باسنـاده (عن ابن عمر وانس) بن مالك (رضى الله عنهم انه) اى كل واحد من ابن عمر وانس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار) يوم القيامة (قبل الحسـاب) عليهم فيما فعلوه من الخير والشر (بستة) اى بسبب ستة اعمال عملوهـا من اعمال السوء (قيل) اى قال قائل (يارسول الله من هم) اى هؤلاء الستة الذين يدخلون النار قبل الحساب (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الاول (الامراء) جمع امير من الامارة وهى الولاية يعنى الحكام على الناس المأمورين من السلاطين برعاية امور العامة ولوابهم (بالجور) اى القائمون بالظلم والتعدى فى المسلمين والمعاهدين (و) الثانى (العرب) بالتحريك ويجوز اسكان الراء وضم العين المهملة وهو اسم مؤنث ولهذا يوصف بالمؤنث فيقال العرب العاربة والعرب العرباء وهم خلاف العجم ورجل عربى ثابت النسب فى العرب وان كان غير فصيح واعرب بالالف اذا كان فصيحا وان لم يكن من العرب كذا فى المصبـاح (بالعصبية) وهى الاجتماع على الباطل وفى الصحاح والتعصب من العصبية والعصبة من الرجال مابين العشرة الا الاربعين والعصابة الجماعة من الناس والخيل والطير واعصوصب

اليوم اشتد ويوم عصيب وعصبصيب اى شديد وفى المصباح عصب القوم بالرجل عصبا من باب ضرب احاطوا به لقتال اوحماية انتهى ولعل المعنى ان العرب يكثر فيهم التعصب والاجتماع على الامور الباطلة كما يقع بين الطائفتين القيسية واليمنية من الحروب والمقاتلات على الجهالة والبطالة حتى ان كل طائفة منهما اتخذوا لهم علامة يعرفون بها فاذا التقى كل واحد بصاحبه قاتله ولم تزل الفتن بسبب ذلك ثائرة بينهم والحروب واقعة حتى فشى ذلك وصار فى العجم ايضا وحكم العلماء بانهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم اذا قتلوا لذلك قال فى النوازل وحمل مشايخنا المقتولين بالعصبية فى حكم اهل البغى يعنى اذا قتلوا فى الحرب لا يغسلون ولا يصلى عليهم وقيل يغسلون من غير صلاة عليهم وفى المغنى جعلهم الدورازى والكلا باذى كالباغى وكذا الواقفون الناظرون اليهما ان اصابهم حجر اوغيره وماتوا فى تلك الحالة ولو ماتوا بعد تفرقهم يصلى عليهم كذا فى غرر الاذكار ذكره والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر (و) الثالث (الدهاقين) جمع دهقان معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار وداله مكسورة وفى لغة تضم ودهقن الرجل وتدهقن كثر ماله كذا فى المصباح ولعل المراد رؤساء القرى ومشايخها (بالكبر) اى بسبب تكبرهم على غيرهم من الناس (و) الرابع (التجار) بضم التاء مع التثقيل وبالكسر مع التخفيف تجر تجرا من باب قتل واتجر وتاجر والاسم التجارة كذا فى المصباح وفى مختصر القاموس التاجر الذى يبيع ويشترى (بالخيانة) اى بسبب الخيانة للناس فى بيعهم وشرائهم بتلبيس السلع عليهم وادخال الغش فى اموالهم والكذب فى المرابحة معهم والتولية والوضيعة (و) الخامس (اهل الرستاق) اى اهل القرى قال فى المصباح الرستاق معرب ويستعمل فى الناحية التى هى طرف الاقليم والرزداق بالزاى والدال مثله والجمع رساتيق ورزاديق وفى الصحاح الرستاق فارسى معرب الحفوه بقرطاس ويقال رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد (بالجهل) اى بسبب غلبة الجهل عليهم فلا يعرفون الخير ليفعلوه ولا الشر ليتوقوا عنه وانما يغلب عليهم اتباع عقولهم فيما تدرك من التحسين والتقبيح فى الاقوال والاعمال والاحوال فهم الهمج من الناس وعالمهم جاهل كغيرهم لعدم رغبة اصحاب العلم والديانة فى السكنى عندهم من بعدهم عن الهمم الصالحة وضباوتهم وقساوة قلوبهم (و) السادس (العلماء) بالعلوم العقلية والنقلية والرياضية اصحاب الفنون الكثيرة على اختلاف طبقاتهم (بالحسد) اى بسبب كثرة الحسد فيما بينهم كما روى الحاكم فى تاريخه عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهادة المسلمين بعضهم على بعض جائزة ولا تجوز شهادة العلماء بعضهم على بعض لانهم حسد اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وفى شرحه للمناوى قال حسد بضم الحاء والتشديد بضبط

المصنف اى هم اشداء الحسد بعضهم لبعض ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزربة ومن هذا القبيل ماقيل عدو المرء من يعمل بعمله وقال المحاسبي فى كتاب الرعاية وانزل الله عز وجل العلم ليجمعهم و يؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يجتمعوا بالعلم وتألفوا به ولا يتفرقوا فتحاسدوا واختلفوا وتفرقوا حسدا بينهم كل اراد ان تكون له الرفعة والرياسة وان لايكون تابعا لغيره وان يقبل قوله منه ويتبع واحب ان يزول غيره عن الرفعة وكره رفعة المنزلة له فرد بعضهم على بعض وخالف بعضهم بعضا بغيا كما قال الله عز وجل * وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم * قيل فى التفسير حسدا وقال * وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم * فتركوا الحق وعاندوه حسدا بينهم قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذى وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذى تنزله الا مانصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ولد اسماعيل وعرفوه كفروا به بعد معرفتهم به انه الذى كانوا يستنصرون الله به فقال الله تعالى * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا * اى حسدا بينهم وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاء ابى وعمى يوما من عندك فقال ابى لعمى ماتقول فيه قال اقول انه النبي الذى بشر به موسى قال فماترى قال ارى معاداته ايام الحياة وبذلك وصفهم الله عز وجل انهم على علم كفروا فقال * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * وقال * يكتمون الحق وهم يعلمون * وروى وهب بن منبه ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام الحاسد عدو لنعمتي راد لقضائي ساخط لرزقي الذى قسمت لعبادى غير ناصح لهم (و) الامر (الخامس الافضاء) اى الايصال (الى اضرار الغير) اى ايذاء المحسود بما يقدر عليه الحاسد وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قالوا كلما عظمت النعمة على العبد كثرت حساده وعظمت اشماتاته فيه واقول كما قال شيخنا الشعراوى رحمه الله تعالى من اعظم نعم الله على ان حكمى بين الحسدة كبهلوان يمشى على الحبل بقبقاب وجميع الاعداء والحساد والمتعصبين من اهل مصر واقفون تحتى ينتظرون لى زلقة لانزل الى الارض متقطعا فانغيب الشمس على او تطلع كل يوم وانا الم افع فى شئ يشمتون بى فيه ومافى عينى قطرة (فلذا) اى لان الحسد يفضى الى ايصال الضرر الى المحسود (امر الله تعالى) نبيه صلى الله عليه وسلم (بالاستعاذة من شر الحاسد) فى قوله تعالى * ومن شر حاسد اذا حسد * وانما قال تعالى * اذا حسد * ولم يقل ان حسد لتحقق وقوع الحسد من الغير فان اذا تستعمل للتحقيق وان للشك (كما امرنا بالاستعاذة) بالله تعالى (من شر الشيطان) قال تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله

وقال تعالى * فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * (وقال) النبي (عليه الصلاة والسلام استعينوا) اى اطلبوا الاعانة (على قضاء الحوائج) الدنيوية اوالاخروية (بالكتمان) اى اخفاء الهمة في كل امر تهتمون به ولا تصرحوا لكل احد بما تريدون فعله من حوائجكم (فان كل ذى) اى صاحب (نعمة) من نعم الدين او الدنيا (محسود) على تلك النعمة (خرجه) اى رواه (طط دنيا) يعني الطبراني في معجمه الاوسط وابن ابي الدنيا باسنادهما (عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) الامر (السادس التعب والهم) الملازم للحاسد (من غير فائدة) ولا نفع له بذلك في الدنيا ولا في الآخرة (بل مع وزر) اى اثم وعقوبة (ومعصية) اى مخالفة لامر الله تعالى (قال ابن السماك رحمه الله تعالى لمار ظالما) لغيره (اشبه الناس (بالمظلوم) من كثرة تعبه وهمه وحزنه (من الحاسد) لغيره على نعمة الله تعالى (نفس) بفتحتين وهو نسيم الهواء والجمع انفاس وتنفس اجتذب النفس بخياشيمه الى باطنه واخرجه ونفس الله كربته كشفها كذا في المصباح والمراد تحسر وتلهف وتأوه (دائم) اى ملازم له (وعقل هائم) اى مدهوش متحير لا يكاد يهتدي الى الصواب في شئ من الامور مطلقا (وغم) اى حزن (لازم) لا يفارقه اصلا (و) الامر (السابع عمى القلب) بسبب اشتغاله بالحسد وانصراف همة النفس اليه (حتى يكاد صاحبه (لا يفهم حكما من احكام الله تعالى) وان قرر له على اوضح الوجوه لان قلبه اعمى لانور فيه يبصر به الحق لانطماسه بظلمة الحسد (قال سفيان رضي الله عنه لا تكن حاسدا) لغيرك على نعمة انعمها الله تعالى عليه (تكن سريع الفهم) في كل ما تجده من العلوم ولا يعسر عليك شئ البتة (و) الامر (الثامن من الحرمان) من كل ما يتمناه (والخذلان) عدم النصرة وهو ضد التوفيق ومعناه تيسير اسباب الشر والسوء في كل حال قال في المصباح خذلته اذا تركت نصرته واعانته وتأخرت عنه والاسم الخذلان (فلا يكاد يظفر بمراد) من مراداته اصلا (ولا) يكاد (ينصر) بالبناء للمفعول اى لا ينصره الله تعالى (على عدو) من اعدائه مطلقا (فلذا قيل) اى قال بعضهم (الحسود) اى الكثير الحسد للناس (لا يسود) اى لا يصل الى مرتبة السيادة على احد اصلا بل حاله في انخفاض دائما وامره في نقصان ﴿ المبحث الثالث ﴾ من المباحث الاربعة (في العلاج) اى المداواة للحسد وازالته من القلب (العلمي) نعت للعلاج اى المنسوب الى العمل اما العلاج (الاول) وهو العلمي فبانه (ان تعلم ان الحسد ضرر شديد (عليك في الدنيا والدين) اى في دنياك ودينك (وانه) اى الحسد (لاضرر فيه) اى في الجسم (على المحسود فيهما) اى في الدنيا والدين اصلا (بل ينتفع) المحسود (به) اى بالحسد منك له (فيهما) اى في الدنيا والدين (اما ضرره) اى الحسد (لك في الدين) اى في دينك (فلانك بالحسد) اى بسببه (سخطت قضاء الله تعالى) عليك بعدم تلك النعمة وعلى المحسود بوجود تلك النعمة له (وكرهت نعمته) سبحانه (التي

قسمها لعباده) تعالى كما قال فى كلامه القديم * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا (و) كرهت (عدله) عزوجل فيك حيث منعك ما لا تستحقه عليه من تلك النعمة التى تفضل بها على غيرك (واستنكرت ذلك) الفعل منه تعالى بك اى استوحشت منه (وغششت) غشه غشا من باب قتل والاسم غش بالكسر لم ينصحه وزين له غير المصلحة كذا فى المصباح (رجلا من المؤمنين) وهو الذى حسدته (وتركت نصحه) اى بارادتك ابقاء نعمته عليه (والغش) بالكسر (حرام) على المسلم لكل احد من خلق الله تعالى (والنصيحة واجبة) على حسب القدرة (واما) ضرر الحسد لك (فى الدنيا فغم وحزن وضيق نفس) بسكون الفاء انثى ان اريد بها الروح وان اريد الشخص فذكر والجمع انفس ونفوس كذا فى المصباح ومعنى ضيق النفس عدم اتساعها للامور ويمكن ان يراد ضيق نفس بفتح الفاء وهو الهواء الخارج من الفم الداخل فيه وضيقه عسر خروجه ودخوله من ضعف البنية بكثرة حصر الطبيعة من نكاية الحسد قال المحاسبى فى كتاب الرعاية ينفى الحسد المحرم بيسير من الامر ان تعلم انك قد غششت من تحسده من المسلمين وتركت نصيحته وشاركت اعداءه ابليس والكفار فى محبتهم للمؤمنين زوال النعم عنهم وكراهة ما انعم عليهم به وانك قد سخطت قضاء الله عزوجل الذى قسمه لعباده فاذا علمت ما قد دخل عليك من هذا الضرر العظيم بغير منفعة فى دين ولا دنيا ردك ذلك عن الحسد ان كنت مؤمنا بالله عزوجل خائفا على نفسك من غضبه وعقابه فلم تتعرض لوجوب غضبه عليك من غير احراز منفعة فى دين او دنيا صارت اليك ولا هى اليك صائرة لو زالت النعمة عمن تحسده لانها ان زالت عنه لم تصر اليك فلا تتعرض لهذا الضرر العظيم الذى يوجب سخط الله عز وجل بغير منفعة فى دين ولا دنيا نالها مؤمن عاقل وانما مثل الحاسد فيمن عاداه اوباها او تكبر عليه او تعجب عليه او تفضل عليه مثل رجل اراد ان يرمى عدواله بحجر فلما رماه به رجع الحجر على عين الرامى فاصابها فاعاد الرمى فرجع الحجر ايضا على عينه فاصابها حتى فعل ذلك مرارا كل ذلك لا يصيب عدوه ويرجع الحجر عليه فيقع بعينه وكذلك ان رماه بسهم او بغيره كل ذلك يرجع الى عينه ولا يصيب عدوه فلم يك هذا ابدا يرمى عدوه وقد علم وتبين له انه لا يصيب عدوه وانما يصيب نفسه فكذلك الحاسد قد كان فى نعمة قبل ان يحسد من حسده وهى نعمة السلامة من الحسد فلما حسده واحب زوال النعمة عنه زالت عن الحاسد النعمة التى كانت هى عليه وهى نعمة السلامة من الحسد فتزول عنه سلامته من الحسد ونصحه للمؤمنين وينزل به من الاثم والمكروه اعظم مما اراد بمن يحسده وتبقى النعمة على المحسود لم تزل عنه قال الله عز وجل * يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم * فهل بينك و بين الرامى بالحجر لعدوه ان رجع الحجر على عينه فرق بل انت اعظم بلاء

وضررا لأنك اذا حسدته فقد تعرضت لسخط الله عز وجل واثمت ولم تزل عنه
النعمة ورجع عليك عقوبة الاثم فصارت فى عينك فذهبت بها وكتب عليك اثم
تؤخذ به فى الآخرة وتستوجب به غضب الله عز وجل فلو رجع الحجر على عينك بدل
الاثم كان خيرا لك لان عينك ذاهبة بالموت والبلاء لامحالة واثم الحسد لايبلى ولايمحى
حتى يوقفك الله عز وجل عليه ويسئلك عنه فايهما ايسر حالك ام حال من رجعت
رميته الى عينه ولم تصب عين عدوه هو ايسر منك حالا وانت اشد منه بلاء وضررا
اذ لم تزل النعمة عمن حسدته وزالت عنك النعمة التى كانت عليك من سلامة قلبك
من الحسد للمؤمنين فانزلت بنفسك ما اردت بغيرك او اكثر ولم يترك الله عز وجل فيه
الذى تحب وابقى النعمة عليه على الرغم منك والجزع منك وما دخل عليك من الضرر
فى دنياك اعظم عليك ان لم تخف الآخرة اذ نزل الغم بقلبك كلما رأيت به حسنة اغتممت
بها وتعذب قلبك بالغم بها والله عز وجل ينعمه بطاعته او بالدنيا ويعذب قلبك
بحسده فانت مغموم وهو مسرور فعذبت نفسك بنعيم غيرك بغير منفعة دخلت
عليك فانزلت بنفسك الغم واثمت وتعرضت للعذاب والعقوبة فلن يجهل هذا الوصف
عاقل ولايقيم على الحسد بعد هذا الوصف لبيب اذا تفكر عقل مايضره مما ينفعه
اذا كان مؤمنا بل لو ان الكافرين تدبروا هذا الوصف لردعهم ذلك عن الحسد
وان كانوا لايؤمنون بالبعث والحساب ان علموا ان قلوبهم معذبة بالغموم لنعم الله
تعالى على خلقه والنعم على المنعم عليه جارية غير زائلة فلم يعطوا ما ارادوا وعذبوا
انفسهم بالغم وتنعم اولئك بما يتعذبون به فما من كافر لايؤمن بالبعث يعرف هذا
الوصف الا ردعه عن الحسد ان كان له عقل من اجل دنياه دون آخرته فكيف
من آمن بالبعث وعلم ان فى الحسد الاثم الكبير وانه لايأمن غضب الله عز وجل فى ذلك
فذلك اولى ان لايعترض الحسد بقلبه بخطرة فضلا من القبول له (واما انه) اى الحسد
منك (لاضرر على المحسود) منه (فيهما) اى فى الدنيا والدين فظاهر لاخفاء
فيه (لان النعمة لاتزول عنه بحسدك) له (ولاياثم) هو (به) اى بحسدك له قال
المحاسبى فى كتاب الرعاية وايسر من ذلك كله ان لو كان الذى تحسده ابغض الناس اليك
واشدهم عداوة لك انه لاتزول النعمة عنه بحسدك له لان الله عز وجل لو اطاع الحاسدين
فى المحسودين لما ابقى عليهم نعمة ولكن يمضى نعمه وقسمه لعباده ولاينظر الى حسد
الحاسدين ولو فعل بالمحسودين ما يحب الحاسدون لهم لما ابقى على النبيين صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين نعمة ولا افقر الاغنياء لحسدهم لهم ولا اضل المؤمنين لحسد
الكافرين لهم ولكن الحسد على الحاسدين ضرره عليهم والنعم جارية على من اراد
الله عز وجل ان يتمها عليه الى الوقت الذى اراده وقدره ولاينظر الى حسد الحاسدين
الا ترى الى قوله عز وجل * ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا

انفسهم *فمحبتهم ان يضل المؤمنون ضلوا بتلك المحبة لان تلك المحبة منهم ضلال لانهم احبوا ان يرجع المؤمنون ضلالا وذلك هو الضلال فمن احب ان يكفر بالله عز و جل فهو كافر فازدادوا كفرا بحسدهم مع غشهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (واما انتفاعه) اى المحسود بحسدك له (فى الآخرة فهو انه مظلوم من جهتك) حيث اعتديت عليه بحسدك له واردت زوال نعمة الله تعالى عنه (لاسيما اذا اخرجك) اى اوصلك (الحسد) له (الى القول) فى عرضه ودينه (والفعل) المؤذى له (بالغيبة) له (وهتك سره) بين الناس ونشر معايبه (والقدح) اى الطعن والانتقاص (فيه ونحوها) من السعى فيه الى الظلمة والتعاون عليه بالباطل (فهذه) الامور التى تشفى انت بها قلبك منه وتبرد غلة حسدك وتسكن حرارة غيظك منه هى كلها (هدايا) فاخرة (تهديها) انت (اليه) اى الى المحسود (فينتفع بها فى الآخرة عند الله تعالى ولا يضيعه الله تعالى اصلا ولا يضيعه (واما) انتفاع المحسود (فى الدنيا) بحسدك له (فلان اهم اغراض الخلق مساءة) اى ادخال السوء على (الاعداء) لهم (وغمهم) اى ايقاعهم فى الغم والحزن وقد اوقعك المحسود فى الغم والهم وادخل عليك المساءة بحسدك له وهو لا يشعر فقد انتفع فى الدنيا بما هو غرض اهل الدنيا من اعدائهم بلا قصد منه لذلك (واما العلاج) الحسد (العملى) اى المنسوب الى العمل فهو (ان يكلف) الحاسد (نفسه نقيض مقتضاه) اى مقتضى الحسد (فان بعثه) اى الحسد (على القدح) اى الطعن (فيه) اى فى المحسود والانتقاص له (كلف لسانه المدح له) حتى يكون عاملا بما يردع نفسه و يزجرها عن الحسد للغير (وان) بعثه الحسد (على التكبر عليه) اى على المحسود (الزم نفسه التواضع له) اى للمحسود (والاعتذار) اى اظهار العذر باللسان (اليه) اى الى المحسود من كل ما يتضرر به من الحاسد (وان) بعثه الحسد له (على كف) اى امساك (الانعام عليه) اى على المحسود بان كان يجرى عليه جراية احسان من علوفة او هدية او اطعام او صدقة ونحو ذلك فوقع فى قلبه الحسد له على نعمة وجده فيها (الزم نفسه الزيادة فى الانعام) على ما كان يسديه اليه من قبل (وان) بعثه الحسد له (على الدعاء عليه) اى على المحسود (دعا) الله تعالى (له بزيادة النعمة التى حسده فيها)واكره نفسه على ذلك كله وان لم تطعه ليداوى بذلك داء حسده فيبرأ ان شاء الله تعالى ﴿ المبحث الرابع ﴾ تمام المباحث الاربعة التى فى الحسد (فى) بيان (العلاج القلعى) للحسد الذى يقلع الحسد ويزيله فلا يبقى له اثر فى النفس (وهو) اى العلاج المذكور (يحتاج الى معرفة اسبابه) اى الحسد (ثم ازالتها) اى الاسباب من القلب (وهى) اى اسباب الحسد الموصلة (اليه ستة) اسباب السبب (الاول التعزز) فى النفس (وهو ان يثقل عليه) اى على الانسان الحاسد لغيره (ان يترفع عليه غيره) من الناس اى يصير ارفع

منه قدرا واعظم شرفا (فاذا اصـاب) اى نال وحاز (بعض امثاله) اى اقرانه ممن هو فى رتبته (ولاية) اى منصبا من المناصب الدنيوية اوالدينية (او) اصـاب (علما) من العلوم الشرعية اوالعقلية ونحوها (او) اصاب (مالا) من اى نوع كان (خاف) ذلك الانسان الحـاسد (ان يتكبر عليه) اى على ذلك المحسود مثل عادته (وهو) اى المحسود (لايطيق تكبره) اى الحاسد عليه ولايهضم ذلك (ولاتسمح نفسه) اى نفس المحسود (باحتمال صلفه) اى الحاسد قال فى الصحاح وزعم الخليل ان الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا فهو رجـل صلف وقد تصلف (وتفاخره عليه) اى على المحسود (فليس غرضه) اى الحاسد (ان يتكبر من اول وهلة (عليه) اى على المحسود (بل غرضه) اى الحاسد (ان يدفع كبره) اى المحسود عنه (ويرضى) اى المحسود (بمساواته) اى مساوات الحاسد (وزيادته) اى الحاسد (عليه) اى على المحسود (من غير تكبر) يصدر من المحسود على الحـاسد فان اراد) اى الحـاسد (عـدم وصوله) اى المحسود (الى تلك النعمـة) التى هوفى صدد حصولهـا له (او) اراد (زوالهـا) اى تلك النعمـة عن المحسود حال كـون تلك النعمة (مفيدة بالافضـاء) اى الايصـا ل بالمحسود (الى الكبر) على الحاسد (فليس) هذا (بحسد لما مر) فى المبحث الاول من ان هذا غيرة من المؤمن لله تعالى مندوب اليه (وان) اراد الحاسد زوال النعمة عن المحسود (مطلقا) من غـير قيد انها تفضى بالمحسود الى الكبر (فحسد) مذموم (لعدم الشعر)من الحاسد فى تلك النعمة (بالفساد) للمحسود واحتمال الفساد لاعبرة به لانه مجرد وهم (وامكان) اى ولامكان (التقييد) لتلك النعمة بالافضـاء الى الكبر فى نظر الحاسد بان يتأمل مايترتب على تلك النعمة للمحسود ومايوصل المحسود اليه من الفتن فيصرف حسده بذلك الى الغـيرة عليه بغلبـه فيتخلص من مفسدة الحسد المحرم الى الغيرة المندوبة (و) السبب (الشـانى التكبر) من الحاسد عـلى غيره (فان من فى طبعه) وعادته بلاتكلف (التكبر على انسان واستصغاره) اى ذلك الانسان يعنى رؤيته صغيرا (واستخدامه) اى طلب الخدمة منه (فاذانال) ذلك الانسان (نعمة) من الله تعـالى دنيوية اودينية (خاف) ذلك الحاسد (ان لايحتمل) ذلك الانسـان (تكبره) اى تكبر ذلك الحاسد عليه حسب طبعه وعادته (و) خاف الحاسد ان (يرتفع) ذلك المحسود اى يجد نفسه رفيعا (عن متابعته) اى متابعة الحاسد (و) عن (خدمته فيريد) الحاسد (زوالها) اى تلك النعمة عن المحسود لـماذكر (وعلاجه) اى التكبر (سبق) فى ابحاث التكبر مفصلا (و) السبب الثـالث (سببية نعمة الغير) اى كون نعمـة الغير سببـا (لفوت مقصوده) اى الحاسد (وذلك) الامر المذكور (يختص بمتزاحمين) اى شخصين من الناس يتزاحمان (على) حصول (مقصودواحدفان كل

واحد) منهما يحسد صاحبه فى كل نعمة يكون زوالها) اى تلك النعمة عن المحسود (عونا) اى معينة (له) اى للحاسد (فى) حصول (الانفراد) له (بمقصوده) من تلك النعمة (فهذا الحسد يكون بين الامثال والاقران) من الناس فى اى رتبة كانوا من اهل الدنيا اواهل الدين (كالضرات) جمع ضرة قال فى المصباح ضرة المرأة امرأة زوجها والجمع ضرات على القياس وسمع ضرائر كأنه جمع ضريرة مثل كريمة وكرائم (والاخوة) جمع اخ (يقصدون) اى مجموع الضرات والاخوة بتغليب المذكر على المؤنث (المنزلة) العالية (فى قلب الزوج) راجع الى الضرات (و) قلب (الابوين) اى الاب والام بتغليب المذكر ايضا وهولف ونشر مرتب (وتلامذة) جمع تلميذ (استاذ واحد) اى فى اى مرتبة كان من مراتب الناس ولو اصحاب الحرفة اوالكتابة (ومريدى) جمع مريد وحذفت نون الجمع لاضافته الى (شيخ واحد) فى سلوك طريق العلم اوالعمل (وندماء) جمع نديم (الملك) بكسر اللام اى السلطان (وخواصه) اى الملك اى من يختص به من الخدمة والاتباع (ووعاظ) جمع واعظ وهو من يذكر الناس بامور دينهم وينذر عاصيهم ويبشر مطيعهم فيحثهم على العمل الصالح (بلدة واحدة) من بلاد الاسلام (وطلاب) جمع طالب (ولاية) اى منصب (وقضاء وتدريس) فى مدرسة (وتولية اوقاف) على جامع اوتكية (اوجهة من جهاتها) اى الاوقاف كاستيجار قرية من قرى الوقف ونحو ذلك (ومآله) اى مرجع هذا السبب المذكور (حب المال و) حب (الرياسة) على الغير (و) السبب (الرابع مجرد حب) الحاسد (الرياسة) على غيره (لكن يريد ان يكون عديم النظير) اى لانظير له اى مشابه (فى فن من الفنون) العلمية اوغيرها (ويغلب عليه حب الثناء) اى المدحة من الغير له (فاذا سمع بنظير) اى مشابه (له) موجود (فى اقصى) اى ابعد (العالم) بفتح اللام (ساءه) اى احزنه (ذلك) اى وجود ذلك النظير له (واحب موته) اى موت ذلك النظير حتى يبقى هو وحده منفردا فى ذلك الفن (و) احب (زوال النعمة التى بها يشاركه) ذلك النظير (فى المنزلة) التى هو فيها (من شجاعة اوعلم اوعبادة اوصناعة اوجمال اوثروة) اى غنى وكثرة مال (و) السبب (الخامس خبث النفس) من الحاسد (وشحها) اى النفس (بالخير) فلا تكاد تسمح به (لعباد الله تعالى فانك يا ايها الانسان (تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال) اذ لاهمة له فى تحصيل شئ من ذلك ولكنه (اذا وصف) بالبناء للمفعول اى وصف احد (عنده حسن حال عبد) من عباد الله تعالى (فى نعمة) نالها فضلا من الله تعالى عليه (يشق) اى يصير مشقا اى متعبا (عليه) اى على الذى تجده لايشتغل بما ذكر من ذلك الوصف للغير بحسن الحال (واذا وصف) اى وصف واصف (له اضطراب) اى اختلاف (امور الناس) وعدم جريانها على الاعتدال والصحة (وادبارهم) اى رجوع

احوالهم الى عكس ما يريدون (وفوات مقاصدهم فرح به) اى بذلك الوصف المذكور مع انه لم يسبق له عداوة مع الناس اصلا (فهو ابدا) اى دائما (يحب الادبار) اى تعاكس الامور وعدم الاقبال (لغيره) من الناس (ويبخل بنعمة الله تعالى) التى ليست منه وليس له فيها تعلق (على عباده) اى عباد الله تعالى (الذين ليس بينهم وبينه عداوة) دنيوية ولادينية (ولارابطة) بشركة من مال اواستيلاء منهم على ملكه اوخصومة فى شئ مطلقا (وهذا اخبث الحسد) اذلاسبب له الامجرد خبث النفس وكثرة سوءها (واعسره) اى اعسر الحسد (ازالة) عن صاحبه (وعلاجا لانه طبع وجبلة) اى عادة مستحكمة بلاتكلف من صاحبه فيه قال فى المصباح الجبلة بكسرتين وتثقيل اللام الطبيعة والخليقة والغريزة بمعنى واحد وجبله الله على كذا من باب قتل فطره عليه وشئ جبلى منسوب الى الجبلة كما يقال طبيعى اى ذاتى منفعل عن تدبير الجبلة فى البدن بصنع باريها* ذلك تقدير العزيز العليم (يكاد يستحيل فى العادة زواله) عن صاحبه من كال لزومه له الابعناية من الله تعالى وسابقة خير (و) السبب (السادس الحقد) وهو الانطواء على العداوة والبغضاء وحقد عليه من باب ضرب وفى لغة من باب تعب والجمع احقاد كذا فى المصباح وفى مختصر القاموس حقد كضرب وفرح حقدا وحقادا امسك عداوته فى قلبه وتربص لفرصتها والحقود الكثير الحقد وجمع الحقد احقاد (وهو) اى الحقد الخلق (السادس عشر من) الاخلاق الستين المذمومة التى هى (آفات القلب) اى مفاسده ومهالكه (وفيه) اى الحقد (ثلاث مقالات المقالة الاولى) من المقالات الثلاثة (فى تفسيره) اى الحقد (وحكمه) اى اثره الثابت له شرعا (هو) اى الحقد (ان يلزم نفسه استثقال احد) اى نسبته الى الثقل عليه (و) يلزم نفسه (النفار) اى التباعد (عنه) بحيث لايكاد يقبله (و) يلزم نفسه (البغض له وازادة الشر) والسوء كلما رآه اوخطر فى باله (وحكمه) اى الحقد (ان لم يكن بظلم) اى بسبب ظلم (اصابه) اى الحاقد (منه) اى من المحقود عليه فى ماله اوعرضه اودينه اواهله (بل كان (بحق) اى بسبب حق (وعدل) من المحقود عليه للحاقد (كالامر بالمعروف والنهى عن المنكر) الصادر من المحقود عليه فى حق الحاقد على الوجه المشروع بطريق العموم على جهة السترة له دون الفضيحة وقصد التحكم فيه (فحرام) اى حقد حرام على الحاقد (وان كان) الحقد بسبب ظلم اصاب الحاقد من المحقود عليه او بسبب حق كامره بالمعروف ونهيه عن المنكر على وجه الخصوص والمقارعة فى وجهه تبكيتا له بقصد فضيحته والتحكم فيه والارتفاع عليه (فليس) ذلك الحقد (بحرام) حينئذ (فان لم يقدر) اى الحاقد (على اخذ الحق) من المحقود عليه فيما طلبه به فى الدنيا (فله) اى يجوز له (التأخير الى يوم القيامة) وابقاء الحقد عليه فى نفسه (و) له (العفو) عنه ايضا (وهو) اى العفو (افضل) من ابقاء

الحقد عليه (قال الله تعالى *وان تعفوا) اى عفوكم عمن ظلمكم (اقرب) اى اكثر قربا (للتقوى) اى من بقية الاعمال الصالحه وقال تعالى (خذ العفو) اى استعمل المسامحة والصفح عمن اساء اليك وقال تعالى (والعافين عن الناس) اى المسامحين لكل من ظلمهم من الناس وقال تعالى (وليعفوا وليصفحوا) اى يتركوا المجازاة لمن تعدى عليهم وظلمهم (الا تحبون ان يغفر الله لكم) فكما تحبون ذلك اذا اذنبتم مع الله تعالى فاغفروا انتم لمن اذنب معكم واساء فى حقكم ذنوبه واصفحوا عنه يصفح الله عنكم (م ت) يعنى روى مسلم والترمذى باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مانقصت) بتشديد القاف (صدقة) واجبة او نافلة (من مال) فى المعنى الذى هو مناط البركة والخير وان نقصته فى الحس الذى هو مناط التكاثر والتفاخر (وما زاد الله) تعالى (عبدا) من عباده (بعفو) عمن ظلمه (الا عزا) اى رفعة شان فى الدنيا والآخرة (وما تواضع عبد) من عباد الله تعالى لغيره (الا رفعه الله) تعالى على جميع اقرانه بين اهل زمانه (وان قدر) ذلك الحاقد على المحقود عليه بسبب ظلمه للحاقد (فله العفو) عنه (ايضا) كماله التأخير الى يوم القيامة (وهذا) العفو مع القدرة (افضل من العفو الاول) مع عدم القدرة اى اكثر ثوابا منه (و) له الانتصار اى استيفاء (حقه) اى الحاقد من المحقود عليه ولكن (من غير زيادة) على مقدار حقه (وهو العدل) ضد الظلم (المفضول) الذى غيره افضل منه فان العفو افضل منه كما ذكر (لكن قد يكون) هذا العدل المفضول (افضل من العفو) عن الظالم (بعارض) اى بسبب امر عارض (مثل كون العفو) من المظلوم (سببا لتكثير ظلمه) اى الظالم بحيث يتجرى على ظلم الناس والتعدى عليهم خصوصا اذا سمع الظالم ان المظلوم رجل صالح يسامح من ظلمه فيتقوى الظالم بذلك على ظلم ذلك الرجل الصالح وكل رجل صالح مثله (و) كون (الانتصار على الظالم) باستيفاء الحق منه سببا (لتقليله) اى الظلم من الظالم (او هدمه) بالتوبة منه والرجوع عنه (او نحو ذلك) مما يترتب من الانتصار من المظلوم على الظالم وعدم المسامحة له كما ذكر الشيخ ابن علوان الحموى فى شرح تائية ابن حبيب الصفدى قدس الله سره ان من مناقب ابن حبيب المذكور انه كان يحب الانتصار فاذا قدر عفا اخبرنى بذلك سيدى مسعود المغربى وذكر ان بعض علماء الرسم شنع عليه ونسبه الى امر هو منه برئ قال فذهب الشيخ ونحن معه الى دار الحكم بدمشق وكافلها اذ ذاك سفيان فى دولة قانصوه الغورى فشكى الشيخ الى النائب والتمس منه احضار خصمه فلما حضر ولم يبق الا ايقاع العقوبة به استتابه وعفا عنه وهكذا شيم كبار الاولياء يحبون الانتصار لحق الله تعالى فاذا قدر احدهم عفا ولقد شاهدنا هذا ايضا فى شيخنا السيد الشريف يعنى ابن ميمون المغربى شيخ الشيخ علوان رضى الله عنهما ووجه ذلك ان افضل الفضل عند الحدة وافضل

العفو عند القدرة (وان زاد) المظلوم الذي قدر على استيفاء حقه من ظالمه فاستوفى اكثر من مقدار حقه منه (فجور) اى ففعله جور (وظلم) منه فى حق ظالمه (قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه) اى على من ظلمه (فاولئك ما عليهم من سبيل) اى طريق الى اللوم على انتصارهم المذكور (الى) قوله تعالى (الامور) وذلك قوله تعالى * انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى (ولايجرمنكم شنآن قوم على ان لاتعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالايحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم ثم قال تعالى * اعدلوا هواقرب للتقوى * اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل و بين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور و بين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فاظنك بالعدل مع المؤمنين كذا فى تفسير البيضاوى ﴿ المقالة الثانية ﴾ من المقالات الثلاث (فى) بيان (غوائله) اى الحقد يعنى مفاسده وشروره (وهى) اى غوائل الحقد (احد عشر شيئا (الاول) من غوائل الحقد (الحسد) الذى تقدم بيانه فالحسد من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فالحسد فرع الغضب والغضب اصل اصله كما هو مذكور فى كتب القوم (والثانى) من غوائل الحقد (الشماتة بما اصابه) اى الغير (من البلاء) اى الفرح والسرور (والضحك به) اى بذلك الغير قال فى المصباح شمت به يشمت اذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة واشمت الله به العدو وفى الصحاح الشماتة الفرح ببلية العدو يقال شمت به بالكسر يشمت شماتة وبات فلان بليلة الشوامت اى بليلة تشمت الشوامت (وهى) اى الشماتة الخلق (السابع عشر) من الاخلاق الستين المذمومة (دت) يعنى روى ابوداود والترمذى باسنادهما (عن واثلة بن الاسقع رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتظهر) بضم التاء المثناة الفوقية من اظهر الشئ ابرزه وابانه بعد الخفاء (الشماتة) اى الفرح والسرور عند رؤية المصيبة والبلية (باخيك) فى النسب او فى الاسلام اى الشخص الذى هو مناسب لك فى القرابة اوالدين ذكرا كان اوانثى صغيرا كان اوكبيرا وان كان بينك و بينه عداوة فلا تشمت به ولاتفرح ببليته فانك لوعقلت مبتلى بالعافية مثله كما هو مبتلى بالمصيبة والخير بلاء والشر بلاء وكذلك الحسنات والسيئات كما قال تعالى * ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون *وقال سبحانه وتعالى *وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (فيعافيه الله تعالى) من بليته التى كان فيها (و يبتليك) انت بتلك البلية التى شمت به فيها فينقله من بلاء هو مصيبة الى بلاء هو عافية من تلك المصيبة فلا محيص من البلاء اصلا كما قال تعالى *انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه

ولو خلا احد من البلاء لكان الاحق بذلك الانبياء عليهم السلام لانهم اشرف الخلق عند الله تعالى ومع ذلك فقد ورد فى الحديث اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل (فالفرح بمصيبة العدو) امر (مذموم جدا) فى ملة الاسلام (خصوصا اذا حملها) اى تلك المصيبة التى اصابت عدوه (على) انها (كرامة نفسه) اكرمه الله تعالى بها حيث اصاب عدوه بالمصائب (و) على انها (اجابة) اى قبول (دعائه) على عدوه (بل) الواجب (عليه ان يخاف) من تلك المصيبة التى اصابت عدوه (ان تكون مكرا) من الله تعالى (له) اى لذلك الذى فرح بمصيبة عدوه (و يحزن) من اصابة تلك المصيبة لعدوه (و يدعو) الله تعالى (بازالة بلائه) اى بلاء عدوه (وان يخلفه) اى ذلك العدو (الله تعالى خيرا مما فات) بسبب تلك المصيبة (الا ان يكون) ذلك العدو (ظالما) لذلك الذى فرح ولغيره (فاصابه بلاء) من الله تعالى (يمنعه) ذلك البلاء (من الظلم و يكون) ذلك البلاء (لغيره) اى غير ذلك الظالم (من) بقية (الظلمة) بالتحريك جمع ظالم كطلبة جمع طالب (عبرة) اى اتعاظا قال فى المصباح الاعتبار يكون بمعنى الاختبار والامتحان مثل اعتبرت الدراهم فو جدتها الفا ويكون بمعنى الاتعاظ نحو قوله تعالى * فاعتبروا يا اولى الابصار * والعبرة اسم منه قال الخليل رحمه الله العبرة والاعتبار بما مضى اى الاتعاظ والتذكر وجمع العبرة عبر مثل سدرة وسدر (ونكالا) يقال نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة بالضم اصابه بنازلة و نكل به بالتشديد مبالغة والاسم النكال كذا فى المصباح (ففرحه حينئذ) انما كان (بزوال الظلم) الظاهر من ذلك العدو ولا بذلك البلاء النازل بذلك العدو فيجوز بلا شبهة (والثالث) من غوائل الحقد (هجره) اى المحقود عليه يعنى المؤمن بتركه وعدم الالتفات اليه (وعداوته وهو) اى هجر المؤمن وعداوته الخلق (الثامن عشر) من الاخلاق الستين المذمومة (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يهجر) اى يترك و يقاطع (مؤمنا) مثله (فوق ثلاث) من الايام وخرج بقيد المؤمن الكافر فانه مهجور شرعا (فاذا مرت) به اى بالمؤمن المهاجر لمثله (ثلاث) من الايام (فليلقه) فعل مضارع مجزوم بلام الامر من اللقاء وهو الاجتماع اى فليجتمع مع مهجوره (وليسلم عليه) اذ اراه فان الهجر يزول بذلك ونحوه (فان رد) اى المهجور السلام (عليه) اى على الهاجر الذى سلم عليه (فقد اشتركا) اى المهاجر والمهجور (فى الاجر) بامتثال امر الشارع فى اللقاء والسلام لزوال الهجر بينهما (وان لم يرد) اى المهجور السلام (عليه) اى على هاجره وكذلك بالعكس اذا سلم المهجور على الهاجر (فقد باء) اى رجع تارك الرد (بالاثم) وحده دون الآخر (وزاد فى رواية) اخرى لهذا الحديث (فمن هجر) يعنى اخاه المؤمن (فوق ثلاث) من الايام (دخل النار) لفعله معصية الهجر للمسلم

ومقاطعته المقتضية ذلك (هذا) اى الهجر للؤ من المذموم شرعا (محمول على الهجر لاجل الدنيا) عداوة نفسانية بحظوظ شهو ية (واما) الهجر بين المسلمين (لاجل الآخرة) فى ترك الامر النافع فيها (و) لاجل (المعصية) الذى يوجب استحقاق العذاب (و) لاقامة (التأديب) فى حق الغير المقصر فى مراعاة الادب مع من يحب الادب معه (جائز) اى الهجر لاجل شئ من ذلك (بل) هو (مستحب من غير تقدير) بمدة معينة (لوروده) اى هجر المؤمن لمصلحة دينه (عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين) قال المناوى فى شرح الجامع الصغير ومن المصلحة ماجاء من هجر بعض السلف لبعض فقد هجر سعد بن ابى وقاص عمار بن ياسر وعثمان بن عفان عبدالرحمن بن عوف وطاووس وهب بن منبه بن والحسن سيرين الى ان ماتوا وهجر ابن المسيب اباه وكان زياتا فلم يكلمه الى ان مات وكان الثورى يتعلم من ابن ابى ليلى ثم هجره فات ابن ابى ليلى فلم يشهد جنازته وهجر احمد بن حنبل عمه ولولاده لقبولهم جائزة السلطان (والرابع) من غوائل الحقد (استصغاره) اى المحقود عليه يعنى رؤيته صغيرا حقيرا (وهو) اى الاستصغار (التكبر) على الغير (وقدم) بيانه (والخامس) من غوائل الحقد (افضاؤه) اى افضاء الحقد يعنى ايصاله (الى الكذب عليه) اى المحقود عليه فى دينه اوعرضه ونحو ذلك ونسبته الى ماهو برئ منه (والسادس) من غوائل الحقد افضاؤه (الى غيبته) اى المحقود عليه والتكلم فيه بين الناس بمايسوءه (والسابع) من غوائل الحقد افضاءوه (الى افشاء) اى اظهار (سره) اى المحقود عليه وهتكه بين الناس بمالا يريد افشاءه وذكر عيوبه ومقابحه عندهم (والثامن) من غوائل الحقد افضاؤه (الى الاستهزاء به) اى بالمحقود عليه بالسخرية منه والضحك عليه بين الناس (والتاسع) من غوائل الحقد افضاؤه (الى ايذائه)اى المحقود عليه بالسعى به الى الحكام والتعاون عليه عند الظلمة وحمل الناس على الانكار على احواله وتنفير اصحابه عنه وتبغيضه الى من يحبه (بغيرحق) موجب لذلك بل بمجرد الظلم والتعدى (او) افضاؤه الى (اكثرمنه) اى من الايذاء وهوالافضاء الى اهراق دمه بالباطل اوالجائه الى الردة عن الاسلام والعياذ بالله تعالى اواللحوق بدار الحرب ونحو ذلك من عظائم الامور (والعاشر) من غوائل الحقد افضاؤه الى (منع حقه) الواجب له شرعا (من صلة رحم) كالابن يحقد على ابيه فيمنعه بره والقريب يحقد على قريبه فيمنعه صلة رحمه (وقضاء دين) وجب عليه للمحقود عليه فيمنعه منه (ورد مظلمة) كغصب وسرقة وخيانة فى وديعة ونحوها وجب حقا للمحقود عليه فيمنعه منه (والحادى عشر) من غوائل الحقد (منعه) اى الحقد (عن مغفرة صاحبه) فان الله تعالى لايغفر لمن حقد على اخيه المسلم (طكط) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث) من الخصال (من لم يكن) اى من لم يوجد (فيه واحدة منهن فان الله تعالى يغفر له ماسوى ذلك) اى غير هذه الخصال الثلاثة من جميع الذنوب (لمن يشاء) سبحانه وتعالى الخصلة الاولى (من مات لايشرك بالله) تعالى (شيئا) اى لايعتقد مشاركة شئ مطلقا مع الله تعالى فى مشابهة ذاته اوصفة من صفاته اوفعل من افعاله (و) الخصلة الثانية (من لم يكن ساحرا من) جملة (السحرة) فان السحر كفر عند ابى حنيفة رضى الله عنه اذا اعتقد انه يؤثر بسحره قال فى البزازية من كتاب الحدود اذا ادعى انه يخلق مايفعل يقتل ان لم يتب وكذا الساحرة ان اعتقدت ذلك بالاثر وان كانت المرتدة امرأة لاتقتل وفى المبتغى بالغين المعجمة والساحرة تقتل اذا كانت تعتقدانها هى الخالقة لذلك وتصير مرتدة لقول عمر رضى الله عنه اقتلوا الساحر والساحرة والساحر على اقسام ساحر كافر يدعى انه خلق لمافعله فيستتاب ان تاب عن دعواه ويخلى سبيله وان لم يتب يقتل لانه مرتد وساحر يسحر وهو جاحد لايدرى كيف يفعل ولايقر به فلا يستتاب ويقتل والصحيح انه يستتاب والثالث ساحر بالامتحان والتجربة غير معتقد لذلك ليس بكافر اذاتقدم منه الاسلام (والخصلة الثالثة (من لم يحقد على اخيه) اى لم يضمر له البغض والعداوة (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط (عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض) بالبناء للمفعول من عرضت الشئ عرضا من باب ضرب فاعرض هو اى اظهرته وابرزته فظهر هو وبرز وعرضت المتاع للبيع اظهرته لذوى الرغبة ليشتروه وعرضت الجند امررتهم ونظرت اليهم لتعرفهم كذا فى المصباح (الاعمال) التى يعملها المكلفون بها تعرض على الله تعالى (يوم الاثنين و) يوم (الخميس) خصوصية فضيلة لهذين اليومين دون ايام الاسبوع وان كان يوم الجمعة افضل الايام فقد يوجد فى المفضول ماليس فى الفاضل (فمن مستغفر) من ذنوبه فى يوم من الايام فيعرض على الله تعالى عمله ومن جملة عمله ذنوبه واستغفاره منها (فيغفر) اى يغفر الله تعالى (له) فضلا منه تعالى وان لم يأت ببقية شروط التوبة غير استغفار فقط (ومن تائب) اى فاعل جميع شروط التوبة (فيتاب) اى يتوب الله تعالى (عليه) فيقبل توبته (ورد) بالبناء للمفعول اى رد الله تعالى (اهل الضغائن) جمع ضغينة وهى الحقد واضمار البغضاء والعداوة فلايقبل منهم الله تعالى استغفارهم من ذنوبهم ولاتوبتهم منها (بضغائنهم) اى بسبب مافى صدورهم من تلك الضغائن (حتى يتوبوا منها) اى من الضغائن (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط (عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يطلع) من اطلعت زيدا على كذا مثل اعلمته وزنا ومعنى فاطلع على افتعل اى اشرف عليه وعلم به كذا فى المصباح (الله تعالى الى جميع خلقه) اى يتجلى عليهم تجليا مخصوصا فيعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله (ليلة النصف من شعبان) يعنى من اول الليلة الى آخرها والا فهو يتجلى

كل ليلة اذا كان ثلث الليل الاخير كما ورد فى حديث آخر (فيغفر) سبحانه وتعالى بمحض فضله (لجميع خلقه) اى يقبل استغفارهم وتوبتهم قطعا وفى غيرها من الليالى على الاحتمال (الا المشرك) بالله تعالى (اومشاحن) من الشحناء وهى العداوة والبغضاء وشحنت عليه شحنا من باب تعب حقدت كذا فى المصباح فان المشرك والمشاحن ماداما كذلك لا يقبل منهما الاستغفار والتوبة من الذنوب فى تلك الليلة فكيف فى غيرها من الليالى وفى اقتران المشاحنة بالشرك زيادة تقبيح لها وكمال زجر عنها (وفى رواية هق) يعنى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها (ويؤخر) اى يؤخر الله تعالى (اهل الحقد) اى اضمار العداوة والبغضاء (كما هم) اى فيبقيهم على ذنوبهم ولا يغفر لهم حتى يدعوا الحقد ويتركوه من صدورهم ويتوبوا منه ﴿المقالة الثالثة﴾ تمام المقالات الثلاث (فى) بيان (سبب الحقد وهو) اى سبب الحقد (الغضب) على الغير يكون سببا للحقد عليه (فانه) اى الغضب (اذا لزم) الانسان (كظمه) كظمت الغيظ كظما وكظوما من باب ضرب امسكت نفسك على صفح اى غيظ وفى التنزيل والكاظمين الغيظ وربما قيل كظمت على الغيظ وكظمنى الغيظ فانا كظيم ومكظوم كذا فى المصباح (بعجز) اى بسبب عجز صاحب الغضب (عن التشفى بمن غضب عليه) يقال اشتفيت بالعدو وتشفيت به من شفاالله المريض يشفيه من باب رمى شفاء عافاه لان الغضب الكامن كالداء فاذا زال بما يطلبه الانسان من عدوه فكأنه برئ من دائه كذا فى المصباح (فى الحال) وقت الغضب بسبب رفعة شانه اوغيبته عنه اواحتمائه بغيره (رجع) ذلك الغضب (الى الباطن) اى صدر صاحبه (واحتقن فيه) اى باطن صاحبه يعنى اجتمع قال فى المصباح حقنت الماء فى السقاء حقنا من باب قتل جمعته فيه (فصار) اى ذلك الغضب (حقدا) بسبب الاحتقان وعدم الخروج (وفيه) اى الغضب (خمس مقامات المقام الاول) من المقامات الخمس قال فى المصباح قام يقوم قوما وقياما انتصب واسم الموضع المقام بالفتح واقته اقامة واسم الموضع المقام بالضم (فى تفسير الغضب) اى بيان معناه (و) ذكر (اقسامه اعلم ان الغضب وهو غليان دم القلب لدفع المؤذيات) عنه اوعن غيره (قبل وقوعها) المؤذيات (ولطلب التشفى والانتقام) ممن فعل الاذى (بعد وصولها) اى المؤذيات اليه اوالى غيره (ليس بمذموم) شرعا (بل هو) اى الغضب حينئذ (امر لازم) لان (به يحفظ) على الانسان (الدين والدنيا) بحسب الامكان فلا يقدر ان يظلمه احد فيهما (ومنه) اى من الغضب (الشجاعة الممدوحة عقلا وشرعا وعرفا) وهى الشجاعة فى نصرة الحق ودفع الباطل (وانما المذموم) من الغضب (طرفاه) فالطرف الاول (تفريطه) اى التقصير فيه (وضعفه) وهو الطرف الادنى (المسمى بالجبن) بالضم مصدر جبن جبنا وزان قرب قربا وجبانة بالفتح وفى لغة من باب قتل فهو جبان اى ضعيف القلب وامرأة جبان ايضا وربما قيل جبانة كذا فى المصباح (وهو)

اى الجبن (الخلق التاسع عشر) من الاخلاق الستين المذمومة (وذلك) اى الجبن (مذموم جدا) فى الشرع (لانه يثمر) اى ينتج (عدم الغيرة) بالفتح اى الامتناع من الامور الدنية (اوقلة الحمية) اى الانفة والاحتفاظ (على الزوجة) والامة (والاقرباء) المحارم وغيرهم (وخسة النفس) اى حقارتها قال فى المصباح خس الشئ يخس من باب ضرب وتعب خساسة حقر فهو خسيس (واحتمال الذم والضيم) اى الضرر فى غير محله بان كان فى طلب الدنيا زيادة على قدر الضرورة اوفى منافسة الاقران وحب الشهوات (والخور) بالتحريك من خار يخور خورا ضعف فهو خوار (والسكوت عند مشاهدة) اى معاينة وتحقق (المنكرات) اى الاشياء المحرمة شرعا الصادرة من المكلفين باختيارهم من غير احتمال عدمها عند الرأى المشاهد لذلك اذا كان حاكما مأمورا برعاية احوال العامة اوغيره ممن يقدر على ذلك بلا لحوق ضرر عليه فى منكر مجمع عليه لاحتمال تقليد الفاعل لمن يقول بالجواز ولو من غير الائمة الاربع فان عمل الانسان لنفسه بقول مجتهد غير الاربعة جائز دون الفتوى به للغير كما قال المناوى فى شرح الجامع الصغير نعم يجوز لغير عامى من الفقهاء تقليد غير الاربعة فى العمل لنفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنده وذكر قبل ذلك انه يمتنع تقليد غير الاربعة فى القضاء والافتاء انتهى فمن ينكر على غيره يشترط فيه ان يكون عالما بالمذاهب الاربعة وغيرها ايضا حتى يعلم الخلاف بين المجتهدين المتقدمين فى المناكر فلعل الفعل الذى يراه ذلك المشاهد له منكرا على مقتضى مذهبه قلد فاعله مذهبا غير مذهب الرأى المشاهد وهو لايعلم ولايلزمه سؤاله ولايلزم الاخبار من الفاعل ايضا وربما يكون الفاعل مجتهدا ولا علم للمنكر به فانه ليس من شرط الاجتهاد ان يكون معلوما للغير فيكون المنكر لم يصادف بانكاره الحق فيأثم بانكار الحق وهو لايشعر ولايلزم الفاعل تعريفه بحاله بل اللازم على كل انسان تحسين الظن باخيه المسلم ما امكن وتأويل جميع احواله ويجب عليه ستر عوراته وعدم فضيحته ولو عند نفسه فلا يترك نفسه بتحقق معصية غيره حتى لايكون مقرا لغيره على المعصية ولا فاضحا له والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (قال الله تعالى وليجدوا) اى الكافرون والمنافقون ومثلهم اصحاب المناكر المجمع عليها المكشوفة بلا احتمال تأويل عند العالم المحقق العارف بالاقوال كلها (فيكم غلظة) اى شدة وقوة وكثرة انكار عليهم حينئذ حتى يدعوا مناكرهم ويرجعوا الى دينهم الحق وفى قوله تعالى «وليجدوا فيكم غلظة» اشارة الى انكم لاتتعرضوا لهم بذلك ابتداء اذا كتموا امورهم عنكم حتى لا يأثموا بتجسسكم عليهم وكشف عوراتهم التى انتم مأمورون بسترها فى اهل المعصية وانما اذا اقبلوا عليكم وتعرضوا لكم بمناكرهم فاظهروا لهم الغلظة والشدة وقوة الانكار لما هم عليه حتى يتوبوا ويرجعوا ولاتكونوا

﴿ انتم ﴾

انتم تعرضتم لكشف عوراتهم ولافضحتهم بل هم الذين فضحوا انفسهم بتعرضهم لكم وقال تعالى فى اقامة حد الزنا (ولا تأخذكم بهما) اى بالزانى والزانية (رأفة) اى شفقة ورحمة (فى دين الله) فان هذه شفقة مذمومة لانها تضر بالمشفوق عليه فتلقيه فى عذاب الآخرة ومثل ذلك سائر المناكر على التفصيل الذى ذكرناه ولايكاد يوجد قائم به على الوجه الشرعى فى هذا الزمان بل الاكثر فى زماننا طالبون الرياسة والاشتفاء من اعدائهم بحيلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو امر شنيع فى الدين ولهذا تراهم يصدفون عن المناكر الكبار فى انفسهم وفى اتباعهم واصحابهم من التكبر والعجب والحسد والاعتداء واحتقار الناس ونحو ذلك ويحتسبون فى المناكر الصغار والغرور حشو نفوسهم وحب المحمدة والتهالك على الدنيا من غير مبالاة بحرام وحلال ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وقال الله تعالى عن اصحاب رسول الله عليهم الرضوان (اشداء على الكفار رحماء بينهم الآية) اى اكمل الآية وبقيتها قوله تعالى * تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود * وكذلك اوصاف المؤمنين القائمين بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى يوم القيامة اصلحوا انفسهم اولا ثم اقبلوا على اصلاح غيرهم فكانوا اشداء على الكفار رحماء بينهم يحتفظون على غيرهم من المؤمنين فى فعل الذنوب كما يحتفظون على انفسهم بلا تكبر ولاتجبر على احد ولامداهنة ولاخيانة (هق طط) يعنى روى البيهقى والطبرانى فى الاوسط (عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خيار امتى) اى اكثرهم خيرا (احداؤها) اى الامة جمع حاد بالتشديد وهو الموصوف بالحدة قال فى الصحاح الحدة مايعترى الانسان من النزق والغضب تقول حددت على الرجل احد حدة وحدا واحتد فلان من الغضب فهو محتد وفى الجامع الصغير للاسيوطى برمز الطبرانى فى الاوسط عن على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار امتى احداؤهم الذين اذا غضبوا رجعوا قال المناوى فى شرح هذا الحديث قال الفاكهى يشتبه على كثير من الناس الحدة بسوء الخلق والفارق المميز ماختم به هذا الحديث وهو قوله الذين اذا غضبوا رجعوا فالرجوع والصفاء هو الفارق وصاحب الخلق السوء يحقد وصاحبها لايحقد والغالب ان صاحبها لايغضب الالله (وقدمر) فى الحسد (ماورد فى) حق (الغيرة) من الكلام مما يناسب هذا فى الجبن (فينبغى) للجبان فى معالجة الجبن (ان يعالج نفسه بايقاعها) اى نفسه عمدا منه (فيما يخاف ويفر) اى يهرب (منه) كالحروب ومخاصمة الاقران والعبور وحده فى مواضع الوحشة بشرط امنه على هلاك نفسه اوذهاب عقله بان كان يعلم من نفسه انه يحصل له بذلك مجردا نزعاج فى نفسه والافهو القاء بنفسه الى التهلكة وهو حرام لان حفظ نفسه وعقله واجب عليه واليه الاشارة بقوله بتكلف اى مشقة عليه

(مرة بعد) مرة (اخرى) حتى تعتاد نفسه على الهجوم وقوة القلب (واسماعها) اى نفسه معطوف على ايقاعها (غوائل الجبن) اى مفاسده ومضاره (وفوائد الشجاعة وتذكيرها) اى نفسه بذلك (كرارا) جمع كرة (ومرارا) جمع مرة (حتى يزول) اى الجبن (عنه ويقوى غضبه) فى نفسه (و) الطرف الثانى للغضب (افراطه) اى الكثرة منه (وزيادته وغلبته) عليه (وسرعته) اليه (وشدته) فى النفس وهو الطرف الاعلى (المسمى بالتهور) وهو الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة يقال فلان متهور كذا فى الصحاح (وهو) اى التهور الخلق (العشرون) من الاخلاق الستين المذمومة (ويثمر) اى ينتج التهور فى صاحبه (الحدة والعنف) بالضم ضد الرفق قال فى المصباح عنف به وعليه عنفا من باب قرب اذا لم يرفق به فهو عنيف (وضده) اى التهور (الحلم) بالكسر (وهو) اى الحلم (ملكة) اى قوة راسخة فى النفس مضافة الى (الطمانينة) اى سكون القلب قال فى المصباح اطمأن القلب سكن ولم يقلق والاسم الطمانينة (عند محركات الغضب) اى الامور المغضبة له (وعدم هيجانه) اى الغضب معطوف على ملكة الطمانينة (الابسبب قوى) يقتضى الغضب فيهيج مع الحلم ايضا فلا يمنع وجود الحلم (وتمكن) معطوف على عدم هيجانه اى امكان (دفعه) اى الغضب (عنده) اى عند السبب القوى له اذا هاج (بلاتعب) يلحقه فى ذلك الدفع وحاصله ان الحلم كناية عن هذه الامور الثلاثة عن ملكة الطمانينة عند محركات الغضب وعن عدم هيجان الغضب الابسبب قوى وعن تمكن دفع الغضب اذا هاج عند السبب القوى بلاتعب (ويثمر) اى الحلم يعنى ينتج (اللين) مع الناس اى السهولة فى مخالطتهم (والرفق) بهم فى جميع الامور (والتهور مرض عظيم الضرر) على صاحبه ربما اهلك صاحبه فى الدنيا والآخرة اذا لم يحفظه الله تعالى (صعب العلاج) اى المداواة (فلابد من شدة المجاهدة) فى النفس (والتشمير) وهو السرعة فى الامر والخفة فيه ومنه قيل شمر فى العبادة اذا اجتهد وبالغ كذا فى المصباح (والسعى) اى المسارعة (فيه) اى فى علاج التهور (وعلاجه) اى التهور يكون (باربعة اشياء بالعلم والعمل وازالة السبب) الداعى الى التهور (وتحصيل الضد) فى النفس وهو الحلم (فلنبين) الآن (كل واحد منها) اى من هذه الاربعة بمقام على حدة وهى مندرجة فى المقامات الاربعة الباقية من المقامات الخمسة التى فى الغضب وقد تقدم المقام الاول من الخمسة ثم قال بعده (المقام الثانى) من المقامات الخمس (فى العلاج) اى المداواة للغضب والتهور (العلمى) اى المنسوب الى العلم (وهو) اى هذا العلاج (نافع قبله) اى قبل الغضب والتهور فيدفع كل واحد منهما (وحين الهيجان) ايضا لهما (بالتذكر بنفسه) (او بالتذكير) من غيره له (ان لم يشتد) اى يقوى الغضب والتهور (جدا) اى

كثيرا (والا) اى وان اشتد (فلا يفيد) فيه العلاج العلمى حينئذ (بل قد يضر) فيه ذلك (ويكون) اى العلاج العلمى (كالوقود) اى الاشتعال والالتهاب للنار (وهو) اى العلاج العلمى (معرفة آفاته) اى الغضب والتهور يعنى مفاسده ومضاره (و) معرفة (فوائد كظم) اى امساك (الغيظ اما آفاته) اى مفاسد الغضب والتهور (فاربعة) امور الامر (الاول افساد رأس الطاعات) وهو الايمان لانه يبتنى عليه جميع الطاعات فهو بمنزلة الرأس والطاعات كلها بمنزلة الجسد (هق طك) يعنى روى البيهقى والطبرانى فى الاوسط (عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب يفسد الايمان) بالله تعالى وبكتبه ورسله واليوم الآخر (كما يفسد الصبر) بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة هذا الشئ المر المعروف وفى المصباح الصبر الدواء المر فى الاشهر وسكون البا للتخفيف لغة قليلة ومنهم من قال لم يسمع تخفيفه فى السعة وحكى ابن السيد فى كتاب مثلث اللغة جواز التخفيف (العسل) الحلو (المراد) بالغضب الذى يفسد الايمان (الغضب فيما لا ينبغى) من حظوظ النفوس وشهوات الدنيا (اوصدوره) اى الغضب (فيما ينبغى) من امور الدين (اكثر) من حيث التكرار (واشد) من حيث المقدار مما ينبغى فهو التهور) المذموم (وكثيرا ما يطلق الغضب) فى الاحاديث والآثار وغيرها (عليه) اى على التهور (لا) المراد (اصل الغضب) الذى هو مجرد غليان دم القلب على الاطلاق (لما مر) فى مقام تفسيره (انه امر لازم) لانحفاظ الدين والدنيا (وقد صدر) هذا الغضب المعتدل (عن النبى صلى الله عليه وسلم مرارا) كثيرة (عند محله) وهو الغضب عند انتهاك حرمات الله تعالى (ووجه افساد الايمان) بالغضب كما ورد فى الحديث (انه) اى الشان (كثيرا ما يصدر) من الانسان (عن شدة الغضب قول او فعل يوجب الكفر) يضطره الى ذلك حنقه وغيظه فيفسد ايمانه (و) الامر (الثانى خوف المكافاة من الله تعالى) اي يخاف عليك ياصاحب الغضب ان يكافيك الله تعالى اى يعاملك بمثل عملك مع غيرك (فان قدرة الله تعالى عليك اعظم من قدرتك) انت (على هذا الانسان فلو امضيت غضبك عليه) ولم تراقب الله تعالى الذى خلقك وخلقه (لم تأمن ان يمضى الله تعالى) ايضا (غضبه عليك يوم القيامة او فى الدنيا ومن اراد ان يعامله الله تعالى بالرحمة فليعامل هو عباد الله تعالى بالرحمة (و) الامر (الثالث حصول العداوة) لك ممن غضبت عليه (فيتشمر) اى يتهيأ ذلك (العدو لمقابلتك) اى لمخاصمتك ومنازعتك (والسعى) منه (فى هدم) اى ابطال (اغراضك) اى مقاصدك ومراداتك (والشماتة) اى الفرح والسرور (بمصائبك) و بلائك (فيشوش) اى ينغص من شوش عليه الامر تشويشا خلطه عليه فتشوش قاله الفارابى وقال ابن الانبارى قال ائمة اللغة انما يقال هوشت وتبعه الازهرى وغيره

كذا في المصباح (عليك معادك) اي آخرتك فلا يكاد يبقى لك عملا صالحا او يدع قلبك يصفو لعمل صالح من تسلطه عليه بقوله وفعله واضطرار الامر بك الى مدافعته والحماية عن نفسك (ومعاشك) ايضا فانه يصير مكدرا لا يكاد يصفو لك من الانكاد (فلا تفرغ) مع ذلك (للعلم والعمل) وتذهب ايامك في المحال (و) الامر (الرابع قبح صورتك عند الغضب) من حمرة عينيك بعد حسن سوادهما وبياضهما وتنفخ اوداجك وظهور زرقتها بعد سكونهما واطافة لونها وتغير لون وجهك بعد كمال صفائه وسريان الرعشة والاضطراب في لحيتك واعضائك بعد ذلك الوقار وتكلمك بما لا ترضى ان تتكلم به قبل ذلك وارتفاع صوتك بعد لطافته وظرافة المنطق (ومشابهتك للكلب الضاري) من ضري بالشئ ضريا من باب تعب وضراوة اعتدى واجترأ عليه كذا في القاموس (والسبع العادى) من عدا عليه يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وعداء بالفتح والمد ظلم وتجاوز الحد وهو عاد والجمع عادون مثل قاض وقاضون وسبع عاد وسباع عادية كذا في المصباح (واما فوائد كظم الغيظ فسبعة) اشياء الشئ (الاول اعداد) اي تهيئة قال في المصباح اعددته اعدادا هيأته واحضرته (الجنة له) اي لكاظم الغيظ (قال الله سبحانه وتعالى) ﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ﴾ (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) والله يحب المحسنين ﴾ والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت ذكره البيضاوي (و) الشئ (الثاني التخيير) اي جعل الخيرة له (في الحور) جمع حوراء من حورت العين حورا من باب تعب اشتد بياض بياضها وسواد سوادها ويقال حوراء سوادا لمقلة كلها كعيون الظباء قالوا وليس في الانسان حور وانما قيل ذلك في النساء على التشبيه وفي مختصر العين ولا يقال للمرأة حوراء الا للبيضاء مع حورها كذا في المصباح (العين) بالكسر جمع عيناء وهي المرأة الحسنة العينين مع سعتهما (دت) يعني روى ابوداود والترمذي باسنادهما (عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم) اي امسك (غيظا) في نفسه اصابه من احد من الناس او شئ من الاشياء (وهو يستطيع) اي يقدر على (ان ينفذه) بالذال المعجمة اي يمضيه فيمن صدر له الغيظ من قبله (دعاه) اي ناداه (الله تعالى يوم القيامة) باسمه من غير واسطة نداء مرتفعا (على رؤس الخلائق) اي من الجهة العليا تشريفا له واعتناء به (حتى يخيره في اي الحور) جمع حوراء (شاء) اي اراد فيعطيه ذلك وفيه اشارة الى ان الحور انواع

وان الكاظم الغيظ مخير فى اى الانواع يشاء دون غيره من اهل الجنة خصوصية (و) الشيء (الثالث دفع عذاب الله تعالى) عنه كما دفع غضبه لاجل الله تعالى (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفع) عن نفسه (غضبه) على احد من الناس فلم يجر على مقتضاه خوفا من غضب الله تعالى ان يدركه (دفع الله) تعالى (عنه عذابه) فى يوم القيامة فلا يدركه غضب الله تعالى ولا يمسه عذابه (و) الشيء (الرابع عظم الاجر) اى الثواب له عند الله تعالى يوم القيامة (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جرعة) من جرعت الماء جرعا وهو الابتلاع والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة واجترعته مثل جرعته وتجرع الغصص مستعار من ذلك مثل قوله فذقوا كناية عن النزول به والاحاطة كذا فى المصباح (اعظم اجرا) اى ثوابا (عند الله تعالى) يوم القيامة (من جرعة غيظ) اى تجرعه وحبس النفس عن الجريان على مقتضاه (كظمها) اى تلك الجرعة (عبد) مسلم من عباد الله تعالى (ابتغاء) اى لاجل ابتغاء اى طلب (وجه الله تعالى) لا طمعا فى الجنة ولا فى النجاة من النار (و) الشيء (الخامس حفظ الله تعالى) فى جميع المخاوف فى الدنيا والآخرة لذلك العبد الذى كظم غيظه (و) الشيء (السادس رحمته) سبحانه وتعالى للكاظم الغيظ على كل حال من احواله (و) الشيء (السابع محبته) تعالى للكاظم الغيظ (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) اى من الخصال المحمودة (من كن) اى وجدن بايجاد الله تعالى (فيه آواه) اى اسكنه (الله تعالى فى كنفه) بفتحتين وهو الجانب والجمع اكناف مثل سبب واسباب واكنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة كذا فى المصباح ولعل المعنى ادخله فى حمايته وحفظه وعنايته فى الدنيا والآخرة (وستر عليه) عيوبه وغفر ذنوبه (برحمته) وفضله واحسانه (وادخله فى محبته) اى جعله محباله سبحانه وتعالى الخصلة الاولى صفة (من) اى الذى اوعبد (اذا اعطى) بالبناء للمفعول اى اعطاه تعالى على يد سبب من اسبابه وحذف مفعول الفعل قصدا للعموم (شكر) الله تعالى على ذلك اى اثنى عليه الثناء الجميل بقلبه او بلسانه او باركانه (و) الثانية صفة من (اذا قدر) على من ظلمه واذنب فى حقه (غفر) اى سامح عن الظلم وصفح عن الذنب (و) الثالثة صفة من (اذا غضب) على احد (فتر) اى ضعف غضبه فى الحال ولم يعامله بمقتضى الغضب (هذه الفوائد) السبعة المذكورة لكظم الغيظ حاصلة (بمجرد) اى بسبب مجرد (الكظم) للغيظ وان لم يقترن به عفو عنه (واما اذا عفا) عمن جاءه الغيظ منه (معه) اى مع الكظم للغيظ (فاكثر) فوائد (واعظم) عوائد (فانك) يا ايها المغتاظ (اذا عفوت) عمن اغتظت منه (مع عجزك) الملازم لك لانك

مخلوق مثله (و) مع (احتياجك) الى حسناته والى من يحمل سيئاتك اذا وقع القصاص بينكما يوم القيامة (فالله) تعالى (اولى) اى احق واحرى (ان يعفو) اى يتجاوز عن ذنوبك (مع قدرته) عليك وعلى غيرك (وغنائه) عنك وعن غيرك (ويدل عليه) اى على ان الله تعالى يعفو عنك اذا عفوت عن ظلمك (قوله تعالى وليعفوا) اى عن ظلمهم قال فى المصباح عفا المنزل يعفو عفوا وعفاء بالفتح والمد درس وعفته الريح يستعمل لازما ومتعديا ومنه عفا الله عنك اى محا ذنوبك (وليصفحوا) يقال صفحت عن الذنب صفحا من باب نفع عفوت عنه وصفحت عن الامر اعرضت عنه وتركته كذا فى المصباح (الاتحبون ان يغفر الله لكم) اى يعفو عنكم ويصفح عن ذنوبكم فمن عفا عن غيره وصفح عن ذنب غيره معا عفا الله عنه وصفح عن ذنبه (المقام الثالث) من المقامات الخمس (فى العلاج العملى) اى المنسوب الى العمل فى مرض الغضب والتهور (بعد الهيجان) هاج الشئ هيجانا وهياجا بالكسر ثار وهجته يتعدى ولا يتعدى وهيجته بالتثقيل مبالغة كذا فى المصباح اى ثوران الغضب والتهور (وهو) اى العلاج العملى (اربعة اشياء) اما الشئ الاول فهو (التوضؤ) اى فعل الوضوء بالماء المطلق (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن عطية انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان) اى يقع فى القلب من وسوسته وتسويله (وان الشيطان خلق من النار) اى النار هى العنصر الغلب فيه على بقية عناصره الثلاث الماء والهواء والتراب كما ان الآدمى خلق من تراب اى اغلب عناصره التراب والا فالعنصر الواحد لم يخلق منه حيوان ولانبات ولاجماد بمفرده مالم ينضم اليه بقية العناصر وحرارة الغضب والتهور الواقعة فى القلب شبيهة بالنار التى يثيرها الشيطان بسبب اصل طبيعته وخلقته (وانما تطفأ النار بالماء) كما هو المعروف (فاذا غضب احدكم فليتوضأ) اى يفض الماء على اعضاء وضوئه كما اذا اراد الصلاة وهو محدث ولعل هذا الوضوء مطلوب من صاحب الغضب والتهور على الفور قبل سكون غضبه وتهوره سواء كان محدثا اولم يكن محدثا ولوكان جنبا صلى به صلاة اولم يصل ولايكفى عنه التيمم عند عدم الماء لفوات المقصود منه فان برودة الماء تطفئ حرارة الغضب والتهور ولاكذلك المسح بالصعيد ولهذا قال وانما تطفأ النار بالماء (و) اما الشئ (الثانى) فهو (الجلوس) وهو غير القعود فالجلوس هو الانتقال من سفل الى علو والقعود هو الانتقال من علو الى سفل فعلى الاول يقال لمن هو نائم اوساجد اجلس وعلى الثانى لمن هو قائم اقعد وقيل يقال جلس متكئا بمعنى الاعتماد على احد الجانبين وقال الفارابى وجماعة الجلوس نقيض القيام فهو اعم من القعود وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول فيكون بمعنى واحد ومنه يقال جلس متربعا وقعد متربعا وجلس بين شعبها اى حصل وتمكن كذا فى المصباح وفى مختصر

القاموس القعود والقعد الجلوس اوهو من القيام والجلوس من الضجعة ومن السجود انتهى ولعل المراد هنا الجلوس من القيام كما يدل عليه الحديث الآتي (والاضطجاع) وضع الجنب بالارض وهو مصدر اضطجع واضجع والاصل افتعل لكن من العرب من يقلب التاء ضادا ويدغمها في الضاد تغليبا للحرف الاصلي وهو الضاد ولا يقال اطجع بطاء مشددة لان الضاد لاتدغم في الطاء فان الضاد اقوى منها والحرف لايدغم في اضعف منه وما ورد شاذا لايقاس عليه كذا في المصباح (د) يعني روى ابوداود باسناده (عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب احدكم) اى اصابه الغضب من شئ لا يريده (وهو قائم) على قدميه (فليجلس) اى يقعد من قيامه (فان ذهب عنه الغضب والا) اى وان لم يذهب عنه (فليضطجع) اى يضع جنبه على الارض ولعل المراد انه يغير هيئة جسده بالانتقال من حالة عالية الى حالة اسفل منها حتى يقرب الى الارض فيرجع الى اصله وهو التراب فيتذكر انه لاينبغي له الغضب لانه تراب ذليل وانما الغضب لايق بالقدير الجليل فيقرب الى الارض بالقعود من القيام ثم اذا لم يتذكر يقرب ايضا بالاضطجاع من القعود لان الاضطجاع حالة الميت ففيه تذكير بالموت لازالة الغضب الذى لايصلح الا للحي الذى لايموت (و) اما الشئ (الثالث) فهو (الاستعاذة) استعذت بالله معاذا وعياذا اعتصمت وتعوذت به كذا في المصباح (خم) يعني روى البخاري ومسلم باسنادهما (عن سليمان بن صرد انه قال استب رجلان) اى سب احدهما الآخر يعني شتمه وطعن فيه (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن عنده) اى عند الرسول عليه السلام (فبينما يسب احدهما صاحبه) حال كونه (مغضبا قد احمر وجهه) من ثوران حرارة الغضب بسبب غليان دم القلب (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم كلمة لو قالها) اى صاحب الغضب (لذهب عنه الذى يجد) في نفسه من الغضب الثائر فيه بسبب وسوسة الشيطان وبث الحرارة النارية في قلبه (لو قال) بلسانه ملاحظا معنى ذلك بقلبه (اعوذ) اى اعتصم والتجئ (بالله) عزوجل (من) شر (الشيطان الرجيم) اما ابليس اللعين الذى سلط ذريته على بني آدم باذن الله تعالى يزينون لهم الباطل ويغوونهم واما احد ذريته المنتشرة في الارض واما القرين الملازم للانسان يجرى منه مجرى الدم فيكون لكل انسان شيطان على حدة اذا تعوذ بالله تعالى يتعوذ منه وابليس اللعين كان شيطان آدم عليه السلام الذى وسوس له فاوقعه في الخطيئة وهو ابو الشياطين كلهم كما ان آدم عليه السلام ابو البشر كلهم (ذهب عنه) اى عن صاحب الغضب (ما يجد) في صدره من ذلك (و) اما الشئ (الرابع) فهو (دعاء) لله تعالى (مخصوص) اذا قاله الانسان بحضور وخضوع مع ملاحظة معناه اذهب الله تعالى عنه الغضب والتهور وطابت نفسه (سني) يعني روى ابن السني

باسناده (عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني معاشر نسائه رضي الله عنهن (وانا غضبي) اى قد اصابني الغضب من بينهن (فاخذ) صلى الله عليه وسلم (بطرف المفصل) وهو وزان مسجد احد مفا صل الاعضاء و يأتيك بالامر من مفصله اى منتهاه كذا في المصباح (من انفي الانف) المعطس والجمع آناف على افعال وانوف وآنف مثل فلوس وافلس وانف الجبل ماخرج منه كذا في المصباح والمأخوذ طرف انفها المستدق موضع اجتماع الجليدات الثلاث (فعركه) اى حكه وحته بيده صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ليريها ان الغضب مما لا ينبغي لها فانه لايكون الابعروض الشمم والشمخ بالانف تكبرا واعتزازا والانسان مجاوق من التراب لايليق ان يصدر منه نحو ذلك فاوقع الالم بالانف كسرا لصولة الغضب وتذكيرا للذل الذي سيكون لكل انسان عند لقاء ربه والكشف عن سطوات الهيبة بحيث يرغم انف العبد اى يضعه في الرغام وهو التراب الذي يداس بالاقدام (ثم قال لي ياعويش) بالتصغير والترخيم بفتح الشين وضمها على لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر واصله ياعائشة (قولي) اى في حالة غضبك (اللهم) اى يا الله (اغفرلي) اى استر وامح عني (ذنبي) الذي فعلته باختياري وهو كل ذنب صدر منها فان المغفورله مطهر من الاخلاق الذميمة التي منها الغضب (واذهب) عني (غيظ قلبي) الذي هو سبب للغضب مني بان تقدرني على عدوي بالحق فانتقم منه في مرضاتك لا بحظ نفسي او ترزقني المسامحة عن ظلمي والصفح عنه بخلوص سريرة او تنسيني اسباب غيظي بالاشتغال بحمد منك (واجرني) اى احمني واحفظني (من الشيطان) اى الشيطان المقارن لي الذي هذا الغضب من وسوسته وتسويله (المقام الرابع) من المقامات الخمس (في العلاج) للغضب والتهور (القلعي) اى الذي يقلع ذلك من اصله (وهو) اى العلاج القلعي انما يكون (بازالة السبب) اى سبب الغضب والتهور (وهو) اى سبب ذلك الغضب والتهور (الحرص) بالصاد المهملة من حرص عليه حرصا من باب ضرب اذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر كذا في المصباح اى الاجتهاد والتكالب (على) طلب (الجاه) اى الشرف والارتفاع والمرتبة العالية (و) وجود (التكبر والعجب) في نفسه (وصاحب احد هذه الثلاثة) اى الحرص على الجاه اوالتكبر اوالعجب (يغضب) اى يتسارع اليه الغضب (بادنى شئ) من الاشياء صدر له من غيره (يوهم) عنده (نقصا فيه) يعني في مقامه ومنزلته عند الناس (مالا يغضب به) اى بذلك الشئ (غيره) من الناس ممن ليس فيه واحدة من الثلاثة المذكورة (عادة) اى بحسب جريان العادة مما يعرفه الناس (وعلاجها) اى هذه الثلاثة طلب الجاه الذي هو حب الرياسة الدنيوية والتكبر والعجب (سبق) بيانه عند ذكرها مفصلة (والمزاح) معطوف على الحرص على الجاه الذي هو

سبب الغضب والتهور وفى الصحاح المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا واما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان (والهزل) من هزل فى كلامه هزلا من باب ضرب مزح كذا فى المصباح (والهزء) من هزئت به اهزء مهموز من باب تعب وفى لغة من باب نفع سخرت منه والاسم الهزء وتضم الزاى وتسكن للتخفيف كذا فى المصباح (والتعيير) بالعين المهملة من العار وهو كل شئ يلزم منه عيب اوسبة وعيرته كذا وعيرته به قبحته عليه ونسبته اليه يتعدى بنفسه والباء قال المرزوقى فى شرح الحماسة والمختار ان يتعدى بنفسه كذا فى المصباح (والمماراة) المجادلة (والمضادة) اى المخاصمة والمنازعة (والظلم بالقول كالكذب عليه) اى على الغير (والغيبة) للغير اى ذكره فى غيبته بما يكرهه (والنميمة) اى نقلك كلام السوء الصادر من احد فى حق غيره الى ذلك الغير على وجه الافساد (والشتم) للغير (او) الظلم (بالفعل كالضرب) الصادر منك للغير (واخذ المال بلا حق) (ومنع حقه) المترتب له عليك (وهذه الاشياء) كلها المذكورة (تورث الغضب) والتهور اى توجده وتوقعه فى النفس (لاكثر الناس) ماعدا الاول منهم ممن لايبالى بشئ من ذلك (فعليك) يا ايها الانسان (بالاجتناب) اى التباعد (عنها) اى عن هذه الاشياء (الا ان تيقن) من نفسك بلاشك (تحمله) اى الغير لهذه الاشياء منك (وحلمه) عليك اى صفحه عنك ومسامحته لك (فلا بأس) عليك (حينئذ بما حل) اى جاز فى الشرع (منها) اى من هذه الاشياء المذكورة كالمزاح والهزل بالحق والصدق والممارات لنصرة الحق والضرب للتعزير بمن يقيمه (قليلا) دون الكثير من ذلك فان كثرة المزاح تذهب بهاء الوجه وفى شرح المناوى للجامع الصغير قيل لابن عيينة رحمه الله تعالى المزاح سبة قال بل سنة ولكن من يحسنه (واما اذا صدرت) هذه الاشياء المذكورة (من غيرك فيك) اى فى حقك (فعليك الحلم) اى الصفح والمسامحة للغير فى ذلك (والعفو) عنه (فان لم تقدر) على ذلك من نفسك (فالصبر) عن مقابلته بمثلها (والكظم) للغيظ (والانتصار) بما يحل لك من ذلك (وان لم تقدر) على ماذكر (فلاتذهب) الى مكان يصدر فيه شئ من ذلك فى حقك (ولاتجلس) اذا ذهبت بلا شعور منك بذلك (فى مظانها) اى فى المواضع التى تظن ان يوجد شئ منها فيه (وان وقعت) فى مجلسك او مجلس غيرك (بغتة) اى مفاجأة من غير حساب منك لها (ففر) اى اهرب من ذلك المجلس ولاتجلس فيه (فرارك) اى هروبك (من الاسد) اى السبع الضارى مخافة ان تهلك مع الهالكين وان لم تقدر على الفرار فاشغل نفسك عن ذلك بفكر فى علم اوذكر بالقلب او باللسان اوشهود قدرة الله تعالى فى شئ ونحو ذلك من الشواغل الشرعية (واحوال هذه الاشياء) من المزاح والكذب والغيبة والنميمة وغيرها (سيجئ) بيانه (ان شاء الله

تعالى) فى مواضعه من هذا الكتاب (ومن اشد بواعث) اى اسباب (الغضب) والتهور (عند الجهال) من الناس (تسميتهم) اى الجهال (اياه) اى الغضب والتهور (شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وغيرة) بالفتح (وحمية) اى بواحد من هذه الاسماء او بها كلها (حتى تميل النفس اليه) اى الى الغضب و لتهور المسمى بهذه الاسماء الشريفة (وتستحسنه) وهى لا تعرف الفرق بينه وبين المسمى بهذه الاسماء من الاخلاق الحميدة وقد تقدم الفرق فى مواضعه (وقد يتأكد كذلك) اى تسميته بهذه الاسماء عند النفس (بحكاية شدة الغضب عن الاكابر) من الصحابة والتابعين كعمر بن الخطاب ونحوه رضى الله عنهم (فى معرض) بفتح الميم وكسر الراء اى موضع ظهور (المدح) لهم وفى المصباح المعرض وزان مسجد موضع عرض الشئ وهو ذكره واظهاره وقلته فى معرض كذ اى فى موضع ظهوره فذكر الله ورسوله انما يكون فى معرض التجبيل والتعظيم اى فى موضع ظهور ذلك والقصد اليه وهذا لان اسم الزمان والمكان من باب ضرب يأتى على مفعل بفتح الميم وكسر العين يقال هذا مصرفه ومنزله ومضربه اى موضع صرفه ونزوله وضربه الذى يضرب فيه (والنفوس) كلها (مائلة) بالطبع (الى التشبه بالاكابر) من الكاملين على حسب ما تستطيع (وهذا) الامر (خطأ وجهل) من الجهال (بل هو) اى ما يحصل فى النفوس من الغضب والتهور (مرض قلب ونقصان عقل) لا شجاعة ورجولية (الا ترى ان المريض اسرع غضبا من الصحيح) لانحصار نفسه بسبب المرض ونقصان ادراكه لفتور عقله بكثرة الوجع والالم (والمرأة) اسرع غضبا (من الرجل) لضعف نفسها وقلة عقلها (والشيخ) اى الكبير فى السن اسرع غضبا (من الكهل) لنقصان الادراك بضعف قواه الظاهرة والباطنة من الهرم والشيخوخة (ومنه) اى من اشد بواعث اسباب الغضب والتهور (الامر) للغير (بالمعروف) فى الشريعة المحمدية (والنهى) للغير (عن المنكر) فيها من قول او فعل او حال فانه سبب داع الى ثوران الغضب والتهور فى القلب (خصوصا اذا كان) ذلك الامر والنهى (بالحدة) وهى النزاقة (والعنف) وهو الشدة والغلظة وعدم الرفق وعدم اللين والسهولة على الغير (وعدم الاضافة) اى عدم نسبة ذلك الامر والنهى (الى الشارع) الذى شرع الاحكام اى بينها للمكلفين وهو الله تعالى حقيقة ورسوله صلى الله عليه وسلم مجازا بان جعل الذى امر ونهى لنفسه غرضا ولم يتبرأ من الحظوظ النفسانية باخلاص قلبه وصدق نيته وعزمه على ذلك بحيث يصير قائما فى ذلك بالنيابة عن الله تعالى ورسوله جسما اقامه الله تعالى بقوله سبحانه وأتمروا بينكم بمعروف اى فليأمر بعضكم بعضا ومتى اضاف ذلك الى الشارع لزمه ان يأمر وينهى كما امر الشارع ونهى والشارع عمم فى امره ونهيه ولم يخصص احدا ولا شافه احدا بامر بخصوصه

ولانهى ولا كشف ستر عاص ولا فاسق مع علم الشارع بكل فرد فرد من اشخاص المكلفين والقرآن العظيم هو امر الله تعالى ونهيه والاحاديث الشريفة هى امر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه وليس فى شئ من ذلك تخصيص احد بعينه بامر ولانهى ولا فى شئ من ذلك فضيحة احد بعينه وذكر الامام ابو بكر محمد بن جعفر بن محمد ابن سهل السامرى الخرائطى فى كتابه مكارم الاخلاق باسناده عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن قوم شئ قال ما بال اقوام يقولون كذا وكذا وذكر ايضا باسناده عن حماد بن زيد عن سالم العلوى عن انس بن مالك ان رجلا جاء فقعد فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وعليه اثر صفرة فلما قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لو امرتم هذا ان يدع هذه الصفرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا فى وجهه بشئ وذكر الخرائطى ايضا فى كتابه المذكور باسناده عن ابى صالح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة وروى باسناده عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يرى امرأ من اخيه عورة فيسترها عليه الادخل الجنة وذكر ايضا باسناده عن ابى هريرة قال دخل اعرابى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقال اللهم اغفر لى ولمحمد ولا تغفر معنا لاحد فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد احتظرت واسعا ثم ولى فلما كان فى ناحية المسجد فشخ يبول فصاح به الناس فكفهم النبى صلى الله عليه وسلم عنه ثم قام اليه فقال انما بنى هذا المسجد لذكر الله والصلاة وانه لا يبال فيه ثم دعا بذنوب من ماء فصبه على بوله قال يقول الاعرابى بعد ان فقه فقام الى ابى وامى فلم يسب ولم يضرب ولم يؤنب (و) كذلك اذا كان ذلك الامر والنهى (فى الملاء) اى بين الجماعة من الناس فانه فضيحة له وهتك ستر لا نصيحة (فيظن المخاطب) بذلك الامر والنهى (انه) اى الامر والنهى توبيخ وتعيير بالعيوب (من عند) نفس (المتكلم) بذلك له (لا) من عند (الشارع) بسبب الغرض النفسانى القائم فى قلب المتكلم بالامر والنهى لغيره (و) يظن المخاطب (انه) اى المتكلم بذلك (يريد به) اى بالامر والنهى له (اللوم) اى الا عابة عليه والتحقير له (والطعن) فيه (لا) انه يريد (النصح) له (فيغضب) ذلك المخاطب (لجهله) بمقصود المتكلم حيث خفى عليه قصده (وعلاجه) اى مداواة هذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو سبب لغضب الغير بالامر والنهى له (التكلم) بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر (باللين) اى السهولة (والرفق) من غير تغليظ ولا تعنيف كما ذكر الخرائطى فى مكارم الاخلاق باسناده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابى مليكة سمعت ابن شهاب قال سمعت عروة قال سمع اباهريرة سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه

مالايعطى على العنف وذكر باسناده عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب الرفق فى الامر كله (والاضافة) اى نسبة ذلك الامر والنهى (الى الشارع) وهوالله تعالى اونبيه صلى الله عليه وسلم امابالتصريح بذلك بلسانه اوباضمار ذلك بقلبه واخلاص النية فى التبرى من نسبة ذلك الى نفسه حتى لايكون تحكما بالنفس فى مخلوق مثله وغالب من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى زماننا هذا تأخذ نفوسهم امر الله تعالى ونهيه لعباده وتحتال به على التحكم فى نفوس المكلفين وتمشية اغراضها فيهم من حب الرياسة واستماع القول وان لايرد احد عليهم كلامهم فيظهر امرهم ونهيهم فى صورة توبيخ للناس وتعنيف وتعيير لاهل المعاصى والمخالفات فيقبح امتثاله فى قلوب اهل المعاصى ويرضون بالبقاء على معاصيهم والاصرار عليها ولايرضون لانفسهم بالاطاعة لهؤلاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر لمقاصدهم الخبيثة ونياتهم القبيحة وهذا الحال ظاهر منهم عند غالب الناس ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم والتكلم مع المأمور والمنهى (فى) حالة (السر) اى الخفية بحيث لايشعر به احد من الناس ولا اسر من ادماجه فى جملة الناس وعدم تعيينه بعينه كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم فى قوله مابال اقوام يقولون كذا وكذا ولايواجه احدا فى وجهه بشئ كما قدمناه (ان امكن) بان وجده مع قوم فخاطبهم وهو من جملتهم (وتعلم) مصدر تعلم زيد المسئلة صار عالما بها (الشرايع) اى الاحكام الشرعية منه بان تسئله عن حكم الله تعالى فى مسئلة هو تاركها تريد امره بها بالمعروف اوفاعلها تريد نهيه بها عن المنكر بحيث لايشعر بك احد كما اذا اردت ان تنهاه عن الزنا مثلا وانت محقق وقوعه فيه فتسأله عن حكم الله تعالى فى الزانى وتتعلم منه ذلك (واما اذا غضب مع العلم) بمعصيته وقد سترتها انت عليه ونهيته على الصفة المذكورة (فمن الرياء) الذى هو متصف به كان غضبه (او) من (الكبر او) من (العجب) وعلاجه هو علاج الرياء والكبر والعجب على حسب ماتقدم بيانه (ومنه) اى من اشد بواعث اى اسباب الغضب والتهور (الظن) وهو خلاف اليقين (الخطأ) اى الذى هو ليس بصواب فى حال احد من الناس رآه يكلم امرأة اوغلاما فظنه فى خيانة وسوء وفاحشة اوراه يمشى مع سارق اوظالم فظنه كذلك فتحرك غضبه وهاج تهوره مما رأى (و) كذلك (عدم فهم مراد المتكلم) من معنى كلامه كمن سمع غيره يقول كلاما ففهم منه معنى فاسدا اوغرضا باطلا اورأى عبارة فى كتاب من كتب الائمة ففهم منها سوءا وضلالا ومن ذلك مايقع من كثير من علماء الظاهر الذين لايعرفون من العلم الباطن ولاذرة المغرورين بالحياة الدنيا وزينتها فانهم اذ نظروا فى كتب المحققين من اهل المعرفة بالله تعالى فهموا من كلامهم الكفر والضلال فطعنوا فيهم وكفروهم ولم يسلموا للقوم العارفين

﴿ علومهم ﴾

علومهم التي جهلها هؤلاء الرعاع القاصرون كما وقع من المنكرين على ابن العربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني والجيلي والجلال الرومي وامثالهم فان من انكر عليهم فقد انكر العلم الباطن ومن انكر العلم الباطن فقد انكر اسرار الشريعة المحمدية فهو مبتدع ضال وانما هو مؤمن بحسب ظاهر الشريعة كايمان المنافق وقد ذكر الاسيوطي في الجامع الصغير برمز ابن ابي كبشة والحكيم عن الحسن مرسلا وبرمز الخطيب في تاريخه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وذكر الاسيوطي ايضا برمز الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الباطن سر من اسرار الله عزوجل وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده وذكر الشيخ المناوي رحمه الله تعالى في شرح الجامع الصغير عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال علم الباطن لا يعرفه الا من عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك الا مع فتح قلبه وتنويره وقال ايضا ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله في القلب يشير الى علم الباطن وقال التونسي اجتمع العارف سيدي علي وفا قدس الله سره والامام البلقيني رحمه الله تعالى فتكلم الامام علي بن وفا مع الامام البلقيني بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني من اين لك هذا يا علي قال من قوله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * وقال ابوطالب المكي رحمه الله تعالى علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لا يستغني احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما عن صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان وهذا لا ينصرف اليه اسم العلماء الذين هم ورثة الانبياء اذهم العاملون الابرار المتقون الذين آل اليهم العلم الموروث بالصفة التي كان عليها عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته واتباع شهوته ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبئس الورد المورود وذكر المناوي ايضا عن الغزالي رضي الله عنه انه قال علم الآخرة قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب منه يخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال بعضهم من كان فيه خصلتان لم يفتح عليه منه شيء بدعة او كبر ومن كان محبا للدنيا او مصرا على الهوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من الصفات المذمومة وهذا هو العلم الخفي الذي اراد المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله انتهى كلامه وربما يتوهم احد من علماء الظاهر المحجوبين القاصرين بان قول الامام مالك رضي الله

عنه ان علم الباطن لايعرفه الامن عرف علم الظاهر فيظن ان مراده بعلم الظاهر ما هم عليه اليوم علماء الظاهر من تعلم القيل والقال بلا عمل ولا ارادة عمل فيتوغلون فى الاطلاع على فروع ومسائل نادرة الوقوع ولو وقعت لوجدلها من يعلمها و يستخرجها من موضعها و يجيب عنها فيجعلون علمهم الذى هم الآن يتصيدون به حطام الدنيا من ايدى الظلمة وغيرهم شرطا فى معرفة العلم الباطن وهذا زعم باطل انما مراد الامام مالك رضى الله عنه مايعرفه من احوال اهل زمانه ان الرجل يجب عليه ان يتعلم مقدار ماهو بصدده من العمل المفروض والمسنون لاقامة احوال دينه لا المقدار الزائد على ذلك وهذا القدر من علم الظاهر معلوم فى هذا الزمان لغالب العوام حصل لهم بالسماع من المدرسين والوعاظ وغيرهم من العلماء ولو لم يحصل لهم لامكن تحصيله فى زمان يسير وربما يجسر علماء السوء على الناس وينسبوهم الى الجهل به واوجبوا عليهم دوام التعلم منهم تحقيرا للمسلمين واذلالا لجماعة المؤمنين ليحكموا فى احوالهم و يتأمروا على امورهم و يرفعوا انفسهم عليهم والله يعلم المفسد من المصلح (فعلى المتكلم) اى الواجب عليه (التبيين) اى الاظهار والايضاح لمراده (والتفسير) لمعانى كلامه وان لا يترك من جهده شيئا فى ذلك التقرير فاذاهم بعد ذلك كله احد السوء والباطل من كلامه فلا لوم عليه انما اللوم على الفاهم القاصر الذى يدخل فيما لايعرف ولا يعترف بالقصور كعلماء الظاهر القاصرين مع علماء الباطن العارفين فان علماء الظاهر طعنوا فيما لايعرفون وانكروا ماهم عنه قاصرون وكل من ادعى منهم معرفة العلم الباطن كان اخذه ذلك عن قاصر آخر مثله اومن مطالعة كتب القوم بلا فتح ربانى ولا نور رحمانى فيتوهم بقصوره انه زاحم الصالحين فى علومهم المأخوذة بطريق الفتح واليقين وهو اسير عقله فى فهم كلامهم كما هو كذلك فى فهم كلام الله ورسوله ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (و) يجب على المتكلم ايضا (الاحتراز عن) وقوع (الاجمال فى كلامه) الا اذا خاطب بذلك من يعرف اصطلاحه فى مرامه اوكان قبل اجماله تفصيل اوبعده كما هو واقع فى كتب المحققين من اهل المعارف واليقين (و) يجب عليه ايضا (احتمال الاذى) ممن تعرض له من جهله به فطعن فيه وقذفه واحتقره مالم يسع فى ابطال طريقه الحق و يحاول صرف القلوب المنتفعة به عنه فانه لاحرمة له عنده حينئذ فانه قاطع طريق (و) الواجب (على السامع) لذلك الكلام الذى لم يفهمه (التثبت) اى التأنى فى عدم التخطئة له من اول وهلة (والتأمل) للكلام واساءة ظنه بنفسه (وحسن الظن بالمؤمنين) خصوصا العارفين منهم الكاملين ولا يعتقد انهم كافرون بمجرد فهمه الكفر من كلامهم و يؤول الكلام ما استطاع و يكثر سواد المسلمين بادخال الناس فى الاسلام و يقلل سواد الكافرين ولا يسمح بمن ظاهره الاسلام ان يعطيه للكفار بمجرد فهمه الخطأ

من كلامه (وان اشتبه) عليه الامر ولم يقدر على فهم الحق والصواب (فالاستفسار) من صاحب الكلام ان كان حيا وان مات فمن علماء طريقه الموجودين او من احد اتباعه او ممن يفهم كلامه (لا العجلة) فانها من الشيطان كما ذكر الخرائطى فى مكارم الاخلاق عن سعد بن سنان عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال التأنى من الله والعجلة من الشيطان وفى رواية يونس عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان التبيين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا (و) لا (سوء الظن) باهل الاسلام فانه حرمان من كل خير فى الدنيا والا خرة (ومنه) اى من اشد بواعث الغضب والتهور (الفعل الضار) بالانسان او بماله (الصادر) من الغير (خطأ كمن يرمى الى صيد) فى مكان (فيقع على انسان او ماله) كدابته او عبده او جمله او ثوبه ونحو ذلك او على احد اقاربه او اصحابه او مالهم (فيتلف) ذلك الشئ الذى اصابه السهم (فعليه) اى على الرامى (التثبت) اى التأنى فى وقت الرمى مرة اخرى حتى يعتاد الاصابة وعدم الخطأ (و) عليه (الاحتياط) اى ترك الرمى الى جهة يحتمل فيها اصابة احد فى رمى آخر (و) الواجب (على المجنى عليه) وهو الذى اتلف الرمى عضوه او ماله او لاحد اقاربه او اصحابه (العفو) اى المسامحة وترك الغضب والتهور (وان لم يقدر) على ذلك لشح على الخير فى نفسه (فالتضمين) اى اخذ ضمان ما اتلفه الرمى من الرامى (على وفق) اى موافقة (الشرع) المحمدى من غير جور ولا تعد (لا التهور) لانه مذموم (ومنه) اى من اشد البواعث على الغضب والتهور (حب الدنيا) اى الاموال والتصرف بها فى شهوات النفوس واغراضها (والحرص عليها) اى على الدنيا (فان الرجل قد يسأل) اى يطلب (من) رجل اخر (غنى شيئا) من الدنيا (فلا يعطيه) اى ذلك المسؤل حاجته (فيغضبان) اى السائل والمسؤل من اجل حب الدنيا والحرص عليها منهما (وسيجئ علاجه) اى علاج حب الدنيا فى موضعه من هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى فان كان غضبه) اى السائل (بمجرد رد كلامه وعدم اجابته) الى مرامه (فمن التكبر او العجب) الحاصل فى نفسه وعلاجه علاجهما (كمن يغضب) على احد (عند رد شفاعته فى امر مباح او حرام) فان غضبه يكون من التكبر او العجب وسبق علاجهما (ومنه) اى من اشد البواعث على الغضب والتهور (الغدر وهو نقض العهد والميثاق) الذى اخذه احدهما على صاحبه (بلا ايذان) اى بلا اعلام منهما او من احدهما بذلك (وهو) اى الغدر *الخلق (الحادى والعشرون من) الاخلاق الستين المذمومة التى هى (آفات) اى مفاسد (القلب م) يعنى روى مسلم باسناده (عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء) وهو العلم دون الراية والجمع الوية كذا فى المصباح وانما كان له لواء لاظهار غدره بين اهل الموقف وفضيحته

وزيادة تعذيبه (عند استه) والاست العجز ويراد به حلقة الدبر يحتمل ان يكون ذلك اللواء ممسوكاله من عند دبره بيد ملك من ملائكة الله تعالى اوهو يمسكه بيده الملوية الى ذلك الموضع اشارة الى ادباره وتنكيس حاله وقبيح امره (يرفع) بالبناء للمفعول اى ذلك اللواء باذن الله تعالى (له) اى للغادر (بقدر غدره) وفائدة الرفع كثرة الفضيحة له بين الخلائق فمن عظم غدره رفع لواؤه اكثر فكثرت فضيحته ومن كان غدره ادنى من ذلك رفع لواؤه اقل فقلت فضيحته فان الشئ كلما ارتفع رأته الناس اكثر ومما يدل على انه هو الذى يحمل لواء غدره يوم القيامة ماذكره الخرائطى فى مكارم الاخلاق باسناده عن رفاعة عن عمرو بن الحمق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امنه رجل على دمه فقتله فانه يحمل لواء غدره يوم القيامة (وهو) اى الغدر (حرام وضده) اى ضد الغدر (واجب) على المكلف (وهو) اى ضده (حفظ العهد والميثاق (وعند الحاجة الى نقضه) اى ابطاله (وجب ايذانه) اى اعلامه بذلك ومن حفظ العهود الواجبة حفظ عهود المشايخ كمن عاهد شيخا فى سلوك طريق الله تعالى فالواجب عليه المحافظة على عهده وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال وهل للمريد ان يجالس غير شيخه فيه خلاف قال بعضهم نعم اذا ظهر للمريد ان الشيخ الآخر ممن يقتدى به فله ذلك وقال آخرون لا كما لا يكون المكلف بين رسولين مختلفى الشرائع وللمرأة بين زوجين وهذا اذا كان مريد تربية فان كان مريد صحبة البركة فلا مانع من الجمع لانه ليس تحت حكمهم لكن لايجئ منه رجل فى الطريق وقال بعض الصوفية ينبغى لمن يخدم كبيرا كاملا ثم فقده ان لايصحب الا من هو اكمل منه والاجعل صحبته مع الله انتهى كلامه وهذا كله من المحافظة على عهود المشايخ ولايجوز نقضها بنحو ايذاء للشيخ اولمن ينسب اليه اوتحريك خاطر الشيخ بسوء حيا كان اوميتا فانه غدر والغدر حرام كما ذكر (ومنه) اى من اشد بواعث الغضب والتهور (الخيانة) فى الدين والدنيا (وهو) اى فعل الخيانة * الخلق (الثانى والعشرون) من الاخلاق الستين المذمومة (وهو) اى فعل الخيانة (ايضا حرام) مثل الغدر المذكور (وضده) اى ضد فعل الخيانة (وهو الامانة) وهو (واجب) على المكلف (حـ د ز طط حب) يعنى روى احمد بن حنبل والبزار والطبرانى فى الاوسط وابن حبان باسنادهم (عن انس رضى الله عنه انه قال قلما) قل فعل ماض وماكافة له عن طلب الفاعل فلا فاعل له ولم تكف مامن الافعال عن عمل الرفع الا ثلاثة قل وطال وكثر نحو قلما يبرح زيد وطال ماصحبتك وكثر ماقلت كذا (خطبنا) اى كلمنا بمايسمى خطبة (رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقال) فى خطبته (لاايمان) اى لاتصديق بالله وبكتبه ورسله واليوم الآخر وتقدير الخير والشر منه (لمن لا امانة له) وهى مصدر امن بالكسر امانة فهو امين يقال امن زيد الاسد امنا وامن منه مثل سلم وزنا

ومعنى والاصل ان يستعمل فى سكون القلب ذكره فى المصباح والمعنى ان من لا امانة له عند الله تعالى بان خالف امره ونهيه وعند الناس بحيث لا يأمن الناس من شره لا ايمان له بما ذكر فى حقيقة الامر وان حكم له بالايمان فى الظاهر كايمان المنافق جريا على قضية الحكم الشرعى وفى كتاب مكارم الاخلاق للخرائطى عن زادان عن عبد الله ابن مسعود قال القتل فى سبيل الله كفارة كل ذنب الا الامانة وان الامانة الصلاة والزكاة والغسل من الجنابة والكيل والميزان والحديث واعظم من ذلك الودايع وعن زاد ان ايضا عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها اوقال يكفر كل شئ الا الامانة قال يؤتى بصاحب الامانة فيقال له اد امانتك فيقول اى رب وقد ذهبت الدنيا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب به اليها فيهوى فيها حتى ينتهى الى قعرها فيجدها كهيئتها فيأخذها فيحملها على عاتقه ثم يصعد بها فى نار جهنم حتى اذا رأى انه قد خرج بها زلت تهوى وهو فى اثرها ابد الآبدين والامانة فى الصلاة والامانة فى الوضوء والامانة فى الحديث واشد ذلك الودايع وعن ايوب عن هشام ان عمر رضى الله عنه قال لا تغرنى صلاة امرئ ولا صومه من شاء صام ومن شاء صلى لا دين لمن لا امانة له وعن ابى صالح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم وعن عبد الله بن مسعود قال اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وسيصلى قوم لا دين لهم وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ائتمنه رجل على دمه فقتله فانا منه برئ وان كان المقتول كافرا (ولا دين لمن لا عهد له) اى لا يحفظ العهد لمن عاهده فان الوفاء بالعهد من اوثق عرى الاسلام وقد روى الخرائطى فى مكارم الاخلاق باسناده عن ميمون بن مهران قال ثلاث تؤدى الى البر والفاجر الرحم تصلها برة كانت اوفاجرة والعهد تفى به للبر والفاجر والامانة تؤديها الى البر والفاجر (ويجرى الامانة والخيانة فى القول ايضا) فقد يحفظ الامانة فى قوله وقد يخون فيه كما يجرى ذلك فى الفعل (د) يعنى روى ابو داود باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستشار) اسم مفعول من استشرته فى كذا اوشاورته راجعته لارى رأيه فيه فاشار على بكذا ارانى ما عنده فيه من المصلحة وكانت اشارة حسنة والاسم المشورة وفيها لغتان سكون الشين وفتح الواو والثانية ضم الشين وسكون الواو وزان معونة يقال هى من شار الدابة اذا عرضه فى المشوار ويقال من شرت العسل تشبه حسن النصيحة بشرب العسل كذا فى المصباح (مؤتمن) اى قد امنه من استشاره على نصيحة فالواجب عليه اداء الامانة بلا خيانة وبذل النصيحة له (ومن افتى) بالبناء للمفعول اى افتاه احد من الناس فى واقعة له استفتاء عنها فافتاه من استنباط العقل بالقياسات العادية (بغير علم) شرعى من الكتاب والسنة

واجماع الامة والقياس المستنبط من واحد منها المجتهد (كان ائمه) حيث اخطأ فى عمله (على من افتاه) بلا علم لا عليه هو اذا لم يقصر فى الاستفتاء من العلماء وما اكثر الجهلة الذين يفتون بغير علم فى زماننا هذا وقد اخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم عن هذا بما رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق باسناده عن سعد بن ابى سعيد المقبرى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى على الناس زمان يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب ويخون فيه الامين ويؤتمن فيه الخائن وتنطق فيه الرويبضة قالوا وما الرويبضة قال السفلة من الناس او السفيه من الناس يتكلم فى امر العامة (ومن اشار على اخيه) المسلم (بامر) من امور الدنيا او الآخرة (يعلم) ذلك الذى اشار (ان الرشد) اى الصلاح (فى غيره) اى فى غير ذلك الامر الذى اشار به (فقد خانه) اى خان اخاه فى المشورة ولم ينصحه (ومنه) اى من اشد بواعث الغضب والتهور ايضا (خلف) بالضم اسم من اخلف الرجل وعده بالالف وهو يختص بالاستقبال كذا فى المصباح (الوعد) وعده وعدا يستعمل فى الخير بعدى بنفسه وبالباء فيقال وعده الخير وبالخير وشرا وبالشر وقد اسقطوا لفظ الخير والشر وقالوا فى الخير وعده وعدا وعدة وفى الشر وعده وعيدا فالمصدر فارق واوعده خيرا وشرا بالالف ايضا وقد ادخلوا الباء مع الالف فى الشر خاصة كذا فى المصباح (وهو) * خلق (الثالث والعشرون) من الاخلاق السنين المذمومة (وضده) اى ضد خلف الوعد (انجاز) مصدر انجزته اذا عجلت له يعدى بالهمزة وبالحرف ايضا فيقال نجزت به ومصدر نجز نجزا من باب قتل تعجل والنجز مثل قفل اسم منه كذا فى المصباح (الوعد والوفاء به) اى بالوعد (قال الله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا لم) اصلها ما بالالف للاستفهام ولما دخل عليها حرف الجر حذفت الفها قال الاسيوطى فى كتابه الاتقان فى ما الاستفهامية ويجب حذفها اذا جرت وابقاء الفتحة دليلا عليها فرقا بينها وبين الموصولة نحو * عم يتساءلون * فيم انت من ذكرها لم تقولون ما لا تفعلون فناظرة بم يرجع المرسلون (تقولون) بالسنتكم (ما) اى الذى (لا تفعلون) اى تفعلونه وهذا وارد فى كل قول يخالف العمل من وعد بالخير قاله بلسانه ولم يف به ومن علم شرعى قرره بلسانه ولم يعمل بمقتضاه ومن نصيحة ذكرها لغيره وخالفها هو ونحو ذلك (كبر مقتا) اى من جهة المقت يقال مقته مقتا من باب قتل ابغضه اشد البغض من امر قبيح كذا فى المصباح (عند الله ان تقولوا) يعنى قولكم وهو فاعل كبر (ما) اى الذى (لا تفعلون) اى تفعلونه وفى المصباح والخلف فى الوعد عند العرب كذب وفى الوعيد كرم وهذا معنى قول الشاعر * وانى وان اوعدته او وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى * ولخفاء الفرق فى مواضع من كلام العرب انتحل اهل البدع مذاهب لجهلهم باللغة العربية وقد نقل ان ابا عمرو بن العلاء قال لعمرو ابن عبيد وهو طاغية المعتزلة لما انتحل القول بوجوب الوعيد قياسا على الحجة من الحجة

اثبت اباعثمان ان الوعد غير الوعيد ويمكن الفرق بان الوعد حاصل عن كرم وهو لا يتغاير فناسب ان لا يتغير ما حصل عنه وفرق بعضهم فقال الوعد حق العباد على الله تعالى ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حق الله تعالى فان عفا فقد اولى الكرم وان آخذ فبالذنب (م) يعني روى مسلم باسناده (عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية) اي علامة (المنافق) قال ابن الانباري في تسمية المنافق منافقا ثلاثة اقوال احدها انه سمى بذلك لانه يستر كفره فاشبه الداخل في النفق وهو السرب وثانيها انه شبه باليربوع الذي له جحر يقال له القاصعاء والنافقاء فالذي يدخل منه يقال له القاصعاء والذي يخرج منه يقال له النافقاء فاذا اخذ عليه من احدهما خرج من الآخر وكذلك المنافق يخرج من الايمان من غير الوجه الذي يدخل فيه وثالثها انه شبه باليربوع من جهة ان اليربوع يخرق في الارض حتى اذا قارب ظاهرها ارق التراب فاذا رابه ريب دفع التراب برأسه فخرج فظاهر جحره تراب وباطنه حفر وكذلك المنافق ظاهره الايمان وباطنه الكفر ذكره القرطبي في المفهم (ثلاث) اي من الخصال المذمومة (وان صام) ذلك المنافق (وصلى) فرضا اونفلا (وزعم) بلسانه اوقلبه (انه مسلم) قال القرطبي في المفهم وظاهر هذا الحديث ان من كانت هذه الخصال الثلاث فيه خرج عن الايمان وصار في النفاق الذي هو الكفر الذي قال فيه مالك رضي الله عنه النافق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة عندنا اليوم وليس الامر على مقتضى هذا الظاهر وذكر الوجه فيه قبل هذا في حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحوه فقال وقد اختلف العلماء في ذلك فقال حبر القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان ذلك محمول على المستحل لتلك الكبائر وقيل معنى ذلك ان مرتكب تلك الكبائر يسلب عنه اسم الايمان الكامل او النافع الذي يقبل صاحبه الانزجار عن هذه الكبائر وقال الحسن يسلب عنه اسم المدح الذي به يسمى اولياء الله المؤمنون ويستحق اسم الذم الذي يسمى به المنافقون والفاسقون وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ينزع عنه نور الايمان وروى في ذلك حديثا مرفوعا فقال من زنى نزع الله نور الايمان من قلبه فان شاء ان يرده اليه رده وكل هذه التأويلات حسنة والحديث قابل لها وتأويل ابن عباس هذا احسنها ثم قال ولما استحال حمل هذا الحديث على ظاهره على مذهب اهل السنة اختلف العلماء فيه على اقوال احدها ان هذا النفاق هو نفاق العمل الذي سأل عمر حذيفة رضي الله عنهما لما قال له هل تعلم في شيئا من النفاق اي من صفات المنافقين الفعلية ووجه هذا ان من كانت فيه هذه الخصال المذكورة كان ساترا لها ومظهرا لنقائصها فصدق عليه اسم منافق وثانيها انه محمول على من غلبت هذه الخصال عليه واتخذها عادة ولم يبال بها تهاونا واستخفافا بامرها فاي من كان هكذا كان فاسد الاعتقاد غالبا فيكون منافقا خالصا

وثالثها ان تلك الخصال كانت علامة للمنافقين فى زمانه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مجتنبين لتلك الخصال بحيث لاتقع منه منهم ولا نعرف فيمابينهم وبهذا قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وروى عنهما فى ذلك حديث وهو انهما اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن هذا الحديث فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال مالكم ولهن انما خصصت بهن المنافقين انتم من ذلك برآء الخصلة الاولى انه اى المنافق (اذا حدث) احدا بحديث فى الدين اوالدنيا (كذب) فى حديثه (و) الخصلة الثانية انه (اذا وعد) احدا من الناس بوعد فى خير نوى ان يخلف ثم (اخلف) فى وعده واما خلف الوعيد فى الشر فهو من الكرم واذا لم ينو الاخلاف حين وعد فهو جائز كما يأتى كما قدمناه (و) الخصلة الثالثة انه (اذا ائتمن) بالبناء للمفعول اى ائتمنه احد من الناس على نفسه اوماله اواهله او ائتمنه الله تعالى على علم اوعمل اومال اوعافية اورفعة قدر ونحوذلك (خان) فى الامانة فلم يحفظها لصاحبها (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع) يعنى من الخصال الذميمة (من كن فيه) من الناس (كان منافقا خالصا) اى محضا لاشائبة اخلاص عنده (ومن كانت فيه خصلة) واحدة (منها) اى من الخصال الاربعة (كان فيه خصلة) واحدة (من النفاق) لانه منافق محض (حتى يدعها) اى تلك الخصلة فيرجع الى اخلاصه وبراءته من النفاق وقال القرطبى فى كتاب المفهم وكونه صلى الله عليه وسلم ذكر فى حديث ابى هريرة ان علامة المنافق ثلاث وفى حديث ابن عمر وانها اربع يحتمل ان يكون ذلك لانه صلى الله عليه وسلم استجد من العلم بخصال المنافقين مالم يكن عنده فامابالوحى واما بالمشاهدة لتلك منهم وعلى مجموع الروايتين تكون خصالهم خمسة الكذب والغدر والاخلاف والخيانة والفجور فى الخصومة ولاشك فى ان للمنافقين خصالا لاخر مذمومة كما قد وصفهم الله تعالى حيث قال *واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولايذكرون الله الا قليلا* فيحتمل ان يقال انما خصت تلك الخصال الخمس بالذكر لانها اظهر عليهم من غيرها عند مخالطتهم للمسلمين ولانها هى التى يضرون بها المسلمين ويقصدون بها مفسدتهم دون غيرها من صفاتهم الخصلة الاولى انه (اذا ائتمن) على شئ (خان) فيه (و) الثانية انه (اذا حدث كذب) فى حديثه (و) الثالثة انه (اذا عاهد) احدا بعهد (غدر) فى عهده فلم يوفه (و) الرابعة انه (اذا خاصم) غيره (فجر) اى مال عن الحق واحتال فى رده وابطاله قال الهروى اصل الفجور الميل عن القصد ذكره القرطبى فى كتاب المفهم (فالوعد) لاحد فى امر من الامور (بنية الخلف) فيه (كذب عمد حرام) الا فى الثلاث التى يجوز فيها الكذب كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى آفات اللسان فان خلف الوعد فيها عمدا كذب جائز (واما)

الوعد (بنية الوفاء) به (فجائز) اى مباح (ثم انه) اى الوفاء بالوعد (لايجب عند اكثر العلماء بل يستحب فيكون خلفه مكروها تنزيها) لا تحريما لان فيه ترك مستحب وفى عمدة القارى شرح البخارى للعينى الحنفى رحمه الله تعالى وقال العلماء يستحب الوفاء بالوعد بالهبة وغيرها استحبابا مؤكدا ويكره اخلافه كراهة تنزيه لاتحريم ويستحب ان يعقب الوعد بالمشيئة ليخرج عن صورة الكذب ويستحب اخلاف الوعيد اذا كان المتوعد به لايترتب على تركه مفسدة (بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا وعد الرجل) لغيره بوعد (ولوى) اى قصد فى حالة الوعد (ان يفى) بوعده (فلم يف به) لتعذر ذلك عليه اوتعسره اولم تسمح به نفسه (فلاجناح عليه) فى ذلك (وفى رواية) اخرى (فلااثم عليه) وانما الاثم اذا نوى ان يخلف حين وعد كما ذكرناه فى المنافق (رواه) اى هذا الحديث (دت) يعنى اباداود والترمذى باسنادهما (عن زيد بن ارقم وعند الامام احمد) بن حنبل رضى الله عنه (ومن تبعه) من الائمة (الوفاء) بالوعد (واجب) على المكلف (والخلف حرام مطلقا) اى سواء كان فى امر الدين اوالدنيا نوى الخلف اولم ينو (ففيه) اى خلف الوعد (شبهة الخلاف) بين الائمة (و) فيه ايضا (آية) اى علامة (النفاق) كامر (وشان) اى عادة العبد (السالك) فى طريق الله تعالى بالاحتياط والورع (الاجتناب من الخلاف) اى الاحتراز منه ان يقع فى منهى عنه عند القائل به ولوغير مذهبه (والاخذ بالوفاق) اى الامر المتفق عليه بين الائمة (ومنه) اى من اشد بواعث الغضب والتهور (التكلم وعرض) بالعين المهملة اى اظهار وابراز (الحاجة لمشغول) اى لانسان مشغول (بمهم) اى امر يهمه (او) لانسان (مهموم) اى فى هم (اومغموم) فى غم (اومحزون) فى حزن فلم يلتفت الى تلك الحاجة فيغضب صاحبها بسبب ذلك حيث كانت ضرورية له (ومنه) اى من اشد بواعث الغضب والتهور (ماصدر) اى صار ووقع (من صبى) صغير لايعقل (او) من (مجنون) اومعتوه (اوحيوان) له اولغيره (مما) اى من الشئ الذى (يتأذى) اى يتضرر (به كبكاء كثير) من الصبى الصغير (وشتم) من المجنون والمعتوه (وعثار) من الحيوان كالفرس ونحوه قال فى مصباح عثر رجل فى ثوبه يعثر والدابة ايضا من باب قتل وفى لغة من باب ضرب عثارا بالكسر وفرق فى مختصر العين بالمصدر فقال عثر الرجل عثورا وعثر الفرس عثارا (فيغضب) من يوجد بحضره شئ من ذلك (وربما يشتم) الصبى اوامه اواباه والمجنون والمعتوه والحيوان اوصاحبه (ويلعن) هؤلاء (و) ربما (يضرب) من ذكر (وهذا من اقبح انواع الغضب) والتهور (ومنشاؤه) اى سبب ظهوره فى الانسان (خبث الطبع) ورداءة النفس ولقد ورد فى الحديث عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لادخل فى الصلاة وانا اريد ان اطيلها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى مما اعلم من شدة

وجد امه بكائه اخرجه الامام احمد فى مسنده والبخارى ومسلم فى صحيحهما وابن ماجه ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال المناوى فى شرحه مع حله صلى الله عليه وسلم بان بكاء الطفل وصراخه ينفعه كما قال ابن القيم نفعا عظيما فانه يروض اعضاءه ويوسع امعاءه ويفسح صدره ويسخن دماغه ويحمى مزاجه ويثير حرارته الغريزية ويحرك طبيعته لدفع ما فيها من الفضول ويدفع فضلات الدماغ الى غير ذلك مما هو معروف مشهور انتهى كلامه واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يغضب بذلك وان ترتب عليه ايجاز صلاته وشغل قلب امه عنها فكيف يليق بغيره ان يغضب منه او من امثاله من افعال غير المكلف ولهذا كان منشاؤه خباثة الطبيعة ومنشأ ضده فى اهل الكمال طهارة الطبيعة وسلامة السيرة والسريرة (واقبح من هذا الغضب غضب (من يغضب على جماد) كحجر ونحوه (بسقوطه) عليه (او عدم قراره) اى الجماد كطين ونحوه وضعه على جدار فلم يستقر (او عدم انقطاعه) اى الجماد كحبل غليظ قطعه بسكين فلم ينقطع (او) عدم (انكساره) فى شئ اراد كسره (اونحوه) من الاشياء (فيغضب) على ذلك الجماد (ويشتم) له (بل زعا بضربه) على الارض او بشئ (ويتلفه مع علمه بانه لاحياة له ولاشعور) عنده (ولا تأذى) اى لا تضرر له وفى المثل اندم من الكسعى قال الميدانى فى جامع الامثال هو رجل من كسعة واسمه محارب بن قيس ومن حديثه انه كان يرعى ابلا له بواد معشب فبينا هو كذلك اذ ابصر بنبعة فى صخرة فاعجبته فقال ينبغى ان يكون هذا قوسا فجعل يتعهدها ويرقبها حتى اذا ادركت قطعها وجففها فلما جفت قدمنها قوسا ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ما كان من براتها فجعل منه خمسة اسهم ثم خرج حتى اتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر قطيع فرمى عيرا اى حمارا منها بسهم فامخصه السهم اى انفذه فيه واجازه واصاب الجبل فاورى نارا فظن انه اخطأه ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى عيرا فامخطه السهم وصنع صنع الاول ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى عيرا منها فامخطه السهم وصنع صنع الثانى ثم مكث مكانه فمر به قطيع آخر فرمى عيرا منها فصنع صنع الثالث ثم مر به قطيع الآخر فرمى عيرا منها فصنع صنع الرابع فانشأ يقول شعرا

ابعد خمس قد حفظت عدها * احمل قوسى واريد ردها

قطع الاله لينها وشدها * والله لا تسلم عندى بعدها

* ولا ارجى ما حييت رفدها *

ثم عمد الى قوسه فضرب به حجرا فكسرها اى وكان ذلك ليلا ثم بات فلما اصبح نظر فاذا الحمر مطروحة حوله مصرعة واسهمه بالدم مضرجة فندم على كسر القوس فشد على ابهامه فقطعها (و) اقبح منه (من يغضب على فعل نفسه كالمشار) فى المثى (وعدم احسان) اى اتقان (شئ) بتصنعه بيده (فيغضب نفسه) على ذلك (او يلعنه ويضرب به) [illegible]

ربما اوصله الغضب الى ان يقتل نفسه او يلقيها من شاهق وهو حرام (بخلاف من يغضب على نفسه لعصيانه لله تعالى) اى لاجل عصيانه لربه (او) لاجل (كسله في طاعة الله تعالى (و) لاجل (تركه بعض النوافل فيحمل عليها) اى على نفسه (امورا) كثيرة من طاعة الله تعالى (شاقة) اى متعبة له (وربما يحلف) على ان تفعل نفسه تلك الامور الشاقة والنوافل الكثيرة (او ينذر) على نفسه ان فعلت معصية كذا ان يصوم عشرة ايام ونحو ذلك او يتصدق او يصلى وقد رأينا من يفعل ذلك من اخواننا المؤمنين (وهذا) الغضب (حسن و) هو (غيرة) بالفتح اى حمية (دينية) يثاب بها (واقبح من هذا) الغضب المذكور (كله من يغضب على الله تعالى في اوامره) له (ونواهيه) الصعبة او الهينة فيقول ليت الله تعالى لم يأمر الخلق بالامر الفلاني ولم ينههم من الشئ الفلاني ونحو ذلك قال والدى رحمه الله تعالى في كتابه الاحكام تمنى اى قال ليت ان لا يكون الخمر حراما او صوم رمضان فرضا لا يكفر وان تمنى ان لا يكون الله تعالى حرم قتل النفس بغير حق او الظلم يكفر وكذا كل مالم يكن مباحا في وقت من الاوقات لانه تمنى ماليس بمستحيل في الاول وتمنى ماهو مستحيل في الثاني وتمنى ما كان حلالا لا لا يلزم الكفر وتمنى ماليس بحلال يلزم الكفر وعلى هذا اذا تمنى حل المناكحة بين الاخ والاخت لا يكفر كذا في البزازية وغيرها لانه تمنى ماليس بمستحيل لان ذلك كان حلالا في الاول والحاصل ان ما كان حلالا في زمان ثم صار حراما فتمنى ان لم يكن حراما لا يكفر كذا في كتاب الفصول العمادية وعن الشيخ الامام ابى بكر محمد بن الفضل لو قال ليت صوم رمضان لم يكن فرضا ان قال ذلك من اجل انه لا يمكنه اداء حقوقه لا يكفر وفي كتاب الفصول انه الصواب مع ذكره اختلاف المشايخ في كفره (او) يغضب (على الرسول عليه الصلاة والسلام في سننه) التي سنها للامة (وكثيرا ما يقع هذا) الغضب (بعد) وقوع (الغضب) منه (على شئ) من الاشياء المأمور بها او المنهى عنها (و) بعد (قول غيره) من الناس (له هذا) اى ما تتركه (امر الله تعالى لك (او) هذا اى ما تفعله (نهيه) ى نهى الله تعالى لك (او) هذه (سنة نبيه) اى نبى الله (عليه) اى على النبى (الصلاة والسلام فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما مر في الحديث السابق (الغضب يفسد الايمان) كما يفسد الصبر العسل (فنعوذ) اى نلتجئ ونحتمى (بالله تعالى من شرور انفسنا) الموصلة الى مثل ذلك (واما الغضب) من العبد المؤمن (عند رؤية المعاصى و) رؤية (المنكرات) المجمع على حرمتها الظاهرة التى لا تحتمل التأويلات (فمحمود) في الشرع (لانه غضب في الله تعالى وحمية) اى نصرة (للدين) المحمدى (ولكن بشرط الاعتدال) في الغضب وعدم التهور فيه (وعدم تجاوز الحد المشروع في القول) كما تصريح.

بذلك بين الناس وكشف عورة العاصي وفضيحته وهتك ستره خصوصا بالتجسس عليه واساءة الظن في حقه قبل رؤية المنكر وتحققه منه على وهلة وشتمه وقذفه والطعن في نسبه اودينه (كيا كافر ويامنافق ويازاني ويالوطي وياسارق فان هذه الامور (كلها حرام) على من راى المنكر وتحققه في العصاة ان يقابلهم بها جملة في الغضب عليها (فيكون تهورا) مذموما (بل يكتفي) في الغضب (بنحو) قوله للفاسق الذي رآه على المعصية المجمع على حرمتها ولم يمكنه تأويل ذلك لانكشافه له (ياجاهل ويااحمق ان احتيج) اى ان احتاج ذلك الانسان الذي راى المعصية (اليه) اى الى ذلك القول بان عاند العاصي ولم ينفك عن معصيته ولم يسترها عن الناس ولم يمكن ازالتها وسترها قهرا عنه وان لم يحتج الى ذلك فلا يجوز ايضا (و) بشرط عدم تجاوز الحد المشروع (في الفعل) ايضا (كالضرب الشديد) لمن رآه على معصية ولم يفرقها (و) الضرب (الجارح) اى المؤدى الى الجراحة (و) الضرب (المتلف) اى المؤدى الى الهلاك والتلف فانه حرام (بل يكتفي) في ذلك (بنحو الجذب) باليد (والتفريق بينه) اى بين العاصي (وبين المعصية) المجمع على حرمتها التي لا يمكن تأويلها المصر على بقائها واظهارها (الا ان لا يمكن) تفريقه (بدون الضرب فيقتصر على قدر الضرورة) من الضرب وهو المقدار المفرق بين العاصي والمعصية وهذا كله في اهل الاحتساب على الناس كالحكام ونوابهم ولكل احد في وقت رؤية المنكر المجمع على حرمته الذي لا يحتمل التأويل قال في كتاب الحدود من البزازية نص ائمة خوارزم ان اقامة التعزير حال ارتكاب الفاحشة يجوز لكل احد انتهى وعن ظهير الدين المرغيناني رأى غيره على فاحشة موجبة للتعزير فعزره بغير اذن المحتسب فللمحتسب ان يعزر المعزر ان عزره بعد الفراغ منها اشارة الى انه لو عزره حال كونه مشغولا بها فله ذلك وانه حسن لان ذلك نهي عن المنكر وكل احد مأمور به وبعد الفراغ ليس بنهي لان النهي عما مضى لا يتصور فيتمحض تعزيرا وذلك الى الامام (وكثير من المحتسبين) جمع محتسب من احتسبت عليه كذا اذا انكرته عليه قال ابن دريد واحتسبت بكذا اجرا عند الله والاسم الحسبة بالكسر وهي الاجر والجمع الحسب وفلان محتسب البلد ولا تقل محسب وبقال انه حسن الحسبة في الامر اذا كان حسن التدبير له كذا في المصباح (يخطئون) في هذا اى في انكار المنكرات (فيفرطون) من افرط افراطا اسرف وجاوز الحد كذا في المصباح (في الحسبة) اى في انكارهم على اهل المعاصي ويتجسسون عليهم ويأخذون في امرهم بالظنون والعلامات الوهمية ويبالغون في فضيحتهم وهتك استارهم والوقوع فيهم بالقذف والشتم (فلا يفي خيرهم) الذي يزعمونه (بشرهم) الذي فعلوه

قد تم الجزء الاول من الحديقة الندية * شرح الطريقة المحمدية *

ويتلوه الجزء الثاني ان شاء الله تعالى اوله المقام الثاني في...